

السيرة النبوية

للإمام أبي محمد عبد الملك بن هشام

علّق عليها وخرّج أحاديثها

د. عمر عبد السلام تدمري

أستاذ التاريخ الإسلامي في الجامعة اللبنانية

عضو الهيئة الاستشارية والتاريخية

في اتحاد المؤرخين العرب

٣ - ٤

الناشر

دار الكتاب العربي

بيروت - لبنان

السيرة النبوية

لابن هشام

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

ذكر أسرى قريش يوم بدر^(١)

قال ابن إسحاق: وأسر من المُشركين من قُريش يومَ بدر، من بني هاشم بن عبد مناف: عَقِيلُ ابن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم؛ ونوفل بن الحارث بن عبد المطلب بن هاشم. ومن بني المطلب بن عبد مناف: السائب بن عبيد بن عبد يزيد بن هاشم بن المطلب؛ ونُعْمان ابن عمرو بن علقمة بن المطلب. رجلان.

ومن بني عبد شمس بن عبد مناف: عمرو بن أبي سفيان بن حُزب بن أمية ابن عبد شمس؛ والحارث بن أبي وجزة بن أبي عمرو بن أمية بن عبد شمس. ويقال: ابن أبي وخره، فيما قال ابن هشام.

قال ابن إسحاق: وأبو العاص بن الربيع بن عبد العزى بن عبد شمس؛ وأبو العاص بن نوفل بن عبد شمس.

ومن حلفائهم: أبو ريشة بن أبي عمرو؛ وعمرو بن الأزرق؛ وعقبة بن عبد الحارث بن الحضرمي. سبعة نفر.

ومن بني نوفل بن عبد مناف: عدي بن الخيار بن عدي بن نوفل؛ وعثمان ابن عبد شمس ابن أخي عَزْوان بن جابر، حليف لهم من بني مازن بن منصور؛ وأبو ثور، حليف لهم. ثلاثة نفر. ومن بني عبد الدار بن قُصي: أبو عزيز بن عمير بن هاشم بن عبد مناف ابن عبد الدار؛ والأسود ابن عامر، حليف لهم. ويقولون: نحن بنو الأسود بن عامر بن عمرو بن الحارث بن السباق. رجلان.

ومن بني أسد بن عبد العزى بن قُصي: السائب بن أبي حبيش بن المطلب ابن أسد؛ والحويرث ابن عباد بن عثمان بن أسد.

قال ابن هشام: هو الحارث بن عائد بن عثمان بن أسد.

قال ابن إسحاق: وسالم بن شَمَاح، حليف لهم. ثلاثة نفر.

ومن بني مخزوم بن يثقلة بن مرة: خالد بن هشام بن المغيرة بن عبد الله ابن عمر بن مخزوم؛ وأمّية بن أبي حذيفة بن المغيرة والوليد بن الوليد بن المغيرة؛ وعثمان بن عبد الله بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم؛ وصيفي بن أبي رفاعه ابن عابد بن عبد الله بن عمر بن مخزوم؛ وأبو المنذر ابن أبي رفاعه بن عابد ابن عبد الله بن عمر بن مخزوم؛ وأبو عطاء عبد الله ابن أبي السائب بن عبد الله

(١) المغازي للواقدي ١/١٣٨ - ١٤٤، أنساب الأشراف ١/٣٠١ - ٣٠٤ رقم ٦٧٣، عيون الأثر ١/٢٨٦، ٢٨٧.

ابن عُمر بن مخزوم، والمُطَّلِب بن حَنْطَب بن الحارث بن عُبيد بن عمر ابن مَخزوم؛ وخالد بن الأعلم، حليف لهم، وهو كان - فيما يذكرون - أول من ولى فاراً منهزماً، وهو الذي يقول:
ولسنا على الأديار تَدْمى كُلومنا^(١) ولكن على أقدامنا يَقطُر الدَّمُ
تسعة نفر.

قال ابن هشام: ويروى: «لسنا على الأعقاب».
وخالد بن الأعلم، من خُزاعة؛ ويقال: عُقيليّ.

قال ابن إسحاق: ومن بني سهم بن عمرو بن هُصَيص بن كعب: أبو وداعة ابن ضُبيرة بن سَعِيد ابن سَعْد بن سَهْم، كان أول أسير أفتدي من أسرى بدر افتداه ابنه المَطَّلِب بن أبي وداعة؛ وقزوة بن قَيْس بن عَدِيّ بن خُذافة بن سعد بن سهم؛ وحَنْظَلَة ابن قبيصة بن خُذافة بن سَعْد بن سهم، والحججاج ابن قَيْس بن عَدِيّ بن سَعْد بن سهم. أربعة نفر.

ومن بني جُمَح بن عمرو بن هُصَيص بن كعب: عبدُ الله بن أبيّ بن خلف بن وهب بن خُذافة بن جُمَح؛ وأبو عزة عمرو بن عبد بن عثمان بن وهيب بن خُذافة ابن جُمَح؛ والفاكه، مولى أمية بن خلف، أذاعه بعد ذلك رَباح بن المُعْتَرَف، وهو يزعمُ أنه من بني شَمَاح بن مُحارِب ابن فِهْر - ويقال: إن الفاكه: ابن جَزُول بن حِذِيم بن عوف بن عَضْب بن شَمَاح بن مُحارِب بن فِهْر - وهب بن عَمِير ابن وهب بن خَلْف ابن وهب بن خُذافة بن جُمَح؛ وربيعه بن دَرَج ابن العنيس بن أهبان بن وهب بن خُذافة بن جُمَح. خمسة نفر.

ومن بني عامر بن لُؤَيّ: سهيل بن عمرو بن عبد شمس بن عبد ودّ بن نَصْر بن مالك بن جِسل ابن عامر، أسره مالك بن الدُّخْشَم، أخو بني سالم بن عَوْف؛ وعبد بن زَمعة بن قَيْس بن عبد شمس ابن عبد ودّ بن نَصْر بن مالك بن جِسل بن عامر؛ وعبد الرحمن بن مَشْنوء بن وَقْدان ابن قَيْس بن عبد شمس بن عبد ودّ بن نصر بن مالك بن جِسل بن عامر. ثلاثة نفر.

ومن بني الحارث بن فِهْر: الطُّفَيْل بن أبي قَتَيْع؛ وعُتْبة بن عمرو بن جِخْدَم. رجلان.

قال ابن إسحاق: فجميع من حُفِظ لنا من الأسارى ثلاثة وأربعون رجلاً.

قال ابن هشام: وقع من جُملة العدد رجل لم نذكر اسمه، وممن لم يذكر ابن إسحاق من الأسارى:

من بني هاشم بن عبد مناف: عُتْبة، حليف لهم من بني فِهْر. رجل.

ومن بني المَطَّلِب بن عبد مناف: عَقِيل بن عمرو، حليف لهم؛ وأخوه تميم بن عمرو؛ وابنه. ثلاثة نفر.

ومن بني عبد شمس بن عبد مناف: خالد بن أسيد بن أبي العيص؛ وأبو العريض يسار، مولى العاص بن أمية. رجلان.

(١) الكولم: الجراحات.

ومن بني نوفل بن عبد مناف: نَبْهَان، مولى لهم. رجل.
 ومن بني أسد بن عبد العزى: عبد الله بن حميد بن زهير بن الحارث. رجل.
 ومن بني عبد الدار بن قصي: عَقِيل، حليف لهم من اليمن. رجل.
 ومن بني تميم بن مُرّة: مُسافع بن عياض بن صخر بن عامر بن كعب بن سعد ابن تميم؛ وجابر بن الزبير، حليف لهم. رجلان.

ومن بني مَخْزوم بن يَقْظَة: قَيْسُ بن السائب. رجل.
 ومن بني جمح بن عمرو: عمرو بن أبي بن خلف؛ وأبو رُهم بن عبد الله، حليف لهم؛ وحليف لهم ذهب عني اسمه؛ ومَوْلِيَان لَأُمَيَّة بن خَلْف، أحدهما نِسْطَاس؛ وأبو رافع، غلام أُمَيَّة بن خَلْف. ستة نفر.

ومن بني سهم بن عمرو: أَسْلَم، مولى نبيه بن الحجاج. رجل.
 ومن بني عامر بن لُؤَيّ: حبيب بن جابر؛ والسائب بن مالك. رجلان.
 ومن بني الحارث بن فهر: شافع وشَفِيع، حليفان لهم من أرض اليمن. رجلان^(١).

ما قيل من الشعر في يوم بدر

قال ابن إسحاق: وكان ممّا قيل من الشعر في يوم بدر، وتراذبه القوم بينهم لما كان فيه، قول حمزة بن عبد المطلب يرحمه الله.

قال ابن هشام: وأكثر أهل العلم بالشعر ينكرها ونقيضتها:

وللحين ^(٢) أسباب مبينة الأمر	ألم تر أمراً كان من عجب الدهر
فحانوا تواص بالعقوق وبالكفر	وما ذاك إلا أن قوماً أفادهم ^(٣)
فكانوا رهوناً للركية ^(٤) من بذر	عشيّة راخوانحو بذر بجمعهم
فساروا إلينا فالتقينا على قدر	وكنا طلبنا العير لم نبغ غيرها
لنا غير طغن بالمشقة السمر	فلما التقينا لم تكن مثنوية ^(٥)
مشهرة الألوان بيّنة الأثر ^(٦)	وضرب ببيض يختلي الهام حدها
وشيبة في القتلى تجزجم في الجفر ^(٧)	ونحن تركنا غنبة الغي ثاوباً

(١) راجع أنساب وأخبار من حضر بدرأ وشهداء بدر من المسلمين والقتلى من المشركين وأسرى المشركين في (الروض الأنف ٩٩/٣ وما بعدها).

(٢) الحين: الهلاك. (٣) أفادهم: أهلكهم.

(٤) الركبة: البثر ذات الماء. (٥) مثنوية: رجوع.

(٦) يختلي: يقطع. والهام: الرؤوس. والأثر: بضمّتين أثر الجرح والجمع آثار وأثور، وإذا كان بفتح فسكون فهو جوهر السيف.

(٧) تجزجم: تسقط، والجفر: البثر المشعة.

فَشُقَّتْ جُيُوبُ النَّائِحَاتِ عَلَى عَمْرٍو
 كِرَامٍ تَفَرَّغْنَ الدَّوَابَّ مِنْ فِهْرِ^(١)
 وَخَلُّوا لَوَاءَ غَيْرٍ مَخْتَضِرِ النَّضْرِ
 فَخَاسٌ^(٢) بِهِمْ، إِنَّ الْخَبِيثَ إِلَى عُدْرٍ
 بَرِئْتَ إِلَيْكُمْ مَا بَيَّ الْيَوْمَ مِنْ صَبْرٍ
 أَخَافَ عِقَابَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو قَسْرٍ^(٣)
 وَكَانَ بِمَالِهِمْ يَخْبُرُ الْقَوْمَ ذَا خَبْرٍ
 ثَلَاثٌ مِثْلِينَ كَالْمُسَدَمَةِ الزُّهْرِ^(٤)
 بِهِمْ فِي مَقَامٍ ثُمَّ مُسْتَوْضِحِ الذِّكْرِ
 لَدَى مَازِقٍ فِيهِ مَنَابِهُمُ تَجْرِي^(٥)

وَلِلْحُزْنِ مِثِّي وَالْحَرَارَةِ فِي الصَّدْرِ
 فَرِيدُ هَوَى مِنْ سِلْكَ نَاطِقِهِ يَجْرِي
 زَهِيْنٌ مَقَامٌ لِلرَّكِيَّةِ مِنْ بَدْرِ
 وَمَنْ ذِي نِدَامٍ كَانَ ذَا خُلُقٍ غَمْرٍ^(٧)
 فَلَا بُدَّ لِلْأَيَّامِ مِنْ دُولِ الدَّهْرِ
 تُرِيهِمْ هَوَاناً مِنْكَ ذَا سُبُلٍ وَغَرٍ
 وَلَا أُنْبَقُ بُقِيَاءً فِي إِخَاءٍ وَلَا صَهْرٍ
 كِرَامٍ عَلَيْهِمْ مِثْلُ مَا قَطَعُوا ظَهْرِي
 وَنَحْنُ الصَّمِيمُ فِي الْقَبَائِلِ مِنْ فِهْرِ
 وَأَلْهِيَّةٍ لَا تَتْرَكُوها لِدِي الْفَخْرِ
 أَوْاسِيَّهَا^(١٠) وَالْبَيْتِ ذَا السَّقْفِ وَالسُّتْرِ
 فَلَا تَغْذِرُوهُ أَلَّ غَالِبٍ مِنْ عُدْرٍ

وَعَمْرٍو ثَوَى فَيَمْنُ ثَوَى مِنْ حُمَاتِهِمْ
 جُيُوبُ نِسَاءٍ مِنْ لُؤْيٍ بِنِ غَالِبِ
 أَوْلَيْكَ قَوْمٌ قُتِلُوا فِي ضَلَالِهِمْ
 لَوَاءَ ضَلَالٍ قَادٍ إِبْلِيسُ أَهْلَهُ
 وَقَالَ لَهُمْ، إِذْ عَايَنَ الْأَمْرَ وَاضِحاً
 فَلِإِنِّي أَرَى مَا لَا تَرَوْنَ وَإِنِّي
 فَقَدْتُمُهمُ لِلْحَيْنِ حَتَّى تَوَرَّطُوا
 فَكَانُوا عِدَاةَ الْبَيْتِ أَلْفَاً وَجَمْعَنَا
 وَفِينَا جُنُودُ اللَّهِ حِينَ يُمَدَّنَا
 فَشَدَّ بِهِمْ جَبْرِيلُ تَحْتَ لَوَائِنَا
 فَأَجَابَهُ الْحَارِثُ بْنُ هِشَامِ بْنِ الْمُغِيرَةِ، فَقَالَ:

أَلَا يَا لِقَوْمِي لِلصَّبَابَةِ^(٦) وَالْهَجْرِ
 وَلِلدَّمْعِ مِنْ عَيْنَيْ جَوْدًا كَأَنَّهُ
 عَلَى الْبَطْلِ الْخُلُو الشَّمَائِلِ إِذْ ثَوَى
 فَلَا تَبْعُدَنَّ يَا عَمْرٍو مِنْ ذِي قُرَابَةِ
 فَإِنَّ يَكُ قَوْمٌ صَادَفُوا مِنْكَ دَوْلَةً
 فَقَدْ كُنْتَ فِي صَرْفِ الزَّمَانِ الَّذِي مَضَى
 فَإِلَّا أُمْتُ يَا عَمْرٍو أَتُرْكُكَ نَائِرًا^(٨)
 وَأَقْطَعُ ظَهْرًا مِنْ رِجَالِ بَمَغْشَرٍ
 أَغْرَهُمْ مَا جَمَعُوا مِنْ وَشِيظَةٍ^(٩)
 فَيَا لُؤْيٍ دَبَّبُوا عَنْ حَرِيمِكُمْ
 تَوَارِثَهَا أَبَاؤُكُمْ وَوَرِثْتُمْ
 فَمَا لِحَلِيمٍ قَدْ أَرَادَ هَلَاكَكُمْ

(١) تفرعن: علون، والدواب: الأعالي.

(٢) القسر: الغابة.

(٣) المسومة: الفحول من الإبل، والزهر: البيض.

(٤) سيرة ابن كثير ٢/٥٢٤، ٥٢٥، عيون الأثر ١/٢٨٨ وفيه بعض الألفاظ المختلفة عما في السيرة وهي من أغلاط النسخ.

(٥) الصبابة: رقة الحب أو الحب الشديد.

(٦) الغمر بسكون الميم: الكريم الواسع الخلق، وهذا المعنى الذي يقصده هنا.

(٧) الثائر: صاحب الثأر.

(٨) الوشيظة: الأتباع الذين ليسوا من القوم.

(٩) الأواسي: ما تأتس عليها الأبنية.

وَجَدُوا لِمَنْ عَادَيْتُمْ وَتَوَازَرُوا
لَعَلَّكُمْ أَنْ تَفَارُوا بِأَخِيكُمْ
بِمَطْرَدَاتٍ^(١) فِي الْأُكْفِ كَأَنَّهَا
كَأَنَّ مَدْبَ الذَّرِّ فَوْقَ مُتُونِهَا

قال ابن هشام: أبذلنا من هذه القصيدة كلمتين مما روى ابن إسحاق، وهما «الفخر» في آخر البيت، و«فما لحليم»، في أول البيت، لأنه نال فيهما من النبي ﷺ.

قال ابن إسحاق: وقال علي بن أبي طالب في يوم بدر:

قال ابن هشام: ولم أر أحداً من أهل العلم بالشعر يغرفها ولا تقيصتها، وإنما كتبناهما لأنه يقال: إن عمرو بن عبد الله بن جُدعان قُتل يوم بدر، ولم يذكره ابن إسحاق في القتلى، وذكره في هذا الشعر:

أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَبْلَى^(٣) رُسُولَهُ
بِمَا أَنْزَلَ الْكُفَّارَ دَارَ مَدْلَةٍ
فَأَمْسَى رَسُولُ اللَّهِ قَدْ عَزَّ نَضْرُهُ
فَجَاءَ بِفُرْقَانٍ مِنَ اللَّهِ مُنْزَلٍ
فَأَمَّنَ أَقْوَامٌ بِذَلِكَ وَأَيْقَنُوا
وَأَنْكَرَ أَقْوَامٌ فَرَاغَتْ قُلُوبُهُمْ
وَأَمَّكَنَ مِنْهُمْ يَوْمَ بَدْرِ رَسُولُهُ
بِأَيْدِيهِمْ بِيضٌ خِفَافٌ عَصَا بِهَا
فَكَمْ تَرَكُوا مِنْ نَاشِيءٍ ذِي حَمِيَّةٍ
تَبِيْتُ عِيُونَ النَّائِحَاتِ عَلَيْهِمْ
نَوَائِحٌ تَنْعَى عُثْبَةَ الْغَنِيِّ وَابْنَهُ
وَذَا الرَّجُلِ تَنْعَى وَابْنَ جُدْعَانَ فِيهِمْ
تَوَى مِنْهُمْ فِي بَثْرِ بَدْرِ عَصَابَةٌ
دَعَا الْغَنِيُّ مِنْهُمْ مَنْ دَعَا فَأَجَابَهُ

بلاء عزيز ذي اقتدار وذو فضل
فلاقوا هواناً من إسارٍ ومن قتل
وكان رسول الله أُرْسِلَ بِالْعَدْلِ
مَبِيْنَةَ آيَاتِهِ لَذَوِي الْعَقْلِ
فَأَمْسَا بِحَمْدِ اللَّهِ مُجْتَمِعِي الشُّمْلِ
فَزَادَهُمْ ذُو الْعَرْشِ خَبْلاً عَلَى خَبْلِ
وَقَوْمًا غَضَاباً فَعَلَّهُمْ أَحْسَنَ الْفِعْلِ
وَقَدْ حَادَثُوها^(٤) بِالْجِلَاءِ وَبِالضُّفْلِ
صَرِيْعاً وَمَنْ ذِي نَجْدَةٍ مِنْهُمْ كَهْلٍ
تَجُودُ بِأَنْسِبِ الرَّشَاشِ وَبِالْوَبْلِ^(٥)
وَشَيْبَةَ تَنْعَى وَتَنْعَى أَبَا جَهْلٍ
مُسْلَبَةً^(٦) حَرَى مَبِيْنَةَ التُّكْلِ
ذَوِي نَجْدَاتٍ فِي الْحُرُوبِ وَفِي الْمَخْلِ
وَلِلْغَنِيِّ أَسْبَابٌ مُرْمَقَةَ الْوَضْلِ

(١) المطردات: المهتزة، أي بسيف مهتزة.

(٢) الذر: صغار النمل. والخزر: الناظرون بمؤخرة عيونهم كثيراً. وقد وردت الأبيات الستة الأولى فقط في عيون الأثر ١/ ٢٨٨، ٢٧٩ وتركها ابن كثير كلها في سيرته عمداً كما قال (٢/ ٥٢٥).

(٣) أبلى: أي من وأنعم. (٤) عصوا: ضربوا؛ وحادثوها: تعهدوها.

(٥) الإسمال: الإرسال، والرشاش: المطر الخفيف، والوبل: ما كثر من المطر.

(٦) ذا الرجل: هو الأسود الذي قطع حمزة رجله عند الحوض ثم قتله فيها. والمسلبية: التي تلبس السلاب وهي خرقة سوداء تلبسها التُّكلى.

عن الشَّغب والعدوان في أشغل الشُّغل^(١)

بأمرِ سَفاهِ ذي اعتراضٍ وذو بَطْلٍ
كِرَامِ المَساعِي من غُلامٍ ومن كَهْلٍ
مَطاعِينَ في الهَيْجاءِ مَطاعِيمٍ في المَخْلِ
بقومِ سِواهمِ نازِحِي الدَّارِ والأضْلِ
لكمِ بَدلاً مَثافِيا لِك من فِعْلٍ
يَرى جُوزِكمِ فيها ذِو الرأْيِ والعِقلِ
وخيرُ المَنايا ما يَكُونُ مِنَ القَتْلِ
لكمِ كائِنُ خَبِلاً مُقيماً على خَبْلِ
شَتِيتاً هَواكِمِ غيرِ مُجتمَعِي الشَّمْلِ
وعُتَبَةً والمدعُوعِ فيكمِ أبا جَهْلٍ
أُميَّةَ مَأوَى المُغْتَرِبِ وذو الرُّجْلِ
نَوائِحُ تَدعُو بالرِزْيَةِ والثُّكْلِ
وسيرُوا إلى أَطامِ يَثربِ ذي النُّخْلِ^(٢)
بخالِصَةِ الألوَانِ مُخَدَّثة الصُّفْلِ
أذَلُّ لوطِئِ الواطِئِينَ مِنَ النُّغْلِ
بكمِ واثِقُ أن لا تُقيمُوا على تَبْلِ^(٣)
وللبَيضِ والبَيضِ القِواطِعِ والنَّبْلِ^(٤)

وقال ضرار بن الخطاب بن مزداس، أخو بني محارب بن فهر، في يوم بدر:

عليهم غداً والدَّهرِ فيه بصائرُ
أصِيبُوا ببَدرٍ كلُّهمِ ثمَّ صابِرُ
فإنَّا رجالٌ بَعدهمِ سَنُغادِرُ

فأضَحُوا لَدَى دارِ الجَحِيمِ بِمَغزِلِ
فأجابهُ الحارِثُ بنَ هشامِ بنِ المُغيرةِ، فقال:
عَجِبْتُ لِأقوامِ تَعنَّى سَفِيهُهُمِ
تَعنَّى بِقَتْلِى يَومَ بَدَرٍ تَتابعُوا
مَصالِيتِ^(١) بِيضِ من لُؤيِ بنِ غالِبِ
أصِيبُوا كِرَما لِم يَبِيعُوا عَشيرةَ
كَمَا أصبَحَتْ عَسانُ فيكمِ بِطانَةَ
عُقوقاً وإثماً بَيناً وَقَطيعةَ
فإن يَكُ قَومٌ قَد مَضُوا لِسبيلِهِمِ
فلا تَفرحُوا أن تَفْتلُوهُمِ فَقتلُهُمِ
فإنكم لَن تَبَرِحُوا بَعَدَ قَتْلِهِمِ
بِقَتْلِ ابنِ جُدعانِ الحَميدِ فَعالِهِ
وشَيبَةَ فيهِمِ والوليدِ وفيهِمِ
أولئِكَ فابِكِ ثم لا تَبِكِ غيرَهُمِ
وقولُوا لِأهلِ المَكْتَبِينِ تَحاشدُوا
جَميعاً وحامُوا آلَ كَعْبِ وذَبِّبُوا^(٢)
وإلا فَبِئسُوا خائِفِينَ وأضِبحُوا
على أنْني واللاتِ يا قَومُ فاعلَمُوا
سِوى جَمعِكُمِ لِلسَّابِغاتِ^(٣) وللقَنا

عَجِبْتُ لَفَخْرِ الأوسِ والحَينِ دائِرُ
وقَخرِ بني النَّجارِ إن كان مَعشِرُ
فإن تَكُ قَتْلِي عُودِرَتِ من رِجالِنا

(١) الأبيات في سيرة ابن كثير ٥٢٥/٢، ٥٢٦، وفيه في آخره: «في أسفل السفلى» وفي عيون الأثر ٢٨٩/١ ورد البيتان الأولان فقط.

(٢) المصاليات: الشجعان.

(٣) المكتنين: يقصد مكة والطائف. والآطام: جمع أطم. الحصن.

(٤) خبيوا: امنعوا. (٥) التبل: العداوة.

(٦) السابغات صفة لموصوف محذوف أي الدروع السابغات.

(٧) وردت ستة أبيات فقط من القصيدة في عيون الأثر ٢٨٩/١، وتركها كلها ابن كثير في السيرة عمداً ٥٢٦/٢.

وتزدي بنا الجُرد العناجيجُ وسطكم
 ووسطَ بني النُّجار سوف نُكْرها
 فنترك صرعى تعصب^(٢) الطير حولهم
 وتبكيهم من أهل يثرب نِسوة
 وذلك أننا لا تزال سُيوفنا
 فإن تظفروا في يوم بذر فإنما
 وبالئفر الأخيار هم أولياؤه
 يُعدُّ أبو بكر وحمزة فيهم
 ويُدعى أبو حفص وعثمان منهم
 أولئك لا من نتجت في ديارها
 ولكن أبوهم من لؤي بن غالب
 هم الطاعنون الخيل في كل معرك
 فأجابه كعب بن مالك، أخو بني سلمة، فقال:

عجبتُ لأمرِ الله والله قاذرُ
 قضى يومَ بدرٍ أن نلاقِي معشراً
 وقد حشدوا واستنقروا من يليهم
 وسارت إلينا لا تُحاول غيرنا
 وفينا رسولُ الله والأوس حوله
 وجمعُ بني النُّجار تحت لوائه
 فلما لقيناهم وكلُّ مُجاهد
 شهيدنا بأن الله لا ربَّ غيره
 وقد عريت بيضُ خفافٍ كأنها
 بهن أبذنا جمعهم فتبددوا
 فكبَّ أبو جهل صريعاً لوجهه
 وشيبة والتيمي غاذرن في الوعى

على ما أريد، ليس الله قاهرُ
 بعوا وسبيل البغي بالناس جائرُ
 من الناس حتى جمعهم متكائر
 بأجمعها كعبٌ جميعاً وعامر
 له مغلٌ منهم عزيزٌ وناصر
 يمشون في الماذي والثقع نائر^(٦)
 لأصحابه مُستبسلُ النفس صابر
 وأن رسولَ الله بالحق ظاهر
 مقابيسُ يزهيها^(٧) لعينيك شاهر
 وكان يلقى الحين من هو فاجر
 وعتبةٌ قد غاذرنه وهو عائر
 وما منهم إلا بذى العرش كافر

(١) تردى: تسرع. والجُرد: الخيل القصيرات الشعر، العناق. والعناجيج: الطوال. السراع والثائر: الطالب ثاره.

(٢) تعصب: تتمع. (٣) مائر: سائل.

(٤) هذا البيت ساقط من عيون الأثر.

(٥) راجع عيون الأثر ١/٢٨٩، ٢٩٠ مع اختلاف في بعض الألفاظ.

(٦) الماذي: الدرغ اللينة السهلة. (٧) يزهيها: يحزكها.

وكلّ كفور في جهنم صائر
بزئير الحديد والحجارة ساجر^(١)
فولّوا وقالوا: إنّما أنت ساجر
وليس لأمر حمّه^(٢) الله زاجر^(٣)

فأمسوا وقود النار في مستقرها
تلظى عليهم وهي قد شبّ حميها
وكان رسول الله قد قال أقبلوا
لأمر أراد الله أن يهلكوا به

وقال عبد الله بن الزنبري السهمي يبكي قتلَى بدر:

قال ابن هشام: وتروى للأعشى بن زرارة بن النباش، أحد بني أسيد بن عمرو ابن تميم، حليف

بني نوفل بن عبد مناف.

قال ابن إسحاق: حليف بني عبد الدار:

من فثية بيض الوجوه كرام
وابني ربيعة خير خضم فنام^(٤)
كالبدر جلّى لينة الإظلام
زحاً تميماً غير ذي أوصام^(٥)
ومآثر الأخوال والأغمام
فعلى الرئيس الماجد ابن هشام
رب الأنام، وخصّهم بسلام^(٦)

ماذا على بذر وماذا حوله
تركوا نبيها خلفهم ومثبها
والحارث الفيض يبرق وجهه
والعاصي بن منبّه ذا مرة
تسمى به أعراقه وجذوده
وإذا بكى باك فاعول شجوه^(٦)
حيّا الإله أبا الوليد ورفطه
فأجابه حسان بن ثابت الأنصاري، فقال:

بدم تُعلّ غروئها سجّام^(٨)
هلا ذكرت مكارم الأقسام
سمنح الخلائق صادق الإقدام
وأبر من يولي^(١٠) على الإقسام
كان الممدّح ثم غير كهام^(١١)

إبك بكت عينك ثم تبادرت
ماذا بكت به الذين تتابعوا^(٩)
وذكرت مئاً ماجداً ذا همّة
أعني النبيّ أبا المكارم والندي
فلمثله ولمثل ما يدعوله

شعر لحسان في بدر أيضاً:

وقال حسان بن ثابت الأنصاري أيضاً:

(١) تلظى: تلتهب؛ وزئير الحديد؛ قطعه. والساجر: الموقد.

(٢) حمّه: قدره.

(٣) الأبيات كلها في سيرة ابن كثير ٥٢٦/٢، ٥٢٧.

(٤) الفنام: الجماعات.

(٥) ذو مرة: صاحب قوة. والأوصام؛ العيوب.

(٦) الشجو: الحزن.

(٧) الأبيات في أنساب الأشراف ٣٠٨/١ ما عدا البيت الأخير، مع اختلاف في الألفاظ.

(٨) تُعلّ من العال وهو الشرب مرة بعد أخرى، والغروب: يجاري الدمع. والسجّام: السائل.

(٩) تتابعوا: ألقوا بأنفسهم في التهلكة.

(١٠) يولي: يقسم.

(١١) الكهام: الضعيف.

تَبَلَّتْ فَوَازِكُ فِي الْمَنَامِ خَرِيدَةً^(١)
 كَالْمَسْكِ تَخْلُطُهُ بِمَاءِ سَحَابَةٍ
 تُفْجُ الْحَقِيبَةَ بُوْضُهَا مَتَنَضُّدٌ
 بُنِيَتْ عَلَى قَطَنِ أَجْمٍ كَأَنَّهُ
 وَتَكَادُ تَكْسَلُ أَنْ تَجِيءَ فِرَاشُهَا
 أَمَا النَّهَارَ فَلَا أَفْئُرُ ذِكْرَهَا
 أَقْسَمْتُ أَنْسَاهَا وَأَتْرُكُ ذِكْرَهَا
 يَا مَنْ لِعَاذِلَةٍ تَلُومُ سَفَاهَةَ
 بَكَرَتْ عَلَيَّ بِسُخْرَةٍ بَعْدَ الْكَرَى
 زَعَمْتُ بِأَنَّ الْمَرْءَ يَكْرُبُ عُمُرَهُ
 إِنْ كُنْتَ كَاذِبَةً الَّذِي حَدَّثْتَنِي
 تَرَكَ الْأَحْبَةَ أَنْ يُقَاتِلَ دُونَهُمْ
 تَذَرُ الْعَنَاجِيحَ الْجِيَادَ بِقَفْرَةٍ
 مَلَأَتْ بِهِ الْفَرْجَيْنِ فَارْمَدَتْ^(١١) بِهِ
 وَبِئْسَ أَبِيهِ وَرَهْطُهُ فِي مَفْرَكِ
 طَحَنَتْهُمْ، وَاللَّهُ يُنْفِذُ أَمْرَهُ،
 لَوْلَا إِلَهُ وَجَزِيهَا لَتَرَكْنَاهُ
 مِنْ بَيْنِ مَأْسُورٍ يُشَدُّ وَثَاقُهُ
 وَمَجْدَلٍ لَا يَسْتَجِيبُ لِدَغْوَةِ
 بِالْعَارِ وَالذَّلِّ الْمُبِينِ إِذْ رَأَى

تَسْقِي الضَّجِيعَ بِبَارِدِ بَسَامٍ
 أَوْ عَاتِقٍ^(٢) كَدَمَ الذُّبَيْحِ مُدَامٍ
 بَلْهَاءَ غَيْرُ وَشِيكَةَ الْأَقْسَامِ^(٣)
 فُضْلاً إِذَا قَعَدْتُ مَدَاكَ رُخَامٍ^(٤)
 فِي جِسْمِ خَزْعَبَةٍ^(٥) وَحُسْنِ قَوَامٍ
 وَاللَّيْلُ تُوزَعِنِي^(٦) بِهَا أَخْلَامِي
 حَتَّى تُغَيِّبَ فِي الضَّرِيحِ عِظَامِي^(٧)
 وَلَقَدْ عَصَيْتُ عَلَى الْهَوَى لُؤَامِي
 وَتَقَارِبُ مِنْ حَادِثِ الْأَيَّامِ
 عَدَمٌ لِمَعْتَكِرٍ مِنَ الْأَضْرَامِ^(٨)
 فَتَجَوَّتْ مَنْجَى الْحَارِثِ بْنِ هِشَامٍ
 وَنَجَا بِرَأْسِ طِمْرَةٍ^(٩) وَلِجَامِ
 مَرِّ الدَّمُوكِ بِمُخَصَّدٍ وَرِجَامِ^(١٠)
 وَتَوَى أَحِبُّهُ بِشَرِّ مَقَامِ
 نَصَرَ إِلَهُ بِهِ ذَوِي الْإِسْلَامِ
 حَزَبٌ يُشَبُّ سَعِيرُهَا بِضْرَامِ
 جَزَرَ السَّبَاعِ وَدُسْنَهُ بِحَوَامِي
 صَفَرٍ إِذَا لَاقَى الْأَسِنَّةَ حَامِي
 حَتَّى تَزُولَ شِوَامِخُ الْأَغْلَامِ
 بِيضَ السُّيُوفِ تَسُوقُ كُلِّ هُمَامِ

- (١) تبت: أسقمت. والخريذة: السحنة الناعمة. (٢) العاتق: الخمر المعتقة.
 (٣) التفج: المرتفعة، والحقيبة وهي ما يجعله الراكب وراءه، استعارها هنا لرذف المرأة. والبوصي: الرذف. والبلهَاء الغافلة.
 والإقسام: جمع قسم وهو اليمين.
 (٤) قطنها: وسطها. والأجم: أي لا عظام فيه، والمداك: الحجر الذي يُدق عليه الطيب.
 (٥) الخرعبة: حسنة الخلق. (٦) تُوزعني: تُفريني.
 (٧) أنساها: أي لا أنساها.
 (٨) المعتكر: الإبل الكثيرة يرجع بعضها على بعض. والإصرام: الجماعات من الإبل.
 (٩) الطمرة: الفرس كثيرة الجري.
 (١٠) العناجيج: الطوال السريع. والدُمُوك: البكرة بآلتها التي تكون عند رأس البئر. والحصد: الحبل الشديد الفتل، والرجام: واحد الرجامين، وهما الخشبتان اللتان تلتقي عليهما البكرة.
 (١١) الفرجان: الفراغان اللذان بين يدي الفرس ورجليها. وأزمدت: أسرعت.

بِيَدَيْ أَعْرُ إِذَا انْتَمَى لِم يُخْزِهِ
نَسَبِ الْقِصَارِ سَمَيْدَعٍ مَقْدَامِ^(١)
بِيَضُّ إِذَا لَاقَتْ حَدِيداً صَمَّمَتْ
كَالْبَرْقِ تَحْتَ ظِلَالِ كُلِّ غَمَامِ^(٢)
شعر الحارث في الرد على حسان:

فأجابه الحارث بن هشام، فيما ذكر ابن هشام، فقال:

الله أعلم ما تركت قتالهم
وَعَرَفْتُ أَنِّي إِنْ أَقَاتَلُ وَاحِدًا
فَصَدَدْتُ عَنْهُمْ وَالْأَجِبَّةُ فِيهِمْ
حَتَّى حَبَّوْا مُهْرِي بِأَشَقَرِ مُزَيْدِ^(٣)
أَقْتُلُ وَلَا يَنْكِي عَدُوِّي مَشْهَدِي
طَمَعًا لَهُمْ بِعَقَابِ يَوْمِ مُفْسِدِ^(٤)

قال ابن إسحاق: قالها الحارث يعتذر من فراره يوم بدر.

قال ابن هشام: تركنا من قصيدة حسان ثلاثة^(٥) أبيات من آخرها، لأنه أقدح فيها.

قال ابن إسحاق: وقال حسان بن ثابت أيضاً:

لَقَدْ عَلِمْتُ قَرِيشَ يَوْمَ بَدْرٍ
بِأَنَا حِينَ تَشْتَجِرُ الْعَوَالِي
قَتَلْنَا ابْنِي رَبِيعَةَ يَوْمَ سَارَا
وَفَزَّ بِهَا حَكِيمٌ يَوْمَ جَالَتْ
وَوَلَّتْ عِنْدَ ذَلِكَ جُمُوعٌ فَهَرَّ
لَقَدْ لَاقَيْنِيْكُمْ دُلًّا وَقَتْلًا
وَكُلُّ الْقَوْمِ قَدْ وَلَّوْا جَمِيعًا
وَقَالَ حَسَّانُ بْنُ ثَابِتٍ أَيْضًا:

غَدَاةَ الْأَسْرِ وَالْقَتْلَ الشَّدِيدِ
حُمَاةَ الْحَزْبِ يَوْمَ أَبِي الْوَلِيدِ
إِلَيْنَا فِي مُضَاعَفَةِ الْحَدِيدِ
بَنُو النَّجَارِ تَخْطِرُ كَالْأَسْوَدِ
وَأَسْلَمَهَا الْخُوَيْرِثُ مِنْ بَعِيدِ
جَهِيْزًا نَافِذًا تَحْتَ الْوَرِيدِ^(٦)
وَلَمْ يَلْتَوُوا عَلَى الْحَسَبِ التَّلِيدِ^(٧)

يَا حَارِ قَدْ عَوَّلْتَ غَيْرَ مُعْوَلِ^(٨)
إِذْ تَمْتَطِي سُرْحَ الْيَدَيْنِ نَجِيْبَةً
عِنْدَ الْهِيَاكِ وَسَاعَةَ الْأَخْسَابِ
مَرْطَطَى الْجِرَاءِ طَوِيلَةَ الْأَقْرَابِ^(٩)

(١) القصار: من قصر سغيهم عن كسب المحامد، والسَمَيْدَع: السيد.

(٢) القصيدة في ديوان حسان وفيه زيادة خمسة أبيات في آخرها، وفي سيرة ابن كثير ٥٢٩/٢، ٥٣٠، أما في عيون الأثر ١/ ٢٩٠ فوردت سبعة أبيات فقط من أولها. وفي نسب قريش ٣٠٢ ورد بيتان، وهي في الأغاني ١٧/٤، والاشتقاق لابن دريد ٩٢.

(٣) في نسب قريش: «حتى رموا فرسي بأشقر مُزَيْد». والمزيد: ما قذف بالزيد.

(٤) ديوان حسان، ص ١٤ مع اختلاف باللفظ، الأغاني ١٧/٤، الاشتقاق ٩٣، الاستيعاب ٣٠٧/١، الإصابة (الترجمة) ١٥٠٠.

(٥) الصحيح خمسة أبيات كما في ديوان حسان - ص ٣ وطبقة البرقوق ٣٦٣.

(٦) الجهيز: السريع. والوريد عرق في صفحة العنق.

(٧) الأبيات في سيرة ابن كثير ٥٣١/٢، وفي عيون الأثر ١/ ٢٩١ خمسة أبيات.

(٨) عوّلت: عزمت.

(٩) سُرْحُ الْيَدَيْنِ: سريتهما. ومَرْطَطَى الْجِرَاءِ: سريعة الجري. والأقرب: الخواصر.

والقومُ خَلْفَكَ قد تركت قتالهم
الأَعْطَفْتُ على ابنِ أُمِّكَ إذ تَوَى
عجلَ المليك له فأهلكَ جَمعه

قال ابن هشام: تركنا منها بيتاً واحداً أفذع فيه.

قال ابن إسحاق: وقال حسان بن ثابت أيضاً:

قال ابن هشام: ويقال: بل قالها عبد الله بن الحارث السهمي:

مُسْتَشْعِرِي حَلَقِ المَآذِي يقدُمهم
أغني رسول إله الخلق فضله
وقد زعمتم بأن تخموا ذماركم
ثم ورددنا ولم نسمع لقولكم
مستغصمين بحبل غير منجذم
فينا الرسول وفينا الحق نشبعه
وافٍ وماضٍ شهابٌ يُستضاء به

قال ابن هشام: بيته: «مستغصمين بحبل غير منجذم» عن أبي زيد الأنصاري.

قال ابن إسحاق: وقال حسان بن ثابت أيضاً:

خابث بنو أسدٍ وآبَ غزِيهم
منهم أبو العاصي تجدلٌ مُفْعَصاً
حيناً له من مانعٍ بسلاحه
والمرءُ زَمَعَةٌ قد تَرَكْنَ وَنحره
مُتوسداً حُرَّ الجَبِينِ مُعْفَراً
ونجا ابنُ قَيْسٍ في بقية رَهطه
وقال حسان بن ثابت أيضاً:

ألا ليت شِعْري هل أتى أهل مَكَّةِ

(١) المُفْعَص: القتل بسرعة.

(٢) سيرة ابن كثير ٢/٥٣١.

(٣) المستشعر اللابس الثوب على جسده بلا حاجز. والمآذي الدروع السهلة اللينة. والنخيزة: الطبيعة.

(٤) الرواء: التكثر من الماء، والتصريد: تقليل الشرب.

(٥) سيرة ابن كثير ٢/٥٢٨.

(٦) المُفْعَص: من قُتل بشرعة. والشُبوح: سريعة الجري كأنها تسيح في الماء لسهولة جزئها.

(٧) العائد الذي يجري بلا انقطاع، ودم مُعْط: طري.

(٨) عَز: لَطَخ.

(٩) الشفا: الحد.

(١٠) إبارتنا: إهلاكنا.

تَرْجُو النُّجَاءَ وليس حين ذهاب
قَنَّص^(١) الأستة ضائع الأسلاب
بشَنارِ مُخْزِيَةٍ وسوء عذاب^(٢)

جَلَدُ النُّجِيْزَةِ^(٣) ماضٍ غير رَغِيدٍ
على البرية بالتثفوي وبالجود
وماءٌ بَدْرُ زعمتم غير مؤزود
حتى شَرِينَا رِوَاءَ غير تَضْرِيد^(٤)
مُسْتَحْكَمٍ مِن حبالِ الله مَمْدود
حتى المَمَاتِ ونَضْرُ غير مَخْدود
بَدْرُ أنارِ على كلِّ الأماجيد^(٥)

قال ابن هشام: بيته: «مستغصمين بحبل غير منجذم» عن أبي زيد الأنصاري.

يومَ القَلْبِيبِ بسوءةٍ وفُضُوح
عن ظَهْرِ صادقةِ النُّجَاءِ سَبُوح^(٦)
لَمَأْتَوِي بمقامه المَذْبُوح
يَذْمَى بعائِدِ مُعْبِطِ مَسْفُوح^(٧)
قد غَرَّ^(٨) مارِنَ أنفِهِ بِقُبُوح
بشفا^(٩) الرَّماقِ مُوَلِيّاً بِجُروح
إِبَارَتْنَا^(١٠) الكُفَّارِ في ساعة العُسْرِ

فلم يَزْجِعُوا إِلَّا بِقَاصِمَةِ الظَّهْرِ (١)
 وَشَيْبَةِ يَكْبُو لِلْيَدِينِ وَلِلنُّخْرِ
 وَطُغْمَةِ أَيْضاً عِنْدَ نَائِرَةِ القَثْرِ (٢)
 لَهُ حَسْبٌ فِي قَوْمِهِ نَابِهِ الذِّكْرُ
 وَيَضْلُونَ نَاراً بَعْدَ حَامِيَةِ القَغْرِ
 وَأَشْيَاعُهُمْ يَوْمَ التَّقِينَا عَلَى بَذْرِ (٤)

وَشَيْبَةَ يَكْبُو لِلْيَدِينِ وَلِلنُّخْرِ

كَتَجَاءِ مُهْرٍ مِنْ بَنَاتِ الأَعْوَجِ (٥)
 بِكَتَيْبَةِ خَضْرَاءَ (٦) مِنْ بَلْخَزْرَجٍ
 يَمْشُونَ عَائِدَةَ الطَّرِيقِ المَنْهَجِ
 بَطَّلَ بِمَهْلِكَةِ الجَبَانِ المُخْرَجِ
 حَمَالِ أَثْقَالِ السِّدْيَاتِ مُتَوَجِّجِ
 ضَرْبِ الكُمَاةِ بِكُلِّ أبيضِ سَلْجِجِ (٧)

وَإِنْ كَثُرُوا وَأَجْمَعَتِ الرُّحُوفُ
 كَفَانَا حَدَّهُمْ رَبِّ رُؤُوفِ
 سِرَاعاً مَا تُضْغَضِضِعْنَا الحُتُوفِ
 لِمَنْ عَادُوا إِذَا لَقِحتْ كَشُوفِ (٨)
 مَاثِرُنَا وَمَغْقِلِنَا السُّيُوفِ
 وَنَحْنُ عِصَابَةٌ وَهُمْ أُلُوفِ

قَتَلْنَا سَرَاةَ القَوْمِ عِنْدَ مَجَالِنَا
 قَتَلْنَا أبا جَهْلٍ وَعُثْبَةَ قَبْلَهُ
 قَتَلْنَا سُؤِيداً ثُمَّ عُثْبَةَ بَعْدَهُ
 فَكَمْ قَدْ قَتَلْنَا مِنْ كَرِيمِ مُرْزَأِ
 تَرَكْنَاهُمْ لِلْعَاوِيَاتِ يَتُبُّنَهُمْ (٣)
 لَعَمْرُكَ مَا حَامَتِ فَوَارِسُ مَالِكِ

قال ابن هشام: أنشدني أبو زيد الأنصاري بيته:

قَتَلْنَا أبا جَهْلٍ وَعُثْبَةَ قَبْلَهُ
 قال ابن إسحاق: وقال حسان بن ثابت أيضاً:

تَجَّى حَكِيماً يَوْمَ بَذْرِ شَدُّهُ
 لِمَا رَأَى بَذراً تَسِيلُ جِلاهُهُ
 لَا يَنْكُلُونَ إِذَا لَقُوا أَعْدَاءَهُمْ
 كَمْ فِيهِمْ مِنْ ما جِدِ ذِي مَنَعَةٍ
 وَمَسُودٍ يُغْطِي الجَزِيلَ بِكُفِهِ
 زَيْنِ السِّدْيِ مَعَاوِدِ يَوْمِ الوَعَى

قال ابن هشام: قوله سَلْجِجِ، عن غير ابن إسحاق.

قال ابن إسحاق: وقال حسان أيضاً:

فَمَا نَخْشَى بِحَوْلِ اللُّهُ قَوْمًا
 إِذَا مَا أَلْبُوا جَمْعاً عَلَيْنَا
 سَمَوْنَا يَوْمَ بَذْرِ بِالْعَوَالِي
 فَلَمْ تَرِ عُضْبَةً فِي النَّاسِ أَنْكَى
 وَلَكِنَّا تَوَكَّلْنَا وَقُلْنَا
 لَقِينَاهُمْ بِهَالِماً سَمَوْنَا

(١) قاصمة الظهر: أي المصيبة التي تقصم الظهر.

(٢) نائرة القثر: ما ثار من الغبار.

(٣) العاويات: الذئاب والسباع. ينوبه: يأتي مرة بعد أخرى.

(٤) سيرة ابن كثير ٢/٥٢٨.

(٥) الأعوج: نوع كريم من الخيل. والبيت في نسب قريش ٢٣١.

(٦) الجلاء: ما يستقبلك من جنبات الوادي. وخضراء: سوداء من كثرة الحديد الذي عليها.

(٧) السلجج: الماضي.

(٨) لقيحت: حملت. والكشوف: الناقة التي يضربها الفحل في وقت لا تشتهي. والمعنى أن الحرب قد هاجت بعد سكون.

وقال حسان بن ثابت أيضاً، يهجو بني جُمَحَ ومن أُصِيبَ منهم:

جَمَحَتْ بنو جُمَحَ لِشَقْوَةِ جَدِّهِمْ إِنَّ الدُّلِيلَ مُوَكَّلٌ بِذَلِيلِ
فَتَلَّتْ بنو جُمَحَ بِبَدْرِ عَنُودَ وَتَخَادَلُوا سَغِيأً بِكُلِّ سَبِيلِ
جَحَدُوا الكِتَابَ وَكَذَّبُوا بِمُحَمَّدِ وَاللَّهُ يُظْهِرُ دِينَ كُلِّ رَسُولِ
لَعَنَ الإلهُ أَبَا خُزَيْمَةَ وَابْنَهُ وَالخَالِدِينَ، وَصَاعِدَ بنَ عَقِيلِ

قال ابن إسحاق: وقال عُبيدة بن الحارث بن المُطَّلَبِ في يوم بدر، وفي قُطْعِ رِجْلِهِ حين أُصِيبَ، في مُبارزته هو وحمزة وعلي حين بارزوا عدوهم - قال ابن هشام، وبعضُ أهل العلم بالشعر ينكرها لعُبَيْدَةَ:

سَتَبَلُغُ عَنَّا أَهْلَ مَكَّةَ وَقَعَةَ يَهُبُ^(١) لَهَا مَنْ كَانَ عَنْ ذَلِكَ نَائِيَا
بِعُثْبَةَ إِذْ وَلَّى وَشَيْبَةَ بَعْدَهُ وَمَا كَانَ فِيهَا بِكُرٍّ عُثْبَةَ رَاضِيَا^(٢)
فَإِنْ تَقَطَّعُوا رِجْلِي فَإِنِّي مُسْلِمٌ أَرْجِي بِهَا عَيْشاً مِنَ اللَّهِ دَانِيَا
مَعَ الحُورِ أَمْثَالِ التَّمَائِيلِ أُخْلِصَتْ^(٣) مَعَ الجَنَّةِ العُلى لِمَنْ كَانَ عَالِيَا
وَبِعْتُ بِهَا عَيْشاً تَعَرَّقْتُ^(٤) صَفْوَهُ وَعَالِجْتُهُ حَتَّى فَقَدْتُ الأَدَانِيَا
فَأَكْرَمَنِي الرَّحْمَنُ مِنْ فَضْلِ مَنْتُهُ بِئُزْبٍ مِنَ الإِسْلَامِ غَطَّى المَسَاوِيَا
وَمَا كَانَ مَكْرُوهاً إِلَيَّ قِتَالَهُمْ غَدَاةَ دَعَا الأَكْفَاءَ مَنْ كَانَ دَاعِيَا
وَلَمْ يَبْنِ إِذْ سَالُوا النَّبِيَّ سِوَانَا ثَلَاثَتَنَا حَتَّى حَضَرْنَا المَنَادِيَا
لَقِينَاهُمْ كالأَسَدِ تَخْطِرُ بِالقَنَا نُقَاتِلُ فِي الرَّحْمَنِ مَنْ كَانَ عَاصِيَا
فَمَا بَرِحَتْ أَقْدَامُنَا مِنْ مَقَامِنَا ثَلَاثَتَنَا حَتَّى أُزِيرُوا المَنَائِيَا^(٥)

قال ابن هشام: لما أُصِيبَ رِجْلُ عُبيدة قال: أما والله لو أدرك أبو طالب هذا اليوم لعلم أنني أحقُّ منه بما قال حين يقول:

كَذَبْتُمْ وَبَيْتَ اللَّهِ يُبْزَى^(٦) مُحَمَّدٌ وَلَمَّا نَطَاعَنْ دُونَهُ وَنُنَاضِلُ
وَنُسَلِّمُهُ حَتَّى نُصْرِعَ حَوْلَهُ وَنَذْهَلَ عَنَ أبنَائِنَا وَالحَلَائِلِ^(٧)

وهذان البيتان في قصيدة لأبي طالب، وقد ذكرناها فيما مضى من هذا الكتاب.

قال ابن إسحاق: فلما هلك عُبيدة بن الحارث من مُصابِ رِجْلِهِ يوم بدر، قال كعب بن مالك الأنصاري ينيكه:

(١) يهب: يستيقظ.

(٢) التماثيل: الصور المتقنة الصنع والضمير في أخلصت يعود على الحور العين، والمعنى خص بها.

(٣) التعرقت: المزج.

(٤) المنايا: الهمة. زيدت فيه الهمة. والأبيات في سيرة ابن كثير ٥٢٨/٢، ٥٢٩.

(٥) يبزى: أي لا يبزى. والمعنى: لا يقهر.

(٦) البيتان في نسب قرش ٩٤، والأغني ٢٨/١٧ (البيت الأول) و٢٦/٤ (البيت الثاني) مع اختلاف.

بدمعك حقاً ولا تنزري
كريم المشاهد والعنصر
كريم الثنا طيب المكسر^(١)
لعرف عرانا ولا منكسر
لحامية الجيش بالمبتر

شعر لكعب في بدر:

وأخبر شيء بالأمر عليمها
معدمها جهاؤها وحليمها
رجاء الجنان إذ أتانا زعيمها
وأعراق صدق هدبثها أرومها^(٢)
أسود لقاء لا يرزجي كليمها^(٣)
لمنخر سوء من لؤي عظيمها
سواء علينا حلفها وصميمها^(٤)

على زهو لديكم وانتخاء^(٥)
ولا صبروا به عند اللقاء
دجى الظلماء عتاً والخطاء
من أمر الله أحكم بالقضاء
وما رجعوا إليكم بالسواء
جواد الخيل تطلع من كداء^(٦)
وميكال، فيا طيب الملاء^(٧)

أيا عين جودي ولا تبخلي
على سيد هدنا هللكه
جريء المقدم شاكي السلاح
عبيدة أمسى ولا نرتجيه
وقد كان يخمي عادة القتا

وقال كعب بن مالك أيضاً، في يوم بدر:
ألا هل أتى عسان في نأي دارها
بأن قد رمتنا عن قسي عداوة
لأننا عبذنا الله لم نرج غيرَه
نبي له في قومِه إزث عزة
فساروا وسرنا فالتقيننا كأننا
ضربناهم حتى هوى في مكرنا
فولوا ودسناهم ببيض صوارم
وقال كعب بن مالك أيضاً:

لعمر أبيكمما يابني لؤي
لما حامت^(٦) فوارسكم ببدر
ورذناه بنور الله يجلو
رسول الله يقدمنا بأمر
فما ظفرت فوارسكم ببدر
فلا تغجل أبا سفيان وارقب
بئضر الله روح القدس فيها

(١) الثنا: ما يتحدث به عن الشخص من خير أو شر. وطيب المعكسر: خال من العيب.

(٢) الأروم: الأصول.

(٣) الكليم: الجريح.

(٤) حلفها: حليفها، والصميم: الخالص. والأبيات في سيرة ابن كثير ٥٢٧/٢.

(٥) الانتخاء: الإعجاب.

(٦) حامت: من الحماية وهي الامتناع.

(٧) كداء: مكان بمكة.

(٨) روح القدس: جبريل، وميكال، وهو ميكايل عليهما السلام. والملاء: أراد الملا وهم الأشراف. والأبيات في سيرة ابن

شعر طالب في مدح الرسول وبكاء أصحاب القلب:

وقال طالبُ بن أبي طالب، يمدح رسولَ الله ﷺ، ويبكي أصحاب القلب من قريش يوم بدر:

ألا إنَّ عَيْنِي أَنْفَدْتُ دَمْعَهَا سَكْبًا
ألا إنَّ كَغَبًا فِي الْحُرُوبِ تَخَاذَلُوا
وعامر تَبْكِي لِلْمَلَمَاتِ غُدُوءَ
هما أَخْوَايَ لَنْ يُعَدَّا لِعَيْبَةٍ^(١)
فيا أَخَوَيْنَا عِنْدَ شَمْسٍ وَتَوَقُّلاً
ولا تُضْبِحُوا مِنْ بَعْدِ وَدِّ وَأَلْفَةٍ
ألم تَعَلَّمُوا مَا كَانَ فِي حَرْبِ دَاحِسٍ^(٢)
فَلَوْلَا دِفَاعُ اللَّهِ لَشِئْءٌ غَيْرُهُ
فَمَا إِنْ جَنِينَا فِي أَقْرِيشٍ عَظِيمَةٍ
أَخَاثِقَةٍ فِي السَّنَائِبَاتِ مُرَّرًا
يُطِيفُ بِهِ الْعَاقُونَ يَغْشَوْنَ بَابَهُ
فوالله لا تَنْفُكُ نَفْسِي حَزِينَةً
شعر ضرار في رثاء أبي جهل:

وقال ضرار بن الخطاب الفهري، يرثي أبا جهل:

ألا مَنْ لَعِينٍ بَاتَتْ اللَّيْلُ لَمْ تَنْمُ
كَأَنَّ قَدَيْ فِيهَا وَليْسَ بِهَا قَدَى
فَبَلَّغْ قُرَيْشًا أَنَّ خَيْرَ نَدِيِّهَا
ثَوَى يَوْمَ بَدْرٍ زَهْنٌ حَوْصَاءَ زَهْنِهَا
فَأَلَيْتُ لَا تَنْفُكُ عَيْنِي بِعَبْرَةٍ
عَلَى هَالِكِ أَشْجَى لُوَيْيَ بْنِ غَالِبٍ
تَرَى كِسْرَ الْخَطِيِّ فِي نَحْرِ مُهْرِهِ
وما كان لَيْتٌ سَاكِنٌ بَطْنِ بَيْشَةَ

(١) يقال: هذا الشخص لغية إذا دُعي لغير أبيه. (٢) انظر حرب داحس بما سبق من السيرة وهامشها.

(٣) السرب: النفس. (٤) الذُّزْبُ: الفاسد.

(٥) الصرب: المنقطع. (٦) الأبيات في سيرة ابن كثير ٢/٥٣٣، ٥٣٤.

(٧) الخوصاء: البئر الضيقة. والبرم: البخيل. (٨) لم يرم: لم يبرح.

(٩) الخطي: الرماح. الخدم وقد تنطق بالجمع: قطع اللحم.

(١٠) بطن بيشة: مكان تُنسب إليه الأسود. العُلل: الماء الجاري في أصول الشجر، والأجم: بضم الميم وفتحها وقد تُسكن، مفردهما أجمة: الشجر الكثير الملتف.

بأجرأ منه حين تَخْتَلَفَ القَنَا
فلا تَجْزَعُوا آلَ المُغِيرَةَ واضْبِرُوا
وَجِدُوا فَإِنَّ الموتَ مَكْرُمَةٌ لكم
وقد قُلْتُ إِنَّ الرِّيحَ طَيِّبَةٌ لكم
قال ابن هشام: وبعض أهل العلم بالشعر يَنْكِرُهَا لِضَرَارِ.

شعر الحارث بن هشام في رثاء أبي جهل:

قال ابن إسحاق: وقال الحارث بن هشام، يبيكي أخاه أبا جهل:

وهل يُغْنِي التَّلَهُفُ مِنْ قَتِيلٍ
أمام القَوْمِ فِي جَفْرِ مُحِيلٍ^(٢)
وَأَنْتَ لِمَا تَقْدَمُ غَيْرُ فَيْلٍ^(٣)
فقد خُلِفْتُ فِي دَرَجِ المَسِيلِ^(٤)
ضعيف العَقْدِ ذُو هَمِّ طَوِيلٍ
وطَرْفٍ مِنْ تَذْكَرِهِ كَلِيلٍ

قال ابن هشام: وبعض أهل العلم بالشعر يَنْكِرُهَا لِلْحَارِثِ بْنِ هِشَامٍ؛ وَقَوْلُهُ: «فِي جَفْرِ» عَنْ غَيْرِ

ابن إسحاق.

شعر ابن الأسود في بكاء قتلى بدر:

قال ابن إسحاق: وقال أبو بكر بن الأسود بن شعوب اللبثي، وهو شَدَادُ بْنُ الْأَسْوَدِ:

تُحْيِي بِالسَّلَامَةِ أُمَّ بَكْرٍ
فَمَاذَا بِالْقَلِيبِ قَلِيبِ بَدْرٍ
وماذا بِالْقَلِيبِ قَلِيبِ بَدْرٍ
وكم لكِ بِالطُّوِيِّ طَوِيِّ بَدْرٍ
وكم لكِ بِالطُّوِيِّ طَوِيِّ بَدْرٍ
وأصحابِ الكَرِيمِ أَبِي عَلِيٍّ
وإِنَّكَ لَوِ رَأَيْتَ أَبَا عَقِيلٍ

وهل لي بعد قومي مِنْ سَلَامٍ
من القَيْنَاتِ وَالشُّزْبِ الكِرَامِ
من الشَّيْزِيِّ^(٥) تُكَلَّلُ بِالسَّنَامِ
مِنَ الحَوْمَاتِ وَالنَّعَمِ المُسَامِ^(٦)
من الغَايَاتِ وَالذُّسَعِ العِظَامِ^(٧)
أخي الكاسِ الكَرِيمَةِ وَالنُّدَامِ
وأصحابِ الثَّنِيَّةِ مِنْ نَعَامِ^(٨)

(١) القمامة: السادة الكرام، والبهم: الشجعان.

(٢) الجفر المحيل: البثر القديمة.

(٣) غير فيل: أي غير فاسد الرأي.

(٤) درج المسيل: موطن الذل والغلبة.

(٥) الشيزي: جفان تصنع من خشب الأبنوس.

(٦) الطوي: البثر المطوية بالحجارة، والحومات: القطع من الإبل. والمسام: المرسل في المرعى.

(٧) الذسع: العطايا.

(٨) النعام: موضع.

كأَمِ السَّقْبِ^(١) جَائِلَةِ المَرَامِ
وكيف لقاء أصداء وهام^(٢)؟

وكيف حياة أصداء وهام

إِذَا لَطَّلَيْتِ مِنْ وَجْدِ عَلَيْهِم
يُخَبِّرُنَا الرُّسُولُ لَسَوْفَ نَحْيَا
قال ابن هشام: أنشدني أبو عبيدة النحوي:
يُخَبِّرُنَا الرُّسُولُ بِأَنْ سَنَخْيَا
قال: وكان قد أسلم ثم ارتد.

وقال ابن إسحاق: وقال أمية بن أبي الصلت، يرثي من أصيب من قرش يوم بدر:

مَ بَنِي الكِرَامِ أُولِي المَمَادِخِ
عِ الأَيْكِ فِي العُصْنِ الجَوَانِحِ
نَاتٍ يَرُخْنَ مَعَ الرِّوَائِحِ
تِ المُنْغُولَاتِ مِنَ التُّوَائِحِ
حُزْنٍ وَيَصْدُقُ كُلَّ مَادِحِ
قَلِّ مِنَ مَرَاذِبِ جَحَاجِحِ^(٣)
حَتَّانَ مِنَ طَرْفِ الأَوَائِحِ^(٤)
لِيَلِ مَغَاوِيرِ وَحَاوِحِ^(٥)
وَلَقَدْ أَبَانَ لِكُلِّ لَامِحِ
ةً فَهِيَ مُوَحِشَةُ الأَبَاطِحِ
رِيْقِ نَقْيِ السَّلُونِ وَاضِحِ^(٦)
كُ وَجَائِبِ لِخَرْقِ فَاتِحِ^(٧)
جِمَةِ المَلَاوِثَةِ المَنَاجِحِ^(٨)

الأَبَكِيَّتِ عَلَى الكِرَا
كُبُكَ الحَمَامِ عَلَى فُرُو
يَبْكِيْنَ خَرَّى مُسْتَكِي
أَمْثَالِ هَنْ البَاكِيا
مَنْ يَبْكِيهِمْ يَبْكُ عَلَى
مَاذَا بَبْدَرِ فَالعَقْفُ
فَمَدَافِعِ البَرَقَيْنِ فَالْ
شُمُطِ وَشُبُّانِ بِهَا
أَلَا تَرَوْنَ لِمَا أَرَى
أَنْ قَدِ تَغْيِرَ بَطْنَ مُكَّ
مَنْ كُلِّ بِطَرِيقِ لِبَطْ
دُعْمُوصِ أَبْوَابِ المُلُو
مِنَ السَّرَاطِمَةِ الخَلَا

(١) السَّقْبُ: ولد الناقة وقت وضعه.

(٢) الأصداء: جمع صدى: وهو ما يتبقى من الميت في قبره. والهام: جمع هامة: وهي طائر تزعم العرب أنه يخرج من رأس القتيل يصبح أسقوني حتى يؤخذ بثأره فيسكت. والأبيات في سيرة ابن كثير ٥٣٥/٢، ٥٣٦ مع اختلاف بعض الألفاظ، وفي أنساب الأشراف ٣٠٧/١ سبعة أبيات، منها بيتان ليسا هنا، مع اختلاف في اللفظ والترتيب. والبيت الأول في نسب قرش ٣٠١، وعزاه ابن دريد في الاشتقاق ٦٣ إلى بحير بن عبد الله القشيري. والبيت الأخير في جمهرة ابن الكلبي ٨١، وذكر البخاري في صحيحه في مناقب الأنصار أربعة أبيات.

(٣) العَقْفُ: المنعقد فمن كتبان الرمل - والمرازبة: الرؤساء. وهي فارسية. والجحاجح: السادة.

(٤) مدافع: حيث يندفع السيل. البرقين: مكان. والحتان: كثيب الرمل، والأواشح: مكان.

(٥) الوحاح: جمع وحوح: المنكمش الحديد النفس.

(٦) البطريق: رئيس الأسافنة عند النصارى وهو أيضاً: القائد من قواد الروم، وهو العالم عند اليهود.

(٧) الدُعْمُوصُ: في الأصل دويبة صغيرة تغوص في الماء، استعارها لمن يكثر الدخول على الملوك. والجانب: القاطع. والخرق: الفلاة.

(٨) السراطمة: واسع الخلق. والملاوثة: الطوال. والملاوث: السادة.

القائِلين الفاعليـ
المُطعمين الشَّخْم فَوُ
نُقِل الجِفان مع الجِفَا
لَيْسَتْ بأضفار لَمَن
للضَّيف ثم الضَّيف بعد
وُهَب المِئِينِ مِنَ المِئِيـ
سَووقِ المُوؤَبِلِ لِلْمُوؤَبـ
لِكِرَامِهِم فَووقَ الكِرَا
كتثاقِل الأظطال بالقسـ
خَذَلْتُهُمْ فِئَةً وَهَم
الضَّارِبِينَ التَّقْدُمِيـ
وَلَقَدْ عَنَانِي صَوْتُهِم
لله دَرَبِي عَنـ
إِن لَم يُغْفِرُوا غَارَةَ
بالمُقَرَّبَات، المُبْعَدَا
مُزْدَاً عَلِي جُزْدِ إِلَى
وُيَلاقِ قِزْنَ قِزْنَهُ
بِزُهَاءِ أَلْفِ ثَمَّ أَلـ

قال ابن هشام: تركنا منها بيتين نال فيهما من أصحاب رسول الله ﷺ. وأنشدني غير واحد من أهل العلم بالشعر بيته:

(١) الأنافع: جمع أنفعة وهو شي يخرج من بطن البهائم المجترة لونه أصفر فشبه به الشحم.

(٢) المناضح: الحياض.

(٣) الأصفار: الآتية، ويعفو: يطلب المعروف. ورح رحارح: أي واسعة من غير عمق.

(٤) السلاطح: الطوال العراض. (٥) اللواقح: الحوامل.

(٦) المؤبّل: الإبل الكثيرة. وبلادح: موضع. (٧) الموائح: المتمايلة لثقل ما ترفعه.

(٨) التَّقْدُمِيَّة: المتقدمين في أول الجيش. والصفائح: العراض.

(٩) تُخَجِر: تلجىء إلى جُحِر.

(١٠) المُقَرَّبَات: الكريمة التي تكون قرب البيوت اهتماماً بها، والمبعدات: التي تبعد في جريها، والطامحات: التي ترفع رؤوسها.

(١١) الأبيات في سيرة ابن كثير ٢/٥٣٦ - ٥٣٨، وفي أنساب الأشراف ١/٣٠٦ تسعة أبيات. وهي ليست في ديوان أمية. وانظر

نسب قريش ١٠، ١١.

وِيُلاقِ قِرْنَ قِرْنَه
وَأُنْشِدُنِي أَيْضاً:

وَهُبُّ المِئِينِ مِنَ المِئِي
سَووقِ المُوْئِلِ لِلْمُوْئِي
قال ابن إسحاق: وقال أمية بن أبي الصلت، يبكي زَمْعَةَ بنِ الأَسودِ، وَقَتْلَى بنِ أَسَدِ:

عَيْنُ بَكِي بِالمُسْبِلَاتِ أبا أَلِ
وَابِكِي عَقِيلَ بنِ أَسودِ أَسَدِ أَلِ
تَلِكِ بَنُو أَسَدِ إِخْوَةَ الجَوِ
هُمُ الأُسْرَةُ الوَسِيطَةُ مِنَ كَفِ
أَنْبَتُوا مِنَ مِعاشِرِ شَعَرِ أَلِ
أَمَسَى بِنو عَمُّهُم إِذا حَضَرَ البِ
وَهُمُ المُطْعَمون إِذْ قَحَطَ القَطُّ

قال ابن هشام: هذه الرواية لهذا الشعر مُختلطة، ليست بصحيحة البناء، لكن أنشدني أبو مخزوم خلف الأحمر وغيره، روى بعض ما لم يَرَوْ بعض:

عَيْنُ بَكِي بِالمُسْبِلَاتِ أبا الحَا
وَعَقِيلَ بنِ أَسودِ أَسَدِ البَأِ
فَعَلَى مِثْلِ هُلُكِهِم حَوَاتِ الجَوِ
وَهُمُ الأُسْرَةُ الوَسِيطَةُ مِنَ كَفِ
أَنْبَتُوا مِنَ مِعاشِرِ شَعَرِ الرَأِ
فَبِنو عَمُّهُم إِذا حَضَرَ البَأِ
وَهُمُ المُطْعَمون إِذْ قَحَطَ القَطُّ

قال ابن إسحاق: وقال أبو أسامة، معاوية بن زهير بن قيس بن الحارث بن سعد ابن ضبيعة بن مازن بن عددي بن جشم بن معاوية حليف بني مخزوم - قال ابن هشام: وكان مُشركاً وكان مَرَّ بِهَيْبَةَ بنِ أَبِي وَهْبٍ وَهُم مُنْهَضون يَوْمِ بَدْرٍ، وَقَدْ أَغْيَا هَيْبَةَ، فَقَامَ فَالْقَى عَنْهُ دِرْعَهُ وَحَمَلَهُ فَمَضَى بِهِ، قال ابن هشام: وهذه أصح أشعار أهل بدر:

وَلَمَّا أَنْ رَأَيْتُ القَوْمَ حَفُوا
وَقَدْ زَالَتْ نِعامُتُهُم لَنَفِرِ^(٤)

(١) تذخري: تذخري. (٢) الوسيطة: الشريفة. والقمعة: السنام.

(٣) القرعة: القطعة من السحاب المتفرقة. الأبيات ليست في ديوان أمية المطبوع، وهي في نسب قريش ٢٠٦، وأنساب الأشراف ١/٣٠٧، ٣٠٨ باختلاف في الألفاظ والترتيب.

(٤) زالت، ورويت شالت نعماتهم كناية عن الهلاك فالنعامه باطن القدم ومن مات شالت رجله فظهرت باطنها.

وَأَنْ تُرِكَتْ سَرَاةَ الْقَوْمِ صَزَعَى
 وَكَانَتْ جُمَّةً وَافَتْ جِمَاماً
 نَصَدَّ عَنِ الطَّرِيقِ وَأَذْرَكُونَا
 وَقَالَ الْقَائِلُونَ: مَنْ ابْنُ قَيْسٍ؟
 أَنَا الْجُشَمِيُّ كَيْمَا تَعْرِفُونِي
 فَإِنَّ تَكُّ فِي الْعَلَاصِمِ^(٥) مِنْ قَرِيشٍ
 فَأَبْلَغَ مَالِكاً لَمَّا عُشِينَا
 وَأَبْلَغَ إِنْ بَلَّغْتَ الْمَرْءَ عُنَا
 بَأَنِّي إِذْ دُعِيتُ إِلَى أَقْيَدٍ^(٧)
 عَشِيَّةً لَا يَكْرَهُ عَلَى مُضَافٍ^(٨)
 فَدُونَكُمْ بَنِي لَأِي^(٩) أَخَاكُمْ
 فَلَوْلَا مَشْهَدِي قَامَتْ عَلَيْهِ
 دَفُوعٌ لِلْقُبُورِ بِمَثُكِبَيْهَا
 فَأَقْسِمَ بِالَّذِي قَدْ كَانَ رَبِّي
 لَسَوْفَ تَرَوْنَ مَا حَسَبِي إِذَا مَا
 فَمَا إِنْ خَادِرٌ مِنْ أَسَدٍ تَزَجُ
 فَقَدْ أَخْمَى الْأَبَاءَ مِنْ كُلاَفٍ
 بِخَلِّ تَعَجَزَ الْخُلَفَاءَ عَنْهُ

كَأَنَّ خِيَارَهُمْ أَذْبَاحُ عِثْرٍ^(١)
 وَلُقَيْنَا الْمَنَايَا يَوْمَ بَدْرِ^(٢)
 كَانَ زُهَاءَهُمْ غَطِيَانٌ بَخْرٍ^(٣)
 فَقُلْتُ: أَبُو أُسَامَةَ، غَيْرَ فَاخِرٍ
 أَبِئِنَّ نَسَبَتِي نَقْرًا بِنَقْرِ^(٤)
 فَإِنِّي مِنْ مُعَاوِيَةَ بْنِ بَكْرِ
 وَعِنْدَكَ مَالٌ^(٦) - إِنْ نَبَّأَتْ - خُبْرِي
 هُبَيْرَةَ، وَهُوَ ذُو عِلْمٍ وَقَدْرٍ
 كَرَزْتُ وَلَمْ يَضِئْ بِالكَرِّ صَدْرِي
 وَلَا ذِي نِعْمَةٍ مِنْهُمْ وَصِهرٍ
 وَدُونِكَ مَالِكاً يَا أُمَّ عَمْرٍو
 مُوقَفَةٌ الْقَوَائِمِ أُمَّ أُجْرِي^(١٠)
 كَانَ بِوَجْهِهَا تَحْمِيمٌ قَدْرٍ^(١١)
 وَأَنْصَابٍ لَدَى الْجَمْرَاتِ مُغْرٍ^(١٢)
 تَبَدَّلَتِ الْجُلُودَ جِلُودَ زَمْرٍ
 مُدِيلٌ عَنبَسُ فِي الْغَيْلِ مُجْرِي^(١٣)
 فَمَا يَذْنُوهُ أَحَدٌ بِنَقْرِ^(١٤)
 يُوَاتِبُ كُلَّ هَجْجَةٍ وَزَجْرٍ^(١٥)

(١) العِثْرُ: الصنم الذي يُذبح له.

(٢) الغَطِيَانُ: الفَيْضَانُ.

(٣) النقر: الطعن في النسب، أي إن عبتم نسيي جاؤيتكم بمنثله.

(٤) الغلاصم: الأعلى.

(٥) أَقْيَدٌ: تصغير وقد اسم للجمع، مثل ركب، ولذلك جاز تصغيره.

(٦) المضاف: الخائف.

(٧) بني لآي: جاء به مكبراً على أصله ويريد به بني لؤي.

(٨) الموقفة: الضبع. والأجر؛ جم جرو وهو ولدها.

(٩) التحميم: التلطف بالسواد.

(١٠) الأنصاب: ما يذبحون عنده من الأحجار. ومغر: حمراء.

(١١) الخادر: الأسد في خدره، والخدر: أجمة الأسد. وتزج، جبل بالحجاز: والعنيس: العابس الوجه، والغيل: الشجر

الملتف. والمججري: ذو جراء، أي ذو أشبال.

(١٢) الأباءة: أجمة الأسد. والكلاف: إما أن تكون اسم لمكان أو لعله أراد أنه من شدة كلفه بذلك.

(١٣) الخل: الطريق وسط الرمل. والخلفاء: الأصدقاء المتحالفون. والهججة: زجر الأسد بأن تقول له: هج هج.

بَأَوْشَكَ سُورَةَ مَنْي إِذَا مَا
بِإِيضٍ كَالْأَسِنَّةِ مُرْهَفَاتِ
وَأَكْلَفٍ مَجْنَأٍ مِنْ جَلْدِ ثُورٍ
وَأَبِيضٍ كَالْغَدِيرِ ثَوَى عَلَيْهِ
أَرْقُلٍ فِي حَمَائِلِهِ وَأَمْشِي
يَقُولُ لِي الْفَتَى سَعْدٌ^(٦) هَدِيًّا^(٧)
وَقُلْتُ أَبَاعَدِي لَا تَطْرَهُمْ
كَدَابِهِمْ^(١٠) بِفَرَزَةٍ إِذْ أَتَاهُمْ
قال ابن هشام: وأنشدني أبو مخرز خلف الأحمر:

تَصُدُّ عَنِ الطَّرِيقِ وَأَذْرُكُونَا
كَأَنَّ سِرَاعَهُمْ تَيَّارُ بَحْرٍ
وقوله: «مدلّ عنبس في الغيل مجري» عن غير ابن إسحاق.
قال ابن إسحاق: وقال أبو أسامة أيضاً:

أَلَا مِنْ مَبْلَغٍ عَنِّي رَسُولاً
أَلَمْ تَغْلَمْ مَرَدِّي يَوْمَ بَدْرٍ
وَقَدْ تَرَكْتَ سَرَاءَ الْقَوْمِ صَرْعَى
وَقَدْ مَالَتْ عَلَيْكَ بَبْطُنُ بَدْرٍ
فَنَجَّاهُ مِنَ الْعَمْرَاتِ عَزْمِي
وَمُنْتَقَلِبِي مِنَ الْأَبْوَاءِ^(١٥) وَخَدِي
مُغْلَغَلَةٌ يُتَبَّبُهَا لَطِيفُ^(١١)
وَقَدْ بَرَقَتْ^(١٢) بِجَنْبِكَ الْكُفُوفُ
كَأَنَّ رُؤُوسَهُمْ حَدَجٌ نَقِيفُ^(١٣)
خِلَافَ الْقَوْمِ دَاهِيَةٌ خَصِيفُ^(١٤)
وَعَوْنُ اللَّهِ وَالْأَمْرُ الْخَصِيفُ
وَدُونِكَ جَمْعُ أَعْدَاءِ وَقُوفُ

(١) السُّورَةُ: الجِدَّةُ: والقرقرة والهدر: من أصوات فحول الإبل.

(٢) الظُّبَاةُ: جمع ظبة، حد السهم.

(٣) الأكلف: الترس أسود الظاهر. والجنأ: المنحني: وصفراء: القوس. والبراية: ما يتطاير منها حين تصنع.

(٤) الأبيض: السيف. وعمير: اسم رجل يصفل السيوف. والمدارس الآلات التي تُصقل بها السيوف.

(٥) أرقل: أطول. والسبطر: الطويل.

(٦) في نسب قريش: «ويدعوني الفتى عمرو هدياً».

(٧) الهدى: ما يهdy إلى البيت، ونصبه على إضمار فعل من لفظه.

(٨) لا تطرهم: لا تفرهم.

(٩) في نسب قريش «كفعلهم».

(١٠) الدأب: العادة. والضفر: الحبل المفتول. وهذا البيت (٢٧) والبيت الأسبق (٢٥) وردا في نسب قريش ٤٠٥.

(١١) المغلغلة: الرسالة. واللطيف: الحازم في أموره.

(١٢) برقت: لمعت.

(١٣) الحدج النقيف: الحنظل المكسور لأخذ الحب منه.

(١٤) الخصيف: المتراكم.

(١٥) الأبواء: مكان بين مكة والمدينة وبه قبر أمينة أم الرسول ﷺ.

وأنت لمن أزدك مُستكينٌ
 وكننتُ إذا دعاني يومَ كَرْبٍ
 فأسمعني ولو أخببتُ نفسي
 أزدٌ فأكشِفُ الغُمى وأزمي
 وقِرْنٍ قد تركتُ على يديه
 ذلفتُ له إذا اختلطوا بحرِي
 فذلك كان صنعي يومَ بَدْرٍ
 أخوكم في السنين كما علمتم
 ومقدامٌ لكم لا يزدهيني
 أخوض الصرةَ الجماءَ خوضاً

بجنب كُراش مكلومٌ نَزيفٌ^(١)
 من الأصحاب داعٍ مُستَضيفٌ^(٢)
 أخٌ في مثل ذلك أو حَليفٌ^(٣)
 إذا كَلَحَ المَشافِرُ والأثوفُ^(٤)
 يئوؤه كأنه عُضن قَصيفٌ^(٥)
 مُسَخَّحةٌ لعاندها حَفيفٌ^(٦)
 وقَبْلُ أخو مداراةٍ عَزوفٌ^(٧)
 وحَزْبٌ لا يَزَالُ لها صَرِيفٌ^(٨)
 جَنانُ اللَّيْلِ والأنْسُ اللَّفِيفِ^(٩)
 إذا ما الكَلْبُ الجاهُ الشَّفِيفِ^(١٠)

قال ابن هشام: تركت قصيدةً لأبي أسامة على اللام، ليس فيها ذكر بَدْرٍ إلا في أول بيت منها والثاني، كراهية الإكثار.

قال ابن إسحاق: وقالت هندُ بنت عُتبة بن ربيعة تبكي أباه يوم بدر:

أعيني جوداً بدمع سَرِبٍ
 تداعى له زهطه عُذوةٌ
 يذيقونه خد أسيافهم
 يجرونه وعفيرُ الثُّرابِ
 وكان لنا جَبلاً راسياً
 وأما بُرِّي^(١٠) فلم أغنيه
 وقالت هندُ أيضاً:

على خيرٍ خنِيفٍ لم ينقلِبِ
 بئو هاشمٍ ويئو المطَلِبِ
 يعلونه بعد ما قد عَطِبِ
 على وجهه عارياً قد سَلِبِ
 جميلَ المَراةِ^(٩) كثيرَ العُشْبِ
 فأوتِي من خير ما يَحْتَسِبِ
 ويأبى فمأ تَأبِي بشيءٍ يُغالِبُه

يَرِيبَ عَلَيْنَا دَهْرُنَا فَيَسُوؤُنَا

(١) كراش: اسم جبل، والمكلوم: الجريح.

(٢) المشافر: شفاة الإبل واستعارها هنا للآدمي.

(٣) حري: موجعة: صفة لموصوف محذوف أي طعنة موجعة. المسححة: كثيرة سيلان الدم. والمعاند: العرق الذي لا يتقطع دمه. والخفيف: الصوت.

(٤) المداراة: مصانعة الناس. والعزوف: المترفع عن الدنيا.

(٥) السنين: سنين الفحط المجذبة. والصريف: الصوت.

(٦) جنان الليل: ظلمته. الأنس اللفيف: الجماعة الكثيرة.

(٧) الصرة: شدة البرد. الجماء: الشديدة. والشفيف: الريح الشديدة.

(٨) المرأة: أرادت امرأة العين فنقلت حركة الهمزة إلى الساكن قبلها فحذفت الهمزة.

(٩) بري: مصغر البراء وهو اسم رجل.

يُرَاعِ امْرُؤٌ إِنْ مَاتَ أَوْ مَاتَ صَاحِبَهُ
تَرُوحُ وَتَغْدُو بِالْجَزِيلِ مَوَاهِبُهُ
فَإِنْ أَلْقَهُ يَوْمًا فَسَوْفَ أُعَاتِبُهُ
لِكُلِّ امْرِئٍ فِي النَّاسِ مَوْلَى يُطَالِبُهُ
قال ابن هشام: وبعضُ أهل العلم بالشعر يُنكرها لهُند.

أَبْعَدَ قَتِيلٍ مِنْ لُؤَيِّ بْنِ غَالِبٍ
أَلَا زُبَّ يَوْمٍ قَدْ رَزَيْتُ مُرَرًا
فَأُبْلَغُ أَبَا سَفِيَانَ عَنِّي مَأْلَكًا^(١)
فَقَدْ كَانَ حَرْبٌ^(٢) يَسْعَرُ الْحَرْبَ إِنَّهُ
قال ابن إسحاق: وقالت هند أيضاً:

هَلْكَأَ كَهْلِكَ رَجَائِي
فِي النَّائِبَاتِ وَبَاكِيهِ
بِغَدَاةٍ تَلُوكَ الْوَاعِيَةَ^(٣)
نِ إِذَا الْكَوَاكِبُ خَاوِيَهُ
فَالْيَوْمَ حَقَّ خَذَارِيهِ
فَأَنَا الْغَدَاةُ مُوَامِيَهُ^(٤)
يَا وَبِحَ أَمْ مُعَاوِيَهُ
قال ابن هشام: وبعضُ أهل العلم بالشعر يُنكرها لهُند.

لَلَّهِ عَيْنِنَا مَنْ رَأَى
يَا زُبَّ بِبَاكِ لِي غَدَا
كَمْ غَادَرُوا يَوْمَ الْقَلْبِي
مِنْ كُلِّ غَيْثٍ فِي السُّنْبِي
قَدْ كُنْتُ أَخْذَرُ مَا أَرَى
قَدْ كُنْتُ أَخْذَرُ مَا أَرَى
يَا زُبَّ قَائِلَةَ غَدَا
قال ابن إسحاق: وقالت هند أيضاً:

شَيْخًا شَدِيدَ الرَّقَبَةِ
يُدْفَعُ يَوْمَ الْمَغْلَبَةِ
مَلْهُوفَةً مُسْتَلَبَهُ
بِغَارَةِ مُنْثَعِبِهِ^(٦)
كُلُّ جَوَادٍ سَلَّهَبِهِ^(٧)

يَا عَيْنُ بَكِّي عُثْبَةَ
يُطْعِمُ يَوْمَ الْمَسْغَبَةِ
إِنِّي عَلَيْهِ حَرِبَهُ^(٥)
لَنْهَيْطَنْ يَثْرِبَهُ
فِيهَا الْخَيْوَلُ مُثْرِبَهُ

وقالت صَفِيَّةُ بِنْتُ مُسَافِرِ بْنِ أَبِي عَمْرٍو بْنِ أُمَيَّةَ بْنِ عَبْدِ شَمْسِ بْنِ عَبْدِ مَنَافٍ، تَبْكِي أَهْلَ الْقَلْبِ
الَّذِينَ أَصَابُوا يَوْمَ بَدْرٍ مِنْ قُرَيْشٍ: (وتذكر مصابهم:

حَدَّ النَّهَارِ وَقَرْنُ الشَّمْسِ لَمْ يَقْدِ^(٨)
قَدْ أَخْرَزَتْهُمْ مَنَائِهِمْ إِلَى أَمَدٍ

يَا مَنْ لِعَيْنِ قَذَاهَا عَائِرُ الرَّمْدِ
أُخْبِرْتُ أَنْ سَرَاةَ الْأَكْرَمِينَ مَعَا

(١) المالك: الرسالة الشفوية.

(٢) الواعية: الصراخ.

(٣) الحربة: الحزينة.

(٤) السلهبة: الفرس الطويلة.

(٥) الفدا: ما يقع في العين من الأذى. والعائر: وجع في العين وحد النهار: الفاصل الذي بينه وبين الليل. وقرن الشمس: أعلاها. ولم يقدر: لم يتم نوره.

(٦) حرب: والد أبي سفيان.

(٧) موامية: أصلها مؤامية وهي الذليلة.

(٨) المنثعبة: سريعة السيلان.

وَقَرَّ بِالْقَوْمِ أَصْحَابُ الرِّكَابِ وَلَمْ
قَوْمِي صَفِيٍّ وَلَا تَنْسَى قَرَابَتَهُمْ
كَانُوا سُقُوبٌ^(١) سَمَاءَ الْبَيْتِ فَاثْقَصْتُ
تَغَطَّفُ غَدَاتِيذِ أُمِّ عَلِيٍّ وَوَلَدِ
وَأِنْ بَكَيْتِ فَمَا تَبْكِينَ مِنْ بُعْدِ
فَأَصْبَحَ السَّمَكُ مِنْهَا غَيْرَ ذِي عَمَدٍ
قال ابن هشام: أنشدني بيتها: «كانوا سقوب» بعض أهل العلم بالشعر.

قال ابن إسحاق: وقالت صفية بنت مسافر أيضاً:

أَلَا يَا مَنْ لِعَيْنِ لَلْتِ
كَغَزْبِي دَالِجٍ^(٢) يَنْسُقِي
وَمَا لَيْتُ غَرِيفٍ^(٣) ذُو
أَبُو شَيْبَلَيْنِ وَتَابَ
كَجَبِي إِذْ تَوَلَّى وَ
وَبِالْكَفِّ حُسَامٍ صَا
وَأَنْتِ الطَّاعِنُ التُّجَلَا
بِكَيْ دَمْعُهَا فَنان
خِلَالِ الْعَيْثِ الدَّانِ
أَطْفِيرٍ وَأَسْنَانِ
شَدِيدِ الْبَطْشِ غَرْتَانِ^(٤)
وَجُوهُ الْقَوْمِ أَلْوَانِ
رَمِ أَبْيَضُ دُكْرَانِ^(٥)
ءٍ مِنْهَا مُزِيدِ أَنْ^(٦)

قال ابن هشام: ويرون قولها: «وما ليث غريف» إلى آخرها، مفصلاً من البيتين اللذين قبله.

قال ابن إسحاق: وقالت هند بنت أئانة بن عبَّاد بن المطَّلَبِ تَزِيهِ عُبَيْدَةَ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ الْمُطَّلَبِ:
لَقَدْ ضَمَّنَ الصَّفْرَاءُ^(٧) مَجْدًا وَسُودًا
عُبَيْدَةَ فَبَكَيَهُ لِأَضْيَافِ غُرْبَةٍ
وَبَكَيَهُ لِلْأَقْوَامِ فِي كُلِّ شَتْوَةٍ
وَبَكَيَهُ لِلْأَيْتَامِ وَالرِّيحِ زَفْرَةٍ
فَإِنْ تُصْبِحَ النُّيْرَانِ قَدِ مَاتَ ضَوْؤُهَا
لِطَارِقِ لَيْلٍ أَوْ لَمُلْتَمَسِ الْقَرَى
وَجِلْمًا أَصِيلًا وَأَفْرَ اللَّبِّ وَالْعَقْلِ
وَأَرْمَلَةَ تَهْوِي لِأَشْعَثِ كَالْجَذْلِ^(٨)
إِذَا أَحْمَرَ آفَاقَ السَّمَاءِ مِنَ الْمَخْلِ
وَتَشْبِيبِ قَدْرِ طَالَمَا أَزِيدَتْ تَغْلِي^(٩)
فَقَدْ كَانَ يُذَكِّيهِنَّ بِالْحَطْبِ الْجَزْلِ
وَمُسْتَنْبِحِ أَصْحَى لَدَيْهِ عَلَى رَسْلِ^(١٠)

قال ابن هشام: وأكثر أهل العلم بالشعر يُنكرها لهند.

قال ابن إسحاق: وقالت قتيبة بنت الحارث، أخت النُّضْرِ بْنِ الْحَارِثِ^(١١)، تَبْكِيهِ:

(١) السقوب: عمد الخباء.

(٢) الغرب: الدلو العظيمة. الدالج. السائر بالدلو بين البئر والشجر.

(٣) الغريف: أجمة الأسد.

(٤) الغرثان: الجوعان.

(٥) الذكران: أجود الحديد وأيسه.

(٦) الميزيد الذي له زيد وهو الرغوة. وأن: حام.

(٧) الصفرء: موضع بين مكة والمدينة.

(٨) الأشعث: المتغير. والجذل: أصل الشجرة.

(٩) الريح الزفرة: الشديدة. التشبيب: أبقاد النار تحت القدر. وأزيدت: رمت بالزبد وهو الرغوة.

(١٠) المستنبح: الضال بالليل فينبح مثل الكلاب فتجاوبه كلاب الحي فيتهدى إليه.

(١١) الصحيح: أنها بنت النضر لا أخته.

يَا رَاكِبًا إِنَّ الْأَثِيلَ مَظَنَّةٌ
أُبْلَغَ بِهَا مَيْتًا بَأْنَ تَحِيَّةٌ
مَنْيَ إِلَيْكَ وَعَبْرَةٌ مَسْفُوحَةٌ
هَلْ يَسْمَعُنِي التُّضْرُ إِنْ نَادَيْتُهُ
أَمَحْمَدُ يَا خَيْرَ ضَنْءٍ كَرِيمَةٍ^(٣)
مَا كَانَ ضَرْكَ لَوْ مَمْنَنْتَ وَرَبَّمَا
أَوْ كُنْتَ قَابِلَ فَذِيَّةٍ فَلْيُنْفِقُنْ
فَالتُّضْرُ أَقْرَبُ مَنْ أَسْرَتْ^(٥) قَرَابَةٌ
ظَلَّتْ سُيُوفُ بَنِي أَبِيهِ تَنْوِشُهُ
صَبْرًا^(٦) يُقَادُ إِلَى الْمَنِيَّةِ مُتَعَبًا

مَنْ صُبْحَ خَامِسَةٍ وَأَنْتَ مُوَفَّقٌ
مَا إِنْ تَزَالُ بِهَا التَّجَائِبُ تَخْفِقُ
جَادَتْ بِوَكَافِهَا^(١) وَأُخْرَى تَخْتُقُ
أَمْ كَيْفَ^(٢) يَسْمَعُ مَيْتٌ لَا يَنْطِقُ
فِي قَوْمِهَا وَالْفَخْلُ فَحْلٌ مُغْرَقٌ^(٤)
مَنْ الْفَتَى وَهُوَ الْمَغِيظُ الْمُخْتَقُ
بَاعَزَ مَا يَغْلُوبُهُ مَا يُنْفِقُ
وَأَحْقُهُمْ إِنْ كَانَ عَثَقَ يُفْتَقُ
لِلَّهِ أَرْحَامٌ هُنَاكَ تُشْتَقُّ
رَسْفَ الْمُقَيَّدِ وَهُوَ عَانٍ مُوثِقٌ^(٧)

قال ابن هشام: فيقال، والله أعلم: إن رسول الله ﷺ لما بلغه هذا الشعر، قال: لو بلغني هذا قبل قتله لمئننت عليه.

قال ابن إسحاق: وكان فراغ رسول الله ﷺ من بدر في عقب شهر رمضان أو في شوال.

غزوة بني سليم بالكدر^(٨)

قال ابن إسحاق: فلما قدم رسول الله ﷺ لم يقيم بها إلا سبع ليالٍ حتى غزا بنفسه^(٩)، يريد بني سليم.

(١) الواكف: السائل. وفي نسب قريش: لمانحها.

(٢) في نسب قريش: «أحمد ولانت زين نجية».

(٣) الضنء: الأصل. والمعرق: الكريم.

(٤) في نسب قريش «تركت».

(٥) في نسب قريش «تكرت».

(٦) في نسب قريش «تكرت».

(٧) الأبيات في نسب قريش ٢٥٥ بتقديم وتأخير واختلاف في الألفاظ، وفي عيون الأثر ١/٢٩١، ٢٩٢، والأغاني ١/١٠،

١١، والبيان والتبيين للجاحظ ٢/٢٣٦، ومعجم البلدان ١/١١٢، وشرح ديوان الحماسة للتبريزي - طبعة بولاق - ١٤/٣،

١٥.

(٨) وتعرف بغزوة «قرقرة الكدر» (الطبقات الكبرى ٢/٣١)، أو «قرارة الكدر» (المغازي للواقدي ١/١٨٢) وانظر عنها في:

أنساب الأشراف ١/٣١٠ رقم ٦٧٩، وتاريخ الطبري ٢/٤٨٢ و٤٨٣، والكامل في التاريخ ٢/١٣٩، ونهاية الأرب ١٧/

٧١، ٧٢، والروض الأنف ٣/١٤٢، وعيون الأثر ١/٢٩٤، وسيرة ابن كثير ٢/٥٣٩، وعيون التواريخ ١/١٤٢.

قال السهلي: «القرقرة: أرض ملساء، والكدر: طير في ألوانها كدر، عُرف بها ذلك الموضع، وقد كان عمر بن الخطاب -

رضي الله عنه - يذكر مسيره مع رسول الله ﷺ في تلك الغزوة، فقال لعمران بن سودة حين قال له: إن رعيتك تشكو منك

عنف السياق، وقهر الرعية، فذكر على الذرة، وجعل يسمح سيورها، ثم قال: قد كنت زميل رسول الله ﷺ في قرقرة

الكدر. فكانت أرتع فأشبع وأسقى فأروى، وأكثر الزجر، وأقل الضرب، وأرد العنود، وأزجر العروض، وأضمت الغوت،

وأشهر العصا، وأضرب باليد، ولولا ذلك لأعدرت أي: لضيقت فتركت، يُذكر حسن سياسته، فيما ولي من ذلك»

(الروض الأنف ٣/١٤٢).

(٩) أي لم يقيم بالمدينة لما قدم من بدر.

قال ابن هشام: واستعمل على المدينة سباع بن عُرْفُطَةَ الغفاري^(١)، أو ابن أم مكتوم.
قال ابن إسحاق: فبلغ ماء من مياههم؛ يقال له: الكُدْر^(٢)، فأقام عليه ثلاث لَيَالٍ ثم رجع إلى المدينة، ولم يَلتَقِ كيداً، فأقام بها بَقِيَّةَ شَوَالٍ وذا القعدة، وأدى في إقامته تلك جُلَّ الأَسَارَى من قُرَيْشٍ.

غزوة السويق^(٣)

قال: حدثنا أبو محمد عبد الملك بن هشام: قال: حدثنا زياد بن عبد الله البكائي، عن محمد بن إسحاق المُطَلِبي، قال: ثم غَزَا أبو سَفيان بن حَزْبِ غَزْوَةَ السُّوَيْقِ^(٤) في ذي الحجة، وولى تلك الحجة المُشْرِكُونَ من تلك السنة، فكان أبو سَفيان كما حدثني محمد بن جعفر بن الزبير، ويزيد بن رومان، ومن لا أَنْتَهُم، عن عبد الله بن كعب بن مالك، وكان من أعلم الأنصار، حين رجع إلى مكة، ورجع قُلٌّ^(٥) قُرَيْشٍ من بدر، نَذَرَ أن لا يَمَسَّ رأسه ماءً من جَنَابَةِ^(٦) حتى يَغْزُوا مُحَمَّدًا ﷺ، فخرج في مائتي راكب من قُرَيْشٍ، لِيَبْرَ يَمِينَهُ، فسلك التَّجْدِيَةَ، حتى نزل بِصُدْرِ قَنَاةٍ إلى جَبَلٍ يقال له: نَيْبٌ^(٧)، من المدينة على بَرِيدٍ أو نحوه، ثم خرج من اللَّيْلِ، حتى أتى بني التُّضَيْمِ تحت اللَّيْلِ، فأتى حَيَّيَ بن أخطب، فضرب عليه بابَه، فأبَى أن يفتح له بابَه وخافَه، فانصرف عنه إلى سَلَامِ بنِ مِشْكَمٍ، وكان سيّد بني التُّضَيْمِ في زمانه ذلك، وصاحبَ كنزهم، فاستأذن عليه، فأذن له، فقراه وسقاه، وبَطَنَ^(٨) له من خبر الناس، ثم خرج في عقب ليلته حتى أتى أصحابه، فبعث رجالاً من قُرَيْشٍ إلى المدينة، فأتوا ناسيةً منها، يقال لها: العَرِيضُ^(٩)، فحرقوا في أضوار^(١٠) من نخل بها، ووجدوا بها رجلاً من الأنصار وحليفاً له في حَزْتٍ لهما، فقتلوهما، ثم انصرفوا راجعين، ونذِرَ بهم الناسُ. فخرج رسول الله ﷺ طلبهم، واستعمل على المدينة بشير ابن عبد المنذر، وهو أبو لُبَابَةَ، فيما قال ابن هشام، حتى بلغ قَرْقَرَةَ الكُدْرِ، ثم انصرف راجعاً، وقد فاته أبو سَفيان وأصحابه، وقد رأوا أزواداً من أزواد القوم قد

(١) ويقال له الكنانى: حدث عنه أبو هريرة. (الإصابة ١٣/٢).

(٢) الكُدْر: قال الواقدي: بناحية المعدن قرية من الأرحضية بينها وبين المدينة ثمانية بُرٍ. وقال غيره: ماء لبني سليم. (معجم البلدان ٤٤١/٤).

(٣) انظر عنها في: تاريخ خليفة ٥٩، والطبقات الكبرى لابن سعد ٣٠/٢، وتاريخ الطبري ٤٨٣/٢ - ٤٨٥، والمغازي للواقدي ١٨١/١، ١٨٢، ودلائل النبوة للبيهقي ٤٣٣/٢، وأنساب الأشراف ٣١٠/١ رقم ٦٧٨، والكامل في التاريخ ٢/١٣٩، ١٤٠، وتاريخ الإسلام (المغازي)، ونهاية الأرب ١٧/٧٠.

(٤) السُّوَيْق: هو الحنطة أو الشعير المحمص المطحون والممزوج بالعسل والسمن.

(٥) القُلٌّ: المنهزمون.

(٦) كان الغُسل من الجنابة معمولاً به في الجاهلية. انظر: الروض الأنف ٣/١٤٢.

(٧) أثبتته محقق تاريخ الطبري ٤٨٤/٢ «تثبت». وانظر عيون الأثر ١/٢٩٦.

(٨) بطن له خير الناس: أطلعه على سرهم.

(٩) العَرِيض: واد بالمدينة، كأنه على صيغة التصغير من عرض أو عرض، والعرض كل واد فيه شجر. وقيل كل واد فيه قرى ومياه. وأعراض المدينة بطون سوادها أو تراها التي في أوديتها، ويقال للرساتيق بأرض الحجاز الأعراض. (معجم البلدان ١١٤/٤).

(١٠) أضوار: مفرد لها صُور. وهو جماعة النخل الصغار، ويقال لغير النخل من الشجر صُورٌ وصيران. (تاج العروس ١٢/٣٦٢).

طرحوها في الحَرْث يتخَفَّفون منها للنجاء، فقال المسلمون، حين رجع بهم رسول الله ﷺ: يا رسول الله، أتعلم لنا أن تكون غزوة؟ قال: نعم.

قال ابن هشام: وإنما سُمِّيت غزوة السَّوِيق، فيما حدَّثني أبو عُبَيْدة: أن أكثر ما طرح القوم من أزوادهم السَّوِيق، فهَجَم المسلمون على سَوِيق كثير، فسُمِّيت غزوة السَّوِيق.

قال ابن إسحاق: وقال أبو سُفْيَان بن حَزْب عند مُنْصرفه، لما صنع به سلام بن مُشْكم:

وإني تخيَّرتُ المدينة^(١) واحداً
لجَلْفٍ فلم أنْدم ولم أتَلوِّمِ
سقاني فرواني كَمَيْتاً مُدَامَةً^(٢)
على عَجَلٍ مني سلام بن مُشْكم
ولمَّا تولَّى الجيشُ قلتُ ولم أكنْ
لأفْرِحْه: أبشْرُ بعزٍّ ومَغْنَمِ
تأملُ فإنَّ القومَ سرَّ وإنهم
صريحُ لُؤْيٍ لَأَشْمَاطِيطُ جُزْهَمِ^(٣)
وما كان إلا بعض ليلةٍ راكبٍ
أتى ساعياً من غير خَلَّةٍ مُغْلِمِ^(٤)

غزوة ذي أمر^(٥)

فلما رجع رسول الله ﷺ من غزوة السَّوِيق، أقام بالمدينة بقية ذي الحجة أو قريباً منها، ثم غزا نجداً، يريد غطفان، وهي غزوة ذي أمر، واستعمل على المدينة عثمان بن عفان، فيما قال ابن هشام. قال ابن إسحاق: فأقام بنَجْدَ صَفْراً كلَّه أو قريباً من ذلك، ثم رجع إلى المدينة، ولم يَلْتَقَ كيداً. فَلَبِثَ بها شهر ربيع الأوَّلِ كلَّه، أو إلا قليلاً منه.

غزوة الفرع من بحران^(٦)

ثم غزا رسول الله ﷺ، يريد قريشاً، واستعمل على المدينة ابنَ أمِّ مَكْتوم، فيما قال ابن هشام. قال ابن إسحاق: حتى بلغ بُحْرَانَ^(٧)، مَعْدِنًا بالحجاز من ناحية الفُرْعِ^(٨)، فأقام بها شهر ربيع الآخر وجمادى الأولى، ثم رجع إلى المدينة ولم يَلْتَقَ كيداً.

(١) المدينة: أراد من المدينة. (٢) الكمية: اسم من أسماء الخمر. (نظام الغريب ٥٩).

(٣) السر والصريح: الخالص. والشمايط: المختلطون.

(٤) ورد البيت الثاني في المغازي للواقدي ١٨٢/١ وأنساب الأشراف ٣١٠/١ وأضاف بيتاً آخر ليس هنا.

وذلك أبو عمرو يجرود وداره بيشر ب ماوى كل بيض خضرم

(٥) انظر عنها في: المغازي للواقدي ١٩٣/١ - ١٩٦، وتاريخ خليفة ٦٥، وتاريخ الطبري ٤٨٧/٢، والطبقات الكبرى ٣٤، ونهاية الأرب ٧٧/١٧ - ٧٩، وعيون الأثر ٣٠٣/١، ٣٠٤، والبدء والتاريخ ١٩٧/٤، ١٩٨، والمحبتر ١١٢، وكانت في أول السنة الثالثة للهجرة.

(٦) انظر عن الغزوة في: تاريخ خليفة ٦٥، ٦٦، وتاريخ الطبري ٤٨٧/٢، والمغازي للواقدي ١٩٦/١، ١٩٧، وأنساب الأشراف ٣١١/١ رقم ٦٨١، والكامل في التاريخ ١٤٢/٢، ونهاية الأرب ٧٩/١٧، وتاريخ الإسلام (المغازي) والروض الأنف ١٤٢/٣.

(٧) بحران: بالضم، موضع بناحية الفُرْع. قال الواقدي: بين الفُرْع والمدينة ثمانية بُرْد. وقال ابن إسحاق: هو معدن بالحجاز في ناحية الفرع. وضيطة بعضهم بالفتح (بحران) (معجم البلدان ٣٤١/١).

(٨) الفُرْع: بالسكون، بين مكة والمدينة. وقال السهيلي في الروض الأنف ١٤٣/٣: الفُرْع بضمين: وهي أول قرية مارت اسماعيل وأمه التمر بمكة.

أمر بني قينقاع^(١)

قال: وقد كان فيما بين ذلك، من غزو رسول الله ﷺ أمر بني قينقاع، وكان من حديث بني قينقاع أن رسول الله ﷺ جمعهم بسوق بني قينقاع، ثم قال: يا معشر يهود، احذروا من الله مثل ما نزل بقريش من التهمة، وأسلموا، فإنكم قد عرفتم أنني نبي مرسل، تجدون ذلك في كتابكم وعهد الله إليكم؛ قالوا: يا محمد، إنك ترى أننا قومك! لا يعرفك أنك لقيت قوماً لا علم لهم بالحرب، فأصبحت منهم فرصة، وأنا والله لئن حاربناك لتعلمن أننا نحن الناس.

قال ابن إسحاق: فحدثني مولى لآل زيد بن ثابت عن سعيد بن جبير، أو عن عكرمة عن ابن عباس، قال: ما نزل هؤلاء الآيات إلا فيهم: ﴿قُلْ لِلذَّيْبِ كَفْرًا سَعْتُونَ وَتَحْسُرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وَيَسَّ إِلَيْهَا ۗ﴾ (١٧) ﴿قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِتْنَةِ النَّعْتِ﴾ (١٨) [آل عمران: ١٢، ١٣]، أي أصحاب بدر من أصحاب رسول الله ﷺ، وقريش ﴿فِتْنَةٌ تَعْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأَخْرَجَ كَافِرًا يَرَوْنَهُمْ يَمْشِيهِمْ رَأْيَ الْكَلْبِ وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِ مَن يَشَاءُ إِنَّكَ فِي ذَٰلِكَ لَلْأَوَّلِ الْأَبْصِرِ﴾ [آل عمران: ١٣].

قال ابن إسحاق: وحدثني عاصم بن عمر بن قتادة: أن بني قينقاع كانوا أول يهود نقضوا ما بينهم وبين رسول الله ﷺ، وحاربوا فيما بين بدر وأحد.

قال ابن هشام: وذكر عبد الله بن جعفر بن المسور بن مخرمة، عن أبي عون، قال: كان من أمر بني قينقاع أن امرأة من العرب قدمت بجلب^(٢) لها، فباعته بسوق بني قينقاع، وجلست إلى صائغ بها، فجعلوا يريدونها على كشف وجهها، فأبت، فعمد الصائغ إلى طرف ثوبها فعلقه إلى ظهرها، فلما قامت انكشفت سواتها، فضحكوا بها، فصاحت. فوثب رجل من المسلمين على الصائغ فقتله، وكان يهودياً، وشدت اليهود على المسلم فقتلوه، فاستصرخ أهل المسلم المسلمين على اليهود، فعضب المسلمون، فوقع الشر بينهم وبين بني قينقاع.

قال ابن إسحاق: وحدثني عاصم بن عمر بن قتادة، قال: فحاصرهم رسول الله ﷺ حتى نزلوا على حكمه، فقام إليه عبد الله ابن أبي بن سلول، حين أمكنه الله منهم، فقال: يا محمد، أحسن في موالي، وكانوا حلفاء الخزرج؛ قال: فأبطأ عليه رسول الله ﷺ؛ فقال: يا محمد أحسن في موالي، قال: فأعرض عنه. فأدخل يده في جيب دِرْع رسول الله ﷺ.

قال ابن هشام: وكان يقال لها: ذات الفضول.

قال ابن إسحاق: فقال له رسول الله ﷺ: أرسلني، وغضب رسول الله ﷺ حتى رأوا لوجهه ظللاً^(٣)، ثم قال: ويحك! أرسلني؛ قال: لا والله لا أرسلك حتى تُحسن في موالي، أربع مائة

(١) انظر عنهم في: الطبقات الكبرى ٢/٢٨ - ٣٠، والمغازي للواقدي ١/١٧٦ - ١٨٠، وتاريخ الطبري ٢/٤٧٩، ٤٨١، والبدء والتاريخ ٤/١٩٥، ١٩٦، وأنساب الأشراف ١/٣٠٨، ٣٠٩ رقم ٦٧٧، والكمال في التاريخ ٢/١٣٧ - ١٣٩، ونهاية الأرب ١٧/٦٧ - ٧٠، والروض الأنف ٣/١٤٣، وتاريخ الإسلام (المغازي).

(٢) الجلب: البضائع التي توضع في الأسواق للبيع.

(٣) الظلل: جمع ظللة، واستعاره هنا لتغيير الوجه وتجهمه.

حاسر^(١) وثلاث مائة دارع^(٢) قد منعوني من الأحمر والأسود، تخصصهم في غداة واحدة، إني والله امرؤ أخشى الدوائر؛ قال: فقال رسول الله ﷺ: «هم لك»^(٣).

قال ابن هشام: واستعمل رسول الله ﷺ على المدينة في محاصرته إياهم بشير ابن عبد المنذر، وكانت محاصرته إياهم خمس عشرة ليلة.

قال ابن إسحاق: وحدثني أبي إسحاق بن يسار، عن عبادة بن الوليد بن عبادة بن الصامت، قال: لما حاربت بنو قينقاع رسول الله ﷺ، تشبث بأمرهم عبد الله بن أبي بن سلول، وقام دونهم. قال: ومشى عبادة بن الصامت إلى رسول الله ﷺ، وكان أحد بني عوف، لهم من حلفه مثل الذي لهم من عبد الله بن أبي، فحلّعهم إلى رسول الله ﷺ، وتبرأ إلى الله عز وجل، وإلى رسوله ﷺ من حلفهم، وقال: يا رسول الله، أتولى الله ورسوله ﷺ والمؤمنين، وأبرأ من حلف هؤلاء الكفار وولايتهم. قال: ففيه وفي عبد الله بن أبي نزلت هذه القصة من المائدة: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٥٦﴾ فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ ﴿٥٧﴾﴾ [المائدة: ٥٦، ٥٧]، أي لعبد الله بن أبي وقوله: إني أخشى الدوائر ﴿يَسْتَرْعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَحْنُشَ أَنْ تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ فَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِنْدِهِ فَيُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا أَسْرُوا فِي أَنفُسِهِمْ تَلِيمًا ﴿٥٧﴾﴾ [المائدة: ٥٣، ٥٤]، ثم القصة إلى قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ ذَكَمُونَ ﴿٥٥﴾﴾ [المائدة: ٥٥]. وذكر لتولي عبادة بن الصامت الله ورسوله والذين آمنوا، وتبرته من بني قينقاع وحلفهم وولايتهم: ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ ﴿٥٦﴾﴾ [المائدة: ٥٦].

سرية زيد بن حارثة إلى القردة^(٤)

قال ابن إسحاق: وسريته زيد بن حارثة التي بعثه رسول الله ﷺ فيها، حين أصاب عير قريش، وفيها أبو سفيان بن حرب، على القردة^(٥)، ماء من مياه نجد. وكان من حديثها: أن قريشاً خافوا طريقهم الذي كانوا يسلكون إلى الشام، حين كان من وقعة بدر ما كان، فسلكوا طريق العراق، فخرج منهم تجار، فيهم: أبو سفيان بن حرب، ومعه فضة كثيرة، وهي عظم تجارتهم، واستأجروا رجلاً من بني بكر بن وائل، يقال له: فُرات بن حيان يدلهم في ذلك على الطريق.

قال ابن هشام: فُرات بن حيان، من بني عجل، حليف لبني سهم.

قال ابن إسحاق: وبعث رسول الله ﷺ زيد بن حارثة فلقيهم على ذلك الماء، فأصاب تلك العير وما فيها، وأعجزه الرجال، فقدم بها على رسول الله ﷺ.

(١) الحاسر: من لا درع له.

(٢) الدارع: من عليه درع.

(٣) تاريخ الطبري ٢/٤٨٠، المغازي للواقدي ١/١٧٧، ١٧٨، الطبقات الكبرى ٢/٢٩، البدء والتاريخ ٤/١٩٥، ١٩٦، أنساب الأشراف ١/٣١١، نهاية الأرب ١٧/٦٩.

(٤) انظر عنها في: المغازي للواقدي ١/١٩٧، ١٩٨، والطبقات الكبرى ٢/٣٦، وتاريخ الطبري ٢/٤٩٢، والبدء والتاريخ ٤/١٩٨، والكمال في التاريخ ٢/١٤٥، ونهاية الأرب ١٧/٨٠، وعيون الأثر ١/٣٠٤، ٣٠٥.

(٥) القردة: بالتحريك. كما في معجم البلدان ٤/٣٢٢ وأثبتها ابن الأثير (القردة) بالفاء المفتوحة والراء الساكنة، ماء بنجد. مات به زيد الخيل، ويرد ذكره، وضبطه ابن الفرات في غير موضع قردة بالقاف. (الكمال ٢/١٤٥).

فقال حسان بن ثابت بعد أخذ في غزوة بدر الآخرة يؤنب قريشاً لأخذهم تلك الطريق:

دَعُوا فَلَجَاتِ الشَّامِ قَدْ حَالَ دُونَهَا جَلَادٌ كَأَفْوَاهِ الْمَخَاضِ الْأَوَارِكِ^(١)
بِأَيْدِي رِجَالٍ هَاجَرُوا نَحْوَ رَبِّهِمْ وَأَنْصَارِهِ حَقًّا وَأَيْدِي الْمَلَائِكِ
إِذَا سَلَكَتْ لِلغُورِ مِنْ بَطْنِ عَالِجٍ^(٢) فَقولَا لَهَا لَيْسَ الطَّرِيقُ هُنَالِكَ

قال ابن هشام: وهذه الأبيات في أبيات لحسان بن ثابت، نقضها عليه أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب، وسنذكرها ونقيضتها إن شاء الله في موضعها.

مقتل كعب بن الأشرف^(٣)

قال ابن إسحاق: وكان من حديث كعب بن الأشرف: أنه لما أصيب أصحاب بدر، وقدم زيد بن حارثة إلى أهل السافلة، وعبد الله بن رواحة إلى أهل العالية بشيرين، بعثهما رسول الله ﷺ إلى من بالمدينة من المسلمين بفتح الله عز وجل عليه، وقتل من قتل من المشركين، كما حدثني عبد الله بن المغيث بن أبي بزة الطفري، وعبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم، وعاصم بن عمر ابن قتادة، وصالح بن أبي أمامة بن سهل، كل قد حدثني بعض حديثه، قالوا: قال كعب بن الأشرف، وكان رجلاً من طيء، ثم أحد بني نبهان، وكانت أمه من بني النضير، حين بلغه الخبر: أحق هذا؟ أترون محمداً قتل هؤلاء الذين يُسمي هذان الرجلان - يعني زيداً وعبد الله بن رواحة - فهؤلاء أشرف العرب وملوك الناس، والله لئن كان محمداً أصاب هؤلاء القوم، لبطن الأرض خبزاً من ظهرها.

فلما تيقن عدو الله الخبر، خرج حتى قدم مكة، فنزل على المطلب بن أبي وداعة بن ضبيرة السهمي، وعنده عاتكة بنت أبي العيص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف، فأنزله وأكرمه، وجعل يحرض على رسول الله ﷺ، وينشد الأشعار، ويبكي أصحاب القليب من قريش، الذين أصيبوا ببدر، فقال:

طَحَنَتْ رَحَى بَدْرِ لِمَهْلِكِ أَهْلِهِ وَلَمَثَلِ بَدْرِ تَسْتَهْلُ وَتَذَمُّعُ
قُتِلَتْ سَرَاءُ النَّاسِ حَوْلَ حِيَاضِهِمْ لَا تَتَّبَعُوا إِنْ الْمُلُوكُ تُصَرِّعُ
كَمْ قَدْ أَصِيبَ بِهِ مَنْ أَبْيَضَ مَاجِدِ ذِي بَهْجَةٍ يَاوِي إِلَيْهِ الضُّيِّعُ
طَلَّقَ الْيَدِينَ إِذَا الْكُوكَبُ أَخْلَفَتْ حَمَالُ أَثْقَالٍ يَسُودُ وَيَرْزَعُ^(٤)

(١) الفلجات: العيون الجارية. والمخاض: حوامل الإبل: والأوارك: التي ترعى شجر الأراك الذي تتخذ من أغصانه المساويك.

(٢) الغور: ما انخفض من الأرض. وبطن عالج: مكان.

(٣) انظر عنه في: المغازي للواقدي ١/١٨٤ وما بعدها، والمغازي لعروة ١٦٢، ١٦٣، والطبقات الكبرى ٢/٣١-٣٤، وتاريخ الطبري ٢/٤٨٩، ٤٩٠، وأنساب الأشراف ١/٣٨٤، والبداية والتاريخ ٤/١٩٧، والكامل في التاريخ ٤/١٩٧، والكامل في التاريخ ٢/١٤٣، ١٤٤، وعيون الأثر ١/٢٩٩، ٣٠٠، وفتح الباري ٧/٣٣٧-٣٤٠، وصحيح مسلم في الجهاد (١٢١)، وتاريخ الإسلام (المغازي)، ونهاية الأرب ١٧/٧٢-٧٧، وشرح المواهب ٢/١٥، وعيون التواريخ ١/١٤٨-١٥٠، وسيرة ابن كثير ٣/٩-١٧. والروض الأنف ٣/١٤٥-١٤٧.

(٤) يربع: أي يأخذ المربع أي ربع الغنيمة وهو من نصيب الرؤساء في الجاهلية.

ويقول أقوام أسراً^(١) بسخطهم صدقوا فليت الأرض ساعة قتلوا صار الذي أتر الحديث بطغنه نُبِئت أن بني المغيرة كلهم وإنا رببعة عنده ومُتَبِّة نُبِئت أن الحارث بن هشامهم لِيَزورَ يثربَ بالجُموع وإنما قال ابن هشام: قوله «تبع»، «وأسر بسخطهم». عن غير ابن إسحاق.

قال ابن إسحاق: فأجابه حسان بن ثابت الأنصاري، فقال:

أبكى لكعب ثم عل^(٤) بعبرة ولقد رأيت ببطن بدر منهم فابكي فقد أبكىت عبداً راضعاً ولقد شفى الرحمن منا سيذاً ونجا وأفلت منهم من قلبه

منه وعاش مُجَدَّعاً لا يَسْمَعُ؟ قَتلى تَسْخُ لها العيون وتذمَع شِبُه الكَلِيبِ إلى الكَلِيبَةِ يَثْبَعُ وأهانَ قَوْمًا قاتلوه وضرعوا شَغَفٌ^(٥) يَظَلُّ لَحْزَفُه يَتَصَدَّعُ^(٦)

قال ابن هشام: وأكثر أهل العلم بالشعر يُنكرها لحسان. وقوله «أبكى لكعب» عن غير ابن

إسحاق.

قال ابن إسحاق: وقالت امرأة من المسلمين من بني مُرَيْد، بطن من بلي، كانوا حلفاء في بني أمية بن زيد؛ يقال لهم: الجعادرة، تُجيب كعباً. قال ابن إسحاق: اسمها ميمونة بنت عبد الله، وأكثر أهل العلم بالشعر ينكر هذه الأبيات لها، وينكر تقيضتها لكعب بن الأشرف:

تَحْتُنْ هذا العبدُ كلُّ تَحْتُنْ بكت عين من يبكي لبدر وأهله
يُبكى على قتلي وليس بناصبٍ وعلت بمثلها لؤي بن غالب

(١) في المغازي للواقدي «أذل»، وفي أنساب الأشراف: «ويقول أقوام غوي أمرهم».

(٢) التجديع: قطع الأنوف، وهو هنا كناية عنالذل.

(٣) في أنساب الأشراف «يسمى على الحسب القديم الأروع». والأروع: من يبهرك حسنه.

وقد وردت ثمانية أبيات في المغازي للواقدي ١/١٨٥، ١٨٦ مع تقديم وتأخير. وفي أنساب الأشراف ١/٢٨٤ ستة أبيات، وكذلك في تاريخ الإسلام (المغازي)، وفي نسب قريش بيتان فقط هما الأخيران باختلاف الألفاظ. وفي شرح السير الكبير ١/٢٧٠ البيت الأول فقط.

(٤) العلل: الشرب بعد الشرب واستعاره هنا لمداومة البكاء.

(٥) الشغف: من تقطع شغاف قلبه حزناً.

(٦) الأبيات في المغازي للواقدي ١/١٨٦ بزيادة بيت في آخرها:

ونجا وأفلت منهم متسرّعاً قل قليل هارب يتهزّع

انظر الروض الأنف ٣/١٤٥ وتاريخ الطبري ٢/٤٨٨، وتاريخ الإسلام (المغازي).

فَلَيْتَ الَّذِينَ ضُرِّجُوا بِدِمَائِهِمْ
فَيَعْلَمُ حَقًّا عَنِ يَقِينِ وَيُبْصِرُوا
أَلَا فَازِجُورًا مِنْكُمْ سَفِيهًا لَتَسْلَمُوا
أَتَشْتُمْنِي أَنْ كُنْتُ أَبْكِي بَعْبِرَةَ
فَإِنِّي لِبَاكِكَ مَا بَقِيْتُ وَذَاكَر
لِعَمْرِي لَقَدْ كَانَتْ مُرَيَّدًا بِمَغْزِلِ
فَحَقُّ مُرَيَّدٍ أَنْ تُجَدَّ أَنْوَقُهُمْ
وَهَبْتُ نَصِيبِي مِنْ مُرَيَّدٍ لَجَعْدَر

يَرَى مَا بِهِمْ مِنْ كَانَ بَيْنَ الْأَخَاشِبِ^(١)
مَجْرَهُمْ فَوْقَ اللَّحَى وَالْحَوَاجِبِ
عَنِ الْقَوْلِ يَأْتِي مِنْهُ غَيْرَ مُقَارِبِ
لَقَوْمٍ أَتَانِي وَدُهُمْ غَيْرُ كَاذِبِ
مَاتَرُ قَوْمٍ مَجْدُهُمْ بِالْجَبَابِبِ^(٢)
عَنِ الشَّرِّ فَاحْتَالَتْ وَجُوهُ الثُّعَالِبِ
بَشْتَمَهُمْ حَيِّي لَوْيِّ بْنِ غَالِبِ
وَفَاءٌ وَبَيْتُ اللَّهِ بَيْنَ الْأَخَاشِبِ

ثم رجع كعب بن الأشرف إلى المدينة فشبَّ بنساء المسلمين حتى آذاهم^(٣). فقال رسول الله ﷺ، كما حدثني عبد الله بن المغيث بن أبي بريدة: مَنْ لِي بَابِنِ الْأَشْرَفِ؟ فَقَالَ لَهُ مُحَمَّدُ بْنُ مَسْلَمَةَ، أَخُو بَنِي عَبْدِ الْأَسْهَلِ: أَنَا لَكَ بِهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَنَا أَقْتَلُهُ؛ قَالَ: «فَاعْمَلْ إِنْ قَدَرْتَ عَلَى ذَلِكَ»^(٤). فرجع محمد بن مسلمة فمكث ثلاثاً لا يأكل ولا يشرب إلا ما يُغلق به نفسه، فذكر ذلك لرسول الله ﷺ، فدعاه، فقال له: لِمَ تَرَكْتَ الطَّعَامَ وَالشَّرَابَ؟ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، قُلْتَ لَكَ قَوْلًا لَا أُدْرِي هَلْ أَقِينُ لَكَ بِهِ أَمْ لَا؟ فَقَالَ: إِنَّمَا عَلَيْكَ الْجَهْدُ؛ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّهُ لَا بَدَّ لَنَا مِنْ أَنْ نَقُولَ: قَالَ: قَوْلُوا مَا بَدَا لَكُمْ، فَأَنْتُمْ فِي حَلٍّ مِنْ ذَلِكَ. فاجتمع في قتله محمد بن مسلمة، وسيلكان بن سلامة ابن وقش، وهو أبو نائلة، أحد بني عبد الأشهل، وكان أخا كعب بن الأشرف من الرضاعة، وعبيد بن بشر بن وقش، أحد بني عبد الأشهل، والحارث بن أوس بن معاذ، أحد بني عبد الأشهل، وأبو عبس ابن جبر، أحد بني حارثة؛ ثم قَدَّمُوا إِلَى عَدُوِّ اللَّهِ كَعْبِ بْنِ الْأَشْرَفِ، قَبْلَ أَنْ يَأْتُوهُ، سِلْكَانَ بْنِ سَلَامَةَ، أَبَا نَائِلَةَ، فَجَاءَهُ، فَتَحَدَّثَ مَعَهُ سَاعَةً، وَتَنَاشَدُوا شِعْرًا، وَكَانَ أَبُو نَائِلَةَ يَقُولُ الشَّعْرَ، ثُمَّ قَالَ: وَيْحَكَ يَا بَنِي الْأَشْرَفِ! إِنِّي قَدْ جِئْتُكَ لِحَاجَةٍ أُرِيدُ ذِكْرَهَا لَكَ، فَاتَّكُمُ عَنِّي؛ قَالَ: أَفْعَلُ؟ قَالَ: كَانَ قُدُومُ هَذَا الرَّجُلِ عَلَيْنَا بِلَاءٌ مِنَ الْبِلَاءِ، عَادَتْنَا بِهِ الْعَرَبُ، وَرَمَتْنَا عَنْ قَوْسٍ وَاحِدَةٍ، وَقَطَّعَتْ عَنَّا السُّبُلَ حَتَّى ضَاعَ الْعِيَالُ، وَجُهِدَتِ الْأَنْفُسُ، وَأَضْبَحْنَا قَدْ جُهِدْنَا وَجَهْدَ عِيَالِنَا؛ فَقَالَ كَعْبٌ: أَنَا ابْنُ الْأَشْرَفِ، أَمَا وَاللَّهِ لَقَدْ كُنْتُ أَخْبِرُكَ يَا بَنِي سَلَامَةَ أَنَّ الْأَمْرَ سَيَصِيرُ إِلَى مَا أَقُولُ؛ فَقَالَ لَهُ سِلْكَانُ: إِنِّي قَدْ أَرَدْتُ أَنْ تَبِيعَنَا طَعَامًا وَنَزْهَنًا وَتُوثِقَ لَكَ، وَتُحْسِنَ فِي ذَلِكَ؛ فَقَالَ: أَتَزْهِنُونِي أَبْنَاءَكُمْ؟ قَالَ: لَقَدْ أَرَدْتُ أَنْ تَفْضَحْنَا إِنْ مَعِيَ أَصْحَابًا لِي عَلَى مِثْلِ رَأْيِي، وَقَدْ أَرَدْتُ أَنْ آتِيكَ بِهِمْ، فَتَبِيعَهُمْ وَتُحْسِنَ فِي ذَلِكَ، وَنَزْهَنًا مِنَ الْحَلْفَةِ مَا فِيهِ وَفَاءً، وَأَرَادَ سِلْكَانُ أَنْ لَا يُتَّكِرَ السُّلَاحُ إِذَا جَاؤُوا بِهَا؛ قَالَ: إِنْ فِي

(١) الأخاشب: جبال مكة.

(٢) الجبابب: منازل مكة.

(٣) يروى أنه شبَّ بأم الفضل زوج العباس بن عبد المطلب فقال آياتاً مطلعها:

أراحل أنت لم ترحل لمنقبتة وتارك أنت أم الفضل بالحرم

(٤) فيه من الفقه: وجوب قتل من سب النبي ﷺ - وإن كان ذا عهد - خلافاً لأبي حنيفة رحمه الله فإنه لا يرى قتل الذمي في مثل هذا، ووقع في كتاب شرف المصطفى أن الذين قتلوا كعب بن الأشرف حملوا رأسه في مخلاة إلى المدينة، فقيل: إنه أول رأس حُمِلَ في الإسلام. (الروض الأنف ٣/١٤٥).

الحلقة^(١) لوفاء؛ قال: فرجع سُلُكَّان إلى أصحابه فأخبرهم خبره، وأمرهم أن يأخذوا السلاح، ثم يَطلِقوا فيجتمعوا إليه، فاجتمعوا عند رسول الله ﷺ.

قال ابن هشام: ويقال: أترهوني نساءكم؟ قال: كيف تَرُزْهَنك نساءنا، وأنت أشبَّ أهل يَثْرِبَ وأعطوهم، قال: أترهوني أبناءكم؟

قال ابن إسحاق: فحدَّثني ثور بن زيد، عن عكرمة، عن ابن عباس. قال: مشى معهم رسول الله ﷺ إلى بَقِيعِ العَرَقَد، ثم وجَّههم، فقال: انطلقوا على اسم الله؛ اللهم أعنهم، ثم رجع رسول الله ﷺ إلى بيته، وهو في ليلة مُقْمِرَة، وأقبلوا حتى انتهوا إلى حصنه، فهتف به أبو نائلة، وكان حديث عهد بعُزْس، فوثب في ملحفته، فأخذت امرأته بناجيتها، وقالت: إنك امرؤ محارب، وإن أصحاب الحزب لا يَنزِلون في هذه السَّاعة؛ قال: إنه أبو نائلة، لو وجدني نائماً لما أيقظني؛ فقالت: والله إنني لأعرف في صوته الشر؛ قال: يقول لها كعب: لو يُدعى الفتى لَطَعْنَة لأجاب. فنزل فتحدَّث معهم ساعة، وتحدَّثوا معه، ثم قال: هل لك يا ابن الأشرف أن تتماشى إلى شُعب العَجوز^(٢)، فتحدَّث به بقية ليلتنا هذه؟ قال: إن شئتم. فخرجوا يتماشون، فمشوا ساعة، ثم إن أبا نائلة شام^(٣) يده في فؤد رأسه، ثم شمَّ يده فقال: ما رأيت كالليلة طيباً أعطر قط، ثم مشى ساعة، ثم عاد لمثلها حتى اطمأن، ثم مشى ساعة، ثم عاد لمثلها، فأخذ بفؤد رأسه، ثم قال: اضربوا عدو الله، فضربوه، فاختلفت عليه أسيافهم، فلم تُغن شيئاً.

قال محمد بن مسلمة: فذكرت مغولاً^(٤) في سيفي، حين رأيت أسيافنا لا تُغني شيئاً، فأخذته، وقد صاح عدو الله صيحة لم يبق حولنا حصن إلا وقد أوقدث عليه ناراً قال: فوضعت في ثنته^(٥) ثم تحاملت عليه حتى بلغت عاتقه فوق عدو الله، وقد أصيب الحارث بن أوس بن معاذ، فجرح في رأسه أو في رجله، أصابه بعض أسيافنا. قال: فخرجنا حتى سلكننا على بني أمية بن زيد، ثم على بني قريظة، ثم على بُعات حتى أسندنا^(٦) في حرة^(٧) العريض^(٨)، وقد أبطأ علينا صاحبنا الحارث بن أوس، ونزفه الدم، فوقفنا له ساعة، ثم أتانا يتبع آثارنا. قال: فاحتملناه فجئنا به رسول الله ﷺ آخر الليل، وهو قائم يصلي، فسلمنا عليه، فخرج إلينا، فأخبرنا به بقتل عدو الله، وتقل على جرح صاحبنا، فرجع ورجعنا إلى أهلنا فأصبحنا وقد خافت يهود لوقعتنا بعدو الله، فليس بها يهودي إلا وهو يخاف على نفسه^(٩).

(١) الحلقة: الدروع.

(٢) مكان خرج المدينة. وفي شرح السير الكبير ١/ ٢٧٤ «شرح العجوز».

(٣) سام: أدخل.

(٤) المغول: حديدة تجعل في السوط فيكون لها غلافاً.

(٥) الثنة: ما بين الشرة والعانة. وفي شرح السير «فوضعت في سرته».

(٦) أسندنا: ارتفعنا. (٧) الحرة: الأرض ذات الحجارة السود.

(٨) العريض: وادي المدينة.

(٩) الخبر رواه البخاري بلفظ آخر في كتاب المغازي (١١٥/٥) باب قتل كعب بن الأشرف. وأبو داود في كتاب الخراج والإمارة والقيء (١٣٨/٢) باب كيف كان إخراج اليهود من المدينة.

قال ابن إسحاق: فقال كعب بن مالك:

فَعُودِرْ مِنْهُمْ كَعْبٌ صَرِيحاً
عَلَى الْكُفَّيْنِ ثُمَّ وَقَدَ عَلَتْهُ
بِأَمْرِ مُحَمَّدٍ إِذْ دَسَّ لَيْلَاً
فَمَا كَرَهُ فَأَنْزَلَهُ بِمَكْرٍ

قال ابن هشام: وهذه الأبيات في قصيدة له في يوم بني النضير، سأذكرها إن شاء الله في حديث ذلك اليوم.

قال ابن إسحاق: وقال حسان بن ثابت يذكر قتل كعب بن الأشرف وقتل سلام بن أبي الحقيق:

لِللَّهِ دَرٌّ عَصَابَةٌ لَأَقِيَّتِهِمْ
يَسْرُونَ بِالْبَيْضِ الْخِفَافِ إِلَيْكُمْ
حَتَّى أَتَوْكُمْ فِي مَحَلِّ بِلَادِكُمْ
مُسْتَنْصَرِينَ^(٥) لِنَصْرِ دِينِ نَبِيِّهِمْ

قال ابن هشام: وسأذكر قتل سلام بن أبي الحقيق في موضعه إن شاء الله. وقوله: «ذُفِّفَ»، عن غير ابن إسحاق.

أمر مُحَيِّصَة وَحُوَيْصَة^(٨)

قال ابن إسحاق: وقال رسول الله ﷺ: مَنْ ظَفَرْتُمْ بِهِ مِنْ رِجَالِ يَهُودٍ فَاقْتُلُوهُ، فوثب مُحَيِّصَة بن مسعود - قال ابن هشام: مُحَيِّصَة بن مسعود ابن كعب بن عامر بن عدي بن مَجْدَعَة ابن حارثة بن الحارث بن الخَزْرَج بن عمرو بن مالك بن الأوس - على ابن سُبَيْنَة - قال ابن هشام: ويقال سُبَيْنَة - رجل من تجار يهود، كان يلبسهم ويبياعهم فقتله وكان حُوَيْصَة بن مسعود إذ ذاك لم يُسَلِّمْ، وكان أسنَّ من مُحَيِّصَة، فلما قتله جعل حُوَيْصَة يضربه، ويقول: أي عدو الله، أقتلته، أما والله لرُبِّ شحم في بطنك من ماله. قال مُحَيِّصَة؛ فقلت: والله لقد أمرني بقتله من لو أمرني بقتلك لضربتُ عنقك؛ قال: فوالله إن كان لأوَّلِ إسلام حُوَيْصَة، قال: أو الله لو أمرك محمدٌ بقتلي لقتلتني؟ قال: نعم، والله لو أمرني بضرب عنقك لضربتُها! قال: والله إن ديناً بلغ بك هذا لعجب، فأسلم حُوَيْصَة^(٩).

(١) الأبيات في سيرة ابن كثير ١٥/٣، وفي البدء والتاريخ ١٩٧/٤ بيت واحد.

(٢) في تاريخ الطبري «بطراً».

(٣) المغرف: الملفت الشجر.

(٤) البيض الذُفِّف: السيوف سريعة القتل.

(٥) في تاريخ الطبري «مستضعفين».

(٦) الأبيات في تاريخ الطبري ٤٩٧/٢ وديوان حسان ٢٧٢، ٢٧٣.

(٨) انظر عنهما في: تاريخ الطبري ٤٩١/٢، والمحبر ١٢١، والمغازي للواقدي ١/١٩٢، والكامل في التاريخ ١٤٤/٢،

وسيرة ابن كثير ١٥/٣، ١٦، وعيون الأثر ٣٠١/١، ٣٠٢، وشرح السير الكبير ١/٢٧٦.

(٩) تاريخ الطبري ٤٩١/٢.

قال ابن إسحاق: حدّثني هذا الحديث مؤلّى لبني حارثة، عن ابنه مُحَيِّصَة، عن أبيها مُحَيِّصَة. فقال مُحَيِّصَة في ذلك:

يَلُومُ ابْنَ أُمِّي لَوْ أَمَرْتُ بِقَتْلِهِ لَطَبَّقْتُ ذُفْرَاهُ بِأَبْيَضِ قَاضِبٍ^(١)
حُسامَ كَلُونِ المَلْحِ أَخْلَصَ صَفْلَهُ متى ما أَصَوْنَهُ فليسَ بِكَاذِبِ
وَمَا سَرَّني أَني قَتَلْتُكَ طائِعاً وأنَّ لنا ما بينَ بُضْرِي وَمَأْرِبِ^(٢)

قال ابن هشام: وحدّثني أبو عُبَيْدَة عن أبي عمرو المَدَنِي، قال: لما ظفر رسولُ الله ﷺ ببني قُريظة أخذ منهم نحواً من أربع مائة رجل من اليهود، وكانوا حلفاء الأوس على الخزرج، فأمر رسولُ الله ﷺ بأن تُضرب أعناقهم، فجعلت الخزرج تُضرب أعناقهم ويسرهم ذلك، فنظر رسولُ الله ﷺ إلى الخزرج ووجوههم مستبشرة، ونظر إلى الأوس فلم يرَ ذلك فيهم، فظنَّ أن ذلك للحلف الذي بين الأوس وبين بني قُريظة ولم يكن بقي من بني قُريظة إلا اثنا عشر رجلاً، فدفعهم إلى الأوس، فدفع إلى كلِّ رجلين من الأوس رجلاً من بني قُريظة وقال: ليضرب فلاناً وليذُف فلان، فكان ممَّن دفع إليهم كعب بن يهوذا، وكان عظيماً في بني قُريظة، فدفعه إلى مُحَيِّصَة بن مسعود، وإلى أبي بُردة بن نيار - وأبو بُردة الذي رخص له رسولُ الله ﷺ في أن يذبح جَدْعاً من المَعز في الأضحى - وقال: ليضربه مُحَيِّصَة وليذُف عليه أبو بُردة، فضربه مُحَيِّصَة ضربةً لم تقطع، وذُف أبو بُردة فأجهز عليه. فقال حُويصة، وكان كافراً، لأخيه مُحَيِّصَة: أقتلت كعب بن يهوذا؟ قال: نعم؛ فقال حُويصة: أما والله لربُّ شَحْم قد نَبَت في بَطْنِكَ من ماله، إنك للثيم يا مُحَيِّصَة؛ فقال له مُحَيِّصَة: لقد أمرني بقتله من لو أمرني بقتلك لقتلتك؛ فعجب من قوله ثم ذهب عنه متعجباً. فذكروا أنه جعل يتيقظ من الليل؛ فيعجب من قول أخيه مُحَيِّصَة. حتى أصبح وهو يقول: والله إن هذا لدين. ثم أتى النبي ﷺ فأسلم، فقال مُحَيِّصَة في ذلك آياتاً قد كتبناها.

قال ابن إسحاق: وكانت إقامة رسول الله ﷺ، بعد قدومه من نَجْران، جمادى الآخرة ورجباً وشعبان وشهر رمضان، وغزته قُريشُ غزوةً أُحد في شوال سنة ثلاث.

غزوة أحد^(٣)

وكان من حديث أُحد، كما حدّثني محمد بن مُسلم الزُهري ومحمد بن يحيى بن حبان وعاصم ابن عمر بن قَتادة والحُصَيْن بن عبد الرحمن بن عمرو بن سعد بن معاذ وغيرهم من علمائنا، كلُّهم قد حدّث بعضَ الحديث عن يوم أُحد، وقد اجتمع حديثهم كُلُّه فيما سَقْتُ من هذا الحديث عن يوم أُحد قالوا، أو من قاله منهم:

(١) طبقت: قطعت: والذفران: عظام ناتئان خلف الأذنين، والأبيض: يريد به السيف، والقاضب: القاطع. (شرح أبي ذر ٢١٦).

(٢) الأبيات في المغازي للواقدي ١/١٩٢، وسيرة ابن كثير ٣/١٦، وعيون الأثر ١/٣٠٢. وشرح السير الكبير ١/٢٧٦.

(٣) انظر عنها في: المغازي لعروة ١٦٨ - ١٧٣، والمغازي للواقدي ١/١٩٩ - ٣٠٠، والسير والمغازي ٣٢٢ - ٣٣٦، والطبقات الكبرى ٢/٣٦ - ٤٨، وتاريخ خليفة ٦٧، ٦٨، والمحبّر ١١٢، ١١٣، وتاريخ الطبري ٢/٤٩٩ - ٥٣٣، وأنساب الأشراف ١/٣١١ - ٣٣٨، والمعرفة والتاريخ ٣/٢٥٧، ٢٥٨، والدرر في المغازي والسير ١٥٣ وما بعدها، وجوامع السيرة ٥١٦، والكامل في التاريخ ٢/١٤٨ - ١٦٣، ونهاية الأرب ١٧/٨١ - ١٢٥.

لما أصيب يوم بدر من كُفَّار قُرَيْش أصحاب القليب، ورجع فلهم إلى مكة، ورجع أبو سفيان بن حرب بغيره، مَسَى عبدُ الله بن أبي ربيعة، وعكرمة بن أبي جهل، وصفوان بن أمية، في رجال من قُرَيْش، ممن أصيب أبائهم وأبناؤهم وإخوانهم يوم بدر، فكلموا أبا سفيان بن حرب، ومن كانت له في تلك العير من قُرَيْش تجارة، فقالوا: يا معشر قُرَيْش، إن محمداً قد وتركم، وقتل خياركم، فأعيثونا بهذا المال على حرب، ففعلنا نذكرك منه فأرنا بمن أصاب منا، ففعلوا.

قال ابن إسحاق: ففيهم، كما ذكر لي بعض أهل العلم، أنزل الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُخْرَجُونَ﴾ [الأنفال: ٣٦].

اجتماع قريش للحرب: فاجتمعت قريش لحرب رسول الله ﷺ حين فعل ذلك أبو سفيان بن حرب، وأصحاب العير بأحابيشها^(١)، ومن أطاعها من قبائل كنانة، وأهل تهامة، وكان أبو عزة عمرو بن عبد الله الجمحي قد من عليه رسول الله ﷺ يوم بدر، وكان فقيراً ذا عيال وحاجة، وكان في الأسارى فقال: إني فقير ذو عيال وحاجة قد عرفتها فامنن علي صلي الله عليك وسلم؛ فمن عليه رسول الله ﷺ. فقال له صفوان بن أمية: يا أبا عزة إنك امرؤ شاعر، فأعنا بلسانك، فاخرج معنا؛ فقال: إن محمداً قد من علي فلا أريد أن أظاهر عليه؛ قال: بلى فأعنا بنفسك، فلك الله علي إن رجعت أن أغنيك، وإن أصبت أن أجعل بناتك مع بناتي، يُصيبهن ما أصابهن من عشر ويُسر. فخرج أبو عزة في تهامة، ويدعو بني كنانة ويقول:

إيها بني عبد مناة الرزّام
لا تعدوني نصركم بعد العام
أنتم حُماة وأبوكم حام^(٢)
لا تُسلموني لا يحل إسلام^(٣)

وخرج مسافع بن عبد مناف بن وهب بن خذافة بن جمح إلى بني مالك بن كنانة، يحرضهم ويدعوهم إلى حرب رسول الله ﷺ، فقال:

يا مال، مال الحسب المُقَدّم
من كان ذا رُحْمٍ ومن لم يَزَحْمِ
أنشد ذا القُربى وذا التُدْمِ^(٤)
الجِلْفَ وَسَطَ البَلَدِ المَحْرَمِ

عند حطيم الكعبة المُعظّم^(٥)

ودعا جُبَيْر بن مُطعم غلاماً له حبشياً يقال له: وَخْشي، يُقذِف بحربة له قذِف الحبشة، قلماً يُخطيء بها، فقال له: اخرج مع الناس، فإن أنت قتلت حمزة عم محمد بعمي طعيمة بن عدي، فأنت عتيق.

(١) الأحابيش من انضموا إليهم وليسوا منهم.

(٢) الرزّام: من يبتون في مكانهم لا يبرحونه: يذكر أنهم ثابتون في الحرب. (شرح أبي ذر ٢١٦).

(٣) انظر: المغازي للواقدي ٢٠١/١، والسير والمغازي لابن إسحاق ٣٢٣، وأنساب الأشراف ١ - ٣١٢، وطبقات الشعراء لابن سلام ٢١٣، وتاريخ الإسلام (المغازي)، والسيرة لابن كثير ٢٠/٣، مع اختلاف في الترتيب والألفاظ وزيادة.

(٤) يا مال: أراد يا مالك فرحمه. وذو التدم: الذي له ذمام، والذمام: العهد.

(٥) سيرة ابن كثير ٢٠/٣.

قال فخرجت فُرَيْشٌ بَحْدَهَا وَجَدَّهَا وَحَدِيدَهَا وَأَحَابِيشَهَا، وَمَنْ تَابَعَهَا مِنْ بَنِي كِنَانَةَ، وَأَهْلِ تِهَامَةَ، وَخَرَجُوا مَعَهُم بِالطُّغْنِ^(١) التَّمَّاسَ الْحَفِيظَةَ، وَالْأَيُّوفِيَّةَ. فَخَرَجَ أَبُو سُفْيَانَ بْنُ حَزْبٍ، وَهُوَ قَائِدٌ النَّاسِ، بِهَنْدِ بِنْتِ عَتَبَةَ، وَخَرَجَ عِكْرَمَةُ بْنُ أَبِي جَهْلٍ بِأُمَّ حَكِيمِ بِنْتِ الْحَارِثِ بْنِ هِشَامِ بْنِ الْمُغِيرَةِ، وَخَرَجَ الْحَارِثُ بْنُ هِشَامِ بْنِ الْمُغِيرَةِ بِفَاطِمَةَ بِنْتِ الْوَلِيدِ بْنِ الْمُغِيرَةِ، وَخَرَجَ صَفْوَانُ بْنُ أُمَيَّةَ بِنْتِ سَعْدِ بْنِ عَمْرِو بْنِ عُمَيْرِ الثَّقَفِيَّةِ، وَهِيَ أُمُّ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ صَفْوَانَ بْنِ أُمَيَّةَ^(٢).

قال ابن هشام: ويقال: رِقِيَّةٌ.

قال ابن إسحاق: وخرج عمرو بن العاص برِئِطَةَ بِنْتِ مُنْبَهَةَ بْنِ الْحَجَّاجِ وَهِيَ أُمُّ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِو، وَخَرَجَ طَلْحَةُ بْنُ أَبِي طَلْحَةَ وَأَبُو طَلْحَةَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ الْعَزْزِيِّ بْنِ عَثْمَانَ بْنِ عَبْدِ الدَّارِ، بِسُلَافَةَ بِنْتِ سَعْدِ بْنِ شَهِيدِ الْأَنْصَارِيَّةِ وَهِيَ أُمُّ بَنِي طَلْحَةَ: مُسَافِعُ وَالْجَلَّاسُ وَكِلَابٌ، قُتِلُوا يَوْمَئِذٍ هُمْ وَأَبُوهُمْ؛ وَخَرَجَتْ خُنَّاسُ بِنْتِ مَالِكِ بْنِ الْمُضَرَّبِ إِحْدَى نِسَاءِ بَنِي مَالِكِ بْنِ حِجْلٍ مَعَ ابْنِهَا أَبِي عَزِيزِ بْنِ عُمَيْرٍ، وَهِيَ أُمُّ مَضْعَبِ بْنِ عَمِيرٍ؛ وَخَرَجَتْ عَمْرَةَ بِنْتُ عَلْقَمَةَ إِحْدَى نِسَاءِ بَنِي الْحَارِثِ بْنِ عَبْدِ مَنَاءَةَ بْنِ كِنَانَةَ. وَكَانَتْ هِنْدُ بِنْتُ عُتْبَةَ كُلَّمَا مَرَّتْ بِوَحْشِيٍّ أَوْ مَرَّ بِهَا، قَالَتْ: وَنَهَا^(٣) أَبَا دَسْمَةَ اشْفُفْ وَاسْتَشْفُفْ، وَكَانَ وَحْشِيٌّ يُكْنَى بِأَبِي دَسْمَةَ، فَأَقْبَلُوا حَتَّى نَزَلُوا بِعَيْتَيْنِ^(٤)، بِجَبَلِ بَيْطُنِ السَّبْحَةِ مِنْ قَنَاةٍ عَلَى شَفِيرِ الْوَادِي، مَقَابِلَ الْمَدِينَةِ.

رَوَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَمَشَاوِرَتَهُ الْقَوْمَ: قَالَ فَلَمَّا سَمِعَ بِهِمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَالْمُسْلِمُونَ قَدْ نَزَلُوا حَيْثُ نَزَلُوا، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِلْمُسْلِمِينَ: «إِنِّي قَدْ رَأَيْتُ وَاللَّهِ خَيْرَ، رَأَيْتُ بَقْرًا، وَرَأَيْتُ فِي ذُبَابٍ سَيْفِي ثَلْمًا، وَرَأَيْتُ أَنِّي أَذْخَلْتُ يَدِي فِي دَرْعِ حَصِينَةٍ، فَأَوْلَتْهَا^(٥) الْمَدِينَةَ».

قال ابن هشام: وحدثني بعض أهل العلم، أن رسول الله ﷺ قال: رأيت بقرًا لي تُذبح؟ قال: فأما البقر فهي ناس من أصحابي يُقتلون، وأما الثلم الذي رأيت في ذباب سيفي، فهو رجل من أهل بيتي يُقتل.

قال ابن إسحاق: فإن رأيتم أن تقيموا بالمدينة وتدعوهم حيث نزلوا، فإن أقاموا أقاموا بشرّ مقام، وإن هم دخلوا علينا قاتلناهم فيها^(٦)، وكان رأي عبد الله بن أبي بن سلول مع رأي رسول الله ﷺ، يَرَى رَأْيَهُ فِي ذَلِكَ، وَالْأَيُّوفِيَّةَ إِلَى هَيْمِ، وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَكْرَهُ الْخُرُوجَ، فَقَالَ رِجَالٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، مِمَّنْ أَكْرَمَ اللَّهُ بِالشَّهَادَةِ يَوْمَ أُحُدٍ وَغَيْرِهِ، مِمَّنْ كَانَ فَاتَهُ بَدْرٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، اخْرُجْ بِنَا إِلَى أَعْدَائِنَا، لَا يَرَوْنَ أَنَا جَبْتًا عَنْهُمْ وَضَعْفًا؟ فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي بِنِ سَلُولٍ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَقِمَّ بِالْمَدِينَةِ لَا

(٢) السير والمغازي ٣٢٣.

(١) الطغن: النساء في الهوداج.

(٣) كلمة تقال للتخصيص.

(٤) ويقال «عينان» وهو هضبة جبل أحد، ويقال اسم لجبلين عند أحد.

(٥) في السير والمغازي ٣٢٤ «فتأولتها» المدينة، فإن رأيتم أن تقيموا وتدعوهم حيث نزلوا، فإن أقاموا...».

(٦) في السير والمغازي زيادة: «ونزلت قريش منزلها بأحد يوم الأربعاء فأقاموا بها ذلك اليوم، ويوم الخميس ويوم الجمعة، وراح رسول الله ﷺ حين صلاة الجمعة فأصبح بالشعب من أحد، فالتقوا يوم السبت في النصف من شوال سنة ثرت».

وانظر: الأغاني ١٥/١٨٢.

تَخْرُجُ إِلَيْهِمْ، فَوَاللَّهِ مَا خَرَجْنَا مِنْهَا إِلَى عَدُوِّ لَنَا قَطُّ إِلَّا أَصَابَ مِثًا، وَلَا دَخَلَهَا عَلَيْنَا إِلَّا أَصَبْنَا مِنْهُ، فَدَعَّاهُمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَإِنْ أَقَامُوا أَقَامُوا بِشَرِّ مَخْبَسٍ وَإِنْ دَخَلُوا قَاتَلَهُمُ الرَّجَالُ فِي وَجْهِهِمْ، وَرِمَاهُمُ النِّسَاءُ وَالصَّبِيَّانَ بِالْحِجَارَةِ مِنْ فَوْقِهِمْ، وَإِنْ رَجَعُوا رَجَعُوا خَائِبِينَ كَمَا جَاؤُوا. فَلَمْ يَزَلِ النَّاسُ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ، الَّذِينَ كَانُوا مِنْ أَمْرِهِمْ حُبًّا لِقَاءِ الْقَوْمِ، حَتَّى دَخَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بَيْتَهُ، فَلَبَسَ لِأَمْتِهِ، وَذَلِكَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ حِينَ فَرَّغَ مِنَ الصَّلَاةِ. وَقَدْ مَاتَ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ يُقَالُ لَهُ: مَالِكُ بْنُ عَمْرٍو، أَحَدُ بَنِي النَّجَّارِ، فَصَلَّى عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، ثُمَّ خَرَجَ عَلَيْهِمْ، وَقَدْ نَدِمَ النَّاسُ، وَقَالُوا: اسْتَكْرَهْنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، وَلَمْ يَكُنْ لَنَا ذَلِكَ. فَلَمَّا خَرَجَ عَلَيْهِمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ: اسْتَكْرَهْنَاكَ وَلَمْ يَكُنْ ذَلِكَ لَنَا، فَإِنْ شِئْتَ فَاقْعُدْ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْكَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَا يَنْبَغِي لِنَبِيِّ إِذَا لَبَسَ لِأَمْتِهِ أَنْ يَضَعَهَا حَتَّى يُقَاتَلَ»^(١)، فَخَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي أَلْفٍ مِنْ أَصْحَابِهِ.

قال ابن هشام: واستعمل ابن أم مكتوم على الصلاة بالناس.

انخدال المنافقين: قال ابن إسحاق: حتى إذا كانوا بالشُّوط بين المدينة وأحد، انخرزل عنه عبدُ الله ابن أبي بن سلول بثُلك الناس، وقال: أطاعهم وعصاني، ما نذري علامَ نقتل أنفسنا هاهنا أيها الناس، فرجع بمن أتبعه من قومه من أهل التُّفاق والرُّيب، وأتبعهم عبدُ الله بن عمرو بن حرام، أخو بني سلمة، يقول: يا قوم، أذكركم الله ألا تأخذلوا قومكم ونيبكم عندما حَضَرَ من عدوهم؛ فقالوا: لو نعلم أنكم تُقاتلون لما أسلمناكم، ولكنا لا نرى أنه يكون قتالًا. قال: فلما استغصوا عليه وأبوا إلا الانصراف عنهم، قال: أبعدكم الله أعداء الله، فسيغني الله عنكم نبيّه.

قال ابن هشام: وذكر غير زياد، عن محمد بن إسحاق عن الزهري: أن الأنصار يوم أحد، قالوا لرسول الله ﷺ: يا رسول الله ألا نُسْتَعِين بحلفائنا من يهود؟ فقال: لا حاجة لنا فيهم.

قال زياد: حدثني محمد بن إسحاق، قال: ومضى رسولُ الله ﷺ حتى سَلَكَ في حَرَّةِ بَنِي حَارِثَةَ، فَذَبَّ فَرَسَهُ بِذَنْبِهِ، فَأَصَابَ كِلَابًا سَيْفًا^(٢) فَاسْتَلَّهُ.

قال ابن هشام: ويقال: كِلَابُ سَيْفٍ.

قال ابن إسحاق: فقال رسولُ الله ﷺ، وكان يحبُّ الفأل ولا يَغْتَفِ^(٣)، لصاحب السيف: شِمٌّ سَيْفِكَ^(٤)، فإني أرى السُّيوفَ سَتْسَلُّ^(٥) اليوم.

ما كان من مريع حين سلك المسلمون حائطه: ثم قال رسولُ الله ﷺ لأصحابه: مَنْ رَجُلٌ يَخْرُجُ بِنَا عَلَى الْقَوْمِ مِنْ كَتَبٍ: أَي مِنْ قَرَبٍ، مِنْ طَرِيقٍ لَا يَمُرُّ بِنَا عَلَيْهِمْ؟ فَقَالَ أَبُو خَيْثَمَةَ أَخُو بَنِي حَارِثَةَ بْنِ الْحَارِثِ: أَنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَتَفَذَّ بِهِ فِي حَرَّةِ بَنِي حَارِثَةَ، وَبَيْنَ أَمْوَالِهِمْ، حَتَّى سَلَكَ فِي مَالٍ لِمُرَيْعِ بْنِ

(١) أخرج البخاري حديثاً طويلاً في كتاب الاعتصام ١٦٢/٨ باب قول الله تعالى وأمرهم شورى بينهم، بلفظ: «وشاور النبي ﷺ أصحابه يوم أحد في المقام والخروج فرأوا له الخروج فلما لبس لأمته وعزم قالوا: أتم. فلم يحمل إليهم بعد العزم وقال: لا ينبغي لنبيي لبس لأمته فيضعها حتى يحكم الله...». وأخرج مثله الدارمي في الرؤيا، الباب ١٣، وأحمد في المسند ٣/٢٥١، وانظر المغازي لعروة ١٦٨، ١٦٩.

(٢) الكلاب: مسمار في قائم السيف.

(٣) اعتاف: تطير.

(٤) شم سيفك: أغمذه.

(٥) في الأغاني: ١٨٥/١٥ «ستسل».

قَيْطِي^(١)، وكان رجلاً منافقاً ضريب البصر، فلما سمع حسن رسول الله ﷺ وَمَنْ مَعَهُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، قام يَحْثِي فِي وُجُوهِهِمُ التُّرَابَ، ويقول: إِنْ كُنْتُ رَسُولَ اللَّهِ فَإِنِّي لَا أَحِلُّ لَكَ أَنْ تَدْخُلَ حَائِطِي. وقد ذُكِرَ لِي أَنَّهُ أَخَذَ حَفْنَةً مِنْ تُرَابٍ فِي يَدِهِ، ثُمَّ قَالَ: وَاللَّهِ لَوْ أَعْلَمُ أَنِّي لَا أُصِيبُ بِهَا غَيْرَكَ يَا مُحَمَّدَ لَضَرَبْتُ بِهَا وَجْهَكَ. فابتدرة القَوْمُ لِيَقْتُلُوهُ، فقال رسول الله ﷺ: لَا تَقْتُلُوهُ، فهذا الأعمى أعمى القَلْبِ، أعمى البَصَرِ. وقد بَدَرَ إِلَيْهِ سَعْدُ بْنُ زَيْدٍ، أَخُو بَنِي عَبْدِ الْأَشْهَلِ، قَبْلَ نَهْيِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ عَنْهُ، فَضْرَبَهُ بِالْقَوْسِ فِي رَأْسِهِ، فَشَجَّهُ^(٢).

نزول الرسول بأحد: قال: ومضى رسول الله ﷺ حتى نزل الشعب من أحد، في غُدوة الوادي إلى الجبل، فجعل ظهره وعسكره إلى أحد، وقال: لا يقاتلن أحد منكم حتى نأمره بالقتال. وقد سَرَحَتْ قَرِيشُ الظَّهْرِ وَالْكَرَاعِ^(٣) فِي زُرُوعٍ كَانَتْ بِالصَّمْغَةِ^(٤)، مِنْ قِنَاةٍ لِلْمُسْلِمِينَ؛ فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ حِينَ نَهَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَنِ الْقِتَالِ: أَتُرْعَى زُرُوعَ بَنِي قَيْلَةَ^(٥) وَلَمَّا نَضَّارِب! وَتَعَبَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِلْقِتَالِ، وَهُوَ فِي سَبْعِ مِائَةِ رَجُلٍ، وَأَمَرَ عَلَى الرُّمَاءِ عَبْدِ اللَّهِ بْنَ جَبْرِ، أَخَا بَنِي عَمْرٍو بْنِ عَوْفٍ وَهُوَ مُعَلِّمٌ يَوْمئِذٍ بِثِيَابٍ بَيْضٍ، وَالرُّمَاءُ خَمْسُونَ رَجُلًا، فَقَالَ: انْضَحْ^(٦) الْخَيْلَ عَنَّا بِالنَّبْلِ، لَا يَأْتُونَا مِنْ خَلْفِنَا، إِنْ كَانَتْ لَنَا أَوْ عَلَيْنَا، فَابْتُتْ مَكَانَكَ لَا تُؤْتِيَنَّ مِنْ قَبْلِكَ. وَظَاهَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بَيْنَ دِرْعَيْنِ^(٧)، وَدَفَعَ اللَّوَاءَ إِلَى مُضْعَبِ بْنِ عَمِيرٍ، أَخِي بَنِي عَبْدِ الدَّارِ.

الرسول يجيز منهم في الخامسة عشرة: قال ابن هشام: وأجاز رسول الله ﷺ يومئذ سُمرة بن جُنْدَبَ الْفَزَارِيِّ، وَرَافِعَ ابْنَ خَدِيجٍ، أَخَا بَنِي حَارِثَةَ، وَهُمَا ابْنَا خَمْسِ عَشْرَةِ سَنَةً، وَكَانَ قَدْ رَدَّهُمَا فَقِيلَ لَهُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنْ رَافِعًا رَامَ، فَأَجَازَهُ؛ فَلَمَّا أَجَازَ رَافِعًا، قِيلَ لَهُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَإِنْ سَمْرَةَ يَضْرَعُ رَافِعًا، فَأَجَازَهُ. وَرَدَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: أَسَامَةَ بْنَ زَيْدٍ، وَعَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَمْرِو بْنِ الْخَطَّابِ، وَزَيْدَ بْنَ ثَابِتٍ، أَحَدَ بَنِي مَالِكِ بْنِ النَّجَّارِ، وَالْبِرَاءَ بْنَ عَازِبٍ، أَحَدَ بَنِي حَارِثَةَ، وَعَمْرٍو بْنَ خَزْمٍ، أَحَدَ بَنِي مَالِكِ ابْنِ النَّجَّارِ، وَأَسِيدَ بْنَ ظَهَّيرٍ، أَحَدَ بَنِي حَارِثَةَ، ثُمَّ أَجَازَهُمْ يَوْمَ الْخَنْدَقِ، وَهُمْ أَبْنَاءُ خَمْسِ عَشْرَةِ سَنَةً. قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: وَتَعَبَّاتُ قُرَيْشٍ، وَهُمْ ثَلَاثَةُ آلَافٍ رَجُلٍ، وَمَعَهُمْ مِائَتَا فَرَسٍ قَدْ جَنَّبُوهَا^(٨)، فَجَعَلُوا عَلَى مَيْمَنَةِ الْخَيْلِ خَالِدَ بْنَ الْوَلِيدِ، وَعَلَى مَيْسَرَّتِهَا عِكْرَمَةَ بْنَ أَبِي جَهْلٍ.

أبو دجانة وشجاعته: وقال رسول الله ﷺ: «مَنْ يَأْخُذْ هَذَا السِّيفَ بِحَقِّهِ؟» فَقَامَ إِلَيْهِ رَجَالٌ، فَأَمْسَكَهُمْ عَنْهُمْ؛ حَتَّى قَامَ إِلَيْهِ أَبُو دُجَانَةَ سَمَّاكُ بْنُ خَرِشَةَ، أَخُو بَنِي سَاعِدَةَ، فَقَالَ: وَمَا حَقُّهُ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: أَنْ تَشْرَبَ بِهِ الْعَدُوَّ حَتَّى يَنْحَنِي؛ قَالَ: أَنَا آخِذُهُ يَا رَسُولَ اللَّهِ بِحَقِّهِ^(٩)، فَأَعْطَاهُ إِيَّاهُ. وَكَانَ

(١) في السير والمغازي ٣٢٥ «لربعي بن قيطي». وفي الأغاني «المربع».

(٢) السير والمغازي ٣٢٥، تاريخ الطبري ٥٠٦/٢، والأغاني ١٨٥/١٥، أنساب الأشراف ٣١٥/١.

(٣) الظهر: الإبل. والكراع: الخيل.

(٤) الصمغة: مكان قرب أحد.

(٥) قيلة: أم الأوس والخزرج وينسبون إليها.

(٦) انضح: ادفع.

(٧) أي لبس درعاً فوق درع،

(٨) جنبوها: جعلوها إلى جانبهم ليستعملوها عند الحاجة.

(٩) أخرج مسلم في كتاب فضائل الصحابة (٢٤٧٠) باب من فضائل أبي دجانة سமாக بن خريشة رضي الله عنه، من طريق ثابت، عن أنس، أن رسول الله ﷺ أخذ سيفاً يوم أحد، فقال: «مَنْ يَأْخُذْ مَتِي هَذَا؟» فبسطوا أيديهم. كل إنسان =

أبو دُجانة رجلاً شجاعاً يختال عند الحَرْب، إذا كانت، وكان إذا أُعْلِمَ بعصاة له حمراء، فاعتصَبَ بها على الناس أنه سيفقاتل، فلما أخذ السيف من يد رسول الله ﷺ أخرج عصابته تلك، فعصَبَ بها رأسه، وجعل يتبختر بين الصّفين.

قال ابن إسحاق: فحدثني جعفر بن عبد الله بن أنسلم، مولى عمر بن الخطاب، عن رجل من الأنصار من بني سلمة، قال: قال رسول الله ﷺ، حين رأى أبا دُجانة يتبختر: «إنها لمشيئة يبغضها الله، إلا في مثل هذا الموطن»^(١).

أبو عامر الفاسق: قال ابن إسحاق: وحدثني عاصم بن عمر بن قتادة: أن أبا عامر، عبد عمرو ابن صَيْفِي بن مالك بن النعمان، أحد بني ضبيعة، وقد كان خرج حين خرج إلى مكة مُبَاعِداً لرسول الله ﷺ، معه خمسون غلاماً من الأوس، وبعض الناس كان يقول: كانوا خمسة عشر رجلاً، وكان يعد قريشاً أن لو قد لقي قومَه لم يختلف عليه منهم رجلان؛ فلما التقى الناس كان أول من لقيهم أبو عامر في الأحابيش وعبدان أهل مكة، فنادى: يا معشر الأوس، أنا أبو عامر؛ قالوا: فلا أنعم الله بك عيناً يا فاسق - وكان أبو عامر يسمى في الجاهلية: الزاهب، فسماه رسول الله ﷺ: الفاسق - فلما سمع ردهم عليه قال: لقد أصاب قومي بعدي شرّ، ثم قاتلهم قتالاً شديداً، ثم راضخهم^(٢) بالحجارة^(٣).

أبو سفيان وامرأته يحرضان قريشاً: قال ابن إسحاق: وقد قال أبو سفيان لأصحاب اللواء من بني عبد الدار يحرضهم بذلك على القتال: يا بني عبد الدار، إنكم قد وليتم لواءنا يوم بدر، فأصابنا ما قد رأيتم، وإنما يؤتى الناس من قبل راياتهم إذا زالت زأوا، فلما أن تكفونا لواءنا، وإما أن تحلوا بيننا وبينه فتكفيكموه؛ فهموا به وتواعدوه، وقالوا: نحن نُسلم إليك لواءنا، ستعلم غداً إذا التقينا كيف نضع! وذلك أراد أبو سفيان.

فلما التقى الناس، ودنا بعضهم من بعض، قامت هند بنت عتبة في السوة اللاتي معها، وأخذن الدُفوف يضرين بها خلف الرجال، ويحرضنهم، فقالت هند فيما تقول:

وَيْهَابَ بْنِي عَبْدِ الدَّارِ وَيَهَا حُمَاةَ الأَدْبَارِ

ضَرْباً بِكُلِّ بَنَارٍ^(٤)

وتقول:

إِنْ تُقْبِلُوا نَعْمَانِي وَتُفَرِّشُوا النُّمَارِقَ^(٥)

= منهم يقول: أنا، أنا. قال: فمن يأخذه بحقه؟ قال: فأحجم القوم. فقال سماك بن خرشة أبو دُجانة: أنا أخذه بحقه. قال: فأخذه ففلق به هام المشركين.

(١) تاريخ الطبري ٥١١/٢، السير والمغازي ٣٢٦، تاريخ الإسلام (المغازي)، الأغاني ١٨٩/١٥، الطبقات الكبرى ١٠١/٣، سير أعلام النبلاء ٢٤٥/١، والحديث ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ١٠٠٩/٦ ونسبه إلى الطبراني.

(٢) راضخهم: رامهم.

(٣) تاريخ الطبري ٥١٢/٢، الأغاني ١٨٩/١٥، ١٩٠، السير والمغازي ٣٢٧ وفيه «أضمخهم بالحجارة».

(٤) تاريخ الطبري ٥١٢/٢، الأغاني ١٩٠/١٥، نهاية الأرب ٩٠/١٧، الكامل في التاريخ ١٥٣/٢، المغازي للواقدي ١/

٧٢٢٧ سيرة ابن كثير ٣١/٣، عيون التواريخ ٨١٥٩/١

(٥) النمارق: الوسائد الصغيرة وكل ما يجلس عليه.

أَوْ تُذَبَّرُوا تُفَارِقُ فِرَاقَ غَيْرٍ وَإِيقُ^(١)

وكان شعار أصحاب رسول الله ﷺ يوم أحد: أميث، أميث، فيما قال ابن هشام.

قال ابن إسحاق: فاقتتل الناس حتى حَمِيَت الحربُ. وقاتل أبو دُجَانَةَ حتى أَمَعَن في الناس.

قال ابن هشام: حدثني غير واحد، من أهل العلم، أن الزُبَيْر بن العَوَام قال: وَجِدْتُ في نفسي حين سألتُ رسولَ الله ﷺ السَّيْفَ فَمَنَعَنِيه وأعطاه أبا دُجَانَةَ، وَقُلْتُ: أنا ابْنُ صَفِيَّةَ عَمَّتِهِ، ومن قُرَيْشٍ، وقد قُتِمْتُ إليه فسألته إياه قَبْلَهُ، فأعطاه إياه وتركني، والله لأنظرنَ ما يصنع؛ فاتبعته، فأخرج عصابة له حمراء، فعصب بها رأسه، فقالت الأنصار: أخرج أبو دُجَانَةَ عِصَابَةَ الموت، وهكذا كانت تقول له إذا تعصب بها. فخرج وهو يقول:

أنا الذي عاهدني خليلي ونحن بالسفح لدى التُّخيل

الأقوم الدهر في الكيول^(٢) أضرب بسيف الله والرسول^(٣)

قال ابن هشام: ويروى في الكيول^(٤).

قال ابن إسحاق: فجعل لا يلقى أحداً إلا قتلَه. وكان في المشركين رجل لا يدع لنا جريحاً إلا دُفِّع عليه، فجعل كل واحد منهما يذنو من صاحبه. فدعوتُ الله أن يجمع بينهما، فالتقيا، فاختلفا ضربتين، فضرب المشرك أبا دُجَانَةَ، فاتقاه بدرقته، فعضت بسيفه، وضربه أبو دُجَانَةَ فقتله ثم رأيتُه قد حمل السيف على مفرق رأس هند بنت عتبة، ثم عدل السيف عنها. قال الزبير فقلت: الله ورسوله أعلم.

قال ابن إسحاق: وقال أبو دُجَانَةَ سِمْكَ بن خَرَشَةَ: رأيت إنساناً يَحْمِشُ الناسَ حَمْشاً شديداً، فصمدتُ له، فلما حملتُ عليه السيفَ ولول فإذا امرأة، فأكرمت سيفَ رسولِ الله ﷺ أن أضرب به امرأة.

استشهد حمزة: وقاتل حمزة بن عبد المطلب حتى قتل أزطاة بن عبد سُرخييل بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار، وكان أحد الثفر الذين يحملون اللواء ثم مر به سباع بن عبد العزى الغُبشاني، وكان يُكنى بأبي نيار، فقال له حمزة: هلم إلي يا بن مَقْطَعَةِ البُظور - وكانت أمه أم أنمار مولاة سُريق ابن عمرو بن وهب الثَّقفي.

(١) الواو: المُحِب. والقول في: السير والمغازي ٣٢٧، والطبقات الكبرى ٤٠/٢، وتاريخ الطبري ٥١٠/٢، وأنساب الأشراف ٣١٧/١، والأغاني ١٩٠/١٥، والكمال في التاريخ ١٥٣/٢، ونهاية الأرب ٩٠/١٧، وتاريخ الإسلام (المغازي)، وعيون الأثر ٢٥/٢، والروض الأنف ١٥٨/١، وثمار القلوب للثعالبي ٢٩٧، والاستيعاب ٤٢٥/٤.

(٢) قال أبو عبيدة: الكيول آخر الصفوف، قال: ولم يُسمع إلا في هذا الحديث، وقال الهروي مثل ما قال أبو عبيد، وزاد في الشرح، قال: سُمِّي بكيول الزند، وهي سواد ودخان يخرج منه آخراً، بعد القدر إذا لم يور ناراً، وذلك شيء لا غناء فيه، ويقال منه كال الزند، يمول، فالكبول فيقول من هذا، وكذلك كبول الصفوف لا يوقد نار الحرب، ولا يزيكها، هذا معنى كلامه لا لفظه. وقال أبو حنيفة الدينوري نحواً من هذا إلا أنه قال: كال الزند يكيول بالياء لا غير. (عن الروض الأنف ٣/١٦٢).

(٣) نهاية الأرب ٨٨/١٧، سير أعلام النبلاء ٨٢٤٥/١

(٤) الكيول: القيد.

قال ابن هشام: شريق بن الأحنس بن شريق. وكانت حَتَانَةٌ بمكة - فلما التقيا ضربته حمزة فقتله.

قال وَخْشِي، غلامٌ جُبَيْر بن مُطْعَم: والله إني لأنظر إلى حَمَزَةَ يَهْدُ^(١) الناس بسيفه ما يليق^(٢) به شيئاً، مثل الجمل الأورق^(٣) إذ تقدمني إليه سِبَاعُ بن عبد العُزَّى، فقال له حمزة: هلّم إليّ يا بن مُقَطَّعة البُظُور، فَضْرِبَه ضَرْبَةً، فَكَأَنَّ مَا أَخْطَأَ رَأْسَهُ، وَهَزَزْتُ حَرْبَتِي حَتَّى إِذَا رَضِيتُ مِنْهَا دَفَعْتُهَا عَلَيْهِ، فَوَقَعَتْ فِي نُتْتِهِ^(٤)؛ حَتَّى خَرَجْتَ مِنْ بَيْنِ رِجْلَيْهِ، فَأَقْبَلَ نَحْوِي، فَغَلِبَ فَوْقَ، وَأَمَهَلْتُهُ حَتَّى إِذَا مَاتَ جِئْتُ فَأَخَذْتُ حَرْبَتِي، ثُمَّ تَنَحَّيْتُ إِلَى الْعَسْكَرِ، وَلَمْ تَكُنْ لِي بِشَيْءٍ حَاجَةً غَيْرَهُ^(٥).

قال ابن إسحاق: وحدثني عبد الله بن الفضل بن عبّاس بن ربيعة بن الحارث عن سليمان بن يسار عن جعفر بن عمرو بن أمية الضمري، قال: خرجت أنا وعبيد الله بن عدي بن الخيار، أخو بني نوفل بن عبد مناف، في زمان معاوية بن أبي سفيان، فأدزينا^(٦) مع الناس، فلما قفلنا مرزنا بحمص - وكان وَخْشِي، مولى جُبَيْر بن مُطْعَم، قد سَكَنَهَا، وَأَقَامَ بِهَا - فَلَمَّا قَدِمْنَاهَا، قَالَ لِي عُبَيْدُ اللَّهِ بن عَدِي: هل لك في أن تأتي وحشياً فنسأله عن قتل حمزة كيف قتله؟ قال: قلت له: إن شئت. فخرجنا نسال عنه بحمص، فقال لنا رجل، ونحن نسال عنه: إنكما ستجدانه بفناء داره، وهو رجل قد غلبت عليه الخمر، فإن تجدها صاحياً تجداً رجلاً عربياً، وتجدنا عنده بعض ما تُريدان، وتُصيبا عنده ما شئتما من حديث تسألانه عنه، وإن تجدها وبه بغض ما يكون به، فانصرفا عنه ودعاه، قال: فخرجنا نمشي حتى جئناه، فإذا هو بفناء داره على طنفسة^(٧) له، فإذا شيخ كبير مثل البغاث.

قال ابن هشام: البغاث: ضرب من الطير إلى السواد.. فإذا هو صاح لا بأس به. قال: فلما انتهينا إليه سلمنا عليه، فرفع رأسه إلى عبيد الله بن عدي، فقال: ابنٌ لعددي بن الخيار أنت؟ قال: نعم؛ قال: أما والله ما أرىك منذ ناولتُك أمك السعدية التي أروضتكَ بذي طوى، فإني ناولتكها وهي على بعيرها، فأخذتكَ بغرضيك^(٨)، فلمعت لي قدماك حين رفعتك إليها، فوالله ما هو إلا أن وقفت عليّ فعرفتُهما. قال: فجلسنا إليه، فقلنا له: جئناك لتحدثنا عن قتل حمزة، كيف قتلتَه؟ فقال: أما إني سأحدثكما كما حدثت رسول الله ﷺ حين سألتني عن ذلك: كنتُ غلاماً لجُبَيْر بن مُطْعَم، وكان عمه طُعَيْمَةُ بن عَدِي قد أُصِيبَ يَوْمَ بَدْرٍ؛ فَلَمَّا سَارَتْ قُرَيْشٌ إِلَى أَحَدٍ، قَالَ لِي جُبَيْر: إِنْ قَتَلْتَ حَمَزَةَ عَمَّ مُحَمَّدٌ بَعْمِي فَأَنْتَ عَتِيقٌ قَالَ: فخرجتُ مع الناس، وكنْتُ رجلاً حَبَشِيّاً أَقْدِفُ بِالْحَرْبَةِ قُدْفَ الْحَبْشَةِ، فَلَمَّا أَخْطَىءَ بِهَا شَيْئاً؛ فَلَمَّا تَقَى النَّاسُ خَرَجْتُ أَنْظُرَ حَمَزَةَ وَأَتَبَصَّرَهُ، حَتَّى رَأَيْتُهُ فِي عُرْضِ النَّاسِ مِثْلَ الْجَمَلِ الْأَوْرَقِ، يَهْدُ النَّاسَ بِسَيْفِهِ هَذَا، مَا يَقُومُ لَهُ شَيْءٌ، فَوَاللَّهِ إِنْ لَأْتَيْتُأَ لَهُ، أُرِيدُهُ وَأَسْتَرُ مِنْهُ بِشَجْرَةٍ أَوْ حَجَرٍ لِيَدْنُو مِنِّي، إِذْ تَقَدَّمَنِي إِلَيْهِ سِبَاعُ بن عبد العُزَّى؛ فَلَمَّا رَأَى حَمَزَةَ قَالَ لَهُ: هَلَمْ إِلَيَّ

(١) يهد: يهلك.

(٢) ما يليق: ما ييقى.

(٣) الأورق: مغبر اللون.

(٤) التنة: ما بين أسفل البطن إلى العانة.

(٥) السير والمغازي ٣٢٩، الأغاني ١٥/١٩٤، تاريخ الطبري ٥١٦/٢، نهاية الأرب ٨٨/١٧، ٨٩.

(٦) أدربنا: اجتزنا الدروب.

(٧) الطنفسة: كل ما يُجلس عليه كالبساط والوسائد والحصير والثوب.

(٨) بغرضيك: بجانيبك.

يا بن مُقَطَّعة البُظور^(١). قال: فضربه ضربة كأنَّ ما أخطأ رأسه. قال: وهزرتُ حَزْبتي، حتى إذا رَضِيتُ منها، دفعْتُها عليه، فوَقعت في نُتته^(٢)، حتى خرجتُ من بين رجليه، وذهب ليَنوء^(٣) نحوي، فغَلِب، وتركته وإياها حتى مات، ثم أتيتُه فأخذتُ حَزْبتي، ثم رجعت إلى العسكر، ففعدتُ فيه، ولم يكن لي بغيره حاجة، وإنما قتلته لأعتق. فلما قَدِمت مكة أُعْتِقت، ثم أقمتُ حتى إذا افتتح رسولُ الله ﷺ مكة هربتُ إلى الطائف، فمكثت بها، فلما خَرَج وفدَّ الطائف إلى رسولِ الله ﷺ لِيُسَلِّموا تَعَيْت عليَّ المذاهب، فقلت: ألحق بالشام، أو اليمن، أو ببعض البلاد؛ فوالله إني لفي ذلك من همتي، إذ قال لي رجل: ويحك! إنه والله ما يقتل أحداً من الناس دَخَلَ في دينه، وتشهَّد شهادته.

فلما قال لي ذلك، خرجتُ حتى قَدِمتُ على رسولِ الله ﷺ المدينة، فلم يَرعُه إلا بي قائماً على رأسه أتشهدُ بشهادة الحق؛ فلما رأني قال: أوحشي؟ قلت: نعم يا رسول الله. قال: اقعد فحدثني كيف قتلت حمزة، قال: فحدثته كما حدثتكم، فلما فرغتُ من حديثي قال: وَيْحك! عَيَّب عني وجهك، فلا أَرِيْتُكَ. قال: فكنتُ أتكُف رسولَ الله ﷺ حيث كان لئلا يراني، حتى قَبَضه الله ﷺ^(٤).

فلما خرج المسلمون إلى مُسَيْلِمة الكذاب صاحب اليمامة خرجت معهم، وأخذتُ حَزْبتي التي قتلتُ بها حمزة؛ فلما التقى الناس رأيت مُسَيْلِمة الكذاب قائماً في يده السيف، وما أعرفه، فتهيأت له، وتهيأتُ له رجل من الأنصار من الناحية الأخرى، كِلانا يُريدُه، فهزرتُ حَزْبتي حتى إذا رَضِيت منها دفعْتُها عليه، فوَقعت فيه، وشدَّ عليه الأنصاريُّ فضربه بالسيف، فربُّك أعلم أينا قتله، فإن كنت قتلتُه، فقد قتلت خَيْرَ الناس بعد رسولِ الله ﷺ، وقد قتلت شرَّ الناس^(٥).

قال ابن إسحاق: وحدثني عبد الله بن الفضل، عن سليمان بن يسار، عن عبد الله بن عمر ابن الخطاب، وكان قد شهد اليمامة، قال: سمعت يومئذ صارخاً يقول: قتله العبد الأسود^(٦).

قال ابن هشام: فبلغني أنَّ وحشياً لم يزل يُحدِّث في الخمر حتى خُلع من الديوان، فكان عُمر بن الخطاب يقول: قد علمتُ أن الله تعالى لم يكن ليدع قاتل حمزة.

استشهاد مصعب: قال ابن إسحاق: وقاتل مُضْعَبُ بن عُمير دون رسولِ الله ﷺ حتى قُتل، وكان الذي قتله ابن قميثة اللبثي، وهو يظنُّ أنه رسولُ الله ﷺ، فرجع إلى قُريش فقال: قتلتُ محمداً. فلما قُتل مُضْعَب بن عُمير أعطى رسولُ الله ﷺ اللوَاءَ عليَّ بن أبي طالب، وقاتل عليُّ بن أبي طالب ورجال من المسلمين^(٧).

قال ابن هشام: وحدثني مسلمة بن علقمة المازني، قال: لما اشتدَّ القتال يومَ أحد، جلس

(١) البُظور: بضم الباء. مفردها بظُر، ما بين أستي المرأة. (تاج العروس ١٠/٢١٦).

(٢) في تاريخ الطبري ٥١٧/٢ «الْبَتَّة». والمثبت يتفق مع تاريخ الخميس ٤٧٩/١، والسير والمغازي ٣٢٩.

(٣) ينوء: ينهض متعباً.

(٤) روى البخاري في صحيحه حديث قتل وحشي لحمزة في كتاب المغازي (١٢٨/٥) باب قتل حمزة رضي الله عنه. وانظر تاريخ الإسلام (المغازي)، وأسَد الغابة ٨٤/٥، وأنساب الأشراف ٣/٢٩٢.

(٥) الاستيعاب ٣/٦٤٥، أنساب الأشراف، رقم ٣/٢٩٣.

(٦) أخرجه البخاري من طريق سليمان بن يسار، عن جعفر بن أمية الضمري. في المغازي ٥/١٢٨.

(٧) السير والمغازي ٣٢٩، الطبري ٥١٦/٢.

رسول الله ﷺ تحت راية الأنصار، وأرسل رسول الله ﷺ إلى علي بن أبي طالب رضوان الله عليه: أن قَدِمَ الرَايَةَ. فتقدّم عليّ، فقال: أنا أبو الفُصَم (١)، ويقال: أبو الفُصَم، فيما قال ابن هشام - فناداه أبو سعد بن أبي طلحة، وهو صاحب لواء المشركين: أن هل لك يا أبا الفُصَم في البراز من حاجة؟ قال: نعم. فبرزاً بين الصّفيين، فاختلفا ضَرْبَتَيْنِ فضرَّبه عليّ فصرَّعه، ثم انصرف عنه ولم يُجهز عليه؛ فقال له أصحابه: أفلا أجهزت عليه؟ فقال: إنه استقبلني بعورته، فعطفتني عنه الرِّحْم (٢)، وعرفتُ أن الله عزَّ وجلَّ قد قتله.

ويقال: إنَّ أبا سعد بن أبي طلحة خرج بين الصّفيين، فنادى: أنا قاصمٌ مَن يُبارز برازاً، فلم يخرج إليه أحدٌ. فقال: يا أصحاب محمد، زعمتم أن قتلاكم في الجئة، وأن قتلانا في النار، كذبتم واللات! لو تعلمون ذلك حقاً لخرج إليّ بعضكم، فخرج إليه علي بن أبي طالب، فاختلفا ضَرْبَتَيْنِ، فضرَّبه عليّ فقتله.

قال ابن إسحاق: قتل أبا سعد بن أبي طلحة سعد بن أبي وقاص.

وقاتل عاصم بن ثابت بن أبي الأفلح، فقتل مُسافع بن طلحة وأخاه الجُلاس ابن طلحة، كلاهما يشعره سَهْمًا (٣)، فيأتي أمه سُلَاقَةً، فيضع رأسه في حجرها فتقول: يا بُني، من أصابك؟ فيقول: سمعتُ رجلاً حينَ رَماني وهو يقول: خُذْهَا وأنا ابن أبي الأفلح. فنذرتُ إن أمكنها الله من رأس عاصم أن تشرب فيه الخمر، وكان عاصم قد عاهد الله أن لا يمسَّ مُشركاً أبداً، ولا يمسّه مشرك (٤).

وقال عثمان بن أبي طلحة يومئذ، وهو يحمل لواء المشركين:

إِنَّ عَلَى أَهْلِ اللُّوَاءِ حَقًّا أَنْ يَخْضِبُوا الصَّغْدَةَ (٥) أَوْ تَنَدَّقًا (٦)

(١) أبو الفُصَم أو أبو الفُصَم بالقف، كما قال ابن هشام، وهو أصح، وإنما قال علي - عليه السلام أنا أبو الفُصَم من يبارزني، فالفُصَم: جمع فُصمة، وهي المعضلة المُهلَكة، ويجوز أن يكون جمع الفُصمى، أي الداهية التي تقصم. والدواهي القصم على وزن الكبير، وهذا المعنى أصح؛ لأنه لا يعرف فُصمة ولكنه لما قال أبو سعد - وسيأتي حديثه بعد قليل أنا قاصم، قال علي: أنا أقصم منك، بل أنا أبو القصم، أي أبو المعضلات القصم والدواهي العظم، والقِصم كسر بينونة، والفصم: كسر بغير بينونة ككسر القضيبي الرطب ونحوه، وف بالتنزيل: ﴿وَكَمْ قَصَمْنَا مِنْ قَرْيَةٍ﴾ وفيه ﴿لَا انْقِصَامَ لَهَا﴾. (الروض الأنف ٣/١٦٣).

(٢) وذكر ابن إسحاق أيضاً هذا في غير رواية ابن عسّام، وقول عليّ إنه اتقاني بعورته، فأذكرني الرحم أو فعطفتني عليه الرحم، وقد فعلها عليّ مرة أخرى يوم صفين، حمل على بُسر بن أرطاة فلما رأى أنه مقتول كشف عن عورته، فانصرف عنه. ويروى أيضاً مثل ذلك عن عمرو بن العاص، مع عليّ - رضي الله عنه - يوم صفين، وذلك يقول الحارث بن النضر السهمي، رواه ابن الكلبي وغيره:

أفي كل يوم فارس غير منته وعورته وسط العجاجة بادية
يكف لها عنه علي سنانه ويضحك منه في الخلاء معاوية

(الروض الأنف ٣/١٦٣).

(٣) يشعره سهماً: أي يصيبه به.

(٤) السير والمغازي ٣٢٩، ٣٣٠، الأغاني ١٥/١٩٥.

(٥) الصعدة: القناة.

(٦) الطبقات الكبرى ٤١/٢، نهاية الأرب ٩١/١٧، المغازي للواقدي ١/٣٢٦.

فقتله حمزة بن عبد المطلب .

حنظلة غسيل الملائكة: والتقى حنظلة بن أبي عامر الغسيل وأبو سفيان، فلما استغلاه حنظلة ابن أبي عامر رآه شذاد ابن الأسود، وهو ابن شعوب، قد علا أبا سفيان. فضربه شذاد فقتله. فقال رسول الله ﷺ: إن صاحبكم، يعني حنظلة، لتغسله الملائكة. فاسألوا أهله ما شأنه؟ فسئلت صاحبه عنه. فقالت: خرج وهو جُئِب حين سَمِعَ الهاتفة^(١).

قال ابن هشام: ويقال: الهاتفة. وجاء في الحديث: «خيرُ النَّاسِ رجلٌ مُمسكٌ بعنان فرسه، كلما سمع هَيْعَةً^(٢) طار إليها»^(٣).

قال الطرماح بن حكيم الطائي - والطرماح: الطويل من الرجال -:

أنا ابن حُماة المَجْد من آل مالك إذا جَعَلتْ خُورٌ^(٤) الرِّجال تَهْيِغُ
والهَيْعَةُ: الصَّيْحَةُ التي فيها الفزع.

قال ابن إسحاق: فقال رسول الله ﷺ: لذلك غسلته الملائكة.

شعر الأسود وأبي سفيان في قتل حنظلة:

قال ابن إسحاق: وقال شذاد بن الأسود في قتله حنظلة:

لَأخْمِيَنَّ صَاحِبِي وَنَفْسِي بَطْعَنَةً مِثْلَ شُعَاعِ الشَّمْسِ^(٥)

وقال أبو سفيان بن حرب، وهو يذكر صبره في ذلك اليوم، ومعاونة ابن شعوب إياه على

حنظلة:

ولو شِئْتُ نَجَّيْتُ كُمَيْتَ طِمْرَةَ^(٦)
وما زال مُهْرِي مَزْجَرَ الكَلْبِ مِنْهُمْ
أَقَاتِلْهُمْ وَأَدْعِي يَا لَغَالِبِ
فَبِكِّي وَلَا تَزْعِي مَقَالَةَ عَاذِلِ
أَبَاكَ وَإِخْوَانَالَهُ قَدْ تَتَابَعُوا
وَسَلَّى الَّذِي قَدْ كَانَ فِي النَّفْسِ أَنْبِي

(١) السير والمغازي ٣٣٢، ٣٣٣، تاريخ الطبري ٥٢٢/٢، تاريخ الإسلام (المغازي).

(٢) الهَيْعَةُ: الصوت الذي تفرغ منه وتخافه من العدو.

(٣) روى مسلم في كتاب الإمارة (١٢٥/١٨٨٩) باب فضل الجهاد والرباط، عن يحيى بن يحيى التميمي، حدثنا عبد العزيز بن أبي حازم، عن أبيه، عن بعة، عن أبي هريرة، عن رسول الله ﷺ أنه قال: «من خير معاش الناس لهم، رجل ممسك عنان فرسه في سبيل الله، يطير على متنه، كلما سمع هَيْعَةً أو فرزة طار عليه. يبتغي القتل والموت مظانه، أو رجل في غَيْمَةٍ في رأس شَعْفَةٍ من هذه الشعف. أو بطن وإد من هذه الأدوية. يقيم الصلاة ويؤتي الزكاة ويعبد ربه حتى يأتيه اليقين. ليس من الناس إلا في خيره». وأخرجه ابن ماجه في كتاب الفتن (٣٩٧٧) باب العزلة، وأحمد في المسند ٨٤٤٣/٢

(٤) الخور: مفردة أخور، وهو الرجل الضعيف. (٥) تاريخ الطبري ٥٢٢/٢،

(٦) الطمرة: الفرس السريعة الوثب.

(٧) أي لم يبعد عنهم، إلا بمقدار الموضع الذي يُزجر إليه الكلب، والضمير المستتر في دنت للشمس.

وكان لدى الهَيَجَاءِ غير هَيُوبٍ
لكانت شجاً في القَلْبِ ذات نُدُوبٍ
بهم خَدَبٌ^(٢) من مُعْطَبٍ^(٣) وكَثِيبٍ
كِفَاءٍ^(٤) ولا في خُطَّةٍ بضْرِيْبٍ^(٥)

ومن هاشم قَزْماً كريماً ومُضْعَباً
ولو أنسي لَمْ أَشْفِ نفسِي منهمُ
فأبوا وقد أودى الجَلَابِيْبُ^(١) منهمُ
أصابهم مَنْ لَمْ يَكُنْ لدمائهم
حسان والحارث يروان على أبي سفيان:

فأجابه حسان بن ثابت، فيما ذكر ابن هشام، فقال:

وَلَسْتُ لَزُورٍ قُلْتَهُ بِمُصِيبٍ
نَجِيْباً وَقَدْ سَمَيْتَهُ بِنَجِيْبٍ
وَشَيْبَةَ وَالْحَجَّاجَ وَابْنَ حَبِيْبٍ
بِضْرِبَةِ عَضْبٍ بَلُّهُ بِخَضِيْبٍ^(٦)

ذَكَرْتُ الْقُرُومَ الصَّيْدَ مِنْ آلِ هَاشِمٍ
أَتَعَجَّبُ أَنْ أَقْصَدْتَ حَمْزَةَ مِنْهُمْ
أَلَمْ يَقْتُلُوا عَمْرَأَ وَعُثْبَةَ وَابْنَهُ
غَدَاةً دَعَا الْعَاصِي عَلِيّاً فَرَاغَهُ

قال ابن إسحاق: وقال ابنُ شُعُوبٍ يذُكُرُ يَدَهُ عند أبي سفيان فيما دفع عنه، فقال:

لَأَلْفَيْتَ يَوْمَ التُّغْفِ^(٧) غَيْرَ مُجِيْبٍ
ضِبَاعٍ عَلَيْهِ أَوْ ضِرَاءٍ كَلِيْبٍ^(٨)

ولولا دِفَاعِي يَا بَنَ حَرْبٍ وَمَشْهَدِي
ولولا مَكَرِي الْمُهْرَ بِالتُّغْفِ قَرَقَرْتُ^(٨)

قال ابن هشام: قوله: «عليه أو ضراء» عن غير ابن إسحاق.

قال ابن إسحاق: وقال الحارث بن هشام يُجِيبُ أبا سفيان:

عَلَى سَابِحِ ذِي مَيْعَةٍ وَشَيْبِيبٍ^(١٠)
عَلَيْكَ وَلَمْ تَحْفَلِ مُصَابِ حَبِيْبٍ
لَأَبْتَ بِقَلْبٍ مَا بَقِيَتْ نُخَيْبٍ^(١٢)

جَزَيْتَهُمْ يَوْمًا بِبَدْرٍ كَمِثْلِهِ
لَدَى صَخْنِ بَدْرِ أَوْ أَقَمْتَ نَوَائِحاً^(١١)
وَأَنْتَ لَوْ عَايَنْتَ مَا كَانَ مِنْهُمْ

قال ابن هشام: وإنما أجاب الحارث بن هشام أبا سفيان لأنه ظنَّ أنه عَرَضَ به في قوله:

وما زال مُهْرِي مَرْجَرَ الكَلْبِ مِنْهُمْ

لِفِرَارِ الحَارِثِ يَوْمَ بَدْرٍ.

(١) في تاريخ الطبري «الحلائب»، وهي الجماعات، أو أنصار الرجل من بني عمته، والجلابيب: جمه جلاباب. وهو في الأصل: الإزار الخشن. وكان المشركون يستمون من أسلم «الجلابيب».

(٢) الخدب: الطعن النافذ. (٣) في تاريخ الطبري «مُعْطَب».

(٤) في تاريخ الطبري «كفياً». (٥) الخطة: الخصلة الرفيعة. والضريب: الشبيه.

(٦) ديوان حسان ٦٥، ٦٦، تاريخ الطبري ٥٢٣/٢، ٥٢٤.

(٧) التُّغْف: أسفل الجبل. (٨) قرقرت: أي أسرعت لتهشه.

(٩) تاريخ الطبري ٥٢٤/٢.

(١٠) السابح: الفرس السريع. والميعة: الخفة. والشيبب: أن يرفع الفرس يديه جميعاً ف يالجري.

(١١) في تاريخ الطبري «لدى صحن بدر أو لقامت نوائح».

(١٢) النخب: الجبان. والأبيات في تاريخ الطبري ٥٢٤/٢ مختلفة الترتيب عما هنا.

الزبير يذكر سبب الهزيمة:

قال ابن إسحاق: ثم أنزل الله نَصْرَه على المسلمين وصدقهم ووَغَدَه، فحسّوهم بالسيوف^(١) حتى كَشَفُوهم عن العَسْكَر، وكانت الهزيمة لا شك فيها.

قال ابن إسحاق: وحدثني يحيى بن عبّاد بن عبد الله بن الزبير، عن أبيه عبّاد، عن عبد الله بن الزبير، عن الزبير، أنه قال: والله لقد رأيتني أنظرُ إلى خَدَمِ هِنْدِ بنتِ عُتْبَةَ وِصْوَاحِهَا مَشْمَرَاتِ هَوَارِبِ، ما دون أخذهن قليلٌ ولا كثيرٌ، إذ مالت الرّماة إلى العسكر، حين كَشَفْنَا القومَ عنه وِخْلُوا ظهورنا للخيل، فأتينا من خَلْفِنَا، وصرخ صارخ: إلا أن محمداً قد قُتِل؛ فانكفأنا وانكفأ علينا القوم بعد أن أَصَبْنَا أصحابَ اللّوَاءِ حتى ما يَدْنُو منه أحدٌ من القوم^(٢).

قال ابن هشام: الصارخ: أربّ العقبة، يعني الشيطان.

حسان يذكر شجاعة صوّاب:

قال ابن إسحاق: وحدثني بعضُ أهل العلم: أن اللّواء لم يزل صَريعاً حتى أَخَذْتَهُ عَمْرَةَ بنتِ عَلْقَمَةَ الحارثية، فرفعته لقريش، فلاثوا^(٣) به. وكان اللّواء مع صوّاب، غلامٌ لبني أبي طَلْحَةَ، حبشيّ وكان آخر من أخذه منهم، فقاتل به حتى قُطِعَت يداه، ثم بَرَكَ عليه، فأخذ اللّواء بصدّره وِغْنَقِهِ حتى قُتِلَ عليه، وهو يقول: اللهم هل أغزرت - يقول: أعذرت^(٤) - فقال حسان بن ثابت في ذلك:

لِوَاءٍ حِينَ رُدُّ إِلَى صُؤَابِ	فَخَزْتُمْ بِاللّوَاءِ وَشَرُّ فُخْرِ
وَالْأُمِّ مَنْ يَطَا عَفْرَ التَّرَابِ ^(٥)	جَعَلْتُمْ فخرَكُمْ فِيهِ بَعْبِدِ
وَمَا إِنْ ذَاكَ مِنْ أَمْرِ الصُّؤَابِ	ظَنَنْتُمْ، وَالسُّفِيهِ لَهُ ظُنُونِ
بِمَكَّةَ بَيْعُكُمْ حُمْرَ الْعِيَابِ ^(٦)	بِأَنْ جِلَادِنَا يَوْمَ التَّقْيِينَا
وَمَا إِنْ تُعْصَبَانِ عَلَى خِضَابِ ^(٧)	أَقْرَ الْعَيْنِ أَنْ عُصِبَتْ يَدَاهُ

قال ابن هشام: آخرها بيتاً يروى لأبي خراش الهذلي، وأنشدني له خَلْفُ الأحمر:

وَمَا إِنْ تُعْصَبَانِ عَلَى خِضَابِ	أَقْرَ الْعَيْنِ أَنْ عُصِبَتْ يَدَاهُ
--------------------------------------	--

في أبيات له، يعني امرأته، في غير حديث أحد. وتروى الأبيات أيضاً لمَعْقِلِ بْنِ حُوَيْلِدِ الهذلي.

شعر حسان في شجاعة عمرة الحارثية:

قال ابن إسحاق: وقال حسان بن ثابت في شأن عَمْرَةَ بنتِ عَلْقَمَةَ الحارثية ورفَعها اللّواء:

(١) حسّوهم: قتلوهم.

(٢) لاثوا به: اجتمعوا عليه.

(٣) في تاريخ الطبري:

«جعلتم فخركم فيها لعبد من الأم من وطى عفر التراب»

(٤) العياب: ما تضع فيه الناس حوائجهم.

(٥) ديوان حسان ٦٢، تاريخ الطبري ٥١٣/٢، الأغاني ١٩١/١٥.

إِذَا عَضَلَّ سَيَقَتْ إِلَيْنَا كَأَنهَا
أَقَمْنَا لَهُمْ طَغْنًا مُبِيرًا مَنَكَلًا
فَلَوْلَا لَوَاءَ الْحَارِثِيَّةِ أَصْبَحُوا
قَالَ ابْنُ هِشَامٍ: وَهَذِهِ الْآيَاتُ فِي آيَاتِ لَهُ.

ما أصاب الرسول يوم أحد: قال ابن إسحاق: وانكشف المسلمون، فأصاب فيهم العدو، وكان يوم بلاء وتمحيص، أكرم الله فيه من أكرم من المسلمين بالشهادة، حتى خلع العدو إلى رسول الله ﷺ. فذُت بالحجارة حتى وقع لشقه^(١)، فأصيبت رباعيته، وشُج في وجهه، وكلمت شفته، وكان الذي أصابه عُتْبة بن أبي وقاص.

قال ابن إسحاق: فحدثني حميد الطويل، عن أنس بن مالك، قال:

كُسِرَتْ رِبَاعِيَةَ النَّبِيِّ ﷺ يَوْمَ أُحُدٍ، وَشُجَّ فِي وَجْهِهِ، فَجَعَلَ الدَّمُ يَسِيلُ عَلَى وَجْهِهِ، وَجَعَلَ يَمْسَحُ الدَّمَ وَهُوَ يَقُولُ: كَيْفَ يُفْلِحُ قَوْمٌ خَضَبُوا وَجْهَ نَبِيِّهِمْ وَهُوَ يَدْعُوهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ! فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي ذَلِكَ: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبُهُمْ فَأَنْهُمْ ظَالِمُونَ﴾ ﴿١٧٨﴾ آل عمران: ١٧٨.

قال ابن هشام: وذكر زبيح بن عبد الرحمن بن أبي سعيد الخُدري عن أبيه، عن أبي سعيد الخُدري: أن عُتْبة بن أبي وقاص رمى رسول الله ﷺ يومئذ، فكسر رباعيته اليمنى السفلى، وجرح شفته السفلى، وأن عبد الله بن شهاب الزهري شجّه في جبهته، وأن ابن قَمِئة جرح وجنته فدخلت حلقتان من حلق المغفر^(٢) في وجنته، ووقع رسول الله ﷺ في حفرة من الحفر التي عمل أبو عامر ليقع فيها المسلمون، وهم لا يعلمون؛ فأخذ علي بن أبي طالب بيد رسول الله ﷺ، ورفع طلحة بن عُبيد الله حتى استوى قائماً، ومصّ مالك بن سنان، أبو أبي سعيد الخُدري، الدم عن وجه رسول الله ﷺ، ثم ازدرده؛ فقال رسول الله ﷺ: «من مسّ دمي دمّه لم تُصبه النار»^(٣).

قال ابن هشام: وذكر عبد العزيز بن محمد الدرّاوردي^(٤): أن النبي ﷺ قال: «من أحبّ أن ينظر إلى شهيد يمشي على وجه الأرض فلينظر إلى طلحة بن عُبيد الله»^(٥).

(١) عضل: اسم قبيلة. والجداية: الصغير من ولد الظبي. وشيزك: موضع.

(٢) الجلائب: ما يجلب إلى الأسواق لبيع فيها.

(٣) الذّت: الرمي المقارب المؤلم. (تاج العروس ٢٤٧/٥) والشق: الجانب.

(٤) الخبر في الطبقات الكبرى ٤٤/٢، ٤٥، والسير والمغازي ٣٢٨، وتاريخ الطبري ٥١٤/٢، ٥١٥، والأغاني ١٩٢/١٥، وتاريخ الإسلام (المغازي)، والمغازي للواقدي ٢٤٥/١.

(٥) المغفر: حلق يُجعل على الرأس يتقى به ضرب السلام في الحرب.

(٦) الحديث ليس في كتب الصحاح. وزبيح بن عبد الرحمن رجل ليس بمعروف عند الإمام أحمد. وقال البخاري: منكر الحديث. وسرد له ابن عدي أربعة أحاديث، وقال: أرجو أنه لا بأس به. انظر: الكامل في ضعفاء الرجال ١٠٣٢/٣، ١٠٣٣، ميزان الاعتدال ٣٨/٢، رقم ٢٧٢٧، المغني في ضعفاء الرجال ١/٢٢٧، رقم ٢٠٨٥، تهذيب التهذيب ٢٣٨/٣، والحديث في البدء والتاريخ ٢٠٣/٤، وتاريخ الإسلام (المغازي)، والمغازي للواقدي ٢٤٧/١.

(٧) صدوق من علماء المدينة، غيره أقوى منه. قال الإمام أحمد: إذا حدّث من حفظه بهم، ليس هو بشيء، وإذا حدّث =

وذكر، يعني عبد العزيز الدراوردي، عن إسحاق بن يحيى بن طلحة، عن عيسى بن طلحة، عن عائشة، عن أبي بكر الصديق: أن أبا عبيدة بن الجراح نزع إحدى الخلتين من وجه رسول الله ﷺ، فسقطت ثنيتيه، ثم نزع الأخرى، فسقطت ثنيتيه الأخرى، فكان ساقط الثنيتين.

قال ابن إسحاق: وقال حسان بن ثابت لعنته بن أبي وقاص:

إِذَا اللَّهْ جَا زَى مَغْشَرَا بِفِعَالِهِمْ وَضَرَّهُم الرَّحْمَنُ رَبَّ الْمَشَارِقِ
فَأخْزَاكَ رَبِّي يَا عُنَيْبَ بْنَ مَالِكٍ وَلَقَاكَ قَبْلَ الْمَوْتِ إِحْدَى الصُّوَاعِقِ
بَسَطْتَ يَمِينَا لِلثُّبِيِّ تَعْمُدَا فَأَذْمَيْتَ فَاةً، قُطِعَتْ بِالْبَوَارِقِ^(١)
فَهَلَا ذَكَرْتَ اللَّهَ وَالْمَنْزِلَ الَّذِي تَصِيرُ إِلَيْهِ عِنْدَ إِحْدَى الْبَوَائِقِ^(٢)

قال ابن هشام: تركنا منها بيتين أفذع فيهما.

من شجاعة أصحاب الرسول ﷺ قال ابن إسحاق: وقال رسول الله ﷺ، حين غشيه القوم: «مَنْ رَجُلٌ يَشْرِي لَنَا نَفْسَهُ؟» كما حدثني الحُصَيْنُ بن عبد الرحمن بن عمرو بن سعد بن معاذ، عن محمود بن عمرو، قال: فقام زياد بن السَّكَنِ في نفر خَمْسَةَ من الأنصار - وبعضُ الناس يقول: إنما هو عُمارة بن يزيد بن السَّكَنِ - فقاتلوا دون رسول الله ﷺ، رجلاً ثم رجلاً، يُقتلون دونه، حتى كان آخرهم زياد أو عُمارة، فقاتل حتى أثبتته الجراحة، ثم فاءت فِتْنَةٌ من المسلمين، فأجهضوهم^(٣) عنه، فقال رسول الله ﷺ: «أذنوه مني، فأذنوه منه، فوسده قدمه، فمات وخذه على قدم رسول الله ﷺ»^(٤).

قال ابن هشام: وقاتلت أم عُمارة، نُسبية بنت كعب المازنية يوم أحد.

فذكر سعيد بن أبي زيد الأنصاري: أن أم سعد بنت سعد بن الربيع كانت تقول: دخلت على أم عُمارة، فقلت لها: يا خالة، أخبريني خبرك؛ فقالت: خرجت أول النهار وأنا أنظر ما يضيع الناس، ومعني سقاء فيه ماء، فانتهيته إلى رسول الله ﷺ، وهو في أصحابه، والدولة والريح^(٥) للمسلمين. فلما انهزم المسلمون، انحزت إلى رسول الله ﷺ، فقمت أباشر القتال، وأذب عنه بالسيف، وأزمت عن القوس، حتى خلصت الجراح إلي. قالت: فرأيت على عاتقها جرحاً أجوفاً له غور، فقلت: من أصابك بهذا؟ قالت: ابن قمئة، أقمأه^(٦) الله! لما ولى الناس عن رسول الله ﷺ أقبل يقول: دلوني

= من كتابه فنعمة. وقال أيضاً: إذا حدث من حفظه جاء ببواطيل. وقال ابن المديني: ثقة ثبت. وقال أبو حاتم: لا يحتج به. وقال أبو زرعة: سيء الحفظ. وقال معن بن عيسى: يصلح الدراوردي أن يكون أمير المؤمنين. مات سنة ١٨٧ هـ. (ميزان الاعتدال ٦٣٣/٢، ٦٣٤ رقم ٥١٢٥).

(١) الحديث مرسل، فضلاً عن ضعف الدراوردي كما مر. وقد أخرج الحديث ابن ماجه (١٢٥) من طريق: وكيع، عن الصلت ابن دينار، عن أبي نصره، عن جابر. وأخرجه الترمذي (٣٧٤٠) من طريق: صالح بن موسى الطلحي، عن الصلت بن دينار، عن أبي نصره، عن جابر. وصالح بن موسى متروك، وكذلك الصلت. وأخرجه الترمذي مرة أخرى (٣٧٤٢)، وله شاهد مرسل عند ابن سعد في الطبقات الكبرى ١٠٦/١/٣، وانظر تاريخ الإسلام (المغازي).

(٢) البوارق: السيوف. وفي البدء والتاريخ (يا لبوائق).

(٣) ورد البيتان الثاني والثالث فقط في البدء والتاريخ ٢٠٣/٤ وهي كلها في تاريخ الإسلام (المغازي)، وديوان حسان ٢٩١.

(٤) أجهضوهم: أزالوهم.

(٥) السير والمغازي ٣٢٨، الأغاني ١٥/١٩٣.

(٦) يريد بالريح: إقبال النصر.

(٧) أقمأه الله: أذله الله.

على محمد، فلا نجوت إن نجا، فاعترضت له أنا ومُصعب بن عُمير، وأناس ممن ثبت مع رسول الله ﷺ، فضربني هذه الضربة ولكن فلقد ضربته على ذلك ضربات، ولكن عدو الله كان عليه دِرْعَان.

قال ابن إسحاق: وترس دون رسول الله ﷺ أبو دُجانة بنفسه، يقع النَّبْلُ في ظهره، وهو مُنْحَن عليه، حتى كثر فيه النَّبْلُ. ورمى سعدُ بن أبي وقاص دون رسول الله ﷺ. قال سعد: فلقد رأيتُه يُناولني النَّبْل وهو يقول: «ارم، فإدراك أبي وأمي»^(١)، حتى إنه ليناولني السَّهْم ما له نَضْل، فيقول: «ارم به»^(٢).

قال ابن إسحاق: وحدثني عاصمُ بن عمر بن قتادة: أن رسول الله ﷺ رمى عن قوسه حتى اندقت سبيتها^(٣)، فأخذها قتادة بن النعمان، فكانت عنده، وأصيبت يومئذ عينُ قتادة بن النعمان، حتى وقعت على وجنته.

قال ابن إسحاق: فحدثني عاصم بن عمر بن قتادة: أن رسول الله ﷺ رذها بيده، فكانت أحسنَ عَينيه وأحدهما^(٤).

قال ابن إسحاق: وحدثني القاسم بن عبد الرحمن بن رافع أخو بني عدي بن النجار، قال: انتهى أنسُ بن النَّضْر، عم أنس بن مالك، إلى عمر بن الخطاب، وطلحة بن عبيد الله، في رجال من المهاجرين والأنصار، وقد ألقوا بأيديهم، فقال: ما يُجلسكم؟ قالوا: قُتل رسول الله ﷺ؛ قال: فماذا تُصنعون بالحياة بعده؟ قوموا فموتوا على ما مات عليه رسول الله ﷺ، ثم استقبل القوم، فقاتل حتى قُتل؛ وبه سمي أنس بن مالك.

قال ابن إسحاق: فحدثني حميد الطويل، عن أنس بن مالك، قال: لقد وجدنا بأنس بن النَّضْر يومئذ سبعين ضربة، فما عرفه إلا أخته، عرفته ببنائه^(٥).

قال ابن هشام: حدثني بعض أهل العلم: أن عبد الرحمن بن عوف أصيب فوه يومئذ فهتم^(٦)، وجرح عشرين جراحة أو أكثر، أصابه بعضها في رجله ففرج^(٧).

قال ابن إسحاق: وكان أول من عرف رسول الله ﷺ بعد الهزيمة، وقول الناس: قُتل رسول الله ﷺ، كما ذكر لي ابنُ شهاب الزهري كعبُ بن مالك، قال: عرفت عينيه تزهران^(٨) من تحت

(١) أخرجه البخاري في كتاب المغازي (١٢٤/٥) باب إذا همت طائفتان منكم، وابن إسحاق في السير والمغازي ٣٢٨، والذهبي في تاريخ الإسلام (المغازي)، والمقدسي في البدء والتاريخ ٢٠٢/٤، ٢٠٣.

(٢) الأغاني ١٩٣/١٥، تاريخ الطبري ٥١٦/٢.

(٣) سبيتها: طرفها.

(٤) تاريخ الطبري ٥١٦/٢، تاريخ الإسلام (المغازي)، السير والمغازي ٣٢٨، ٣٢٩، الأغاني ١٩٣/١٥، ١٩٤.

(٥) السير والمغازي ٣٣٠، الأغاني ١٩٥/١٥، تاريخ الطبري ٥١٧/٢، ٥١٨.

(٦) هُتم: كُسرت نيتته.

(٧) أخرجه الحاكم في المستدرک ٣٠٨/٣، وفيه إحدى وعشرون جراحة، والطبراني في المعجم الكبير ١٢٨/١ رقم ٢٦١، وسير أعلام النبلاء ٧٥/١.

(٨) تزهران: تضبتان.

المُغْفِر، فنَادَيْتُ بِأَعْلَى صَوْتِي: يَا مَعْشَرَ الْمُسْلِمِينَ، أَبْشِرُوا، هَذَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ؛ فَأَشَارَ إِلَيَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: أَنْ أَنْصِتَ.

قال ابن إسحاق: فلما عرف المسلمون رسولَ الله ﷺ نَهَضُوا بِهِ، وَنَهَضَ مَعَهُمُ نَحْوُ الشَّعْبِ، مَعَهُ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ، وَعُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ، وَعَلِيٌّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ، وَطَلْحَةُ بْنُ عُبَيْدِ اللَّهِ، وَالزُّبَيْرُ بْنُ الْعَوَّامِ، رِضْوَانُ اللَّهِ عَلَيْهِمُ، وَالْحَارِثُ بْنُ الصَّمَةِ، وَرَهْطٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ.

مقتل أبي بن خلف:

قال: فلما أَسْنَدَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي الشَّعْبِ أَدْرَكَهُ أَبُو بَنِي بَنِ خَلْفٍ وَهُوَ يَقُولُ: أَيُّ مُحَمَّدٍ، لَا نَجُوتَ إِنْ نَجُوتَ، فَقَالَ الْقَوْمُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، أَيْعُطِفُ عَلَيْهِ رَجُلٌ مِثْلًا؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: دَعُوهُ؛ فَلَمَّا دَنَا، تَنَاوَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْحَزْبَةَ مِنَ الْحَارِثِ بْنِ الصَّمَةِ؛ يَقُولُ بَعْضُ الْقَوْمِ، فِيمَا ذَكَرَ لِي: فَلَمَّا أَخَذَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنْهُ انْتَفَضَ بِهَا انْتِفَاضًا، تَطَايَرْنَا عَنْهُ تَطَايِيرَ الشَّعْرَاءِ عَنِ ظَهْرِ الْبَعِيرِ إِذَا انْتَفَضَ بِهَا - قَالَ ابْنُ هِشَامٍ: الشَّعْرَاءُ: ذَبَابٌ لَهُ لَدَغٌ - ثُمَّ اسْتَقْبَلَهُ فَطَعَنَهُ فِي عُنُقِهِ طَعْنَةً تَدَادَأُ مِنْهَا عَنِ فَرْسِهِ مَرَارًا.

قال ابن هشام: تَدَادَأُ، يَقُولُ: تَقَلَّبَ عَنِ فَرْسِهِ فَجَعَلَ يَتَدَحْرَجُ.

قال ابن إسحاق: وَكَانَ أَبُو بَنِي بَنِ خَلْفٍ، كَمَا حَدَّثَنِي صَالِحُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ، يَلْقَى رَسُولَ اللَّهِ ﷺ بِمَكَّةَ، فَيَقُولُ: يَا مُحَمَّدُ إِنْ عِنْدِي الْعَوْذُ، فَرسًا أَغْلَفَهُ كُلَّ يَوْمٍ فَرْقًا^(١) مِنْ ذَرَّةٍ، أَقْتَلُكَ عَلَيْهِ؛ فَيَقُولُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: بَلْ أَنَا أَقْتَلُكَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ. فَلَمَّا رَجَعَ إِلَى قُرَيْشٍ وَقَدْ خَدَشَهُ فِي عُنُقِهِ خَدَشًا غَيْرَ كَبِيرٍ، فَاحْتَقَنَ الدَّمَ، قَالَ: فَتَلَّنِي وَاللَّهِ مُحَمَّدًا! قَالُوا لَهُ: ذَهَبَ وَاللَّهِ فَوَادِكُ! وَاللَّهُ إِنْ بَكَ مِنْ بَأْسٍ؛ قَالَ: إِنَّهُ قَدْ كَانَ قَالِي بِمَكَّةَ: أَنَا أَقْتَلُكَ، فَوَاللَّهِ لَوْ بَصَقَ عَلَيَّ لَقَتَلَنِي. فَمَاتَ عَدُوُّ اللَّهِ بِسَرْفٍ^(٢) وَهُمْ قَافِلُونَ بِهِ إِلَى مَكَّةَ^(٣).

قال ابن إسحاق: فقال حسان بن ثابت في ذلك:

أَبِي يَوْمَ بَارَزَهُ الرَّسُولُ	لَقَدْ وَرِثَ الضَّلَالَةَ عَنْ أَبِيهِ
وَتُوَعِدُهُ وَأَنْتَ بِهِ جَاهُولُ	أَتَيْتَ إِلَيْهِ تَخْمِيلَ رِمٍ ^(٤) عَظِيمٍ
أُمِّيَّةٌ إِذْ يُعَوِّثُ ^(٥) : يَا عَقِيلُ	وَقَدْ قَتَلْتَ بَنِي النَّجَّارِ مِنْكُمْ
أَبَا جَاهِلٍ، لِأَمَهُمَا الْهُبُولُ ^(٦)	وَتَبَّ ابْنِ رَيْبَعَةَ إِذْ أَطَاعَا
بِأَسْرِ الْقَوْمِ، أَسْرَتَهُ قَلِيلُ ^(٧)	وَأَفْلَتَ حَارِثٌ لَمَّا شَعَلْنَا

قال ابن هشام: أُسْرَتُهُ: قَبِيلَتُهُ.

(١) الفزق: مكيال يسع اثني عشر رطلاً.

(٢) سرف: مكان على ستة أميال من مكة.

(٣) تاريخ الطبري ٥١٨/٢، ٥١٩، الأغاني ١٥/١٩٦، ١٩٧، وانظر الطبقات الكبرى ٤٦/٢، والمغازي للواقدي ٢٥٠/١، وأنساب الأشراف ٣١٩/١، ودلائل النبوة لأبي نعيم ١٧٤ (طبعة الهند)، والمغازي لعروة ١٧٠، والبداية والنهاية ٣٢/٤.

(٤) الرِّمُّ: البالي.

(٥) يغوث: يقول واغوثاه.

(٦) الهُبُولُ: الهلك.

(٧) الغليل: المنهزمون.

وقال حسان بن ثابت أيضاً في ذلك :

أَلَا مَنْ مُبْلِغٌ عَنِّي أَبِيًّا لَقَدْ أَلْقَيْتَ فِي سُحُقِ السَّعِيرِ
تَمَّتْ بِالضَّلَالَةِ مِنْ بَعِيدِ وَتَقَسَّمُ أَنْ قَدَرْتَ مَعَ السِّنْدُورِ
تَمَنِيكَ الْأَمَانِي مِنْ بَعِيدِ وَقَوْلُ الْكُفْرِ يَزْجَعُ فِي غُرُورِ
فَقَدْ لَأَقْتُكَ ^(١) طَعْنَةً ذِي حِفَاظِ ^(٢) كَرِيمِ الْبَيْتِ لَيْسَ بِذِي فُجُورِ
لَهُ فَضْلٌ عَلَى الْأَخْيَاءِ طُرّاً إِذَا نَابَتْ مُلَمَّاتُ الْأُمُورِ

انتهم الرسول إلى الشعب: قال: فلما انتهى رسول الله ﷺ إلى فَمِ الشَّعْبِ خَرَجَ عَلِيٌّ بِنَ أَبِي طَالِبٍ، حَتَّى مَلَأَ دَرَقَتَهُ مَاءً مِنَ الْمَهْرَاسِ ^(٣)، فَجَاءَ بِهِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لِيَشْرَبَ مِنْهُ، فَوَجَدَ لَهُ رِبْحاً، فَعَافَهُ، فَلَمْ يَشْرَبْ مِنْهُ، وَغَسَلَ عَن وَجْهِهِ الدَّمِ، وَصَبَّ عَلَى رَأْسِهِ وَهُوَ يَقُولُ: اشْتَدَّ غَضَبُ اللَّهِ عَلَى مَنْ دَمَى وَجْهَ نَبِيِّهِ ^(٤).

سعد بن أبي وقاص يحرص على قتل عتبة:

قال ابن إسحاق: فحدثني صالح بن كيسان عمن حدّثه عن سعد بن أبي وقاص أنه كان يقول: والله ما حرصت على قتل رجل قط كحرصني على قتل عتبة ابن أبي وقاص، وإن كان ما علمت لسبيء الخلق مبعضاً في قومه، ولقد كفاني منه قول رسول الله ﷺ: اشتد غضب الله على من دمى وجه رسوله ^(٥).

عمر يصعد إلى قريش الجبل: قال ابن إسحاق: فبينما رسول الله ﷺ بالشعب، معه أولئك النفر من أصحابه، إذ علّت عاليةً من قريش الجبل.

قال ابن هشام: كان على تلك الخيل خالد بن الوليد.

قال ابن إسحاق: فقال رسول الله ﷺ: «اللهم إنه لا ينبغي لهم أن يغفلونا» ^(٦)! فقاتل عمر بن الخطاب ورهطاً معه من المهاجرين حتى أقبطوهم من الجبل.

ومعاونة طلحة للرسول: قال ابن إسحاق: ونهض رسول الله ﷺ إلى صخرة من الجبل ليعلوها، وقد كان بذن ^(٧) رسول الله ﷺ، وظاهر بين دزعين، فلما ذهب لينهض ﷺ لم يستطع، فجلس تحته طلحة بن عبيد الله، فنهض به، حتى استوى عليها. فقال رسول الله ﷺ، كما حدثني يحيى بن عبّاد بن عبد الله بن الزبير، عن أبيه، عن عبد الله بن الزبير، عن الزبير، قال: سمعت رسول الله ﷺ يومئذ

(١) في نهاية الأرب «لاقيت» (وفاء الوفا للمسعودي ٣٩٧/٢).

(٢) الحفاظ: الغضب.

(٣) المهراس: ماء بأحد.

(٤) تاريخ الطبري ٥١٩/٢، الأغاني ١٩٧/١٥، السير والمغازي ٣٣١ وفي البيت الأول فقط من الأبيات الأولى، المغازي للواقدي ٢٤٩/١ و٢٥٠، ونهاية الأرب ٩٧/١٧ وفي الأبيات كلها.

(٥) تاريخ الإسلام (المغازي) السير والمغازي ٣٣١، ٣٣٢، الأغاني ١٩٧/١٥، الطبري ٥١٩/٢.

(٦) السير والمغازي ٣٣٢، نهاية الأرب ٧٩٨/١٧ تاريخ الطبري ٥١٦/٢.

(٧) بذن: ضعف.

يقول: «أوجب^(١) طلحة حين صنع برسولِ الله ﷺ ما صنع»^(٢). قال ابن هشام: وبلغني عن عكرمة عن ابن عباس: أن رسول الله ﷺ لم يبلغ الدرّجة المنيّة في الشعب.

قال ابن هشام: وذكر عمر مولى غُفرة: أن النبي ﷺ صلى الظهر يوم أحد قاعداً من الجراح التي أصابته، وصلى المسلمون خلفه فُعوداً^(٣).

قال ابن إسحاق: وقد كان الناس انهزموا عن رسول الله ﷺ حتى انتهى بعضهم إلى المنقى^(٤)، دون الأغوص^(٥).

قال ابن إسحاق: وحدثني عاصم بن عمر بن قتادة، عن محمود بن لبيد، قال: لما خرج رسول الله ﷺ إلى أحد، رفع حُسيل بن جابر، وهو اليمان أبو حذيفة بن اليمان، وثابت بن وقش في الأطم مع النساء والصبيان، فقال أحدهما لصاحبه، وهما شِيخان كبيران: ما أبا لك، ما تنتظر؟ فوالله لا بقي لواحد مئاً من عمره إلا ظم^(٦) حمار، إنما نحن هامة^(٧) اليوم أو غد، أفلا نأخذ أسيفنا، ثم نلحق برسول الله ﷺ، لعل الله يرزقنا شهادةً مع رسول الله ﷺ؟ فأخذوا أسيفهما ثم خرّجا، حتى دخلا في الناس، ولم يُعلم بهما، فأما ثابت بن وقش فقتله المُشركون، وأما حُسيل بن جابر، فاختلفت عليه أسيافُ المُسلمين، فقتلوه ولا يعرفونه^(٨)، فقال حذيفة: أبي؛ فقالوا: والله إن عرفناه، وصدّقوا. قال حذيفة: يَغْفِر الله لكم وهو أرحم الراحمين، فأراد رسول الله ﷺ أن يديه؛ فتصدّق حذيفة بديته على المُسلمين؛ فزاده ذلك عند رسول الله ﷺ خيراً.

قال ابن إسحاق: وحدثني عاصم بن عمر بن قتادة: أن رجلاً منهم كان يدعى حاطب بن أمية بن رافع، وكان له ابن يُقال له يزيد بن حاطب، أصابته جراحةٌ يوم أحد، فأُتي به إلى دار قومه وهو بالموت، فاجتمع إليه أهل الدار، فجعل المُسلمون يقولون له من الرجال والنساء: أبشر يا بن حاطب بالجنة؛ قال: وكان حاطب شيخاً قد عسا في الجاهليّة، فنجم يومئذ نفاقه، فقال: بأي شيء تبشرونه؟ بجنة من حَزَمَل^(٩)! غررتم والله هذا الغلام من نفسه^(١٠).

(١) أوجب: وجبت له الجنة.

(٢) أخرجه الترمذّي وأورده في الرياض النضرة عن عبد الله بن الزبير، عن أبي، وأخرجه أحمد. قال الترمذّي: حسن صحيح. (تاريخ الخميس ١/٤٩٢). وانظر تاريخ الإسلام (المغازي)، ونهاية الأرب ١٧/٩٨، والسير والمغازي ٣٣٢، وتاريخ الطبري ٢/٥٢١، ٥٢٢.

(٣) نهاية الأرب ١٧/٩٨.

(٤) المنقى: مكان بين أحد والمدينة.

(٥) السير والمغازي ٣٣٢.

(٦) يُضرب لُقرب الأجل، فالظماً ما بين الشريتين، والحمار لا يصبر على العطش.

(٧) الهامة: كما تزعم العرب. طائر يخرج من رأس القتل يصيح أسقوني أسقوني حتى يؤخذ بثأره.

(٨) انظر عن ثابت بن وقش في الإصابة ١/١٩٦، ١٩٧ وعن حُسيل بن جابر ١/٣٣١ رقم ١٧٢٠، وتاريخ الإسلام (المغازي)، والأغاني ١٥/٢٠٣، ٢٠٤.

(٩) قال السهيلي: من حرمل، يريد الأرض التي دُفن فيها، وكانت تُنبث الحرمل، أي ليس له جنة إلا ذاك. (انظر الروض الأنف ٣/١٧٧).

(١٠) أنساب الأشراف ١/٢٧٧، المغازي للواقدي ١/٢٦٣، تاريخ الطبري ٢/٥٣٠، ٥٣١.

مقتل قزمان منافقاً: قال ابن إسحاق: وحدثني عاصم بن عمر بن قتادة، قال: كان فينا رجل أتى^(١) لا يُدرى ممّن هو، يقال له: قزمان، وكان رسول الله ﷺ يقول، إذا ذُكر له: إنه لمن أهل النار، قال: فلما كان يوم أحد قاتل قتالاً شديداً، فقتل وحده ثمانية أو سبعة من المشركين، وكان ذا بأس، فأثبتته الجراحة، فاحتُمِل إلى دار بني ظَفَر، قال: فجعل رجالٌ من المسلمين يقولون له: والله لقد أبليتَ اليوم يا قزمان، فأبشِر، قال: بماذا أبشِر؟ فوالله إن قاتلتُ إلا عن أحساب قومي، ولولا ذلك ما قاتلتُ. قال: فلما اشتدّت عليه جراحته أخذ سَهْمًا من كِنانته، فقتل به نفسه^(٢).

قتل مُخَيَّرِيق: قال ابن إسحاق: وكان ممن قُتل يوم أحد مُخَيَّرِيق، وكان أحد بني ثعلبة بن الفطَيون، قال: لما كان يوم أحد، قال: يا معشر يهود، والله لقد علمتم أن نصر محمد عليكم لحق، قالوا: إن اليوم يوم السبت، قال: لا سبت لكم. فأخذ سيفه وعُدته، وقال: إن أُصِيبَت فَمَالِي لِه حَمْد يَضَع فيه ما شاء، ثم غدا إلى رسول الله ﷺ، فقاتل معه حتى قُتل؛ فقال رسول الله ﷺ - فيما بلغنا - «مُخَيَّرِيق خير يهود»^(٣).

الحارث بن سويد: قال ابن إسحاق: وكان الحارث بن سويد بن صامت منافقاً، فخرج يوم أحد مع المسلمين، فلما التقى الناس، عدا على المُجَدَّر بن زياد البلوي، وقيس بن زيد، أحد بني ضبيعة، فقتلها، ثم لحق بمكة بقرش؛ وكان رسول الله ﷺ - فيما يذكرون - قد أمر عمر بن الخطاب بقتله إن هو ظفر به، ففاته، فكان بمكة؛ ثم بعث إلى أخيه الجلاس بن سويد يطلب التوبة، ليرجع إلى قومه. فأنزل الله تعالى فيه، فيما بلغني، عن ابن عباس: ﴿كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ وَشَهِدُوا أَنَّ الرُّسُولَ حَقٌّ وَجَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [آل عمران: ٨٦] إلى آخر القصة.

قال ابن هشام: حدثني مَنْ أثق به من أهل العلم: أن الحارث بن سويد قتل المُجَدَّر بن زياد، ولم يقتل قيس بن زيد، والدليل على ذلك: أن ابن إسحاق لم يذكره في قتلى أحد؛ وإنما قتل المُجَدَّر، لأن المُجَدَّر بن زياد كان قتل أباه سويداً في بعض الحروب التي كانت بين الأوس والخزرج^(٤)، وقد ذكرنا ذلك فيما مضى من هذا الكتاب.

فبينما رسول الله ﷺ، في نفر من أصحابه، إذ خرج الحارث بن سويد من بعض حوائط المدينة، وعليه ثوبان مُضَرَّجان، فأمر به رسول الله ﷺ عثمان بن عفان، فضرب عنقه؛ ويقال: بعض الأنصار. قال ابن إسحاق: قتل سويد بن الصّامت معاذ بن عفراء غيلةً، في غير حرب رماه بسهم فقتله قبل يوم بُعث.

أمر أصيرم: قال ابن إسحاق: وحدثني الحُصَيْن بن عبد الرحمن بن عمرو بن سعد بن معاذ عن أبي سفيان، مولى ابن أبي أحمد، عن أبي هريرة قال: كان يقول: حدثوني عن رجل دخل الجنة لم يُصل قط، فإذا لم يعرفه الناس سألوه: من هو؟ فيقول: أصيرم، بني عبد الأشهل، عمرو بن ثابت بن

(١) أتى: غريب. لا يُدرى من أين أتى.

(٢) تاريخ الإسلام (المغازي)، المغازي للواقدي ١/٢٦٤، الطبري ٢/٥٣١.

(٣) تاريخ الطبري ٢/٥٣١، أنساب الأشراف ١/٣٢٥ رقم ٧٠٦ و١/٥١٨ رقم ١٠٤٢.

(٤) انظر: أنساب الأشراف ١/٢٣٨ رقم ٥٦٣ و١/٢٧٥ رقم ٦٤٠ و١/٣٣١، ٨٣٣٢.

وَفَش. قال الحُصَيْن: فقلت لمحمود بن أسد: كيف كان شأن الأَصِيرِم؟ قال: كان يأبى الإسلام على قومه. فلما كان يوم خَرَجَ رسولُ الله ﷺ إلى أحد، بدا له في الإسلام فأسلم، ثم أخذ سيفه، فعدا حتى دخل في عُرْضِ الناس، فقاتل حتى أثبتته الجراحة. قال: فبينما رجال من بني عبد الأشهل يَلْتَمِسُونَ قَتْلَهُمْ في المعركة إذا هم به، فقالوا: والله إن هذا للأَصِيرِم، ما جاء به؟ لقد تركناه وإنه لَمُنْكَرٌ لهذا الحديث، فسألوه ما جاء به؛ فقالوا: ما جاء بك يا عمرو؟ أَخَذَبَ على قومك أم رَغْبَةٌ في الإسلام؟ قال: بل رَغْبَةٌ في الإسلام، آمَنت بالله وبرسوله وأسلمتُ، ثم أخذت سَيْفِي، فغدوتُ مع رسول الله ﷺ، ثم قاتلت حتى أصابني ما أصابني، ثم لم يلبث أن مات في أيديهم. فذكروه لرسول الله ﷺ، فقال: «إنه لمن أهل الجنة»^(١).

عمرو بن الجموح ومقتله: قال ابن إسحاق: وحدثني أبي إسحاق بن يسار، عن أشياخ من بني سلمة: أن عمرو بن الجموح كان رجلاً أعرج شديد العرج، وكان له بنون أربعة مثل الأسد، يشهدون مع رسول الله ﷺ المشاهد، فلما كان يوم أحد أرادوا حَبْسَهُ، وقالوا له: إن الله عز وجل قد عَذَرَكَ، فأتى رسول الله ﷺ، فقال: إن بني يريدون أن يخبسوني عن هذا الوجه، والخروج معك فيه، فوالله إني لأرجو أن أظأ بعزجتي هذه في الجنة؛ فقال رسول الله ﷺ: «أما أنت فقد عَذَرَكَ الله فلا جهاد عليك»، وقال لبنيه: «ما عليكم أن لا تمنعوه، لعل الله أن يرزقه الشهادة». فخرج معه فقتل يوم أحد^(٢).

هند وتمثيلها بحمزة: قال ابن إسحاق: ووقعت هند بنت عتبة، كما حدثني صالح بن كيسان، والنسوة اللاتي معها، يمثلن بالقتلى من أصحاب رسول الله ﷺ، يجدن^(٣) الآذان والأنف، حتى اتخذت هند من آذان الرجال وأنفهم خَدَمًا^(٤) وقلائد، وأعطت خَدَمَهَا وقلائدها وقَرَطَهَا وخَشِيًا، غلام جُبَيْر بن مطعم، وبَقَرَتْ عن كَبْدِ حمزة، فلاكتها، فلم تستطع أن تُسَيِّغَهَا، فَلَقَطَتْهَا، ثم عَلت على صخرة مشرفة، فصَرَخت بأعلى صوتها فقالت:

نَحْنُ جَزَيْنَاكُمْ بِيَوْمِ بَدْرٍ
مَا كَانَ عَنْ عُتْبَةَ لِي مِنْ صَبْرٍ
وَالْحَزْبُ بَعْدَ الْحَزْبِ ذَاتِ سُغْرِ
شَفِيَتْ نَفْسِي^(٦) وَقَضِيَتْ نَذْرِي^(٧)
وَلَا أَخِي وَعَمَّهُ وَبِكْرِي^(٥)
شَفِيَتْ وَخَشِيَتْ غَلِيلَ صَدْرِي^(٨)

(١) أنساب الأشراف ١/٣٢٥ رقم ٧٠٦، المغازي للواقدي ١/٨٢٦٢

(٢) وزاد غير ابن إسحاق أنه لما خرج قال: اللهم لا ترذني، فاستشهد، فجعله بنوه على بعير، ليحملوه إلى المدينة، فاستصعب عليهم البعير، فكان إذا وجهوه إلى كل جهة سارع لإجهاه المدينة، فكان يأبى الرجوع إليها، فلما لم يقدرُوا عليه ذكروا قوله: اللهم لا ترذني إليها، فدفنوه في مصرعه (انظر الروض ٣/١٧٧)، وأخرجه أحمد في المسند ٥/٢٩٩، والذهبي في سير أعلام النبلاء ١/٧٢٥٤ وتاريخ الإسلام (المغازي)، والمغازي للواقدي ١/٢٦٤.

(٣) يجدن: يقطعن.

(٤) في البدء والتاريخ:

ما كان من عتبة لي من مُضِرٍ ولا أخيه لا ولا من صهر

(٦) في تاريخ الإسلام «صدري».

(٨) في البدء والتاريخ «فشكر وحشي علي عمر».

(٧) في نهاية الأرب «وترى».

فَشُكِرَ وَخَشِيَ عَلَيَّ عُمَرِي حَتَّى تَرَمَّ أَعْظَمِي فِي قَبْرِي ^(١)
فَأَجَابَتْهَا هِنْدُ بِنْتُ أُنَاثَةَ بْنِ عَبَّادِ بْنِ الْمُطَلَبِ، فَقَالَتْ:
حَزِيَّتِي ^(٢) فِي بَدْرٍ وَبَعْدَ بَدْرٍ يَا بِنْتَ وَقَاعٍ ^(٣) عَظِيمِ الْكُفْرِ
صَبَّحَكَ اللَّهُ غَدَاةَ الْفَجْرِ مَلْهَاشِمِيِّنَ الطُّوَالِ الزُّهْرِ ^(٤)
بِكَلِّ قَطْعِ حُسَامِ يَفْرِي حَمَزَةٌ لَيْثِي وَعَلَيَّ صَفْرِي
إِذْ رَامَ شَيْبٌ وَأَبُوكَ غَدْرِي فَخَضَّبَا مِنْهُ ضَوَاحِي النَّخْرِ ^(٥)
وَنَذَرَكَ السُّوءَ فَشَرَّ نَذْرٍ ^(٦)

قال ابن هشام: تركنا منها ثلاثة أبيات أقدمت فيها.

قال ابن إسحاق: وقالت هند بنت عتبة أيضاً:

شَفِيْتُ مِنْ حَمَزَةٍ نَفْسِي بِأَحَدٍ حَتَّى بَقَرْتُ بَطْنَهُ عَنِ الْكَيْدِ
أَذَقَبَ عَنِّي ذَاكَ مَا كُنْتُ أَجِدُ مِنْ لَذْعَةِ الْحُزْنِ الشَّدِيدِ الْمُعْتَمِدِ
وَالْحَرْبِ تَغْلُوكُمْ بِشُؤْبُوبٍ ^(٧) بَرِدٍ تُقَدِّمُ إِقْدَاماً عَلَيْكُمْ كَالْأَسَدِ

قال ابن إسحاق: فحدثني صالح بن كيسان أنه حدث: أن عمر بن الخطاب قال لحسان بن ثابت: يا بن الفريعة - قال ابن هشام: الفريعة بنت خالد بن خنيس، ويقال: خنيس: ابن حارثة بن لؤذان بن عبد وذي بن زيد بن ثعلبة بن الخزرج بن ساعدة بن كعب بن الخزرج - لو سمعت ما تقول هند، ورأيت أشرها قائمة على صخرة ترتجز بنا، وتذكر ما صنعت بحمزة؟ قال له حسان: والله إنني لأنظر إلى الحزبة تهوي وأنا على رأس فارح - يعني أطمه - فقلت: والله إن هذه ل سلاح ما هي بسلاح العرب، وكأنها إنما تهوي إلى حمزة ولا أدري، لكن أسمعني بعض قولها أكفكموها؛ قال: فأنشده عمر بن الخطاب بعض ما قالت؛ فقال حسان بن ثابت:

أَشْرَتْ لِكَاعٍ ^(٨) وَكَانَ عَادَتْهَا لَوْ مَا إِذَا أَشْرَتْ مَعَ الْكُفْرِ ^(٩)
قال ابن هشام: وهذا البيت في أبيات له تركناها، وأبياتاً أيضاً له على الدال. وأبياتاً أخر على الدال، لأنه أقدم فيها.

(١) وردت الأبيات الثلاثة الأولى في: البدء والتاريخ ٤/٢٠٤، وتاريخ الإسلام (المغازي)، وأسد الغابة ٥/٥٥٩، والاستيعاب ٤/٤٢٢، وهي كلها في نهاية الأرب ١٧/١٠١، وانظر السير والمغازي ٣٣٣.

(٢) في البدء والتاريخ «جزيت». (٣) الوقاع: كثير الوقوع في الدنيا.

(٤) ملهاشميين: أرادت من الهاشميين، والزهر: البيض.

(٥) شيب: أرادت شيبة، فرخمته بغير نداء، وهو قليل لضرورة الشعر: ضواحي البحر: ما ظهر من أعلى الصدر.

(٦) ورد البيت الأول فقط في البدء والتاريخ ٤/٢٠٤، والثلاثة الأولى في أسد الغابة ٥/٥٥٩، والاستيعاب ٤/٤٢٢، وهي كلها في نهاية الأرب ١٧/١٠١.

(٧) الشؤبوب: الدفعة الشديدة من المطر.

(٨) لكاع: كثر بها عن هند، وامرأة لكاع كقطام: لثيمة.

(٩) في الأغاني ١٥/١٩٨ «من الكفر» والمثبت يتفق مع روايتي: ديوان حسان ٢٢٩، وتاريخ الطبري ٢/٥٢٥.

قال ابن إسحاق: وقد كان الحُليسي بن زَبَّان، أخو بني الحارث بن عبد مناة، وهو يومئذ سيّد الأبيش، قد مرّ بأبي سفيان، وهو يضرب في شذق حمزة بن عبد المطلب بزُجّ الرمح ويقول: دُقْ عَقَقٌ^(١)؛ فقال الحُليسي: يا بني كنانة، هذا سيّد قُرَيْش يصنع بابن عمّه ما تَرَوْنَ لِحِمَاماً؟ فقال: ويحك! اكْتُمها عني، فإنها كانت زَلَّةً^(٢).

أبو سفيان يشمت بالمسلمين: ثم إن أبا سفيان بن حَزْب، حين أراد الانصراف، أشرف على الجبل، ثم صَرَخَ بأعلى صوته فقال: أنعمت^(٣) فعال، وإن الحرب سجال يوم بيوم، أغل هُبَل، أي أظهر دينك؛ فقال رسول الله ﷺ: «قُمْ يا عُمَرُ فأجبه، فقل: الله أعلى وأجل، لا سواء^(٤)، قَتَلنا في الجَنَّةِ، وقَتَلناكم في النَّارِ». فلما أجاب عُمَرُ أبا سفيان، قال له أبو سفيان: هَلَمَّ إليّ يا عمر؛ فقال رسولُ الله ﷺ لعُمَرُ: «ائته فانظر ما سَأَته»؛ فجاءه، فقال له أبو سفيان: أنشدك الله يا عمر، أَقَتَلنا محمداً؟ قال عمر: اللهم لا، وإنه ليسمع كلامك الآن؛ قال: أنت أصدق عندي من ابن قَمَته وأبر؛ لقول ابن قَمَته لهم: إني قد قتل محمدًا^(٥).

قال ابن هشام: واسم ابن قمته: عبد الله.

قال ابن إسحاق: ثم نادى أبو سفيان: إنه قد كان في قَتَلناكم مثل، والله ما رضيت، وما سَخَطت، وما نهيت، وما أمرت.

ولما انصرف أبو سفيان ومن معه، نادى: إن موعدكم بدر للعام القابل؛ فقال رسول الله ﷺ لرجل من أصحابه: «قُلْ: نعم، هو بيننا وبينكم موعد»^(٦).

علي يخرج في آثار المشركين: ثم بعث رسولُ الله ﷺ عليّ بن أبي طالب، فقال: اخرج في آثار القوم، فانظر ماذا يصنعون وما يريدون، فإن كانوا قد جَنَّبُوا^(٧) الخيل، وامتنطوا الإبل، فإنهم يريدون مكة، وإن ركبوا الخيل وساقوا الإبل، فإنهم يريدون المدينة، والذي نفسي بيده، لئن أرادوها لأسيرن إليهم فيها، ثم لأنجزنهم. قال عليّ: فخرجت في آثارهم أنظر ماذا يصنعون؛ فجنَّبُوا الخيل، وامتنطوا الإبل، ووجَّهوا إلى مكة^(٨).

سعد بن الربيع: وفرغ الناس لقتلهم، فقال رسولُ الله ﷺ كما حدثني محمد بن عبد الله بن

(١) عَقَق: أي يا عاق.

(٢) الأغاني ٢٠٠/١٥، ٢٠١، نهاية الأرب ١٧/١٠٢، تاريخ الطبري ٢/٥٢٧.

(٣) أي بالغنا في فعالنا.

(٤) أي لا نحن سواء، ولا يجوز دخول لا على اسم مبتدأ معرفة إلا مع التكرار، نحو لا زيد قائم، ولا عمرو خارج، ولكنه جاز في هذا الموضع، لأن القصد فيه إلى نفي الفعل، أي لا يستوي كما جاز لا ندلك، أي: لا ينبغي لك. (الروض الأنف ٣/١٧٩).

(٥) السير والمغازي ٣٣٣، ٣٣٤، الأغاني ١٥/١٩٩، ٢٠٠، الطبري ٢/٥٢٦، ٥٢٧، المغازي للواقدي ١/٢٩٦، ٢٩٧.

(٦) السير والمغازي ٣٣٤، الأغاني ١٥/٢٠٠، ٢٠١، الطبري ٢/٥٢٧.

(٧) جنَّبُوا الخيل: قادوها إلى جنوبهم ليستعملوها وقت الحاجة.

(٨) السير والمغازي ٧٣٣٤ تاريخ الطبري ٢/٥٢٧، ٥٢٨، الأغاني ١٥/٢٠١، نهاية الأرب ١٧/٩٩، ١٠٠، المغازي للواقدي ١/٢٩٧، ٢٩٨.

عبد الرحمن بن أبي صَغَصَعَةَ المازني، أخو بني النَّجَّار: « مَنْ رَجُلٌ يَنْظُرُ لِي مَا فَعَلَ سَعْدُ بْنُ الرَّبِيعِ؟ أَفِي الْأَحْيَاءِ هُوَ أَمْ فِي الْأَمْوَاتِ؟ » فقال رجل من الأنصار^(١): « أنا أنظر لك يا رسول الله ما فعل سعد، فنظر فوجده جريحاً في القتلى وبه رمق. قال: فقلت له: إن رسول الله ﷺ أمرني أن أنظر، أفي الأحياء أنت أم في الأموات؟ قال: أنا في الأموات، فأبلغ رسول الله ﷺ عني السلام، وقل له: إن سعد بن الربيع يقول لك: جزاك الله عتاً خيراً ما جرى نبياً عن أمته، وأبلغ قومك عني السلام وقُل لهم: إن سعد بن الربيع يقول لكم: إنه لا عُذْرَ لَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ إِنْ خُلِصَ إِلَى نَبِيِّكُمْ ﷺ وَمِنْكُمْ عَيْنٌ تَطْرَفُ. قال: ثم لم أُبْرَحْ حَتَّى مَاتَ؛ قال: فَجِئْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَأَخْبَرْتَهُ خَبْرَهُ^(٢) ».

قال ابن هشام: وحدثني أبو بكر الزُّبيري، أن رجلاً دَخَلَ عَلَى أَبِي بَكْرٍ الصَّدِيقِ، وَبِنْتُ لِسَعْدِ بْنِ الرَّبِيعِ جَارِيَةٌ صَغِيرَةٌ عَلَى صَدْرِهِ يَزُشِفُهَا وَيَقْبَلُهَا؛ فَقَالَ لَهُ الرَّجُلُ: مَنْ هَذِهِ؟ قَالَ: هَذِهِ بِنْتُ رَجُلٍ خَيْرٍ مِنِّي، سَعْدِ بْنِ الرَّبِيعِ، كَانَ مِنَ الثَّقَبَاءِ يَوْمَ الْعَقَبَةِ، وَشَهِدَ بَدْرًا، وَاسْتَشْهَدَ يَوْمَ أُحُدٍ.

الرسول يحزن على حمزة ويتوعد المشركين بالمثلة:

قال ابن إسحاق: وخرج رسول الله ﷺ، فيما بلغني، يَلْتَمِسُ حَمْزَةَ بْنَ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، فَوَجَدَهُ بِبَطْنِ الْوَادِي قَدْ بَقِرَ بَطْنُهُ عَنِ كَبِدِهِ، وَمِثْلُ بِهِ، فَجُدَعَ أَنْفَهُ وَأَذْنَاهُ^(٣).

فحدثني محمد بن جَعْفَرِ بْنِ الزُّبَيْرِ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ حِينَ رَأَى مَا رَأَى: لَوْلَا أَنْ تَحْزَنَ صَفِيَّةٌ، وَيَكُونُ سُنَّةٌ مِنْ بَعْدِي لَتَرَكْتَهُ، حَتَّى يَكُونَ فِي بُطُونِ السَّبَاعِ، وَخَوَاصِلِ الطَّيْرِ، وَلِئِنْ أَظْهَرَنِي اللَّهُ عَلَى قَرِيشٍ فِي مَوْطِنٍ مِنَ الْمَوَاطِنِ لِأَمْثَلِنَ بِثَلَاثِينَ رَجُلًا مِنْهُمْ، فَلَمَّا رَأَى الْمُسْلِمُونَ حُزْنَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَغَيْظَهُ عَلَى مَنْ فَعَلَ بِعَمِهِ مَا فَعَلَ، قَالُوا: وَاللَّهِ لَئِنْ أَظْفَرْنَا اللَّهَ بِهِمْ يَوْمًا مِنَ الدَّهْرِ لَنَمِثِّلَنَّهُمْ بِهِمْ مِثْلَهُ لَمْ يُمِثِّلْهُ أَحَدٌ مِنَ الْعَرَبِ^(٤).

قال ابن هشام: ولما وقف رسول الله ﷺ على حَمْزَةَ قَالَ: لَنْ أَصَابَ بِمِثْلِكَ أَبَدًا! مَا وَقَفْتُ مَوْقِفًا قَطُّ أَغِيظُ إِلَيْهِ مِنْ هَذَا! ثُمَّ قَالَ: «جاءني جبريل فأخبرني أن حمزة بن عبد المطلب مكتوب في أهل السموات السبع: حمزة بن عبد المطلب، أسد الله، وأسد رسوله^(٥)».

وكان رسول الله ﷺ وحمزة وأبو سلمة بن عبد الأسد، إخوة من الرضاعة، أضععتهم مولاة لأبي لهب^(٦).

قال ابن إسحاق: وحدثني بُرَيْدَةُ بْنُ سُفْيَانَ بْنِ قَرْوَةَ الْأَسْلَمِيِّ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ كَعْبِ الْقُرْظِيِّ،

(١) الرجل: هو محمد بن مسلمة، ذكره الواقدي، وذكر أنه نادى في القتلى: يا سعد بن الربيع مرة بعد مرة، فلم يُجِبْه أحد، قال: يا سعد إن رسول الله - ﷺ - أرسلني لأنظر ما صنعت، فأجابته حينئذ بصوت ضعيف، وذكر الحديث.

(٢) الخبر في: الاستيعاب ٤/١٤٥، أسد الغابة ٢/٣٤٨، الإصابة ٤/١٤٤، سير أعلام النبلاء ١/٣١٨، ٣١٩، الأغاني ١٥/٢٠٠، ٢٠١، تاريخ الطبري ٢/٥٢٨، السير والمغازي ٣٣٤، ٣٣٥، نهاية الأرب ١٧/١٠٦، ١٠٧.

(٣) السير والمغازي ٣٣٥، تاريخ الطبري ٢/٥٢٨، الأغاني ١٥/٢٠١.

(٤) السير والمغازي ٣٣٥ وفيه: «لم يمثله أحد من العرب بأحد قط» وكذا في تاريخ الطبري ٢/٥٢٨، ٥٢٩، والأغاني ١٥/٢٠١، وسير أعلام النبلاء ١/١٧٩، ١٨٠.

(٥) نهاية الأرب ١٥/١٠٣.

(٦) هي ثويبة.

وحدثني من لا أتهم، عن ابن عباس: أن الله عزَّ وجلَّ أنزل في ذلك، من قول رسول الله ﷺ، وقول أصحابه: ﴿وَأَنْ عَابَقْتُمْ فَقَابُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ وَلَكِنْ صِرْتُمْ أَحْوَجًا لِمَنْ كَفَرْتُمْ﴾ [التحل: ١٢٦، ١٢٧]، فعفا رسول الله ﷺ، وصبر ونهى عن المثلة^(١).

قال ابن إسحاق: وحدثني حميد الطويل، عن الحسن، عن سمرة بن جندب، قال: ما قام رسول الله ﷺ في مقام قط ففارقه، حتى يأمرنا بالصدقة، وينهانا عن المثلة^(٢).

قال ابن إسحاق: وحدثني من لا أتهم عن مفسم، مولى عبد الله بن الحارث، عن ابن عباس، قال: أمر رسول الله ﷺ بحمزة فسُجِّي^(٣) ببردة ثم صلى عليه، فكبر سبع تكبيرات، ثم أتني بالقتلى فيوضعون إلى حمزة، فصلى عليهم وعليه معهم، حتى صلى عليه ثنتين وسبعين صلاة^(٤).

قال ابن إسحاق: وقد أقبلت فيما بلغني، صغية بنت عبد المطلب لتتنظر إليه، وكان أخاها لأبيها وأُمها، فقال رسول الله ﷺ لابنها الزبير بن العوام: القها فأزجمها، لا ترى ما بأخيها؛ فقال لها: يا أمة إن رسول الله ﷺ يأمرُك أن تَرْجعي، قالت: ولم؟ وقد بلغني أن قد مثل بأخي، وذلك في الله، فما أرضانا بما كان من ذلك! لأحتسبن ولأضربن إن شاء الله. فلما جاء الزبير إلى رسول الله ﷺ فأخبره بذلك؛ قال: خلَّ سبيلها، فاتته، فنظرت إليه، فصلت عليه، واسترجعت^(٥)، واستغفرت له، ثم أمر به رسول الله ﷺ فدفن^(٦).

(١) تاريخ الطبري ٥٢٩/٢، السير والمغازي ٣٣٥، الأغاني ٢٠١/١٥، نهاية الأرب ١٠٢/١٧.

(٢) والرواي هو حميد بن تيرويه، ويقال: ابن نيري يُكنى أبا حميدة مولى طلحة الطلحات، وهو حديث صحيح في النهي عن المثلة. فإن قيل: لقد مثل رسول الله ﷺ - بالمرتين فقطع أيديهم وأرجلهم وسمل أعينهم، وتركهم بالحرّة.

قلنا: في ذلك جوابان: أحدهما: أنه فعل ذلك قصاصاً لأنهم قطعوا أيدي الرعاة وأرجلهم وسملوا أعينهم، روي ذلك في حديث أنس، وقيل: إن ذلك قبل تحريم المثلة. فإن قيل: فقد تركهم يستسقون فلا يسقون، حتى ماتوا عطشاً، قلنا عطشهم لأنهم عطشوا أهل بيت النبي ﷺ. تلك الليلة، روي في حديث مرفوع أنه عليه السلام لما بقي وأهله تلك الليلة بلا لبن، قال: اللهم عطش أهل بيت نبيك. وقع هذا في شرح ابن بطلان، وقد خرجه التسوي. (الروض الأنف ١٧٨/٣).

(٣) سُجِّي: عُطِي.

(٤) لم يأخذ بهذا الحديث فقهاء الحجاز ولا الأوزاعي لوجهين: أحدهما ضعف إسناد هذا الحديث، فإن ابن إسحاق قال: حدثني من لا أتهم، يعني: الحسن بن عمارة - فيما ذكروا - ولا خلاف في ضعف الحسن بن عمارة عند أهل الحديث، وأكثرهم لا يرونه شيئاً، وإن كان الذي قال ابن إسحاق، حدثني من لا أتهم غير الحسن، فهو مجهول، والجهل يوبقه. والوجه الثاني: أنه لا يروى عن رسول الله ﷺ - أنه صلى على شهيد في شيء من مغازيه إلا هذه الرواية في غزوة أحد، وكذلك في مدة الخليفتين إلا أن يكون الشهيد مُزْتَمِناً من المعركة. وأما ترك غسله، فقد أجمعوا عليه، وإن اختلفوا في الصلاة إلا رواية شاذة عند بعض التابعين، والمعنى في ذلك - والله أعلم - تحقيق حياة الشهداء وتصديق قوله سبحانه: ﴿وَلَا تَحْسِنَ الَّذِينَ قَتَلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَالَهُمْ﴾ الآية، مع أن في ترك غسله معنى آخر، وهو أن دمه أثر عبادة، وهو يجيء يوم القيامة وجرحه يثعب دماً وريحه ريح المسك، فكيف يُطهر منه وهو طيب وأثر عبادة، ومن هذا الأصل انتزع بعض العلماء كراهية تجفيف الوجه من ماء الوضوء، وهو قول الزهري. والحديث في السير والمغازي ٧٣٣٥ وانظر مجمع الزوائد (١٢٠/٦).

(٥) استرجعت: قالت: إنا لله وإنا إليه راجعون، فهو فعل منحوت من الجملة، مثل: حَوَّلَ وَيَسْمَلُ واستعاذ إلى آخر هذه الأفعال المنحوتة.

(٦) تاريخ الطبري ٥٢٩/٢، الأغاني ٢٠٣/١٥، تاريخ الإسلام (المغازي)، نهاية الأرب ١٠٣/١٧.

دفن الشهداء حمزة:

قال: فزعم لي آل عبد الله بن جحش - وكان لأميمة بنت عبد المطلب، حمزة خاله، وقد كان مثل به كما مثل بحمزة، إلا أنه لم يُبقر عن كبده - أن رسول الله ﷺ دفنه مع حمزة في قبره، ولم أسمع ذلك إلا عن أهله^(١).

قال ابن إسحاق: وكان قد احتمل ناس من المسلمين قتلهم إلى المدينة، فدفنوهم بها، ثم نهي رسول الله ﷺ عن ذلك، وقال: «ادفنوهم حيث صرِعوا»^(٢).

قال ابن إسحاق: وحدثني محمد بن مسلم الزهري، عن عبد الله بن ثعلبة بن صعير العذري، حليف بني زهرة: أن رسول الله ﷺ لما أشرف على القتل يوم أحد، قال: «أنا شهيد على هؤلاء، إنه ما من جريح يُخرج في الله، إلا والله يبعثه يوم القيامة يذمي جرحه، اللون لون دم والريح ريح مسك، انظروا أكثر هؤلاء جمعاً للقرآن، فاجعلوه أمام أصحابه في القبر» - وكانوا يذنون الاثنين والثلاثة في القبر الواحد.

قال: وحدثني عمي موسى بن يسار، أنه سمع أبا هريرة يقول: قال أبو القاسم ﷺ: «ما من جريح يُجرح في الله إلا والله يبعثه يوم القيامة وجرحه يذمي، اللون لون دم، والريح ريح مسك»^(٣).

قال ابن إسحاق: وحدثني أبي إسحاق بن يسار، عن أنشياخ من بني سلمة: أن رسول الله ﷺ قال يومئذ، حين أمر بدفن القتلى: انظروا إلى عمرو بن الجموح، وعبد الله بن عمرو بن حرام، فإنهما كانا متصافيين في الدنيا، فاجعلوهما في قبر واحد^(٤).

(١) تاريخ الطبري ٥٢٩/٢، ٥٣٠.

(٢) تاريخ الطبري ٥٣٢/٢، نهاية الأرب ١٧/١٠٣.

(٣) تاريخ الإسلام (المغازي)، وقد روى الهيثمي في مجمع الزوائد (١١٩/٦) باب مقتل حمزة رضي الله عنه، عن كعب بن مالك أن رسول الله ﷺ قال: «من رأى مقتل حمزة؟ فقال رجل: أعزك الله أنا رأيت مقتله، فانطلق فوقف على حمزة فرآه قد شق بطنه وقد مثل به فقال: يا رسول الله قد مثل به، فكره رسول الله ﷺ أن ينظر إليه ووقف بين ظهرائي القتلى وقال: أنا شهيد على هؤلاء لفوهم بدمائهم فإنه ليس مجروح يجرح في سبيل الله إلا جاء جرحه يوم القيامة يذمي لون الدم وريحه ريح المسك. قدموا أكثرهم قرآناً واجعلوه في اللحد». ورواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح.

(٤) الحديث صحيح له شاهد في صحيح مسلم، كتاب الإمامة (١٠٥) باب فضل الجهاد والخروج في سبيل الله، قال: حدثنا عمرو الناقد وزهير بن حرب، قالوا: حدثنا سفيان بن عيينة، عن أبي الزناد، عن الأعرج، عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ قال: «لا يكلم أحد في سبيل الله، والله أعلم بمن يكلم في سبيله، إلا جاء يوم القيامة وجرحه يُثعب، اللون لون دم والريح ريح يسك». وله حديث آخر بنحوه عن محمد بن رافع، عن عبد الرزاق، عن معمر، عن همام بن منبه، عن أبي هريرة (١٠٦)، وأخرج النسائي الحديث الأول مثل مسلم في كتاب الجهاد (٢٨/٦، ٢٩) باب من كُلم في سبيل الله عز وجل. وأخرج ابن ماجه حديثاً قريباً من رواية ابن هشام في كتاب الجهاد (٢٧٩٥) باب القتال في سبيل الله سبحانه وتعالى، عن بشر بن آدم وأحمد بن ثابت الجحدري، قالوا: حدثنا صفوان بن عيسى، حدثنا محمد بن عجلان، عن القعقاع بن حكيم، عن أبي صالح، عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من مجروح يخرج في سبيل الله، والله يعلم بمن يجرح في سبيله، إلا جاء يوم القيامة وجرحه كهيته يوم جرح. اللون لون دم، والريح ريح مسك». وهو في سنن الدارمي في كتاب الجهاد، باب (١٤)، كتاب الجهاد (صفحة ٣٠٦) رقم (٩١٢) باب الشهداء في سبيل الله، ومسند أحمد ٢/٢٤٢ و٣٩١ و٣٩٨ و٣٩٩ و٤٠٠ و٥١٢ و٥٢٠ و٥٣١ و٥٣٧ و٢٩٩.

قال ابن إسحاق: ثم انصرف رسول الله ﷺ راجعاً إلى المدينة، فلقيته حمنة بنت جحش، كما ذكر لي، فلما لقيت الناس نعي إليها أخوها عبد الله بن جحش، فاسترجعت واستغفرت له^(١)، ثم نعي لها خالها حمزة بن عبد المطلب فاسترجعت واستغفرت له، ثم نعي لها زوجها مضعب بن عمير، فصاحت وولوت! فقال رسول الله ﷺ: إن زوج المرأة منها لنمكان! لِمَا رأى من تثبتها عند أخيها وخالها، وصياحها على زوجها^(٢).

قال ابن إسحاق: ومّر رسول الله ﷺ بدار من دور الأنصار من بني عبد الأشهل وظفر، فسمع البكاء والتوائح على قتلاهم، فذرفت عينا رسول الله ﷺ، فبكى، ثم قال: لكن حمزة لا بواكي له^(٣)! فلما رجع سعد بن معاذ وأسيد بن حضير إلى دار بني عبد الأشهل أمرا نساءهم أن يتحزمن، ثم يذهبن فيبيكين على عم رسول الله ﷺ^(٤).

قال ابن إسحاق: حدثني حكيم بن حكيم عن عبّاد بن حنيف، عن بعض رجال بني عبد الأشهل، قال: لما سمع رسول الله ﷺ بكاءهن على حمزة خرج عليهن وهن على باب مسجده يبكين عليه، فقال: ارجعن يرحمكن الله، فقد آسيتن بأنفسكن^(٥).

قال ابن هشام: ونهي يومئذ عن التّوح.

قال ابن هشام: وحدثني أبو عبيدة: أن رسول الله ﷺ لما سمع بكاءهن، قال: «رحم الله الأنصار! فإن المواساة منهم ما عثمت لقدمية، مروهن فليُنصرفن»^(٦).

المرأة الدينارية: قال ابن إسحاق: وحدثني عبد الواحد بن أبي عون، عن إسماعيل بن محمد، عن سعد بن أبي وقاص، قال: مرّ رسول الله ﷺ بامرأة من بني دينار، وقد أصيب زوجها وأخوها وأبوها مع رسول الله ﷺ بأحد، فلما نعوها لها، قالت: فما فعل رسول الله ﷺ؟ قالوا: خيراً يا أم فلان، هو بحمد الله كما تحبين؛ قالت: أرونيه حتى أنظر إليه؟ قال: فأشير لها إليه، حتى إذا رآته قالت: كلّ مُصيبة بعدك جَلَل! تُريد صغيرة^(٧).

قال ابن هشام: الجلل: يكون من القليل، ومن الكثير، وهو ها هنا من القليل. قال امرؤ القيس

في الجلل القليل:

لَقَتْلُ بَنِي أَسَدٍ رَبِّهِمْ^(٨) أَلَا كُلُّ شَيْءٍ سِوَاهُ جَلَلٌ

قال ابن هشام: وأما قول الشاعر، وهو الحارث بن وغلّة الجرمي:

(١) تاريخ الطبري ٥٣٢/٢، تاريخ الإسلام (المغازي).

(٢) تاريخ الطبري ٥٣٢/٢.

(٣) رواه أبو يعلى بإسنادين رجال أحدهما رجل الصحيح، عن ابن عمر، وأنس بن مالك قال: لما رجع رسول الله ﷺ من أحد سمع نساء الأنصار يبكين فقال: «لكن حمزة لا بواكي له»، فبلغ ذلك نساء الأنصار فبيكين حمزة، فنام رسول الله ﷺ ثم استيقظ وهن يبكين فقال: يا ويحهن ما زلن يبكين منذ اليوم فليبيكين ولا يبكين على هالك بعد اليوم».

(٤) تاريخ الطبري ٥٣٢/٢، المغازي لعروة ١٧١.

(٥) آسيتن: عزيتن وعاونتن.

(٦) انظر: المغازي لعروة ١٧١.

(٧) تاريخ الطبري ٥٣٣/٢، البداية والنهاية ٤٧/٤، تاريخ الإسلام (المغازي).

(٨) الرب: الملك.

ولئن عَفَوْتُ لأَغْفُونَ جَلالاً
ولئن سَطَوْتُ لأَوْهِنُنَّ عَظْمِي
فهو من الكثير.

غسل السيوف: قال ابن إسحاق: فلما انتهى رسول الله ﷺ إلى أهله ناول سيفه ابنته فاطمة، فقال: «اغسلي عن هذا دمه يا بُنَيَّةَ، فوالله لقد صدَّقني اليوم»؛ وناولها علي بن أبي طالب سيفه، فقال: وهذا أيضاً، فاغسلي عنه دمه، فوالله لقد صدَّقني اليوم؛ فقال رسول الله ﷺ: «لئن كنت صدقت القتال لقد صدَّق معك سهل بن حنيف وأبو دُجانة»^(١).

قال ابن هشام: وكان يُقال لسيف رسول الله ﷺ: ذو الفقار^(٢).

قال ابن هشام: وحدثني بعضُ أهل العلم، أن ابن أبي نجيج قال: نادى مُناد يومَ أحد:

لا سَيْفَ إلا ذُو الْفَقَّارِ ولا فَيْسَى إلا عَلِيَّ

قال ابن هشام: وحدثني بعضُ أهل العلم: أن رسول الله ﷺ قال لعلي بن أبي طالب: «لا يُصيب المشركون مثلاً مثلها حتى يفتح الله علينا».

قال ابن إسحاق: وكان يوم أحد يوم السبت للتصيف من شِوَال.

غزوة حمراء الأسد^(٣):

قال: فلما كان الغد من يوم الأحد لست عشرة ليلة مضت من شِوَال، أذن مؤذن رسول الله ﷺ في الناس يطلب العدو، فأذن مؤذنه أن لا يخرجن معنا أحد إلا أحد حضر يومنا بالأمس. فكلّمه جابر ابن عبد الله بن عمرو بن حرام، فقال: يا رسول الله، إن أبي كان خلّفتني على أخوات لي سنع، وقال: يا بُنَيَّ، إنه لا ينبغي لي ولا لك أن نترك هؤلاء النسوة لا رجل فيهن، ولست بالذي أوترك بالجهاد مع رسول الله ﷺ على نفسي، فتخلّفت على أخواتك؛ فتخلّفت عليهن. فأذن له رسول الله ﷺ، فخرج معه. وإنما خرج رسول الله ﷺ مُزهِباً للعدو. وليلغهم أنه خرج في طلبهم، ليظنوا به قوة، وأن الذي أصابهم لم يؤهّنهم عن عدوهم^(٤).

قال ابن إسحاق: فحدثني عبد الله بن خارجة بن زيد بن ثابت، عن أبي السائب مولى عائشة

(١) تاريخ الطبري ٥٣٣/٢.

(٢) يقال له «ذو الفقار» لأنه كان في وسطه مثل فقرات الظهر، صار إليه يوم بدر، وكان للعاص بن منبه أخي نبيه بن الحجاج بن عامر السهمي، وكانت قبيعته، وقائمته، وحلقته، وذؤابته، وبركاته، ونصله، من فضة، والقائمة هي الخشبة التي يُمسك بها، وهي القبضة.

وروى الترمذي من حديث هود بن عبد الله بن سعد بن مزينة، عن جدّه مزينة قال: دخل رسول الله ﷺ يوم الفتح، وعلى سيفه ذهب وفضة. وهو ذو الفقار بالكسر، جمع فقرة وبالفتح، جمع فقارة - سمي بذلك لفقرات كانت فيه، وهي حُفْر كانت في منته حسنة (تاريخ الإسلام - السيرة ٥١٢).

(٣) انظر عنها في: المغازي للواقدي ١/٣٣٤ - ٣٤٠، تاريخ الطبري ٥٣٤/٢ - ٥٣٦، المغازي لعروة ١٧٤، الطبقات الكبرى ٢/٣٤، الدرر لابن عبد البر ١٦٧، جوامع السيرة ١٧٥، المحبّر ٧١٣ أنساب الأشراف ١/٣٣٨ رقم ٧٢٤، الكامل في التاريخ ٢/١٦٤، ١٦٥، نهاية الأرب ١٧/١٢٦، ١٢٧، البدء والتاريخ ٤/٢٠٥، الأغاني ١٥/٢٠٥، تاريخ الإسلام (المغازي)، الروض الأنف ٣/١٨٠، سيرة ابن كثير ٣/٩٧ - ١٠٣.

(٤) تاريخ الطبري ٥٣٤/٢، الأغاني ١٥/٢٠٤، ٢٠٥، نهاية الأرب ١٧/١٢٦، الواقدي ١/٣٣٦.

بنت عثمان: أن رجلاً من أصحاب رسول الله ﷺ، من بني عبد الأشهل، كان شهد أحداً مع رسول الله ﷺ، قال: شهدت أحداً مع رسول الله ﷺ، وأنا وأخ لي، فرجعنا جريحين، فلما أذن مؤذن رسول الله ﷺ بالخروج في طلب العدو، قلت لأخي أو قال لي: أنفوتنا غزوةً مع رسول الله ﷺ؟ والله ما لنا من دابة نركبها، وما مئلاً إلا جريح ثقيل، فخرجنا مع رسول الله ﷺ، وكنت أيسر جرحاً، فكان إذا غلب حملته عُقبه، ومشى عُقبه، حتى انتهينا إلى ما انتهى إليه المسلمون^(١).

قال ابن إسحاق: فخرج رسول الله ﷺ حتى انتهى إلى حمراء الأسد، وهي من المدينة على ثمانية أميال، واستعمل على المدينة ابن أم مكتوم، فيما قال ابن هشام:
قال ابن إسحاق: فأقام بها الاثني والثلاثاء والأربعاء، ثم رجع إلى المدينة^(٢).

قال: وقد مرّ به كما حدثني عبد الله بن أبي بكر، معبد بن أبي مغبد الخزاعي، وكانت خُزاعة، مُسلمهم ومُشركهم عيّبة نُصح^(٣) لرسول الله ﷺ، بتهامة، صَفَقْتَهُمْ^(٤) معه، لا يُخفون عنه شيئاً كان بها، ومَعْبِد يَوْمئذٍ مُشْرِك، فقال: يا محمد، أما والله لقد عَزَّ علينا ما أصابك، ولو ودنا أن الله عافاك فيهم، ثم خرج ورسول الله ﷺ بحمراء الأسد، حتى لقي أبا سُفيان بن حَرْب ومن معه بالزُّوحاء، وقد أجمعوا الرّجعة إلى رسول الله ﷺ وأصحابه، وقالوا: أصبنا حدّ أصحابه وأشرفهم وقادتهم، ثم نرجع قبل أن نَسْتَأْصِلَهُمْ! لنكُرنَّ على بقيتهم، فلنُفْرغَنَّ منهم. فلما رأى أبو سُفيان معبداً، قال: ما وراءك يا معبد؟ قال: محمد قد خرج في أصحابه يَطْلُبُكُمْ في جَمْعٍ لم أر مثله قط، يتحرّقون عليكم تحرقاً، قد اجتمع معه من كان تخلف عنه في يَوْمِكُمْ، وندموا على ما صنعوا، فيهم من الحَقِّ عليكم شيء لم أر مثله قط؛ قال: ويحك! ما تقول؟ قال: والله ما أرى أن تزتحل حتى أرى^(٥) نواصي الخيل؛ قال: فوالله لقد أجمعنا الكفرة عليهم، لنسُتأصل بقيتهم؛ قال: فإني أنهاك عن ذلك؛ قال: والله لقد حملني ما رأيتُ على أن قلتُ فيهم أبياتاً من شعر؛ قال: وما قلت؟ قال: قلت:

كأدت تُهدُّ من الأصوات راحلتي	إذ سالت الأرضُ بالجُرد الأبابيل ^(٦)
تَرْدِي بِأَسْدِ كَرَامٍ لَا تَنَابِلَةَ	عند اللُّقاء ولا ميلٍ معازيل ^(٧)
فظلتُ عَدُوًّا أَظَنَّ الأَرْضَ مائِلَةً	لَمَّا سَمَوْا بِرئيسٍ غير مَخْذُول
فقلتُ: ويل ابنِ حَرْبٍ من لقائكم	إذا تَغَطَّمَتِ البَطْحَاءُ بالجِيل ^(٨)
إني نذيرٌ لأهل البَسَلِ ضاحيةٌ	لكلّ ذي إزبةٍ منهم ومعقول ^(٩)

(١) تاريخ الطبري ٥٣٤/٢، ٥٣٥، الأغاني ٢٠٥/١٥، نهاية الأرب ١٢٧/١٧.

(٢) تاريخ الطبري ٥٣٥/٢، الأغاني ٢٠٥/١٥، تاريخ الإسلام (المغازي).

(٣) عيبة نُصح الرجل: مكن سرّه.

(٤) صَفَقْتَهُمْ: اتفاهم.

(٥) في تاريخ الطبري «تري» وكذا في تاريخ الإسلام.

(٦) الجرد: العناق من الخيل. والأبابيل: الجماعات.

(٧) تَرْدِي: تسرع. والتنايلة: القصار. والميل: الذين لا رماح معهم. والمعازيل: العزل من السلاح. وعند الطبري «ولا خزق معازيل».

(٨) تَغَطَّمَتِ: اهتزت. والجيل: الصنف من الناس، أو الأمة.

(٩) أهل البسل: قریش. والضحاحية: الظاهرة للشمس. والإرية: العقل.

من جيش أحمد لا وخش^(١) تنابلة^(٢) وليس يُوصَف ما أنذرت بالقبيل^(٣)
فتى ذلك أبا سُفيان ومن معه .

ومرَّ به ركبٌ من عبد القيس، فقال: أين تريدون؟ قالوا: نريد المدينة؟ قال: ولم؟ قالوا: نريد الميرة؛ قال: فهل أنتم مُبلغون عني محمداً رسالة أُرسلكم بها إليه، وأحمَل لكم هذه غداً زبيياً بعكاظ إذا وافيتُموها؟ قالوا: نعم؛ قال: فإذا وافيتُموه فأخبروه أنا قد أجمعنا السير إليه وإلى أصحابه لتستأصل بقيتهم، فمرَّ الركبُ برسولِ الله ﷺ وهو بحمراء الأسد، فأخبروه بالذي قال أبو سُفيان؛ فقال: حسبتنا الله ونعم الوكيل^(٤).

قال ابن هشام: حدثنا أبو عبيدة، أنَّ أبا سُفيان بن حَرْبٍ لَمَّا انصرف يوم أحد، أراد الرجوع إلى المدينة، لِيستأصل بقية أصحاب رسولِ الله ﷺ، فقال لهم صفوان بن أمية بن خلف: لا تفعلوا، فإنَّ القوم قد حاربوا^(٥)، وقد خَشينا أن يكون لهم قتال غير الذي كان، فارجعوا، فارجعوا. فقال النبي ﷺ، وهو بحمراء الأسد، حين بلغه أنهم هموا بالرجعة: والذي نَفسي بيده، لقد سَوَّمت لهم^(٦) حجارة، لو صَبَّحوا بها لكانوا كأمس الذاهب^(٧).

قال أبو عبيدة: وأخذ رسولُ الله ﷺ في جهة ذلك، قبل رجوعه إلى المدينة، مُعاوية بن المُغيرة ابن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس، وهو جدُّ عبد الملك بن مروان، أبو أمه عائشة بنت مُعاوية، وأبا عزة الجمحي^(٨)، وكان رسولُ الله ﷺ أسره ببدر، ثم منَّ عليه؛ فقال: يا رسولَ الله، أفلني؛ فقال رسولُ الله ﷺ: «والله لا تَمسح عارضيك بمكة بعدها وتقول: خدعت محمداً مرتين، اضرب عنقه يا زبير». فضرب عنقه.

قال ابن هشام: وبلغني عن سعيد بن المسيب أنه قال^(٩): قال له رسولُ الله ﷺ: «إنَّ المؤمن لا يُلدغ من جُحر مرتين، اضرب عنقه يا عاصم بن ثابت»، فضرب عنقه.

قال ابن هشام: ويقال: إن زيِّد بن حارثة وعمَّار بن ياسر قتلا مُعاوية بن المُغيرة بعد حمراء الأسد، كان لجا إلى عثمان بن عفَّان فاستأمن له رسولُ الله ﷺ فأمنه، على أنه إن وُجد بعد ثلاث قُتل،

(١) الوحش: رذلة الناس.

(٢) في تاريخ الطبري «قنابله». والقنبلة: الطائفة من الناس.

(٣) تاريخ الطبري ٢/٥٣٥، ٥٣٦، الأغاني ٢٠٦/١٥، ٢٠٧، وسقط فيه البيت الثاني، المغازي للواقدي ١/٣٣٩ وفيه ثلاثة أبيات، تاريخ الإسلام (المغازي) سيرة ابن كثير ٣/٩٩، ١٠٠.

(٤) تاريخ الطبري ٢/٥٣٦، الأغاني ٢٠٧/١٥، المغازي للواقدي ١/٣٤٠.

(٥) حاربوا: غضبوا. وفي المغازي للواقدي ١/٣٣٩ «حزنوا».

(٦) سَوَّمت: عُلِّمت. (٧) المغازي للواقدي ١/٣٣٩.

(٨) تاريخ الطبري ٢/٥٣٦.

(٩) أخرج البخاري عن قتيبة، عن الليث، عن عقيل، عن الزهري، عن ابن المسيب، عن ابن هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ أنه قال: «لا يُلدغ المؤمن من جُحر واحد مرتين». وأخرجه مسلم في كتاب الزهد والرقائق (٦٣) باب لا يلدغ المؤمن من جُحر مرتين، وأبو داود في كتاب الأدب (٤٨٦٢) باب في الحذر من الناس، وابن ماجه في الفتن (٣٩٨٣) باب العزلة، والدارمي في الرقائق، باب ٦٥، وأحمد في المسند ٢/١١٥ و٣٧٩.

فأقام بعد ثلاث وتوارى فبعثهما النبي ﷺ، وقال: إنكما ستجدانه بموضع كذا وكذا، فوجداه فقتلاه^(١).
 شأن عبد الله بن أبي بعد غزوة أحد: قال ابن إسحاق: فلما قَدِم رسولُ الله ﷺ المدينة، وكان عبدُ الله بن أبي بن سلول، كما حدثني ابن شهاب الزهري، له مقامٌ يقومه كل جمعة لا يُنكر، شرفاً له في نفسه وفي قومه، وكان فيهم شريفاً، إذا جلس رسولُ الله ﷺ يوم الجمعة وهو يخطب الناس، قام فقال: أيها الناس، هذا رسولُ الله ﷺ بين أظهركم، أكرمكم الله وأعزكم به، فانصروه وعزروه، واسمعوا له وأطيعوا، ثم يجلس حتى إذا صنع يوم أحد ما صنع، ورجع بالناس، قام يفعل ذلك كما كان يفعله، فأخذ المسلمون بثيابه من نواحيه، وقالوا: اجلس، أي عدو الله، لست لذلك بأهل، وقد صنعت ما صنعت، فخرج يتخطى رقاب الناس وهو يقول: والله لكانما قلت بَجراً^(٢) أن قمت أشد أمره. فلقيه رجل من الأنصار بباب المسجد، فقال: ما لك؟ ويلك! قال: قمت أشد أمره، فوثب عليّ رجال من أصحابه يجذبونني ويعفونني، لكانما قلت بَجراً أن قمت أشد أمره؛ قال: ويلك! ارجع يستغفر لك رسولُ الله ﷺ؛ قال: والله ما أبتغي أن يستغفر لي.

تمحيص المؤمنين - يوم أحد: قال ابن إسحاق: كان يوم أحد يوم بلاء ومُصيبة وتمحيص، اختبر الله به المؤمنين، ومحن به المنافقين، ممن كان يُظهر الإيمان بلسانه، وهو مُستخف بالكفر في قلبه، ويوماً أكرم الله فيه من أراد كرامته بالشهادة من أهل ولايته.

ذكر ما أنزل الله في أحد من القرآن

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قال: حدثنا أبو محمد عبد الملك بن هشام، قال: حدثنا زياد بن عبد الله البكائي عن محمد بن إسحاق المطلبي، قال: فكان مما أنزل الله تبارك وتعالى في يوم أحد من القرآن ستون آية من آل عمران، فيها صفة ما كان في يومهم ذلك، ومُعاتبة من عاتب منهم، يقول الله تبارك وتعالى لنبيه ﷺ: ﴿وَإِذْ عَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقْعِدًا لِلْقِتَالِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٣١﴾﴾ [آل عمران: ١٢١].

قال ابن هشام: تبوء المؤمنون: تتخذ لهم مقاعد ومنازل. قال الكُميت بن زيد:

لَيْتَنِي كُنْتُ قَبْلَهُ قَد تَبَوَّأْتُ مَضْجَعًا

وهذا البيت في أبيات له.

أي سمع بما تقولون، عليم بما تخفون.

﴿إِذْ هَمَّتْ طَلِيفَتَانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشَلَا﴾ [آل عمران: ١٢٢]، أن تتخاذلا، والطائفتان: بنو سلمة ابن جشم بن الخزرج، وبنو حارثة بن النبيت من الأوس، وهما الجناحان، يقول الله تعالى: ﴿وَاللَّهُ وَلِيُّهُمَا﴾ [آل عمران: ١٢٢]، أي المدافع عنهما ما همتا به من فشلهما، وذلك أنه إنما كان ذلك منهما عن ضعف ووهن أصابهما غير شك في دينهما، فتولى دفع ذلك عنهما برحمته وعائده، حتى سلمتا من وهنهما وضعفهما، ولحقنا بنبيهما ﷺ.

(١) أنساب الأشراف ١/٣٣٧.

(٢) البحر: الأمر العظيم. والبجاري: الدواهي. (تاج العروس ١٠/١٠٦).

قال ابن هشام: حدثني رجل من الأسد من أهل العلم، قال: قالت الطائفتان: ما نحب أنأ لم نهم بما هممنا به، لتولي الله إيانا في ذلك.

قال ابن إسحاق: يقول الله تعالى: ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ [آل عمران: ١٢٢]، أي من كان به ضعف من المؤمنين فليتوكل على، وليستعن بي، أعنه علي أمره، وأدافع عنه، حتى أبلغ به، وأدفع عنه، وأقويه على نيته. ﴿وَلَقَدْ فَصَّرْكُمْ اللَّهُ بِبَدْرِ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [آل عمران: ١٢٣]، أي فاتقوني، فإنه شكر نعمتي. ﴿وَلَقَدْ فَصَّرْكُمْ اللَّهُ بِبَدْرِ﴾ [آل عمران: ١٢٣] وأنتم أقل عدداً وأضعف قوة ﴿إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُبَدِّدَ رَبُّكُمْ رَبِّكُمْ بِثَلَاثَةِ آفَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُزِيلِينَ﴾ [آل عمران: ١٢٤] وَتَقْتُلُوا وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَذَا يُبَدِّدُكُمْ رَبِّكُمْ بِمِئْتَةِ آفَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ﴾ [آل عمران: ١٢٤، ١٢٥]، أي إن تصبروا لعدوي؛ وتطيعوا أمري، ويأتوكم من وجههم هذا، أمذكم بخمسة آلاف من الملائكة مسومين.

قال ابن هشام: مسومين: مُعلمين. بلغنا عن الحسن بن أبي الحسن البصري أنه قال: أعلّموا على أذنان خيلهم ونواصيها بصوف أبيض. فأما ابن إسحاق فقال: كانت سيماهم يوم بدر عمائم بيضاً. وقد ذكرت ذلك في حديث بدر. والسيما: العلامة. وفي كتاب الله عز وجل: ﴿سِيْمَاهُمْ فِي وَجْهِهِمْ مِّنْ أَثَرِ الْجُوذِ﴾ [الفتح: ٢٩]، أي علامتهم. ﴿وَقَلَمًا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَلَيْهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّنْ سِجِّيلٍ مَّنْضُوبٍ﴾ [آل عمران: ٨٢] مُسَوِّمَةٌ عِنْدَ رَبِّكَ وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بَعِيدٍ﴾ [آل عمران: ٨٣] يقول: مُعلّمة. بلغنا عن الحسن بن أبي الحسن البصري أنه قال: عليها علامة، أنها ليست من حجارة الدنيا، وأنها من حجارة العذاب. قال رُوَيْبَةُ بن العجاج:

فَالآنَ تُبَلَىٰ بِي الْجِيَادِ السُّهَمِ ^(١) وَلَا تُجَارِينِي إِذَا مَا سَوُّمُوا

وَشَخَّصْتَ أَبْصَارَهُمْ وَأَجْدَمُوا ^(٢)

أجدموا «بالذال المعجمة»، أي أسرعوا؛ وأجدموا «بالذال المهملة»: أقطعوا.

وهذه الأبيات في أرجوزة له. والمُسومة أيضاً: المزعجة. وفي كتاب الله تعالى: ﴿وَالْحَعِيلَ الْمُسُومَةَ﴾ [آل عمران: ١٤] و﴿شَجَرٌ فِيهِ شَيْمُونٌ﴾ [التحل: ١٠]. تقول العرب: سَوَّم خَيْلَهُ وَإِبْلَهُ، وأسامها: إذا رعاها. قال الكُميت من زيد:

رَاعِيًا كَانَ مُسْجِحًا فَفَقَدْنَا هُ وَفَقَدَ الْمَسِيمَ هُنْكَ السَّوَامِ

قال ابن هشام: مُسجِحاً: سلس السياسة محسن إلى الغنم. وهذا البيت في قصيدة له.

﴿وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ وَلِنُظْمِينَ قُلُوبِكُمْ بِهِ وَمَا أَنْصَرُ إِلَّا مَن عِنْدَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾ [آل عمران: ١٢٦]، أي ما سميت لكم من سميت من جنود ملائكتي إلا بُشْرَى لكم، ولتطمئن قلوبكم به، لما أعرف من ضعفكم، وما أنصُر إلا من عندي، لسُلْطَانِي وقُدْرَتِي، وذلك أن العِزَّ والحكم إلي، لا إلى أحد من خلقي. ثم قال: ﴿لَيَقْطَعَنَّ طَرَفًا مِّنَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَوْ يَكْبِتُنَّمْ فَيَنْقَلِبُوا خَائِبِينَ﴾ [آل عمران: ١٢٧]

(١) الجياد: الخيل العتاق. والسهم: العابسة.

(٢) أجدموا: أسرعوا.

[١٢٧]، أي ليقطع طرفاً من المشركين بقتل ينتقم به منهم، أو يردهم خائبين، أي ويرجع من بقي منهم فلا خائبين، لم ينالوا شيئاً مما كانوا يأملون.

قال ابن هشام: يَكْتِبُهُمْ: يَغْمُهُمْ أَشَدَّ الْعَمِّ، وَيَمْنَعُهُمْ مَا أَرَادُوا. قال ذو الرُّمَّة:

ما أَنَسَ مِن شَجْنٍ لا أَنَسَ مَوْقِفْنَا في حَيْرَةٍ بَيْنَ مَسْرُورٍ وَمَكْسُوتٍ
ويَكْتِبُهُمْ أيضاً: يصرعهم لوجوههم.

قال ابن إسحاق: ثم قال لمحمد رسول الله ﷺ: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٢٨]، أي ليس لك من الحكم شيء في عبادي، إلا ما أمرتك به فيهم، أو أتوب عليهم برحمتي، فإن شئت فعلت، أو أعذبهم بذنوبهم، م فَبِحَقِّي ﴿فَأِنَّهُمْ ظَالِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٢٨]، أي قد استوجبوا ذلك بمعصيتهم إياي ﴿وَاللَّهُ عَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [آل عمران: ١٢٩]، أي يغفر الذنب ويرحم العباد، على ما فيهم ^(١).

ثم قال: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُّضَاعَفَةً﴾ [آل عمران: ١٣٠]؛ أي لا تأكلوا في الإسلام، إذ هداكم الله به ما كنتم تأكلون إذ أنتم على غيره، مما لا يحل لكم في دينكم ﴿وَأْتَقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران: ١٣٠]، أي فأطيعوا الله لعلكم تنجون مما حذرکم الله من عذابه، وتذركون ما رغبكم الله فيه من ثوابه، ﴿وَأْتَقُوا النَّارَ إِنَّهَا أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٣١]، أي التي جعلت داراً لمن كفر بي.

ثم قال: ﴿وَاطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [آل عمران: ١٣٢] معاتباً للذين عصوا رسول الله ﷺ حين أمرهم بما أمرهم به في ذلك اليوم وفي غيره. ثم قال: ﴿وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٣]، أي داراً لمن أطاعني وأطاع رسولي. ﴿الَّذِينَ يُبْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَبِيرِ وَالنَّصِيطِ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٤]، أي وذلك هو الإحسان، وأنا أحب من عمل به، ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرِ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [آل عمران: ١٣٥]؛ أي إن أتوا فاحشة، أو ظلموا أنفسهم بمغصية ذكروا نهي الله عنها، وما حرم عليهم، فاستغفروه لها، وعرفوا أنه لا يغفر الذنوب إلا هو. ﴿وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [آل عمران: ١٣٥]، أي لم يُقيموا على مغصيتي كفعل من أشرك بي فيما غلوا به في كفرهم، وهم يعلمون ما حرم عليهم من عبادة غيري. ﴿أُولَٰئِكَ جَزَاءُ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّتْ بَحْرِي

(١) وفي الترمذي حديث مرفوع أن رسول الله ﷺ - كان يدعو على أبي سفيان والحارث بن - هشام وعمرو بن العاص، حتى أنزل الله تعالى: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ﴾ قال: فتابوا وأسلموا، وحسن إسلامهم، وهذا حديث ثابت في حسن إسلام أبي سفيان خلافاً لمن زعم غير ذلك، وأما الحارث بن هشام فلا خلاف في حسن إسلامه وفي موته شهيداً بالشام، وأما عمرو بن العاص، فقد قال فيه النبي عليه السلام: أسلم الناس وأمن عمرو، وقال في حديث جرى، ما كانت هجرتي للمال، وإنما كانت لله ورسوله، فقال النبي - ﷺ - نِعِمَّا بِالْمَالِ الصَّالِحِ لِلرَّجُلِ الصَّالِحِ، فسماه: رجلاً صالحاً. والحديث الذي جرى: أنه كان قال له إني أريد أن أبعثك وجهاً يسلمك الله فيه، ويغنمك، وأزعج لك زعبة من المال. (الروض الأنف ٣/١٩٣).

مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَيَعْمَ أَجْرُ الْعَمَلِينَ ﴿١٣٦﴾ [آل عمران: ١٣٦]، أي ثواب المطيعين.

ثم استقبل ذكر المصيبة التي نزلت لهم، والبلاء الذي أصابهم، والتمحيص لما كان فيهم، واتخاذ الشهداء منهم، فقال: تعزية لهم، وتعريفاً لهم فيما صنعوا، وفيما هو صانع بهم، ﴿قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ ﴿١٣٧﴾﴾ [آل عمران: ١٣٧]، أي قد مضت مني وقائع نعمة في أهل التكذيب لرُسلي والشرك بي: عاد وثمود وقوم لوط وأصحاب مدين، فأروا مثلات قد مضت مني فيهم، ولمن هو على مثل ما هم عليه من ذلك مني، فإني أمليت لهم، أي لئلا يظنوا أن نعمتي انقطعت عن عدوكم وعدوي، للدولة التي أدلتهم بها عليكم، لئيتيكم بذلك، ليعلمكم ما عندكم.

ثم قال تعالى: ﴿هَذَا بَيَّانٌ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٨﴾﴾ [آل عمران: ١٣٨]، أي هذا تفسير للناس إن قبلوا الهدى ﴿وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ﴾ [آل عمران: ١٣٨]، أي نور وأدب ﴿لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٨]، أي لمن أطاعني وعرف أمري. ﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا﴾ [آل عمران: ١٣٩]، أي لا تضعفوا ولا تبتئسوا على ما أصابكم، ﴿وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ﴾ [آل عمران: ١٣٩]، أي لكم تكون العاقبة والظهور ﴿إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٩]، أي إن كنتم صدقتم نبيي بما جاءكم به عني. ﴿إِنْ يَمَسَّكُمْ فِتْنٌ فَكُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقْبِلُوا لِيَوْمِكُمْ الَّذِي لَا يُنْفَكُ عَنْ أَحَدٍ مِنْكُمْ إِلَّا بِالْإِذْنِ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ أَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿١٤٠﴾﴾ [آل عمران: ١٤٠]، أي نُصِرَها بين الناس للبلاء والتمحيص ﴿وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَبَيِّنَهُمْ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [آل عمران: ١٤٠]، أي ليميز بين المؤمنين والمنافقين، وليكرم من أكرم من أهل الإيمان بالشهادة ﴿وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٠]، أي المنافقين الذين يظهرون بالستهم الطاعة وقلوبهم مُصِرَّة على المعصية ﴿وَلِيَمْحَصَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ [آل عمران: ١٤١]، أي يختبر الذين آمنوا حتى يخلصهم بالبلاء الذي نزل بهم، وكيف صبرهم وبقينهم ﴿وَيَمَحَقَ الْكَافِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤١]، أي يُبْطِل من المنافقين قولهم بالستهم ما ليس في قلوبهم، حتى يظهر منهم كفرهم الذي يَسْتَرُونَ به.

ثم قال تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُدْخَلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّادِقِينَ ﴿١٤٢﴾﴾ [آل عمران: ١٤٢]، أي حسبتم أن تدخلوا الجنة، فتصيبوا من ثوابي الكرامة، ولم أختبركم بالشدة، وأبتليكم بالمكاره، حتى أعلم صدق ذلك منكم بالإيمان بي، والصبر على ما أصابكم في، ولقد كنتم تَمَنُونَ الشهادة على الذي أنتم عليه من الحق قبل أن تلقوا عدوكم، يعني الذين استنهضوا رسول الله ﷺ إلى خروجه بهم إلى عدوهم، لما فاتهم من حضور اليوم الذي كان قبله بئدر، ورجبة في الشهادة التي فاتتهم بها، فقال: ﴿وَلَقَدْ كُنْتُمْ تَمَنُونَ الْمَوْتَ مِنْ قَبْلِ أَنْ تُلَاقَوْهُ﴾ [آل عمران: ١٤٣] يقول: ﴿فَقَدْ رَأَيْتُمْوَهُ وَأَنْتُمْ نَظُرُونَ﴾ [آل عمران: ١٤٣]، أي الموت بالسيف في أيدي الرجال قد خلي بينكم وبينهم وأنتم تنظرون إليهم، ثم صدّهم عنكم. ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَصُرَ اللَّهُ شَيْئاً وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ ﴿١٤٤﴾﴾ [آل عمران: ١٤٤]، أي لقول الناس: قُتِلَ مُحَمَّدٌ ﷺ، وانهمزأهم عند ذلك، وانصرافهم عن عدوهم ﴿أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ﴾ [آل عمران: ١٤٤] رجعت عن دينكم كفاراً كما كنتم، وتركتم جهاد عدوكم، وكتاب الله، وما خُلف نبيه ﷺ من دينه معكم وعندكم، وقد بين لكم فيما جاءكم به عني أنه ميت ومفارقكم، ﴿وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ﴾ [آل عمران: ١٤٤]، أي يرجع عن دينه ﴿فَلَنْ يَصُرَ اللَّهُ شَيْئاً﴾ [آل عمران: ١٤٤]،

أي ليس ينقص ذلك عزَّ الله تعالى ولا ملكه ولا سلطانه ولا قُدرته، ﴿وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٤]، أي مَنْ أطاعه وعَمِلَ بأمره^(١).

ذكره أن الموت بإذن الله:

ثم قال: ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كِنَبَأٌ مُّوجِبًا﴾ [آل عمران: ١٤٥]، أي أن لمحمد ﷺ أجلاً هو بالغه، فإذا أذن الله عز وجل في ذلك كان. ﴿وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الآخِرَةِ نُؤْتِهِ مِنْهَا وَسَنَجْزِي الشَّاكِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٥]، أي من كان منكم يريد الدنيا، ليست له رغبة في الآخرة، نُؤته منها ما قُسم له من رزق، ولا يَعدوه فيها، وليس له في الآخرة من حظ ﴿وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الآخِرَةِ نُؤْتِهِ مِنْهَا﴾ [آل عمران: ١٤٥] ما وعُد به، مع ما يُجزى عليه من رزقه في دنياه، وذلك جزاء الشَّاكرين، أي الممتقين.

ثم قال: ﴿وَكَانَ مِنْ نَبِيِّ قَتَلْنَا مَعَهُ رِيثُونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٦]، أي وكأين من نبي أصابه القتل، ومعه ريثون كثير، أي جماعة، فما وهنوا لفقْد نبيهم، وما ضعفوا عن عدوهم، وما استكانوا لما أصابهم في الجهاد عن الله تعالى وعن دينهم، وذلك الصبر، والله يُحب الصابرين ﴿وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَرْجُلَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٧].

قال ابن هشام: واحد الرُّبَّيين: ربي؛ وقولهم: الرِّباب، لولد عبد مائة بن أد بن طابخة بن إلياس، ولضبة، لأنهم تجمَّعوا وتحالفوا، من هذا، يريدون الجماعات. وواحدة الرِّباب: ربة وربابة وهي جماعات قِداح أو عصي ونحوها، فشبَّهوها بها. قال أبو ذؤيب الهذلي:

وكانهنَّ رِبَابَةٌ وكأئُهُ يَسْرُ يَفِيصُ عَلَى الْقِدَاحِ وَيَضْدَعُ

وهذا البيت في أبيات له. وقال أمية بن أبي الصلت:

حَوْلَ شَيَاطِينِهِمْ أَبَابِيلُ رِبَّ يَوْمَ شَدُّوا سَنُورًا مَذْشُورًا

وهذا البيت في قصيدة له.

قال ابن هشام: والرِبَابَةُ أيضاً: الخرقَةُ التي تُلَفُّ فيها القِدَاحُ.

قال ابن هشام: والسَّنُورُ: الدروع. والدُّسْرُ، هي المسامير التي في الجِلْقِ، يقول الله عز وجل ﴿وَحَمَلْنَاهُ عَلَى ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسْرٍ﴾ [القمر: ١٣].

قال الشاعر: وهو أبو الأخضر الحِمَّاني، من تميم:

دَسْرًا بِأَطْرَافِ الْقَنَا الْمَقْوَمِ

(١) ظهر تأويل هذه الآية حين انقلب أهل الردة على أعقابهم، فلم يضُر ذلك دين الله، ولا أمة نبيه، وكان أبو بكر يسمي: أمير الشَّاكرين لذلك، وفي هذه الآية دليل على صحة خلافته، لأنه الذي قاتل المنقلبين على أعقابهم حين رَدَّهم إلى الدين الذي خرجوا منه، وكان في قوله سبحانه: ﴿وسيجزي الله الشَّاكرين﴾ دليل على أنهم سيظفرون بمن ارتد، وتكمل عليهم النعمة، فيشكرون، فنحريضه إياهم على الشكر - والشكر لا يكون إلا على نعمة دليل على أن بلاء الردة لا يطول، وأن الظفر بهم سريع، كما كان. (الروض الأنف ٣/١٩٣).

قال ابن إسحاق: أي فقولوا مثل ما قالوا، واعلموا أنما ذلك بذنوب منكم، واستغفروه كما استغفروه، وامضوا على دينكم كما مضوا على دينهم، ولا ترتدوا على أعقابكم راجعين، واسألوه كما سألوه أن يثبت أقدامكم، واستنصروه كما استنصروه على القوم الكافرين، فكل هذا من قولهم قد كان؛ وقد قُتل نبيهم، فلم يفعلوا كما فعلتم، فاتاهم الله ثواب الدنيا بالظهور على عدوهم، وحسن ثواب الآخرة وما وعد الله فيها، والله يحب المحسنين.

﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن تَطِيعُوا الَّذِينَ كَفَرُوا يَرُدُّكُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٩]، أي عن عدوكم، فتذهب دُنْيَاكُمْ وأخرتكم ﴿بَلِ اللَّهُ مُوَلِّدُكُمْ وَهُوَ خَيْرُ النَّاصِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٥٠]، فإن كان ما تقولون بالاستنصركم صدقاً في قلوبكم فاعتصموا به، ولا تستنصروا بغيره، ولا ترجعوا على أعقابكم مرتدين عن دينه. ﴿سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ﴾ [آل عمران: ١٥١]، أي الذي به كنت أنصركم عليهم بما أشركوا بي ما لم أجعل لهم من حجة، أي فلا تظنوا أن لهم عاقبة نصر، ولا ظهور عليكم ما اعتصمتم بي، وأتبعتم أمري، للمصيبة التي أصابتكم منهم بذنوب قدتموها لأنفسكم، خالفتم بها أمري للمصيبة، وعصيتم بها النبي ﷺ. ﴿وَلَقَدْ مَكَنَّاكُمْ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُونَهُمْ بِإِذْنِهِ حَتَّىٰ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَزَّعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَعَصَيْتُمْ مِمَّا بَعَدَ مَا أَرْسَلْنَاكُمْ مَّا تُحِبُّونَ مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمَنْ يُرِيدُ الْآخِرَةَ﴾ (١) ثُمَّ مَكَّنَّاكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ وَلَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٥٢﴾ [آل عمران: ١٥٢]، أي وقد وقيت لكم بما وعدتكم من النصر على عدوكم، إذ تحسونهم بالسيف، أي القتل، بإذني وتسلطي أيديكم عليهم، وكفي أيديهم عنكم.

قال ابن هشام: الحسن: الاستئصال: يقال: حسنت الشيء: أي استأصلته بالسيف وغيره. قال جرير:

تَحْسُهُم السُّيُوفُ كَمَا تَسَامَى حَرِيقُ النَّارِ فِي الْأَجْمِ الْحَصِيدِ (٢)

وهذا البيت في قصيدة له. وقال زُوبَةُ بن العجاج:

إِذَا شَكُونَا سَنَةً حُسُوسَا

تَأْكُلُ بَعْدَ الْأَخْضَرِ الْيَبِيسَا

وهذان البيتان في أرجوزة له.

قال ابن إسحاق: ﴿حَتَّىٰ إِذَا فَشِلْتُمْ﴾ [آل عمران: ١٥٢]، أي تخاذلتُم ﴿وَتَنَزَّعْتُمْ فِي الْأَمْرِ﴾ [آل عمران: ١٥٢]، أي اختلفتم في أمري، أي تركتم أمر نبيكم وما عهد إليكم، يعني الرماة ﴿وَعَصَيْتُمْ مِمَّا بَعَدَ مَا أَرْسَلْنَاكُمْ مَّا تُحِبُّونَ﴾ [آل عمران: ١٥٢]، أي الفتح، لا شك فيه، وهزيمة القوم عن نساءهم وأموالهم، ﴿مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا﴾ [آل عمران: ١٥٢]، أي الذين أرادوا النهب في الدنيا وترك ما

(١) وقوله: ﴿ومنكم من يريد الآخرة﴾ قال ابن عباس: هو عبد الله بن جبير الذي كان أميراً على الرماة، وكان أمرهم أن يلزموا مكانهم، والأيخالفوا أمر نبيهم، فثبت معه طائفة، فاستشهدوا واستشهدوا وهم الذين أرادوا الآخرة، وأقبلت طائفة على المغنم، وأخذ السلب، ففكر عليهم العدو، وكانت المصيبة. (انظر الروض الأنف ٣/ ١٩٤).

(٢) تسامى: ارتفع. والأجم: جمع أجمة. الشجر الكثير الملتف.

أمروا به من الطاعة التي عليها ثواب الآخرة ﴿وَمِنْكُمْ مَن يُرِيدُ الْآخِرَةَ﴾ [آل عمران: ١٥٢]، أي الذين جاهدوا في الله، ولم يخالفوا إلى ما نهوا عنه، لعرض من الدنيا، رغبة فيها، رجاء ما عند الله من حسن ثوابه في الآخرة؛ أي الذين جاهدوا في الدين ولم يخالفوا إلى ما نهوا عنه، لعرض من الدنيا، ليختبركم، وذلك ببعض ذنوبكم، ولقد عفا الله عن عظيم ذلك، أن لا يهلككم بما أنيتم من معصية نبيكم، ولكني عدت بفضلتي عليكم، وكذلك ﴿مَنْ أَلَّه عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٦٤] أن عاقب ببعض الذنوب في عاجل الدنيا أدباً وموعظة، فإنه غير مستأصل لكل ما فيهم من الحق له عليهم، بما أصابوا من معصيته، رحمة لهم، وعائدة عليهم، لما فيهم من الإيمان.

ثم أتبهم بالفرار عن نبيهم ﷺ، وهم يدعون لا يعطفون عليه لدعائه إياهم، فقال: ﴿إِذْ تَسْعَدُونَ وَلَا تَكُونُونَ عَلَىٰ أَحَدٍ وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِي أَخْرَجِكُمْ فَأَتْبِكُمْ عَمَّا بَغِمَ لَكُمْ تَحَرَّزُوا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا مَا أَصَابَكُمْ﴾ [آل عمران: ١٥٣]، أي كزباً بعد كرب، بقتل من قتل من إخوانكم، وعلو عدوكم عليكم، وبما وقع في أنفسكم من قول من قال: قتل نبيكم، فكان ذلك مما تتابع عليكم غماً بغم؛ ﴿لِكَيْلَا تَحَرَّزُوا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ﴾؛ من ظهوركم على عدوكم، بعد أن رأيتموه بأعينكم، ولا ما أصابكم من قتل إخوانكم، حتى فرجت ذلك الكرب عنكم ﴿وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [آل عمران: ١٥٣]. وكان الذي فرج الله به عنهم ما كانوا فيه من الكرب والغم الذي أصابهم، أن الله عز وجل رد عنهم كذبة الشيطان بقتل نبيهم ﷺ، فلما رأوا رسول الله ﷺ حياً بين أظهرهم، هان عليهم ما فاتهم من القوم بعد الظهور عليهم، والمصيبة التي أصابتهم في إخوانهم، حين صرف الله القتل عن نبيهم ﷺ. ﴿ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْكُم مِّن بَعْدِ الْغَمِّ أَمَنَةً نَّاسًا يَغْشَىٰ طَآئِفَةً مِّنْكُمْ وَطَآئِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ الْأَمْرِ مِن شَيْءٍ قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ يُخْفُونَ فِي أَنفُسِهِم مَّا لَا يُبْدُونَ لَكَ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَاهُنَا قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحَّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ [آل عمران: ١٥٤]، فأنزل الله للناس أمانة منه على أهل اليقين به، فهم نيام لا يخافون، وأهل النفاق قد أهمتهم أنفسهم، يظنون بالله غير الحق ظن الجاهلية، تخوف القتل، وذلك أنهم لا يرجون عاقبه، فذكر الله عز وجل تلاؤمهم وحسرتهم على ما أصابهم. ثم قال الله سبحانه لنبيه ﷺ: ﴿قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ﴾ [آل عمران: ١٥٤] لم تحضروا هذا الموطن الذي أظهر الله فيه منكم ما أظهر من سرائركم ﴿لَبَرَزَ﴾ [آل عمران: ١٥٤] لأخرج الذين كتبت عليهم القتل إلى مضاجعهم ﴿آل عمران: ١٥٤﴾ إلى موطن غيره يصرعون فيه، حتى يبتلي به ما في صدورهم ﴿وَلِيُمَحَّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ [آل عمران: ١٥٤]، أي لا يخفى عليه ما في صدورهم مما استخفوا به منكم.

ثم قال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا وَقَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ إِذَا ضَرَبُوا فِي الْأَرْضِ أَوْ كَانُوا غُرَىٰ لَوْ كَانُوا عِنْدَنَا مَا مَاتُوا وَمَا قُتِلُوا لِيَجْعَلَ اللَّهُ ذَلِكَ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [آل عمران: ١٥٦]، أي لا تكونوا كالمنافقين الذين يئثرون إخوانهم عن الجهاد في سبيل الله، والضرب في الأرض في طاعة الله عز وجل، وطاعة رسوله ﷺ، ويقولون إذا ماتوا أو قتلوا: لو أطاعونا ما ماتوا وما قتلوا ﴿لِيَجْعَلَ اللَّهُ ذَلِكَ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ﴾ [آل عمران: ١٥٦] لقلّة اليقين بربهم، ﴿وَاللَّهُ يُحْيِي وَيُمِيتُ﴾ [آل عمران: ١٥٦]، أي يعجل ما يشاء ويؤخر ما يشاء من ذلك من آجالهم بقدرته. قال

تعالى: ﴿وَلَكِنْ قُتِلْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ مُتُّمْ لَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرَحْمَةٌ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ﴾ (١٥٧) [آل عمران: ١٥٧]، أي إن الموت لكائن لا بد منه، فموت في سبيل الله، أو قتل، خير لو علموا وأيقنوا مما يجمعون من الدنيا التي لها يتأخرون عن الجهاد، تخوف الموت والقتل لما جمعوا من زهرة الدنيا زهادة في الآخرة ﴿وَلَكِنْ مُتُّمْ أَوْ قُتِلْتُمْ﴾ [آل عمران: ١٥٨]، أي ذلك كان ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ تَحْسُرُونَ﴾ [آل عمران: ١٥٨]، أي أن إلى الله المرجع، فلا تغرئكم الدنيا، ولا تغتروا بها، وليكن الجهاد وما رغبكم الله فيه من ثوابه أثر عندكم منها.

ثم قال تبارك وتعالى: ﴿فِيمَا رَحَمَهُ مِنَ اللَّهِ لَئِن لَّمْ يَكُنْ فَعَلًا غَلِظَ الْقَلْبُ لَأَنْفَضُوا بِنِ حَوْلِكَ﴾ [آل عمران: ١٥٩]، أي لتركوك ﴿فَاعْفُ عَنْهُمْ﴾ [آل عمران: ١٥٩]، أي فتجاوز عنهم ﴿وَأَسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ عَلَى اللَّهِ إِنْ اللَّهُ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾ [آل عمران: ١٥٩] فذكر لنبيه ﷺ ليهنأ لهم، وصبره عليهم، ولضعفهم، وقلة صبرهم على الغلظة لو كانت منه عليهم في كل ما خالفوا عنه مما افترض عليهم من طاعة نبيهم ﷺ. ثم قال تبارك وتعالى: ﴿فَاعْفُ عَنْهُمْ﴾ [آل عمران: ١٥٩]، أي تجاوز عنهم، ﴿وَأَسْتَغْفِرْ لَهُمْ﴾ [آل عمران: ١٥٩] دنوبهم، من قارف (١) من أهل الإيمان منهم ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾ [آل عمران: ١٥٩]، أي لثريهم أنك تسمع منهم، وتستعين بهم، وإن كنت غنيا عنهم، تألفا لهم بذلك على دينهم ﴿فَإِذَا عَزَمْتَ﴾ [آل عمران: ١٥٩]، أي على أمر جاءك مني وأمر من دينك في جهاد عدوك لا يصلحك ولا يصلحهم إلا ذلك، فامض على ما أمرت به، على خلاف من خالفك، وموافقة من وافقك، ﴿فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾ [آل عمران: ١٥٩] (٢)، أي ارض به من العباد، ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾ [آل عمران: ١٥٩]، إن ينصركم الله فلا غالب لكم وإن يخذلكم فمن ذا الذي ينصركم من بعده ﴿﴾ [آل عمران: ١٥٩، ١٦٠]، أي لثلا تترك أمري للناس، وارفض أمر الناس إلى أمري، وعلى الله لا على الناس، ﴿فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾.

ثم قال: ﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَتْلُوَ وَمَنْ يَفْعَلْ يَأْتِ بِمَا عَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثُمَّ تَوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [آل عمران: ١٦١]، أي ما كان لنبي أن يكتم الناس ما بعثه الله به إليهم، عن رهبة من الناس ولا رغبة، ومن يفعل ذلك يأت يوم القيامة به، ثم يجزي بكسبه، غير مظلوم ولا معتدى عليه ﴿أَفَمَنْ اتَّبَعَ رِضْوَانَ اللَّهِ﴾ [آل عمران: ١٦٢] على ما أحب الناس أو سخطوا ﴿كَمْ بَاءَ بِسَخَطٍ مِنَ اللَّهِ﴾ [آل عمران: ١٦٢] لرضا الناس أو لسخطهم. يقول: أفمن كان على طاعتي، فتوابه الجنة ورضوان من الله، كمن بآء بسخط من الله واستوجب سخطه، فكان ﴿وَمَا أُوْنَهُ جَهَنَّمَ رِيسَ الْمَصِيرُ﴾ [آل عمران: ١٦٢] أسوء المثلان! فاعرفوا. ﴿هُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾ [آل عمران: ١٦٣] لكل درجات مما عملوا في الجنة والنار، أي إن الله لا يخفى عليه أهل طاعته من أهل معصيته.

ثم قال: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ [آل عمران: ١٦٤]، أي لقد من الله عليكم يا أهل الإيمان، إذ بعث فيكم رسولا من أنفسكم يتلو عليكم آياته فيما أحدثتم، وفيما عملتم، فيعلمكم الخير والشر، لتعرفوا الخير فتعملوا به، والشر فتتقوه، ويخبركم برضاه عنكم إذا أطعتموه

(١) قارف الذنب: دخل فيه.

(٢) الآية «فتوكل».

فتستكثروا من طاعته وتجتنبوا ما سخط منكم من معصيته، لتتخلصوا بذلك من نقمته، وتذكروا بذلك ثوابه من جنته ﴿وَإِنَّ﴾ [آل عمران: ٢٠] كُنْتُمْ ﴿مِنْ قَبْلِ لَيْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ [آل عمران: ١٦٤]، أي لفي عمياء من الجاهلية، أي لا تعرفون حسنة ولا تستغفرون من سيئته، صم عن الخير، بكم عن الحق، عني عن الهدى.

ثم ذكر المصيبة التي أصابتهم، فقال: ﴿أَوْ لَمَّا أَصَبْتَكُمْ مُصِيبَةً قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَهَا قُلْتُمْ إِنَّ هَذَا قَوْلٌ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [آل عمران: ١٦٥]، أي إن تك قد أصابتكم مصيبة في إخوانكم بذنوبكم فقد أصبتم مثلها قبل من عدوكم، في اليوم الذي كان قبله بيدر، قتلاً وأسراً ونسيتم معصيتكم وخلافكم عما أمركم به نبيكم ﷺ، أنتم أحللتهم ذلك بأنفسكم ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [آل عمران: ١٦٥]، أي إن الله على ما أراد بعباده من نعمة أو عفو قدير ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ فَيَاذَنْ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٦٦]، أي ما أصابكم حين التقيتم أنتم وعدوكم فيأذني، كان ذلك حين فعلتم ما فعلتم بعد أن جاءكم نضري، وصدقتكم وغدي، ليميز بين المؤمنين والمنافقين، ﴿وَاللَّعَلَّ الَّذِينَ نَافَقُوا﴾ [آل عمران: ١٦٧] منكم، أي ليظهر ما فيهم. ﴿وَقِيلَ لَهُمْ تَقَالُوا قَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ آذِقُوا﴾ [آل عمران: ١٦٧]، يعني عبد الله بن أبي وأصحابه الذين رجعوا عن رسول الله ﷺ، حين سار إلى عدوه من المشركين بأحد، وقولهم: لو نعلم أنكم تقاتلون لسنزنا معكم، ولدفعنا عنكم، ولكنا لا نظن أنه يكون قتال. فأظهر منهم ما كانوا يخفون في أنفسهم. يقول الله عز وجل: ﴿هُمْ لِلْكَافِرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَانِ يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ﴾ [آل عمران: ١٦٧] أي يظهرون لك الإيمان وليس في قلوبهم ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ﴾ [آل عمران: ١٦٧]، أي ما يخفون ﴿الَّذِينَ قَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ﴾ [آل عمران: ١٦٨] الذين أصيبوا معكم من عشائهم وقومهم: ﴿لَوْ أَطَاعُونَا مَا قَاتَلُوا قُلُوبًا فَادْرَأُوا عَنْ أَنْفُسِكُمُ الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [آل عمران: ١٦٨]، أي أنه لا بد من الموت، فإن استطعتم أن تدفعوه عن أنفسكم فافعلوا، وذلك أنهم إنما نافقوا وتركوا الجهاد في سبيل الله، حرضاً على البقاء في الدنيا، وفراراً من الموت.

ثم قال لنبيه ﷺ، يرغب المؤمنين في الجهاد، ويهون عليهم القتال: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قَاتَلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْواتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ [آل عمران: ١٦٩] فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [آل عمران: ١٧٠، ١٦٩]، أي لا تظن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً، أي قد أحييتهم، فهم عندي يرزقون في روح الجنة وفضلها، مسرورين بما آتاهم الله من فضله على جهادهم عنه، ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم، أي ويسرون بلحق من لحقهم من إخوانهم على ما مضوا عليه من جهادهم، ليشاركوهم فيما هم فيه من ثواب الله الذي أعطاهم، قد أذهب الله عنهم الخوف والحزن. يقول الله تعالى: ﴿يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةِ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٧١] لما عاينوا من وفاء الموعود، وعظيم الثواب.

مصير قتلى أحد: قال ابن إسحاق: وحدثني إسماعيل بن أمية، عن أبي الزبير، عن ابن عباس، قال: قال رسول الله ﷺ: «لما أصيب إخوانكم بأحد، جعل الله أرواحهم في أجواف طير خضر، ترد أنهار الجنة، وتاكل من ثمارها، وتأوي إلى قناديل من ذهب، في ظل العرش، فلما وجدوا طيب مشربهم ومأكلهم، وحسن مقيلهم، قالوا: يا ليت إخواننا يعلمون ما صنع الله بنا، لئلا يزهدوا في

الجهاد، ولا يَنْكَلُوا عن الحرب؛ فقال الله تعالى: فأنا أبلغهم عنكم، فأنزل الله على رسوله ﷺ هؤلاء الآيات: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ﴾.

قال ابن إسحاق: وحدثني الحارث بن الفضيل، عن محمود بن لبيد الأنصاري عن ابن عباس أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «الشهداء على بارق نهر بباب الجنة، في قُبَّة حَضْرَاء، يخرج عليهم رزقهم من الجنة بكرة وعشياً»^(١).

قال ابن إسحاق: وحدثني من لا أتهم، عن عبد الله بن مسعود أنه سُئِلَ عن هؤلاء الآيات: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أحيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ [آل عمران: ١٦٩] فقال: أما إننا قد سألنا عنها فقبل لنا: إنه لما أُصِيب إخوانكم بأحد جعل الله أرواحهم في أجواف طير خضر، ترد أنهار الجنة، وتاكل من ثمارها، وتأوي إلى قناديل من ذهب في ظل العرش، فيطلع الله عز وجل عليهم أطلاعة فيقول: يا عبادي، ما تشتهون فأزيدكم؟ قال: فيقولون ربنا لا فوق ما أعطيتنا، الجنة نأكل منها حيث شئنا قال: ثم يطلع الله عليهم أطلاعة، فيقول: يا عبادي، ما تشتهون، فأزيدكم؟ فيقولون: ربنا لا فوق ما أعطيتنا، الجنة نأكل منها حيث شئنا! قال: ثم يطلع عليهم أطلاعة، فيقول: يا عبادي، ما تشتهون فأزيدكم؟ فيقولون: ربنا لا فوق ما أعطيتنا، الجنة نأكل منها حيث شئنا، إلا أنا نُحِبُّ أن ترد أرواحنا في أجسادنا، ثم تُرد إلى الدنيا، فنقاتل فيك، حتى نُقتل مرة أخرى^(٢).

قال ابن إسحاق: وحدثني بعض أصحابنا، عن عبد الله بن محمد بن عقيل، قال: سمعت جابر بن عبد الله يقول: قال لي رسول الله ﷺ: «ألا أبشرك يا جابر؟» قال: قلت: بلى يا نبي الله؛ قال: «إن أباك حيث أُصِيب بأحد أحياء الله عز وجل، ثم قال له: ما تحب يا عبد الله بن عمرو أن أفعل بك؟ قال: أي رب، أحب أن تردني إلى الدنيا فأقاتل فيك، فأقتل مرة أخرى»^(٣).

قال ابن إسحاق: وحدثني عمرو بن عبّيد، عن الحسن، قال: قال رسول الله ﷺ: «والذي نفسي بيده، ما من مؤمن يُفارق الدنيا يُحِبُّ أن يرجع إليها ساعة من نهار، وأن له الدنيا وما فيها إلا الشهيد، فإنه يحب أن يُرد إلى الدنيا، فيقاتل في سبيل الله، فيقتل مرة أخرى»^(٤).

من خرجوا مع الرسول إلى حمراء الأسد: قال ابن إسحاق: ثم قال تعالى: ﴿الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ

(١) روى الحديث أبو داود في كتاب الجهاد (٢٥٢٠) باب في فضل الشهادة، وفي السند: إسماعيل بن أمية، عن أبي الزبير، عن سعيد بن جبيرة، عن ابن عباس. وفي الحديث «قناديل من ذهب معلقة في ظل العرش» فلما وجدوا طيب ماكلهم ومشربهم ومقيلهم قالوا: من يبلغ إخواننا عما آتانا أحياء في الجنة نُرزق، لئلا يزهودوا. ٤٠. وأخرج مسلم حديثاً بنحوه من طريق آخر في كتاب الإمامة (١٢١) باب بيان أن أرواح الشهداء في الجنة وأنهم أحياء عند ربهم يرزقون، والترمذي في باب تفسير القرآن (٤٠٩٨) تفسير سورة آل عمران، وابن ماجه في الجنائز (١٤٤٩) باب ما جاء فيما يقال عند المريض إذا حُضر. والدارمي في الجهاد باب (١٨)، وأحمد في المسند ٢٦٦/١ و٣٨٦/٦، والنوري في نهاية الأرب ١٧/١٢٤.

(٢) رواه أحمد في المسند بسنده ونصه ٢٦٦/١.

(٣) الحديث أخرجه مسلم في كتاب الإمامة (١٨٨٧/٩٢١) باب بيان أن أرواح الشهداء في الجنة وأنهم أحياء عند ربهم يرزقون، من عدة طرق، منها: عن محمد بن عبد الله بن نمير (واللفظ له)، عن سباط وأبو معاوية، عن الأعمش، عن عبد الله بن مرة، عن مسروق، قال: سألنا عبد الله بن مسعود. والحديث باختلاف ألفاظ عما هنا.

(٤) أخرجه أحمد في المسند ٣٦١/٣ بسنده، عن جابر قال: قال لي رسول الله ﷺ: «يا جابر أما علمت أن الله عز وجل أحياء أباك فقال له: تمن علي. فقال: أرد إلى الدنيا فأقتل مرة أخرى. فقال: إني قضيت الحكم أنهم إليها لا يرجعون».

وَأَرْسُولٍ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ ﴿١٧٢﴾ [آل عمران: ١٧٢]، أي الجراح، وهم المؤمنون الذين ساروا مع رسول الله ﷺ الغد من يوم أحد إلى حمراء الأسد على ما بهم من ألم الجراح: ﴿الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقُوا أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٢﴾﴾ الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾﴾ [آل عمران: ١٧٢، ١٧٣]، والناس الذين قالوا لهم ما قالوا، الثَّر من عبد القيس، الذين قال لهم أبو سفيان ما قال؟ قالوا: إن أبا سفيان ومن معه راجعون إليكم. يقول الله عز وجل: ﴿فَأَنْقَلِبُوا فِيكُمْ مِنْ اللَّهِ وَأَنْقَلِبُوا بِنِعْمَةِ مَنْ اللَّهُ وَفَضَّلِ لَمْ يَمَسَّهُمْ سُوءٌ وَأَتَّبِعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴿١٧٤﴾﴾ [آل عمران: ١٧٤] لما صرف الله عنهم من لقاء عدوهم، ﴿إِنَّمَا ذَلِكَ الشَّيْطَانُ﴾ [آل عمران: ١٧٥]، أي لأولئك الرهط وما ألقى الشيطان على أفواههم ﴿يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ﴾ [آل عمران: ١٧٥]، أي يرهيبكم بأوليائه، ﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٧٥] ولا يخزركم الذين يسرعون في الكفر ﴿١٧٦﴾ [آل عمران: ١٧٥، ١٧٦]، أي المنافقون ﴿إِنَّهُمْ لَنْ يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا يُرِيدُ اللَّهُ أَلَّا يَجْعَلَ لَهُمْ حِطًّا فِي الْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٦﴾﴾ إِنَّ الَّذِينَ اشْتَرُوا الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ لَنْ يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٧﴾ وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُكَلِّمُهُمْ خَيْرٌ لَأَنْفُسِهِمْ إِنَّمَا نَكَلِّمُهُمْ لِيُزَادُوا إِسْمًا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ ﴿١٧٨﴾ مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّى يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ ﴿١٧٩﴾﴾ [آل عمران: ١٧٦-١٧٩]، أي المنافقين ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ﴾ [آل عمران: ١٧٩]، أي فيما يريد أن يبتليكم به، لتحذروا ما يدخل عليكم فيه ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ يُبَيِّنُ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ [آل عمران: ١٧٩] أي يعلمه ذلك ﴿فَتَابُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَإِنْ تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا﴾ [آل عمران: ١٧٩]، أي ترجعوا وتوبوا ﴿فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ [آل عمران: ١٧٩].

ذكر من استشهد بأحد من المهاجرين^(١)

قال ابن إسحاق: واستشهد من المسلمين يوم أحد مع رسول الله ﷺ من المهاجرين من قريش، ثم من بني هاشم بن عبد مناف: حمزة بن عبد المطلب بن هاشم، رضي الله عنه؛ قتله وخشي، غلام جبير بن مطعم.

ومن بني أمية بن عبد شمس: عبد الله بن جحش، حليف لهم من بني أسد ابن خزيمة.

ومن بني عبد الدار بن قصي: مصعب بن عمير، قتله ابن قميثة الليثي.

ومن بني مخزوم بن يقظة: شماس بن عثمان. أربعة نفر.

ومن الأنصار، ثم من بني عبد الأشهل: عمرو بن معاذ بن النعمان، والحارث بن أنس بن رافع، وعمارة بن زياد بن السكن.

(١) أخرج البخاري في كتاب الجهاد (٢٠٢/٤، ٢٠٣) باب الحور العين وصفتهن يحار فيها الطرف شديدة سواد العين شديدة بياض العين وزوجناهم بحور أنكحناهم، من طريق معاوية بن عمرو، عن أبي إسحاق، عن حميد، عن أنس بن مالك، عن النبي ﷺ قال: «ما من عبد يموت له عند الله خير يسره أن يرجع إلى الدنيا وأن له الدنيا وما فيها إلا الشهيد لما يرى من فضل الشهادة فإنه يسره أن يرجع إلى الدنيا فيقتل مرة أخرى». وأخرجه مسلم في كتاب الإمارة (١٠٨/١٨٧٧) باب فضل الشهادة في سبيل الله تعالى، من طريق شعبة، عن قتادة وحميد، عن أنس بن مالك، والنسائي في كتاب الجهاد ٦/٣٣ باب تمنى القتل في سبيل الله تعالى، من طريق خالد بن معدان، عن جبير بن نغير، عن ابن أبي عميرة، وأحمد في المسند ٣/١٥٣ و١٧٣ و٢٧٦ و٢٧٨ و٢٨٤ و٣١٨/٥ و٣٢٢.

قال ابن هشام: السَّكَنُ: ابنُ رافع بن امرئ القيس؛ ويقال: السَّكَنُ.

قال ابن إسحاق: وسَلْمَةُ بن ثابت بن وَقْش، وعمرو بن ثابت بن وَقْش. رجلان.

قال ابن إسحاق: وقد زعم لي عاصم بن عمر بن قتادة: أن أباهما ثابتاً قُتِلَ يومئذ. ورفاعة بن وَقْش. وحُسَيْلُ بن جابر، أبو حُذَيْفَةَ وهو اليماني، أصابه المسلمون في المعركة ولا يدرون، فتصدَّق حُذَيْفَةَ بديته على مَنْ أصابه؛ وصَيْفِيّ ابن قَيْظِي. وحباب بن قَيْظِي. وعَبَّاد بن سَهْل، والحارث بن أوس بن مُعَاذ. اثنا عشر رجلاً.

ومن أهل راتج: إياس بن أوس بن عتيك بن عمرو بن عبد الأعلم بن زَعُوراء بن جُشم بن عبد الأشهل؛ وعبيد بن التيهان.

قال ابن هشام: ويقال: عتيك بن التيهان.

وحبيب بن يزيد بن تيم. ثلاثة نفر.

ومن بني ظفر: يزيد بن خاطب بن أمية بن رافع. رجل.

ومن بني عمرو بن عوف، ثم من بني ضبيعة بن زيد: أبو سفيان بن الحارث ابن قيس بن زيد، وحَنْظَلَةُ بن أبي عامر بن صَيْفِيّ بن نعمان بن مالك بن أمة، وهو غَسِيلُ الملائكة، قتله شداد بن الأسود ابن شعوب الليثي. رجلان.

قال ابن هشام: قيس: ابن زيد بن ضبيعة، ومالك: ابن أمة بن ضبيعة.

قال ابن إسحاق: ومن بني عبيد بن زيد: أنيس بن قتادة. رجل.

ومن بني ثعلبة بن عمرو بن عوف: أبو حية، وهو أخو سعد بن خيثة لأمه.

قال ابن هشام: أبو حية: ابن عمرو بن ثابت.

قال ابن إسحاق: وعبد الله بن جبير بن الثعمان، وهو أمير الرماة. رجلان.

ومن بني السلم بن امرئ القيس بن مالك بن الأوس: خَيْثَمَةُ أبو سعد بن خيثة. رجل.

ومن حلفائهم من بني العجلان: عبد الله بن سلمة. رجل.

ومن بني معاوية بن مالك: سبيع بن حاطب بن الحارث بن قيس بن هَيْثَمَةَ. رجل.

قال ابن هشام: ويقال: سُوَيْبِقُ بن الحارث بن حاطب بن هَيْثَمَةَ.

قال ابن إسحاق: ومن بني التَّجَّار: ثم من بني سَوَادِ بن مالك بن عَنَى: عمرو بن قيس؛ وابنه قيس بن عمرو.

قال ابن هشام: عمرو بن قيس: ابنُ زيد بن سواد.

(١) انظر: الطبقات الكبرى ٤٢/٢، المغازي للواقدي ٣٠٠/١، المغازي لعروة ١٧٢، ١٧٣، أنساب الأشراف ٣٢٨/١ رقم ٧١٤، نهاية الأرب ١٧/١٠٤، وما بعدها، تاريخ الإسلام (المغازي)، سير أعلام النبلاء ١٤٩/١ وما بعدها، عيون التواريخ ١/١٧١، عيون الأثر ٢٧/٢ - ٣١، مجمع الزوائد ٦/١٢٣، ١٢٤، تاريخ خليفة ٦٨ - ٧٣.

قال ابن إسحاق: وثابت بن عمرو بن زيد؛ وعامر بن مَخْلَد. أربعة نفر.
ومن بني مَبْدُول: أبو هُبَيْرَة بن الحارث بن علقمة بن عمرو بن ثَقَف بن مالك بن مَبْدُول،
وعمر بن مُطَرَف بن علقمة بن عمرو. رجلان.
ومن بني عمرو بن مالك: أوس بن ثابت بن المُنْذِر. رجل.
قال ابن هشام: أوس بن ثابت، أخو حَسَّان بن ثابت.
قال ابن إسحاق: ومن بني عَدِيّ بن النُّجَّار: أنس بن النُّضْر بن ضَمْضَم بن زيد بن حَرَام بن
جُنْدَب بن عامر بن غَنَم بن عَدِيّ بن النُّجَّار. رجل.
قال ابن هشام: أنس بن النضر، عم أنس بن مالك: خادم رسول الله ﷺ.
ومن بني مازن بن النُّجَّار: قَيْس بن مَخْلَد، وكيسان، عبد لهم. رجلان.
ومن بني دينار بن النُّجَّار: سُلَيْم بن الحارث؛ ونعمان بن عبد عمرو. رجلان.
ومن بني الحارث بن الخزرج: خارجة بن زيد بن أبي زُهَيْر؛ وسَعْد بن الربيع بن عمرو بن أبي
زُهَيْر، دُفْنَا في قبر واحد؛ وأوس بن الأرقم بن زيد بن قيس بن النعمان بن مالك بن ثَعْلَبَة بن كعب.
ثلاثة نفر.
ومن بني الأَبْجَر، وهم بنو خُذْرَة: مالك بن سنان بن عُبيد بن ثعلبة بن عبيد ابن الأَبْجَر، وهو
أبو أبي سعيد الخُدْرِيّ.
قال ابن هشام: اسم أبي سعيد الخُدْرِيّ: سنان؛ ويقال: سعد.
قال ابن إسحاق: وسعيد بن سُوَيْد بن قَيْس بن عامر بن عَبَّاد بن الأَبْجَر؛ وعتبة بن ربيع بن رافع
ابن معاوية بن عبيد بن ثعلبة بن عبيد بن الأَبْجَر. ثلاثة نفر.
ومن بني ساعدة بن كعب بن الخزرج: ثَعْلَبَة بن سعد بن مالك بن خالد بن ثعلبة بن حارثة بن
عمرو بن الخزرج بن ساعدة؛ وَثَقَف بن قُرْوََة بن البَدِيّ. رجلان.
ومن بني طَرِيف، رَهْط سعد بن عُبَادَة: عبد الله بن عمرو بن وهب بن ثعلبة ابن وقش بن ثَعْلَبَة
ابن طَرِيف؛ وَضَمْرَة، حليف لهم من بني جُهَيْنَة. رجلان.
ومن بني عوف بن الخزرج، ثم من بني سالم، ثم من بني مالك بن العَجْلان ابن زيد بن غَنَم بن
سالم: نوفل بن عبد الله؛ وَعَبَّاس بن عُبَادَة بن نَضْلَة بن مالك بن العَجْلان؛ ونعمان بن مالك بن ثَعْلَبَة
ابن فَهْر بن غَنَم بن سالم؛ والمُجَذَّر بن زِيَاد، حليف لهم من بَلِيّ؛ وعُبَادَة بن الحَسْحَاسِ.
دُفْنَا الثُّعْمَان بن مالك، والمُجَذَّر، وعُبَادَة في قبر واحد. خمسة نفر.
من بني الحُبَلِيّ: رِفَاعَة بن عَمْرُو. رجل.
ومن بني سلمة، ثم من بني حَرَام: عبد الله بن عمرو بن حَرَام بن ثَعْلَبَة بن حَرَام؛ وعمرو بن
الجَمُوح بن زيد بن حَرَام، دُفْنَا في قبر واحد؛ وَخَلَاد بن عَمْرُو بن الجَمُوح بن زيد بن حَرَام؛ وأبو
أَيْمَن، مولى عَمْرُو بن الجَمُوح. أربعة نفر.
ومن بني سَوَاد بن غَنَم: سُلَيْم بن عمرو بن حَدِيدَة؛ ومولاه عَنْتَرَة؛ وسهل ابن قَيْس بن أبي
كعب بن أَلْقَيْن. ثلاثة نفر.
ومن بني زُرَيْق بن عامر: دَكْوَان بن عبد قَيْس؛ وعُبَيْد بن المُعَلَّى بن لَوْدَان. رجلان.

قال ابن هشام: عُبيد بن المُعَلَّى، من بني حبيب.

قال ابن إسحاق: فجميع من استشهد من المسلمين مع رسول الله ﷺ من المهاجرين والأنصار خمسة وستون رجلاً.

قال ابن هشام: وممن لم يذكر ابن إسحاق من السبعين الشهداء الذين ذكرنا، من الأوس، ثم من بني معاوية بن مالك: مالك بن نُمَيْلة، حليف لهم من مزينة.

ومن بني خَطْمَة - واسم خَطْمَة: عبد الله بن جُشم بن مالك بن الأوس - الحارث بن عَدِي بن خَرَشَة بن أمية بن عامر بن خَطْمَة.

ومن الخزرج، ثم من بني سواد بن مالك: مالك بن إياس.

ومن بني عمرو بن مالك بن النجار: إياس بن عدي.

ومن بني سالم بن عوف: عمرو بن إياس.

ذكر من قتل من المشركين يوم أحد^(١)

قال ابن إسحاق: وقتل من المشركين يوم أحد من قُريش، ثم من بني عبد الدار بن قُصي من أصحاب اللواء: طلحة بن أبي طلحة، واسم أبي طلحة: عبد الله بن عبد العزى بن عثمان بن عبد الدار، قتله علي بن أبي طالب؛ وأبو سعيد ابن أبي طلحة، قتله سعد بن أبي وقاص.

قال ابن هشام: ويقال: قتله علي بن أبي طالب.

قال ابن إسحاق: وعثمان بن أبي طلحة، قتله حمزة بن عبد المطلب؛ ومسافع بن طلحة، والجلاس بن طلحة، قتلها عاصم بن ثابت بن أبي الأفلح. وكلاب بن طلحة؛ والحارث بن طلحة، قتلها قُزَمان، حليف لبني ظفر.

قال ابن هشام: ويقال: قتل كلاباً عبد الرحمن بن عوف.

قال ابن إسحاق: وأرطاة بن عبد شُرخبيل بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار قتله حمزة بن عبد المطلب، وأبو يزيد بن عمير بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار قتله قُزَمان؛ وصُواب: غلام له حبشي، قتله قُزَمان.

قال ابن هشام: ويقال: قتله علي بن أبي طالب، ويقال: سعد بن أبي وقاص ويقال: أبو دُجانة.

قال ابن إسحاق: والقاسط بن شريح بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار، قتله قُزَمان. أحد عشر رجلاً.

ومن بني أسد بن عبد العزى بن قُصي: عبد الله بن حميد بن زهير بن الحارث بن أسد. قتله علي بن أبي طالب. رجل.

ومن بني زُهرة بن كلاب: أبو الحَكَم بن الأخنس بن شريق بن عمرو بن وهب الثَّقَفي، حليف

(١) المغازي للواقدي ١/٣٠٧-٣٠٩، الطبقات الكبرى ٢/٤٣، أنساب الأشراف ١/٣٢٤، نهاية الأرب ١٧/١٠٨، ١٠٩،

عيون التواريخ ١/١٧٦، عيون الأثر ٢/٣٢.

لهم، قتله علي بن أبي طالب؛ وسباع بن عبد العزى - واسم عبد العزى: عمرو بن نضلة بن غبشان بن سليم بن ملكان بن أفضى - حليف لهم من خزاعة، قتله حمزة بن عبد المطلب. رجلا.

ومن بني مخزوم بن يقظة، هشام بن أبي أمية بن المغيرة، قتله قُزَمان؛ والوليد بن العاص بن هشام بن المغيرة، قتله قُزَمان: وأبو أمية بن أبي حذيفة بن المغيرة، قتله علي بن أبي طالب؛ وخالد ابن الأعمى، حليف لهم، قتله قُزَمان. أربعة نفر.

ومن بني جُمَح بن عمرو: عمرو بن عبد الله بن عُمير بن وهب بن حُذافة بن جُمَح، وهو أبو عزة، قتله رسولُ الله ﷺ صَبْرًا؛ وأبي بن خلف بن وهب بن حُذافة بن جُمَح، قتله رسولُ الله ﷺ بيده. رجلا.

ومن بني عامر بن لؤي: عبيدة بن جابر؛ وشيبة بن مالك بن المَضْرَب، قتلها قُزَمان. رجلا.

قال ابن هشام: ويقال: قتل عبيدة بن جابر عبدُ الله بن مسعود.

قال ابن إسحاق: فجميع من قتل الله تبارك وتعالى يوم أحد من المشركين، اثنان وعشرون رجلاً.

ذكر ما قيل من الشعر يوم أحد

قال ابن إسحاق: وكان مما قيل من الشعر في يوم أحد، قولُ هُبيرة بن أبي وهب بن عمرو بن عائذ بن عبد بن عمران بن مخزوم - قال ابن هشام: عائذ: ابن عمران بن مخزوم:

ما بالَ هَمِّ عَمِيدٍ باتَ يَطْرُقني	بالوَدِّ من هَنَدٍ إذ تَغْدو عَوادِها ^(١)
باتَتْ تُعاتِبني هَنَدٌ وتَغْدلني	والحَرْبُ قد شُغِلت عني موالِها
مَهلاً فلا تَغْدليني إنَّ من حُلقي	ما قد عَلِمْتِ وما إن لَسْتُ أخفيها
مُساعِفٌ ^(٢) لَبَني كَفِبَ بما كَلِفوا	حَمالُ عِباءٍ وأثقالُ أَعانِها
وقد حَمَلتُ سِلاحِي فوق مُشْتَرَفٍ ^(٣)	ساطِ سَبوحٍ ^(٤) إذا تَجري يُبارِها
كَأَنَّهُ إذ جَرى عَيرٌ بَقَدْفَدَة	مُكَدِّمٌ لاجِحٌ بالعُونِ يَحْمِيها ^(٥)
من آلِ أَعوجٍ يَزْتاحُ النُّديَّ له	كجذعِ شَغراءٍ مُسْتَعْلٍ مَراقِها ^(٦)
أَعْدَتْهُ ورِفاقُ الحَدِّ مُنْتَحَلًا	ومارِناً لُخْطوبٍ قَدْ أَلانِها ^(٧)

(١) العميد: شديد الحزن. والعوادي: الشواغل.

(٢) مساعف: مطيع.

(٣) مشترف: بفتح الراء اسم مفعول. أي فرس تنظر الناس إليه لحسنه.

(٤) السبوح: الذي يسبح في جريه.

(٥) يشبه حصانه بحمار وحشي وهو العير. والقدفدة: الصحراء والمكدم: المعضوض والعون: القطيع من حمر الوحش.

(٦) الأعوج اسم فرس مشهور في العرب ومنه الأعوجيات أي الخيل الجيدة. والندي: المجلس من القوم. والشغراء: نخلة كثيرة الأغصان.

(٧) رفاق الحد: السيوف. والمتنفل: المتخير. والمارن هنا: الرمح اللين.

هذا وَبَيْضَاءَ مِثْلِ النَّهْيِ مُخَكِّمَةً
سُقْنَا كِنَانَةَ مِنْ أَطْرَافِ ذِي يَمَنِ
قَالَتْ كِنَانَةَ: أُنَى تَذْهَبُونَ بِنَا؟
نَحْنُ الْفَوَارِسُ يَوْمَ الْجَرِّ^(٤) مِنْ أُخْدٍ
هَابُوا ضِرَاباً وَطَعْنَا صَادِقاً خَدِمًا^(٥)
ثُمَّتْ رُخْنَا كَأَنَّا عَارِضٌ بِرِدِّ
كَأَنَّ هَامَهُمْ عِنْدَ الْوَعَى فُلِقُوا
أَوْ حَنْظَلٌ دَغْدَغْتُهُ الرِّيحُ فِي غُضُنٍ
قَدْ نَبَذَ الْمَالَ سَخاً لَا حِسَابَ لَهُ
وَلَيْلَةٌ يَضْطَلِّي بِالْفَرْتِ^(١٠) جَازِرُهَا
وَلَيْلَةٌ مِنْ جُمَادَى ذَاتِ الْأَنْدِيَةِ
لَا يَنْبُحُ الْكَلْبُ فِيهَا غَيْرَ وَاحِدَةٍ
أَوْقَدْتُ فِيهَا لَدَى الضَّرَاءِ جَاحِمَةً^(١٤)
أَوْرَثَنِي ذَاكُمُ عَمْرُو وَوَالِدُهُ
كَانُوا يُبَارُونَ أَنْوَاءَ النُّجُومِ فَمَا
قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: فَأَجَابَهُ حَسَّانُ بْنُ ثَابِتٍ، فَقَالَ:
سُقْتُمْ كِنَانَةَ جَهْلًا مِنْ سَفَاهَتِكُمْ

نَيْطَتْ عَلَيَّ فَمَا تَبْدُو مَسَاوِيهَا^(١)
عُرْضُ الْبِلَادِ عَلَى مَا كَانَ يُزْجِيهَا^(٢)
قُلْنَا: التُّخَيْلُ، فَأَثُوهَا وَمَنْ فِيهَا^(٣)
هَابَتْ مَعَدُّ فُقَلْنَا نَحْنُ نَأْتِيهَا
مِمَّا يَرُونَ وَقَدْ ضُمَّتْ قَوَاصِيهَا
وَقَامَ هَامٌ^(٦) بَنِي النَّجَّارِ يَنْبِكِيهَا
مَنْ قَيْضُ رُبْدٍ نَفَثَهُ عَنْ أَدَاجِيهَا^(٧)
بِالِ تَعَاوَرِهِ مِنْهَا سَوَافِيهَا^(٨)
وَنَطَعْنَ الْخَيْلَ شَزْرًا فِي مَاقِيهَا^(٩)
يَخْتَصُّ بِالتَّقْرِى^(١١) الْمُشْرِينَ دَاعِيهَا
جَزِيًا جُمَادِيَّةً قَدْ بَثَّ أُسْرِيهَا^(١٢)
مِنَ الْقَرِيْسِ^(١٣) وَلَا تَسْرِي أَفَاعِيهَا
كَالْبَرْقِ ذَاكِمَةَ الْأَزْكَانِ أَحْمِيهَا
مِنْ قَبْلِهِ كَانَ بِالْمَثْنَى يُغَالِيهَا^(١٥)
دَنَّتْ عَنِ السُّورَةِ الْعُلْيَا مَسَاعِيهَا^(١٦)
إِلَى الرَّسُولِ فَجُنْدُ اللَّهِ مُخْزِيهَا

- (١) البيضاء: الدرع، والنهي: الغدير. ونيطت: علق.
(٢) عرض البلاد: سعتها. ويؤججها: يسوقها.
(٣) يريد بالتخيل: المدينة المنورة.
(٤) الجر: أصل الجبل.
(٥) الخدم: المذل.
(٦) العارض: السحاب. والهام: جمع هامة وهي ما تزعم العرب أنها طائر يخرج من رأس القتيل يصبح اسقوني حتى يؤخذ بثأر القتيل.
(٧) الفلق: القطع. والقَيْضُ: قشر البيض. والرُبْدُ: النعام. والأداحي: أماكن تبيض فيها النعام.
(٨) تعاوره: تداوله. السوافي: الرياح التي تحمل التراب والرمل.
(٩) نبذل المال سخاً: نجود كثيراً. والشزر: الطعن عن يمين وشمال.
(١٠) يضطلي بالفرث: يستدفئ به من شدة البرد.
(١١) قوله: يختص بالتقري المشرين، أي يختص الأغنياء طلباً لمكافأتهن، وليأكل عندهن، يصف شدة الزمان.
(١٢) أندية: جمع ندي وهو المجلس. وجزياً: شديدة البرودة، وجمادية نسبة إلى جماد، وقد سُمي بهذا الاسم إذا صادف مجيئه وقت تجمد المياه.
(١٣) القريس: البرد مع الصقيع.
(١٤) الجاحمة: الملتهبة.
(١٥) المثني: المرة بعد الأخرى.
(١٦) دنت: قصرت. السورة: المنزلة. والأبيات في سيرة ابن كثير ٣/١٠٥، ١٠٦.

أوردتموها حياض الموت ضاحية
جمعتموها أحابيشاً بلا حسب
ألا اغتبرتم بخيل الله إذ قتلت
كم من أسير فكفناه بلا ثمن
قال ابن هشام: أشدنيها أبو زيد الأنصاري لكعب بن مالك:

قال ابن هشام: وبيت هبيرة بن أبي وهب الذي يقول فيه:
وليلة يضطلي بالفرز جازرها
يروى لجنوب، أخت عمرو ذي الكلب الهذلي، في أبيات لها في غير يوم أحد.
قال ابن إسحاق: وقال كعب بن مالك يُجيب هبيرة بن أبي وهب أيضاً:

ألا هل أتى غسان عتاً ودونهم
صحار وأعلام كأن قتامها
تظل به البزل العراميس زرحاً
به جيف الحسرى يلوح صليبها
به العين والأرام يمشين خلفه
مجالدنا عن ديننا كل فخمة
وكل صموت في الصوان كأنها
ولكن ببذر سائلوا من لقيتم
وإننا بأرض الخوف لو كان أهلها
إذا جاء مناً راكب كان قوله
فمهما يهيم الناس مما يكيدها
فلو غيرنا كانت جميعاً تكيده الـ

(١) الخرق: الفلاة. والمتنعن: المضطرب.

(٢) الأعلام: الجبال. والقتام: ما اسود من الأشياء. والنقع: الغبار.

(٣) البزل: الإبل القوية. العراميس: الشديدة. ويمرع: يخصب.

(٤) الصليب هنا: دسم الشحم واللحم. والموضع: المحلى بالقوش.

(٥) العين: بقر الوحش. والأرام: بعض البطون سمر الظهور. وخلفة: جماعة وراء جماعة. والقيض: قشر البيض. ويتقلع: يتشقق.

(٦) الفخمة: الكتبية الضخمة. القوانس: رؤوس بيض السلاح.

(٧) الصموت: الدرغ التي أحكم صنعها. والصوان: ما يصاب فيه الشيء. والنهي: الغدير.

(٨) أقشعوا: فزوا. (٩) يُزجي: يسوق.

(١٠) هذا البيت في البدء والتاريخ ٢٠٦/٤ وفيه: إذا جاء منهم راكب.

من النَّاسِ إِلا أَن يَهَابُوا وَيَفْظَعُوا
عَلَامَ إِذَا لَمْ تَمْنَعِ الْعِرْضَ تَزْرَعُ^(١)؟
إِذَا قَالَ فَهِنَا الْقَوْلُ لَا نَتَطَّلِعُ^(٢)
يُنزَّلُ مِنْ جَوِّ السَّمَاءِ وَيُرْفَعُ
إِذَا مَا اشْتَهَى أَنَا نُطِيعُ وَنَسْمَعُ
ذُرُوءًا عَنْكُمْ هَوَّلَ الْمَنِيَّاتِ وَأَطْمَعُوا
إِلَى مَلِكٍ يُخَيِّلُ لَدَيْهِ وَيُزْجَعُ
عَلَى اللَّهِ إِنَّ الْأَمْرَ لِلَّهِ أَجْمَعُ
ضَحِيحًا عَلَيْنَا الْبَيْضُ لَا نَتَخَشَعُ
إِذَا ضَارِبُوا أَقْدَامَهَا لَا تَوْرَعُ
أَحَابِيشُ مِنْهُمْ حَاسِرٌ وَمُقْتَعُ^(٣)
ثَلَاثَ مَثِينٍ إِنْ كَثُرْنَا وَأَرْبَعَ
نُشَارِعُهُمْ حَوْضَ الْمَنَايَا وَنُشْرِعُ^(٤)
وَمَا هُوَ إِلا الْيَثْرِبِيُّ الْمُقَطَّعُ^(٥)
يُدْرَعُ عَلَيْهَا السَّمَّ سَاعَةً تُضْئَعُ
تَمْرًا بِأَعْرَاضِ الْبِصَارِ تَقْفَعُ^(٦)
جَرَادٌ صَبَأٌ فِي قَرَّةٍ يَتَرِيْعُ^(٧)
وَلَيْسَ لِأَمْرِ حَمَّةٍ اللَّهُ مَدْفَعُ
كَأَنَّهُمْ بِالْقَاعِ خُشْبُ مُصْرَعُ
كَأَنَّ ذَكَانَا حَرُّنَا تَلْفَعُ^(٨)

نُجَالِدُ لَا تَبْقَى عَلَيْنَا قَبِيلَةٌ
وَلَمَّا ابْتَنَنُوا بِالْعِرْضِ قَالَ سَرَاتْنَا
وَفِينَا رَسُولُ اللَّهِ نَثْبَعُ أَمْرَهُ
تَدَلَّى عَلَيْهِ الرُّوحُ مِنْ عِنْدِ رَبِّهِ
نُشَاوِرُهُ فِيمَا تُرِيدُ وَقَضَرْنَا^(٩)
وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ لَمَّا بَدَا لَنَا
وَكُونُوا كَمَنْ يَشْرِي الْحَيَاةَ تَقْرُبًا
وَلَكِنْ خُذُوا أَسْيَافَكُمْ وَتَوَكَّلُوا
فَمِزْنَا إِلَيْهِمْ جَهْرَةً فِي رِحَالِهِمْ
بِمَلْمُومَةٍ فِيهَا السُّنُورُ^(١٠) وَالْقَنَا
فَجِئْنَا إِلَى مَوْجٍ مِنَ الْبَحْرِ وَسَطَهُ
ثَلَاثَةَ آلَافٍ وَنَحْنُ نَصِيَّةُ^(١١)
نُغَاوِرُهُمْ تَنْجِرِي الْمَنِيَّةَ بَيْنَنَا
تَهَادَى قِيسِيُّ النَّبْعِ فِينَا وَفِيهِمْ
وَمَنْجُوفَةٌ حَرَمِيَّةٌ صَاعِدِيَّةُ^(١٢)
تَصُوبُ بِأَبْدَانِ الرَّجَالِ وَتَارَةٌ
وَخَيْلٌ تَرَاهَا بِالْقَضَاءِ كَأَنَّهَا
فَلَمَّا تَلَاقَيْنَا وَدَارَتْ بِنَا الرِّحَى
ضَرَبْنَاهُمْ حَتَّى تَرَكَنَا سَرَاتَهُمْ
لَدُنْ غُدُوَّةٍ حَتَّى اسْتَفَقْنَا عَشِيَّةً

(١) ابتنوا: ضربوا أبنيتهم، والعرض: قري المدينة.

(٢) لا نتطلع: لا نميل.

(٣) الملمومة: الكتيبة المجتمعة، والستور: السلاح.

(٤) هذا البيت والذي بعده في: البدء والتاريخ ٢٠٧/٤.

(٥) النصية: خيار القوم. وفي البدء والتاريخ «نصبيه».

(٦) نغاورهم: نداولهم. نشارعهم: نشاربهم.

(٧) النبع: شجر تتخذ منه القسي. واليثرابي: الأوتار.

(٨) المنجوفة: السهام. والحرمية: نسبة إلى الحرم. والصاعدية: منسوبة إلى صاعد. وهو رجل مشهور بصنعها.

(٩) البصار: حجارة. تقفع: تصوت.

(١٠) القرّة: البرد. والتريع: المجيء والذهاب.

(١١) ذكانا: التهابتا. تلفع: يصيب حرها من قرب منها.

وراحوا سِراعاً مُوجِفين كأنهم
 ورُحنا وأخرانا بِطاء كَأَننا
 فَنِلنا ونال القومُ مِنّا وربما
 ودارت رَحانا واستدارت رَحاهمُ
 ونحن أناس لا نرى القَتْل سُبَّةً
 جِلاذٌ على رَبِّ الحَواذِث لا نرى
 بنو الحَربِ لا نَعِيا بشيءٍ نَقولُه
 بنو الحَربِ إِنْ نَظَفَر فلَسنا بِفُحش
 وكُنّا شِهاباً يَتَّقِي النَّاسُ حَزه
 فَحَزَّت عَلَيَّ ابْنَ الزَّيْعَرى وقد سرى
 فَسَلْ عَنكَ فِي عُلَيّا مَعَدٌ وِغيرِها
 وَمَنْ هُوَ لَمْ تَتَّركْ لَه الحَربُ مَفْخَراً
 شَدَدنا بِحَولِ اللّهِ وَالتُّضَرِ شَدَّةً
 تَكُورِ القَنا فيكُم كَأَنَّ فُروغَها
 عَمَدنا إلى أَهلِ اللّواءِ وَمَنْ يَطْرُزُ
 فخانوا وقد أَعْطَوا يَدًا وَتخادَلُوا

قال ابن هشام: وكان كعب بن مالك قد قال:

مُجالِدُنا عَن جِذْمنا كَلَّ فِخْمَةٌ^(٨)

فقال رسولُ الله ﷺ: «أَيصْلُحُ أَنْ تَقولَ: مجالِدنا عَن دِيننا؟» فقال كعب: نعم؛ فقال رسولُ الله ﷺ: «فهو أَحسَنُ»؛ فقال كعب: مجالِدنا عَن دِيننا.

قال ابن إسحاق: وقال عبد الله بن الزَيْعَرى في يوم أُحد:

يا عَراِبَ البَينِ أَسَمَعَتَ فُؤْلُ
 إِنْ لِلخَيرِ وَلِلشَّرِّ مَدى
 وَالعَطيَّاتِ خِساسَ بَينَهم
 إِنما تَنطِقُ شِئْناً قَدْ فُعِلْ
 وَكِلا ذلِكَ وَجَهٌ وَقَبَلْ^(٩)
 وَسِواءَ قَبِرُ مُثَرٍ وَمُقِلْ

(١) الجهام: سحاب رقيق ليس فيه ماء.

(٢) بيشة مكان تُنسب إليه الأسود. وظلَع: أي امتلات بنا الأرض لكثرتنا.

(٣) البيت في البدء والتاريخ ٢٠٦/٤.

(٤) البيت في البدء والتاريخ ٢٠٦/٤.

(٥) يسفع: يحرق.

(٦) الفروغ: جمع فرغ: الطعنة الواسعة التي يسيل دمها. والعزالي: جمع عزلاء وهي فم المزاودة. ويتهنع: يتقطع.

(٧) جذمها: أصلها.

(٨) القبل: ما يستقبل الإنسان من الأيام.

وبناتِ الدَّهرِ يَلْعَبْنَ بِكُلِّ
فَقَرِيضِ الشُّغْرِ يَشْفِي ذَا الْغُلِّ
وَأَكْفُ قَدْ أُتِرْتُ وَرِجْلُ^(١)
عَنْ كُماةِ أَهْلِكُوا فِي الْمُنْتَزِلِ^(٢)
مَاجِدِ الْجَدِيدِ مِقْدَامِ بَطَلِ
غَيْرِ مُلْتَاثِ لَدَى وَقْعِ الْأَسْلِ^(٣)
بَيْنَ أَقْحَافٍ وَهَامِ كَالْحَجَلِ^(٤)
جَزَعِ الْخَزْرَجِ مَنْ وَقِعَ الْأَسْلُ^(٥)
وَاسْتَحَرَ الْقَتْلَ فِي عَبْدِ الْأَشْلِ^(٦)
رَقَصَ الْحَفَّانِ يعلو فِي الْجَبَلِ^(٧)
وَعَدَلْنَا مَيْلَ بَذْرِ فاعْتَدَلْ
لَوْ كَرَزْنَا لَفَعَلْنَا الْمُفْتَعَلِ
عَلَّا تَغْلُوهُمْ بَعْدَ نَهْلِ^(٨)

فأجابه حسان بن ثابت الأنصاري رضي الله عنه، قال:

كَانَ مَنَا الْفَضْلُ فِيهَا لَوْ عَدَلْ
وَكَذَلِكَ الْحَرْبُ أَحْيَاناً دَوْلُ
حَيْثُ نَهْوِي عَلَّابَ بَعْدَ نَهْلِ
كَسْلَاحِ النَّيْبِ يَأْكُلُنَ الْعَصَلَ^(١٠)

كُلُّ عَيْشٍ وَتَعِيمِ زَائِلٌ
أَبْلِغُنْ حَسَانَ عَنِّي آيَةً
كَمْ تَرَى بِالْجَزْرِ مِنْ جُمُجِمَةٍ
وَسَرَابِيلَ حِسَانٍ سُرِيَتْ
كَمْ قَتَلْنَا مِنْ كَرِيمِ سَيْدِ
صَادِقِ التُّجْدَةِ قَزْمِ بَارِعِ
فَسَلِ الْمِهْرَاسَ مَنْ سَاكِنُهُ؟
لَيْتَ أَشْيَاخِي بِبَذْرِ شَهَدُوا
حِينَ حَكَّتْ بِقُبَاءِ بَرْكَهَا
ثُمَّ خَفُّوا عِنْدَ ذَاكِمِ رُقْصاً
فَقَتَلْنَا الضُّعْفَ مِنْ أَشْرَافِهِمْ
لَا أَلُومَ النَّفْسِ إِلَّا أَتْنَا
بِسُيُوفِ الْهَيْدِ تَغْلُو هَامَهُمْ

ذَهَبَتْ يَا بِنَ الزُّبَيْرِ وَقَعَةٌ
وَلَقَدْ نَلْتُمْ وَنَلْنَا مِنْكُمْ
نَضَعُ الْأَسْيَافَ فِي أَكْتِافِكُمْ
نُخْرِجُ الْأَصْبَحَ^(٩) مِنْ أَسْتَاهِكُمْ

(١) الجز: أصل الجبل. أيزت: قُطعت.

(٢) السرابيل: الدروع. سُريت: جُرُدت. والمنتزل: موضع النزال.

(٣) القرم: الفحل، الملتاث: الضعيف. وقع الأسل: وقع الرماح.

(٤) الأقحاف: جمع قحف، ما انفصل من الجمجمة. الهام: الرؤوس. الحجل: طائر أحمر المنقار والرجلين.

(٥) الأسل: الرماح..

(٦) البرك: الصدر. عبد الأشل يريد بني عبد الأشهل. حذف الهاء لإقامة الوزن.

(٧) الرُقْص: ضرب من المشي السريع. الحفان: النعام الصغير.

(٨) العلل: الشرب الثاني والنهل: الشرب الأول يريد معاودة الضرب.

وقد أورد ابن سيّد الناس في عيون الأثر (٨) أبيات - ص ٣٢، ٣٣، وفي البدء والتاريخ ٤/٢٠٧، ٢٠٨ (١٣) بيتاً، منها بيت ليس في السيرة، وفي عيون التواريخ ١/١٧٨، ١٧٩ (٨) أبيات.

(٩) في طبعة دار الجيل ٣/٦٩ «الأصبح». وما أثبتناه يتفق مع البدء والتاريخ ٤/٢٠٨، وسيرة ابن كثير ٣/١١١. والأصبح: وصف للبن الممدوق المخروح من بطونهم. ورواه أبو حنيفة «نخرج الأضيح» وهو اللبن الممزوج بالماء، وهو في معنى الأصبح، لأن الصبحة بياض غير خالص، فجعله وصفاً للبن الممدوق المخروح من بطونهم. (الروض الأنف ٣/٢١٧).

(١٠) النيب: الثوق الميسّة. والعصل: نبات تأكله الإبل فيخرج أحمر مع فضلاتها.

- إذ تُولونَ على أعقابكم
 إذ شدذنا شدة صادقة
 بخناطيل كأشدا الملا
 ضاق عشا الشغب إذ نجزعه
 برجال لستهم أمثالهم
 وعلونا يوم بدر بالثقي
 وقتلنا كل رأس منهم
 وتركنا في قرينش عورة
 ورسول الله حقا شاهد
 في قرينش من جموع جمعوا
 نحن لا أمثالكم ولذ أستها
- (١) هرباً في الشغب أشباه الرسل
 (٢) فأجناكم إلى سفح الجبل
 (٣) من يلاقوه من الناس يهل
 (٤) ومأنا القراط منه والرجل
 (٥) أيدياً جبريل نضراً فنزل
 (٦) طاعة الله وتضديق الرسل
 (٧) وقتلنا كل جحجاج رقل
 (٨) يوم بدر وأحاديث المثل
 (٩) مثل ما يجمع في الخضب الهمل
 نخضر الناس إذا البأس نزل

قال ابن هشام: وأنشدني أبو زيد الأنصاري: «وأحاديث المثل» والبيت الذي قبله. وقوله: «في قرينش من جموع جمعوا» عن غير ابن إسحاق.

- قال ابن إسحاق: وقال كعب بن مالك يبكي
 نخجت وهل لك من منشج
 تذكر قوم أتاني لهم
 فقلبك من ذكرهم خافق
 وقتلاهم في جنان النعيم
 بما صبروا تحت ظل اللواء
 غداة أجابت بأسياها
 وأشياغ أحمد إذ شايعوا
- خمزة بن عبد المطلب وقتلى أحد من المسلمين:
 وكنت متى تذكر تلجج
 أحاديث في الزمن الأغوج
 من الشوق والحزن المنضج
 كرام المداخل والمخرج
 لواء الرسول بذي الأضوج
 جميعاً بنو الأوس والخزرج
 على الحق ذي الثور والمنهج

(١) الرسل: الإل المرسله.

(٢) أجناكم: الجناكم.
(٣) الخناطيل: الجماعات. والأ مذاق: أخلاط الناس وفي رواية «كأشدا». والملا: ما اتسع من الأرض. ويهل: يفرح ويرتاع.

(٤) نجزع: نقطع عرضاً. الفراط: الأرض العالية. والرجل: ما اطمأن من الأرض.

(٥) أيدياً جبريل: أي أيدياً بجبريل. حذف الجاز وعذى الفعل.

(٦) الجحجاج: السيد العظيم. والرقل: من يجز ثوبه خيلاء.

(٧) التنايل: القصار. الهبل: ضخام الأجسام.

(٨) الهمل: الإبل المهمله المتروكة بلا راع.

(٩) الأبيات كلها في سيرة ابن كثير ٣/١١١، ١١٢، ومنها ستة أبيات في البدء والتاريخ ٤/٢٠٨.

(١٠) تلجج: تتمادى.

(١١) الأضوج: اسم مكان.

(١٢) المنهج: الواضح.

- فَمَا بَرِحُوا يَضْرِبُونَ الْكُفَاةَ
كَذَلِكَ حَتَّى دَعَاهُمْ مَلِيكَ
فَكُلُّهُمْ مَاتَ حُرَّ الْبَلَاءِ
كَحَمْرَةَ لَمَّا وَفَى صَادِقاً
فَلِاقَاهُ عَبْدُ بَنِي نُوْفَلٍ
فَأَوْجَرَهُ حَزْبَةَ كَالشَّهَابِ
وَتُعْمَانَ أَوْفَى بِمِيثَاقِهِ
عَنِ الْحَقِّ حَتَّى غَدَتِ رُوحَهُ
أَوْلَمَكَ لَا مَنْ نُوَى مِنْكُمْ
فَأَجَابَهُ ضَرَارُ بْنُ الْخَطَّابِ الْفَهْرِيُّ، فَقَالَ:
أَيْجُزَعُ كَغَبِّ الْأَشْيَاعِ
عَجِيجُ الْمُذَكِّي رَأَى إِلْفَهُ
فَرَّاحُ الرُّوَايَا وَغَادِزْنُهُ
فَقُولَا لَكَغَبِّ يُثَنِّي الْبُكَاءِ
لِمَضْرَعِ إِخْوَانِهِ فِي مَكْرٍ
فِي الْبَيْتِ عَمْرَأً وَأَشْيَاعِهِ
فَيَشْفُوا الْنُفُوسَ بِأَوْتَارِهَا
وَقَتْلَى مِنَ الْأَوْسِ فِي مَعْرَكٍ
وَمَقْتَلِ حَمْرَةَ تَحْتَ اللَّوَاءِ
وَحَيْثُ انْتَنَى مُضْعَبِ ثَاوِيَاً
- وَيَمْضُونَ فِي الْقَسْطَلِ الْمُرْهَجِ (١)
إِلَى جَنَّةِ دَوْحَةِ الْمَوْلِجِ (٢)
عَلَى مِلَّةِ اللَّهِ لَمْ يَخْرُجْ
بِذِي هَبَّةٍ صَارِمٍ سَلَجَجِ (٣)
يُبْزِرُ كَالْجَمَلِ الْأَدْعَجِ (٤)
تَلَهُبُ فِي اللَّهَبِ الْمُوهَجِ (٥)
وَحَنْظَلَةُ الْخَيْرِ لَمْ يُخْنَجِ (٦)
إِلَى مَنْزِلٍ فَاخِرِ الزُّبْرِجِ (٧)
مِنَ النَّارِ فِي الدَّرَكِ الْمُزْتَجِ
- وَيَبْكِي مِنَ الزَّمَنِ الْأَعْوَجِ
تَرُوحُ فِي صَادِرِ مُخْنَجِ (٨)
يُعْجَعُ قَسْرَأً وَلَمْ يُخْدَجِ (٩)
وَلِلنَّيِّءِ مِنْ لَحْمِهِ يَنْضَجِ
مِنَ الْخَيْلِ ذِي قَسْطَلِ مُزْهَجِ (١٠)
وَعُثْبَةَ فِي جَمْعِنَا السُّورِجِ (١١)
بِقَتْلَى أَصِيبَتْ مِنَ الْخَزْرِجِ
أَصِيبُوا جَمِيعاً بِذِي الْأَضُوجِ
بِمُطْرِدٍ، مَارِنٍ، مُخْلَجِ (١٢)
بِضْرِبَةِ ذِي هَبَّةٍ سَلَجَجِ

(١) القسطل: الغبار. المرهج: العالي في الجو.

(٢) الدوحة: الشجرة العظيمة المتسعة: المولج: المدخل.

(٣) بذى هبة: أي بسيف ذي هبة. والهبة: الوقوع في العظم. سلجج: مرهج.

(٤) عبد بني نوفل. وهو وحشي. يبربر: يصبح. والأدعج: الأسود.

(٥) أوجره: طعنه في صدره. (٦) لم يحنج: لم يمل عن وجهه.

(٧) الزبرج: الزينة من الوشي أو الجوهر.

(٨) العجيج: الصباح. ويريد بالمدكي هنا: المسن من الإبل: الصادر: الراجع عن الماء محنج: مصروف عن وجهه.

(٩) لم يحدج: لم يجعل عليه الحدج وهو مركب النساء.

(١٠) القسطل: الغبار. المرهج: المرتفع.

(١١) السورج: المتقد.

(١٢) المطرد: الذي يهتز، والمراد به هنا الرمح. المارن: اللين.

بأُحِدٍ وَأَشْيَافُنَا فِيهِمْ
 غَدَاةٌ لِقَيْنَاكُمْ فِي الْحَدِيدِ
 بِكُلِّ مَجْلَحَةٍ كَالْعُقَابِ
 فَدُسْنَاهُمْ ثُمَّ حَتَّى انْتَنَوْا
 تَلَهَّبُ كَاللَّهَبِ الْمُوَجِّجِ
 كَأَسَدِ الْبِرَاحِ فَلَمْ تُغْنِجْ^(١)
 وَأَجْرَدُ ذِي مَيْعَةٍ مُسْرَجِ^(٢)
 سَوَى زَاهِقِ النَّفْسِ أَوْ مُخْرَجِ
 قَالَ ابْنُ هِشَامٍ: وَيَعْضُ أَهْلُ الْعِلْمِ بِالشَّعْرِ يَنْكُرُهَا لِضَرَارِ. وَقَوْلُ كَعْبٍ: «ذِي النُّورِ وَالْمَنْهَجِ» عَنْ أَبِي زَيْدِ الْأَنْصَارِيِّ.

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: وَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الزَّبْعَرِيِّ فِي يَوْمِ أُحُدٍ، يَبْكِي الْقَتْلَى:
 أَلَا دَرَفْتُ مِنْ مُقْلَتَيْكَ دُمُوعُ
 وَشَطَّ بَمَنْ تَهْوَى الْمَزَارُ وَفَرَّقَتْ
 وَلَيْسَ لِمَا وَلَّى عَلَى ذِي حَرَارَةِ
 فَذَرْنَا وَلَكِنْ هَلْ أَتَى أُمَّ مَالِكِ
 وَمُجْتَنِبِنَا جُزْدًا إِلَى أَهْلِ يَثْرِبِ
 عَشِيَّةَ سِزْنَا فِي لُهَامٍ يَقُودُنَا
 نَشُدُّ عَلَيْنَا كُلَّ زَعْفٍ كَأَنَّهَا
 فَلَمَّا رَأَوْنَا خَالَطَتْهُمْ مَهَابَةٌ
 وَوَدُّوا لَوْ أَنَّ الْأَرْضَ يَنْشَقُّ ظَهْرُهَا
 وَقَدْ عُرِيَتْ بِيضٌ كَأَنَّ وَبِيضَهَا
 بَأَيْمَانِنَا نَغْلُو بِهَا كُلَّ هَامَةٍ
 فغَادَرْنَا قَتْلَى الْأَوْسِ عَاصِبَةً بِهِمْ
 وَجَمْعَ بَنِي التُّجَارِ فِي كُلِّ تَلْعَةٍ
 وَلَوْلَا عُلُوُّ الشَّعْبِ غَادَرْنَا أَحْمَدًا
 كَمَا غَادَرَتْ فِي الْكَرِّ حَمْرَةَ ثَاوِيًا
 وَنَعْمَانَ قَدْ غَادَرْنَا تَحْتَ لَوَائِهِ
 وَقَدِ بَانَ مِنْ حَبْلِ الشُّبَابِ قُطُوعُ
 نَوَى الْحَيِّ دَارًا بِالْحَبِيبِ فَجُرُوعُ
 وَإِنْ طَالَ تَذَرَأُ الدَّمُوعِ رُجُوعُ
 أَحَادِيثُ قَوْمِي وَالْحَدِيثُ يَشِيعُ
 عَنَاجِيحُ مِنْهَا مُثَلَّدٌ وَنَزِيعُ^(٣)
 ضَرُورُ الْأَعَادِي لِلصَّادِقِ نَفُوعُ
 غَدِيرٌ بِضُوجِ الْوَادِيَيْنِ نَقِيعُ^(٤)
 وَعَايِنَهُمْ أَمْرٌ هُنَاكَ فَظِيعُ
 بِهِمْ وَصَبُورِ الْقَوْمِ ثُمَّ جَزُوعُ^(٥)
 حَرِيقُ تَرَقَّى فِي الْأَبَاءِ سَرِيعُ
 وَمِنْهَا سِمْامٌ لِلْعَدُوِّ ذَرِيعُ^(٦)
 ضِبَاعٌ وَطَيْرٌ يَعْتَفِينَ وَوُقُوعُ
 بِأَبْدَانِهِمْ مِنْ وَقْعِهِنَّ نَجِيعُ^(٧)
 وَلَكِنْ عَلَا وَالسَّمْهَرِيُّ شُرُوعُ^(٨)
 وَفِي صَدْرِهِ مَاضِي الشُّبَابِ وَقِيعُ^(٩)
 عَلَى لَحْمِهِ طَيْرٌ يَجُفْنَ وَوُقُوعُ^(١٠)

(١) تغنج: تكف.

(٢) المجلحة: المتقدمة ويريد بها فرساً. والأجرد: الفرس العتيق. والميعة: النشاط.

(٣) مجنبتنا: سوقنا للخيل. العناجيج: الحسان. المتلد: ما ولد عندك. والنزيع: الغريب.

(٤) الزعف: الدروع اللينة. والضوج: جانب الوادي. والنقيع: المملوء بالماء.

(٥) الأباء: الأجمة المشتكة الأغصان. (٦) ذريع: من يقتل سريعاً.

(٧) نجيع: دم.

(٨) الشعب: الطريق في الجبل. السمهري: الرماح. شروع مهينة للطعن.

(٩) الشبابة: الحد. وقيع: محدد. (١٠) يجفن: يطلبن ما في جوفه.

- بأخذٍ وأرمأح الكمأة يُردنهم
فأجابه حسان بن ثابت، فقال:
- أشاقك من أم الوليد زُيوع
عفاهن صيفي الرياح وواكف
فلم يبق إلا مؤقذ النار حوله
فدغ ذكردار بددت بين أهلها
وقل إن يكن يوم بأخذ يعده
فقد صابرت فيه بثو الأوس كلهم
وحامى بنو التجار فيه وصابروا
أمام رسول الله لا يخذلونه
وقوا إذ كفرتم يا سخين بربركم
بأيديهم بيض إذا حمش الوغى
كما غادرت في الثقع عتبة ثاويأ
وقد غادرت تحت العجاجة مُسندأ
بكف رسول الله حيث تنصبت
أولئك قوم سادة من فروعكم
بهن نُعز الله حتى يُعزنا
فلا تذكروا قنلى وحمزة فيهم
فإن جنان الخلد منزلة له
وقتلاكُم في النار أفضل رزقهم
- قال ابن هشام: وبعض أهل العلم بالشعر يُنكرهما لحسان وابن الزبير. وقوله: «ماضي الشباة، وطير يجفن» عن غير ابن إسحاق.
- وقال ابن إسحاق: وقال عمرو بن العاص في يوم أُحد:
- خَرَجْنَا مِنَ الْفَيْفَا عَلَيْهِمْ كَأَنَّا
- مع الصُبح من رَضْوَى الْحَبِيكَ الْمُتَنَطَّقِ (٨)

(١) غال: أهلك. الأشطان: الجبال. والنزوع: جذب الدلو من البئر.

(٢) الواكف: المطر المنهمر. والدلو: برج في السماء معروف. رجاف: مصوت. وهموع: سائل.

(٣) كنوع: لاصقة بالأرض.

(٤) يا سخين: أراد يا سخينة وهو لقب لقريش لأكلها إياها وهي طعام يُصنع من الدقيق.

(٥) الوشيح: الروماح. (٦) العجاجة: الغبرة. النجيع: الدم.

(٧) الضريع: ما يطرحه البحر من النبات.

(٨) رضوى: اسم جبل. الحبيك: ما فيه طرائق. المتنطق: المحزم.

تَمَّتْ بَنُو النَّجَارِ جَهْلًا لِقَاءَنَا
فَمَا رَاعَهُمْ بِالشَّرِّ إِلَّا فُجَاءَةً
أَرَادُوا لَكَيْمًا يَسْتَبِيحُوا قِبَابَنَا
وَكَانَتْ قِبَابًا أَوْ مِنتَ قَبْلَ مَا تَرَى
كَأَنَّ رُؤُوسَ الْخَزْرَجِيِّينَ غَدَوَةٌ
فَأَجَابَهُ كَعْبُ بْنُ مَالِكٍ، فِيمَا ذَكَرَ ابْنَ هِشَامٍ، فَقَالَ:

أَلَا أَبْلُغَا فِهْرًا عَلَى نَأْيِ دَارِهَا
بِأَنَّ عِدَاةَ السَّفْحِ مِنْ بَطْنِ يَثْرِبٍ
صَبَرْنَا لَهُمْ وَالصَّبْرُ مِثْلُ سَجِيَّةٍ
عَلَى عَادَةِ تِلْكَمُ جَرَيْنَا بِصَبْرِنَا
لَنَا حَوْمَةٌ لَا تُسْتَطَاعُ يَفْقُودُهَا
أَلَا هَلْ أَتَى أَفْنَاءَ فِهْرِ بْنِ مَالِكٍ
قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: وَقَالَ ضِرَارُ بْنُ الْخَطَّابِ:

إِنِّي وَجَدَكَ لَوْلَا مُقَدَّمِي فَرَسِي
مَا زَالَ مِنْكُمْ بِجَنْبِ الْجَزْعِ مِنْ أَحَدٍ
وَفَارِسٌ قَدْ أَصَابَ السِّيفُ مَفْرَقَهُ
إِنِّي وَجَدَكَ لَا أَنْفَكَ مُنْتَطِقًا
عَلَى رِحَالَةٍ مِلْوَاحٍ مُثَابِرَةٍ
وَمَا انْتَمَيْتُ إِلَى خُورٍ وَلَا كُشْفٍ
بَلْ ضَارِبِينَ حَبِيكَ الْبَيْضِ إِذْ لَحِقُوا
شُمَّمٌ بِهَالِيلٍ مُسْتَرِخٍ حَمَائِلُهُمْ
وَقَالَ ضِرَارُ بْنُ الْخَطَّابِ أَيْضًا:

لَدَى جَنْبِ سَلْعٍ وَالْأَمَانِيُّ تَصَدَّقُ^(١)
كَرَادِيْسُ خَيْلٍ فِي الْأَزْقَةِ تَمْرُقُ
وَدُونَ الْقِيَابِ الْيَوْمَ ضَرِبْتُ مُحْرَقُ
إِذْ رَامَهَا قَوْمٌ أَبِيحُوا وَأَخْنِقُوا
وَأَيْمَانُهُم بِالْمُشْرِفِيَّةِ بَرُوقُ^(٢)

وَعِنْدَهُمْ مِنْ عَلْمِنَا الْيَوْمَ مَصْدَقُ
صَبَرْنَا وَرَايَاكَ الْمَنْيَّةَ تَخْفِقُ
إِذَا طَارَتِ الْأَبْرَامُ نَسْمُو وَنَزْتُقُ^(٣)
وَقَدَمًا لَدَى الْغَايَاتِ نَجْرِي فَتَسْبِقُ
نَيْبِي أَتَى بِالْحَقِّ عَفْ مُصَدَّقُ
مُقَطَّعُ أَطْرَافٍ وَهَامٌ مُفَلَّقُ^(٤)

إِذْ جَالَتْ الْخَيْلُ بَيْنَ الْجِزْعِ وَالْقَاعِ^(٥)
أَصْوَاتُ هَامٍ تَزَاقِي أَمْرَهَا شَاعِي^(٦)
أَفْلَاقُ هَامَتِهِ كَفَزْوَةِ الرَّاعِي
بِصَارِمٍ مِثْلَ لَوْنِ الْمِلْحِ قَطَّاعُ^(٧)
نَحْوِ الصَّرِيخِ إِذَا مَا ثَوَّبَ الدَّاعِي^(٨)
وَلَا لِئَامِ غَدَاةِ الْبَبَاسِ أَوْزَاعِ^(٩)
شُمَّمٌ الْعَرَانِينَ عِنْدَ الْمَوْتِ لُدَّاعِ
يَسْعَوْنَ لِلْمَوْتِ سَعْيًا غَيْرَ دَعْدَاعِ^(١٠)

(١) بروق: نوع من النبات له رؤوس تشبه البصل.

(٢) الأفناء: المختلط. والهام: الرؤوس.

(٣) الجزع: ما تعطف من الوادي. القاع: ما انخفض من الأرض.

(٤) الهام: جمع هامة وهي ما يزعم العرب أن طائرًا يخرج من رأس القليل يصيح اسقوني اسقوني حتى يؤخذ بثأره. تزاقي: تصيح. شاعي: أراد شائع.

(٥) الممتطق: المحترم.

(٦) الرحالة: السرج. الملواح: الفرس القوية. ثوب: كوز الدعاء.

(٧) كُشِف: من لا أدرع لهم في الحرب. الأوزاع: الجبناء.

(٨) الحيك: الطرائق. البهاليل: السادة. الدعداع: الضعيف.

وَالْحَزْرَجِيَّةُ فِيهَا الْبَيْضُ تَأْتَلِقُ
وَرَايَةَ كَجَنَاحِ النَّسْرِ تَخْتَفِقُ
تُثْبِي لِمَا خَلْفَهَا مَا هُزْهَزَ الْوَرَقُ^(١)
رِيحُ الْقِتَالِ وَأَسْلَابُ الَّذِينَ لَقُوا
مِنْهَا وَأَيَقُنْتُ أَنَّ الْمَجْدَ مُسْتَبِقَ
وَيْلَهُ مِنْ نَجِيحِ عَائِكَ عَلَقُ^(٢)
نَفْحُ الْعُرُوقِ رِشَاشُ الطُّعْنِ وَالْوَرَقُ^(٣)
حَتَّى يُفَارِقَ مَا فِي جَوْفِهِ الْحَدَقُ
مِثْلَ الْمُغِيرَةِ فِيكُمْ مَا بِهِ زَهَقُ^(٤)
تَعَاوَزُوا الضَّرْبَ حَتَّى يُذْبِرَ الشَّفَقُ

وقال عمرو بن العاصي:

زُو شَرَّهَا بِالرِّضْفِ نَزَوَا^(٥)
وَالنَّاسُ بِالضُّرَاءِ لَخَوَا^(٦)
وَالْحَيَاءُ تَكُونُ لَغَوَا
عَتِدِ يَبُذُّ السَّخِيلَ زَهَوَا^(٧)
بَيْنَدَاءٍ يَغْلُو الطَّرْفَ غَلَوَا
مِنْ عَطْفِهِ يَزْدَادُ زَهَوَا^(٨)
حَمَةَ رَاعِهِ الرَّائِمُونَ دَخَوَا^(٩)
لِللَّخَيْلِ إِزْحَاءٌ وَعَذَوَا^(١٠)
ةِ الرُّوْعِ إِذْ يَنْمَشُونَ قَطَوَا^(١١)
بِةِ إِذْ جَلَسَتْهُ الشَّمْسُ جَلَوَا

لَمَّا أَتَتْ مِنْ بَنِي كَعْبٍ مُزَيَّنَةٌ
وَجَرَدُوا مَشْرِفِيَّاتٍ مُهَيَّئَةٌ
فَقُلْتُ يَوْمَ بَأْيَامٍ وَمَعْرَكَةٌ
قَدْ عَوَدُوا كُلَّ يَوْمٍ أَنْ تَكُونَ لَهُمْ
خَيْرٌ نَفْسِي عَلَى مَا كَانَ مِنْ وَجَلٍ
أَكْرَهْتُ مُهْرِي حَتَّى خَاضَ غَمْرَتَهُمْ
فَطَلَّ مُهْرِي وَسِزْبَالِي جَسِيدَهُمَا
أَيَقُنْتُ أَنِّي مُقِيمٌ فِي دِيَارِهِمْ
لَا تَجْزَعُوا يَا بَنِي مَخْزُومٍ إِنَّ لَكُمْ
ضَبْرًا فِدَى لَكُمْ أُمِّي وَمَا وَلَدَتْ

لَمَّا رَأَيْتُ الْحَرْبَ يَنْتُ
وَتَنَاوَلْتَ شَهْبَاءَ تَلْحُ
أَيَقُنْتُ أَنَّ الْمَوْتَ حَقٌّ
حَمَلْتُ أَثْرَابِي عَلَى
سَلِسٍ إِذَا تُكَبِّنُ فِي أَلِ
وَإِذَا تَنَزَّلَ مَآوُهُ
رَبِذٍ كَيْفَ فُورِ الصُّرِيِّ
شَنِجٍ نَسَاءُ ضَابِطِ
فَفِدَى لَهُمْ أُمِّي عَدَا
سَيَّرًا إِلَى كَبْشِ الْكَتِي

(١) هززه: حرك.

(٢) غمرتهم: جماعتهم. النجيع: الدم. عانك: أحمر. علق: اسم من أسماء الدم.

(٣) جسيدهما: صبغهما. نفخ العروق: ما ترمى به من الدم. الورق: ما انقطع من الدم.

(٤) الزهق: العيب. (٥) الرضف: الحجارة المحمأة.

(٦) شهباء: يقصد الكتيبة الكثيرة السلاح. تلحو: تضعف.

(٧) العتد: الفرس الشديد. والرهو: الساكن. (٨) ماؤه: عرقه.

(٩) الريد: السريع. اليعفور: ولد الظبية. والصريمة: الرمال المنقطعة. الدحو: الانبساط.

(١٠) شنج: منقبض. والنسا: عرق يمتد من الورك إلى الكعب ولا يقال عرق النسا لأن الشيء لا يضاف إلى نفسه. ضابط: ممسك.

(١١) القطو: ضرب من المشي فيه خيلاء.

قال ابن هشام: وبعض أهل العلم بالشعر ينكرها لعمره.

قال ابن إسحاق: فأجابهما كعب بن مالك، فقال:

أبلغُ قُرَيْشاً وخَيْرُ القَوْلِ أصدقه
 أن قد قَتَلْنَا بقتلنا سَرَاتِكُمْ
 ويومَ بدرٍ لقيناكم لنا مددٌ
 إن تَقْتُلُونَا فدينُ الحقِ فِطْرُنَا
 وإن تَرَوْا أمرَنَا في رأيكم سَفَهَاً
 فلا تَمْتِنُوا لِقاحِ الحَرْبِ واقْتَعِدُوا
 إن لكم عِنْدَنَا ضَرْباً تَرَاخُ له
 إنا بنو الحَرْبِ نَمْرِيهَا^(٢) ونَنْتَجُهَا
 إن يَنْجُ منها ابنُ حَرْبٍ بعد ما بلغث
 فقد أفادت له جِلماً ومَوْعِظَةً
 ولو هَبَطْتُمْ بِبَطْنِ السَّيْلِ كاقحكم
 تلقاكمُ عَصَبِ حَوْلِ النَّبِيِّ لهم
 من جِذْمِ عَسَانِ مُسْتَرِيحِ حمائلهم
 يَمْشُونَ تحتِ عَمَايَاتِ القِتَالِ كما
 أو مِثْلِ مَشْيِ أَسودِ الظِّلِّ أَلْتَقَّهَا
 في كلِّ سَابِغَةٍ كالتَّهْيِ مُخَكِّمَةٍ
 ترد حَدَّ قِرَامِ التَّبَلِ خَائِسِنَةٍ
 ولو قَدَفْتُمْ بِسَلْعِ^(٨) عَن ظُهُورِكُمْ
 ما زال في القَوْمِ وَثْرٌ مِنْكُمْ أبدأ
 عَبدٌ وَحُرٌّ كَرِيمٌ مُوْتِقٌ قَنَصَا^(١٠)

والصدقُ عند دُوي الألبابِ مقبول
 أهلُ اللُّواءِ ففيمَا يَكْثُرُ القِيلِ
 فيه مع التُّصرِ ميكَالٌ وجِبريلُ
 والقَتْلُ في الحقِّ عند الله تَفْضِيلُ
 فأبى من خالف الإسلامَ تَضْلِيلُ
 إن أخا الحربِ أضدى اللونِ مشغول
 عَزَجُ الضَّبَاعِ له خَدمُ رَعَابِيلِ^(١)
 وعندنا لذوي الأضغانِ تَنْكِيلُ
 منه التُّراقي^(٣) وأمرُ الله مَفْعُولُ
 لَمَن يَكُونُ له لبٌ ومَغْفُولُ
 ضَرْبٌ بِشَاكِلَةِ البَطْحَاءِ تَزْعِيلُ^(٤)
 مما يُعَدُّونَ لِلهَيْجَا سَرَابِيلِ
 لا جُبْنَاءَ ولا مِيلَ مَعَازِيلِ^(٥)
 تَمْشِي المَصَاعِبَةُ الأذمُ المَرَايِيلِ^(٦)
 يومُ رَذَاذٍ مِنَ الجَوَازِ مَشْمُولُ
 قِيَامِهَا فَلَجِ كَالسَّيْفِ بُهْلُولُ^(٧)
 وَيَزْجَعُ السَّيْفُ عَنهَا وهو مَفْلُولُ
 ولِلْحَيَاةِ ودَفْعِ المَوْتِ تَأْجِيلُ
 تَغْفُو السَّلَامَ عَلَيْهِ وهو مَطْلُولُ^(٩)
 شَطَرَ المَدِينَةِ مَأْسُورٌ وَمَقْتُولُ

(١) تراح: تهتز. خزم: قطع اللحم. الرعايل: المنقطعة.

(٢) نمريها: نستدرها.

(٣) التراقي: الضرب السريع.

(٤) الجذم: الأصل. الميل: الذين لا تروس لهم. والمعازيل: الذين لا رماح لهم.

(٥) العمايات: الظلمات. المصاعبة: فحول الإبل.

(٦) سابعة: درع كاملة: التهي: غدير الماء. البهلول: الأبيض.

(٧) سلع: اسم جبل.

(٨) السلام: الحجارة. مطلول: غير مأخوذ بثأره.

(٩) القنص: الصيد.

مِنَّا فَوَارِسُ لَا عُزْلٌ وَلَا مِيلٌ
حَقًّا بَأَنَّ الَّذِي قَدْ جَرَّ مَخْمُولٌ
وَلَا مَلُومٌ وَلَا فِي الْعُزْمِ مَخْدُولٌ
وقال حسان بن ثابت، يذكر عدة أصحاب اللواء يوم أحد:

كُنَّا نَوْمِلُ أَخْرَاكِم فَاغْجَلَكِم
إِذَا جَنَى فِيهِم الْجَانِي فَقَدْ عَلِمُوا
مَا نَحْنُ لَا نَحْنُ مِنْ إِثْمِ مُجَاهِرَةٍ
قال ابن هشام: هذه أحسن ما قيل.

وَخِيَالٌ إِذَا تَفُورُ التُّجُومُ
سَقَمَ فَهوَ دَاخِلٌ مَكْثُومٌ
وَإِهْنُ الْبَطْشِ وَالْعِظَامِ سَوْومٌ
رَعْلِيهَا لِأَنْدَبَتْهَا الْكُلُومُ^(٢)
هَالَجِينَ وَلَوْلَوْ مَنْظُومٌ
غَيْرَ أَنَّ السُّبَابَ لَيْسَ يَدُومُ
لِأَنَّ عِنْدَ التُّعْمَانَ حِينَ يَقُومُ^(٣)
يَوْمَ تُعْمَانَ فِي الْكُبُولِ سَقِيمٌ
يَوْمَ رَاحَا وَكَبَلَهُمْ مَخْطُومٌ^(٤)
كُلُّ كَفِّ جُزْءٍ لَهَا مَقْسُومٌ
كُلُّ دَارٍ فِيهَا أَبٌ لِي عَظِيمٌ^(٥)
صَلَّ يَوْمَ التَّقَتْ عَلَيْهِ الْخُصُومُ^(٦)
خَامِلٌ فِي صَدِيقِهِ مَذْمُومٌ
لِي وَجْهَلٍ غَطَى عَلَيْهِ التُّعِيمُ
إِنَّ سَبِيَّ مِنَ الرِّجَالِ الْكَرِيمِ
أَمْ لِحَانِي بظَهْرٍ غَيْبٍ لَثِيمِ
أَسْرَةٌ مِنْ بَنِي قُصَيِّ صَمِيمِ
فِي رَعَاعٍ مِنَ الْقَنَا مَخْزُومِ
فِي مَقَامٍ وَكُلُّهُمْ مَذْمُومِ

مَنَعَ النَّوْمَ بِالْعَشَاءِ الْهُمُومُ
مِنْ حَبِيبِ أَضَافٍ^(١) قَلْبِكَ مِنْهُ
يَا لِقَوْمِي هَلْ يَفْتَلُ الْمَرْءُ مِثْلِي
لَوْ يَدِبُّ الْحَوْلِيَّ مِنْ وَلَدِ الذِّ
شَأْنُهَا الْعِظَرُ وَالْفِرَاشُ وَيَغْلُو
لَمْ تَفْتُهَا شَمْسُ النَّهَارِ بِشَيْءٍ
إِنْ خَالِي خَطِيبٌ جَابِيَةُ الْجَوْ
وَأَنَا الصُّقْرُ عِنْدَ بَابِ ابْنِ سَلْمَى
وَأَبِيَّ وَوَأَقْدُ أَطْلِقَ الْيَوْمِ
وَرَهْنَتْ يَدَيْنِ عَنْهُمْ جَمِيعاً
وَسَطَّتْ نِسْبَتِي الذُّوَابُ مِنْهُمْ
وَأَبِيَّ فِي سُمِيحَةِ الْقَائِلِ الْفَا
تِلْكَ أفعالنا وفعل الزبغرى
رَبِّ جِلْمِ أَضَاعَهُ عَدَمُ الْمَا
لَا تُسَبِّئُنِي فَلَسْتُ بِسَبِيَّ
مَا أَبَالِي أَنْبُ بِالْحَزَنِ تَيْسُ
وَلِنِي الْبِئْسَ مِنْكُمْ إِذْ رَحَلْتُمْ
تَسْعَةً تَخْمِلُ اللِّوَاءَ وَطَارَتْ
وَأَقَامُوا حَتَّى أُبِيحُوا جَمِيعاً

(١) أضاف: زار.

(٢) الحول: الصغير. أندبتها: آثرت فيها. الكلوم: الجروح.

(٣) الجابية: الحوض. والجولان: موضع بسوريا.

(٤) مخطوم: مكسور.

(٥) السطة: الوسط ويكون غاية المدح إذا ذكر في الأنساب. الذوائب: الأعالي.

(٦) أبي: ثابت بن المنذر، وسُميحة: بئر في المدينة احتكم إليه فيها الأوس والخزرج.

بدم عانِك وكان جفاظاً
 وأقاموا حتى أزيروا شُعوباً
 وقرنِش تفرّ منّا لواداً
 لم تُطِق حَمَله العوائقُ منهم
 أن يُقيموا إن الكريم كريم^(١)
 والقنا في نُحورهم مخطوم^(٢)
 أن يُقيموا وخفّ منها الحُلوم^(٣)
 إنما يَحْمِل اللّواء الثُجوم^(٤)

قال ابن هشام: قال حسان هذه القصيدة: «منع التّوم بالعشاء الهموم» ليلاً، فدعا قومه، فقال لهم: خَشِيت أن يُذركني أجلي قبل أن أصبح، فلا تزُوها عني.

قال ابن هشام: أنشدني أبو عُبيدة للحجاج بن علاط السّلمي يمدح أبا الحسن أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب، ويذكر قتله طَلْحَة بن أبي طلحة بن عبد العزى بن عثمان بن عبد الدار، صاحب لواء المشركين يوم أُحد:

لله أيُّ مُذَبِّب عن حُرْمَة
 سَبَقَتْ يَدَاكَ لَهُ بِعَاجِلِ طَغَنَة
 وشذذت شذّة باسل فكشفتهم
 أغني ابن فاطمة المعتم المخول^(٥)
 تركت طليحة للجبين مجذلاً
 بالجر إذ يهُوون أخول أخول^(٦)

قال ابن إسحاق: وقال حسان بن ثابت يبيكي حمزة بن عبد المطلب ومن أصيب من أصحاب رسول الله ﷺ يوم أُحد:

يامي قومي فاندبين
 كالحاملات الوقربال
 المغفولات الخامشا
 وكأن سئيل دموعها أل
 ينقضن أشعاراً لهن
 وكأنها أذنب خني
 من بين مشزورٍ ومجنج
 بسُحيرة شجوا التوائح
 ثقل المُلحّات الدوالح^(٧)
 ت وجوه حُرّات صحائح^(٨)
 أنصاب تُخضب بالذبايح
 هُناك بادية المسائح^(٩)
 لي بالضحي شمس روامح^(١٠)
 زورٍ يُدغذع بالبوراح^(١١)

(١) عانك: أحمر.

(٢) لوادًا: مسترين.

(٣) العوائق: جمع عاتق، ما بين المنكب والعنق، والنجوم: مشاهير الناس. وقد ورد منها اثنا عشر بيتاً في عيون الأثر ٣٢/٢، وكذلك في عيون التواريخ ١/١٧٧، ١٧٨.

(٤) المذنب: الحامي. الحرمة: ما يجب على الإنسان أن يدافع عنه. ابن فاطمة: هو الإمام عليّ كرم الله وجهه، وفاطمة بنت أسد بن هاشم هي أمه رضي الله عنه. والمعتم والمخول: كريم الأعمام والأخوال.

(٥) الجرّ: أصل الجبل. أخول أخولاً: واحداً بعد واحد.

(٦) الملحّات: الثابتات. الدوالح: التي تحمل ثقلاً.

(٧) الخامشات: الخادشات.

(٨) المسائح: طوائب الشعر.

(٩) الشمس: النافرة.

(١٠) يدغذع: يفرق. البوراح: الرياح الشديدة.

تِ كَدَخَتْهُنَّ الْكَوَادِحِ
 مَجَلٌّ لَهُ جُلِبَّ قَوَارِحِ^(١)
 كُنَّا نَرْجِي إِذْ نُشَائِحِ^(٢)
 دَهْرَ أَلَمٍ لَهُ جَوَارِحِ
 مِينَا إِذَا بُعِثَ الْمَسَالِحِ^(٣)
 أَنْسَاكَ مَا صُرَّ اللَّقَائِحِ^(٤)
 يَمَافٍ وَأَزْمَلَّةٌ تُلَامِحِ^(٥)
 حَزْبٍ لِحَزْبٍ وَهِيَ لَاقِحِ^(٦)
 يَا حَمَزٌ قَدْ كُنْتَ الْمُصَامِحِ^(٧)
 بَ إِذَا يُتُوبُ لِهِنَّ فَاوْخِ
 لَ، وَذَاكَ مِذْرَهْنَا الْمُنَافِحِ
 عُدَّ الشَّرِيفُونَ الْجَحَاجِحِ^(٨)
 سَبَطَ الْيَدَيْنِ أَغْرَ وَاضِحِ^(٩)
 ذُو عِلَّةٍ بِالْحَمْلِ آئِحِ^(١٠)
 رَأَى مِنْهُ سَيْبٌ أَوْ مَنَادِحِ^(١١)
 نَظَّ وَالثَّقِيلُونَ الْمَرَاجِحِ^(١٢)
 تَبِي مَا يُصَفِّقُهُنَّ نَاضِحِ^(١٣)
 مِنْ شَخْمِهِ شُطْبٌ شَرَائِحِ^(١٤)
 مَا زَامَ ذُو الضَّغْنِ الْمُكَاشِحِ
 نَاهُمْ كَأَنَّهُمْ الْمَصَابِحِ
 رِفَةٌ، خَضَارِمَةٌ، مَسَامِحِ^(١٥)

يَبْكِينَ شَجْوًا مُسْلَبَا
 وَلَقَدْ أَصَابَ قُلُوبَهَا
 إِذْ أَقْصَدَ الْجِدْثَانِ مَنْ
 أَصْحَابَ أَخْدٍ غَالِهُم
 مَنْ كَانَ فَارَسَنَا وَحَا
 يَا حَمَزٌ، لَا وَاللَّهِ لَا
 لِمُنَاخِ أَيْتَامٍ وَأَضَا
 وَلِمَا يُتُوبُ الدَّهْرُ فِي
 يَا فَارَسًا يَا مِذْرَهًا
 عَنَّا شَدِيدَاتِ الْخُطُو
 ذَكَّرْتَنِي أَسَدَ الرَّسُو
 عَنَّا وَكَانَ يُعَدُّ إِذْ
 يَغْلُو الْقَمَاقِمَ جَهْرَةً
 لَا طَائِشٌ رَعِشٌ وَلَا
 بَخْرٌ فَلَيْسَ يُعْتَبُ جَا
 أَوْدَى شَبَابٍ أُولِي الْحَفَا
 الْمُطْعِمُونَ إِذَا الْمَشَا
 لَحْمَ الْجِلَادِ وَقَوْفَهُ
 لِيَدْفَعُوا عَنْ جَارِهِمْ
 لَهْفِي لَشُبَّانٍ رُزْئِ
 شُمَّ، بَطَارِقَةٌ، غَطَا

(١) المجل: الجرح. جلب: قشور الجروح. القوارح: المؤلمة.

(٢) أقصد: أصاب. نشائح: نحذر.

(٣) صر: ربط. اللقائح: النوق التي لها لبن.

(٤) لاقح: زائد شرها.

(٥) المراجعة: السادة.

(٦) آح: ثقيل في مثيه.

(٧) المراجعة: ذوو الحلم.

(٨) الشطب: طرائق السيف.

(٩) الشم: الأجزاء. والبطارقة في الأصل الرؤساء الدينيون عند المسيحيين، ويقصد بها هنا الرؤساء مطلقاً. والغطارقة: السادة.

(١٠) الخضارمة: من يكثر العطاء.

(٣) المسالحي: من يحملون السلاح.

(٥) المناخي: مكان النزول. تلامح: تنظر سريعاً.

(٧) المدرة: المدافع. المصامح: شديد الدفع.

(٩) القماقم: السادة.

(١١) السيب: العطاء. المناح: جمع مندحة، وهي السعة.

(١٣) يصفقهن: يحلبهن. الناضح: من شرب دون أن يرتوي.

المُشْتَرُونَ الحَمْدَ بِالْـ
والسَّجَامِزُونَ^(١) بَلْجَمِهِمْ
مَنْ كَانَ يُزْمَى بِاللُّؤَا
مَا إِنْ تَنَزَّالُ رِكَابُهُ
رَاخَتْ تَبَارَى وَهُوَ فِي
حَتَّى تَرُوبَ لَهُ المَعَا
يَا حَمَزَ قَدْ أَوْحَذْتَنِي
أَشْكُو إِلَيْكَ وَفَوْقَكَ الـ
مَنْ جَنَدَلٌ تُلْقِيهِ فَوْ
فِي وَاسِعٍ يَخْشُونَهُ
فَعَزَّزْنَا أَتْنَا نَقُورَ
مَنْ كَانَ أَمْسَى وَهُوَ عَمَّا
فَلْيَأْتِنَا فَلْتَبْكِ عَيْنِ
الْقَائِلِينَ الْفَاعِلِينَ
مَنْ لَا يَزَالُ نَدَى يَدِي

أَمْوَالِ إِنْ الحَمْدَ رَابِحِ
يَوْمًا إِذَا مَا صَاحَ صَائِحِ
قِرِّمِنْ زَمَانٍ غَيْرِ صَالِحِ
يَزِيْمَنْ فِي غُبْرِ صَحَاصِحِ^(٢)
رَكِبَ صُدُورُهُمْ رَوَاشِحِ^(٣)
لِي لَيْسَ مِنْ فَوْزِ السَّفَائِحِ^(٤)
كَالعُودِ شَذْبُهُ الكَوَافِحِ^(٥)
تُزْبِ المُكَّوْرُ وَالصَّفَائِحِ
فَكَ إِذَا جَادَ الضَّرْحُ ضَارِحِ^(٦)
بِالتُّزْبِ سَوْتُهُ المَمَاسِحِ
لِ وَقَوْلُنَا بَرْحِ بَوَارِحِ^(٧)
أَوْقِعِ الحِجْدَثَانَ جَانِحِ
نَاهُ لَهْلُكَانَا النُّوَافِحِ^(٨)
ذَوِي السَّمَا حَةِ وَالمَمَادِحِ
وَلَهُ طَوَالِ الذَّهْرِ مَائِحِ^(٩)

قال ابن هشام: وأكثر أهل العلم بالشعر يُنكرها لحسان، وبيته: «المطعمون إذا المشاتي»،
وبيته: «الجامزون بلجمهم»، وبيته: «من كان يُزَمَى بالنواقر» عن غير ابن إسحاق.

قال ابن إسحاق: وقال حسان بن ثابت أيضاً بيكي حمزة بن عبد المطلب:

أَتَعْرِفُ الدَارَ عَفَا رَسْمُهَا
بَيْنَ السُّرَادِيحِ فَأُدْمَانَةٌ
سَاءَ لُثْهَا عَن ذَاكَ فَاسْتَعْجَمَتْ
دَغَ عُنْكَ دَاراً قَدْ عَفَا رَسْمُهَا
بَعْدَكَ صَوْبُ المُسْبِلِ الهَاطِلِ^(١٠)
فَمَذَقَ الرُّوحَاءِ فِي حَائِلِ^(١١)
لَمْ تَذِرِ مَا مَرْجُوعَةُ السَّائِلِ؟^(١٢)
وَابِكِ عَلَى حَمْزَةِ ذِي النَّائِلِ

(١) الجامزون: الواثيون.

(٢) يرسمن: من الرسم، وهو نوع من السير. الصحاصح: الأرض المستوية.

(٣) رواشح: ترشح العرق. (٤) السفائح: الجوالق.

(٥) الكوافح: القاطعون للعود. (٦) الضرح: القبر.

(٧) البرح: الشاق. (٨) النوافح: من يُعطون المعروف.

(٩) المائح: من ينزل إلى البئر ليستسقي بالدلو. (١٠) الصوب: المطر. والمسبل: السائل.

(١١) السراديح: الوديان. وأدمانة: مكان. والمدفع: حيث اندفاع الماء. والزوحاء. بلد. وحائل: وادي.

(١٢) المرجوعة: الرذ.

عَبْرَاءُ فِي ذِي الشَّيْمِ الْمَاحِلِ (١)
 يَغْتُرُ فِي ذِي الْخُرُصِ الذَّابِلِ (٢)
 كَاللَّيْثِ فِي غَابَتِهِ الْبَاسِلِ (٣)
 لَمْ يَمُودِ دُونَ الْحَقِّ بِالْبَاطِلِ (٤)
 شُلَّتْ يَدَا وَخَشِي مَنْ قَاتَلَ
 مَطْرُورَةَ مَارِنَةَ الْعَامِلِ (٥)
 وَاسْوَدَّ نُورُ الْقَمَرِ النَّاصِلِ (٦)
 عَلِيَّةٌ مُكْرَمَةٌ الدَّاخِلِ
 فِي كُلِّ أَمْرٍ نَابِنَا نَازِلِ
 يَكْفِيكَ فَقَدْ الْقَاعِدَ الْخَازِلِ
 دَمْعاً وَأَذْرِي عَبْرَةَ التُّوَاكِلِ
 بِالسَّيْفِ تَحْتَ الرَّهْجِ الْجَائِلِ (٨)
 مِنْ كُلِّ عَاتٍ قَلْتُهُ جَاهِلِ
 يَمْشُونَ تَحْتَ الْحَلَقِ الْفَاضِلِ
 نِعْمَ وَزِيرُ الْفَارِسِ الْحَامِلِ (٩)

الْمَالِيءِ الشُّيْزِيِّ إِذَا اغْصَفَتْ
 وَالتُّوَارِكِ الْقِرْنَ لَدَى لِبْدَةِ
 وَالْبَابِسِ الْخَيْلِ إِذْ أَجْحَمَتْ
 أَبْيَضُ فِي الدَّرْوَةِ مِنْ هَاشِمِ
 مَالٌ شَهِيدٌ بَيْنَ أَسْيَافِكُمْ
 أَيُّ امْرِيءٍ غَادَرَ فِي آلَةِ
 أَظْلَمَتِ الْأَرْضُ لِفِقْدَانِهِ
 صَلَّى عَلَيْهِ اللَّهُ فِي جَنَّةِ
 كُنَائِرِي حَمْرَةَ جِزْزَا لَنَا
 وَكَانَ فِي الْإِسْلَامِ ذَا تُنْزُرٍ (٧)
 لَا تَفْرَحِي يَا هُنْدُ وَاسْتَخْلَبِي
 وَابْكِي عَلَيَّ عُثْبَةَ إِذْ قَطَّه
 إِذْ خَرَفِي مَشِيخَةَ مِنْكُمْ
 أَزْدَاهُمْ حَمْرَةَ فِي أُسْرَةٍ
 غَدَاةً جَبْرِيلَ وَزَيْرُ لَه

وقال كعب بن مالك يئكي حمزة بن عبد المطلب:

وَجِزَعَتْ أَنْ سُلِّخَ الشَّبَابُ الْأَغِيدَ
 فَهَوَاكَ غَوْرِيٍّ وَصَخُوكَ مُنْجِدَ
 قَدْ كُنْتَ فِي طَلَبِ الْعَوَايَةِ تُفْنِدَ
 أَوْ تَسْتَفِيقَ إِذَا نَهَاكَ الْمُزْشِدَ
 ظَلَّتْ بِنَاتُ الْجَوْفِ (١١) مِنْهَا تَزْعَدُ
 لِرَأْيِكَ رَأْسِي صَخْرَهَا يَتَبَدَّدُ
 حَيْثُ الثُّبُورَةُ وَالْتُدَى وَالسُّودَّدُ

طَرَقَتْ هُمُومُكَ فَالرُّقَادُ مُسْهَدُ
 وَدَعَتْ فَوَادِكَ لِلْهَوَى ضَمْرِيَّةٌ (١٠)
 فَدَعَ التَّمَادِي فِي الْعَوَايَةِ سَادِرًا
 وَلَقَدْ آتَى لَكَ أَنْ تَنَاهَى طَائِعًا
 وَلَقَدْ هُدِدْتُ لِفَقْدِ حَمْرَةَ هَدَّةً
 وَلَوْ أَنَّهُ فُجِعَتْ جِرَاءُ بِمِثْلِهِ
 قَرْمٌ تَمَكَّنَ فِي دُوَابَةِ هَاشِمِ

(١) الشيزي: جفان من خشب الأبنوس، الغبراء: الريح. والشيم في الأصل: الماء البارد، ويقصد بها هنا أيام الزمهرير.

(٢) ذو الخرص: ذو السنان وهو الريح. الذابيل: الرقيق.

(٣) أجحمت: أحجمت.

(٤) لم يمر: لم يُجادل.

(٥) الإلة: الحربة. مطرورة: محددة. مارنة: لينة. العامل: أعلى الريح.

(٦) الناصل: الخارج من بين السحاب.

(٧) ذا تُنْزُرٍ: أي صاحب مُدافعة ومنافحة.

(٨) قط: قطع، الريح: الغبار. الجافل: المتحرك.

(٩) في عيون الأثر ٣٣/٢ (١٢) بيتاً منها.

(١٠) ضمرية: منسوبة إلى قبيلة ضمرة.

(١١) بنات الجوف: القلب وما أتصل به من الأحشاء.

ريح يكاد الماء منها يجمد
 يوم الكريهة والقنا يتقصد
 ذولبدة شثن البرائن أزيد^(٢)
 ورد الحمام فطاب ذاك المورد
 نصررو النبي ومنهم المستشهد
 لثميث داخل غصة لا تبرد^(٣)
 يوماً تغيب فيه عنها الأسعد
 جبريل تحت لوائنا ومحمد
 قسمنين: يقتل من نشاء ويترد
 سبعون: غثبة منهم والأسود^(٤)
 فوق الوريد لها رشاش مزيد
 غضب بأيدي المؤمنين مهند
 والخيل تثنفهم نعام شرد^(٥)
 أبدأ ومن هو في الجنان مخلد^(٦)

وبكي النساء على حمزة
 على أسد اللئ في الهزة
 ولينك الملاحم في البرزة^(٧)
 ورضوان ذي العرش والعزة

م أن تسالي عنك من يجتدينا^(٨)
 يخبرك من قد سالت اليقيننا
 م كئنا ثمالاً لمن يغتيرينا^(٩)

والعاقرة الكوم^(١) الجلال إذا غدث
 والتارك القزن الكمي مجدلاً
 وتراه يزفل في الحديد كأنه
 عم النبي محمد وصفيه
 وأتى المنيئة معلماً في أسرة
 ولقد إخال بذلك هندا بشرت
 مما صبخنا بالعقثقل قومها
 ويبئر بذر إذ يرد وجوههم
 حتى رأيت لدى النبي سراتهم
 فأقام بالعطن المعطن منهم
 وابن المغيرة قد صرنا ضربة
 وأمية الجمحي قوم ميله
 فاتاك قل المشركين كأنهم
 شتان من هو في جهنم ثاويأ
 وقال كعب أيضاً بيكي حمزة:

صفية قومي ولا تغجزي
 ولا تسامي أن تطيلي البكا
 فقد كان عزاً لأيتامنا
 يريد بذلك رضا أحمد
 وقال كعب أيضاً في أحد:

إنك عمراً أيبك الكريب
 فإن تسالي ثم لا تكذبي
 بأنالي ذات العظا

(١) الكوم: عظمة السنام من الإبل.

(٢) ذولبدة: الأسد. والشثن: الغليظ. البرائن: مخالب الأسد. الأريد: الأغير.

(٣) العقثقل: كتيب الرمل.

(٤) المعطن: مبرك الإبل.

(٥) تثنفهم: تطردهم.

(٦) يجتدينا: يطلب معروفنا.

(٧) البرزة: السلاح.

(٨) ذات العظام: يقصد هنا بها ذات الجوع الشديد حتى إن العظام ليعاد طبخها. والشمال: الغيات.

مِنَ الضُّرِّ فِي أَزْمَاتِ السَّنِينَا
 وَبِالصَّبْرِ وَالْبَذْلِ فِي الْمُغْدِمِينَا
 بِ مَمَّنْ نَوَازِي لَدُنْ أَنْ بُرِينَا^(٢)
 قَ يَحْسِبَهَا مِنْ رَأَاهَا الْفَتِينَا^(٣)
 لَ صُخْمًا دَوَاجِنَ حُمْرًا وَجُونَا^(٤)
 تَ يَقْدُمُ جَأَوَاهُ جُولاَ طَحُونَا^(٥)
 مَ رَجْرَاجَةً تُبْرِقُ النَّظِيرِينَا
 فَسَلَّ عَنْهُ ذَا الْعِلْمِ مِمَّنْ يَلِينَا
 عَوَانًا ضَرُوسًا عَضُوضًا حَجُونَا^(٦)
 بِ حَتَّى تَدْرُ وَحَتَّى تَلِينَا
 شَدِيدَ التَّهَاوُلِ حَامِي الْأَرِينَا^(٧)
 لَ تَنْفِي قَوَاجِزُهُ الْمُقْرِفِينَا^(٨)
 ثِمَالًا عَلَى لَذَّةٍ مُنْزَفِينَا^(٩)
 كَوْوسَ الْمَنَابِيَا بِحَدِّ الطَّبِينَا
 وَتَحْتَ الْعِمَامِيَّةِ وَالْمُغْلِمِينَا
 وَيُضْرِيَّةٍ قَدْ أَجْمَنَ الْجُفُونَا^(١٠)
 وَمَا يَنْتَهِيْنَ إِذَا مَا تَهِينَا
 يُفَجِّعْنَ بِالظَّلِّ هَامًا سُكُونَا^(١١)
 وَسَوْفَ نُعَلِّمُ أَيضًا بَنِينَا

تَلُوذِ الْبِجُودِ^(١) بِأَدْرَائِنَا
 بِجَدْوَى فُضُولِ أُولِي وَجْدِنَا
 وَأَبْقَتْ لَنَا جَلَمَاتِ الْحُورِ
 مَعَاظِنَ تَهْوِي إِلَيْهَا الْحُقُورِ
 تَخْيِيسَ فِيهَا عِتَاقُ الْجَمَا
 وَدَفْعَ رَجَلِ كَمْوُجِ الْفُرَا
 تَرَى لَوْنَهَا مِثْلَ لَوْنِ الثُّجُورِ
 فَلِإِنْ كُنْتَ عَنْ شَأْنِنَا جَاهِلًا
 بِنَا كَيْفَ نَفْعَلُ إِنْ قَلَصْتَ
 أَلْسِنَانَا شُدُّ عَلَيْهَا الْعِصَا
 وَيَسُومُ لَهُ وَهَجَّ دَائِمُ
 طَوِيلٌ شَدِيدٌ أَوَارِ الْقِتَا
 تَخَالُ الْكُمَاةَ بِأَعْرَاضِهِ
 تَعَاوَزُ أَيْمَانَهُمْ بَيْنَهُمْ
 شَهْدِنَا كَكُنَّا أُولِي بَأْسِهِ
 بِخُرْسِ الْحَسِيْسِ حِسَانِ رِوَاءِ
 فَمَا يَنْقَلِبَنَّ وَمَا يَنْحَنِينِ
 كَبْرُوقِ الْخَرِيفِ بِأَيْدِي الْكُمَاةِ
 وَعَلَّمْنَا الضُّرْبَ آبَاؤُنَا

(١) البجود: جماعات الناس. الأذراء: الأكتاف.

(٢) جلمات: جمع جملة وهو القطع. بُرِينَا: خلقنا.

(٣) المعاظن في الأصل: أماكن برك الإبل، ويريد بها هنا الإبل بعينها. والفتين: الأرض بها الحجارة السوداء.

(٤) تخييس: تذلل. الضحم: السود. دواجن: مقيمة. الجون: يريد بها هنا البيض.

(٥) الدفاع: ما يندفع من السيل. رجل: رجال. الجأواء: كتيبة سوداء لكثرة ما عليها من السلاح. الجول: الكتيبة العظيمة. والطحون: التي تطحن ما تمر به أي تهلكه لقوتها.

(٦) قلصت: ارتفعت. أي ارتفعت نيران الحرب. العوان: الحرب المستمرة. والضروس: القوية. العضوض: كثيرة العض. الحجون: التي لا يُعرف لها نهاية.

(٧) الأرين: جمع إرة: وهي مستوقد النار.

(٨) القواحز: القلق. المقرفون: جمع مرف: النذل الدنيء.

(٩) أعراضه: جوانبه. المتزف: من ذهب الخمر بلبته.

(١٠) خُرس الحسيس: السيوف الصامتة. أجمن: ملئن. الجفون: أعماد السيوف.

(١١) الظل: ظلال السيوف. الهام: الرؤوس. السكون: الساكن.

د، عن جُلِّ أخصابنا ما بقينا
وأوزنُهُ بَعْدَهُ آخِرِينَا
وبينا نُرَبِّي بَنِينَا فِينَا
أُنْبَأُكَ فِي الْقَوْمِ إِلَّا هَجِينَا
مُقيماً على اللُّؤْمِ حيناً فحيناً
ك قاتلك الله جِلْفاً لَعِينَا
نَقِيَّ النَّيَابِ تَقِيّاً أَمِينَا

قال ابن هشام: أنشدني بيته: «بنا كيف نفعل»، والبيت الذي يليه، والبيت الثالث منه، وصدر
الرابع منه، وقوله: «نشب وتهلك أبوانا» والبيت الذي يليه. والبيت الثالث منه، أبو زيد الأنصاري.
قال ابن إسحاق: وقال كعب بن مالك أيضاً، في يوم أُخِد:

ماذا لَقِينَا وما لاقُوا مِنَّ الْهَرَبِ
ما إنْ نُراقِبُ من آلٍ ولا نَسَبِ
حامي الذمار كَرِيمِ الجَدِّ والحَسَبِ
نورٌ مُضِيءٌ له فَضْلٌ على الشُّهَبِ
فَمَنْ يُجِبُهْ إليه يَنْجُ من تَبِّبِ
حين القلوب على رَجْفٍ من الرُّعْبِ
كأنه البدرُ لم يُطْبِعْ على الكذبِ
وكذَّبوه فكُنَّا أسعدَ العَرَبِ
ونحن نثُفِنهم لم نألُ في الطَّلَبِ
حزبُ الإلهِ وأهل الشُّركِ والنُّصَبِ^(١)

قال ابن هشام: أنشدني من قوله: «يمضي ويذمرنا» إلى آخرها، أبو زيد الأنصاري.

قال ابن إسحاق: وقال عبدُ الله بن رَواحةَ يَبْكِي حمزةَ بن عبد المطلب: قال ابن هشام: أنشدنيها
أبو زيد الأنصاري لكعب بن مالك:

وما يُغْنِي البُكاءَ ولا العَوِيلُ
أَحْمَزَةَ ذاكُم الرجلُ القَتِيلُ
هُناكَ وقد أُصِيبَ به الرُّسُولُ
وأنت الماجدُ البِرُّ الوُصُولُ
مُخالِطها نَعِيمٌ لا يَزُولُ

جِلادَ الكُماةِ، وبَذلَ الثُّلا
إِذا مَرَقَ قَرْنٌ كَفَى نَسْلُهُ
نَشِبٌ وَتَهْلِكَ أبائُنَا
سألتُ بك ابنَ الرَبْعَرِيِّ فلم
خَبِيثاً تُطِيفُ بك المُندياتِ
تَبَجَّستْ تَهْجُو رسولَ المَلِي
تَقولُ الخَنائِمُ تَزْمِي به

سائِلُ قَرِيشاً غداةَ السَّفْحِ من أُخِدِ
كُنَّا الأسودَ وكانوا الثُّمُرِ إذ زَحَفُوا
فَكَمْ تَرَكْنَا بها من سَيِّدِ بَطْلِ
فينا الرُّسُولُ شِهَابٌ ثم يَتْبَعُه
الحَقُّ مَنْطِقُه والعدْلُ سِيرَتُه
نَعجِدُ المُقَدَّمِ، ماضي الهَمِّ، مُعْتزِمِ
يَمْضِي وَيَذْمُرنا عن غيرِ مَغْصِيه
بَدالنا فأتبَعناهُ نُصَدِّقُه
جالُوا وجَلْنَا فما فاؤوا وما رَجَعُوا
ليسا سواءَ وشَتَّى بين أمرِهِما

بَكَتْ عَينِي وحقُّ لها بُكاها
على أسدِ الإلهِ غداةَ قالوا
أصِيبَ المُسلمونَ به جميعاً
أبا يَغْلِي لَكَ الأُزْكانُ هُدَّتْ
عَلَيْكَ سلامُ رَبِّكَ في جَنانِ

فَكُلُّ فِعَالِكُمْ حَسَنٌ جَمِيلٌ
بِأَمْرِ اللَّهِ يَنْسَطِقُ إِذْ يَسْقُولُ
فَبَعْدَ الْيَوْمِ دَائِلَةٌ تَدُولُ^(١)
وَقَائِعَنَا بِهَا يُشْفَى الْعَلِيلُ
غَدَاةً أَتَاكُمْ الْمَوْتُ الْعَجِيلُ
عَلَيْهِ الطَّيْرُ حَائِمَةٌ تَجُولُ
وَشَيْبَةٌ عَضُّهُ السَّيْفُ الصَّقِيلُ
وَفِي حَيْزُومِهِ لَذَنُّ نَبِيلُ^(٢)
فَفِي أَسْيَافِنَا مِنْهَا فُلُولُ
فَأَنْتَ الْوَالَهُ الْعَبْرَى الْهَبُولُ^(٣)
بِحَمْزَةٍ إِنَّ عَزْكَمَ ذَلِيلُ^(٤)

أَتَفَخَّرَ مِنَّا بِمَا لَمْ تَلِي
فَوَاضِلٌ مِنْ نَعَمِ الْمُفْضِلِ
أَسُوداً تُحَامِي عَنِ الْأَشْبَلِ
نَبِيٍّ عَنِ الْحَقِّ لَمْ يَنْكُلِ
وَنَبْلُ الْعَدَاةِ لَا تَأْتَلِي^(٥)
قال ابن هشام: أنشدني قوله: «لم تلي»، وقوله: «من نعم المفضل» أبو زيد الأنصاري.

كأثما جال في أجفانها الرَّمْدُ
قد حال من دونه الأعداء والبُعدُ
إذ الحُروب تَلَطَّتْ نازها تَقْدُ
وما لهم من لُؤْيٍ وَيَنْحَمُ عَضْدُ
فَمَا تَرَدَّهُمُ الْأَرْحَامُ وَالنُّشْدُ^(٦)
واستخصدت بيننا الأضغان والحقد

أَلَا يَا هَاشِمَ الْأَخْيَارِ صَبْرًا
رَسُولَ اللَّهِ مُضْطَبِّرِ كَرِيمًا
أَلَا مَنْ مَبْلَغُ عَنِّي لُؤْيًا
وَقَبْلَ الْيَوْمِ مَا عَرَفُوا وَذَاقُوا
نَسِيْتُمْ ضَرْبِنَا بِقَلِيلِ بَذْرِ
غَدَاةٍ نَوَى أَبُو جَهْلٍ صَرِيْعًا
وَعُثْبَةَ وَابْنَهُ خَرَا جَمِيْعًا
وَمَتْرَكُنَا أُمِّيَّةً مُجْلَعِبًا
وَهَامَ بَنِي رَبِيعَةَ سَائِلُوهَا
أَلَا يَا هِنْدُ فَبِكِي لَا تَمْلِي
أَلَا يَا هِنْدُ لَا تُبِدِي شِمَاتًا
قال ابن إسحاق: وقال كعب بن مالك:

أَبْلَغُ قُرَيْشًا عَلَى نَائِيهَا
فَخَزْتُمْ بِقَتْلِي أَصَابَتُهُمْ
فَحَلُّوا جَنَانًا وَأَبَقُوا لَكُمْ
تُقَاتِلُ عَنْ دِينِهَا، وَشَطَّهَا
رَمَتْهُ مَعْدُ بَعُورِ الْكَلَامِ

قال ابن هشام: أنشدني قوله: «لم تلي»، وقوله: «من نعم المفضل» أبو زيد الأنصاري.
قال ابن إسحاق: وقال ضرار بن الخطاب في يوم أُخِذَ:
ما بال عينك قد أزرى بها الشهد
أمن فراق حبيب كنت تألفه
أم ذاك من شغب قوم لا جداء بهم
ما ينتهون عن الغي الذي ركبوا
وقد نشدناهم بالله قاطبة
حتى إذا ما أبوا إلا محاربة

(١) الدائلة: يقصد بها الحرب.

(٢) مجلعباً: متمدداً على الأرض. الحيزوم: أسفل الصدر. اللدن النبيل: الرمح العظيم.

(٣) الهبول: الفاقدة.

(٤) في عيون التواريخ (١٤) بيتاً بإسقاط بيتين (١٧٠/١، ١٧١)، وفي مرآة الجنان ٨/١ (٥) أبيات.

(٥) لا تأتلي: لا تقصر. (٦) النشد: الأيمان.

قَوَانِسُ الْبَيْضِ وَالْمَخْبُوكَةُ الشُّرْدُ^(١)
 كَأَنَّهَا جِدَا فِي سَيْرِهَا تُؤَدُّ
 كَأَنَّهُ لَيْثٌ غَابٍ هَاصِرٌ حَرِيدٌ^(٢)
 فَكَانَ مِثْلًا وَمِنْهُمْ مُلْتَقَى أُخْدُ
 كَالْمَغْزِضِ أَضْرَدَهُ بِالصُّرْدِ الْبَرْدِ^(٤)
 وَمُضْعَبٍ مِنْ قَنَانَا حَوْلَهُ قِصْدٌ^(٥)
 تُكَلِّيَ وَقَدْ حَزَّ مِنْهُ الْأَنْفُ وَالْكَبْدُ
 تَحْتَ الْعَجَاكِ فِيهِ تُغْلَبُ جَسْدٌ^(٧)
 كَمَا تَوْلَى السُّعَامَ الْهَارِبِ الشُّرْدُ
 رُغْبَاءً، فَتَجَّتْهُمْ الْعَوْصَاءُ وَالْكُؤُودُ^(٩)
 مِنْ كُلِّ سَالِبَةٍ أَثْوَابُهَا قَدَدٌ^(١٠)
 وَلِلضَّبَاعِ إِلَى أَجْسَادِهِمْ تَفِيدٌ^(١١)

سِرْنَا إِلَيْهِمْ بِجَيْشٍ فِي جَوَانِبِهِ
 وَالْجُرْدُ تَزْفُلُ بِالْأَبْطَالِ شَاذِبَةٌ^(٢)
 جَيْشٍ يَقُودُهُمْ صَخْرٌ وَيُرَاسُهُمْ
 فَأَبْرَزَ الْحَيْنَ قَوْمًا مِنْ مَنَازِلِهِمْ
 فَغَوِدَتْ مِنْهُمْ قَتْلَى مُجَدَّلَةٌ
 قَتَلَى كِرَامَ بَنِي النَّجَارِ وَسَطَهُمْ
 وَحَمْزَةَ الْقَرْمِ^(٦) مَضْرُوعٌ تُطِيفُ بِهِ
 كَأَنَّهُ حَيْنٌ يَكْبُوفِي جَدِيدَتَهُ
 حُورًا نَابٍ^(٨) وَقَدْ وَلَّى صَحَابَتَهُ
 مُجَلِّحِينَ وَلَا يَلُوونَ قَدِ مُلِئُوا
 تَبْكِي عَلَيْهِمْ نِسَاءً لَا بَعُولَ لَهَا
 وَقَدْ تَرَكْنَاهُمْ لِلطَّيْرِ مَلْحَمَةٌ

قال ابن هشام: وبعض أهل العلم بالشعر يُنكرها لضرار.

قال ابن إسحاق: وقال أبو زُعْنَةَ^(١٢) بن عبد الله بن عمرو بن عتبة، أخو بني جُشَمِ بْنِ الْخَزْرَجِ،
 يوم أحد:

أَنَا أَبُو زُعْنَةَ يَعْذُوبِي الْهُزْمُ لَمْ تُمْنَعِ الْمَخْزَاةُ إِلَّا بِالْأَلَمِ^(١٣)
 يَحْمِي الذَّمَارَ خَزْرَجِيٍّ مِنْ جُشَمِ

قال ابن إسحاق: وقال علي بن أبي طالب - قال ابن هشام: قالها رجل من المسلمين يوم أحد
 غير علي، فيما ذكر لي بعض أهل العلم بالشعر، ولم أر أحدا منهم يعرفها لعلي -:
 لَا هُمَّ إِنَّ الْحَارِثَ بِنَ الصَّمَمِ كَانَ وَفِيَّاءُ وَبِنَاذَا ذِمَّةُ

(١) القوانس: ما علا بيض السلاح. المخبوكة: جيذة الصنع. السرد. السنج، ويريد بها هنا الدروع.

(٢) الجرد: عناق الخيل. شاذبية: ضامرة.

(٣) هاصر: كاسر. جرد: غاضب.

(٤) أضرده: برده. الصردح: المكان الصلب.

(٥) قِصْدٌ: قَطَعٌ.

(٦) القرم: السيد.

(٧) الجدبية: الدم السائل. الثعلب: الجزء الداخلي من الرمح في السنان. جسد: الدم الجامد.

(٨) الحوار: ولد الناقة. الناب: المسنة من الإبل.

(٩) مجلحين: مضممين. العوصاء: العقبة الشديدة الصعبة. الكؤود جمع كؤود: عقبة صعبة المرتقى، أو صعبة المصعد.

(١٠) السالبة: اللابسة للصلاب وهو لباس الحزن. قدد: قَطَعٌ.

(١١) في عيون الأثر (٨) أبيات منها (٣٤، ٣٥).

(١٢) قال أبو ذر في شرح السيرة: «كذا وقع هنا بالنون، وزعبة، بالزاي والعين المهملة والباء المنقوطة بواحدة من أسفلها. كذا

قَيَدَهُ الدَّارِقُطْنِي».

(١٣) الهزم: اسم فرس.

أَقْبَلُ فِي مَهَامَةٍ^(١) مُهِمَّةٌ كَلِيلَةٌ ظَلُمَاءٌ مُذْلِهْمَةٌ
بَيْنَ سُيُوفٍ وَرِمَاحٍ جَمَّةٌ يَبْنِغِي رَسُولَ اللَّهِ فِي مَائِمَةٍ
قال ابن هشام: قوله: «كليلة» عن غير ابن إسحاق.

قال ابن إسحاق: وقال عكرمة بن أبي جهل في يوم أحد:

كُلُّهُمْ يَزْجِرُهُ أَزْجَبٌ هَلَا^(٢) وَلَنْ يَرَوْهُ السُّيُومَ إِلَّا مُقْبِلًا
يَخْمِلُ رُمْحًا وَرَثِيصًا جَخْفَلًا

وقال الأعمش بن زُرارة بن النَّبَّاسِ التَّمِيمِي - قال ابن هشام: ثم أحد بني أسد ابن عمرو بن تميم

- يَبْكِي قَتْلَى بَنِي عَبْدِ الدَّارِ يَوْمَ أُحُدٍ:

حُيَّيْ مِنْ حَيٍّ عَلِيٍّ نَائِيهِمْ بَنُو أَبِي طَلْحَةَ لَا تُضْرَفُ^(٣)
يَمُرُّ سَاقِيهِمْ عَلَيْهِمْ بِهَا وَكُلُّ سَاقٍ لَهُمْ يَغْرِفُ
لَا جَارُهُمْ يَشْكُو وَلَا ضَيْفُهُمْ مِنْ دُونِهِ بَابٌ لَهُمْ يَضْرِفُ
وقال عبد الله بن الزُّبَيْرِي يَوْمَ أُحُدٍ:

قَتَلْنَا ابْنَ جَحْشٍ فَاعْتَبَطْنَا بِقَتْلِهِ وَخَمَزَةَ فِي فُرْسَانِهِ وَابْنَ قَوْقُلٍ
وَأَفْلَتْنَا مِنْهُمْ رَجَالٌ فَاسْرَعُوا فَلَيْتَهُمْ عَاجُوا وَلَمْ نَتَعَجَّلْ
أَقَامُوا لَنَا حَتَّى تَعَضَّ سَيْوْفُنَا سَرَاتِهِمْ وَكَلَّنَا غَيْرَ عُزْلٍ
وَحَتَّى يَكُونَ الْقَتْلُ فِينَا وَفِيهِمْ وَيَلْقُوا صَبوحًا شَرَّهُ غَيْرَ مُنْجَلِي

قال ابن هشام: وقوله: «وكلنا»، وقوله: «ويلقوا صبحاً»: عن غير ابن إسحاق.

قال ابن إسحاق: وقالت صَفِيَّةُ بنت عبد المطلب تبكي أباها حمزة بن عبد المطلب:

أَسَائِلُهُ أَصْحَابُ أُحُدٍ مَخَافَةٌ بِنَاتُ أَبِي مَنْ أَعْجَمَ وَخَبِيرِ
فَقَالَ الْخَبِيرُ إِنَّ خَمَزَةَ قَدْ تَوَى وَزَيْرُ رَسُولِ اللَّهِ خَيْرُ وَزِيرِ
دَعَاهُ إِلَهُ الْحَقِّ ذُو الْعَرْشِ دَعْوَةٌ إِلَى جَنَّةٍ يَحْيَا بِهَا وَسُرُورِ
فَذَلِكَ مَا كُنَّا نَرْجِي وَنَزْتَجِي لِحَمَزَةَ يَوْمِ الْحَشْرِ خَيْرَ مَصِيرِ
فَوَاللَّهِ لَا أَنْسَاكَ مَا هَبَّتِ الصَّبَا بِكَاءٍ وَحِزْنًا مَخْضَرِي وَمَسِيرِي
عَلَى أَسَدِ اللَّهِ الَّذِي كَانَ مِذْرَاهَا^(٤) يَدُودٍ عَنِ الْإِسْلَامِ كُلِّ كُفُورِ
فِيَا لَيْتَ شَلُوي^(٥) عِنْدَ ذَلِكَ وَأَعْظَمِي لَدَى أَضْبُعِ تَغْتَادِنِي وَنُسُورِ
أَقُولُ وَقَدْ أَعْلَى النَّعِيَّ عَشِيرَتِي جَزَى اللَّهُ خَيْرًا مِنْ أَخِي وَنَصِيرِ

قال ابن هشام: وأنشدني بعض أهل العلم بالشعر قولها:

(٢) أرحب هلا: كلمة تزجر بها الخيل.

(٤) المدرة: مع يدافع عن القوم.

(١) المهامة: القفار.

(٣) لا تصرف: لا تُرد.

(٥) الشلو: بقية الفريسة.

بكاء وحُزناً مَحْضَرِي ومَسِيرِي

قال ابن إسحاق: وقالت نِعْم، امرأة شَمَّاس بن عثمان، تبكي شَمَّاساً، وأصيب يوم أحد:

يا عينُ جودِي بِفَيْضٍ غيرِ إِنْساسِ على كَرِيمٍ مِنَ الْفِثْيَانِ أَباسِ^(١)
صَنَبِ الْبَدِيهَةِ مَيْمُونِ نَقِيبِثِهِ حَمَّالِ الْوَيْةِ رَكَّابِ أَقْرَاسِ
أقولُ لَمَّا أتَى النَّاعِي له جَزَعاً أودَى الجِوَادُ وَأودَى الْمُطْعَمِ الكَاسِي
وقُلْتُ لَمَّا خَلَّتْ مِنْهُ مَجَالِسُهُ لا يُبْعَدُ اللَّهُ عَنَّا قُرْبَ شَمَّاسِ^(٢)

فأجابها أخوها، وهو أبو الحَكَم بن سعيد بن يَزْبوع، يعزيها، فقال:

أفني حياءك في سِثْرٍ وفي كَرَمِ فإنَّما كانَ شَمَّاسٍ مِنَ النَّاسِ
لا تَقْتُلِي النَّفْسَ إذ حانتَ مَنِيَّتُهُ في طاعةِ الله يومَ الرُّوعِ والبَاسِ
قد كانَ حمزَةٌ ليثَ الله فاصطَبِرِي فذاقَ يومئذٍ من كَاسِ شَمَّاسِ^(٣)

وقالت هند بنت عتبة، حين انصرف المشركون عن أحد:

رجعتُ وفي نَفْسِي بَلابِلُ جَمَّةٍ^(٤) وقد فاتني بعضُ الذي كانَ مَطْلِبِي
من أصحابِ بدرٍ من قُرَيْشٍ وغيرِهِم بني هاشمٍ منهم ومن أهلِ يثربِ
ولكُنَّني قد نِلْتُ شيئاً ولم يَكُنْ كما كنتُ أرجو في مَسِيرِي ومزكبي

قال ابن هشام: وأنشدني بعضُ أهلِ العِلْمِ بالشعر قولها:

وقد فاتني بعضُ الذي كانَ مَطْلِبِي

وبعضهم يُنكرها لهُند، والله أعلم.

ذكر يوم الرجيع^(٥)

في سنة ثلاث

مقتل حُبَيْب وأصحابه: قال: حدثنا أبو محمد عبد الملك بن هشام، قال: حدثنا زياد بن عبد الله البكائي عن محمد بن إسحاق المَطلِبي، قال: حدثني عاصم بن عمر بن قتادة، قال: قَدِمَ على رسول الله ﷺ بعد أحد رهطاً من عَضَل والقارة.

(١) الإيباس في الأصل: مسح درع الناقة والقول لها بس بس ليدز، فالإيباس فيه تكلف. وغير الإيباس: أي بغير تكلف. والأيباس: الشديد. وفي الأصول «لباس».

(٢) عيون الأثر ٢/٣٥.

(٣) عيون الأثر ٢/٣٥.

(٤) البلابل: الأحزان.

(٥) المغازي للواقدي ١/٣٥٤، ٣٦٣، الطبقات الكبرى ٥٥/٢ (واسمها: سرية مرثد بن أبي مرثد)، المغازي لعروة ١٧٥ -

١٧٧، جوامع السيرة ١٧٦، الدرر لابن عبد البر ١٦٨، تاريخ الطبري ٥٣٨/٢ - ٥٤٢، الأغاني ٤/٢٢٥ - ٢٢٧، المحرَّب

١١٧، ١١٨، تاريخ خليفة ٧٤ - ٧٦، البدء والتاريخ ٢٠٩/٤، الكامل في التاريخ ١٦٧/٢ (حوادث سنة ٤هـ)، نهاية

الأرب ١٧/١٣٣ - ١٣٧، عيون التواريخ ١/١٧٩ - ١٨٢، عيون الأثر ٢/٤٠ - ٤٣، الروض الأنف ٣/٢٣٣، سيرة ابن

كثير ٣/١٢٣ - ١٣٤، تاريخ الإسلام (المغازي).

قال ابن هشام: عَضَل والقارة، من الهَوْن بن حُزَيْمة بن مُدْرَكة.

قال ابن هشام: ويقال: الهُون، بضم الهاء.

قال ابن إسحاق: فقالوا: يا رسول الله، إن فينا إسلاماً، فابعث معنا نفرأ من أصحابك يُفَقِّهوننا في الدين، ويُقرئُوننا القرآن، ويعلموننا شرائع الإسلام. فبعث رسول الله ﷺ نفرأ ستة^(١) من أصحابه، وهم: مَرْتَد بن أَبِي مرثد العَنَوِي، حليف حمزة بن عبد المطلب؛ وخالد بن البَكِير اللَّيْثِي، حليف بني عَدِي بن كعب، وعاصم بن ثابت بن أبي الأفلح، أخو بني عمرو بن عَوْف بن مالك بن الأوس؛ وحَبِيب بن عَدِي، أخو بني جَحْجَبِي بن كَلْفَة بن عمرو بن عوف، وزيد بن الدَّيْثَة^(٢) بن مُعاوية، أخو بني بِيَاضَة بن عمرو بن زُرَيْق بن عبد حارثة بن مالك بن غضب بن جُشَم ابن الخَزْرَج؛ وعبد الله بن طارق حليف بني ظفر بن الخَزْرَج بن عمرو بن مالك بن الأوس.

وأمر رسول الله ﷺ على القوم مَرْتَد بن أبي مرثد العَنَوِي، فخرج مع القوم. حتى إذا كانوا على الرَّجِيع، ماء لهذيل بناحية الحِجَاز، على صدور الهدأة^(٣) غدروا بهم، فاستصرخوا عليهم هُذَيْلاً، فلم يَرُع القوم، وهم في رحالهم، إلا الرجال بأيديهم السيوف، قد عَشُّوهم؛ فأخذوا أسياقهم ليقاتلوهم فقالوا لهم: إنا والله ما نريد قتلكم، ولكننا نريد أن نُصِيب بكم شيئاً من أهل مكة ولكم عهد الله وميثاقه أن لا نقتلكم.

فأما مَرْتَد بن أبي مرثد، وخالد بن البَكِير، وعاصم بن ثابت فقالوا: والله لا نُقْبِل من مُشْرِك عهداً ولا عقداً أبداً؛ فقال عاصم بن ثابت:

مَا عَلَّتِي وَأَنَا جَلْدُنَابِلُ	وَالْقَوْسُ فِيهَا وَتَرُّعُنَابِلُ ^(٤)
تَزَلَّ عَنْ صَفْحَتِهَا الْمَعَابِلُ	الْمَوْتُ حَقٌّ وَالْحَيَاةُ بَاطِلُ ^(٥)
وَكُلُّ مَا حَمَّ إِلَهُ نَازِلُ	بِالْمَرَّةِ وَالْمَرَّةُ إِلَيْهِ آئِلُ ^(٦)
إِنْ لَمْ أَقَاتِلْكُمْ فَأَمِّي هَابِلُ ^(٧)	

قال ابن هشام: هابل: ناكل.

وقال عاصم بن ثابت أيضاً:

(١) ذكر البخاري أنهم كانوا عشرة... ستة من المهاجرين وأربعة من الأنصار. انظر المغازي (٥/٤٠) باب غزوة الرجيع).
 (٢) الدنية: ضُبط في المواهب اللدنية: بفتح الدال وكسر التاء مع فتح النون المشددة. وزاد البرهان: وقد تسكن التاء. وضبطه صاحب القاموس بكسر التاء مع فتح النون المخففة.
 (٣) الهدأة: موضع بين عسفان ومكة، كما ذكر البخاري في صحيحه.
 (٤) النابل: صاحب النبل. والغنابل: الشديد.
 والبيت في المغازي للواقدي ١/٣٥٥.

مَا عَلَّتِي وَأَنَا جَلْدُنَابِلُ النَّبْلُ وَالْقَوْسُ لَهَا بِلَابِلُ
 (٥) المعابل: الأنصال العريضة. (٦) آئل: صائر.

(٧) القول في المغازي للواقدي ١/٣٥٥، والبدء والتاريخ ٤/٢١٠.

أبو سُليمان وريش المُقعد وضالةً مثل الجحيم المُوقد^(١)
 إذا التَّواجي افترشت لم أزد ومُجنأ من جلد ثور أجرد^(٢)
 ومؤمنٌ بما على محمد^(٣)

وقال عاصم بن ثابت أيضاً:

أبو سُليمان ومثلي رامى وكان قومي معشراً كراماً^(٤)
 وكان عاصم بن ثابت يُكنى: أبا سليمان. ثم قاتل القوم حتى قُتل وقُتل صاحبه.

فلما قُتل عاصم أرادت هذيل أخذ رأسه، لبيعوه من سُلافة بنت سعد بن شهيد، وكانت قد نذرت حين أصاب ابنها يوم أحد: لئن قُدرت على رأس عاصم لتشرين في قحفه الخمر، فمنعته الذُبر^(٥)، فلما حالت بينه وبينهم الذُبر قالوا: دعوهُ يُمسي فتذهب عنه، فناخذهُ. فبعث الله الوادي، فاحتمل عاصماً، فذهب به. وقد كان عاصمٌ قد أعطى الله عهداً أن لا يمسه مشرك، ولا يمسه مشركاً أبداً، تنجساً؛ فكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول: حين بلغه أن الذُبر منعه: يحفظ الله العبد المؤمن، كان عاصم نذر أن لا يمسه مشرك، ولا يمسه مشركاً أبداً في حياته، فمنعه الله بعد وفاته، كما امتنع منه في حياته^(٦).

مقتل ابن طارق وبيع خبيب وابن الدثنة:

وأما زيد بن الدثنة وخبيب بن عدي، وعبد الله بن طارق، فلأنوا ورفقوا ورجبوا في الحياة، فأعطوا بأيديهم، فأسروهم، ثم خرجوا إلى مكة، لبيعوهم بها، حتى إذا كانوا بالظهران^(٧)، انتزع عبدُ الله بن طارق يده من القرآن^(٨)، ثم أخذ سيفه، واستأخر عنه القوم، فرموه بالحجارة حتى قتلوه، فقبره، رحمه الله، بالظهران^(٩)؛ وأما خبيب بن عدي وزيد بن الدثنة فقدموا بهما مكة.

قال ابن هشام: فباعوهما من قریش بأسيرين من هذيل كانا بمكة.

قال ابن إسحاق: فابتاع خبيباً حُجير بن أبي إهاب التميمي، حليف بني نوفل، لعقبته بن الحارث بن عامر بن نوفل، وكان أبو إهاب أخا الحارث بن عامر لأمه لقتله بأبيه.

(١) المقعد: رجل يريش النبل. الضالة: يريد بها القوس. وهي في الأصل شجرة تصنع منها القسي.

(٢) التَّواجي: الإبل السريعة. افترشت: عمرت. المجنأ: الترس لا حديد فيه.

(٣) القول في البدء والتاريخ ٤/٢١٠.

(٤) ومُجنأ من مسك ثور أجرد ومؤمن بما تلا محمد
 القول في مغازي الواقدي ١/٣٥٦.

أنا أبو سليمان ومثلي رامى ورثت مخدأ معشراً كراماً

أصبث مرثداً وخالداً قياماً

وانظر الأغاني ٤/٢٣١.

(٥) الذُبر: جماعة النحل. ويقال الزنابير ونحوهما مما سلاحها في أدبارها. (تاج العروس ١١/٢٥٣).

(٦) الأغاني ٤/٢٢٥، تاريخ الإسلام (المغازي). (٧) الظهران: واد قريب من مكة.

(٨) القرآن: الحبل الذي يُربط به الأسير.

(٩) تاريخ الطبري ٢/٥٣٩، تاريخ الإسلام (المغازي).

قال ابن هشام: الحارث بن عامر، خال أبي إهاب، وأبو إهاب، أحد بني أُسَيْد بن عمرو بن تميم؛ ويقال: أحد بني عُدَس بن زيد بن عبد الله بن دارم، من بني تميم.

قال ابن إسحاق: وأما زيد بن الدثيث، فابنتاه صفوان بن أمية ليقته بأبيه، أمية ابن خلف، وبعث به صفوان بن أمية مع مولى له، يقال له نسطاس، إلى التَّنعيم^(١)، وأخرجوه من الحرم ليقته. واجتمع رهط من قُرَيْش، فيهم أبو سفيان بن حَزْب؛ فقال له أبو سفيان حين قَدِمَ لِيُقْتَل: أَتَشُدُّكَ اللَّهُ يا زيد، أتحب أن محمداً عندنا الآن في مكانك نُضْرِبَ عنقه، وأنت في أهلِكَ؟ قال: والله ما أحب أن محمداً الآن في مكانه الذي هو فيه تُصَيِّبه شوكة تُؤذيه، وأتي جالس في أهلي. قال: يقول أبو سفيان: ما رأيت من الناس أحداً يُحِبُّ أحداً كحُبِّ أصحابِ محمدٍ محمداً؛ ثم قتله نسطاس، يرحمه الله^(٢).

وأما حُبيِّب بن عدي، فحدثني عبدُ الله بنُ أبي نجيج، أنه حَدَّثَ عن ماوية، مولاة حُجَير بن أبي إهاب، وكانت قد أسلمت، قالت: كان حُبيِّب عِنْدِي، حُجِسَ في بيتي، فلقد أَطْلَعْتُ عليه يوماً، وإن في يده لِقِطْفاً من عِنَب، ومثل رأس الرُّجُل يأكل منه، وما أعلم في أرض الله عنباً يُؤْكَل^(٣).

قال ابن إسحاق: وحدثني عاصم بن عمر بن قتادة وعبد الله بن أبي نجيج جميعاً أنها قالت: قال لي حين حضره القتل: ابعثني إليَّ بحديدة أتطهرُ بها للقتل؛ قالت: فأعطيتُ غلاماً من الحيِّ المُوَسَّى؛ فقلت: ادخل بها على هذا الرجل البيت؛ قالت: فوالله ما هو إلا أن ولى الغلام بها إليه؛ فقلت: ماذا صنعتُ! أصاب والله الرجل نازَه بقتل هذا الغلام، فيكون رجلاً برجل؛ فلما ناوله الحديدة أخذها من يده ثم قال: لعمرك، ما خافت أُمك عَذْرِي حين بَعَثتكَ بهذه الحديدة إليَّ! ثم خَلَى سبيله^(٤).

قال ابن هشام: ويقال: إن الغلام ابْنُهَا.

قال ابن إسحاق: قال عاصم: ثم خرجوا بحُبيِّب، حتى إذا جاؤوا به إلى التَّنعيم ليضلِّبوه، قال لهم: إن رأيتم أن تدعوني حتى أركعَ ركعتين فافعلوا؛ قالوا: دونك فاركع. فركع ركعتين أتمهما وأحسنهما، ثم أقبل على القوم فقال: أما والله لولا أن تظنوا أنني إنما طَوَلت جزعاً من القتل لاستكثرتُ من الصلاة. قال: فكان حُبيِّب بنُ عديٍّ أوَّل من سَرَّ هاتين الرِّكعتين عند القتل للمُسلمين^(٥). قال: ثم رَفَعوه على خشبة، فلما أوثقوه، قال: اللهم إنا قد بَلَّغنا رسالَةَ رسولك، فبَلِّغْه الغداة ما يُصنع بنا؛ ثم قال: اللهم أَحْصِهِم عدداً، واقتلهم بدداً^(٦)، ولا تغادر منهم أحداً. ثم قتلوه يرحمه الله^(٧).

(١) موضع خارج مكة في الحل.

(٢) الطبقات الكبرى ٥٦/٢، تاريخ الطبري ٥٤٢/٢.

(٣) الخبر في الإصابة ٤٠٦/٤ رقم ٩٨٧، وسير أعلام النبلاء ٢٤٩/١، وتاريخ الإسلام (المغازي).

(٤) انظر: المغازي للواقدي ٣٥٨/١، وتاريخ الطبري ٥٤٠/٢، وتاريخ الإسلام (المغازي).

(٥) وقد صار فعل حُبيِّب سنةً وإن كانت السنة إنما هي أقوال أو أفعال من النبي ﷺ، وهي أيضاً إقرار وقد حدثت في حياته فلم يُنكر فالصلاة هي خير ما يختم بها العبد حياته.

(٦) بدداً: متفرقين.

(٧) أخرج هذا الحديث البخاري في المغازي (٤١/٥) باب غزوة الرجيع، وزاد فيه شعراً:

ما أبالي حين أقتل مسلماً
على أي شق كان لله مصرعي =

فكان معاوية بن أبي سفيان يقول: حضرته يومئذ فيمن حضره مع أبي سفيان، فلقد رأيتُه يُلقيني إلى الأرض فرقاً من دعوة خبيب، وكانوا يقولون: إن الرجل إذا دُعي عليه، فاضطجع لجنبه زالت عنه.

قال ابن إسحاق: حدثني يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير، عن أبيه عباد، عن عُقبة بن الحارث، قال: سمعته يقول: ما أنا والله قُتلت خبيياً، لأنني كنت أصغر من ذلك، ولكن أبا ميسرة، أبا بني عبد الدار، أخذ الحربة فجعلها في يدي، ثم أخذ بيدي وبالحرية، ثم طعنه بها حتى قتله.

قال ابن إسحاق: وحدثني بعض أصحابنا، قال: كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه استعمل سعيد بن عامر بن حذيم الحمحي على بعض الشام، فكانت تُصيبه عُشيّة، وهو بين ظَهري القوم، فذكر ذلك لعمر بن الخطاب، وقيل: إن الرجل مُصاب؛ فسأله عمر في قَدمة قَدِمها عليه، فقال: يا سعيد، ما هذا الذي يُصيبك؟ فقال: والله يا أمير المؤمنين ما بي من بأس، ولكنني كنتُ فيمن حضر خبيب بن عدي حين قُتل، وسمعتُ دعوته، فوالله ما خطرث على قلبي وأنا في مجلس قط إلا عُشي عليّ، فزادته عند عمر خيراً^(١).

قال ابن هشام: أقام خبيب في أيديهم حتى انقضت الأشهر الحرم، ثم قتلوه. ما نزل في سرية الرجيع من القرآن: قال ابن إسحاق: وكان مما نزل من القرآن في تلك السرية، كما حدثني مولى آل زيد بن ثابت، عن عكرمة مولى ابن عباس، أو عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس.

قال: قال ابن عباس: لما أصيبت السرية التي كان فيها مرثد وعاصم بالرجيع، قال رجال من المنافقين: يا ويح هؤلاء المفتونين الذين هلكوا هكذا، لا هم قعدوا في أهلهم، ولا هم أدوا رسالة صاحبهم! فأنزل الله تعالى في ذلك من قول المنافقين، وما أصاب أولئك النفر من الخير بالذي أصابهم، فقال سبحانه: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ [البقرة: ٢٠٤]، أي لما يظهر من الإسلام بلسانه، ﴿وَرُئِينَهُ اللَّهُ عَلَىٰ مَا فِي قَلْبِهِ﴾ [البقرة: ٢٠٤]، وهو مخالف لما يقول بلسانه، ﴿وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ﴾ [البقرة: ٢٠٤]، أي ذو جدال إذا كلمك وراجعك.

قال ابن هشام: الألد: الذي يشغب، فتشدد خصومته؛ وجمعه: لُد. وفي كتاب الله عز وجل: ﴿وَتُنذِرَ بِهِ قَوْمًا لُدًّا﴾ [مریم: ٩٧].

وقال المهلهل بن ربيعة التغلبي، واسمه امرؤ القيس؛ ويقال: عددي^(٢) بن ربيعة:

إِنَّ تَحْتَ الْأَحْجَارِ حَدًّا وَلِينًا وَخَصِيمًا أَلَدًّا مَغْلَقًا

= وذلك في ذات الإله وإن يشأ
بارك على أوصال ثلثو مُمَزَع
وانظر: المغازي لعروة ١٧٧، ونهاية الأرب ١٣٦/١٧، ١٣٧، وتاريخ الإسلام (المغازي)، وعيون الأثر ٤١/٢، والبدية
والنهاية ٦٣/٤، وتاريخ الطبري ٥٤١/٢، والأغاني ٢٢٩/٤.
(١) المغازي للواقدي ٣٥٩/١، ٣٦٠.

(٢) هو عددي حقيقة، فقد صرح مهلهل باسمه في القصيدة فقال:

ضربت صدرها إليّ وقالت يا عدياً لقد وقتك الأواقي

ويروى «ذا يغلاق» فيما قال ابن هشام. وهذا البيت في قصيدة له؛ وهو الأندد.

قال الطرمّاح بن حكيم الطائي يصف الحزباء:

يُوفِي عَلى جِذْمِ الجُذُولِ (١) كَأَنه خَضَمَ أَيْراً عَلى الخُصُومِ الأندد
وهذا البيت في قصيدة له.

قال ابن إسحاق: قال تعالى: ﴿وَإِذَا تَوَلَّى﴾ [البقرة: ٢٠٥]، أي خرج من عندك ﴿سَكَنَ فِي الْأَرْضِ لِيُنْفِذَ فِيهَا وَنُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسَاكِدَ﴾ [البقرة: ٢٠٥]، أي لا يحب عمله ولا يرضاه ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَيْسَ الْمِهَادُ ﴿٢٠٦﴾﴾ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْهَاتٍ اللَّهُ وَاللَّهُ رَؤُوفٌ بِالْعِبَادِ ﴿٢٠٧﴾﴾ [البقرة: ٢٠٦، ٢٠٧]، أي قد شروا أنفسهم من الله بالجهاد في سبيله، والقيام بحقه، حتى هلكوا على ذلك، يعني تلك السرية.

قال ابن هشام: يشرى نفسه: يبيع نفسه؛ وشروا: باعوا. قال يزيد بن زبيعة ابن مفرغ الحميري: وشريئتُ بُزداً لِيُنْتَنِي من بعد بُزْدِ كُنْتُ هَامَهُ برد: غلام له باعه. وهذا البيت في قصيدة له. وشري أيضاً: اشترى.
قال الشاعر:

فَقُلْتُ لَهَا لَا تَجْزَعِي أُمَّ مَالِكٍ عَلى ابْنَيْكَ إِنْ عَبَدْتُ لثِيمَ شَرَاهِمَا
قال ابن إسحاق: وكان مما قيل في ذلك من الشعر، قول خبيب بن عدي، حين بلغه أن القوم قد اجتمعوا لصلبه.

قال ابن هشام: وبعض أهل العلم بالشعر ينكرها له.

لَقَدْ جَمَعَ الأَحْزَابُ حَوْلِي وَأَلْبُوا وَكُلُّهُمْ مُبْدِي العِداوَةِ جَاهِدُ
وقد جَمَعُوا (٢) أَبْنَاءَهُمْ وَنِسَاءَهُمْ إِلَى اللَّهِ أَشْكَو عَزْبَتِي ثُمَّ كُزْبَتِي
فَذَا العَرشِ، صَبْرُنِي عَلى مَا يُرَادُ بِي (٣)
وذلك فِي ذَاتِ الإلهِ وَإِنْ يَشَاءُ
وقد خَيْرُونِي الكُفْرَ وَالمَوْتَ دُونَهُ
وما بِي حِذَارُ المَوْتِ، إني لَمَيِّتٌ
قِبَائِلَهُمْ وَاسْتَجَمَعُوا كُلَّ مَجْمَعِ
عَلَيَّ لِأَنِّي فِي وِثاقٍ بِمَضِيعِ
وَقُرْبَتُ مِنْ جَذَعِ طَوِيلِ مُمْتَعِ
وما أَزْصَدُ الأَحْزَابُ لِي عِندَ مَصْرَعِي
فقد بَضَعُوا لَحْمِي وَقَدِ يَاسُ (٤) مَطْمَعِي
يُبَارِكُ عَلى أَوْصالِ شَلُو مُمْتَرِعِ
وقد هَمَلْتُ عَيْنائِي مِنْ غَيْرِ مَجْزَعِ (٥)
ولكن حِذَارِي جَحْمِ نارِ مُلْتَعِ (٦)

(١) يوفي: يشرف. الجذم: القطعة. الجذول: الأصول.

(٢) في نهاية الأرب «قربوا».

(٣) ياس: يشس.

(٤) البيت في نهاية الأرب:

وقد عرّضوا بالكفر والموت دونه

(٦) الملتع: المشتعل. وفي نهاية الأرب: «ولكن حذارى حر نار تلتع».

فوالله ما أرجو إذا ميت مُسلماً
فَلَسْتُ بِمُبْدٍ لِلْعَدُوِّ تَخْشَعاً
وقال حسان بن ثابت ييكي خبيياً:

ما بال عَيْنِكَ لا تَرْقَا مَدَامُعْهَا
على خَبِيبِ قَتَى الْفِثِيانِ قَدْ عَلِمُوا
فاذهب خَبِيبُ جَزَاكَ اللهُ طَيْبَةً
ماذا تَقُولُونَ إِنْ قَالَ النَّبِيُّ لَكُمْ
فِيمَ قَتَلْتُمْ شَهِيدَ اللهِ فِي رَجَلٍ

قال ابن هشام: ويروى: «الطرق» وتركنا ما بقي منها، لأنه أقذع فيها.

قال ابن إسحاق: وقال حسان بن ثابت أيضاً ييكي خبيياً:

يا عين جُودِي بَدْمَعِ مَنْكِ مَنْسَكِبِ
صَفْراً تَوْسُطَ فِي الْأَنْصَارِ مَنْصِبُهُ
قد هاجَ عَيْنِي على عِلَاتِ عَبْرَتِهَا
يايها الرَّاكِبِ الْغَادِي لِطَيْبَتِهِ
بني كُهيبة أَنْ الْحَرْبُ قَدْ لَقِحتْ
فيها أَسْوَدَ بَنِي النَّجَّارِ تَقْدُمُهُم

على أَيِّ جَنْبِ كان في اللهُ مَصْرَعِي^(١)
وَلَا جَزَعاً إِنْني إلى اللهِ مَرْجِعِي^(٢)

سَخاً على الصُّدْرِ مثل اللُّؤْلُؤِ الْقَلِيقِ^(٣)
لا فَشِلَ حِينَ تَلْقَاهُ وَلَا نَزِقَ
وَجَنَّةُ الخُلْدِ عِنْدَ الحُورِ فِي الرُّفُقِ^(٤)
حِينَ المَلاتِكةِ الْأَبْرارِ فِي الْأَفُقِ
طَاغَ قَدْ أَوْعَتْ^(٥) فِي البُلْدانِ وَالرُّفُقِ

وابيكي خَبِيباً مع الْفِثِيانِ لَمْ يَوْبِ
سَمَخَ السَّجِيَّةِ مَخْضاً غَيْرَ مُؤْتَشِبِ^(٦)
إذ قِيلَ نَصٌّ إلى جِدْعٍ مِنَ الخَشَبِ^(٧)
أَبْلَغَ لَدَيْكَ وَعَيْداً لَيْسَ بِالْكَذِبِ^(٨)
مَخْلُوبُها الصَّابُ إِذْ تُمَرَى لِمُخْتَلَبِ^(٩)
شُهْبِ الْأَسْتَةِ فِي مُعْصُوبِ لَجِبِ^(١٠)

قال ابن هشام: وهذه القصيدة مثل التي قبلها، وبعض أهل العلم بالشعر ينكرهما لحسان، وقد تركنا أشياء قالها حسان في أمر خبيب لما ذكرت.

قال ابن إسحاق: وقال حسان بن ثابت أيضاً:

(١) يرد هذا البيت بالفاظ مختلفة. راجع: المغازي لعروة ١٧٧، ونهاية الأرب ١٣٧/١٧.

(٢) ورد (٦) أبيات في المغازي لعروة ١٧٧، وكلها في نهاية الأرب ١٣٦/١٧، ١٣٧، ومنها بيتان في عيون التواريخ ١/١٨١، وعيون الأثر ٤١/٢، وكلها في تاريخ الإسلام (المغازي).

(٣) القليق: المتحرك.

(٤) أوعت: أفسد.

(٥) نص: رُفِعَ.

(٦) المحض: الخالص. وغير مؤتشب: غير مختلط.

(٧) الطية: ما تنطوي عليه النية.

(٨) جعل كُهيبة كأنه اسم علم لأنهم، وهذا كما يقال: بني ضوطرى وبني الغبراء وبني درزة. قال الشاعر:

أولاد درزة أسلمموك وطاروا

وهذا كله اسم لمن يُسب، وعبرة عن السفلة من الناس، وكُهيبة من الكهبة وهي العبرة، وهذا كما قالوا: بني الغبراء وأكثر أشعار حسان في هذه القصة، قال فيها: من هُدَيْل، لأنهم إخوة القارة، والمشاركون لهم في الغدر بخبيب وأصحابه، وهُدَيْل وكُزَيْمة أبناء مُدرِكة بن الياس وعُضل والقارة من بني كُزَيْمة. (عن الروض الأنف ٣/٣٣٧). ولقحت: زاد

شُرْها. الصاب: العلقم. تمرى: تمسح.

(١٠) المُعْصُوب: الجيش الكبير.

لو كَانَ فِي الدَّارِ قَرْمٌ مَا جَدَّ بَطْلٌ
إِذْنٌ وَجَدْتُ حُبَيْباً مَجْلِساً فَسِحَاً
وَلَمْ تَسْقُكْ إِلَى التُّنْعِيمِ زِعْنَفَةَ
دَلُوكَ^(٣) عَذْرًا وَهَمَّ فِيهَا أَوْلُو خُلْفِ

أَلْوَى^(١) مِنَ الْقَوْمِ صَفَّرَ خَالَهُ أَنْسُ
وَلَمْ يُشَدَّ عَلَيْكَ السُّجْنُ وَالْحَرَسُ
مِنَ الْقِبَائِلِ مِنْهُمْ مَنْ نَفَتْ عُدَسَ^(٢)
وَأَنْتَ صَنِيمٌ لَهَا فِي الدَّارِ مُخْتَبَسٌ

قال ابن هشام: أنس: الأصم السلمي: خال مطعم بن عدي بن نوفل بن عبد مناف. وقوله: «من نفث عدس» يعني حخير بن أبي إهاب؛ ويقال الأعشى بن زرارة بن الثباش الأسدي، وكان حليفاً لبني نوفل بن عبد مناف.

قال ابن إسحاق: وكان الذين أجلبوا على حبيب في قتله حين قُتل من قريش: عكرمة بن أبي جهل، وسعيد بن عبد الله بن أبي قيس بن عبد ود، والأخنس بن شريق الثقفي، حليف بني زهرة، وعبيدة بن حكيم بن أمية بن حارثة ابن الأوقص السلمي، حليف بني أمية بن عبد شمس، وأمية بن أبي عتبة، وبنو الحضرمي.

وقال حسان أيضاً يهجو هذيلاً فيما صنعوا بحبيب بن عدي:

أَبْلِغْ بَنِي عَمْرٍو بِأَنَّ أَهْلَهُمْ
شَرَاهُ زُهَيْرِ بْنِ الْأَعْرَزِ وَجَامِعِ
أَجْرْتُمْ فَلَمَّا أَنْ أَجْرْتُمْ عَدْرْتُمْ
فَلَيْتَ حُبَيْباً لَمْ تَخُنْهُ أَمَانَةٌ

شَرَاهُ^(٤) امْرُؤٌ قَدْ كَانَ لِلْعَدْرِ لَازِمًا
وَكَانَا جَمِيعاً يَزْكَبَانِ الْمَحَارِمَا
وَكَثُتُمْ بِأَكْنَافِ الرَّجِيعِ لَهَاذِمًا^(٥)
وَلَيْتَ حُبَيْباً كَانَ بِالْقَوْمِ عَالِمًا

قال ابن هشام: زهير بن الأعرز وجامع: الهذليان اللذان باعا حبيباً.

قال ابن إسحاق: وقال حسان بن ثابت أيضاً:

إِنْ سَرَّكَ الْغَدْرُ صِرْفًا لَا مِزَاجَ لَهُ
قَوْمٌ تَوَاصَوْا بِأَكْلِ الْجَارِ بَيْنَهُمْ
لَوْ يَنْطِقُ التَّيْسُ يَوْمًا قَامَ يَخْطُبُهُمْ

فَائِتِ الرَّجِيعِ فَسَلِّ عَنْ دَارِ لُخْيَانِ
فَالْكَلْبِ وَالْقِرْدِ وَالْإِنْسَانِ مِثْلَانِ
وَكَانَ ذَا شَرَفٍ فِيهِمْ وَذَا شَانِ

قال ابن هشام: وأنشدني أبو زيد الأنصاري قوله:

لَوْ يَنْطِقُ التَّيْسُ يَوْمًا قَامَ يَخْطُبُهُمْ

وَكَانَ ذَا شَرَفٍ فِيهِمْ وَذَا شَانِ

قال ابن إسحاق: وقال حسان بن ثابت أيضاً يهجو هذيلاً:

سَالَتْ^(٦) هَذَيْلُ رَسُولِ اللَّهِ فَاحْشَةَ
سَالُوا رَسُولَهُمْ مَا لَيْسَ مُغْطِيَهُمْ

ضَلَّتْ هَذَيْلٌ بِمَا سَالَتْ وَلَمْ تُصِيبِ
حَتَّى الْمَمَاتِ، وَكَانُوا سُبَّةَ الْعَرَبِ

(١) ألوى: شديد الخصومة.

(٢) الزعنفة: الذين ليسوا خُلصاً في القبائل المتيمين إليها. وعدس: اسم قبيلة.

(٣) دلوك: عرؤك.

(٤) شراه: باعه.

(٥) سالت: لغة في سالت.

(٦) الهاذم: السيوف القاطعة.

يَدْعُو لِمَكْرُمَةٍ عَنْ مَنْزِلِ الْحَرْبِ
وَأَنْ يُجَلُّوا حَرَامًا كَانَ فِي الْكُتُبِ

أَحَادِيثُ كَانَتْ فِي حُبَيْبٍ وَعَاصِمِ
وَلِخِيَانِ جَرَّامُونَ شَرَّ الْجَرَائِمِ ^(١)
بِمَنْزِلَةِ الزُّمَعَانَ ذُبَّرَ الْقَوَائِمِ ^(٢)
أَمَانَتُهُمْ ذَا عِفَّةٍ وَمَكَارِمِ
هُذَيْلٌ تَوَقَّى مُنْكَرَاتِ الْمَحَارِمِ
بِقَتْلِ الَّذِي تَحْمِيهِ دُونَ الْحَرَائِمِ ^(٣)
حَمَتِ لَحْمِ شَهَادِ عِظَامِ الْمَلَا حِمِ
مَصَارِعَ قَتْلِي أَوْ مَقَامًا لِمَاتِمِ ^(٤)
يُؤَافِي بِهَا الرُّكْبَانَ أَهْلَ الْمَوَاسِمِ
رَأَى رَأْيِي ذِي حَزْمٍ بِلِخِيَانِ عَالِمِ
وَأَنْ ظَلِمُوا لَمْ يَنْدَفَعُوا كَفَّ ظَالِمِ
بِمَجْرَى مَسِيلِ الْمَاءِ بَيْنَ الْمَخَارِمِ ^(٥)
إِذَا نَابَهُمْ أَمْرٌ كَرَأَى الْبِهَائِمِ

لَنَا مِنْ قَتِيلِي غَدْرَةٌ بِوَفَاءِ
أَخَائِقَةٍ فِي وَدِّهِ وَصَفَاءِ
بِذِي الدُّبُرِ مَا كَانُوا لَهُ بِكِفَاءِ ^(٦)
لَدَى أَهْلِ كُفْرٍ ظَاهِرٍ وَجَفَاءِ
وَبَاعُوا حُبَيْبًا وَبَلَّغُوا بِلِفَاءِ ^(٧)
عَلَى ذِكْرِهِمْ فِي الذُّكْرِ كَلَّ عَفَاءِ ^(٨)
فَلَمْ تُنْسَ يَخْفَى لَوْمَهَا بِخَفَاءِ

وَلَنْ تَرَى لَهُذَيْلَ ذَائِعِيًّا أَبَدًا
لَقَدْ أَزَادُوا خِلَالَ الْفُحْشِ وَنَحَهُمْ
وَقَالَ حَسَّانُ بْنُ ثَابِتٍ أَيْضًا يَهْجُو هُذَيْلًا:

لِعُمْرِي لَقَدْ شَانَتْ هُذَيْلَ بَنَ مُدْرِكِ
أَحَادِيثُ لِيخِيَانٍ صَلَّى بَقِيحِهَا
أَنَاسٌ هُمْ مِنْ قَوْمِهِمْ فِي صَمِيمِهِمْ
هُمُ غَدَرُوا يَوْمَ الرَّجِيعِ وَأَسْلَمَتْ
رَسُولَ رَسُولِ اللَّهِ غَدْرًا وَلَمْ تَكُنْ
فَسُوفَ يَرَوْنَ النَّصْرَ يَوْمًا عَلَيْهِمْ
أَبَابِيلُ ذُبَّرِ شَمْسٍ دُونَ لَحْمِهِ
لَعَلَّ هُذَيْلًا أَنْ يَرَوْا بِمَصَابِهِ
وَتُوقِعَ فِيهِمْ وَقَعَةَ ذَاتِ صَوْلَةٍ
بِأَمْرِ رَسُولِ اللَّهِ إِنَّ رَسُولَهُ
قُبَيْلَةٌ لَيْسَ الْوَفَاءُ يُهْمُهُمْ
إِذَا النَّاسُ حَلُّوا بِالْفِضَاءِ رَأَيْتَهُمْ
مَحَلَّهُمْ دَارَ الْبَوَارِ وَرَأَيْتَهُمْ
وَقَالَ حَسَّانُ بْنُ ثَابِتٍ يَهْجُو هُذَيْلًا:

لَحَى اللَّهُ لِيخِيَانًا فَلَيْسَتْ دِمَاؤُهُمْ
هَمُوا قَتَلُوا يَوْمَ الرَّجِيعِ ابْنَ حُرَّةِ
فَلَوْ قَتَلُوا يَوْمَ الرَّجِيعِ بِأَسْرِهِمْ
قَتِيلَ حَمَتِهِ الدُّبُرُ بَيْنَ بُيُوتِهِمْ
فَقَدْ قَتَلْتَ لِيخِيَانِ أَكْرَمَ مِنْهُمْ
فَأَفَّ لِلِيخِيَانِ عَلَى كُلِّ حَالَةٍ
قُبَيْلَةٌ بِاللُّؤْمِ وَالْغَدْرِ تَغْتَرِي ^(٩)

(١) صلوا بقيحها: أصابهم شرها. جرّامون: كتابون.

(٢) الزُّمَعَانَ: جمع زُمعة: شجرة مدلاة في مؤخر رجل الشاة أو غيرها. والدُّبُر: الخلف.

(٣) يريد عاصم بن الأفلح فقد حمته الزنابير.

(٤) يريد: لماتم.

(٥) ذو الدُّبُر: هو عاصم بن الأفلح.

(٦) العفاء: التغير.

(٧) تغتري: يُغري بعضها بعضاً.

بَلَى إِنَّ قَتْلَ الْقَاتِلِيهِ شِفَائِي
كَغَادِي الْجَهَامِ الْمُغْتَدِي بِإِفَاءٍ^(١)
يَبِيْتُ لِلْخِيَانِ الْخَنَا بِفَنَاءِ
جِدَاءٍ^(٢) شِئَاءِ بَثْنٍ غَيْرِ دِفَاءِ

أَصَافِ مَاءِ زَمَزَمِ أَمْ مَشْشُوبُ
مِنَ الْجَنْجَرِينَ وَالْمَسْعَى نَصِيبِ
بِهِ اللَّؤْمُ الْمُبَيِّنِ وَالْغُيُوبِ
تُيُوسُ بِالْحِجَازِ لَهَا نَبِيبُ^(٣)
فَبَيْسَ الْعَهْدُ عَهْدُهُمُ الْكَذُوبِ

فَلَوْ قُتِلُوا لَمْ تُؤْفِ مِنْهُ دَمَاؤُهُمْ
فَالِأُمَّتِ أذْعَرُ هُدَيْلًا بِنَفَاةِ
بِأَمْرِ رَسُولِ اللَّهِ وَالْأَمْرُ أَمْرُهُ
يُصْبِحُ قَوْمًا بِالرَّجِيعِ كَأَنَّهُمْ
وَقَالَ حَسَّانُ بْنُ ثَابِتٍ أَيْضًا يَهْجُو هُدَيْلًا:

فَلَا وَاللَّهِ، مَا تَدْرِي هُدَيْلُ
وَلَا لَهُمْ إِذَا اغْتَمَرُوا وَحَجُّوا
وَلَكِنَّ الرَّجِيعَ بِهِمْ مَحَلُّ
كَأَنَّهُمْ لَدَى الْكَنَائِطِ أَضْلًا
هُمْ غَرُوا بِذِمَّتِهِمْ خُبَيْبًا

قال ابن هشام: آخرها بيتاً عن أبي زيد الأنصاري.

قال ابن إسحاق: وقال حسَّان بن ثابت يبكي خبيباً وأصحابه:

يَوْمَ الرَّجِيعِ فَأُكْرِمُوا وَأُتَيْبُوا
وَإِبْنُ الْبُكَيْرِ إِمَامُهُمْ وَخُبَيْبِ
وَإِفَاءَهُ تَمَّ جِمَامُهُ الْمَكْتُوبِ
كَسَبَ الْمَعَالِي إِنَّهُ لَكَ سُوبِ
حَتَّى يُجَالِدَ إِنَّهُ لَنْجِيبِ

صَلَّى إِلَهَ عَلَى الَّذِينَ تَتَابَعُوا
رَأْسَ السَّرِيَّةِ مَرْتَدٍ وَأَمِيرَهُمْ
وَإِبْنَ لَطَارِقٍ وَابْنَ دَثَنَةَ مِنْهُمْ
وَالْعَاصِمَ الْمَقْتُولَ عِنْدَ رَجِيعِهِمْ
مَنَعَ الْمَقَادَةَ أَنْ يَنَالُوا ظَهْرَهُ

قال ابن هشام: ويروى: حتى يجادل إنه لنجيب.

قال ابن هشام: وأكثر أهل العلم بالشعر يُنكرها لحسان.

حديث بئر معونة^(٤)

في صفر سنة أربع

قال ابن إسحاق: فأقام رسول الله ﷺ بقية شوال وذا القعدة وذا الحجة - وولي تلك الحجة

(١) الغادي: المبكر. الجهام: السحاب القليل. والإفاء: الغنيمة.

(٢) جداء: جمع جدي.

(٣) الكئان: جمع كنة. الأصل: جمع أصيل، وهو العشي: . النبيب: الصوت.

(٤) تاريخ الطبري ٥٤٥/٢ - ٥٥٠، المغازي للواقدي ٣٤٦/١ - ٣٥٣، المغازي لعروة ١٧٨ - ١٨١، تاريخ خليفة ٧٦، ٧٧، الطبقات الكبرى ٥١/٢ - ٥٤، المحبر ١١٨، الدرر في المغازي والسير ١٧٠ وما بعدها، جوامع السيرة ١٧٨ وما بعدها، البدء والتاريخ ٢١١، ٢١٢، الكامل في التاريخ ١٧١/٢ - ١٧٣، نهاية الأرب ١٣٠/١٧ - ١٣٣، عيون الأثر ٤٣/٢ - ٤٨، عيون التواريخ ١٨٤/١ - ١٨٦، سيرة ابن كثير ١٣٩/٣ - ١٤٤، مرآة الجنان ٩/١، تاريخ الإسلام (المغازي)، الروض الأنف ٢٣٨/٣، البداية والنهاية ٧١/٤ - ٧٤، مجمع الزوائد ١٢٥/٦ - ١٣٠.

المشركون والمحرّم -، ثم بعث رسول الله ﷺ أصحاب بثر معونة في صفر، على رأس أربعة أشهر من أحد.

وكان من حديثهم، كما حدثني أبي إسحاق بن يسار عن المغيرة بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام، وعبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم، وغيره من أهل العلم، قالوا: قدم أبو براء عامر بن مالك بن جعفر ملاعب الأستة^(١) على رسول الله ﷺ المدينة، فعرض عليه رسول الله ﷺ الإسلام، ودعاه إليه، فلم يسلم ولم يتعد من الإسلام، وقال: يا محمد، لو بعثت رجلاً من أصحابك إلى أهل نجد، فدعّوهم إلى أمرك، رجوت أن يستجيبوا لك؛ فقال رسول الله ﷺ: إني أخشى عليهم أهل نجد؛ قال أبو براء: أنا لهم جار، فابعثهم فليدعّوا الناس إلى أمرك.

فبعث رسول الله ﷺ المنذر بن عمرو، أخا بني ساعدة، المغنق ليّموت^(٢) في أربعين رجلاً^(٣) من أصحابه، من خيار المسلمين، منهم: الحارث بن الصّمة، وحرام بن ملحان أخو بني عدي بن النّجار، وعزوة بن أسماء بن الصّلت السّلمي، ونافع بن بديل بن زرقاء الخزاعي، وعامر بن فهيرة مولى أبي بكر الصّديق، في رجال مُسمّين من خيار المسلمين^(٤). فساروا حتى نزلوا ببثر معونة، وهي بين أرض بني عامر وحرّة بني سليم، كلا البلدين منها قريب، وهي إلى حرّة بني سليم أقرب.

فلما نزلوها بعثوا حرام بن ملحان بكتاب رسول الله ﷺ إلى عدو الله عامر بن الطفيل؛ فلما أتاه لم ينظر في كتابه حتى عدا على الرجل فقتله، ثم استصرخ عليهم بني عامر، فأبوا أن يجيبوه إلى ما دعاهم إليه، وقالوا: لن نخفر^(٥) أبا براء، وقد عقد لهم عقداً وجواراً؛ فاستصرخ عليهم قبائل من بني سليم من عصيّة ورغل ودكوان، فأجابوه إلى ذلك، فخرجوا حتى غشوا القوم، فأحاطوا بهم في رحالهم، فلما رأوهم أخذوا سيوفهم، ثم قاتلوهم حتى قتلوا من عند آخرهم، يرحمهم الله، إلا كعب ابن زيد، أخا بني دينار بن النّجار، فإنهم تركوه وبه رمق، فارتث من بين القتلى^(٦)، فعاش حتى قتل يوم الخندق شهيداً، رحمه الله^(٧).

وكان في سرح القوم عمرو بن أمية الضمري، ورجل من الأنصار، أحد بني عمرو بن عوف.

قال ابن هشام: هو المنذر بن محمد بن عقبة بن أحيحة بن الجلاح.

قال ابن إسحاق: فلم يُنبئهما بمصاب أصحابهما إلا الطير تحوم على العسكر، فقالا: والله إن لهذه الطير لشأناً، فأقبلا لينظرا، فإذا القوم في دمائهم، وإذا الخيل التي أصابتهم واقفة. فقال

(١) وهو عامر بن مالك بن جعفر بن كلاب بن ربيعة بن صعصعة، سُمي ملاعب الأستة في يوم سوبان، وهو يوم كانت فيه ربيعة في أيام جبلة، وهي أيام حرب كانت بين قيس وتميم، وجبلة اسم لهضبة عالية. وكان سبب تسميته في يوم سوبان ملاعب الأستة أن أخاه الذي يقال له فارس فُزل، وهو طفيل بن مالك، كان أسلمه في ذلك اليوم، وفرّ فقال عمر:

فررت وأسلمت ابن أمك عامراً
يلعب أطراف الوشيج المزعزع

(الروض الأنف ٣/٢٣٨).

(٢) لقب لُقّب به لأنه أسرع إلى الموت.

(٣) الصحيح أنهم كانوا سبعين كما وقع في البخاري ومسلم.

(٤) تاريخ الطبري ٢/٥٤٦.

(٥) الإخفار: نقض العهد.

(٦) أي رفع من بين القتلى وفيه رمق.

(٧) تاريخ الطبري ٢/٥٤٦، ٥٤٧.

الأنصاري لعمرو بن أمية: ما ترى؟ قال: أرى أن نلحق برسول الله ﷺ، فنُخبره الخبر؛ فقال الأنصاري: لكني ما كنت لأرغب بنفسي عن موطن قُتل فيه المُنذر بن عمرو، وما كنت لثُخبرني عنه الرجال؛ ثم قاتل القوم حتى قُتل، وأخذوا عمرو بن أمية أسيراً؛ فلما أخبرهم أنه من مُضر، أطلقه عامر بن الطفيل، وجزّ ناصيته، وأغتنقه عن رقبة زعم أنها كانت على أمه^(١).

فخرج عمرو بن أمية، حتى إذا كان بالقرقرة من صدر قناة^(٢)، أقبل رجلان من بني عامر.

قال ابن هشام: ثم من بني كلاب، وذكر أبو عمرو المدني أنهما من بني سليم.

قال ابن إسحاق: حتى نزلا معه في ظل هو فيه. وكان مع العامريين عقْد من رسول الله ﷺ وجوار، لم يعلم به عمرو بن أمية، وقد سألهما حين نزلا، ممن أنتما؟ فقالا: من بني عامر، فأملهما، حتى إذا ناما، عدا عليهما فقتلهما، وهو يرى أنه قد أصاب بهما تُورَة من بني عامر، فيما أصابوا من أصحاب رسول الله ﷺ، فلما قدم عمرو بن أمية على رسول الله ﷺ، فأخبره الخبر، قال رسول الله ﷺ: لقد قتلت قَتيلين، لأديتَهما!^(٣)

ثم قال رسول الله ﷺ: هذا عمل أبي براء، قد كنت لهذا كارهاً متخوفاً. فبلغ ذلك أبا براء، فشق عليه إخفاؤُ عامر إياه، وما أصاب أصحاب رسول الله ﷺ بسببه وجواره؛ وكان فيمن أُصيب عامر ابن فهيرة^(٤).

قال ابن إسحاق: فحدثني هشام بن عروة، عن أبيه: أن عامر بن الطفيل كان يقول: مَنْ رجل منهم لَمَّا قُتِل رأيتُه رُفِع بين السماء والأرض، حتى رأيت السماء من دونه؟ قالوا: هو عامر بن فهيرة^(٥).

قال ابن إسحاق: وقد حدثني بعض بني جبّار بن سلمى بن مالك بن جعفر، قال - وكان جبّار فيمن حضرها يومئذ مع عامر ثم أسلم - قال فكان يقول: إن مما دعاني إلى الإسلام أنني طعنتُ رجلاً منهم يومئذ بالرمح بين كتفيه، فنظرتُ إلى سنان الرمح حين خرج من صدره، فسمعتُه يقول: فُزْتُ والله! فقلت في نفسي: ما فاز! ألسْتُ قد قتلتُ الرجل! قال: حتى سألت بعد ذلك عن قوله، فقالوا: للشهادة؛ فقلت: فاز لعمرو الله^(٦).

قال ابن إسحاق: وقال حسان بن ثابت يحرض بني أبي براء على عامر بن الطفيل:

(١) المغازي لعروة ١٧٩، ١٨٠، تاريخ الإسلام (المغازي)، تاريخ الطبري ٥٤٧/٢.

(٢) مكان قريب من المدينة.

(٣) انظر المغازي لعروة ١٨٠ ومجمع الزوائد، وقال: رواه الطبراني.

(٤) تاريخ الطبري ٥٤٧/٢.

(٥) هذه رواية البكائي عن ابن إسحاق، وروى يونس بن بكير عنه بهذا الإسناد أن عامر بن الطفيل قدم المدينة بعد ذلك، وقال للنبي عليه السلام: من رجل يا محمد لما طعنته رُفِع إلى السماء؟ فقال: هو عامر بن فهيرة، وروى عبد الرزاق وابن المبارك أن عامر بن فهيرة التمس في القتلى، فقُتِل، فيرون أن الملائكة رفعتُه أو دفنته. (الروض الأنف ٢٣٩/٣).

والحديث أخرجه البخاري في المغازي (٤٣/٥، ٤٤)، باب غزوة الرجيع، وانظر تاريخ الطبري ٥٤٨/٢.

(٦) تاريخ الطبري ٥٤٨/٢.

وَأَنْتُمْ مِنْ ذَوَائِبِ أَهْلِ نَجْدٍ
لِيُخْفِرَهُ وَمَا خَطَأَ كَعْمَدٍ
فَمَا أَحْدَثَتْ فِي الْحَدَثَانِ بَعْدِي
وَخَالَكَ مَا جَدَّ حَكَمَ بِنُ سَعْدٍ^(٢)

بَنِي أُمِّ الْبَنِينِ^(١) أَلَمْ يَرْغَبْكُمْ
تَهَكُّمُ عَامِرٍ بِأَبِي بَرَاءٍ
أَلَا أَبْلِغُ رَبِيعَةَ ذَا الْمَسَاعِي
أَبُوكَ أَبُو الْخُرُوبِ أَبُو بَرَاءٍ

قال ابن هشام: حكم بن سعد: من الفئتين بن جسر؛ وأم البنين: بنت عمرو ابن عامر بن ربيعة ابن عامر بن صعصعة، وهي أم أبي براء.

قال ابن إسحاق: فحمل ربيعة بن عامر بن مالك على عامر بن الطفيل، فطعمته بالرمح، فوقع في فخذه، فأشواه، ووقع عن فرسه، فقال: هذا عمل أبي براء، إن أمت قديمي لعلمي، فلا يتبعن به، وإن أعش فسأرى رأيي فيما أتيت إلي.

وقال أنس بن عباس السلمى، وكان خال طعيمة بن عدي بن نوفل، وقتل يومئذ نافع بن بديل ابن ورقاء الخزاعي:

تَرَكْتُ ابْنَ وَرْقَاءِ الْخُزَاعِيِّ ثَاوِيًا
ذَكَرْتُ أَبَا الرِّيَّانِ لِمَا رَأَيْتَهُ^(٣)
وَأَبُو الرِّيَّانِ: طَعِيمَةُ بِنِ عَدِيٍّ.

وقال عبد الله بن ربيعة يبكي نافع بن بديل بن ورقاء:

(١) أم البنين: هي ليلي بنت عامر التي يذكرها ليبيد في قوله:

نَحْنُ بَنِي أُمِّ الْبَنِينِ الْأَرْبَعَةَ

لم يكونوا أربعة بل كانوا إخوة خمسة: طفيل فارس فززل، وعامر ملاعب الأسته، وربيعة المقترين وهو والد ليبيد، وغبيدة الوضاح، ومعاوية معوذ الحكماء وهو الذي يقول:

إِذَا سَقَطَ السَّمَاءُ بِأَرْضِ قَوْمٍ
وَفِي هَذَا الشَّعْرِ يَقُولُ:

يَعْمُودُ مِثْلَهَا الْحِكْمَاءُ بَعْدِي
وَبِهَذَا الْبَيْتِ سُمِّيَ مَعُودُ الْحِكْمَاءِ.

ولإنهم عتي ليبيد حين قال بين يدي النعمان بن المنذر:

نَحْنُ بَنِي أُمِّ الْبَنِينِ الْأَرْبَعَةَ
وَالضَّرَارِيُونَ الْهَامُ تَحْتَ الْخَيْضَعَةَ
يَا رَبِّ هَيْجَا هِيَ خَيْرٌ مِنْ دَعَا

وإنما قال: الأربعة، وهم خمسة، لأن أباه ربيعة قد كان مات قبل ذلك، لا كما قال بعض النحويين أنه قال إنما قال أربعة، ولم يقل خمسة من أجل القوافي، فيقال له: لا يجوز للشاعر أن يلحن لإقامة وزن الشعر، فكيف بأن يكذب لإقامة الوزن، وأعجب من هذا أنه استشهد به على تأويل فاسد تأوله في قوله تعالى: ﴿وَلَمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٍ﴾ وقال: أراد جنة واحدة، وجاء بلفظ التثنية، لتفق رؤوس الآي. (الروض الأنف ٣/٢٣٨).

(٢) الأبيات في: تاريخ الطبري ٥٤٨/٢، وديوان حسان ١٠٧، وعيون الأثر ٤٥/٢، وعيون التواريخ ١٨٦/١، تاريخ الإسلام (المغازي)، وورد بيتان في الكامل في التاريخ ١٧٢/٢، ومجمع الزوائد ١٢٧/٦.

(٣) في المغازي للواقدي «عرفته».

(٤) في المغازي «يوم».

(٥) البيتان في المغازي للواقدي ٣٥٣/١.

رحمة المُبتَغِي ثَوَابِ الْجِهَادِ
أَكْثَرَ الْقَوْمِ قَالَ قَوْلَ السُّدَادِ^(١)

وَيُخَصُّ الْمُنْذِرَ بِنِ عَمْرٍو:
بَدَمَعَ الْعَيْنَ سَحَاً غَيْرَ نَزْرٍ
مَنَائِيهِمْ وَلَا قَتْهِمْ بِقُدْرٍ
تُخُونُ عَقْدُ حَبْلِهِمْ بِعَدْرٍ
وَأَعْتَقَ^(٢) فِي مَنِيَّتِهِ بَصْبِرٍ
مَنْ أْبِيضَ مَاجِدٍ مِنْ سَرِّ عَمْرٍو^(٣)

رَجِمَ اللَّهُ نَافِعَ بْنَ بُدَيْلٍ
صَابِرَ صَادِقٍ وَفِي إِذَا مَا

وَقَالَ حَسَّانُ بْنُ ثَابِتٍ يَبْكِي قَتْلِي بِثَرِّ مَعُونَةَ،
عَلَى قَتْلِي مَعُونَةَ فَاسْتَهْلِي
عَلَى خَيْلِ الرَّسُولِ غَدَاةً لَأَقْوَا
أَصَابَهُمُ الْفَنَاءُ بَعْقِدِ قَوْمٍ
فَيَا لَهْفِي لِمُنْذِرٍ إِذْ تَوَلَّى
وَكَائِنٌ قَدْ أَصِيبُ غَدَاةً ذَاكُمِ

قال ابن هشام: أنشدني آخرها بيتاً أبو زيد الأنصاري.

وأنشدني لكعب بن مالك في يوم بئر معونة، يُعَيِّرُ بَنِي جَعْفَرِ بْنِ كَلَابِ:

مَخَافَةَ حَزْبِهِمْ عَجْزاً وَهُوناً
لَمَدَ بِحَبْلِهَا حَبْلًا مَتِينًا^(٤)
وَقَدِمْنَا مَا وَقَفُوا إِذْ لَاتَفُونَا

تَرْكُكُمْ جَارَكُمْ لَبْنِي سُلَيْمٍ
فَلَوْ حَبْلًا تَنَاوَلْ مِنْ عَقِيلٍ
أَوْ الْقُرْطَاءِ مَا إِنْ أَسْلَمُوهُ

قال ابن هشام: القُرطاء: قبيلة من هوازن، ويُروى «من نقيل» مكان «من عقيل»، وهو الصحيح؛

لأن القُرطاء من نقيل قريب.

أمر إجلاء بني النضير^(٥)

في سنة أربع

قال ابن إسحاق: ثم خرج رسول الله ﷺ إلى بني النضير يستعينهم في دية ذينك القَتيلين من بني عامر، اللذين قتل عمرو بن أمية الضمري، للجوار الذي كان رسول الله ﷺ عقد لهما، كما حدثني يزيد بن زومان، وكان بين بني النضير وبين بني عامر عقد وجلف. فلما أتاهم رسول الله ﷺ يستعينهم في دية ذينك القَتيلين، قالوا: نعم، يا أبا القاسم، نُعينك على ما أحببت، مما استعنت بنا عليه. ثم خلا بعضهم ببعض، فقالوا: إنكم لن تجدوا الرجل على مثل حاله هذه - ورسول الله ﷺ إلى جنب جدار من بيوتهم قاعد - فمَنْ رَجُلٌ يَعْلُو عَلَى هَذَا الْبَيْتِ، فَيُلْقِي عَلَيْهِ صَخْرَةً، فَيَرِيحُنَا مِنْهُ؟ فَانْتَدَبَ

(١) في المغازي للواقدي ١/٣٥٣.

«صارم صادق اللقاء إذا ما أكثر الناس قال قول السداد»

(٢) أعتق: أسرع. (٣) السر: الخالص.

(٤) يريد بالحبل: العهد.

(٥) انظر عنهم في: تاريخ الطبري ٢/٥٥٠ - ٥٥٥، الطبقات الكبرى ٢/٥٧ - ٥٩، المغازي للواقدي ١/٣٦٣ - ٣٨٣، أنساب الأشراف ١/٣٣٩ رقم ٧٢٥، المحبر ١١٣، البدء والتاريخ ٤/٢١٢، الكامل في التاريخ ٢/١٧٣ - ١٧٤، نهاية الأرب ١٧/١٣٧ - ١٤٨، تاريخ الإسلام (المغازي)، عيون الأثر ٢/٤٨ - ٥٢، عيون التواريخ ١/١٨٧، ١٨٨، مرآة الجنان ١/٩، سيرة ابن كثير ٣/١٤٥ - ١٥٤، مجمع الزوائد ٦/١٢٥، الروض الأنف ٣/٢٥٠ - ٢٥٣.

لذلك عمرو بن جحاش بن كعب، أحدهم، فقال: أنا لذلك، فصعد لِيُلْقِي عليه صخرة كما قال، ورسول الله ﷺ في نفر من أصحابه، فيهم أبو بكر وعمر وعلي، رضوان الله عليهم.

فأتى رسول الله ﷺ الخبز من السماء بما أراد القوم، فقام وخرج راجعاً إلى المدينة. فلما استلبث النبي ﷺ أصحابه، قاموا في طلبه، فلحقوا رجلاً مُقبلاً من المدينة، فسأله عنه؛ فقال: رأيتُه داخلًا المدينة. فأقبل أصحاب رسول الله ﷺ حتى انتهوا إليه ﷺ، فأخبرهم الخبر، بما كانت اليهود أرادت من العذر به، وأمر رسول الله ﷺ بالتهيؤ لحزبهم، والسير إليهم^(١).

قال ابن هشام: واستعمل على المدينة ابن أم مكتوم.

قال ابن إسحاق^(٢): ثم سار بالناس حتى نزل بهم.

قال ابن هشام: وذلك في شهر ربيع الأول، فحاصروهم ست ليال، ونزل تحريم الخمر.

قال ابن إسحاق: فتحصنوا منه في الحصون، فأمر رسول الله ﷺ بقطع النخيل والتخريق فيها، فنادوه: أن يا محمد، قد كنت تنهى عن الفساد، وتعيبه على من صنعه، فما بال قطع النخل وتحريقها؟^(٣)

وقد كان رهط من بني عوف بن الخزرج، منهم عدو الله عبد الله بن أبي بن سلول ووديعة ومالك بن أبي قوقل، وسويد وداعس، قد بعثوا إلى بني النضير: أن اثبتوا وتمنعوا، فإننا لن نسلمكم، إن قوتلتهم قاتلتنا معكم، وإن أخرجتم حَرَجنا معكم، فترئصوا ذلك من نضرهم، فلم يفعلوا، وقذف الله في قلوبهم الرعب، وسألوا رسول الله ﷺ أن يُجلبهم، ويكف عن دمائهم، على أن لهم ما حملت الإبل من أموالهم إلا الحلقة^(٤)، ففعل. فاحتملوا من أموالهم ما استقلت به الإبل، فكان الرجل منهم يهدم بيته عن نجاف^(٥) باب، فيضعه على ظهر بعيره فينطلق به. فخرجوا إلى خيبر، ومنهم من سار إلى الشام.

فكان أشرفهم من سار منهم إلى خيبر: سلام بن أبي الحقيق، وكنانة بن الربيع بن أبي الحقيق، وحيي بن أخطب. فلما نزلوها دان لهم أهلها^(٦).

قال ابن إسحاق: فحدثني عبد الله بن أبي بكر أنه حدث: أنهم استقلوا بالنساء والأبناء والأموال، معهم الدفوف والمزامير، والقيان يغزفن خلفهم، وإن فيهم لأم عمرو صاحبة عروة بن الورد العبسي، التي ابتاعوا منه، وكانت إحدى نساء بني غفار^(٧)،

(١) الخبر في تاريخ الطبري ٥٥١/٢، ٥٥٢، وانظر المغازي للواقدي ٣٦٤/١، ٣٦٥.

(٢) الخبر في تاريخ الطبري ٥٥٢/٢.

(٣) قال أهل التأويل: وقع في نفوس المسلمين من هذا الكلام شيء، حتى أنزل الله تعالى: ﴿ما قطعتم من لينة أو تركتموها قائمة على أصولها﴾. واللينة ألوان الثمر ما عدا العجوة والبرني. ففي هذه الآية أن النبي ﷺ - لم يحرق من نخلهم إلا ما ليس بقوت للناس وكانوا يقتاتون العجوة. (الروض الأنف ٣/٢٥٠).

(٤) الحلقة: السلاح. (٥) النجاف: عتبة الباب العليا.

(٦) الخبر في تاريخ الطبري ٥٥٤/٢.

(٧) لم يذكر اسمها في رواية البكائي عنه، وذكره في غيرها، وهي سلمى. قال الأصمعي: اسمها ليلي بنت شعواء، وقال أبو الفرج: هي سلمى أم وهب امرأة من كنانة، كانت ناكحاً في مزينة، فأغار عليهم عروة بن الورد، فسبها، وذكر =

بزهاء^(١) وقُفِّر ما رُئِيَ مثله من حيٍّ من الناس في زمانهم.

وخلُّوا الأموال لرسول الله ﷺ، فكانت لرسول الله ﷺ خاصةً، يضعها حيث يشاء، فقسَّمها رسول الله ﷺ على المهاجرين الأولين دون الأنصار. إلا أن سهل بن حنيف وأبا دُجانة سِماك بن خُرشة ذكرا فقراً، فأعطاهما رسول الله ﷺ.

ولم يُسلم من بني النضير إلا رجلا ن: يامين بن عمير، أبو كعب بن عمرو بن جحاش، وأبو سعد بن وهب، أسلما على أموالهما فأحزراهما^(٢).

قال ابن إسحاق: وقد حدثني بعض آل يامين: أن رسول الله ﷺ قال ليامين: ألم تر ما لقيت من ابن عمك، وما هم به من شأني؟ فجعل يامين بن عمير لرجل جُعلاً على أن يقتل له عمرو بن جحاش، فقتله فيما يزعمون^(٣).

ما نزل في بني النضير من القرآن: ونزل في بني النضير سورة الحشر بأسرها، يذكر فيها ما أصابهم الله به من نعمته، وما سلط عليهم به رسوله ﷺ، وما عمل به فيهم، فقال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَحْرَقَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ^(٤) مَا ظَنَنْتُمْ أَنْ يَخْرُجُوا وَظَنُّوا أَنَّهُمْ مَانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِنَ اللَّهِ فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الحشر: ٢٥]، وذلك لهذمهم بيوتهم عن نُجف أبوابهم إذا احتملوها. ﴿فَاعْتَرِضُوا يَأْتُوا الْبُصَيْرَ ﴿١﴾ وَلَوْلَا أَنْ كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ آيَةَ ﴿٢﴾﴾ [الحشر: ٢، ٣] وكان لهم من الله نعمة، ﴿لَمَذَّبَهُمْ فِي الدُّنْيَا﴾ [الحشر: ٣]، أي بالسيف، ﴿وَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابُ النَّارِ﴾ [الحشر: ٣] مع ذلك. ﴿مَا قَطَعْتُمْ مِنْ لَيْسَةٍ أَوْ نَكَتْهُمُ قَائِمَةٌ عَلَى أُصُولِهَا﴾ [الحشر: ٥]. والليئة: ما خالف العجوة من النخل ﴿فَيَاذَنْ لِلَّهِ﴾ [الحشر: ٥]، أي فبأمر الله قُطعت، لم يكن فساداً، ولكن كان نعمة من الله ﴿وَالْيَحْرَىٰ الْفَلْسِيقِينَ﴾ [الحشر: ٥].

قال ابن هشام: الليئة: من الألوان، وهي ما لم تكن بزئية^(٥) ولا عَجوة من النخل، فيما حدثنا أبو عبيدة. قال ذو الرمة:

كَأَنَّ قُتُودِي فَرَقَهَا عَشُّ طَائِرٍ عَلَى لَيْئَةٍ سَوَقَاءَ تَهْفُو جُثُوبِهَا^(٦)

= الحديث، وقول أبي الفرج إنها من كنانة لا يدفع قول ابن إسحاق إنها من غفار، لأن غفار من كنانة. غفار بن مليل بن ضمرة بن ليث بن بكر بن عبد مناة بن كنانة (الروض الأنف ٢٥٢/٣).

(١) بزهاء: بإعجاب وكبر. (٢) الخبر في تاريخ الطبري ٥٥٤/٢، ٥٥٥.

(٣) المغازي للواقدي ١/ ٣٧٤.

(٤) روى موسى بن عقبة أنهم قالوا له: إلى أين نخرج يا محمد؟ قال: إلى الحشر، يعني: أرض المحشر، وهي الشام، وقيل: إنهم كانوا من بسط لم يصيهم جلاء قبلها، فلذلك قال: لأول الحشر، والحشر: الجلاء، وقيل إن الحشر الثاني، هو حشر النار التي تخرج من قعر عدن، فتحشر الناس إلى الموقف، تبيت معهم، حيث باتوا، وتقيل معهم حيث قالوا، وتأكل من تخلف، والآية متضمنة لهذه الأقوال كلها، والزائد عليها، فإن قوله: لأول الحشر يؤذن أن تم حشراً آخر، فكان هذا الحشر والجلاء إلى خيبر، ثم أجلاهم عمر من خيبر إلى تيماء وأريحا، وذلك حين بلغه التثبت عن النبي ﷺ أنه قال: لا يبينن دينان بأرض العرب. (الروض الأنف ٢٥١/٣).

(٥) البرنية: واحدة البرني، وهو ضرب من التمر أصفر مدور، وهو أجود التمر.

(٦) القتود: الرُّحْل مع أدواته. السوقاء: عظيمة الساق. الجنوب: النواحي.

وهذا البيت في قصيدة له .

﴿ وَمَا آفَاءَ اللَّهِ عَلَى رَسُولِهِ مِنْهُمْ ﴾ [الحشر: ٦] - قال ابن إسحاق: يعني من بني النضير - ﴿ فَمَا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ وَلَكِنَّ اللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [الحشر: ٦]، أي له خاصة .

قال ابن هشام: أوجفتم: حرركم وأتعبتم في السير . قال تميم بن أبي بن مُقْبِل أحد بني عامر بن صَفْصَةَ:

مذاويد بالبيض^(١) الحديثِ صِقَالِهَا عن الرِّكْبِ أحياناً إذا الرِّكْبُ أَوْجَفُوا
وهذا البيت في قصيدة له، وهو الوجيف . وقال أبو زيد الطائي، واسمه خزملة بن المُثَنِّر:
مُسْنَفَاتُ كَأَنَّهُنَّ قَنَا الْهَيْثُ بِدِ لَطُولِ الْوَجِيفِ جَذَبَ الْمَرُودُ^(٢)
وهذا البيت في قصيدة له،

قال ابن هشام: السَّنَاف: البِطَان . والوجيف أيضاً: وجيف القلب والكبد، وهو الضَّرْبَان . قال قيس بن الحَظِيم الظَّفَرِي:

إِنَّا وَإِنْ قَدَّمُوا السَّيِّئَةَ عَلِمُوا أَكْبَادُنَا مِنْ وَرَائِهِمْ تَجِفُّ
وهذا البيت في قصيدة له .

﴿ مَا آفَاءَ اللَّهِ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّهِ وَالرَّسُولِ ﴾ [الحشر: ٧] - قال ابن إسحاق: ما يُوجِف عليه المسلمون بالخيال والركاب وفتح بالحرب عنوة فلله وللرسول - ﴿ وَإِلَى الْقُرَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسْكِينِ وَإِنَّ السَّبِيلَ كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةٌ بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ وَمَا عَلَيْكُمْ أَلْسِنَةٌ أَوْ بَدَنَةٌ ﴾ [الحشر: ٧] . يقول: هذا قَسَم آخر فيما أُصيب بالحرب بين المسلمين، على ما وضعه الله عليه .

ثم قال تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا ﴾ [الحشر: ١١] يعني عبد الله بن أبي وأصحابه، ومن كان على مثل أمرهم ﴿ يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ ﴾ [الحشر: ١١]، يعني بني النضير، إلى قوله: ﴿ كَتَلِ الَّذِينَ مِنْ قِبَلِهِمْ ﴾ ذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَهُمْ عَدَاؤُ الْإِيمِ ﴿ ١٥ ﴾ [الحشر: ١٥]، يعني بني قَيْنُقَاع . ثم القصة - إلى قوله: ﴿ كَتَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴿ ١٦ ﴾ فَكَذَّبَهُ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي الْبَلَدِ الْمُنْفَرَةِ وَكَذَلِكَ جَزَاؤُ الظَّالِمِينَ ﴿ ١٧ ﴾ ﴾ [الحشر: ١٧، ١٦] .

وكان مما قيل في بني النضير من الشعر قولُ ابن لُقَيْمِ العَبْسِيِّ، ويقال: قاله قيس بن بَخر بن طَرِيف . قال ابن هشام: قيس بن بحر الأشجعي - فقال:

أَهْلِي فِدَاءٌ لِمَرِيءٍ غَيْرِ هَالِكٍ أَحَلَّ الْيَهُودَ بِالْحَسِيِّ الْمُرْتَمِّمِ^(٣)

(١) المذاويد: المدافعون عن قومهم . والبيض: السيوف .

(٢) مُسْنَفَات: مشدودات بالأحزمة . والمرود: الموضع الذي يطلب فيه المرعى .

(٣) يريد: أحلهم بأرض غربة، وفي غير عشايرهم، والزئيم: الرجل يكون في القوم، وليس منهم، أي أنزلهم بمنزلة الحسي، أي المُبْعَد الطريد، وإنما جعل الطريد الذليل حسياً لأنه عرضة للأكل، والحسي والحسو ما يُحسى من الطعام حسواً، أي أنه لا يمتنع على أكل، ويجوز أن يريد بالحسي معنى الغدّي من الغنم، وهو الصغير الضعيف الذي لا يستطيع =

يَقِيلُونَ فِي جَمْرِ الْغَضَاةِ وَيُدَلُّو
فَإِنَّ يَكُ ظَنِّي صَادِقاً بِمُحَمَّدٍ
يَوْمَ بِهَا عَمْرَوُ بْنُ بُهْثَةَ إِنَّهُمْ
عَلَيْهِمْ أَبْطَالٌ مَسَاعِيرُ فِي الْوَعَى
وَكُلُّ رَقِيقِ الشُّفْرَتَيْنِ مَهْتَدٌ
فَمَنْ مُبْلَغٌ عَنِّي فَرِيشاً رِسَالَةً
بِأَنَّ أَخَاكُم فَاعْلَمَنَّ مُحَمَّدَاً
فَدِيئُوا لَهُ بِالْحَقِّ تَجَسُّمَ أُمُورِكُمْ
نَبِيِّ تَلَاقْتُهُ مِنَ اللَّهِ رَحْمَةً
فَقَدْ كَانَ فِي بَدْرِ لَعَمْرِي عِبْرَةً
غَدَاةً أَتَى فِي الْخَزْرَجِيَّةِ عَامِداً
مُعَانَاً بِرُوحِ الْقُدُسِ يُنْكِي عَدُوَّهُ
رَسُولاً مِنَ الرَّحْمَنِ يَثْلُو كِتَابَهُ
أَرَى أَمْرَهُ يَزْدَادُ فِي كُلِّ مَوْطِنٍ

قال ابن هشام: عمرو بن بهثة، من غطفان. وقوله: «بالحسي المزمم»، عن غير ابن إسحاق.

قال ابن إسحاق: وقال علي بن أبي طالب: يذكر إجلاء بني النضير، وقتل كعب بن الأشرف.

قال ابن هشام: قالها رجل من المسلمين غير علي بن أبي طالب، فيما ذكر لي بعض أهل العلم بالشعر، ولم أر أحداً منهم يعرفها لعلّي:

عَرَفْتُ وَمَنْ يَغْتَدِلُ يَغْرِفِ
عَنِ الْكَلِمِ الْمُخَكَّمِ الْإِلَاءِ مِنْ
رِسَائِلُ تُذَرَسُ فِي الْمُؤْمِنِينَ
فَأَضْبَحَ أَحْمَدُ فِينَا عَزِيزاً
فِي أَيِّهَا الْمُؤَعِدُوهُ سَفَاهَاً
وَأَيَقَنْتُ حَقّاً وَلَمْ أَضْدِفِ^(٧)
لِلدَى اللَّهِ ذِي الرَّأْفَةِ الْأَرَاْفِ
بِهَنْ أَصْطَفَى أَحْمَدَ الْمُضْطَفِي
عَزِيزَ الْمَقَامَةِ وَالْمَوْقِفِ
وَلَمْ يَأْتِ جَوْرًا وَلَمْ يَغْتَفِ

= الرعي، يقول: بذلوا بالمال الذئب والإبل الكوم، وذال المال وغذاء الغنم، والمزتم منه، فهذا وجه يحتمل، وقد أكثر البحث عن الحسي في مظاهره من اللغة فلم أجد نصاً شافياً أكثر من قول أبي علي: الحسية، والحسي، ما يحسى من الطعام، وإذا قد وجدنا الغدي واحد غذاء الغنم، فالحسي في معناه غير ممتنع أن يقال، والله أعلم. والمزتم أيضاً: صغار الإبل - (الروض الأنف ٣/ ٢٥١).

(١) الغضاة: الشجر، الأهيض: المكان المرتفع. عودي: اسم مكان. الودي المكتم: صغار النخل الذي خرج طلعته.

(٢) الوشيح: الرياح.

(٣) الحججون: موضع في مكة.

(٤) المرجم: غير المتيقن.

(٥) المعلم: الموضع العالي.

(٦) حمه: قدره.

(٧) أضدف: أعرض.

وما آمن الله كالأخوف
 كمضرع كعب أبي الأشرف
 وأعرض كالجمال الأجنف^(١)
 بوخي إلى عبده ملطف
 بأبيض ذي هبة مزهف^(٢)
 متى يُنزع كعب لها تذرّف
 فإنا من النوح لم نشتف
 دحوراً على رغم الآنف^(٣)
 وكانوا بدار ذوي زخرف
 على كل ذي دبر أعجف^(٤)

بمقتل كعب أبي الأشرف
 ولم يأت غدرأ ولم يُخلف
 يُدبّل من العادل المنصف^(٥)
 وعفر النخيل ولم تُقطف
 وكل حسام معاً مزهف
 متى يلق قزناً له يُثلف
 إذا غاور القوم لم يضمف
 أخي غابة هاصر أجوف^(٦)
 قال ابن إسحاق: وقال كعب بن مالك يذكر إجلاء بني النضير وقتل كعب بن الأشرف:

كذلك الدهر ذو صرّف يدور
 عزيز أمره أمر كبير
 وجاءهم من الله التذير
 وآيات مبينة تُنير

ألستم تخافون أدنى العذاب
 وأن تُضرعوا تحت أسيفه
 غداة رأى الله طغيانه
 فأنزل جبريل في قتلته
 قدس الرسول رسولاً له
 قبائت عيون له مغولات
 وقلن لأحمد ذناً قليلاً
 فخلأهم ثم قال اظعنوا
 وأجلى النضير إلى غزبة
 إلى أذرع^(٧) ردأقى وهم
 فأجابه سَمَك اليهودي، فقال:

إن تفخروا فهو فخر لكم
 غداة غدوتم على حثفه
 فعل الليالي وصرف الدهور
 بقتل النضير وأخلافها
 فإن لا أمت نأتكم بالقنا
 بكف كمي به يختمي
 مع القوم صخر وأشياغه
 كليت يتزوج حمى غيله
 قال ابن إسحاق: وقال كعب بن مالك يذكر إجلاء بني النضير وقتل كعب بن الأشرف:

لقد خزيت بغدرتها الحبور^(٨)
 وذلك أنهم كفروا برّب
 وقد أوثقوا معاً فهماً وعلماً
 نذير صادق أذى كتاباً

(١) الأجنف: العائل إلى جهة.

(٢) رغم الآنف: أي رغم أنفكم، أي على هوان ومدلة.

(٣) ريد على جمل جريح هزيل.

(٤) أذرع: موضع بالشام.

(٥) يريد بالعدل المنصف محمداً ﷺ وقد أراد الملعون التهكم عليه ﷺ أو يكون كما قال أبو ذر في شرح السيرة أن يكون

اللفظ للمدح والمعنى للذم كما قال سبحانه وتعالى: ﴿ذق إنك أنت العزيز الكريم﴾.

(٦) ترح: جبل بالحجاز. وغيله: جمع غيلة وهي أجمة الأسد. والأجوف: عظيم الجوف.

(٨) الحبور: العلماء.

وَأَنْتَ بِمُنْكَرٍ مِّنَّا جَدِيرٌ
يُصَدِّقُنِي بِهِ الْفَهْمُ الْخَبِيرُ
وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ يُجْزَأَ الْكُفُورُ
وَحَادٍ بِهِمْ عَنِ الْحَقِّ التُّفُورُ
وَكَانَ اللَّهُ يَخُكُّكُمْ لَا يَجُورُ
وَكَانَ نَصِيرُهُ نِعْمَ النَّصِيرُ
فَذَلَّتْ بَعْدَ مَضْرَعَةِ النَّضِيرِ
بِأَيْدِينَا مُشْهَرَةٌ ذُكُورٌ^(١)
إِلَى كَغَبٍ أَخَا كَغَبٍ يَسِيرِ
وَمَخْمُودٌ أَخُو ثِقَّةٍ جَسُورِ
أَبَارِهِمْ^(٢) بِمَا اجْتَرَمُوا الْمُبِيرِ
رَسُولُ اللَّهِ وَهُوَ بِهِمْ بَصِيرِ
عَلَى الْأَعْدَاءِ وَهُوَ لَهُمْ وَزِيرِ
وَحَالَفَ^(٤) أَمْرَهُمْ كَذِبَ وَزُورِ
لِكُلِّ ثَلَاثَةٍ مِنْهُمْ بَعِيرِ
وَعُودٍ مِنْهُمْ نَخْلٌ وَدُورِ

بَلَيْلٍ غَيْرُهُ لَيْلٌ قَصِيرُ
وَكُلُّهُمْ لَهُ عِلْمٌ خَبِيرِ
بِهِ التُّورَةُ تَنْطِقُ وَالزُّبُورِ
وَقَدْ مَأْ كَانِ يَأْمَنُ مَنْ يُجِيرِ
وَمَحْمُودٌ سَرِيرَتُهُ الْفُجُورِ
يَسِيلُ عَلَى مَدَارِعِهِ عَبِيرِ^(٦)
أُصِيبَتْ إِذْ أُصِيبَ بِهِ النَّضِيرِ
بِكَغَبٍ حَوْلَهُمْ طَيْرٌ تَدُورِ
تُدْبِخُ وَهِيَ لَيْسَ لَهَا نَكِيرِ

فَقَالُوا مَا أَتَيْتَ بِأَمْرِ صَدِيقِ
فَقَالَ بَلَى لَقَدْ أَذَيْتَ حَقًّا
فَمَنْ يَتَّبِعْهُ يُهْدَلْ كُلُّ رُشْدِ
فَلَمَّا أَشْرَبُوا غَدْرًا وَكُفْرًا
أَرَى اللَّهَ النَّبِيَّ بِرَأْيِ صَدِيقِ
فَأَيْدِهِ وَسَلَّطَهُ عَلَيْهِمْ
فَعُودٍ مِنْهُمْ كَغَبٌ صَرِيحًا
عَلَى الْكُفَّيْنِ ثُمَّ وَقَدَعَلْتَهُ
بِأَمْرِ مُحَمَّدٍ إِذْ دَسَّ لَيْلًا
فَمَا كَرِهَ فَأَنْزَلَهُ بِمَكْرِ
فَتَيْلِكَ بَنُو النَّضِيرِ بَدَارِ سَوْءِ
غَدَاةٍ أَنَاهُمْ فِي الزُّخْفِ رَهْوًا^(٣)
وَعَسَّانَ الْحُمَاةَ مُوَازِرُوهُ
فَقَالَ السَّلْمُ وَيَخُكُّكُمْ فَصَدُّوا
فَذَاقُوا غِبَّ أَمْرِهِمْ وَبِالْأُ
وَأَجَلُّوا عَامِدِينَ لَقَيْتُقَاعِ
فَأَجَابَهُ سَمَّاكَ الْيَهُودِيَّ، فَقَالَ:

أَرِقْتُ وَضَافِنِي هَمٌّ^(٥) كَبِيرُ
أَرَى الْأَخْبَارَ تُنْكِرُهُ جَمِيعًا
وَكَانُوا النَّدَارِ سَيْنَ لِكُلِّ عِلْمِ
فَقَتَلْتُمْ سَيِّدَ الْأَخْبَارِ كَغَبِيًّا
تَدَلَّى نَحْوَ مُحَمَّدٍ أَخِيهِ
فَغَادَرَهُ كَأَنَّ دَمًا نَجِيعًا
فَقَدَّ وَأَبِيكُمْ وَأَبِي جَمِيعًا
فَلِإِنْ نَسَلْتُمْ لَكُمْ نَتْرَكَ رِجَالًا
كَأَنَّهُمْ عَتَائِرُ^(٧) يَوْمِ عِيدِ

(١) مشهورة: مسلولة. ذكور: قوية.

(٢) أبارهم: أهلهم.

(٣) الرهو: المشي في ثودة.

(٤) حالف: صاحب.

(٥) ضافني: نزل بي.

(٦) الدم النجيع: الطري. المدارع: ملابس من صوف. والعبير: الأخلاط من الطيب.

(٧) العتائر: الذبائح.

(١) مشهورة: مسلولة. ذكور: قوية.

(٣) الرهو: المشي في ثودة.

(٥) ضافني: نزل بي.

(٦) الدم النجيع: الطري. المدارع: ملابس من صوف. والعبير: الأخلاط من الطيب.

(٧) العتائر: الذبائح.

بِبيضٍ لا تُلِيْقُ^(١) لَهُنَّ عَظْمًا
كما لا قَيْتُمْ مِنْ بَأْسِ صَخْرٍ^(٢)

وقال عباس بن مرداس أخو بني سليم يمتدح رجال بني النضير:

لو أن أهل الدار لم يتصدعوا
فإنك عمري هل أريك ظعائناً
عليهن عين من ظباء تباله
إذا جاء باغي الخير قلن فجاءة
وأهلاً فلا ممنوع خير طلبته
فلا تحسبني كنت مولى ابن مشكم

فأجابه حوات بن جبير، أخو بني عمرو بن عوف، فقال:

تَبَكِّي على قَتْلَى يهودَ وقد ترى
فَهَلْأَ على قَتْلَى بَبْطَنِ أَرْبِيقِ
إذا السُّلْمِ دارت في صديق رددتها
عمدت إلى قذر لقومك تبتغي
فإنك لما أن كلفت تمذحاً
رحلت بأمر كنت أهلاً لمثله
فَهَلْأَ إلى قوم ملوك مدحتهم
إلى مغشّر صاروا ملوكاً وكترموا
أولئك أخرى من يهود بمذحة
فأجابه عباس بن مرداس السلمي، فقال:

هَجَوْتَ صرِيحَ الكاهِنِينَ وفيكم
أولئك أخرى لو بكيت عليهم

(١) لا تليق: لا تبقى ولا تذر.

(٢) الظعائن: النساء في الهوداج. الشطاة وتياب: موضعان.

(٤) العين: واسعات العينين. قبالة: موضع باليمن يشتهر بالظباء. ويصين: يذهبن العقل.

(٥) المسهب: المتغير الوجه.

(٧) الترتب: الثابت.

(٨) الكاهنان: قريظة والنضير، وفي الحديث: يخرج في الكاهنين رجل يدرس القرآن درساً لم يدرسه أحد قبله، ولا يدرسه أحد بعده، فكانوا يرونه محمداً بن كعب القرظي وهو محمد بن كعب بن عطية، والكاهن في اللغة بمعنى الكاهل، وهو الذي يقوم بحاجة أهله، إذا خلف عليهم، يقال: وهو كاهن أبيه وكاهله، قاله الهروي، فيحتمل أن يكون سُمِّي الكاهنان بهذا.

(٢) صخر: يقصد به أبا سفيان بن حرب.

(٦) المؤئل: القديم.

لهم نَعَمَ كانت من الدهر تُرْتباً^(٨)
وقومك لو أدوا من الحق موجباً

مِنَ الشَّجْوِ لو تَبَكِّي أَحَبُّ وَأَقْرَبُ
بَكَيْتَ ولم تُعْوِلِ مِنَ الشَّجْوِ مُسْهَباً^(٥)
وفي الدين صدأداً وفي الحزب تغلباً
لهم شَبَهًا كَيْما تَعِزَّ وَتَغْلِبُ
لمن كان عَيْباً مَدْحُهُ وَتَكْذُبا
ولم تُلَفِ فِيهِم قائلًا لك مَزْحَباً
تَبَبْنَا مِنَ العِزِّ المُؤئِلِ مُنْصِيباً^(٦)
ولم يُلَفِ فِيهِم طالِبُ العُرْفِ مُجْدِباً
نَراهُم وفيهِم عِزَّةُ المَجْدِ تُرْتَباً^(٧)

وأوفتُ فعلاً للذي كان أضوباً
لِيَبْلُغَ عِزّاً كان فيه مُرْكَباً
وقَتَلَهُمَ لِلجُوعِ إذ كنتُ مُجْدِباً
وأغْرِضُ عن المَكْرُوهِ منهم ونُكْباً^(٢)
لأَلْفَيْتَ عَمَّا قد تَقُولُ مُنْكَباً
يُقَالُ لبِاغِيِ الخَيْرِ أهلاً ومَرْحَباً

فأجابه كعب بن مالك، أو عبد الله بن رزاحة، فيما قال ابن هشام، فقال:

أطَارَتْ لُؤْيَا قَبْلُ شَرْقاً وَمَغْرِباً
فَعَادَ ذَلِيلاً بَعْدَ مَا كانَ أَغْلِباً
وقِيدَ ذَلِيلاً لِلْمَنَايا ابنُ أَخْطَبِا
خِلافَ يَدَيْهِ ما جَنَى حينَ أَجْلِبِا
وقد كان ذا في الناس أكَدى وأصْعَبِا^(٣)
وما عُيِّبِا عن ذاك فيمن تَعَيَّبِا
وكَعَبَ رَئِيسُ القومِ حانَ وخُيِّبِا^(٤)
إن أعقَبَ فَتَحَّ أو إن الله أعقَبِا

من الشُّكْرِ إنَّ الشُّكْرَ خَيْرٌ مَعْبَةٌ^(١)
فَكُنْتُ كَمَنْ أَمْسَى يُقَطِّعُ رَأْسَهُ
فَبِكَ بَنِي هَارُونَ واذكُرْ فَعَالَهُم
أخواتُ أذِرِ الدَّمْعَ بالدَّمْعِ وإبكِهِنَّ
فإنَّكَ لو لا قِيَّتَهُمَ في ديارِهِم
سِراعٌ إلى العَلْيَا كرامٌ لَدَى الوَغَى

لَعَمري لقد حَكَّتْ رَحَى الحربِ بعدما
بَقِيَّةَ آلِ الكاهِنِينَ وَعِزَّها
فطاحَ سَلامٌ وإبْنُ سَغِيَةِ عَنوَةٌ
وأجَلَبَ يَبْغِي العِزَّ والذَّلَّ بِنْتِغِي
كَتارِكِ سَهْلِ الأَرْضِ وَالْحَزْنَ هَمَّةُ
وَشَأْسٌ وَعِزَّالٌ وَقَدِ صَلِيا بِها
وَعَوْفُ بِنِ سَلْمَى وإبْنِ عَوْفِ كِلاهما
فَبُغْدَأٌ وَسُخْقاٌ لِلنُّضِيرِ ومِثْلِها

قال ابن هشام: قال أبو عمرو المدني: ثم غزا رسول الله ﷺ بعد بني النضير بني المضطلق. وسأذكر حديثهم إن شاء الله في الموضوع الذي ذكره ابن إسحاق فيه.

غزوة ذات الرقاع^(٥)

في سنة أربع

قال ابن إسحاق: ثم أقام رسول الله ﷺ بالمدينة بعد غزوة بني النضير شهر ربيع الآخر وبعض جمادى، ثم غزا نجداً يريد بني محارب وبني ثعلبة من غطفان، واستعمل على المدينة أبا ذر الغفاري؛ ويقال: عثمان بن عفان، فيما قال ابن هشام^(٦).

(٢) نكب: أبعده.

(١) المغنبة: العاقبة.

(٣) الحزن: الأرض العالية. الأكدى: الذي لم يبلغ حاجته.

(٤) حان: هلك.

(٥) انظر عنها في: المغازي للواقدي ١/٣٩٥-٤٠٢، الطبقات الكبرى ٢/٦١، ٦٢، تاريخ الطبري ٢/٥٥٥-٥٥٩، أنساب الأشراف ١/٣٤٠، ٣٤١ رقم ٧٢٧، البدء والتاريخ ٤/٢١٣، المحبتر ١١٣، الكامل في التاريخ ٢/١٧٤، ١٧٥ نهاية الأرب ١٧/١٥٨، ١٥٩، عيون الأثر ٢/٥٢، ٥٣، تاريخ الإسلام (المغازي)، الروض الأنف ٣/٢٥٣-٢٥٨، عيون التواريخ ١٨٩، ١٩٠، سيرة ابن كثير ٣/١٦٠-١٦٨، مرآة الجنان ١/٩.

(٦) تاريخ الطبري ٢/٥٥٥.

قال ابن إسحاق: حتى نزل نَحْلًا^(١)، وهي غزوة ذات الرقاع.

قال ابن هشام: وإنما قيل لها غزوة ذات الرقاع، لأنهم رَفَعُوا فيها راياتهم؛ ويقال: ذات الرقاع: شجرة بذلك الموضع، يقال لها: ذات الرقاع.

قال ابن إسحاق: فلقني بها جمعاً عظيماً من غطفان، فتقارب الناس، ولم يكن بينهم حرب، وقد خاف الناس بعضهم بعضاً، حتى صلى رسول الله ﷺ بالناس صلاة الخوف، ثم انصرف بالناس^(٢).

صلاة الخوف: قال ابن هشام: حدثنا عبد الوارث بن سعيد الثُّورِي - وكان يُكنى: أبا عُبيدة - قال: حدثنا يونس بن عُبيد، عن الحسن بن أبي الحسن، عن جابر بن عبد الله في صلاة الخوف، قال: صلى رسول الله ﷺ بطائفة ركعتين ثم سلم، وطائفة مُقبلون على العدو. قال: فجاؤوا فصلي بهم ركعتين أخريين، ثم سلم.

قال ابن هشام: وحدثنا عبد الوارث، قال: حدثنا أيوب، عن أبي الزبير، عن جابر، قال: صفنا رسول الله ﷺ صفين، فركع بنا جميعاً، ثم سجد رسول الله ﷺ، وسجد الصف الأول، فلما رفعوا سجد الذين يلونهم بأنفسهم، ثم تأخر الصف الأول، وتقدم الصف الآخر حتى قاموا مقامهم ثم ركع النبي ﷺ بهم جميعاً، ثم سجد النبي ﷺ وسجد الذين يلونه معه؛ فلما رفعوا رؤوسهم سجد الآخرون بأنفسهم، فركع النبي ﷺ بهم جميعاً، وسجد كل واحد منهما بأنفسهم سجدتين.

قال ابن هشام: حدثنا عبد الوارث بن سعيد الثُّورِي، قال: حدثنا أيوب عن نافع، عن ابن عمر، قال: يقوم الإمام وتقوم معه طائفة، وطائفة مما يلي عدوهم، فيركع بهم الإمام ويسجد بهم، ثم يتأخرون فيكونون مما يلي العدو، يتقدم الآخرون فيركع بهم الإمام ركعة، ويسجد بهم، ثم تصلي كل طائفة بأنفسهم ركعة، فكانت لهم مع الإمام ركعة ركعة، وصلوا بأنفسهم ركعة ركعة^(٣).

قال ابن إسحاق: وحدثني عمرو بن عُبيد، عن الحسن، عن جابر بن عبد الله: أن رجلاً من بني مُحارب، يقال له: غُوْرَث، قال لقومه من غطفان ومُحارب: ألا أقتل لكم محمداً؟ قالوا: بلى، وكيف تقتله؟ قال: أفتك به. قال: فأقبل إلى رسول الله ﷺ وهو جالس، وسيف رسول الله ﷺ في حجره، فقال: يا محمد، أنظر إلى سيفك هذا؟ قال: نعم - وكان مُحَلَّى بفضة، فيما قال ابن هشام - قال: فأخذه فاستلته، ثم جعل يهزه، ويهم فيكبيته الله؛ ثم قال: يا محمد، أما تخافني؟ قال: لا، وما

(١) نخل: موضع بنجد. (فتح الباري ٤١٨/٧) وانظر: (معجم البلدان ٢٧٦/٥).

وذكر غيره أنها أرض فيها بقع سود، وبقع بيض، كأنها مرّعة برقاع مختلفة، فسُميت ذات الرقاع لذلك، وكانوا قد نزلوا فيها في تلك الغزاة، وأصح من هذه الأقوال كلها ما رواه البخاري من طريق أبي موسى الأشعري: قال: «خرجنا مع النبي ﷺ - في غزاة، ونحن ستة نفر بيننا بعر نعتبه، فنقبت أقدامنا، ونقبت قدمي، وسقطت أظفاري، فكنا نلف على أرجلنا الخرق، فسُميت غزوة ذات الرقاع، لما كنا نعصب من الخرق على أرجلنا، فحدث أبو موسى بهذا، ثم كره ذلك، فقال: ما كنت أصنع بأن أذكره: كأنه كره أن يكون شيئاً من عمله أفساه. (الروض الأنف ٢٥٣/٣) وانظر: الدرر لابن عبد البر ١٧٦، وصحيح البخاري ٥١/٥ باب غزوة ذات الرقاع.

(٢) تاريخ الطبري ٥٥٦/٢، تاريخ الإسلام (المغازي).

(٣) انظر تاريخ الطبري ٥٥٦/٢.

أخاف منك؟ قال: أما تخافني وفي يدي السيف؟ قال: لا، يَمْنَعُنِي اللهُ مِنْكَ. ثم عمد إلى سيف رسول الله ﷺ، فردّه عليه. قال: فأنزل الله: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَذْكُرُوا أَنَّ اللَّهَ عَالِمُكُمْ إِذْ هُمْ قَوْمٌ أَنْ يَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١١﴾﴾ [المائدة: ١١].^(١)

قال ابن إسحاق: وحدثني يزيد بن رومان: أنها إنما أنزلت في عمرو بن جحاش، أخي بني النضير وما هم به، فالله أعلم أي ذلك كان.

قال ابن إسحاق: وحدثني وهب بن كيسان، عن جابر بن عبد الله، قال: خرجت مع رسول الله ﷺ إلى غزوة ذات الرقاع من نخل، على جمل لي ضعيف؛ فلما قفل رسول الله ﷺ، قال: جعلت الرقاع تمضي، وجعلت أتخلف، حتى أدركني رسول الله ﷺ، فقال: ما لك يا جابر؟ قال: قلت: يا رسول الله، أبطأ بي جملي هذا، قال: أنخه؛ قال: فأنخته، وأناخ رسول الله ﷺ؛ ثم قال: أعطني هذه العصا من يدك، أو اقطع لي عصا من شجرة؛ قال: ففعلت. قال: فأخذها رسول الله ﷺ فنخسه بها نخسات، ثم قال: اركب، فركبت، فخرج، والذي بعثه بالحق، يواهي^(٢) ناقته مواهقة^(٣).

قال: وتحدثت مع رسول الله ﷺ، فقال لي: أتبيعي جملك هذا يا جابر؟ قال: قلت: يا رسول الله، بل أهبه لك؛ قال: لا، ولكن بعنيه؛ قال: قلت: فسمنيه يا رسول الله؛ قال: قد أخذته بدرهم؛ قال: قلت: لا. إذن، تغيبني يا رسول الله! قال: فبدرهمين؛ قال: قلت: لا. قال: فلم يزل يرفع لي رسول الله ﷺ في ثمنه حتى بلغ الأوقية. قال: فقلت: أفقد رضيت يا رسول الله؟ قال: نعم؛ قلت: فهو لك؛ قال: قد أخذته. قال: ثم قال: يا جابر، هل تزوجت بعد؟ قال: قلت: نعم يا رسول الله، قال: أنثياً أم بكر؟ قال: قلت: لا، بل ثيباً؛ قال: أفلا جارية تُلَاعِبُهَا وتلعبك! قال: قلت: يا رسول الله، إن أبي «أصيب يوم أحد وترك بنات له سنبعاً، فنكحت امرأةً جامعةً، تجمع رؤوسهن، وتقوم عليهن؛ قال: أصبت إن شاء الله، أما إننا لو قد جئنا صراراً»^(٤) أمرنا بجزور فئحرت، وأقمنا عليها يومنا ذلك، وسمعت بنا، فنقضت نمارقها^(٥)». قال: قلت: والله يا رسول الله ما لنا من نمارق؛ قال: «إنها ستكون، فإذا أنت قديمت فاعمل عملاً كيساً». قال: فلما جئنا صراراً أمر رسول الله ﷺ بجزور فئحرت، وأقمنا عليها ذلك اليوم؛ فلما أمسى رسول الله ﷺ دخل ودخلنا؛ قال: فحدثت المرأة الحديث، وما قال لي رسول الله ﷺ؛ قالت: فدؤنك، فسمع وطاعة. قال: فلما أصبحت أخذت برأس الجمل، فأقبلت به حتى أنخته على باب رسول الله ﷺ؛ قال: ثم جلست في المسجد قريباً منه؛ قال: وخرج رسول الله ﷺ، فرأى الجمل؛ فقال: ما هذا؟ قالوا: يا رسول الله، هذا جمل جاء به جابر؛ قال: فأين جابر؟ قال: فدعيت له؛ قال: فقال: يا ابن أخي خذ برأس جملك، فهو لك،

(١) انظر الخبر في تاريخ الطبري ٥٥٨/٢.

(٢) يواهي: يسابق. (النهاية في غريب الحديث ٢٣٤/٤).

(٣) انظر المغازي للواقدي ٣٩٩/١، تاريخ الإسلام (المغازي).

(٤) صرار: موضع قريب من المدينة.

(٥) النمارق: كل ما يجلس عليه من الحشايأ وغيرها.

وَدَعَا بِلَالاً، فَقَالَ لَهُ: اذْهَبْ بِجَابِرٍ، فَأَعْطَهُ أُوقِيَةَ. قَالَ: فَذَهَبْتُ مَعَهُ، فَأَعْطَانِي أُوقِيَةَ، وَزَادَنِي شَيْئاً سِيراً. قَالَ: فَوَاللَّهِ مَا زَالَ يَنْمِي عِنْدِي، وَيَرَى مَكَانَهُ مِنْ بَيْتِنَا، حَتَّى أُصِيبَ أَمْسٍ فِيمَا أُصِيبَ لَنَا يَعْنِي يَوْمَ الْحَرَّةِ^(١).

قال ابن إسحاق: وحدثني عمي صدقة^(٢) بن يسار، عن عقيل بن جابر، عن جابر بن عبد الله الأنصاري، قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ في غزوة ذات الرقاع من نخل، فأصاب رجل امرأة رجل من المشركين؛ فلما انصرف رسول الله ﷺ قافلاً، أتى زوجها وكان غائباً؛ فلما أخبر الخبر حلف لا ينتهي حتى يهريق في أصحاب محمد ﷺ دمًا، فخرج يتبع أثر رسول الله ﷺ، فنزل رسول الله ﷺ منزلاً، فقال: من رجل يكلؤنا ليلتنا هذه؟ قال: فانتدب رجل من المهاجرين، ورجل آخر من الأنصار، فقالا: نحن يا رسول الله؛ قال: «فكونا بقم الشعب». قال: وكان رسول الله ﷺ وأصحابه قد نزلوا إلى شعب من الوادي، وهما عمّار بن ياسر وعبد ابن بشر، فيما قال ابن هشام.

قال ابن إسحاق: فلما خرج الرجلان إلى قم الشعب، قال الأنصاري للمهاجري: أي الليل تحب أن أكفيكه، أوله أم آخره؟ قال: بل اكفني أوله؛ قال: فاضطجع المهاجري فنام، وقام الأنصاري يصلي؛ قال: وأتى الرجل، فلما رأى شخص الرجل عرف أنه ربيثة^(٣) القوم. قال: فرمى بسهم، فوضعه فيه؛ قال: فنزعه ووضعه، فثبت قائماً؛ قال: ثم رماه بسهم آخر فوضعه فيه. قال: فنزعه فوضعه، وثبت قائماً؛ ثم عاد له بالثالث، فوضعه فيه؛ قال: فنزعه فوضعه ثم ركع وسجد، ثم أهب صاحبه فقال: اجلس فقد أثبت^(٤)، قال: فوثب فلما رآهما الرجل عرف أن قد نذرا به، فهرب. قال: ولما رأى المهاجري ما بالأنصاري من الدماء. قال: سبحان الله! أفلا أهبتني أول ما رماك؟ قال: كنت في سورة أقرؤها فلم أحب أن أقطعها حتى أنفدها^(٥)، فلما تابع عليّ الرمي ركعت فأذنتك، وأيم الله، لولا أن أضيّع نغراً أمرني رسول الله ﷺ بحفظه، لقطع نفسي قبل أن أقطعها أو أنفدها.

(١) يعني: وقعة الحرّة التي كانت بالمدينة أيام يزيد بن معاوية على يدي مسلم بن عقبة المرّي الذي يسميه أهل المدينة مسرف ابن عقبة، وكان سببها أن أهل المدينة خلموا يزيد بن معاوية وأخرجوا مروان بن الحكم وبنو أمية، وأمروا عليهم عبد الله ابن حنظلة الغسيل الذي غسلت أباه الملائكة يوم أحد، ولم يوافق على الخلع أحد من أكابر الصحابة الذين كانوا فيهم، روى البخاري أن عبد الله بن عمر لما أرجف أهل المدينة بيزيد دعا بينه ومواليه، وقال لهم: إنا قد بايعنا هذا الرجل على بيعة الله وبيعة رسوله، وإنه والله لا يبلغني عن أحد منكم أنه خلع يداً من طاعته إلا كانت الفيصل بيني وبينه، ثم لزم بيته، ولزم أبو سعيد الخدري بيته، فدخل عليه في تلك الأيام التي انتهت المدينة فيها، فقيل له: من أنت أيها الشيخ؟ فقال: أنا أبو سعيد الخدري صاحب النبي - ﷺ - فقالوا له: سمعنا خبرك، ولنعم ما فعلت حين كفت يدك، ولزمت بيتك، ولكن هات المال، فقال: قد أخذه الذين دخلوا قبلكم عليّ، وما عندي شيء، فقالوا: كذبت واتفوا لحيته، وأخذوا ما وجدوا حتى صوف الفرش، وحتى أخذوا زوجين من حمام كان صبيانه يلعبون بهما. وأما جابر بن عبد الله الذي كنا بمساق حديثه فخرج في ذلك اليوم يطوف في أزقة المدينة والبيوت تنتهب، وهو أعمى، وهو يعثر في القتلى ويقول تجس من أخاف رسول الله ﷺ، فقال له قائل: ومن أخاف رسول الله ﷺ فقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: من أخاف المدينة، فقد أخاف ما بين جنبي، فحملوا عليه ليقتلوه، فأجاره منهم مروان، وأدخله بيته، وقتل في ذلك اليوم من وجوه المهاجرين والأنصار ألف وسبعمائة، وقتل من أخلاط الناس عشرة آلاف. (الروض الأنف ٣/٢٥٦) وانظر عن الخبر في المغازي للواقدي ١/٤٠٠، ونهاية الأرب ١٧/١٦١، ١٦٢.

(٢) ليس عمه: وإنما هو لقب لقبه به احتراماً له.

(٣) الربيثة: من يحرس القوم.

(٤) أثبت: جرحته جراحة بالغة.

(٥) أنفدها: أتم قراءتها.

قال ابن هشام: ويقال: أنفذهما.

قال ابن إسحاق: ولما قَدِم رسولُ الله ﷺ المدينة من غزوة الرِّقَاع، أقام بها بقية جمادى الأولى وجمادى الآخرة ورجباً.

غزوة بدر الآخرة^(١) في شعبان سنة أربع

قال ابن إسحاق: ثم خرج في شعبان إلى بَدْر، لميعاد أبي سفيان، حتى نزله.

قال ابن هشام: واستعمل على المدينة عبدُ الله بن عبد الله بن أبي بن سلول الأنصاري.

قال ابن إسحاق: فأقام عليه ثمانِي ليالٍ ينتظر أبا سفيان، وخرج أبو سفيان في أهل مكة حتى نزل مَجَنَّة، من ناحية الظَّهران؛ وبعض الناس يقول: قد بلغ عُسْفَانَ، ثم بدا له في الرجوع، فقال: يا معشر قريش، إنه لا يصلحكم إلاَّ عام خَصِيب تَرَعُونَ فيه الشَّجر، وتَشْرَبُونَ فيه اللبن، وإنَّ عامكم هذا عامُ جذب، وإنِّي راجعٌ، فارجعوا، فرجع الناس. فسَمَّاهم أهل مكة جيش السُّويق، يقولون: إنما خرجتم تَشْرَبُونَ السُّويق.

وأقام رسولُ الله ﷺ على بَدْر ينتظر أبا سفيان لميعاده، فاتاه مَخْشِي بن عَمْرٍو الضَّمْري، وهو الذي كان وأدعه على بني ضَمْرَةَ في غزوة ودان، فقال: يا محمد، أجنث للقاء قُريش على هذا الماء؟ قال: نعم، يا أبا بني ضَمْرَةَ، وإن شئت مع ذلك رَدَدْنَا إليك ما كان بيننا وبينك، ثم جالَدْنَا حتى يحكم الله بيننا وبينك، قال: لا والله يا محمد، ما لنا بذلك منك من حاجة.

فأقام رسولُ الله ﷺ ينتظر أبا سفيان، فمرَّ به مَعْبَد بن أبي مَعْبَد الخُزاعي، فقال، وقد رأى مكان رسول الله ﷺ وناقته تهوي به^(٢):

قد نَفَرْتُ مِنْ رُفْقَتِي مُحَمَّدٍ وَعَجْوَةٌ مِنْ يَثْرِبٍ كَالْعَنْجَبِ^(٣)

تَهْوِي عَلَى دِينَ أَبِيهَا الْأَثَلِدِ قَدْ جَعَلْتُ مَاءَ قُدَيْدٍ مَوْعِدِي^(٤)

وماء ضَجْنَانَ لها ضُحَى الْعَدِ^(٥)

وقال عبدُ الله بن رَوَاحَةَ في ذلك - قال ابن هشام: أنشدنيها أبو زيد الأنصاري لكعب بن مالك -:

وَعَدْنَا أبا سُفْيَانَ بَدْرًا^(٦) فَلَمْ نَجِدْ لِمِيعَادِهِ^(٧) صِدْقًا وَمَا كَانَ وَافِيًا

(١) انظر عنها في: المغازي لعروة ١٨٣، والدرر ١٧٧، وجوامع السيرة ١٨٤، والمغازي للواقدي ٣٨٤/١ - ٣٩١، والطبقات الكبرى ٥٩/٢، ٦٠، وتاريخ الطبري ٥٥٩/٢، والمختبر ١١٣، والبدء والتاريخ ٢١٣/٤، ٢١٤، وأنساب الأشراف ١/٣٣٩، ٣٤٠ رقم ٧٢٦، والكمال في التاريخ ١٧٥/٢، ونهاية الأرب ١٥٤/١٧ - ١٥٧، وتاريخ الإسلام (المغازي)، وعيون التواريخ ١/١٩٠، وعيون الأثر ٥٣/٢، ٥٤، وسيرة ابن كثير ١٦٩/٣ - ١٧٢.

(٢) تهوي به: تسرع به.

(٣) اللين هنا: العادة، الأثلد: القديم. ماء قديد: ماء قريب من مكة.

(٤) ضجنان: مكان قريب من مكة. والخبر في تاريخ الطبري ٥٥٩/٢، ٥٦٠، والمغازي للواقدي ٣٨٩/١.

(٦) في نهاية الأرب «وعداً».

(٧) في المغازي للواقدي «لموعده».

لَأَبْتٌ دَمِيمًا وَافْتَقَدْتَ الْمَوَالِيَا
وعمرأ أبا جهل تركناه ثاويًا
وأمركم السيء الذي كان غاويًا
فدى لرسول الله أهلي وماليًا
شهاباً لنا في ظلمة الليل هادياً^(١)

جلاذ كأفواه المخاض الأوارك^(٢)
وأنصاره حقاً وأيدي الملائك
فقولاً لها ليس الطريق هنالك
بأزعن جرار عريض المبارك^(٤)
وقب طوال مشرفات الحوارك^(٥)
مناسم أخفاف المطي الرواتك^(٧)
فرات بن حيان يكن زهن هالك
يؤذ في سواد لونه لو حالك
فلأئك من عز الرجال الصعالك^(٨)

فأجابه أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب، فقال:

وجدك نغتال الخروق كذلك^(٩)
ولو وألت منأ بشد مدارك^(١٠)

فأقسم لو وأقیننا فلقتیننا
تركناه أوصال عثبة وابنه
عصيتم رسول الله أف لدينكم
فإني وإن عئتموني لقائل
أطغناه لم نعدله فينا بعيره
وقال حسان بن ثابت في ذلك:

دعوا فلجات الشام قد حال دونها
بأيدي رجال هاجروا نحو ربهم
إذا سلكت للغور من بطن عالج^(٣)
أقمنا على الرس النزوع ثمانيا
بكل كمنيت جوزة نصف خلقه
تري العرفج العامي تذي^(٦) أضوله
فإن تلق في تطوافنا والتماسنا
وإن تلق قيس بن امرئ القيس بعده
فأبلغ أبا سفيان عني رسالة

فأجابه أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب، فقال:
أحسان إنيا بن أكلة الفغا
خرجنا وما تنجو اليعافير بيننا

(١) الأبيات في المغازي للواقدي ١/٣٨٩، ٣٩٠، ونهاية الأرب ١٧/١٥٦، وشرح السيرة لأبي دز ٢٩٦.

(٢) فلجات: جمع فلج، وهذا الماء الجاري، سمي فلجاً، لأنه قد حذ في الأرض، وفرق بين جانبه مأخوذ من فلج الأسنان، أو من الفلج وهو القسم، والفالج مكيال يقسم به، والفلج والفيلج بعير ذو سنامين، وهو من هذا الأصل، ورواه أبو حنيفة الدينوري بالحاء وقال: الفلجة: المزرعة. والمخاض: الإبل الحوامل. والأوارك: التي ترعى الأراك وهو شجر تؤخذ منه المساويك.

(٣) الغور: ما انخفض من الأرض. وعالج: مكان كثير الرمل.

(٤) الرس: البئر: النزوع: سهلة الماء. الأرعن: الجيش الجزار.

(٥) الكمنيت: الفرس: لونها بين الأحمر والأسود يطلق على المذكر والمؤنث. وجوزة: وسطه. قب: جمع أقب وهو الضامر. والحوارك: أعالي الفرس من ناحية الكتفين.

(٦) في المغازي «تبدي».

(٧) العرفج: نبات. والعامي: الذي بلغ العام. المناسم: أخفاف البعير. الرواتك: المسرعة.

(٨) وردت في المغازي للواقدي ١/٣٩٠ وهي تنقص بيتاً واحداً، باختلاف في الترتيب.

(٩) الفغا: التمر. نغتال: تقطع: الخروق: الصحراوات الواسعة.

(١٠) اليعافير: أولاد الظباء. وألت: اعتصمت. الشد المدارك: الجري المتتابع. والمعنى أنهم ملأوا السهل والجبل لكثرتهم فليس هناك مكان تهرب إليه اليعافير.

إذا ما انبعثنا من مُناخ حَسِبْتَهُ
أَقَمْتَ عَلَى الرَّسِّ النَّزْوِعِ تُرِيدُنَا
عَلَى الزُّزْعِ تَمْشِي خَيْلُنَا وَرِكَابُنَا
أَقْمَنَا ثَلَاثًا بَيْنَ سَلْعٍ وَفَارِعِ
حَسِبْتُمْ جِلَادَ الْقَوْمِ عِنْدَ قِبَابِهِمْ
فَلَا تَبْعَثِ الْخَيْلَ الْجِيَادَ وَقُلْ لَهَا
سَعِدْتُمْ بِهَا وَغَيْرِكُمْ كَانَ أَهْلُهَا
فَلِإِنَّكَ لَا فِي هَجْرَةٍ إِنْ ذَكَرْتَهَا
قال ابن هشام: بقيت منها أبيات تركناها، لُفِحَ اختلاف قوافيها. وأنشدني أبو زيد الأنصاري هذا البيت:

خرجنا وما تنجو اليعافير بيئنا
والبيت الذي بعده لحسان بن ثابت في قوله:
دَعُوا فَلَجَاتِ الشَّامِ قَدْ حَالَ دُونَهَا
وأنشدني له فيها بيته «أبلغ أبا سفيان».

غزوة دومة الجندل^(٦)

في شهر ربيع الأول سنة خمس

قال ابن إسحاق: ثم انصرف رسول الله ﷺ إلى المدينة، فأقام من مقدم رسول الله ﷺ بها أشهراً حتى مضى ذو الحجة وولي تلك الحجة المشركون وهي سنة أربع ثم غزا رسول الله ﷺ دومة الجندل.

قال ابن هشام: في شهر ربيع الأول، واستعمل على المدينة سباع بن عُرْفُطَةَ الغفاري^(٧).
قال ابن إسحاق: ثم رجع رسول الله ﷺ قبل أن يصل إليها، ولم يَلْتَقِ كَيْدًا، فأقام بالمدينة بَقِيَّةَ

سنته.

- (١) المدائن: ما تركه الراكب وتركوا فيه آثارهم. والموسم: المكان الذي تجتمع فيه العرب. المتعارك: الذي يزدحم فيه القوم.
- (٢) الرّسّ التزوع: البئر السهلة الماء. المدارك: الأماكن القريبة.
- (٣) الدكاك: الرمال اللينة. (٤) سلع وفارح: جبلان. الرواتك: المسرعة.
- (٥) العين: الدرّ. الأتك: القزدير.
- (٦) دومة الجندل بينها وبين المدينة خمس عشر ليلة وسُمِّيت بِدُومَى بن إسماعيل عليه السلام لأنه نزلها (الروض الأنف ٣/ ٢٧٦).
- وانظر عن الغزوة في: الطبقات الكبرى ٢/ ٦٢، ٦٣، المغازي للواقدي ١/ ٤٠٢ - ٤٠٤، تاريخ الطبري ٢/ ٥٦٤، أنساب الأشراف ١/ ٣٤١ رقم ٧٢٨، الكامل في التاريخ ٢/ ١٧٧، تاريخ الإسلام (المغازي)، نهاية الأرب ١٧/ ١٦٢، ١٦٣، عيون الأثر ٢/ ٥٤، سيرة ابن كثير ٣/ ١٧٧، ٧٨، عيون التواريخ ١/ ١٩٤.
- (٧) تاريخ الطبري ٢/ ٥٦٤.

غزوة الخندق^(١) في شوال سنة خمس

حدثنا أبو محمد عبد الملك بن هشام، قال: حدثنا زياد بن عبد الله البكائي، عن محمد بن إسحاق المظلي، قال: ثم كانت غزوة الخندق في شوال سنة خمس.

اليهود وتحزب الأحزاب: فحدثني يزيد بن رومان مولى آل الزبير بن عروة بن الزبير، ومن لا أتهم، عن عبد الله بن كعب بن مالك، ومحمد بن كعب القرظي، والزهرري، وعاصم بن عمر بن قتادة، وعبد الله بن أبي بكر، وغيرهم من علمائنا، كلهم قد اجتمع حديثه في الحديث عن الخندق، وبعضهم يحدث ما لا يحدث به بعض، قالوا: إنه كان من حديث الخندق أن نفراً من اليهود، منهم: سلام بن أبي الحقيق النضري، وحبي بن أخطب النضري^(٢)، وكنانة بن أبي الحقيق النضري، وهوذة بن قيس الوائلي، وأبو عمارة الوائلي، في نفر من بني النضير، ونفر من بني وائل، وهم الذين حزبوا الأحزاب على رسول الله ﷺ، خرجوا حتى قدموا على قريش مكة، فدعوه إلى حرب رسول الله ﷺ، وقالوا: إنا سنكون معكم عليه، حتى نستأصله؛ فقالت لهم قريش: يا معشر يهود، إنكم أهل الكتاب الأول والعلم بما أصبحنا نختلف فيه نحن ومحمد، أفديننا خير أم دينه؟ قالوا: بل دينكم خير من دينه، وأنتم أولى بالحق منه. فهم الذين أنزل الله تعالى فيهم: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيحًا مِنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَالطَّغُوتِ^(٣) وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلَاءِ أَهْدَى مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلًا^(٤) أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ وَمَنْ يَلْعَنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ نَجْدَ لَهُمْ نَصِيحًا^(٥) أَمْ لَهُمْ نَصِيحٌ مِنَ الْمَلِكِ إِذْ لَا يُؤْتُونَ النَّاسَ نَقِيرًا^(٦) أُولَئِكَ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا^(٧)﴾ [النساء: ٥١-٥٤]، أي النبوة، ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا^(٨)﴾ [النساء: ٥٤].

قال: فلما قالوا ذلك لقريش، سرهم ونشطوا لما دعوه إليه، من حرب رسول الله ﷺ، فاجتمعوا لذلك وأتعدوا له. ثم خرج أولئك النفر من يهود، حتى جاؤوا غطفان، من قيس عيلان،

(١) وحفر الخندق لم يكن من عادة العرب، ولكنه من مكابد الفرس وحروبها، ولذلك أشار به سلمان الفارسي، وأول من خندق الخنادق من ملوك الفرس فيما ذكر الطبري منشهر بن أبيرج بن أفريدون وقد قيل في أفريدون: إنه ابن إسحاق عليه السلام، وأكثرهم يقول فيه: هو ابن أثنان، وهو أول من اتخذ آلة الرمي، وإلى رأس ستين من ملكه، بعث موسى عليه السلام، والكامنان في الحروب، أول من فعلها بختنصر في قول الطبري. (الروض الأنف ٣/٢٧٦).

وانظر عن الغزوة في: المغازي لعروة ١٨٤، ١٨٥، المغازي للواقدي ٤٤٠-٤٩٦، الطبقات الكبرى ٦٥/٢-٧٤، تاريخ الطبري ٥٦٤-٥٨١، أنساب الأشراف ٣٤٣-٣٤٧ رقم ٧٣٠، الدرر ٧٩، جوامع السيرة ١٨٥، صحيح البخاري ٤٤-٤٩، المحبّر ١١٣، البدء والتاريخ ٢١٦/٤-٢٢١، الكامل في التاريخ ١٧٨/٢، نهاية الأرب ١٦٦/١٧-١٨٦، المواهب اللدنية ١٢٥/٢، عيون الأثر ٥٥/٢-٦٨، مجمع الزوائد ١٣٠/٦-١٤٢، سيرة ابن كثير ١٧٨/٣-٢٢٢، مرآة الجنان ٩/١، عيون التواريخ ١٩٤/١-٢٠٦، تاريخ الإسلام.

(٢) ونسب ابن أبي الحقيق وما بعده إلى بني النضير فقال فيهم النضري، وقياسه: النضيري إلا أن يكون من باب قولهم نقفي وقرشي، وهو خارج عن القياس، وإنما يقال: فعلي في النسب إلى فعيلة. (الروض الأنف ٣/٢٧٦).

(٣) الجبت: الصنم المعبود. الطاغوت: الساحر. الكاهن: الشيطان. أو كل ما عبد من دون الله.

فَدَعَوْهم إلى حرب رسول الله ﷺ، وأخبروهم أنهم سيكونون معهم عليه، وأن قريشاً قد تابعوهم على ذلك، فاجتمعوا معهم فيه^(١).

خروج الأحزاب: قال ابن إسحاق: فخرجت قريش، وقائدها أبو سُفيان بن حَرْب؛ وخرجت عَطْفان، وقائدها عُيَيْنة بن حِصْن بن حُذيفة بن بدر^(٢)، في بني فزارة؛ والحارث بن عَوْف بن أبي حارثة المُرِّي، في بني مُرّة؛ ومسعر^(٣) بن رُخيلة بن ثويرة بن طريف بن سُحمة بن عبد الله بن هلال بن خلاوة بن أشجع بن رَيْث بن عَطْفان، فيمن تابعه من قومه من أشجع^(٤).

حفر الخندق: فلما سمع بهم رسول الله ﷺ، وما أجمعوا له من الأمر، ضَرَب الخَنْدَق على المدينة، فعمل فيه رسول الله ﷺ تَزْغِيّاً للمسلمين في الأجر، وَعَمَلَ معه المسلمون فيه، فَدَأَب فيه ودأبوا. وأبطأ عن رسول الله ﷺ وعن المسلمين في عملهم ذلك رجالٌ من المنافقين، وجعلوا يُورُونَ^(٥) بالضعيف^(٦) من العمل، ويتسألون إلى أهلهم بغير عِلْم من رسول الله ﷺ، ولا إذن. وجعل الرجل من المسلمين إذا نابتَه النابتة، من الحاجة التي لا بدَّ له منها، يذكر ذلك لرسول الله ﷺ، ويستأذنه في اللحق بحاجته، فيأذن له، فإذا قضى حاجته رجع إلى ما كان فيه من عمله، رغبة في الخير، واحتساباً له^(٧).

ما نزل من القرآن في حق العاملين في الخندق: فأنزل الله تعالى في أولئك من المؤمنين: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَىٰ أَمْرٍ جَامِعٍ لَّمْ يَذْهَبُوا حَتَّىٰ يَسْتَأْذِنُوهُ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِذَا أَسْتَأْذِنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأَذَنَ لِمَن شِئْتَ مِنْهُمْ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٢﴾﴾ [التور: ٦٢]. فنزلت هذه الآية فيمن كان من المسلمين من أهل الجسبة والرغبة في الخير، والطاعة لله ولرسول الله ﷺ.

ثم قال تعالى، يعني المنافقين الذين كانوا يتسألون من العمل، ويذهبون بغير إذن من النبي ﷺ: ﴿لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَسْتَلُونَ بِكُمْ لِيُخَذَرَ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٢٣﴾﴾ [التور: ٦٣].

قال ابن هشام: اللواذ: الاستتار بالشيء عند الهرب، قال حسان بن ثابت:

وَقَرَيْشٌ تَفِرُّ مِثْلَ لَوَاذٍ أَنْ يُقِيمُوا وَخَفَ مِنْهَا الْحُلُومُ

(١) تاريخ الطبري ٥٦٥/٢، ٥٦٦.

(٢) واسم عيينة حذيفة، وسُمِّي: عُيَيْنة لشر كان بعينه، وهو الذي قال فيه عليه السلام: الأحقق المطاع، لأنه كان من الجزارين، تتبعه عشرة آلاف فتاة، وهو الذي قال فيه النبي ﷺ: إن شرَّ الناس من وادعه الناس اتقاء شَرِّه، وفي رواية أخرى: أنه قال: إنِّي أداريه، لأنِّي أخشى أن يفسد عليَّ خلقاً كثيراً. وفي هذا بيان معنى الشرِّ الذي اتقى منه، وكان دخل على النبي ﷺ بغير إذن فلما قال له: أين الإذن؟ قال: ما استأذنت على مُضرتي قبلك. (الروض الأنف ٣/٢٧٦) وانظر المواهب اللدنية ١٢٥/٢.

(٣) في تاريخ الطبري ٥٦٦/٢، والإصابة ٣/٣٩٠ «مسعود» وكذا في الطبقات ٦٦/٢.

(٤) تاريخ الطبري ٥٦٦/٢، نهاية الأرب ١٧/١٦٧.

(٥) يورون: يسترون.

(٦) في تاريخ الطبري «بالضعف».

(٧) تاريخ الطبري ٥٦٦/٢ - ٥٦٧.

وهذا البيت في قصيدة له، قد ذكرتها في أشعار يوم أُخِذ.

﴿أَلَا إِنَّكَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَكَاتِ وَالْأَرْضِ قَدْ يَعْلَمُ مَا أَنْتَ عَلَيْهِ﴾ [الثور: ٦٤].

قال ابن إسحاق: من صدق أو كذب.

﴿وَيَوْمَ يُرْجَعُونَ إِلَيْهِ فَيُنْتَهُمُ بِمَا عَمِلُوا وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الثور: ٦٤].

المسلمون يرتجزون وهم يعملون: قال ابن إسحاق: وعمل المسلمون فيه حتى أحكموه، وارتجزوا فيه برجل من المسلمين، يقال له جُعيل، يقال له جُعيل، سَمَاه رسول الله ﷺ: عمراً، فقالوا:

سَمَاهُ مِنْ بَعْدِ جُعَيْلِ عَمْرًا وكان للبائس يوماً ظَهْرًا

فإذا مَرَّوا «بعمرو» قال رسول الله ﷺ: «عمراً»، وإذا مَرَّوا «بظهر» قال رسول الله ﷺ: «ظهراً».

معجزات ظهرت في حفر الخندق: قال ابن إسحاق: وكان في حفر الخندق أحاديثٌ بَلَّغْتَنِي، فيها من الله تعالى عبرة في تصديق رسول الله ﷺ، وتحقيق نبوته، عاين ذلك المسلمون.

فكان مما بلغني أن جابر بن عبد الله كان يحدِّث: أنه اشتدَّت عليهم في بعض الخندق كُذْيَةٌ^(١)، فشكَّوها إلى رسول الله ﷺ، فدعا بإناء من ماء، فتنفل فيه؛ ثم دعا بما شاء الله أن يدعو به، ثم نضح ذلك الماء على تلك الكُذْيَةِ؛ فيقول من حضرها: فوالذي بعثه بالحق نبياً، لانهالت حتى عادت كالكتيب، لا تردُّ فأساً ولا مسحاً^(٢).

قال ابن إسحاق: وحدثني سعيد بن مينا أنه حدِّث: أن ابنة لبشير بن سعد، أخت النعمان بن بشير، قالت: دعيتني أُمِّي عَمْرَةَ بنتُ رَوَاحَةَ، فأعطتني حَفْنَةَ من تمر في ثوبي، ثم قالت: أي بُنْيَةٍ، اذهبني إلى أبيك وخالك عبد الله بن رَوَاحَةَ بَعْدَهُمَا، قالت: فأخذتها، فانطلقت بها، فمررتُ برسول الله ﷺ وأنا ألتمس أبي وخالي؛ فقال: «تعالِي يا بُنْيَةَ، ما هذا معك؟» قالت: فقلت: يا رسول الله، هذا تمر، بعثتني به أُمِّي إلى أبي بشير بن سعد وخالي عبد الله بن رَوَاحَةَ يتغديانه؛ قال: «هاتيه»؛ قالت: فضببته في كَفِّي رسول الله ﷺ، فما ملائتهما، ثم أمر بثوب فبسط له، ثم دحا بالتمر عليه، فتبدد فوق الثوب، ثم قال لإنسان عنده: «اصرخ في أهل الخندق: أن هَلُمَّ إلى الغداء». فاجتمع أهل الخندق عليه، فجعلوا يأكلون منه، وجعل يزيد، حتى صدر أهل الخندق عنه، وإنه ليسقط من أطراف الثوب^(٣).

قال ابن إسحاق: وحدثني سعيد بن مينا، عن جابر بن عبد الله، قال: عملنا مع رسول الله ﷺ في الخندق، فكانت عندي شُوَيْهَةٌ، غير جدِّ سَمِينَةٍ. قال: فقلت: والله لو صنَعناها لرسول الله ﷺ؛ قال: فأمرت امرأتي، فطحننا لنا شيئاً من شعير، فصنعت لنا منه خبزاً، ودبحت تلك الشاة، فشويناه لرسول الله ﷺ. قال: فلما أُمْسِينَا وأراد رسول الله ﷺ الانصراف عن الخندق - قال: وكنا نعمل فيه نهارتنا، فإذا أُمْسِينَا رَجَعْنَا إلى أهلينا - قال: قلت: يا رسول الله، إني قد صنعت لك شُوَيْهَةٌ كانت

(١) الكدية: صخرة غليظة صلبة لا يعمل فيها الفأس.

(٢) تاريخ الإسلام (المغازي)، نهاية الأرب ١٧/١٧٠.

(٣) تاريخ الإسلام (المغازي).

عندنا، وصنعنا معها شيئاً من خبز هذا الشعير، فأحب أن تنصرف معي إلى منزلي، وإنما أريد أن ينصرف معي رسول الله ﷺ وحده. قال: فلما أن قلت له ذلك؛ قال: نعم، ثم أمر صارخاً فصرخ: أن انصرفوا مع رسول الله ﷺ إلى بيت جابر بن عبد الله؛ قال: قلت: إنا لله وإنا إليه راجعون! قال: فأقبل رسول الله ﷺ، وأقبل الناس معه؛ قال: فجلس وأخرجناها إليه. قال: فبرك وسمى الله، ثم أكل، وتواردها الناس، كلما فرغ قومٌ قاموا وجاء ناس، حتى صدر أهل الخندق عنها^(١).

قال ابن إسحاق: وحدثت عن سلمان الفارسي، أنه قال: ضربت في ناحية من الخندق، فعُلظت عليّ صخرة، ورسول الله ﷺ قريب مني؛ فلما رأني أضرب ورأى شدة المكان عليّ، نزل فأخذ المغول من يدي، فضرب به ضربة لَمَعَت تحت المغول برقة؛ قال: ثم ضرب به ضربة أخرى، فلمعت تحته برقة أخرى؛ قال: ثم ضرب به الثالثة، فلمعت تحته برقة أخرى. قال: قلت: بأبي أنت وأمي يا رسول الله! ما هذا الذي رأيت لَمَع تحت المغول وأنت تضرب؟ قال: «أوقد رأيت ذلك يا سلمان؟» قال: قلت: نعم؛ قال: «أما الأولى فإن الله فَتَح عليّ بها اليمن؛ وأما الثانية فإن الله فَتَح عليّ بها الشام والمغرب؛ وأما الثالثة فإن الله فَتَح عليّ بها المشرق»^(٢).

قال ابن إسحاق: وحدثني من لا أتهم عن أبي هريرة أنه كان يقول، حين فُتحت هذه الأمصار في زمان عمر وزمان عثمان وما بعده: افتتحوا ما بدا لكم، فوالذي نفس أبي هريرة بيده، ما افتتحت من مدينة ولا تفتتحونها إلى يوم القيامة إلا وقد أعطى الله سبحانه محمداً ﷺ مفاتيحها قبل ذلك^(٣).

قال ابن إسحاق: ولما فرغ رسول الله ﷺ من الخندق، أقبلت قريش حتى نزلت بمجتمع الأسيال من رومة، بين الجُرف وزُغابة في عشرة آلاف من أحابيشهم، ومن تبعهم من بني كنانة وأهل تهامة، وأقبلت غطفان ومن تبعهم من أهل نجد، حتى نزلوا بذي نقيم^(٤)، إلى جانب أحد. وخرج رسول الله ﷺ والمسلمون، حتى جعلوا ظهورهم إلى سلع^(٥)، في ثلاثة آلاف من المسلمين، فضرب هنالك عسكره، والخندق بينه وبين القوم.

قال ابن هشام: واستعمل على المدينة ابن أم مكتوم.

قال ابن إسحاق: وأمر بالذراري والنساء فجعلوا في الأظام^(٦).

(٢) تاريخ الإسلام (المغازي). (٢) المغازي لعروة ١٨٥، تاريخ الإسلام (المغازي).

(٣) تاريخ الإسلام (المغازي).

(٤) زغابة اسم موضع بالغين المنقوطة والزاي المفتوحة، وذكره البكري بهذا اللفظ بعد أن قدم القول بأنه زغابة بضم الزاي واليمين المهملة، وحكى عن الطبري أنه قال في هذا الحديث بين الجرف والغابة، واختار هذه الرواية وقال: لأن زغابة لا تعرف قال: السهيلي في الروض الأنف والأعراف عندي في هذه الرواية رواية من قال: زغابة بالغين المنقوطة، لأن في الحديث المسند عليه السلام، قال في ناقة أهداها إليه أعرابي، فكافاه بست بكرات، فلم يرض، فقال عليه السلام: ألا تعجبون لهذا الأعرابي! أهدى إلي ناقة أعرفها بعينها، كما أعرف بعض أهلي ذهبت مني يوم زغابة، وقد كافأته بست فسخط. الحديث. (الروض الأنف ٣/٢٧٧).

(٥) ذنب نقيم: موضع من أعراض المدينة قريب أحد. كان لآل أبي طالب. ونقمت بالتحريك. (معجم البلدان ٥/٣٠٠).

(٦) سلع: جبل بالمدينة. (معجم ٣/٢٣٦).

(٧) الأظام: الحصون.

حيي بن أخطب يعزّض كعب بن أسد: قال: وخرج عدو الله حيي بن أخطب النَّضْرِي، حتى أتى كعب بن أسد الفُرْطِي، صاحب عقْد بني فُرَيْطَةَ وَعَهْدَهُمْ، وكان قد وادع رسول الله ﷺ على قومه، وعاقده على ذلك وعاهده؛ فلما سمع كعب بن أخطب، أغلق دونه باب حصنه، فاستأذن عليه، فأبى أن يفتح له، فناده حيي: ويحك يا كعب! افتح لي؛ قال: ويحك يا حيي: إنك امرؤ مشؤوم، وإنني قد عاهدت محمداً، فلست بناقض ما بيني وبينه، ولم أر منه إلا وفاةً وصدقاً؛ قال: ويحك افتح لي أكلمك؛ قال: ما أنا بفاعل؛ قال: والله إن أغلقت دوني إلا عن جشيتك^(١) أن أكل معك منها؛ فأحفظ^(٢) الرجل، ففتح له؛ فقال: ويحك يا كعب؛ جئتك بعزّ الدهر وبيخر طام، جئتك بقريش على قادتها وسادتها، حتى أنزلتهم بمُجْتَمَعِ الأسيال من رومة؛ وبغطفان على قادتها وسادتها محمداً ومن معه. قال: فقال له كعب: جئتني والله بذلّ الدهر، وبجهم قد هراق ماءه، فهو يزعد ويبرق، ليس فيه شيء، ويحك يا حيي! فدعني وما أنا عليه، فإني لم أر من محمد إلا صدقاً ووفاء. فلم يزل حيي بكعب يفتله في الذروة والغارب^(٤)، حتى سمح له، على أن أعطاه عهداً من الله وميثاقاً: لئن رجعت قريش وغطفان، ولم يصيبوا محمداً أن أدخل معك في حصنك حتى يصيبني ما أصابك. ففرض كعب بن أسد عهده، وبريء مما كان بينه وبين رسول الله ﷺ^(٥).

فلما انتهى إلى رسول الله ﷺ الخبرُ وإلى المسلمين، بعث رسول الله ﷺ سعد بن معاذ بن النعمان، وهو يومئذ سيّد الأوس، وسعد بن عبادة بن ذؤيب، أحد بني ساعدة بن كعب بن الخزرج وهو يومئذ سيّد الخزرج ومعهما عبد الله بن رواحة، أخو بني الحارث بن الخزرج، وخوات بن جبير، أخو بني عمرو بن عوف؛ فقال: انطلقوا حتى تنظروا، أحق ما بلغنا عن هؤلاء القوم أم لا؟ فإن كان حقاً فالحنوا لي لحناً أعرفه ولا تفتؤا في أعضاد الناس وإن كانوا على الوفاء فيما بيننا وبينهم فاجهروا به للناس. قال: فخرجوا حتى أتوهم، فوجدوهم على أخبث ما بلغهم عنهم، فيما نالوا من رسول الله ﷺ، وقالوا: من رسول الله؟ لا عهد بيننا وبين محمد ولا عقد. فشاتمهم سعد بن معاذ وشاتموه، وكان رجلاً فيه حدة؛ فقال له سعد بن عبادة: دع عنك مُشَاتِمَتَهُمْ، فما بيننا وبينهم أزبى من المشاتمة. ثم أقبل سعد وسعد ومن معهما، إلى رسول الله ﷺ، فسلموا عليه، ثم قالوا: عَضَلَّ والقارة؛ أي كغدر عَضَلَّ والقارة بأصحاب الرجيع، خبيب وأصحابه؛ فقال رسول الله ﷺ: الله أكبر، أبشروا يا معشر المسلمين^(٦).

(١) الجشيشة: طعام يُصنع من البرّ المطحون خشناً مع اللحم والتمر.

(٢) أحفظ: أغضب.

(٣) الجهم: السحاب لا ماء فيه.

(٤) هذا مثل، وأصله في البعير، يستصعب على سائقه فيأخذ القراد من ذروته وغارب سنامه، ويفتل هناك، فيجد البعير لذة

فيأنس عند ذلك، فضرب هذا الكلام مثلاً في المرافضة والمخاتلة، قال الخطيب:

لعمرك ما قراد بني بُغيض إذا نزع القراد بمسْتَطاع

يريد: أنهم لا يُخدعون ولا يُستدلون. (الروض الأنف ٣/٢٧٧).

(٥) تاريخ الطبري ٢/٥٧٠، ٥٧١، نهاية الأرب ١٧/١٧٠، ١٧١.

(٦) تاريخ الإسلام (المغازي).

قال: وعظم عند ذلك البلاء، واشتدَّ الخوف، وأتاهم عدوهم من فوقهم ومن أسفل منهم، حتى ظنَّ المؤمنون كلَّ ظنٍّ، ونَجَمَ النفاق من بعض المنافقين، حتى قال مُعْتَبُ بن قُشَيْرٍ، أخو بني عمرو بن عوف: كان محمد يُعدنا أن نأكل كنوز كسرى وقيصر، وأحدنا اليوم لا يأمن على نفسه أن يذهب إلى الغائط^(١).

لم يكن مُعْتَبُ منافقاً: قال ابن هشام: وأخبرني من أتق به من أهل العلم: أن مُعْتَبُ بن قُشَيْرٍ لم يكن من المنافقين، واحتجَّ بأنه كان من أهل بدر.

قال ابن إسحاق: وحتى قال أوس بن قَيْظِي، أحد بني حارثة بن الحارث: يا رسول الله، إن بيوتنا عَوْرَةٌ من العدو، وذلك عن ملاء من رجال قومه، فائذن لنا أن نخرج فنرجع إلى دارنا، فإنها خارج من المدينة. فأقام رسول الله ﷺ وأقام عليه المشركون بضعاً وعشرين ليلة، قريباً من شهر، لم تكن بينهم حرب إلا الرَّمْيُ بالنبل والحصار.

قال ابن هشام: ويقال الرَّمْيُ.

محاولة الصلح مع غطفان: فلما اشتدَّ على الناس البلاء، بعث رسول الله ﷺ، كما حدثني عاصم بن عمر ابن قتادة ومن لا أتهم، عن محمد بن مسلم بن عبيد الله بن شهاب الزهري، إلى عيينة بن حِصْنِ بن حُذَيْفَةَ بن بدر، وإلى الحارث بن عوف بن أبي حارثة المُرِّي، وهما قائدا غَطَفَانَ، فأعطاهما ثلث ثمار المدينة على أن يَزْجعا بمن معهما عنه وعن أصحابه، فجرى بينه وبينهما الصلح، حتى كتبوا الكتاب ولم تقع الشهادة ولا عزيمة الصلح، إلا المُرَاوَضَةُ في ذلك. فلما أراد رسول الله ﷺ أن يفعل، بعث إلى سَعْدِ بن مُعَاذِ وسعد بن عُبَادَةَ، فذكر ذلك لهما، واستشارهما فيه؛ فقالا له: يا رسول الله، أمراً نُحِبُّه فنصنعه، أم شيئاً أمرك الله به، لا بد لنا من العمل به، أم شيئاً تصنعه لنا؟ قال: بل شيء أصنعه لكم، والله ما أصنع ذلك إلا لأنني رأيت العرب قد رَمَتْكُمْ عن قَوْسٍ واحدة، وكالبوكم^(٢) من كلِّ جانب، فأردت أن أكسِرَ عنكم من شوكتهم إلى أمرٍ ما؛ فقال له سَعْدُ بن مُعَاذٍ: يا رسول الله، قد كُتِّنا نحن وهؤلاء القوم على الشُّركِ بالله وعبادة الأوثان، لا نعبد الله ولا نعرفه، وهم لا يَظْمَعُونَ أن يأكلوا منها ثمرة إلا قَرِيءٌ أو بيعاً، أفحين أكرمنا الله بالإسلام وهدانا له وأعزَّنَا بك وبه، نُعْطِيهِمْ أموالنا! والله ما لنا بهذا من حاجة، والله لا نُعْطِيهِمْ إلا السَّيْفَ حتى يَحْكُمَ اللهُ بيننا وبينهم؛ قال رسول الله ﷺ: فأنت وذاك. فتناول سعد بن مُعَاذِ الصَّحِيفَةَ، فمحا ما فيها من الكتاب، ثم قال: لِيَجْهَدُوا عَلَيْنَا^(٣).

قال ابن إسحاق: فأقام رسول الله ﷺ والمسلمون، وعدوهم محاصروهم، ولم يكن بينهم قتال، إلا أن فوارس من قريش، منهم عمرو بن عَبْدِ وَدِّ بن أبي قَيْسٍ، أخو بني عامر بن لُؤَيٍّ.

قال ابن هشام: ويقال: عمرو بن عَبْدِ بن أبي قَيْسٍ -.

قال ابن إسحاق: وعكرمة بن أبي جهل، وهبيرة بن أبي وهب المخزوميان، وضرار بن الخطاب

(١) تاريخ الطبري ٥٧١/٢، ٥٧٢، تاريخ الإسلام (المغازي).

(٢) كالبوكم: غالبوكم.

(٣) تاريخ الطبري ٥٧٣/٢، تاريخ الإسلام (المغازي)، نهاية الأرب ١٧/١٧٢، ١٧٣.

الشاعر ابن مرداس، أخو بني محارب بن فهر، تلبسوا للقتال، ثم خرجوا على خيلهم، حتى مروا بمنازل بني كنانة، فقالوا: تهاؤا يا بني كنانة للحرب، فستعلمون من الفرسان اليوم. ثم أقبلوا تُعْنِقُ^(١) بهم خيلهم، حتى وقفوا على الخندق، فلما رأوه قالوا: والله إن هذه لمكيدة ما كانت العرب تكيدها^(٢).

سلمان يشير إلى الخندق: قال ابن هشام: يقال: إن سلمان الفارسي أشار به على رسول الله ﷺ.

وحدثني بعض أهل العلم: أن المهاجرين يوم الخندق قالوا: سلمان منا؛ وقالت الأنصار: سلمان منا؛ فقال رسول الله ﷺ: «سلمان منا أهل البيت»^(٣).

علي يقتل عمرو بن عبد ود: قال ابن إسحاق: ثم تيمموا مكاناً ضيقاً من الخندق، فضربوا خيلهم فاقتحمت منه، فجالت بهم في السبخة بين الخندق وسلع، وخرج علي بن أبي طالب ﷺ في نفر معه من المسلمين، حتى أخذوا عليهم الثغرة التي أقحموا منها خيلهم وأقبلت الفرسان تُعْنِقُ نحوهم، وكان عمرو بن عبدي وُدٌ قد قاتل يوم بدر حتى أثبتته الجراحة، فلم يشهد يوم أحد؛ فلما كان يوم الخندق خرج مُغْلماً^(٤) ليرى مكانه. فلما وقف هو وخيئه، قال: من يبارز؟ فبرز له علي بن أبي طالب فقال له: يا عمرو، إنك قد كنت عاهدت الله ألا يدعوك رجل من قريش إلى إحدى خلتين إلا أخذتها منه، قال له: أجل؛ قال له علي: فإني أدعوك إلى الله وإلى رسوله، وإلى الإسلام؛ قال: لا حاجة لي بذلك؛ قال: فإني أدعوك إلى التزال؛ فقال له: لِمَ يا بن أخي؟ فوالله ما أحب أن أقتلك، قال له علي: لكنني والله أحب أن أقتلك؛ فحيمي عمرو عند ذلك، فاقتحم عن فرسه، فغقره، وضرب وجهه، ثم أقبل على علي، فتنازلا وتجاولا، فقتله علي رضي الله عنه. وخرجت خيلهم منهزمة، حتى اقتحمت من الخندق هاربة^(٥).

قال ابن إسحاق: وقال علي بن أبي طالب رضوان الله عليه في ذلك:

نَصَرَ الْحِجَارَةَ مِنْ سَفَاهَةِ رَأْيِهِ وَنَصَرْتُ رَبَّ مُحَمَّدٍ بِصَوَابِي^(٦)
فَصَدَدْتُ حِينَ تَرَكْتَهُ مَتَجَدِّلاً^(٧) كَالْجِدْعِ بَيْنَ ذَكَادِكِ وَرَوَابِي^(٨)
وَعَفَفْتُ عَنْ أَثْوَابِهِ وَلَوْ أَتَيْتِي كُنْتُ الْمُقَطَّرَ بَزْنِي أَثْوَابِ^(٩)

(١) تُعْنِقُ: تسرع.

(٢) تاريخ الطبري ٥٧٣/٢، ٥٧٤، تاريخ الإسلام (المغازي).

(٣) أخرجه ابن سعد في الطبقات الكبرى ٥٩/١/٤، والحاكم في المستدرک ٥٨٩/٣. كلاهما من طريق: ابن أبي فديك، عن كثير بن عبد الله، عن أبيه، عن جده، وقال الذهبي: سنده ضعيف. (سير أعلام النبلاء ٥٤٠/١).

(٤) معلماً: له علامة يُعرف بها.

(٥) تاريخ الطبري ٥٧٤/٢، تاريخ الإسلام (المغازي).

(٦) الحجارة: الأنصاب التي كانت تعبدها قريش.

(٧) في تاريخ الإسلام (المغازي): «نازلته فتركته متجدلاً».

(٨) الذكادك: الرمال اللينة.

(٩) المقطر: الذي وقع على قطره وهو جنبه. ويزني: سلبني.

لَا تَخْسِبُنَّ اللَّهَ خَاذِلَ دِينِهِ وَنَبِيَّهُ يَا مَفْشَرَ الْأَخْرَابِ^(١)

قال ابن هشام: وأكثر أهل العلم بالشعر يشك فيها لعلّي بن أبي طالب.

هجاء حسان لعكرمة: قال ابن إسحاق: وألقى عكرمة بن أبي جهل رُمحه يومئذ وهو منهزم عن عمرو؛ فقال حسان بن ثابت في ذلك:

فَرٌّ وَالْقَى لَنَا رُمَحَهُ لَعَلَّكَ عِكْرِمَ لَمْ تَفْعَلِ
وَوَلَيْتَ تَغْدُو كَعْدُو الظُّلَمِ^(٢) مَا إِنْ تَجُورُ عَنِ الْمَغْدِلِ
وَلَمْ تَلْقَ ظَهْرَكَ مُسْتَأْنِسًا كَأَنْ قَفَاكَ قَفَا فُرْعُلِ

قال ابن هشام: الفُرْعَلُ: صغير الضباع، وهذه الأبيات في أبيات له.

وكان شعار أصحاب رسول الله ﷺ يوم الخندق وبني قريظة: حم، لا يُنصرون.

استشهد سعد بن معاذ: قال ابن إسحاق: وحدثني أبو ليلي عبد الله بن سهل بن عبد الرحمن بن سهل الأنصاري، أخو بني حارثة: أن عائشة أم المؤمنين كانت في حصن بني حارثة يوم الخندق، وكان من أحرز حصون المدينة. قال: وكانت أم سعد بن معاذ معها في الحصن؛ فقالت عائشة: وذلك قبل أن يضرب علينا الحجاب، فمر سعد وعليه درع له مقلصة^(٣)، قد خرجت منها ذراعه كلها، وفي يده حربته يرفل^(٤) بها ويقول:

لَبَّثْتُ قَلِيلًا يَشْهَدُ الْهَيْجَا جَمَلِ^(٥) لَا بَأْسَ بِالْمَوْتِ إِذَا حَانَ الْأَجَلُ

قال: فقالت له أمه: الحق: أي ابني، فقد والله أخرت؛ قالت عائشة: فقلت لها: يا أم سعد، والله لوددت أن دِرْعَ سعد كانت أسبغ مما هي؛ قالت: وخفت عليه حيث أصاب السهم منه، فرمى سعد بن معاذ بسهم، فقطع منه الأكل^(٦)، رماه كما حدثني عاصم بن عمر بن قتادة، جبان بن قيس بن العرقة^(٧)، أحد بني عامر بن لؤي، فلما أصابه، قال: خذها مني وأنا ابن العرقة؛ فقال له سعد: عرق الله وجهك في النار، اللهم إن كنت أبقيت من حرب قريش شيئاً فأبقيني لها، فإنه لا قوم أحب إليّ أن أجاهدهم من قوم آذوا رسولك وكذبوه وأخرجوه، اللهم وإن كنت قد وضعت الحرب بيننا وبينهم فاجعله لي شهادة، ولا تُمتني حتى تُقرّ عيني من بني قريظة^(٨).

قال ابن إسحاق: وحدثني من لا أتهم عن عبد الله بن كعب بن مالك أنه كان يقول: ما أصاب سعداً يومئذ إلا أبو أسامة الجشمي، حليف بني مخزوم.

وقد قال أبو أسامة في ذلك شعراً لعكرمة بن أبي جهل:

(١) في تاريخ الإسلام ثلاثة أبيات، وكذا في البدء والتاريخ ٢١٨/٤.

(٢) الظليم: ولد النعام. (٣) مقلصة: قصيرة ارتفعت عن حذها.

(٤) يرفل: يجرّ ذيله ويتختر. وفي تاريخ الطبري ٥٧٥/٢ «يرقد».

(٥) جمل: اسم رجل. (٦) الأكل: عرق في وسط الذراع.

(٧) العرقة هي: قلابة بنت سعيد بن سعد بن سهم تكتى أم فاطمة، سميت العرقة لطيب ريحها. (الروض الأنف ٢٨٠/٣).

(٨) تاريخ الطبري ٥٧٥/٢، تاريخ الإسلام (المغازي).

أَعْكِرَمَ هَلَا لُمْتَنِي إِذْ تَقُولُ لِي
أَلَسْتُ الَّذِي أَلْزَمْتُ سَعْدًا مُرْشَةً
قَضَى نَحْبَهُ مِنْهَا سَعِيدٌ فَأَعْوَلْتُ
وَأَنْتَ الَّذِي دَافَعْتَ عَنْهُ وَقَدْ دَعَا
عَلَى حِينٍ مَا هُمْ جَائِرٌ عَنْ طَرِيقِهِ
[والله أعلم أي ذلك كان].

قال ابن هشام: ويقال: إن الذي رمى سعداً خفاجة بن عاصم بن جبان.

حديث حسان في وقعة الخندق: عن إسحاق. وحدثني يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير، عن أبيه عباد قال: كانت صفية بنت عبد المطلب في فارغ، حِضْنُ حَسَّانِ بْنِ ثَابِتٍ؛ قالت: وكان حَسَّانُ بْنُ ثَابِتٍ معنا فيه، مع النساء والصبيان. قالت صفية: فمر بنا رجل من يهود، فجعل يُطِيفُ بِالْحِضْنِ، وقد حاربت بنو قريظة، وقطعت ما بينها وبين رسول الله ﷺ، وليس بيننا وبينهم أحد يدفع عنا، ورسول الله ﷺ والمسلمون في نحور عدوهم، لا يستطيعون أن ينصرفوا عنهم إلينا إن أنا آت. قالت: فقلت: يا حسان، إن هذا اليهودي كما ترى يُطِيفُ بِالْحِصْنِ، وإني والله ما آمنه أن يدل على عورتنا من وراءنا من يهود، وقد شغل عنا رسول الله ﷺ وأصحابه، فانزل إليه فاقتله؛ قال: يَغْفِرُ اللهُ لَكَ يَا بِنْتَ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، والله لقد عرفت ما أنا بصاحب هذا. قالت: فلما قال لي ذلك، ولم أر عنده شيئاً، احتجرت ^(١) ثم أخذت عموداً، ثم نزلت من الحِضْنِ إليه، فضربته بالعمود حتى قتلتها. قالت: فلما فرغت منه، رجعت إلى الحِضْنِ، فقلت: يا حسان، انزل إليه فاسلبه، فإنه لم يمنعني من سلبه إلا أنه رجل؛ قال: ما لي بسلبه من حاجة يا بنة عبد المطلب ^(٢).

خداع نعيم للمشركين: قال ابن إسحاق: وأقام رسول الله ﷺ وأصحابه، فيما وصف الله من الخوف والشدة، لتظاهر عدوهم عليهم، وإتيانهم إياهم من فوقهم ومن أسفل منهم.

قال: ثم إن نعيم بن مسعود بن عامر بن أنيف بن ثعلبة بن فئدة بن هلال ابن خلاوة بن أشجع ابن زيث بن غطفان، أتى رسول الله ﷺ، فقال: يا رسول الله، إني قد أسلمت، وإن قومي لم يعلموا بإسلامي، فمزني بما شئت؛ فقال رسول الله ﷺ: «إنما أنت فينا رجلاً واحداً، فخذل عنا إن استطعت، فإن الحرب خدعة» ^(٤). فخرج نعيم بن مسعود حتى أتى بني قريظة، وكان لهم نديماً في

(١) مرشة: يريد طعنة مرشة؛ أي فجرت منه رشاش الدم. والعائد: العرق الذي لا يتقطع دمه.

(٢) احتجرت: شدت وسطها.

(٣) محمل هذا الحديث عند الناس على أن حساناً كان جباناً شديد الجبن، وقد دفع هذا بعض العلماء، وأنكره، وذلك أنه حديث منقطع الإسناد، ولو صح هذا لهجي به حسان، فإنه كان يهاجي الشعراء كضرار وابن الزبير، وغيرهما، وكانوا يناقضونه ويردونه عليه، فما عيره أحد منهم بجبن، ولا وسمه به، فدل هذا على ضعف حديث ابن إسحاق، وإن صح فربما كان حسان معتلاً في ذلك اليوم بعلّة منعتة من شهود القتال، وهذا أولى ما تأول، (الروض الأنف ٣/ ٢٨١) وانظر الخبر في تاريخ الطبري ٢/ ٥٧٧، وتاريخ الإسلام (المغازي).

(٤) حديث الحرب خدعة أخرجه البخاري في كتاب الجهاد ٤/ ٢٤ باب الحرب خدعة، من طريق معمر، عن همام بن =

الجاهليّة، فقال: يا بني قُرَيْظَةَ، قد عَرَفْتُمْ وَدِي إِيَّاكُمْ، وَخَاصَّةً مَا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ؛ قَالُوا: صَدَقْتَ، لَسْتُ عِنْدَنَا بِمَثْمُومٍ؛ فَقَالَ لَهُمْ: إِنَّ قُرَيْشًا وَغَطَفَانَ لَيْسُوا كَأَنْتُمْ، الْبَلَدُ بِلَدِّكُمْ، فِيهِ أَمْوَالُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَنَسَاؤُكُمْ، لَا تَقْدِرُونَ عَلَيَّ أَنْ تَحْوِلُوا مِنْهُ إِلَى غَيْرِهِ، وَإِنَّ قُرَيْشًا وَغَطَفَانَ قَدْ جَاؤُوا لِحَرْبِ مُحَمَّدٍ وَأَصْحَابِهِ، وَقَدْ ظَاهَرْتُمُوهُمْ عَلَيْهِ، وَبِلَدِّهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ وَنَسَاؤِهِمْ بِغَيْرِهِ، فَلَيْسُوا كَأَنْتُمْ، فَإِنْ رَأَوْا نُهْزَةً^(١) أَصَابَهَا، وَإِنْ كَانَ غَيْرَ ذَلِكَ لِحَقْوَا بِلَدِّهِمْ وَخَلُّوا بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الرَّجُلِ بِلَدِّكُمْ، وَلَا طَاقَةَ لَكُمْ بِهِ إِنْ خَلَا بِكُمْ، فَلَا تُقَاتِلُوا مَعَ الْقَوْمِ حَتَّى تَأْخُذُوا مِنْهُمْ زُهْنًا مِنْ أَشْرَافِهِمْ، يَكُونُونَ بِأَيْدِيكُمْ ثِقَةً لَكُمْ عَلَيَّ أَنْ تَقَاتِلُوا مَعَهُمْ مُحَمَّدًا حَتَّى تُنَاجِزُوهُ؛ فَقَالُوا لَهُ: لَقَدْ أَشْرَتْ بِالرَّأْيِ.

ثم خرج حتى أتى قُرَيْشًا، فقال لأبي سفيان بن حرب ومن معه من رجال قريش: قد عَرَفْتُمْ وَدِي لَكُمْ وَفِرَاقِي مُحَمَّدًا، وَإِنَّهُ قَدْ بَلَغَنِي أَمْرٌ قَدْ رَأَيْتَ عَلَيَّ حَقًّا أَنْ أْبْلَغَكُمْوهُ، نُضْحًا لَكُمْ، فَانْكُمُوا عَنِّي، فَقَالُوا: نَفْعَلُ؛ قَالَ: تَعَلَّمُوا أَنْ مَعْشَرَ يَهُودٍ قَدْ نَدِمُوا عَلَيَّ مَا صَنَعُوا فِيمَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مُحَمَّدٍ، وَقَدْ أَرْسَلُوا إِلَيْهِ: إِنَّا قَدْ نَدِمْنَا عَلَيَّ مَا فَعَلْنَا، فَهَلْ يَرْضِيكَ أَنْ نَأْخُذَ لَكَ مِنَ الْقَبِيلَتَيْنِ، مِنْ قُرَيْشٍ وَغَطَفَانَ رَجُلًا مِنْ أَشْرَافِهِمْ فَنُعْطِيكَهُمْ، فَتَضْرِبَ أَعْنَاقَهُمْ ثُمَّ نَكُونَ مَعَكَ عَلَيَّ مِنْ بَقِيٍّ مِنْهُمْ حَتَّى نَسْتَأْصِلَهُمْ؟ فَأَرْسَلَ إِلَيْهِمْ: أَنْ نَعْمَ. فَإِنْ بَعَثْتَ إِلَيْكُمْ يَهُودٌ يَلْتَمِسُونَ مِنْكُمْ زُهْنًا مِنْ رَجَالِكُمْ فَلَا تُدْفِعُوا إِلَيْهِمْ مِنْكُمْ رَجُلًا وَاحِدًا.

ثم خرج حتى أتى غَطَفَانَ، فقال: يا معشر غَطَفَانَ، إِنَّكُمْ أَضْلِي وَعَشِيرَتِي، وَأَحَبُّ النَّاسِ إِلَيَّ، وَلَا أُرَاكُمْ تَتَّهَمُونِي؛ قَالُوا: صَدَقْتَ، مَا أَنْتَ عِنْدَنَا بِمَثْمُومٍ؛ قَالَ: فَانْكُمُوا عَنِّي؛ قَالُوا: نَفْعَلُ، فَمَا أَمْرُكَ؟ ثُمَّ قَالَ لَهُمْ مِثْلَ مَا قَالَ لِقُرَيْشٍ وَحَدَّرَهُمْ مَا حَدَّرَهُمْ.

ما أنزل الله بالمشركين: فلما كانت ليلة السبت من شوال سنة خمس، وكان من صنَعِ الله لرسوله ﷺ أَنْ أَرْسَلَ أَبُو سُفْيَانَ بْنَ حَرْبٍ وَرُوَيْسُ غَطَفَانَ إِلَى بَنِي قُرَيْظَةَ عِكْرَمَةَ بْنَ أَبِي جَهْلٍ، فِي نَفَرٍ مِنْ قُرَيْشٍ وَغَطَفَانَ، فَقَالُوا لَهُمْ: إِنَّا لَسْنَا بَدَارَ مَقَامٍ، قَدْ هَلَكَ الْخَفِّ وَالْحَافِرُ^(٢)، فَاعْذُوا لِلْقِتَالِ حَتَّى تُنَاجِزَ مُحَمَّدًا، وَتَفْرُغَ مِمَّا بَيْنَنَا وَبَيْنَهُ؛ فَأَرْسَلُوا إِلَيْهِمْ: إِنْ الْيَوْمَ يَوْمَ السَّبْتِ، وَهُوَ يَوْمٌ لَا نَعْمَلُ فِيهِ شَيْئًا، وَقَدْ كَانَ أَحْدَثَ فِيهِ بَعْضُنَا حَدَثًا، فَأَصَابَهُ مَا لَمْ يَخْفَ عَلَيْكُمْ، وَلَسْنَا مَعَ ذَلِكَ بِالَّذِينَ تُقَاتِلُ مَعَكُمْ مُحَمَّدًا حَتَّى تُعْطُونَا زُهْنًا مِنْ رَجَالِكُمْ، يَكُونُونَ بِأَيْدِينَا ثِقَةً لَنَا حَتَّى نَنَاجِزَ مُحَمَّدًا، فَإِنَّا نَخْشَى إِنْ ضَرَّسْتُمْ^(٣) الْحَرْبَ، وَاشْتَدَّ عَلَيْكُمْ الْقِتَالُ أَنْ تَتَّشَمَرُوا^(٤) إِلَى بِلَادِكُمْ وَتَتْرَكُونَا، وَالرَّجُلُ فِي بِلَدِّنَا، وَلَا

= مِنْهُ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، وَمِنْ طَرِيقِ صَدَقَةَ بْنِ الْفَضْلِ، عَنْ ابْنِ عِينَةَ، عَنْ عَمْرٍو، عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ. وَأَخْرَجَهُ فِي كِتَابِ الْمَنَاقِبِ ١٧٩/٤ بِأَبِ عَمْرٍو، وَأَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ فِي كِتَابِ الزَّكَاةِ (١٠٦٦/١٥٤) بِأَبِ التَّحْرِيزِ عَلَى قَتْلِ الْخَوَارِجِ، وَفِي كِتَابِ الْجِهَادِ وَالسِّيَرِ (١٧٣٩/١٧) وَ(١٧٤٠/١٨) بِأَبِ جَوَازِ الْخَدَّاعِ فِي الْحَرْبِ. وَأَبُو دَاوُدَ فِي كِتَابِ الْجِهَادِ (٢٦٣٦) وَ(٢٦٣٧) بِأَبِ الْمَكْرُ فِي الْحَرْبِ. وَفِي كِتَابِ السَّنَةِ (٤٧٦٧) بِأَبِ فِي قِتَالِ الْخَوَارِجِ. وَابْنُ مَاجَةَ فِي كِتَابِ الْجِهَادِ (٢٨٣٣) بِأَبِ الْخَدِيعَةَ فِي الْحَرْبِ، وَ(٢٨٣٤)، وَالدَّارِمِيُّ فِي كِتَابِ السِّيَرِ، بِأَبِ (١٣)، وَأَحْمَدُ فِي الْمُسْنَدِ ٨١/١ وَ٩٠ وَ١١٣ وَ٢٦٠ أَوْ ١٣١ وَ١٣٤ وَ٣١٢/٢ وَ٣١٤ وَ٢٢٤/٣ وَ٢٩٧ وَ٣٨٠ وَ٣٨٧/٦، وَالبُدَيْهِ وَالتَّارِيخُ ٢١٩/٤.

(٢) الْخَفِّ: الْإِبِلُ. وَالْحَافِرُ: الْخَيْلُ.

(١) النُهْزَةُ: الْفُرْصَةُ.

(٣) ضَرَّسْتُمْ: نَالَتْ مِنْكُمْ.

(٤) تَتَّشَمَرُونَ: تَرْجِعُونَ.

طاقة لنا بذلك منه. فلما رجعت إليهم الرسل بما قالت بنو قريظة، قالت قريش وعتفان: والله إن الذي حدثكم نعيم بن مسعود لحق، فأرسلوا بني قريظة: إنا والله لا ندفع إليكم رجلاً واحداً من رجالنا، فإن كنتم تريدون القتال فاحرّجوا فقاتلوا؛ فقالت بنو قريظة، حين انتهت الرسل إليهم بهذا: إن الذي ذكر لكم نعيم بن مسعود لحق، ما يريد القوم إلا أن يقتلوا، فإن رأوا فرصة انتهزوها، وإن كان غير ذلك انشمروا إلى بلادهم، وخلّوا بينكم وبين الرجل في بلدكم، فأرسلوا إلى قريش وعتفان: إنا والله لا نقاتل معكم محمداً حتى تُغطونا رُهنًا؛ فأبوا عليهم، وخذّل الله بينهم، وبعث الله عليهم الريح في ليالٍ شاتيّة باردة شديدة البرد، فجعلت تكفأ قُدورهم، وتطرح أبنيتهم.

استخبار ما حلّ بالمشرّكين: قال: فلما انتهى إلى رسول الله ﷺ ما اختلف من أمرهم، وما فرق الله من جماعتهم، دعا حذيفة بن اليمان، فبعثه إليهم، لينظر ما فعل القوم ليلاً^(١).

قال ابن إسحاق: فحدثني يزيد بن زياد، عن محمد بن كعب القرظي، قال: قال رجل من أهل الكوفة لحذيفة بن اليمان: يا أبا عبد الله، أرايتم رسول الله ﷺ وصحبتهم؟ قال: نعم، يا بن أخي؛ قال: فكيف كنتم تصنعون؟ قال: والله لقد كنا نجهد؛ قال: فقال: والله لو أدركناه ما تركناه يمشي على الأرض ولحملناه على أعناقنا. قال: فقال حذيفة: يا بن أخي، والله لقد رأيتنا مع رسول الله ﷺ بالخندق، وصلى رسول الله ﷺ هويّاً^(٢) من الليل، ثم التفت إلينا فقال: مَنْ رَجُلٌ يَقُومُ فَيَنْظُرُ لَنَا مَا فَعَلَ الْقَوْمُ ثُمَّ يَرْجِعُ - يَشْرَطُ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الرَّجْعَةَ - أَسْأَلَ اللَّهَ تَعَالَى أَنْ يَكُونَ رَفِيقِي فِي الْجَنَّةِ؟ فَمَا قَامَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ، مِنْ شِدَّةِ الْخَوْفِ، وَشِدَّةِ الْجُوعِ، وَشِدَّةِ الْبُرْدِ؛ فَلَمَّا لَمْ يَقُمْ أَحَدٌ، دَعَانِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَلَمْ يَكُنْ لِي بَدٌّ مِنَ الْقِيَامِ حِينَ دَعَانِي؛ فَقَالَ: يَا حَذِيفَةَ، أَذْهَبُ فَادْخُلْ فِي الْقَوْمِ، فَانظُرْ مَاذَا يَصْنَعُونَ، وَلَا تُحَدِّثَنَّ شَيْئاً حَتَّى تَأْتِيَنَا. قال: فذهبت فدخلت في القوم والريح وجنود الله تفعل بهم ما تفعل، لا تُقرّر لهم قدراً ولا ناراً ولا بناءً. فقام أبو سفيان، فقال: يا معشر قريش، لينظر امرؤ من جليسه؟ قال حذيفة: فأخذت بيد الرجل الذي كان إلى جنبي، فقلت: من أنت؟ قال: فلان ابن فلان.

أبو سفيان ينادي: ثم قال أبو سفيان: يا معشر قريش، إنكم والله ما أضحتم بدار مقام، لقد هلك الكراع والخف^(٣)، وأخلفتنا بنو قريظة، وبلغنا عنهم الذي نكره، ولقينا من شدة الريح ما ترؤن، ما تطمئن لنا قدر، ولا تقوم لنا نار، ولا يستمسك لنا بناء، فارتحلوا فإني مرتحل؛ ثم قام إلى جملة وهو مَعْقُولٌ، فجلس عليه، ثم ضربه، فوثب به على ثلاث، فوالله ما أطلق عقاله إلا وهو قائم، ولولا عهد رسول الله ﷺ إليّ «أن لا تُحدث شيئاً حتى تأتيني»، ثم سئت، لقتلته بسهم.

قال حذيفة: فرجعت إلى رسول الله ﷺ وهو قائم يصلي في مرط^(٤) لبعض نسائه، مراجل^(٥).

قال ابن هشام: المراجل: ضرب من وشي اليمن.

(١) تاريخ الطبري ٥٧٨/٢، ٥٨٩، تاريخ الإسلام (المغازي).

(٢) هويّاً من الليل: جزءاً منه.

(٣) الكراع: الخيل. الخف: الإبل.

(٤) المرط: كساء من صوف أو خز.

(٥) مراجل: المرّجل كمعظم، المعلم من البرود والثياب، وبُرد مرّجل فيه صور كصور الرجال. والمرّجل (بالحاء) ضرب من

برود اليمن سُمّي مرّجلاً لأنّ عليه تصاوير رحل، ومرط مرّجل عليه تصاوير الرجال.

فلما رأي أدخني إلى رجليه، وطرح عليّ طَرْفَ المَرْط، ثم ركع وسجد، وإني لفيهِ، فلما سلّم أخبرته الخبر، وسمعت غطفان بما فعلت فُريش، فانشمروا راجعين إلى بلادهم^(١). الرجوع من الخندق: قال ابن إسحاق: ولما أصبح رسول الله ﷺ انصرف عن الخندق راجعاً إلى المدينة والمسلمون، ووضعوا السلاح.

غزوة بني قريظة في سنة خمس^(٢)

جبريل يأتي بحرب بني قريظة:

فلما كانت الظُّهر، أتى جبريل ﷺ رسول الله ﷺ، كما حدثني الزُّهري، معتجراً^(٣) بعمامة من إستبرق^(٤)، على بَعْلَة عليها رِحالة^(٥)، عليها قטיפه من ديباج، فقال: أوقد وضعت السلاح يا رسول الله؟ قال: نعم؛ فقال جبريل: فما وضعت الملائكة السلاح بعد، وما رجعت الآن إلا من طلب القوم، إن الله عز وجل يأمرك يا محمد بالمسير إلى بني قريظة، فإني عامدٌ إليهم فمزلزل بهم^(٦). فأمر رسول الله ﷺ مؤذناً، فأذن في الناس: من كان سامعاً مُطيعاً، فلا يصلين العصر إلا ببني قريظة^(٧).

تعمال ابن أم مكتوم على المدينة:

واستعمل على المدينة ابن أم مكتوم، فيما قال ابن هشام.

علي يبيح الرسول ما سمعه من بني قريظة: قال ابن إسحاق: وقدم رسول الله ﷺ علي بن أبي طالب برأيته إلى بني قريظة، وابتدراها الناس. فسار علي بن أبي طالب، حتى إذا دنا من الحصون سمع منها مقالةً قبيحةً لرسول الله ﷺ، فرجع حتى لقي رسول الله ﷺ بالطريق، فقال: يا رسول الله، لا عليك أن لا تدنو من هؤلاء الأخابث؛ قال: لِمَ؟ أظنك سمعت منهم لي أذى؟ قال: نعم يا رسول الله؛ قال: لو رأوني لم يقولوا من ذلك شيئاً. فلما دنا رسول الله ﷺ من حصونهم. قال: يا إخوان القردة، هل أخزاكم الله وأنزل بكم نعمته؟ قالوا: يا أبا القاسم، ما كنت جهولاً^(٨).

(١) تاريخ الطبري ٢/٥٨٠، ٥٨١، تفسير الطبري ٢١/٨٠، تاريخ الإسلام (المغازي).

(٢) انظر عنها في: تاريخ الطبري ٢/٥٨١ - ٥٩٣، المغازي لعروة ١٨٦ - ١٨٩، الدرر ١٨٩، جوامع السيرة ١٩١، المغازي للواقدي ٢/٤٩٦ - ٥٣١، الطبقات الكبرى ٢/٧٤ - ٧٨، أنساب الأشراف ١/٣٤٧، ٤٨ رقم ٧٣٣، المحبر ١١٣، البدء والتاريخ ٤/٢١٩، الكامل في التاريخ ٢/١٨٥ - ١٨٧، عيون الأثر ٢/٦٨ - ٧٨، مجمع الزوائد ٦/١٣٠ - ١٤٢، مرآة الجنان ١/٩، ١٠، سيرة ابن كثير ٣/٢٢٣ - ٢٦٠، عيون التواريخ ١/٢٠٦ - ٢١١، نهاية الأرب ١٧/١٨٦ - ١٩٧، صحيح البخاري ٥/٤٩ - ٥١، تاريخ الإسلام (المغازي).

(٣) الاعتجار: التعمم على الرأس فقط دون جوانب الوجه.

(٤) الاستبرق: الديباج الغليظ الصفيق الحسن.

(٥) الرحالة: السرج. (٦) تاريخ الطبري ٢/٥٨١.

(٧) أخرج البخاري في كتاب المغازي (٥/٤٩، ٥٠) باب مرجع النبي ﷺ من الأحزاب، ومسلم في كتاب الجهاد والسير (١٧٦٩) باب جواز قتال من نقض العهد. بنحوه.

(٨) تاريخ الطبري ٢/٥٨٢، وانظر مسند أحمد ٦/١٤١، ١٤٢.

جبريل في صورة دحية الكلبي: ومَرَّ رسول الله ﷺ بنَفَرٍ من أصحابه بالصَّوْرَيْنِ (١) قبل أن يصل إلى بني قُريظة، فقال: هل مَرَّ بكم أحد؟ قالوا: يا رسول الله، قد مرَّ بنا دحية بن خليفة الكلبي، على بَعْلَةٍ بيضاء عليها رحالة، عليها قُطيفة ديباج. فقال رسولُ الله ﷺ: «ذلك جبريل، بُعث إلى بني قُريظة يُزلزل بهم حُصونهم، ويقذف الرعبَ في قلوبهم» (٢).

ولما أتى رسول الله ﷺ بني قريظة: نزل على بئر من آبارها من ناحية أموالهم، يقال لها بئر أنا (٣).

قال ابن هشام: بئر أتى.

قال ابن إسحاق: وتلاحق به الناس، فأتى رجالٌ منهم من بعد العشاء الآخرة، ولم يصلوا العصر، لقول رسول الله ﷺ: «لا يصلين أحد العصر إلا ببني قُريظة»، فشغلهم ما لم يكن منه بد في حُرْبِهِمْ، وأبوا أن يصلوا، لقول رسول الله ﷺ: «حتى تأتوا بني قريظة». فصلوا العصر بها، بعد العشاء الآخرة، فما عابهم الله بذلك في كتابه، ولا عَثْنَهُمْ (٤) به رسولُ الله ﷺ. حدثني بهذا الحديث أبي إسحاق ابن يسار، عن معبد بن كعب بن مالك الأنصاري (٥).

الحصار: قال: وحاصرهم رسول الله ﷺ خمساً وعشرين ليلة، حتى جهدهم الحصار، وقذف الله في قلوبهم الرعب (٦).

وقد كان حُيَيُّ بن أخطب دخل مع بني قريظة في حُصْنِهِمْ، حين رجعت عنهم قريش وغطفان، وفاءً لكعب بن أسد بما كان عاهده عليه.

كعب بن أسد ينصح قومه: فلما أيقنوا بأن رسولَ الله ﷺ غير مُنصرف عنهم حتى يُناجزهم، قال كعب بن أسد لهم: يا معشر يهود، قد نزل بكم من الأمر ما ترون، وإني عارض عليكم خلافاً ثلاثاً، فخذوا أيها شتمت؛ قالوا: وما هي؟ قال: نتابع هذا الرجل ونصدقَه، فوالله لقد تبيَّن لكم أنه لنبيٌّ مُرْسَلٌ، وأنه للذي تَجِدُونَهُ في كتابكم، فتأمنون على دماءكم وأموالكم وأبنائكم ونسائكم؛ قالوا: لا نفارق حكمَ التَّوراةِ أبداً، ولا نستبدل به غيره؛ قال: فإذا أبيتم عليَّ هذه، فهلمَّ فلنقتل أبناءنا ونساءنا، ثم نخرج إلى محمد وأصحابه رجالاً مُضلتين السيوف، لم تترك وراءنا ثَقْلاً، حتى يَحْكُمَ اللهُ بيننا وبين محمد، فإن نُهَلِكْ نُهَلِكْ، ولم نترك وراءنا نَسْلاً نخشى عليه، وإن نُظْهِرْ فلعمري لنجدنَّ النساء

(١) الصوريين: موقع قريب من المدينة. (٢) تاريخ الطبري ٥٨٢/٢.

(٣) أنا: مثل «هنا» أو مثل «حتى» أو بكسر النون المشددة، ويروى بموحدة بدل النون. من آبار بني قريظة. (معجم البلدان).

(٤) وفي هذا من الفقه أنه لا يعاب على من أخذ بظاهر حديث أو آية، فقد صلت منهم طائفة قبل أن تغرب الشمس، وقالوا: لم يرد النبي - ﷺ - إخراج الصلاة عن وقتها، وإنما أراد الحث والإعجال فما عنف أحدًا من الفريقين، وفي هذا دليل على أن كل مختلفين في الفروع من المجتهدين مصيب، وفي حكم داود وسليمان في الحرث أصل لهذا الأصل أيضاً، فإنه قال سبحانه: «فَفهمناها سليمان وكلا آتينا حكماً وعلماً» ولا يستحيل أن يكون الشيء صواباً في حق إنسان وخطأ في حق غيره، فيكون من اجتهد في مسألة فأذاه اجتهداه إلا التحليل مصيباً في استحلاله؛ وآخر اجتهد فأذاه اجتهداه ونظيره إلى تحريمها، مصيباً في تحريمها، وإنما المحال أن يحكم في النازلة بحكمين متضادين في حق شخص واحد، وانظر حول هذه المسألة الروض الأنف ٣/ ٢٨١، ٢٨٢.

(٥) تاريخ الطبري ٥٨٢/٢. (٦) تاريخ الطبري ٥٨٣/٢.

والأبناء؛ قالوا: نقتل هؤلاء المساكين! فما خير العيش بعدهم؟ قال: فإن أبيتُم عليَّ هذه، فإن الليلة ليلة السبت، وإنه عسى أن يكون محمد وأصحابه قد أمنونا فيها، فانزلوا لعلنا نُصيب من محمد وأصحابه غزوة؛ قالوا: نُفسد سببتنا علينا، وتُحدث فيه ما لم يحدث من كان قبلنا إلا من قد علمت، فأصابه ما لم يخف عليك من المسخ! قال: ما بات رجل منكم منذ ولدته أمه ليلة واحدة من الدهر حازماً^(١).

قصة أبي لبابة: قال: ثم إنهم بعثوا إلى رسول الله ﷺ: أن ابعث إلينا أبا لبابة^(٢) بن عبد المُنذر، أخا بني عمرو بن عوف، وكانوا حُلفاء الأوس، لِنسْتشيره في أمرنا، فأرسله رسول الله ﷺ إليهم؛ فلما رآه قام إليه الرجال، وجهش^(٣) إليه النساء والصبيان يَبكون في وجهه، فرق لهم، وقالوا له: يا أبا لبابة! أتري أن تنزل على حُكم محمد؟ قال: نعم، وأشار بيده إلى حلقه، إنه الذبيح. قال أبو لبابة: فوالله ما زالت قدماي من مكانهما حتى عرفتُ أني قد خنتُ الله ورسوله ﷺ، ثم انطلق أبو لبابة على وجهه ولم يأت رسول الله ﷺ حتى ارتبط في المسجد إلى عمود من عمدته، وقال: لا أبرح مكاني هذا حتى يتوب الله عليَّ مما صنعت، وعاهد الله: أن لا أطأ بني قريظة أبداً، ولا أرى في بلد خنتُ الله ورسوله فيه أبداً^(٤).

قال ابن هشام: وأنزل الله تعالى في أبي لبابة، فيما قال سُفيان بن عُيينة، عن إسماعيل بن أبي خالد، عن عبد الله بن أبي قتادة: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَحْزَنُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَحْزَنُوا أَمْنَتَكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [الأنفال: ٢٧].

قال ابن إسحاق: فلما بلغ رسول الله ﷺ خبره، وكان قد استبطأه، قال: أما إنه لو جاءني لاستغفرتُ له، فأما إذ قد فعل ما فعل، فما أنا بالذي أطلقه من مكانه حتى يتوب الله عليه.

قال ابن إسحاق: فحدثني يزيد بن عبد الله بن قُسيط: أن توبة أبي لبابة نزلت على رسول الله ﷺ من السَّحَر، وهو في بيتِ أم سلمة. فقالت أم سلمة: فسمعتُ رسولَ الله ﷺ من السَّحَر وهو يضحك. قالت: فقلت: مم تضحك يا رسول الله؟ أضحك الله سنك؟ قال: «تيب على أبي لبابة»؛ قالت: قلت: أفلا أبشره يا رسول الله؟ قال: «بلى، إن شئت». قال: فقامت على باب حجرتها، وذلك قبل أن يُضرب عليهنَّ الحِجَاب، فقالت: يا أبا لبابة، أبشر فقد تاب الله عليك. قالت: فثار الناس إليه ليُطلقوه فقال: لا والله حتى يكون رسولُ الله ﷺ هو الذي يُطلقني بيده؛ فلما مرَّ عليه رسولُ الله ﷺ خارجاً إلى صلاة الصبح أطلقه^(٥).

(١) تاريخ الطبري ٥٨٣/٢، ٥٨٤، تاريخ الإسلام (المغازي).

(٢) هو رفاعة بن عبد المنذر بن زبير وقيل: اسمه مبشر، وتاب وربط نفسه حتى تاب الله عليه، وذكر فيه أنه أقسم ألا يحلَّه إلا رسول الله ﷺ، وفيه: أنزل الله تعالى: «وآخرهم اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملاً صالحاً»، غير أن المفسرين اختلفوا في ذنبه ما كان، فقال ابن إسحاق ما ذكره في السيرة من إشارته على بني قريظة، وقال آخرون: كان من المخلفين الذين تخلَّفوا عن رسول الله ﷺ في غزوة تبوك، فنزلت توبة الله عليه في هذه الآية. (الروض الأنف ٣/٢٨٢).

(٣) في تاريخ الطبري «بهش» أي خف إليه.

(٤) تاريخ الطبري ٥٨٤/٢، ٥٨٥.

(٥) تاريخ الطبري ٥٨٥/٢، التفسير ٩٦/٢١.

قال ابن هشام: أقام أبو لبابة مُرْتَبطاً بالجذع ستَّ ليالٍ، تأتيه امرأته في كلِّ وَقتٍ صلاةً، فتحله للصلاة، ثم يعود فيرتبط بالجذع، فيما حدثني بعض أهل العلم، والآية التي نزلت في توبته قولُ الله عزَّ وجلَّ: ﴿وَأَخْرَجُوا عَرَفْرُؤًا يُذَوِّبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا عَسَى اللَّهُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [التوبة: ١٠٢].

إسلام بعض بني هذَل: قال ابن إسحاق: ثم إن ثعلبة بن سَعِيَةَ، وأسيد بن سَعِيَةَ، وأسد بن عُبَيْد، وهم نفر من بني هذَل، ليسوا من بني قُريظة ولا النَّضِير، نَسَبُهُم فوق ذلك، هم بنو عمِّ القوم، أسلموا تلك الليلة التي نزلت فيها بنو قُريظة على حكم رسول الله ﷺ^(١).

قصة عمرو بن سَعْدَى: وخرج في تلك اللَّيلة عَمْرُو بن سَعْدَى القُرظي، فمرَّ بحرس رسول الله ﷺ، وعليه محمد بن مَسْلَمَةَ تلك اللَّيلة؛ فلما رآه قال: من هذا؟ قال: أنا عمرو بن سَعْدَى - وكان عمرو قد أبى أن يدخل مع بني قُريظة في غدرهم برسول الله ﷺ، وقال: لا أغدر بمحمد أبداً - فقال محمد بن مَسْلَمَةَ حين عرفه: اللهم لا تحرمني إقالة عَثْرَات الكِرَام، ثم خَلَى سبيله. فخرج على وجهه حتى أتى باب مسجد رسول الله ﷺ بالمدينة تلك اللَّيلة، ثم ذهب فلم يُدر^(٢) أين توجه من الأرض إلى يومه هذا، فذكر لرسول الله ﷺ شأنه؛ فقال: «ذاك رجل نَجَّاه الله بوفائه». وبعض الناس يزعم أنه كان أوثق بَرْمَةً^(٣) فيمن أوثق من بني قُريظة، حين نزلوا على حُكْم رسول الله ﷺ فأصبحت رمته مُلقاة، ولا يُدرى أين ذهب؛ فقال رسول الله ﷺ فيه تلك المقالة، والله أعلم أي ذلك كان^(٤).

تحكيم سعد في أمر بني قريظة: قال: فلما أصبحوا نزلوا على حُكْم رسول الله ﷺ، فتوثبت الأوس، فقالوا: يا رسول الله، إنهم موالينا دون الخزرج، وقد فعلت في موالي إخواننا بالأوس ما قد علمت - وقد كان رسولُ الله ﷺ قبل بني قُريظة قد حاصر بني قَيْنُقَاع، وكانوا حُلفاء الخزرج، فنزلوا على حكمه، فسأله إياهم عبدُ الله بن أبيّ ابن سلول، فوهبهم له - فلما كلمته الأوس قال رسول الله ﷺ: «ألا ترضون يا معشر الأوس أن يحكم فيهم رجل منكم؟» قالوا: بلى؛ قال رسولُ الله ﷺ: «فذاك إلى سعد بن مُعَاذ». وكان رسولُ الله ﷺ قد جعل سعد بن مُعَاذ في حَيْمَةَ لامرأة من أسلم، يُقال لها رُفَيْدَة^(٥)، في مسجده، كانت تُداوي الجَرْحَى، وتحتسب بنفسها على خِدْمَةِ مَنْ كانت به ضَيْعَةً من المُسلمين، وكان رسولُ الله ﷺ قد قال لقومه حين أصابه السهم بالخذق: «اجعلوه في حَيْمَةَ رُفَيْدَة حتى أعوده من قريب». فلما حَكَّمه رسولُ الله ﷺ في بني قُريظة، أتاه قومه فحمله على حمار قد وطئوا له بوسادة من آدم، وكان رجلاً جسيماً جميلاً، ثم أقبلوا معه إلى رسول الله ﷺ، وهم يقولون: يا أبا عمرو، أحسن في مواليك، فإن رسولُ الله ﷺ إنمَّا وِلاكَ ذلك لتُحسن فيهم؛ فلما أكثروا عليه قال: لقد أتى لسعد أن لا تأخذه في الله لَوْمَةٌ لائم. فرجع بعض من كان معه من قومه إلى دار بني عبد الأشهل، فتعَى لهم رجال بني قُريظة، قبل أن يصل إليهم سعد، عن كلمته التي سمع منه. فلما انتهى سعد إلى رسول الله ﷺ والمسلمين، قال رسولُ الله ﷺ: «قوموا إلى سيديكم» - فأما

(١) تاريخ الطبري ٥٨٥/٢، تاريخ الإسلام (المغازي). (٢) في تاريخ الطبري ٥٨٦/٢ «فلا يُدرى».

(٣) الرمة: الحيل البالي.

(٤) تاريخ الطبري ٥٨٦/٢.

(٥) وقيل إنها أنصارية من أسلم.

المُهَاجِرُونَ مِنْ قُرَيْشٍ، فيقولون: إنما أراد رسولُ الله ﷺ الأَنْصَارَ؛ وأما الأَنْصَارُ، فيقولون: قد عمَّ بها رسولُ الله ﷺ - فقاموا إليه، فقالوا: يا أبا عمرو، إن رسولَ الله ﷺ قد ولَّكَ أَمْرَ مَوَالِيكَ لِتُحْكَمَ فِيهِمْ؛ فقال سعد بن معاذ: عليكم بذلك عهدُ الله وميثاقه، أن الحُكْمَ فِيهِمْ لَمَّا حَكَمْتُمْ؟ قالوا: نعم: وعلى مَنْ هَا هُنَا؟ في الناحية التي فيها رسولُ الله ﷺ، وهو مُعْرَضٌ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِجْلَالاً لَهُ؛ فقال رسولُ الله ﷺ: «نعم»؛ قال سعد: فإني أحكم فيهم أن تُقْتَلَ الرِّجَالُ، وتُقَسَّم الأَمْوَالُ، وتُسَبَّى الذَّرَارِيُّ والنِّسَاءُ^(١).

قال ابن إسحاق: فحدثني عاصمُ بن عمر بن قتادة، عن عبد الرحمن بن عمرو بن سعد بن معاذ، عن عَلْقَمَةَ بْنِ وَقَّاصِ اللَّيْثِيِّ، قال: قال رسولُ الله ﷺ لسعد: «لقد حكمت فيهم بحُكْمِ اللَّهِ مِنْ فَوْقِ سَبْعَةِ أَرْقَعَةٍ»^(٢).

قال ابن هشام: حدثني بعضُ من أثقُّ به من أهل العلم: أن عليَّ بن أبي طالبٍ صاح وهم مُحَاصِرُونَ بَنِي قُرَيْظَةَ: يَا كَتِيبَةَ الْإِيمَانِ، وَتَقَدَّمَ هُوَ وَالزُّبَيْرُ بْنُ الْعَوَّامِ، وَقَالَ: وَاللَّهِ لَا ذَوْقَنَ مَا ذَاقَ حَمْزَةَ أَوْ لَا فِتْحَنَ حِصْنَهُمْ؛ فقالوا: يا محمد، نزل على حُكْمِ سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ.

قال ابن إسحاق: ثم استنزلوا، فحبسهم رسولُ الله ﷺ بالمدينة في دار بنت الحارث^(٣)، امرأة من بني النُّجَّارِ، ثم خرج رسولُ الله ﷺ إلى سوق المدينة، التي هي سوقها اليوم، فحَنَدَقَ بِهَا خَنَادِقَ، ثُمَّ بَعَثَ إِلَيْهِمْ، فَضْرَبَ أَعْنَاقَهُمْ فِي تِلْكَ الْخَنَادِقِ، يُخْرِجُ بِهِمْ إِلَيْهِ أَرْسَالاً^(٤)، وفيهم عدوُّ الله حُيَیُّ بْنُ أَخْطَبِ، وَكَعْبُ بْنُ أَسَدٍ، وَأَسَدُ الْقَوْمِ، وَهُمْ سِتُّ مِائَةٍ أَوْ سَبْعُ مِائَةٍ، وَالْمُكْثَرُ لَهُمْ يَقُولُ: كَانُوا بَيْنَ الثَّمَانِ مِائَةٍ وَالتَّسْعِ مِائَةٍ. وَقَدْ قَالُوا لِكَعْبِ بْنِ أَسَدٍ، وَهُمْ يُذْهَبُ بِهِمْ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَرْسَالاً: يَا كَعْبُ، مَا تَرَاهُ يُصْنَعُ بِنَا؟ قَالَ: أَفِي كُلِّ مَوْطِنٍ لَا تَعْقِلُونَ؟ أَلَا تَرَوْنَ الدَّاعِيَ لَا يَنْزِعُ، وَأَنَّهُ مِنْ ذُهِبٍ بِهِ مِنْكُمْ لَا يَزِجُّعُ؟ هُوَ وَاللَّهِ الْقَتْلُ! فَلَمْ يَزَلْ ذَلِكَ الدَّابَّ حَتَّى فَرَّغَ مِنْهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ^(٥).

وَأَتَى بِحُيَیِّ بْنِ أَخْطَبِ عَدُوَّ اللَّهِ، وَعَلَيْهِ حُلَّةٌ لَهُ فِقَاحِيَّةٌ^(٦) - قَالَ ابْنُ هِشَامٍ: فِقَاحِيَّةٌ: ضَرْبٌ مِنَ الْوَشِيِّ - قَدْ شَقَّهَا عَلَيْهِ مِنْ كُلِّ نَاحِيَةٍ قَدْرَ أَنْمَلَةٍ لثَلَا يُسَلِّبَهَا، مَجْمُوعَةٌ يَدَاهُ إِلَى عُنُقِهِ بِحَبْلِ. فَلَمَّا نَظَرَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: أَمَا وَاللَّهِ مَا لَمْتُ نَفْسِي فِي عِدَاوَتِكَ، وَلَكِنَّهُ مِنْ يَخْذُلُ اللَّهَ يُخْذَلُ، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى النَّاسِ، فَقَالَ: أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّهُ لَا بَأْسَ بِأَمْرِ اللَّهِ، كِتَابٌ وَقَدْرٌ وَمُلْحَمَةٌ كَتَبَهَا اللَّهُ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ، ثُمَّ جَلَسَ فَضْرِبَتْ عُنُقَهُ.

فقال جبيل بن جوال الثعلبي:

لَعَمْرِكَ مَا لَأَمَ ابْنُ أَخْطَبِ نَفْسَهُ وَلَكِنَّهُ مَنْ يَخْذُلُ اللَّهَ يُخْذَلُ

(١) تاريخ الطبري ٥٨٧/٢ - ٥٨٨.

(٢) الأربعة: السماوات. والخبر في تاريخ الطبري ٥٨٨/٢ وانظر الروض الأنف ٢٨٣/٣.

(٣) واسمها: كيسة بنت الحارث بن كريض بن حبيب بن عبد شمس، وكانت تحت مسيلمة الكذاب، ثم خلف عليها عبد الله بن عامر بن كريض (الروض الأنف ٢٨٣/٣).

(٤) أرسالا: طائفة وراء أخرى.

(٥) تاريخ الطبري ٥٨٨/٢.

(٦) فِقَاحِيَّةٌ: تضرب إلى لون الحمرة.

لجَاهِدَ حَتَّىٰ أَبْلُغَ النَّفْسَ عُدْرَهَا وَقَلَّقَلْ يَبْغِي الْعِزَّ كُلَّ مُقَلَّقَلٍ^(١)

قال ابن إسحاق: وقد حدثني محمد بن جعفر بن الزبير، عن عروة بن الزبير، عن عائشة أم المؤمنين أنها قالت: لم يقتل من نسائهم إلا امرأة واحدة. قالت: والله إنها لعندي تَحَدَّثُ معي، وتضحك ظهراً وبطناً، ورسول الله ﷺ يقتل رجالها في السوق، إذ هتف هاتفٌ باسمها: أين فلانة؟ قالت: أنا والله، قالت: قلت لها: ويلك؛ ما لك؟ قالت: أقتل؛ قلت: ولم؟ قالت: لحدث أحدثته؛ قالت: فانطلق بها، فضربت عنقها؛ فكانت عائشة تقول: فوالله ما أنسى عَجَباً منها، طيبٌ نفسها، وكثرة ضحكها، وقد عرفت أنها تُقتل^(٢).

قال ابن هشام: وهي التي طرحت الرُّحَا على خلاد بن سويد، فقتلته.

قصة الزبير بن باطا: قال ابن إسحاق: وقد كان ثابت بن قيس بن الشَّماس، كما ذكر لي ابنُ شهاب الزُّهري، أني الزُّبير^(٣) بن باطا القُرظي، وكان يُكنى أبا عبد الرحمن - وكان الزبير قد مَنَّ على ثابت بن قيس بن شماس في الجاهلية. ذكر لي بعضُ ولد الزُّبير أنه كان من عليه يوم بُعث، أخذه فجزأ ناصيته، ثم خلَّى سبيله - فجاءه ثابت وهو شيخ كبير، فقال: يا أبا عبد الرحمن، هل تعرفني؟ قال: وهل يَجْهَل مثلي مثلك؟ قال: إني قد أردت أن أجزيك بيدك عندي؛ قال: إن الكريم يجزي الكريم؛ ثم أتى ثابت بن قيس رسول الله ﷺ، فقال: يا رسول الله إنه قد كانت للزُّبير عليّ مئة، وقد أحببت أن أجزيه بها، فهب لي دمه؛ فقال رسول الله ﷺ: «هو لك»؛ فأتاه فقال: إن رسول الله ﷺ قد وهب لي دمك، فهو لك؛ قال: شيخ كبير لا أهل له ولا ولد، فما يصنع بالحياة؟ قال: فأتى ثابت رسول الله ﷺ فقال: بأبي أنت وأمي يا رسول الله، هب لي امرأته وولده؛ قال: «هُم لك». قال: فأتاه فقال: قد وهب لي رسول الله ﷺ أهلَكَ وولدك، فهم لك؛ قال: أهل بيت بالحجاز لا مال لهم، فما بقاؤهم على ذلك؟ فأتى ثابت رسول الله ﷺ، فقال: يا رسول الله، ماله؛ قال: «هو لك». فأتاه ثابت فقال: قد أعطاني رسول الله ﷺ مالك، فهو لك؛ قال: أي ثابت، ما فعل الذي كأن وجهه مرآة صينية يتراءى فيها عَدَارَى الحَيِّ، كعب بن أسد؟ قال: قُتل؛ قال: فما فعل سيّد الحاضر والبادي حَيِّي بن أخطب؟ قال: قُتل؛ قال: فما فعل مُقَدِّمتنا إذا شددنا، وحاميتنا إذا فررنا، عَزَّال بن سَمَوَال؟ قال: قُتل؛ قال: فما فعل المجلسان؟ يعني بني كعب بن قريظة وبني عمرو بن قريظة؛ قال: ذهبوا قُتلوا؟ قال: فإني أسألك يا ثابت بيدي عندك إلا ألحقتني بالقوم، فوالله ما في العيش بعد هؤلاء من خير، فما أنا بصابر لله فِتْلَةً^(٤) دَلُو ناضح^(٥) حتى ألقى الأحبة. فقدّمه ثابت، فضرب عنقه.

(١) قلقل: تحرك. والخبر والبيتان في تاريخ الطبري ٥٨٨/٢، ٥٨٩.

(٢) تاريخ الطبري ٥٨٩/٢.

(٣) هو الزبير بفتح الزاي وكسر الباء جد الزبير بن عبد الرحمن المذكور في الموطأ في كتاب النكاح، واختلف في الزبير بن عبد الرحمن، فقيل: الزبير بفتح الزاي وكسر الباء كاسم جدّه وقيل الزُّبير، وهو قول البخاري في التاريخ (الروض الأنف ٣/ ٢٨٤).

(٤) في تاريخ الطبري ٥٩٠/٢ «قبلة». قال أبو ذر الخشني: «ومن رواه قبلة بالقاف والباء، فهو بمقدار ما يقبل الرجل الدلو ليصبها في الحوض ثم يصرها، وهذا كله لا يكون إلا عن استعجال وسرعة».

(٥) الناضح: الحبل. والمعنى مقدراً ما يأخذ الرجل الدلو ليصبها في الحوض.

فلما بلغ أبا بكر الصديق قوله «ألقي الأحبة». قال: يلقاهم والله في نار جهنم خالداً (فيها) مخلداً^(١).

قال ابن هشام: قبلة دلو ناضح. قال زهير بن أبي سلمى في «قبلة»:

وقابل يَتَغَنَّى كُلمًا قَدَرَتْ على العَرَاقِي يَدَاهُ قائماً دَفَقَا
وهذا البيت في قصيدة له.

قال ابن هشام: ويروى: وقابل يتلقى، يعني قابل الدلو يتناول.

عطية القرشي ورفاعة بن سمّوأل: قال ابن إسحاق: وكان رسول الله ﷺ قد أمر بقتل كل من أنبت منهم^(٢).

قال ابن إسحاق: وحدثني شعبة بن الحجاج، عن عبد الملك بن عمير، عن عطية القرظي، قال: كان رسول الله ﷺ قد أمر أن يُقتل من بني قريظة كل من أنبت منهم، وكنت غلاماً، فوجدوني لم أنبت، فخلّوا سبيلي.

قال ابن إسحاق: وحدثني أيوب بن عبد الرحمن بن عبد الله بن أبي صغصعة أخو بني عدي بن النجار: أن سلمى بنت قيس، أم المنذر، أخت سليط ابن أخت سليط بن قيس - وكانت إحدى خالات رسول الله ﷺ، قد صلّت معه القبلتين، وبايعته بيعة النساء - سألته رفاعة بن سمّوأل القرظي، وكان رجلاً قد بلغ، فلاذّ بها، وكان يعرفهم قبل ذلك، فقالت: يا نبي الله، بأبي أنت وأمي، هب لي رفاعة، فإنه قد زعم أنه سيصلي ويأكل لحم الجمل؛ قال: فوهبه لها، فاستخيت^(٣).

تقسيم الفيء بني قريظة: قال ابن إسحاق: ثم إن رسول الله ﷺ قسم أموال بني قريظة ونساءهم وأبناءهم على المسلمين، وأعلم في ذلك اليوم سهمان الخيل وسهمان الرجال، وأخرج منها الخمس، فكان للفارس ثلاثة أسهم، للفارس سهمان ولفارسه سهم، وللراجل، من ليس له فارس، سهم. وكانت الخيل يوم بني قريظة ستة وثلاثين فرساً، وكان أول فيء وقعت فيه السهمان، وأخرج منها الخمس، فعلى سنتها وما مضى من رسول الله ﷺ فيها وقعت المقاسم، ومضت السنة في المغازي^(٤).

ثم بعث رسول الله ﷺ سعد بن زيد الأنصاري أخا بني عبد الأشهل بسبأيا من سبأيا بني قريظة إلى نجد، فابتاع لهم بها خيلاً وسلاحاً.

إسلام ريحانة: قال: وكان رسول الله ﷺ قد اصطفى لنفسه من نسائهم ريحانة بنت عمرو ابن خنافة، إحدى نساء بني عمرو بن قريظة، فكانت عند رسول الله ﷺ حتى توفّي عنها وهي في ملكه، وقد كان رسول الله ﷺ عرض عليها أن يتزوجها، ويضرب عليها الحجاب؛ فقالت: يا رسول الله، بل تتركني في ملكك، فهو أخف عليّ وعليك، فتركها. وقد كانت حين سبأها قد تعصت^(٥) بالإسلام، وأبت إلا اليهودية، فعزلها رسول الله ﷺ، ووجد في نفسه لذلك من أمرها. فبينما هو مع أصحابه، إذ

(١) تاريخ الطبري ٥٨٩/٢، ٥٩٠.

(٢) تاريخ الطبري ٥٩١/٢.

(٣) تاريخ الطبري ٥٩١/٢.

(٤) تاريخ الطبري ٥٩١/٢.

(٥) تعصت: أي عصت.

سمع وقع نعلين خلفه؛ فقال: إن هذا لثعلبة بن سَعِيَة يبشرنني بإسلام رِيحانة؛ فجاءه فقال: يا رسول الله، قد أسلمت ريحانة، فسره ذلك من أمرها^(١).

ما نزل من القرآن في الخندق وبني قريظة: قال ابن إسحاق: وأنزل الله تعالى في أمر الخندق، وأمر بني قريظة من القرآن، القصة في سورة الأحزاب، يذكر فيها ما نزل من البلاء، ونعمته عليهم، وكفائته إياهم حين فرج ذلك عنهم، بعد مقالة من قال من أهل النفاق: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴿٩﴾﴾ [الأحزاب: ٩]. والجنود قريش وعطفان وبنو قريظة، وكانت الجنود التي أرسل الله عليهم مع الريح الملائكة. يقول الله تعالى: ﴿إِذْ جَاءَكُمْ مِنْ قَوْفِكُمْ مِثْرٌ مِنْ أَسْفَلٍ مِنْكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَنَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونًا ﴿١٠﴾﴾ [الأحزاب: ١٠]. فالذين جاؤوهم من فوقهم بنو قريظة، والذين جاؤوهم من أسفل منهم قريش وعطفان. يقول الله (تبارك وتعالى): ﴿هَٰئِلِكِ الْبَغِيَّةُ وَرِذَالُوا لِرِزَالِهَا شَيْدًا ﴿١١﴾﴾ [الأحزاب: ١١]. وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢﴾﴾ [الأحزاب: ١٢]. لِقَوْلِ مُعْتَبِرِ بْنِ قُشَيْرٍ إِذْ يَقُولُ مَا قَالَ: ﴿وَإِذْ قَالَتْ طَآئِفَةٌ مِّنْهُمْ يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ النَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا ﴿١٣﴾﴾ [الأحزاب: ١٣]. لِقَوْلِ أَوْسِ بْنِ قَيْظِي وَمَنْ كَانَ عَلَى رَأْيِهِ مِنْ قَوْمِهِ ﴿وَلَوْ دَخَلَتْ عَلَيْهِمْ مِنْ آفَاطِرِهَآ﴾ [الأحزاب: ١٤]، أي المدينة.

قال ابن هشام: الأقطار: الجوانب؛ وواحداه: قطر، وهي الأفتار، وواحداه: قتر.

قال الفرزدق:

كَمْ مِنْ غِنَى فُتِحَ إِلَهُ لَهُمْ بِهِ وَالْخَيْلُ مُثْعَبَةٌ عَلَى الْأَقْطَارِ^(٢)

ويروى: «على الأفتار». وهذا البيت في قصيدة له.

﴿ثُمَّ سَأَلُوا النَّبِيَّ ﴿١٤﴾﴾ [الأحزاب: ١٤]، أي الرجوع إلى الشرك ﴿لَا تَوْهَا وَمَا تَلَبَّثُوا فِيهَا إِلَّا بَسِيرًا ﴿١٥﴾﴾ [الأحزاب: ١٤، ١٥]، فهم بنو حارثة، وهم الذين هموا أن يفشلوا يوم أحد مع بني سلمة حين همتا بالفشل يوم أحد، ثم عاهدوا الله أن لا يعودوا لمثلها أبداً، فذكر لهم الذي أعطوا من أنفسهم، ثم قال تعالى: ﴿قُلْ لَنْ يَنْفَعَكُمْ الْفِرَارُ إِنْ فَرَرْتُمْ مِنَ الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ وَإِذَا لَا تَمُنُّونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٦﴾﴾ قُلْ مَنْ ذَا الَّذِي يَعْصِمُكُمْ مِنَ اللَّهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً وَلَا يَجِدُونَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَبِئَا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٧﴾ ﴿قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمُعَوِّقِينَ مِنْكُمْ ﴿١٨﴾﴾ [الأحزاب: ١٦-١٨]، أي أهل النفاق ﴿وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا وَلَا يَأْتُونَ الْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الأحزاب: ١٨]، أي إلا دفعا وتعذيرا^(٣) ﴿أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ﴾ [الأحزاب: ١٩]، أي للضعف الذي في أنفسهم ﴿فَإِذَا جَاءَ الْحَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يُنْظَرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْتَنَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ﴾ [الأحزاب: ١٩]، أي إعظاماً له وقرعاً منه ﴿فَإِذَا جَاءَ الْحَوْفُ سَلَفُوكُمْ بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ﴾ [الأحزاب: ١٩]، أي في القول بما لا تحبون، لأنهم لا يرجون آخرة، ولا تحملهم حسبة^(٤)، فهم يهابون الموت هيبته من لا يرجو ما بعده.

(١) تاريخ الطبري ٥٩٢/٢، تاريخ الإسلام.

(٢) مقعية: أي ساقطة على أجنابها تريد القيام.

(٣) التعذير: أن يفعل الشيء بغير نية وغرضه أن يُعذر أمام الناس.

(٤) الحسبة: طلب الأجر.

قال ابن هشام: سلقوكم: بالغوا فيكم بالكلام، فأحرقوكم وأذوكم. تقول العرب: خطيب سَلَّاقٌ، وخطيب مِسْلَقٌ ومِسْلَاقٌ. قال أعشى بني قيس بن ثعلبة:

فيهم المجدُ والسَّماحةُ والنَّجْدُ مدة فيهم والخطاب السَّلَّاقُ
وهذا البيت في قصيدة له.

﴿يَحْسِبُونَ الْأَحْزَابَ لَمْ يَدْهَبُوا﴾ [الأحزاب: ٢٠] قُرَيْشٌ وَعَظْفَانُ ﴿وَلَيْنَ بَيَاتِ الْأَحْزَابِ يَوَدُّوا لَوْ أَنَّهُمْ
بَادُوكَ فِي الْأَعْرَابِ يَسْأَلُونَكَ عَنْ آبَائِكُمْ وَلَوْ كَانُوا فِيكُمْ مَا قَتَلُوا إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الأحزاب: ٢٠].
ثم أقبل على المؤمنين فقال: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ
الْآخِرَ﴾ [الأحزاب: ٢١]، أي لثلاثا يزغبوا بأنفسهم عن نفسه، ولا عن مكانٍ هو به.

ثم ذكر المؤمنين وصدقهم وتصديقهم بما وعدهم الله من البلاء يختبرهم به، فقال: ﴿وَلَمَّا رَمَا
الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٢٢]، أي صبراً على البلاء وتسليماً للقضاء، وتصديقاً للحق، لما كان الله تعالى وعدهم
ورسوله ﷺ ثم قال: ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَن قَضَىٰ نَحْبَهُ﴾ [الأحزاب: ٢٣]،
أي فرغ من عمله، ورجع إلى ربه، كمن استشهد يوم بدر ويوم أحد.

قال ابن هشام: قضى نَحْبَهُ: مات، والنحب: النفس، فيما أخبرني أبو عبيدة وجمعه: نحوب.
قال ذو الرمة:

عَشِيَّةَ فَرِّ الْحَارِثِيِّونَ بَعْدَ مَا قَضَىٰ نَحْبَهُ فِي مُلْتَقَى الْخَيْلِ هَوْبُرُ
وهذا البيت في قصيدة له. وهوبُر: من بني الحارث بن كعب، أراد: يزيد ابن هوبُر. والنحب
أيضاً: النذر. قال جرير بن الخطفي:

بِطِخْفَةٍ جَالِدْنَا الْمُلُوكَ وَخَيْلَنَا عَشِيَّةَ بِسْطَامِ جَرَيْنَ عَلَى نَحْبِ
يقول: على نذر كانت نذرت أن تقتله فقتلته، وهذا البيت في قصيدة له. وبسطام: بسطام بن
قيس بن مسعود الشيباني، وهو ابن ذي الجذنين. حدثني أبو عبيدة: أنه كان فارس ربيعة بن نزار.
وطِخْفَةٌ: موضع بطريق البصرة.

والنحب أيضاً: الخطار، وهو: الرهان. قال الفرزدق:

وَإِذْ نَحَبْتُ كَلْبَ عَلَى النَّاسِ أَيْنَا عَلَى النَّحْبِ أَعْطَى لِلْجَزِيلِ وَأَفْضَلِ
والنحب أيضاً: البكاء. ومنه قولهم ينتحب. والنحب أيضاً: الحاجة والهمة؛ تقول: مالي
عندهم نَحْبٌ. قال مالك بن نويرة اليزبوعي:

وَمَالِي نَحْبٌ عِنْدَهُمْ غَيْرَ أَنِّي تَلَمَّسْتُ مَا تَبْغِي مِنَ الشُّدُنِ الشُّجْرِ^(١)

وقال نهار بن تويسعة، أحد بني تيمم اللات بن ثعلبة بن عكابة بن صعيب بن علي بن بكر بن

وائل.

(١) الشُّدُن: الإبل الشدنية منسوبة إلى شُدُن بلدة باليمن. والشُّجْر: التي في أعينها حُمرة.

قال ابن هشام: هؤلاء موال بني حنيفة:
وَنَجَّى يَوْسُفَ الثَّقَفِيَّ رَكْضًا
ولو أذركنه لَقَضَيْنَ نَحْبًا
والثَّحْبُ أَيضًا: السَّيْرُ الخَفِيفُ المَرُّ.

قال ابن إسحاق: ﴿وَمِنْهُمْ مَن يَنْظُرُ﴾ [الأحزاب: ٢٣]، أي ما وعد الله به من نصره، والشهادة على ما مضى عليه أصحابه. يقول الله تعالى: ﴿وَمَا بَدَلُوا تَبْدِيلًا﴾ [الأحزاب: ٢٣]، أي ما شكوا وما ترددوا في دينهم، وما استبدلوا به غيره. ﴿لِيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ إِنْ شَاءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُورًا رَحِيمًا﴾ (٢٤) وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ ﴿٢٥﴾ [الأحزاب: ٢٥، ٢٤]، أي قريشاً وعطفان ﴿لَمْ يَتَالَوْا خَيْرًا وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْفِتْنَالِ وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيمًا﴾ (٢٥) وَأَنْزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ ﴿٢٦﴾ [الأحزاب: ٢٦، ٢٥]، أي بني قريظة ﴿مِنْ صَيَاصِيهِمْ﴾، والصياصي: الحصون والأطام التي كانوا فيها.

قال ابن هشام: قال سُحَيْمُ عَبْدُ بَنِي الحَنَحِاسِ؛ وَبَنُو الحَنَحِاسِ مِنْ بَنِي أَسَدِ بْنِ خُزَيْمَةَ:
وَأَصْبَحَتِ الثَّيْرَانُ صَرْعَى وَأَصْبَحَتِ نِسَاءُ تَمِيمٍ يَنْتَبِذُونَ الصَّيَاصِيَا
وهذا البيت في قصيدة له. والصياصي أيضاً: القرون. قال النابغة الجعدي:
وَسَادَةٌ رَهْطِي حَتَّى بَقِيَتْ فِرْدَا كَصِيصِيَةِ الأَعْضَبِ (٢)
يقول: أصاب الموت سادة رهطي. وهذا البيت في قصيدة له. وقال أبو دؤاد الإيادي:
فَدَعَرْنَا سُخْمَ الصَّيَاصِي بِأَيْدِيهِمْ مَهْنٌ نَضَحَ مِنَ الكُحَيْلِ وَقَارِ (٣)
وهذا البيت في قصيدة له. والصياصي أيضاً: الشوك الذي للنساجين، فيما أخبرني أبو عبيدة. وأنشدني لدريد بن الصمة الجُشَمِي، جُشَمُ بْنُ مَعَاوِيَةَ بْنِ بَكْرِ بْنِ هَوَازِنَ:

نَظَرْتُ إِلَيْهِ وَالزَّمَاحُ تَنُوشُهُ كَوَفَعِ الصَّيَاصِي فِي التُّسَيْجِ المَمْدِدِ
وهذا البيت في قصيدة له. والصياصي أيضاً: التي تكون في أزجل الذبابة نائمة كأنها القرون الصغار، والصياصي أيضاً: الأصول. أخبرني أبو عبيدة أن العرب تقول: جَدَّ اللهُ صِيصِيَتَهُ: أي أصله.
قال ابن إسحاق: ﴿وَقَدَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا﴾ [الأحزاب: ٢٦]، أي قتل الرجال، وسبى الذراري والنساء، ﴿وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَبَدِيرَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَأَرْضًا لَّمْ تَطَّوُّهَا﴾ [الأحزاب: ٢٧]، يعني خيبر ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا﴾ [الأحزاب: ٢٧].

إكرام سعد في موته: قال ابن إسحاق: فلما انقضى شأن بني قريظة انفجر بسعد بن معاذ جرحه، فمات منه شهيداً (٤).

قال ابن إسحاق: حدثني معاذ بن رفاعة الزُرقي، قال: حدثني من شئت من رجال قومي: أن

(١) دراك: متتابع.

(٢) الأعضب: مكسور القرن.

(٣) السخم: السود. الصياصي: القرون. الكحيل القطران. القار: الزفت.

(٤) تاريخ الطبري ٢/٥٩٢، سير أعلام النبلاء ١/٢٨١.

جبريل ﷺ أتى رسول الله ﷺ حين قبض سعد بن معاذ من جوف الليل معتجراً بعمامة من إستبرق، فقال: يا محمد، من هذا الميت الذي فتحت له أبواب السماء، واهتز له العرش^(١)؟ قال: فقام رسول الله ﷺ سريعاً يجزّ ثوبه إلى سعد، فوجده قد مات^(٢).

قال ابن إسحاق: وحدثني عبد الله بن أبي بكر، عن عمرة بنت عبد الرحمن قالت: أقبلت عائشة قافلة من مكة، ومعها أسيد بن حضير، فلقية موث امرأة له، فحزّن عليها بعض الحزن، فقالت له عائشة: يغفر الله لك يا أبا يحيى، أتحنن على امرأة وقد أصيبت بآبن عمك، وقد اهتز له العرش! قال ابن إسحاق: وحدثني من لا أتهم عن الحسن البصري، قال: كان سعد رجلاً بادناً، فلما حمله الناس وجدوا له حفة، فقال رجالاً من المنافقين: والله إن كان لبادنا، وما حملنا من جنازة أخف منه، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ، فقال: «إن له حملة غيركم، والذي نفسي بيده، لقد استبشرت الملائكة بروح سعد، واهتز له العرش».

قال ابن إسحاق: وحدثني معاذ بن رفاعه، عن محمود بن عبد الرحمن بن عمرو بن الجموح، عن جابر بن عبد الله، قال: لما دُفن سعد ونحن مع رسول الله ﷺ، سبّح رسول الله ﷺ، فسبّح الناس معه، ثم كبر فكبر الناس معه؛ فقالوا: يا رسول الله، ممّ سبّحت؟ قال: «لقد تضايقت على هذا العبد الصالح قبره، حتى فرّجه الله عنه»^(٣).

قال ابن هشام: ومجاز هذا الحديث قول عائشة: قال رسول الله ﷺ: إن للقبر لضمّة لو كان أحد منها ناجياً لكان سعد بن معاذ^(٤).

قال ابن إسحاق: ولسعد يقول رجل من الأنصار:

وما اهتز عرش الله من موت هالك سميغنا به إلا لسعد أبي عمرو

وقالت أم سعد، حين احتمل نعشه وهي تبكيه - قال ابن هشام - وهي كبيشة بنت رافع بن معاوية ابن عبيد بن ثعلبة بن عبد بن الأجر، وهو خذرة ابن عوف بن الحارث بن الخزرج:

وَيَلْ أُمُّ سَعْدٍ سَعْدًا صَرَامَةً وَحَدًّا
وَسُوْدُدًا وَمَجْدًا وَفَارِسًا مُعَدًّا

(١) حديث اهتزاز العرش ثابت من وجوه وفي بعض ألفاظه أن جبريل عليه السلام نزل حين مات سعد معتجراً بعمامة من استبرق، فقال: يا محمد من هذا الميت الذي فتحت له أبواب السماء واهتز له العرش؟ وفي حديث آخر قال عليه السلام: لقد نزل لموت سعد بن معاذ سبعون ألف ملك ما وطنوا الأرض قبلها، ويذكر أنّ قبره وجد منه رائحة المسك، وقال عليه السلام: «لو نجا أحد من ضغطة القبر لنجا منها سعد». (انظر الروض الأنف ٣/٢٨٣ وما بعدها).

(٢) تاريخ الإسلام (المغازي).

(٣) تاريخ الإسلام (المغازي). والحديث فيه انقطاع وجهالة.

(٤) معاذ بن رفاعه، وإن خرّج له البخاري، ضعفه ابن معين، وقال الأسدي: لا يُحتجّ بحديثه. وأخرجه ابن سعد في الطبقات ٣/٤٣٢، وأحمد في المسند ٣/٣٢٧ من طريق: محمد بن بشر، حدثنا محمد بن عمرو، حدثني يزيد بن عبد الله بن أسامة بن زيد الليثي ويحيى بن سعيد، عن معاذ بن رفاعه الزرقني، عن جابر بن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ: لهذا العبد الصالح، الذي تحرك له العرش، وفتحت له أبواب السماء شدّد عليه، ففرّج الله عنه، وقال مرة: ففتحت. وقال مرة: ثم فرّج الله عنه. وقال مرة: قال رسول الله ﷺ لسعد يوم مات وهو يدفن.

سُدَّ بِهِ مَسَدًا يَثُذُهُمَا قَدًا

يقول رسول الله ﷺ: «كَلَّ نَائِحَةٌ تَكْذِبُ، إِلَّا نَائِحَةُ سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ»^(١).

الشهداء يوم الخندق: قال ابن إسحاق: ولم يُستشهد من المسلمين يوم الخندق إلا ستة نفر. ومن بني عبد الأشهل: سعد بن معاذ، وأنس بن أوس بن عتيك بن عمرو، وعبد الله بن سهل. ثلاثة نفر.

ومن بني جُشَم بن الخزرج، ثم من بني سلمة: الطفيل بن النعمان، وثعلبة ابن غنمة. رجلان. ومن بني النجار، ثم من بني دينار: كعب بن زيد، أصابه سهم غزب، فقتله. قال ابن هشام: سَهْمُ غَزْبٍ وَسَهْمُ غَزْبٍ، بإضافة وغير إضافة، وهو الذي لا يُعرف من أين جاء ولا من رمى به.

وقُتِلَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ثَلَاثَةٌ نَفَرًا.

من بني عبد الدار بن قُصَيٍّ: مُنَبِّهٌ بْنُ عَثْمَانَ بْنِ عُيَيْدِ بْنِ السَّبَّاقِ بْنِ عَبْدِ الدَّارِ، أصابه سهم، فمات منه بمكة.

قال ابن هشام: هو عثمان بن أمية بن منبه بن عبيد بن السباق.

قال ابن إسحاق: ومن بني مخزوم بن يقظة: نوفل بن عبد الله بن المغيرة؛ سألوا رسول الله ﷺ أن يبيعهم جسده، وكان اقتحم الخندق، فتورط فيه، فقتل، فغلب المسلمون على جسده. فقال رسول الله ﷺ: «لَا حَاجَةَ لَنَا فِي جَسَدِهِ وَلَا بِثَمَنِهِ»^(٢). فخلّى بينهم وبينه.

قال ابن هشام: أعطوا رسول الله ﷺ بجسده عشرة آلاف درهم، فيما بلغني عن الزهري.

قال ابن إسحاق: ومن بني عامر بن لؤي، ثم من بني مالك بن حنبل: عمرو بن عبد ود، قتله علي بن أبي طالب رضوان الله عليه.

قال ابن هشام: وحدثني الثقة أنه حدث عن ابن شهاب الزهري أنه قال: قتل علي بن أبي طالب يومئذ عمرو بن عبد ود وابنته حنبل بن عمرو.

قال ابن هشام: ويقال عمرو بن عبد ود، ويقال: عمرو بن عبد.

الشهداء يوم بني قريظة:

قال ابن إسحاق: واستشهد يوم بني قريظة من المسلمين، ثم من بني الحارث بن الخزرج: خلاد بن سويد بن ثعلبة بن عمرو، طرحت عليه رخی، فسُدَّخَتْهُ سُدَّخًا شَدِيدًا^(٣)، فزعموا أن رسول الله ﷺ قال: «إِنَّ لَهُ لِأَجْرٍ شَهِيدِينَ»^(٤).

(١) الحديث رواه عقبه بن مكرم، عن ابن أبي عدي، عن شعبة، عن سعد بن إبراهيم، عن نافع، عن صفية بنت أبي عبيد، عن عائشة. وإسناده صحيح، وأخرجه ابن سعد في الطبقات ٣/ ٤٣٠ من طريق شعبة بن سوار، عن أبي معشر، عن سعيد المقبري.

(٢) أخرجه ابن سعد في الطبقات ٣/ ٧٢، ٨ من طريق الفضل بن دكين قال: حدثنا عبد الرحمن بن سليمان بن الغسيل، عن عاصم بن عمر بن قتادة، عن محمود بن لبيد.

(٤) أنساب الأشراف ١/ ٢٤٤، ٢٤٥.

(٣) تاريخ الإسلام (المغازي).

ومات أبو سنان بنِ مَحْصَن بنِ حُرْثَانَ، أخو بني أسد بن خزيمة، ورسولُ الله ﷺ محاصر بني قريظة، فدفن في مقبرة بني قريظة التي يدفنون فيها اليوم، وإليه دفنوا أمواتهم في الإسلام^(١).
ولما انصرف أهل الخندق عن الخندق؛ قال رسولُ الله ﷺ فيما بلغني: لن تغزوكم قريش بعد عامكم هذا، ولكنكم تغزونهم. فلم تغزهم قريش بعد ذلك، وكان هو الذي يغزوها، حتى فتح الله عليه مكة^(٢).

ما قيل من الشعر في أمر الخندق وبني قريظة

وقال ضرار بن الخطّاب بن مزداس، أخو بني مُحارب بن فِهر، في يوم الخندق:
ومُشْفِقَةٌ تَظُنُّ بِنَا الطُّنُونَا وقد قُذِنَا عَرْنَدَسَةَ طَحُونَا^(٣)
كَأَنَّ زُهَاءَهَا أُخِذَ إِذَا مَا بَدَتْ أَزْكَائِهِ لِلنَّاطِرِينَا
تَرَى الْأَبْدَانَ فِيهَا مُسْبِغَاتِ عَلَى الْأَبْطَالِ وَالْيَلْبِ الْحَصِينَا^(٤)
وَجُرْدًا كَالْقِدَاحِ مُسْوَمَاتِ نَوْمٌ بِهَا الْعُورَةُ الْخَاطِئِينَا
كَأَنَّهُمْ إِذَا صَالُوا وَصَلْنَا بَبَابِ الْخَنْدَقَيْنِ مُصَافِحُونَا
أَنَاسٌ لَا نَرَى فِيهِمْ رَشِيدًا وَقَدْ قَالُوا أَلْسِنَا رَاشِدِينَا
فَأَخَجَرْنَا هُمْ شَهْرًا كَرِيئًا^(٥) وَكُنَّا فَوْقَهُمْ كَالْقَاهِرِينَا
نُراوِحُهُمْ وَنَغْدُو كُلَّ يَوْمِ عَلَيْهِمْ فِي السَّلَاحِ مُدَجِّجِينَا
بِأَيْدِينَا صَوَارِمُ مُزَهَفَاتِ نَقْدٌ بِهَا الْمَفَارِقِ وَالشُّؤُونَا^(٦)
كَأَنَّ وَمِيضَهُنَّ مُعَرِّيَاتِ إِذَا لَاحَتْ بِأَيْدِي مُضَلِّتِينَا^(٧)
وَمِيضٌ عَقِيْقَةٌ لَمَعَتْ بَلِيلِ تَرَى فِيهَا الْعَقَائِقُ مُسْتَبِينَا^(٨)
فَلَوْلَا خَنْدَقٌ كَانُوا لَدَيْهِ لَدَمَّرْنَا عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَا^(٩)
وَلَكِنْ حَالَ دَوْلَهُمْ وَكَانُوا بِهِ مِنْ خَوْفِنَا مُتَعَوِّذِينَا
فَلِإِنْ نَزَحَلْ فَلِإِنَّا قَدْ تَرَكْنَا لَدَى أَبِياتِكُمْ سَعْدًا رَهِينَا
إِذَا جَنَّ الظَّلَامَ سَمِعَتْ نَوْحِي عَلَى سَعْدٍ يُرْجَعُنِ الْحَنِينَا
وَسَوْفَ نَزُورُكُمْ عَمَّا قَرِيبِ كَمَا رُزْنَاكُمْ مُتَوَازِرِينَا
بِجَمْعٍ مِنْ كِنَانَةٍ غَيْرِ عُزْلِ كَأَسَدِ الْغَابِ قَدْ حَمَتِ الْعَرِينَا^(١٠)

(١) تاريخ الطبري ٥٩٣/٢، الإصابة: ٩٦/٤. (٢) تاريخ الطبري ٥٩٣/٢.

(٣) العرندسة: الشديدة، صفة لموصوف محذوف أي كتيبة.

(٤) الأبدان: الدروع. اليب: الدرق. (٥) كريتاً: كاملاً.

(٦) الشؤون: مجمع عظام الرأس. (٧) المصلت: الذي جرد سيفه من غمده.

(٨) العقيقة: السحابة التي ينشق عنها البرق. (٩) في البدء والتاريخ «أخميننا».

(١٠) في البدء والتاريخ ٢٢١/٤، ٢٢٠، ٢٢١ ثلاثة أبيات.

فأجابه كعب بن مالك، أخو بني سلمة، فقال:

وسائِلَةٌ تُسَائِلُ مَا لَقِينَا
صَبْرْنَا لَا نَرَى لَهِ عَدْلًا
وَكَانَ لَنَا النَّبِيُّ وَزِيرَ صِدْقٍ
تُقَاتِلُ مَغْشَرًا ظَلَمُوا وَعَثُوا
تُعَاجِلُهُمْ إِذَا نَهَضُوا إِلَيْنَا
تَرَانَا فِي فُضَافِضٍ سَابِغَاتٍ
وَفِي أَيْمَانِنَا بِيضٌ خِفَافٌ
بِبَابِ الْخَنْدَقِينَ كَأَنَّ أَسْدًا
فَوَارِسْنَا إِذَا بَكَرُوا وَرَاحُوا
لِنُنْصِرَ أَحْمَدًا وَاللَّهِ حَتَّى
وَيُعْلَمَ أَهْلُ مَكَّةَ حِينَ سَارُوا
بِأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ لَهُ شَرِيكَ
فَإِمَّا تَقْتُلُوا سَفَهَاءَ سَفَاهَا
سَيُدْخِلُهُ جَنَانًا طَيِّبَاتٍ
كَمَا قَدْ رَدُّكُمْ فَلَا^(٢) شَرِيْدًا
خَزَايَا لَمْ تَنَالُوا ثَمَّ خَيْرًا
بِرِيحٍ عَاصِفٍ هَبَّتْ عَلَيْكُمْ

وقال عبد الله بن الزبغري السهمي، في يوم الخندق:

حَتَّى الدِّيَارَ مَا مَعَارِفَ رَسْمِهَا
فَكَأَنَّمَا كَتَبَ الْيَهُودُ رُسُومَهَا
قَفْرًا كَأَنَّكَ لَمْ تَكُنْ تَلْهُوبُهَا
فَإِنَّكَ تَذْكُرُ مَا مَضَى مِنْ عَيْشَةٍ
وَإِذْ تُرَى بِلَاءَ مَعَاشِرٍ وَاشْكُرْهُمْ
طُولَ الْبَيْلَى وَتِرَاوُحَ الْأَخْقَابِ
إِلَّا الْكَنْيْفَ وَمَعْقِدَ الْأَطْنَابِ^(٥)
فِي نِعْمَةٍ بِأَوَانِسٍ أَثْرَابِ^(٦)
وَمَجَلَّةَ خَلْقِ الْمَقَامِ بِبَابِ
سَارُوا بِأَجْمَعِهِمْ مِنَ الْأَنْصَابِ

(١) الشوس: من ينظرون بمؤخر عيونهم كبراً.

(٢) في البدء والتاريخ «يغيطكم حزاباً».

(٤) المتكئة في الأصل من وُلد أعمى. والمراد أنهم لا يبصرون. وفي البدء والتاريخ ٢٢١/٤ ثمانية أبيات.

(٥) الكنيف: حظيرة الماشية. معقد: وتد. والأطناب: العبال التي تُشدُّ بها الخيام.

(٦) الأتراب: المتساويات في السن.

فِي ذِي غَيَاطِلٍ جَحْفَلٍ جَبْجَابٍ^(١)
 فِي كُلِّ نَشْرِ ظَاهِرٍ وَشَعَابٍ^(٢)
 قُبِّ البَطُونِ لَوَاحِقِ الأَقْرَابِ^(٣)
 كَالسَّيِّدِ بَادِرٍ غَفْلَةِ الرُّقَابِ^(٤)
 فِيهِ وَصَخْرٌ قَائِدُ الأَخْزَابِ
 غَيْثُ الفَقِيرِ وَمَغْقِلُ الهُرَابِ
 لِلْمَوْتِ كُلِّ مُجْرَبٍ قَضَابِ
 وَصِحَابِهِ فِي الحِزْبِ خَيْرِ صَحَابِ
 كِذْنَا نَكُونُ بِهَا مَعَ الخُيَّابِ
 قَتَلَى لَطَيْرٍ سُعْبٍ^(٦) وَذُنَابِ
 مُتَكَلِّمٍ لِمَحَاوِرِ بَجَابِ^(٧)
 وَهُبُوبِ كُلِّ مُطْلَأَةِ مِزْبَابِ^(٨)
 بِيضِ الوُجُوهِ ثَوَاقِبِ الأَخْسَابِ^(٩)
 بَيْضَاءِ آنَسَةِ الحَدِيثِ كَعَابِ^(١٠)
 مِنْ مَعَشَرَ ظَلَمُوا الرُّسُولَ غَضَابِ
 أَهْلَ القُرَى وَوَادِي الأَغْرَابِ
 مُتَخَمِّطُونَ بِحَلْبَةِ الأَحْزَابِ^(١١)
 قَتَلَى الرُّسُولَ وَمَغْنَمِ الأَسْلَابِ
 رُدُّوْا بِغَيْظِهِمْ عَلَى الأَغْقَابِ
 وَجُنُودِ رَبِّكَ سَيِّدِ الأَزْبَابِ
 وَأَثَابِهِمْ فِي الأَجْرِ خَيْرَ ثَوَابِ

أَنْصَابِ مَكَّةَ عَامِدِينَ لِيَثْرِبِ
 يَدَعُ الحُزُونََ مَنَاهِجاً مَعْلُومَةً
 فِيهَا الجِيَادُ شَوَازِبُ مَجْنُوبَةً
 مِنْ كُلِّ سَلْهَبَةٍ وَأَجْرَدَ سَلْهَبِ
 جَيْشِ عَيْنَةَ قَاصِدٍ بِلَوَائِهِ
 قَزْمَانِ^(٥) كَالْبَدْرَيْنِ أَصْبَحَ فِيهِمَا
 حَتَّى إِذَا وَرَدُوا المَدِينَةَ وَارْتَدُّوا
 شَهْرًا وَعِشْرًا قَاهِرِينَ مُحَمَّدًا
 نَادُوا بِرِخْلَتِهِمْ صَبِيحَةَ قُلْتُمْ
 لَوْلَا الخَنَادِقُ غَادَرُوا مِنْ جَمْعِهِمْ
 فَأَجَابَهُ حَسَّانُ بْنُ ثَابِتِ الأَنْصَارِيِّ، فَقَالَ:

هَلْ رَسَمَ دَارِسَةَ المَقَامِ يَبَابِ
 قَفَّرَ عَفَا رِهْمُ السُّحَابِ رُسُومِهِ
 وَلَقَدْ رَأَيْتُ بِهَا الحُلُولَ يَزِيئُهُمْ
 قَدَعَ الدِّيَارِ وَذَكَرَ كُلَّ خَرِيدَةٍ
 وَاشْكُ الهُمُومِ إِلَى الإِلَهِ وَمَا تَرَى
 سَارُوا بِأَجْمَعِهِمْ إِلَى الوُبَا
 جَيْشِ عَيْنَةَ وَابْنُ حَزْبِ فِيهِمْ
 حَتَّى إِذَا وَرَدُوا المَدِينَةَ وَارْتَجَّوْا
 وَغَدَّوْا عَلَيْنَا قَادِرِينَ بِأَيْدِهِمْ
 بِهُبُوبِ مُغْصِفَةٍ تُفَرِّقُ جَمْعَهُمْ
 فَكَفَى الإِلَهِ المُؤْمِنِينَ قِتَالَهُمْ

(١) الغياطل: الأصوات. ويقصد «بذي غياطل» جيشاً كثير الأصوات. جبجباب: كثير.

(٢) الحُزُونُ: ما ارتفع من الأرض. المناهج: الطرق الواضحة. النشر: ما ارتفع من الأرض. والشعاب: جمع شعب: المنخفض بين جبلين.

(٣) الشوازب: الضامرة. القب: الضامرة. لواحق الأقرباب: ضامرة الخواصر.

(٤) السلهبة: الطويلة. السيد: الذئب. (٥) قرمان: مثنى قوم وهو السيد.

(٦) سَعْبٌ: جائعة. (٧) اليباب: القفر. المحاور: من يجادل في الكلام.

(٨) الرهم: المطر. مرياب: ثابتة. (٩) الحلول: البيوت المجتمعة. ثواقب: مزهرة.

(١٠) الخريذة: المرأة الناعمة. والكعاب: التي نهذ ثديها في أول ما ينهد.

(١١) متخَمِّطُونَ: مختلطون. الحلبة: الخيل المعدة للسباق.

تَنْزِيلُ نَضْرٍ مَلِيكِنَا الْوَهَّابِ
وَأَذَلَّ كُلَّ مُكَذِّبٍ مُرْتَابِ
فِي الْكُفْرِ لَيْسَ بِطَاهِرِ الْأَثْوَابِ
فِي الْكُفْرِ آخِرُ هَذِهِ الْأَحْقَابِ

مِنْ خَيْرِ نَخْلَةٍ رَبَّنَا الْوَهَّابِ
حُمِّ الْجُدُوعِ غَزِيرَةِ الْأَحْلَابِ^(١)
لِلْجَارِ وَابْنِ الْعَمِّ وَالْمُنْتَابِ^(٢)
عَلَفُ الشُّعَيْرِ وَجِزَّةُ الْمُقْضَابِ^(٣)
جُرْدُ الْمُتُونَ وَسَائِرِ الْأَرَابِ^(٤)
فَعَلِ الضَّرَاءِ تَرَاخٍ لِلْكَلَّابِ^(٥)
تُرْدَى الْعِدَاةِ وَتَوْوُبُ بِالْأَسْلَابِ
عُبْسُ اللَّقَاءِ مُبِينَةُ الْإِنْجَابِ^(٦)
دُخَسُ الْبَضِيعِ خَفِيفَةُ الْأَقْصَابِ^(٧)
وَبِمُتْرَصَاتٍ فِي الثَّقَابِ صِيَابِ^(٨)
وَبِكُسْلِ أَرْوَعِ مَا جَدِ الْأَنْسَابِ^(٩)
وَكَلَّتْ وَقِيعَتُهُ إِلَى خَبَابِ^(١٠)
فِي طُخْيَةِ الظُّلْمَاءِ ضَوْءِ شِهَابِ^(١١)
وَتَرْدٌ حَدِّ قَوَاحِدِ النَّشَابِ^(١٢)

مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا فَفَرَّقَ جَمْعَهُمْ
وَأَقْرَعَ عَيْنَ مُحَمَّدٍ وَصِحَابِهِ
عَاتِي الْفُؤَادِ مُوقَّعِ ذِي رَيْبَةٍ
عَلِقَ الشُّقَاءَ بِقَلْبِهِ فَفُؤَادُهُ
وَأَجَابَهُ كَعْبُ بْنُ مَالِكٍ أَيْضًا، فَقَالَ:

أَبْقَى لَنَا حَدَثُ الْحُرُوبِ بَقِيَّةً
بَيْضَاءَ مُشْرِفَةِ الدُّرَى وَمَعَاظِنَا
كَاللُّوبِ يُبْذَلُ جَمُّهَا وَخَفِيلُهَا
وَنَزَائِعًا مِثْلَ السَّرَاحِ نَمَى بِهَا
عَرِي الشُّوَى مِنْهَا وَأَرْدَفَ نَحْضَهَا
فُودًا تَرَاخٍ إِلَى الصِّيَاحِ إِذْ عَدَّتْ
وَتَحُوطِ سَائِمَةِ الدِّيَارِ وَتَارَةً
حُوشِ الْوُحُوشِ مُطَارَةً عِنْدَ الرَّغَى
عُلِفَتْ عَلَى دَعَةٍ فَصَارَتْ بُدْنًا
يَعْدُونَ بِالزُّغْفِ الْمُضَاعَفِ شَكَّةً
وَصَوَارِمِ نَزَعِ الصِّيَاقِلِ غُلْبَهَا
يَصِلُ الْيَمِينِ بِمَارِنٍ مُتَقَارِبِ
وَأَغْرَ أَرْزُقَ فِي الْقَنَاءِ كَأَنَّهُ
وَكَتَيْبَةَ يَنْفِي الْقِرَانَ قَتِيرُهَا

(١) الذرى: الأعالي: المعاطن: مبارك الإبل حول الماء. الجدوع: الأعناق، والأحلاب: ما يُحلب منها.

(٢) اللوب: الأراضي ذات الحجارة السود. جمها: ما اجتمع من لبها. المنتاب: القاصد.

(٣) النزائع: الخيل العربية المنزوعة من أرضها إلى أرض أخرى. السراح: الذئاب. جزئة المقضاب: ما يقطع لها من النبات.

(٤) الشوى: القوائم. النحض: اللحم. جرد: ملس. المتون: الظهور. والآراب: الأعضاء.

(٥) قود: طوال. تراح: تنشط. الضراء: الكلاب المعلمة. الكلاب: الصائد بالكلاب.

(٦) الحوش: النافرة. عبس: شديدة. الإنجاب: الكرم.

(٧) دحس: كثيرة اللحم. الأقصاب: الأمعاء.

(٨) الزغف: ما لان من الدرود. المترصات: القويات. صياب: صائبة.

(٩) غلبها: صدأها. الماجد: الشريف.

(١٠) المارن: الرمع اللين. وقيعته: صنعته. خباب: عبد صانع للسيوف.

(١١) الأغر: الأزرق: السنان الجيد. الطخية: الشدة.

(١٢) القران: تقارن النبل. القتير: مسامير حلق الدرغ، ويريد به الدرود. قواحد النشاب: النبال التي أصابت الأنفخذ.

جَأَوِي مُلْمَلَمَةٌ كَأَنَّ رِمَاحَهَا
يَأْوِي إِلَى ظِلِّ اللَّوَاءِ كَأَنَّهُ
أَعْيَتْ أَبَا كَرِبٍ وَأَعْيَتْ تُبْعَا
وَمَوَاعِظَ مِنْ رَبِّنَا نُهْدَى بِهَا
عَرِضَتْ عَلَيْنَا فَاشْتَهَيْنَا ذِكْرَهَا
جِئْنَا بِهَا الْمُجْرِمُونَ بِزَعْمِهِمْ
جَاءَتْ سَخِينَةٌ كَيْ تُغَالِبَ رَبُّهَا

قال ابن هشام: حدثني من أتق به، قال: حدثني عبد الملك بن يحيى بن عبَّاد بن عبد الله بن الزبير، قال: لما قال كعب بن مالك:

جَاءَتْ سَخِينَةٌ^(٣) كَيْ تُغَالِبَ رَبُّهَا
قَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَقَدْ شَكَرَكَ اللَّهُ يَا كَعْبُ عَلَى قَوْلِكَ هَذَا».

قال ابن إسحاق: وقال كعب بن مالك في يوم الخندق:

بَعْضًا كَمَغَمَةِ الْأَبَاءِ الْمُحْرَقِ^(٤)
بَيْنَ الْمَذَادِ وَبَيْنَ جِزْعِ الْخَنْدُقِ^(٥)
مُهْجَاتٍ أَنْفُسِهِمْ لِرَبِّ الْمَشْرِقِ
بِهِمْ وَكَأَنَّ بَعْبِدِهِ ذَا مَرْفَقِ
كَالْتَهْيِ هَبَّتْ رِيحُهُ الْمُتَرَفِّقِ^(٦)
حَدَقَ الْجَنَادِ بِذَاتِ شَكِّ مُوْتَقِ^(٧)

مَنْ سَرَّهُ ضَرْبٌ يُمَغِغُ بَعْضُهُ
فَلْيَأْتِ مَأْسِدَةً تُسَنَّ سَيْوفَهَا
دَرَبُوا بِضَرْبِ الْمُعْلِمِينَ وَأَسْلَمُوا
فِي غَضَبَةٍ نَصَرَ الْإِلَهَ نَبِيِّهِ
فِي كُلِّ سَابِغَةٍ تَخْطُ فَضُولَهَا
بَيْنِضَاءٍ مُخَكَّمَةٍ كَأَنَّ قَتِيرَهَا

(١) الجأوى: التي يخالط سوادها حُمْرة. مللمة: مجتمعة. الضريمة: الملتبسة.

(٢) الصعدة: القناة المستقيمة. الخطي: الرمح. الفيء: الظل. العقاب: طائر جارح قوي المخالب أعقف المنقار حاذ البصر يُطلق على المذكر والمؤنث.

(٣) كان هذا الاسم مما سُميت به قريش قديماً، ذكروا أن قُصياً كان إذا ذبح ذبيحة أو نحيرة بمكة أتى بعجزها فصنع منه خزيرة، وهو لحم يُطبخ بَبْرٍ فَيُطعمه الناس فَسُميت قريش بها سخينة. وقيل: إن العرب كانوا إذا استنوا أكلوا العلزة، وهو الوبر والدم، وتاكل قريش الخزيرة والفتة فنفت عليهم ذلك فلقبهم: سخينة، ولم تكن قريش تكره هذا اللقب، ولو كرهته ما استجاز كعب أن يذكره، ورسول الله ﷺ - منهم، ولتركه أديباً مع النبي عليه السلام، إذ كان قريشاً، ولقد استنشد عبد الملك بن مروان بما قاله الهوزاني في قريش:

يَا شِدَّةَ مَا شَدَدْنَا غَيْرَ كَاذِبَةٍ
عَلَى سَخِينَةٍ لَوْلَا اللَّيْلُ وَالْحَرَمُ

فقال: ما زاد هذا على أن استثنى، ولم يكره سماع اللقب بسخينة، فدل هذا على أن هذا اللقب لم يكن مكروهاً عندهم ولا كان فيه تعبير لهم بشيء. (راجع الروض الأنف ٣/٣٠٠).

(٤) الممعة: صوت أُنقاد النار. الأباء: الأغصان الملتفة.

(٥) المأسدة: المكان الكثير الأسود ويريد هنا مكان الحرب. المذاد: مكان حفر الخندق.

(٦) السابغة: الدروع الكاملة. تخط فضولها: ينجز على الأرض ما زاد منها. التهي: غدير الماء.

(٧) القتيير: مسامير الدروع. الجنادب: جمع جندب، نوع صغير من الجراد. والشك: إحكام في الصنع. موثق: قوية.

جَدَلَاءَ يَخْفِزُهَا نِجَادُ مُهْتَدٍ
 تَلْكُمْ مَعَ التَّفَوَّى تَكُونُ لِبَاسِنَا
 نَصِلُ السُّيُوفَ إِذَا قَضَرْنَا بِخَطُونَا
 فَتَرَى الْجَمَاجِمَ ضَاحِيًا هَامَاتِهَا
 نَلْقَى الْعَدُوَّ بِفَخْمَةٍ مَلْمُومَةٍ
 وَنُعِيدُ لِلْأَعْدَاءِ كُلِّ مُقْلَصٍ
 تَزِيدِي بِفُرْسَانٍ كَأَنَّ كَمَا تَهُمُ
 صُدِّقَ يُعَاطُونَ الْكُفْمَةَ حُتُوفَهُمْ
 أَمْرَ الْإِلَهِ بِرَبْطِهَا لِعَدُوِّهِ
 لَتَكُونَ غَيْظًا لِلْعَدُوِّ وَحَيْطًا
 وَيُعِينُنَا اللَّهُ الْعَزِيزُ بِقُوَّةٍ
 وَنُطِيعُ أَمْرَ نَبِيِّنَا وَنُجِيبُهُ
 وَمَتَى يُنَادِ إِلَى الشُّدَائِدِ نَأْتِيهَا
 مَنْ يَتَّبِعِ قَوْلَ النَّبِيِّ فَإِنَّهُ
 فَبِذَاكَ يَنْصُرُنَا وَيُظْهِرُ عِزَّنَا
 إِنَّ الَّذِينَ يُكْذِبُونَ مُحَمَّدًا
 قَالَ ابْنُ هِشَامٍ: أَنَشِدُنِي بَيْتَهُ:

تَلْكُمْ مَعَ التَّفَوَّى تَكُونُ لِبَاسِنَا

وبيته:

مَنْ يَتَّبِعِ قَوْلَ النَّبِيِّ

أَبُو زَيْدٍ. وَأَنَشِدُنِي:

تَنْفِي الْجُمُوعِ كِرَاسِ قُدْسِ الْمَشْرِقِ

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: وَقَالَ كَعْبُ بْنُ مَالِكٍ فِي يَوْمِ الْخَنْدَقِ:

لَقَدْ عَلِمَ الْأَحْزَابُ حِينَ تَأَلَّبُوا
 عَلَيْنَا وَرَأُوا دِينَنَا مَا تُوَادِعُ
 وَأَضَامِيمَ مِنْ قَيْسِ بْنِ عَيْلَانَ أَصْفَقَتْ
 وَخَنْدَقَ لَمْ يَذُرُوا بِمَا هُوَ وَاقِعٌ (٨)

(١) الجدلاء: الدرع القوية النسج. يحفزها: يرفعها. النجاد: حمائل السيف. رونق السيف: طلاوته وصفائه وبريقه.

(٢) بله: اسم فعل بمعنى اترك. (٣) الملمومة: المجتمعمة. أي كتيبة مجتمعمة.

(٤) المقلص: الفرس الخفيف. والورد: الأحمر الضارب إلى الصفرة. ومحجول القوائم: في قوائمه بياض.

(٥) الطل: المطر الضعيف. (٦) العماية: ظلمة الغبار. الوشيح: الرماح.

(٧) نعتن: نسرع. (٨) أضاميم: جماعات. وأصفت: اجتمعت على أمر.

يَدُودُونَنَا عَنْ دِينِنَا وَتَدُودَهُمْ
إِذَا غَايَظُونَا فِي مَقَامِ أَعَانِنَا
وَذَلِكَ حِفْظُ اللَّهِ فِيْنَا وَفَضْلُهُ
هَذَا لِلدِّينِ الْحَقِّ وَاخْتَارَهُ لَنَا
قال ابن هشام: وهذه الأبيات في قصيدة له.

قال ابن إسحاق: وقال كعب بن مالك في يوم الخندق:

أَلَا أُبْلِغُ قُرَيْشًا أَنْ سَلَعًا
نَوَاضِحُ فِي الْحُرُوبِ مَدْرَبَاتُ
رَوَاكِدٍ يَزْخَرُ الْمُرَارُ فِيهَا
كَأَنَّ الْغَابَ وَالْبَزْدِيَّ فِيهَا
وَلَمْ نَجْعَلْ تِجَارَتَنَا اشْتِرَاءَ أَلْ
بِلَادٍ لَمْ تُنَّرْ إِلَّا لَكَيْمًا
أَثْرْنَا سِكَّةَ الْأَنْبَاطِ فِيهَا
قَصْرْنَا كُلَّ ذِي حُضْرٍ وَطُولِ
أَجْيُبُونَا إِلَى مَا نَجْتَدِيكُمْ
وَالْإِفَاصِبِرُوا الْجِلَادَ يَوْمِ
نَضَبُ حَكْمٍ بِكُلِّ أَخِي حُرُوبِ
وَكُلِّ طِمْرَةٍ خَفِقَتْ حَشَاهَا
وَكُلِّ مُقْلَصِ الْأَرَابِ نَهْدِ
خُبُولٍ لَا تُضَاعُ إِذَا أُضْيِعَتْ

وما بين العريض إلى الضماد^(١)
وخوص ثقيث من عهد عاد^(٢)
فليسث بالجمام ولا الثماد^(٣)
أجش إذا تبقع للحصاد^(٤)
حميمير لأرض دوس أو مراد
نجالد إن نشطتم للجلاد
فلم تر مثلها جلهات واد^(٥)
على الغايات مقتدر جواد^(٦)
من القول المبيين والسداد^(٧)
لكم منأ إلى شطر المذاد^(٨)
وكل مطهم سلس القياد
تدف ديف صفراء الجراد^(٩)
تميم الخلق من أخير وهادي^(١٠)
خيول الناس في السنة الجماد

(١) سلع: جبل بالمدينة. والعريض: واد بالمدينة.

(٢) نواضح: حدائق تسقى بالنضح. خوص: آبار ضيقة.

(٣) المرار: نهر. الجمام: الآبار كثيرة الماء. الثماد: الماء القليل.

(٤) الأجش: العالي الصوت. تبقع: صار فيه بقع علامة النضح.

(٥) السكة: النخيل المصطف. جلهات: وادي. ما كشفت عنه السيول فأبرزته.

(٦) الحضير: الجري. وذو الحضير: يريد النخيل.

(٧) نجتديكم: نسألکم.

(٨) الشطر: الناحية. والمذاد: حيث حفر الخندق بالمدينة.

(٩) الطمرة: الفرس الوثوب القوية. تدف: تقول دف الطائر: إذا حرك جناحيه. صفراء الجراد: هي التي ألقت بيضها فهي خفيفة في طيرانها.

(١٠) المقلص: الشديد. الأراب: قطع اللحم. النهدي: الغليظ. والهادي: العنق. أي: كريم من أوله إلى آخره.

يُنَازِغُنِ الْأَعْيَةَ مُضْغِيَاتِ
 إِذَا قَالَتْ لَنَا التُّذْرُ اسْتَعْدُوا
 وَقُلْنَا لَنْ يُفْرَجَ مَا لَقِينَا
 فَلَمْ تَرِ عُصْبَةً فِيمَنْ لَقِينَا
 أَشَدُّ بِسَالَةً مَثَا إِذَا مَا
 إِذَا مَا نَحْنُ أَشْرَجْنَا عَلَيْهَا
 قَدَفْنَا فِي السَّوَابِغِ كُلِّ صَقْرِ
 أَشْتَمَ كَأَنَّهُ أَسَدٌ عَبُوسٌ
 يُغَشِّي هَامَةَ الْبَطْلِ الْمُدْكِي
 لِنُظْهِرَ دِيْنَكَ اللَّهُمَّ إِنَّا

قال ابن هشام: بيته:

قَصَزْنَا كُلَّ ذِي حُضْرٍ وَطَوَّلُ

والبيت الذي يتلوه، والبيت الثالث منه، والبيت الرابع منه، وبيته:

أَشْتَمَ كَأَنَّهُ أَسَدٌ عَبُوسٌ

والبيت الذي يتلوه، عن أبي زيد الأنصاري.

قال ابن إسحاق: وقال مسافع بن عبد مناف بن وهب بن خذافة بن جُمَح، يبكي عمرو بن عبد ود، ويذكر قتل علي بن أبي طالب إياه:

عَمْرُو بْنُ عَبْدِ كَانَ أَوَّلَ فَارِسٍ
 سَمَّحُ الْخَلَائِقِ مَا جَدَ ذُو مِرَّةٍ
 وَلَقَدْ عَلِمْتُمْ حِينَ وَلَّوْا عَنْكُمْ
 حَتَّى تَكْتَفِيهِ الْكُمَاءُ وَكُلُّهُمْ
 وَلَقَدْ تَكْتَفِيهِ الْأَسِنَّةُ فَارِسًا
 تَسَلُّ التُّزَالَ عَلِيٍّ فَارِسَ غَالِبٍ
 فَازْهَبْ عَلِيٍّ فَمَا ظَفِرْتُ بِمِثْلِهِ
 جَزَعُ الْمَذَادِ وَكَانَ فَارِسَ يَلِيلِ^(٤)
 يَبْغِي الْقِتَالَ بِشِكَّةٍ لَمْ يَنْكُلِ
 أَنْ ابْنَ عَبْدِ فِيهِمْ لَمْ يَعْجَلِ
 يَبْغِي مَقَاتِلَهُ وَلَيْسَ بِمُؤْتَلِي^(٥)
 بِجَنُوبِ سَلْعٍ غَيْرَ نَكْسِ أُمَيْلِ
 بِجَنُوبِ سَلْعٍ، لَيْتَهُ لَمْ يَنْزَلِ
 فَخْرًا وَلَا لَاقِيَتَ مِثْلَ الْمُغْضِلِ

(١) القوانس: أعالي بيض الحديد.

(٢) أشرجنا: ربطنا. الجدول: الدروع المحكمة النسيج. الأرب: العقد الشديدة.

(٣) المُدْكِي: شديد القوة. صبي السيف: وسطه. النجاد: حائل السيف.

(٤) جزع: قطع. المذاد: مكان بالمدينة حيث بُني الخندق. ليليل: وادٍ في بدر.

(٥) ليس بمؤتلي: أي ليس بمقصر.

نَفْسِي الْفِدَاءِ لِفَارِسٍ مِنْ غَالِبٍ
أَعْنِي الَّذِي جَزَعَ الْمَدَادِ بِمُهْرِهِ
وقال مُسَاعِفٌ أَيْضاً يُؤْتَبُ فُرْسَانُ عَمْرُو الَّذِينَ كَانُوا مَعَهُ، فَاجْلَوْا عَنْهُ وَتَرَكُوهُ:

عَمْرُو بْنُ عَبْدِ وَالْجِيَادُ يَقْوُدُهَا
أَجَلَّتْ فَوَارِسُهُ وَغَادِرُ رَهْطِهِ
عَجَبًا وَإِنْ أَعْجَبَ فَقَدْ أَبْصَرْتَهُ
لَا تَبْعَدَنَّ فَقَدْ أَصِيبْتُ بِقَتْلِهِ
وَهُبَيْرَةُ الْمَسْلُوبِ وَلِي مُذْبِرًا
وَضَرَارٌ كَأَنَّ الْبَأْسَ مِنْهُ مُخْضِرًا

قال ابن هشام: وبعض أهل العلم بالشعر يُنكرها له. وقوله: «عمراً ينزل» عن غير ابن إسحاق.

قال ابن إسحاق: وقال هُبَيْرَةُ بْنُ أَبِي وَهَبٍ يَعْتَدِرُ مِنْ فَرَاهِ، وَبِيكِي عَمْرًا، وَيَذْكَرُ قَتْلَ عَلِيٍّ إِيَّاهُ:

لَعَمْرِي مَا وَلَيْتُ ظَهْرِي مُحَمَّدًا
وَلَكِنِّي قَلْبِي أَمْرِي فَلَمْ أَجِدْ
وَقَفْتُ فَلَمَّا لَمْ أَجِدْ لِي مَقْدَمًا
ثَنَى عِطْفُهُ عَنِ قِزْنِهِ حِينَ لَمْ يَجِدْ
فَلَا تَبْعَدَنَّ يَا عَمْرُو حَيًّا وَهَالِكًا
وَلَا تَبْعَدَنَّ يَا عَمْرُو حَيًّا وَهَالِكًا
فَمَنْ لِي طَرَادِ الْخَيْلِ تُفْدَعُ بِالْقَنَا
هُنَالِكَ لَوْ كَانَ ابْنُ عَبْدِ لَزَا زَاهَا
فَعَنَّاكَ عَلِيٌّ لَا أَرَى مِثْلَ مَوْقِفِ
فَمَا ظَفِرَتْ كَفَاكَ فَخْرًا بِمِثْلِهِ

وقال هُبَيْرَةُ بْنُ أَبِي وَهَبٍ بِيكِي عَمْرُو بْنُ عَبْدِ وَدَّ، وَيَذْكَرُ قَتْلَ عَلِيٍّ إِيَّاهُ:

لَقَدْ عَلِمْتُ عَلِيًّا لَوْيَّ بْنَ غَالِبٍ
لِفَارِسِهَا عَمْرُو إِذَا مَا يَسُومُهُ
عَلِيٌّ وَإِنَّ اللَّيْثَ لَا بَدَّ طَالِبٍ
لِفَارِسِهَا إِذَا خَامَ عَنْهُ الْكَتَائِبُ^(٨)

(١) لم يتحلل: لم يتزحج.

(٢) تنعل: تلبس نعال الخيل وهي الحديد في أرجل الخيل لتقوى على المشي.

(٣) تسوم: تطلب.

(٤) الشا: الذكر الجميل.

(٥) قرقرة البزل: أصوات الإبل الكريمة.

(٦) الوغل: الفاسد.

(٧) عنك: اسم فعل أمر بمعنى ابتعد.

(٨) خام: جبن.

فيا لهف نفسي إنَّ عمراً تركته
وقال حسان بن ثابت يفتخر بقتل عمرو بن عبد ود:

بَقِيَّتْكُمْ عَمْرُو أَبْخَنَاهُ بِالْقَنَا
وَنَحْنُ قَتَلْنَاكُمْ بِكُلِّ مُهَيَّد
وَنَحْنُ قَتَلْنَاكُمْ بِبَدْرٍ فَأَصْبَحَتْ
قال ابن هشام: وبعض أهل العلم بالشعر يكرها لحسان.

قال ابن إسحاق: وقال حسان بن ثابت أيضاً في شأن عمرو بن عبد ود:

أَمْسَى الْفَتَى عَمْرُو بْنُ عَبْدِ يَبْتَغِي
فَلَقَدْ وَجَدَتْ سُيُوفُنَا مَشْهُورَةً
وَلَقَدْ لَقِيتَ غَدَاةَ بَدْرٍ عُضْبَةً
أَضْبَحَتْ لَا تُدْعَى لِيَوْمٍ عَظِيمَةٍ
قال ابن هشام: وبعض أهل العلم بالشعر يكرها لحسان.

قال ابن إسحاق: وقال حسان بن ثابت أيضاً:

أَلَا أَبْلِغُ أَبَاهُ هَذَا رَسُولاً
أَكُنْتُ وَلِيَّكُمْ فِي كُلِّ كُزْرَةٍ
وَمِنْكُمْ شَاهِدٌ وَلَقَدْ رَأَيْتَنِي
قال ابن هشام: وتروى هذه الأبيات لربيعه بن أمية الذليلي، ويروى فيها آخرها:

كَبَبْتُ الْخَزْرَجِيَّ عَلَى يَدَيْهِ
وَتُرْوَى أَيْضاً لِأَبِي أُسَامَةَ الْجُشَمِيِّ.

قال ابن إسحاق: وقال حسان بن ثابت في يوم بني قريظة يبكي سعد بن معاذ ويذكر حكمه

فيهم:

لَقَدْ سَجَمْتُ مِنْ دَمْعِ عَيْنِي عِبْرَةً
قَتِيلِ ثَوَى فِي مَعْرِكٍ فَجَعْتُ بِهِ
عَلَى مِلَّةِ الرَّحْمَنِ وَارْتِ جَنَّةٍ
فَإِنْ تَكُ قَدْ وَدَعْتَنَا وَتَرَكْتَنَا
فَأَنْتَ الَّذِي يَا سَعْدُ أَبْتِ بِمَشْهَدٍ
بِحُكْمِكَ فِي حَيِّي قُرَيْظَةَ بِالَّذِي
وَحَقُّ لَعِينِي أَنْ تَفِيضَ عَلَيَّ سَعْدُ
عُيُونُ ذَوَارِي الدَّمْعِ دَائِمَةٌ الْوَجْدُ^(٢)
مَعَ الشَّهْدَاءِ وَفَدَاهَا أَكْرَمُ الْوَفْدِ
وَأَمْسَيْتُ فِي عَبْرَاءِ مُظْلَمَةِ اللَّحْدِ
كَرِيمِ وَأَثْوَابِ الْمَكَارِمِ وَالْحَمْدِ
فَضَى اللَّهُ فِيهِمْ مَا قَضَيْتُ عَلَى عَمْدِ

(١) المغلغلة: الرسالة الخطية المحمولة من بلد إلى بلد.

(٢) ذواري: ساكية.

فوافق حُكْمَ الله حُكْمُكَ فِيهِمْ
فإن كان رَبُّبُ الدهرِ أمضاك في الألى
فَنِعْمَ مَصِيرُ الصّادِقِينَ إِذَا دُعُوا
وقال حسان بن ثابت أيضاً، يبكي سعد بن معاذ، ورجالاً من أصحاب رسول الله ﷺ من الشهداء، ويذكرهم بما كان فيهم من الخير:

ألا يا لقومي هل لِمَا حُمِّ دافع
تذكرت عَضْرَأَ قَدِ مَضَى فَتَهافتت
صَبَابَةَ وَجَدِ ذَكَرْتَنِي أَجْبَةً
وَسَعْدٌ فَأَضْحُوا فِي الْجِنَانِ وَأَوْحَشَتْ
وَقَنُوا يَوْمَ بَدْرٍ لِلرُّسُولِ وَقَوْفَهُمْ
دَعَا فَأَجَابُوهُ بِحَقِّ وَكَلُّهُمْ
فَمَا نَكَلُوا حَتَّى تَوَلَّوْا جَمَاعَةً
لأنهم يرجون منه شفاعَةً
فذلك يا خَيْرَ الْعِبَادِ بِلَاؤُنَا
لَنَا الْقَدَمُ الْأُولَى إِلَيْكَ وَخَلْفُنَا
وَنَعْلَمُ أَنَّ الْمُلْكَ لِلَّهِ وَخَدَهُ

وقال حسان بن ثابت أيضاً في يوم بني قريظة:

لَقَدْ لَقَيْتُ قُرَيْظَةَ مَا سَأَهَا
أَصَابَهُمْ بَلَاءٌ كَانَ فِيهِ
عَدَاةٌ أَتَاهُمْ يَهْوِي إِلَيْهِمْ
لَهُ خَيْلٌ مُجْتَبَةٌ تَعَادَى
تَرَكْنَاهُمْ وَمَا ظَفِرُوا بِشَيْءٍ
فَهُمْ صَزَعَى تَحُومِ الطَّيْرِ فِيهِمْ
فَأَثِيرٌ مِثْلَهَا نَضْحاً قُرَيْشاً
وقال حسان بن ثابت في بني قريظة:

لَقَدْ لَقَيْتُ قُرَيْظَةَ مَا سَأَهَا
وَسَعْدٌ كَانَ أَنْذَرَهُمْ بِنُضْحِ
فَمَا بَرِحُوا بِنُقْضِ الْعَهْدِ حَتَّى

(١) بنات الحشى: القلب وما اتصل به من أعضاء. (٢) فلاحهم: ضربهم بالسيوف.

وهل ما مَضَى من صالح العيش راجع
بناتُ الْحَشَى^(١) وانهَلَّ مني المَدَامِعُ
وَقَتْلِي مَضَى فِيهَا طُفَيْلٌ وَرَافِعُ
منازلهم فالأرض منهم بلاقع
ظِلَالُ الْمَنَايَا وَالسُّيُوفِ اللِّوَامِعُ
مُطِيعٌ لَهُ فِي كُلِّ أَمْرٍ وَسَامِعُ
وَلَا يَقْطَعُ الْأَجَالَ إِلَّا الْمَصَارِعُ
إذا لم يَكُنْ إِلَّا التَّيْبِيُّونَ شَافِعُ
إِجَابَتُنَا لِلَّهِ وَالْمَوْتُ نَاقِعُ
لَأَوْلِنَا فِي مِلَّةِ اللَّهِ تَابِعُ
وَأَنَّ قَسْضَاءَ اللَّهِ لَا بَدَّ وَإِقِعُ

وَمَا وَجَدْتُ لِذَلِّ مِنْ نَصِيرِ
سوى ما قد أصاب بني التُّضِيرِ
رسولُ الله كَالْقَمَرِ الْمُنِيرِ
بِفُزْزَانٍ عَلَيْهَا كَالصُّقُورِ
دِمَاؤُهُمْ عَلَيْهِمْ كَالْعَدِيرِ
كذلك يُدَانُ ذُو الْعَنْدِ الْفَجُورِ
مِنَ الرَّحْمَنِ إِنْ قَبِلْتَ نَذِيرِي

وَحَلَّ بِحَضْنِهَا ذَلٌّ دَلِيلُ
بِأَنَّ إِلَهُكُمْ رَبُّ جَلِيلُ
فَلَاهُمْ فِي بِلَادِهِمُ الرُّسُولُ^(٢)

أحاط بجزئتهم مئباً صُفوف
 وقال حسان بن ثابت أيضاً في يوم بني قريظة:
 تفارقدمعشراً نصروا قريشاً
 هم أوتوا الكتاب فضيعوه
 كفرتهم بالقرآن وقد أتيتهم
 فهان على سراة بني لؤي
 فأجابه أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب، فقال:

أدام الله ذلك من صنيع
 ستعلم أينما منها ينزوه
 فلو كان النخيل بهار ككاباً
 وأجابه جبل بن جوال الثعلبي أيضاً، وبكى

لما لقيت قريظة والنضير
 غداة تحملوا الهو الصبور
 فقال لقيت قريظة والنضير
 أسيداً والدوائر قد تدور
 وسغية وابن أخطب فهي بور
 كما ثقلت بميطان الصخور^(٥)
 فلا زت السلاح ولا ذنور^(٦)
 مع اللين الخضارمة الصفور
 بمجد لا تغيبه البذور
 كأنكم من المخرزة غور
 وقدر القوم حامية تفور

مقتل سلام بن أبي الحقيق

قال ابن إسحاق: ولما انقضى شأن الخندق، وأمر بني قريظة، وكان سلام بن أبي الحقيق، وهو أبو رافع فيمن حزب الأحزاب على رسول الله ﷺ، وكانت الأوس قبل أخذ قد قتلت كعب بن الأشرف، في عداوته لرسول الله ﷺ وتحريضه عليه، استأذنت الخزرج رسول الله ﷺ في قتل سلام

(١) تفانق: هلك.
 (٢) بور: هلكى.
 (٣) البويرة: مكان لبني قريظة.
 (٤) النزه: البعد.
 (٥) ميطان: جبل بالمدينة.
 (٦) الذنور: المتغير.

ابن أبي الحقيق، وهو بخير، فأذن لهم^(١).

قال ابن إسحاق: وحدثني محمد بن مسلم بن شهاب الزهري، عن عبد الله ابن كعب بن مالك، قال: وكان مما صنع الله به لرسوله ﷺ أن هذين الحيين من الأنصار، والأوس والخزرج، كانا يتصاولان مع رسول الله ﷺ تصاول الفحلين، لا تصنع الأوس شيئاً عن رسول الله ﷺ غناء إلا قالت الخزرج: والله لا تذهبون بهذه فضلاً علينا عند رسول الله ﷺ وفي الإسلام. قال: فلا ينتهون حتى يوقعوا مثلها؛ وإذا فعلت الخزرج شيئاً قالت الأوس مثل ذلك.

ولما أصابت الأوس كعب بن الأشرف في عداوته لرسول الله ﷺ قالت الخزرج: والله لا تذهبون بها فضلاً علينا أبداً؛ قال: فتذاكروا: مَنْ رجلٌ لرسول الله ﷺ في العداوة كابن الأشرف؟ فذكروا ابن أبي الحقيق، وهو بخير؛ فاستأذنا رسول الله ﷺ في قتله، فأذن لهم.

فخرج إليه من الخزرج من بني سلمة خمسة نفر: عبد الله بن عتيك، ومسعود ابن سينان، وعبد الله بن أنيس، وأبو قتادة الحارث بن رباعي، وخزاعي بن أسود^(٢)، حليف لهم من أسلم. فخرجوا وأمر عليهم رسول الله ﷺ عبد الله بن عتيك، ونهاهم عن أن يقتلوا وليداً أو امرأة، فخرجوا حتى إذا قدموا خيبر، أتوا دار ابن أبي الحقيق ليلًا، فلم يدعوا بيتاً في الدار إلا أغلقوه على أهله. قال: وكان في علية له إليها عجلة^(٣) قال: فأسندوا فيها، حتى قاموا على بابه، فاستأذنا عليه، فخرجت إليهم امرأته، فقالت: من أنتم؟ قالوا: ناس من العرب نلتمس الميرة. قالت: ذاكم صاحبكم، فادخلوا عليه؛ قال: فلما دخلنا عليه، أغلقنا علينا وعليها الحجر، تخوفاً أن تكون دونه مجاورة تحول بيننا وبينه، قالت: فصاحت امرأته، فنوّهت^(٤) بنا، وابتدزناه، وهو على فراشه بأسيفنا، فوالله ما يدلنا عليه في سواد الليل إلا بياضه كأنه قبطية^(٥) ملقاة. قال: ولما صاحت بنا امرأته، جعل الرجل مئاً يرفع عليها سيفه، ثم يذكر نهى رسول الله ﷺ فيكف يده، ولولا ذلك لفرغنا منها بليل. قال: فلما ضربناه بأسيفنا، تحامل عليه عبد الله بن أنيس بسيفه في بطنه حتى أنفذه، وهو يقول: قطني قطني^(٦): أي حَسْبِي حَسْبِي. قال: وخرجنا، وكان عبد الله بن عتيك رجلاً سيء البصر، قال: فوقع من الدرجة فوثت^(٧) يده وثناً شديداً - ويقال: رِجله، فيما قال ابن هشام - وحملناه حتى نأتى به منتهراً^(٨) من عيونهم، فندخل فيه. قال: فأوقدوا النيران، واشتدوا في كل وجه يطلبوننا، قال: حتى إذا يشوا

(١) تاريخ الإسلام (المغازي).

(٢) في تاريخ الإسلام (المغازي)، أو الإصابة ٤٢/١ «أسد بن خزاعي».

(٣) العجلة: جذع النخلة يُنقر في أماكن منه للصدود عليها.

(٤) نوّهت: شهرت.

(٥) القبطية: ثياب بيض كانت تصنع في مصر.

(٦) وقال بعضهم: إنما هو قطي، ودخلت النون على حال دخولها في قطني. ومن العرب من يقول: قطن فلاناً أو فلان كذا، أي يكفيه، فيزيد نوناً على قَطْ وينصب بها ويخفض ويضيف إلى نفسه فيقول: قطني. (لسان العرب).

(٧) الوثء: إصابة العظم بلا كسر. ووصم: يصيب اللحم ولا يبلغ العظم. ويقال في الدعاء: اللهم تأيده. (تاج العروس ١/٤٨١).

(٨) المنهر: شق في الحصن نافذ يجري منه الماء. (تاج العروس ١/٣١٦).

رَجَعُوا إِلَى صَاحِبِهِمْ، فَكَتَفُوهُ وَهُوَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ. قَالَ: فَقُلْنَا: كَيْفَ لَنَا بِأَنْ نَعْلَمَ بِأَنْ عَدُوَّ اللَّهِ قَدْ مَاتَ؟ قَالَ: فَقَالَ رَجُلٌ مِنَّا: أَنَا أَذْهَبُ فَأَنْظُرُ لَكُمْ، فَاَنْطَلِقُ حَتَّى دَخَلْتُ فِي النَّاسِ. قَالَ: فَوَجَدْتُ امْرَأَتَهُ وَرَجَالَ يَهُودٍ حَوْلَهُ وَفِي يَدِهَا الْمِضْبَاحُ تَنْظُرُ فِي وَجْهِهِ، وَتَحَدِّثُهُمْ وَتَقُولُ: أَمَا وَاللَّهِ لَقَدْ سَمِعْتُ صَوْتَ ابْنِ عَتِيكَ، ثُمَّ أَكْذَبْتُ نَفْسِي وَقُلْتُ: أَتَى ابْنَ عَتِيكَ بِهَذِهِ الْبِلَادِ؟ ثُمَّ أَقْبَلْتُ عَلَيْهِ تَنْظُرُ فِي وَجْهِهِ ثُمَّ قَالَتْ: فَافْظُ^(١) وَإِلَيْهِ يَهُودٌ؛ فَمَا سَمِعْتُ مِنْ كَلِمَةٍ كَانَتْ أَلَدَّ إِلَى نَفْسِي مِنْهَا. قَالَ: ثُمَّ جَاءَنَا الْخَبِيرُ فَاحْتَمَلْنَا صَاحِبِنَا فَقَدِمْنَا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَأَخْبَرْنَا بِقَتْلِ عَدُوِّ اللَّهِ، وَاخْتَلَفْنَا عِنْدَهُ فِي قَتْلِهِ، كُلُّنَا يَدْعِيهِ. قَالَ: فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «هَاتُوا أَسْيَافَكُمْ»؛ قَالَ: فَجِئْنَا بِهَا، فَنظَرَ إِلَيْهَا فَقَالَ لِسَيْفِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَنَيْسٍ: «هَذَا قَتْلُهُ، أَرَى فِيهِ أَثَرَ الطَّعَامِ»^(٢).

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: فَقَالَ حَسَانُ بْنُ ثَابِتٍ وَهُوَ يَذْكَرُ قَتْلَ كَعْبِ بْنِ الْأَشْرَفِ، وَقَتْلَ سَلَامِ بْنِ أَبِي الْحُقَيْقِ:

لِللَّهِ دَرَّ عِصَابَةٌ لَا قِيَّتَهُمْ
يَسْرُونَ بِالْبَيْضِ الْخِيفَافِ إِلَيْكُمْ
حَتَّى أَتَوْكُمْ فِي مَحَلِّ بِلَادِكُمْ
مُسْتَبْصِرِينَ لِنَضْرِ دِينَ نَبِيِّهِمْ
يَا بَنَ الْحُقَيْقِ وَأَنْتَ يَا بَنَ الْأَشْرَفِ
مَرَحاً كَأَسَدٍ فِي عَرِينِ مُغْرَفِ^(٣)
فَسَقَوْكُمْ حَتْفًا بَيْضَ دُفْفِ^(٤)
مُسْتَصْفِرِينَ لِكُلِّ أَمْرٍ مُجْجِفٍ
قَالَ ابْنُ هِشَامٍ: قَوْلُهُ: «دُفْفٌ»، عَنْ غَيْرِ ابْنِ إِسْحَاقَ.

إسلام عمرو بن العاص وخالد بن الوليد

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: وَحَدَّثَنِي يَزِيدُ بْنُ أَبِي حَبِيبٍ، عَنْ رَاشِدِ مَوْلَى حَبِيبِ بْنِ أَبِي أَوْسِ الثَّقَفِيِّ، عَنْ حَبِيبِ بْنِ أَبِي أَوْسِ الثَّقَفِيِّ قَالَ: حَدَّثَنِي عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ مِنْ فِيهِ، قَالَ: لَمَّا انصَرَفْنَا مَعَ الْأَحْزَابِ عَنِ الْخَنْدَقِ، جَمَعْتُ رَجَالًا مِنْ قُرَيْشٍ، كَانُوا يَرُونَ رَبِّي، وَيَسْمَعُونَ مِنِّي، فَقُلْتُ لَهُمْ: تَعْلَمُونَ وَاللَّهِ أَنِّي أَرَى أَمْرَ مُحَمَّدٍ يَعْلُو الْأُمُورَ عَلَوًّا مُنْكَرًا، وَإِنِّي قَدْ رَأَيْتُ أَمْرًا، فَمَا تَرَوْنَ فِيهِ؟ قَالُوا: وَمَاذَا رَأَيْتَ؟ قَالَ: رَأَيْتُ أَنْ تَلْحَقَ بِالنَّجَاشِيِّ فَتَكُونَ عِنْدَهُ، فَإِنْ ظَهَرَ مُحَمَّدٌ عَلَى قَوْمِنَا كُنَّا عِنْدَ النَّجَاشِيِّ، فَإِنَّا أَنْ نَكُونَ تَحْتَ يَدَيْهِ أَحِبُّ إِلَيْنَا مِنْ أَنْ نَكُونَ تَحْتَ يَدَيْ مُحَمَّدٍ، وَإِنْ ظَهَرَ قَوْمُنَا فَنَحْنُ مَنْ قَدْ عَرَفُوا، فَلَنْ يَأْتِينَا مِنْهُمْ إِلَّا خَيْرٌ، قَالُوا: إِنَّ هَذَا الرَّأْيُ قَلْتُ: فَاجْمَعُوا لَنَا مَا نَهْدِيهِ لَهُ، وَكَانَ أَحِبُّ مَا يُهْدَى إِلَيْهِ مِنْ أَرْضِنَا الْأَدَمِ^(٥). فَجَمَعْنَا لَهُ أَدَمًا كَثِيرًا، ثُمَّ خَرَجْنَا حَتَّى قَدِمْنَا عَلَيْهِ.

فَوَاللَّهِ إِنَّا لَعِنْدَهُ إِذْ جَاءَهُ عَمْرُو بْنُ أُمَيَّةِ الضَّمْرِيِّ، وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَدْ بَعَثَهُ إِلَيْهِ فِي شَأْنِ جَعْفَرِ وَأَصْحَابِهِ. قَالَ: فَدَخَلَ عَلَيْهِ ثُمَّ خَرَجَ مِنْ عِنْدِهِ. قَالَ: فَقُلْتُ لِأَصْحَابِي: هَذَا عَمْرُو بْنُ أُمَيَّةِ الضَّمْرِيِّ، لَوْ قَدْ دَخَلْتُ عَلَى النَّجَاشِيِّ وَسَأَلْتَهُ إِيَّاهُ فَأَعْطَانِيهِ، فَضَرَبْتُ عُنُقَهُ، فَإِذَا فَعَلْتُ ذَلِكَ رَأَتْ قُرَيْشُ أَنِّي قَدْ أَجْزَأْتُ عَنْهَا حِينَ قَتَلْتُ رَسُولَ مُحَمَّدٍ. قَالَ: فَدَخَلْتُ عَلَيْهِ فَسَجَدْتُ لَهُ كَمَا كُنْتُ أَصْنَعُ، فَقَالَ: مَرْحَبًا

(١) فاظ: مات.

(٢) تاريخ الإسلام (المغازي).

(٣) مغرف: ملتفت الأغصان.

(٤) دُفْفٌ: سريعة القتل.

(٥) الأدم: الجلد.

بصديقي، أهديت إلي من بلادك شيئاً؟ قال: قلت: نعم، أيها الملك، قد أهديت إليك أدماً كثيراً؛ قال: ثم قرَّبته إليه، فأعجبه واشتهاه ثم قلت له: أيها الملك، إني قد رأيت رجلاً خرج من عندك، وهو رسول رجل عدو لنا، فأعطينيه لأقتله، فإنه قد أصاب من أشرفنا وخيارنا؛ قال: فغضب، ثم مدَّ يده فضرب بها أنفه ضربةً ظننتُ أنه قد كسره، فلو انشقتُ لي الأرض لدخلت فيها فرقاً منه؛ ثم قلت له: أيها الملك، والله لو ظننت أنك تكره هذا ما سألتك؛ قال: أتسألني أن أعطيك رسولَ رجلٍ يأتيه النَّاموسُ^(١) الأكبر الذي كان يأتي موسى لتقتله! قال: قلت: أيها الملك، أكذاك هو؟ قال: ويحك يا عمرو أطعني وأتبعه، فإنه والله لعلَى الحقِّ، وليظَهَرَنَّ على مَنْ خالفه، كما ظهر موسى على فزعون وجنوده؛ قال: قلت: أفتباعدني له على الإسلام؟ قال: نعم، فبسط يده، فبايعته على الإسلام، ثم خرجت إلى أصحابي وقد حال رأيي عما كان عليه، وكتمتُ أصحابي إسلامي.

ثم خرجت عامداً إلى رسول الله ﷺ لأسلم، فلقى خالد بن الوليد، وذلك قبيل الفتح، وهو مُقبل من مكة؛ فقلت: أين يا أبا سليمان؟ قال: والله لقد استقام المُنْسيمُ^(٢)، وإن الرجل لنبي، أذهب والله فأسلم، فحتى متى؛ قال: قلت: والله ما جئتُ إلا لأسلم. قال: فقدمنا المدينة على رسول الله ﷺ، فتقدم خالد بن الوليد فأسلم وبايع، ثم دنوتُ، فقلت: يا رسول الله، إني أبايعك على أن يُغفر لي ما تقدم من ذنبي، ولا أذكر ما تأخر؛ قال: فقال رسول الله ﷺ: «يا عمرو، بايع، فإن الإسلام يُجِبُّ ما كان قبله، وإن الهجرة تُجِبُّ^(٣) ما كان قبلها»؛ قال: فبايعته، ثم انصرفت^(٤).

قال ابن هشام: ويقال: فإن الإسلام يَحْتُ^(٥) ما كان قبله، وإن الهجرة تُحْتُ ما كان قبلها.

إسلام عثمان بن طلحة: قال ابن إسحاق: وحدثني من لا أتهم، أن عثمان بن طلحة بن أبي طلحة، كان معهما، حين أسلما.

قال ابن إسحاق: فقال ابن الزُّبَيْرِ السُّهْمِيُّ:

أُنْشِدْ عُثْمَانَ بْنَ طَلْحَةَ جِلْفَنَا وَمَا عَقَدَ الْآبَاءُ مِنْ كُلِّ جِلْفِهِ
وَمُلِّقَى زِعَالِ الْقَوْمِ عِنْدَ الْمُقْبَلِ^(٦) وَمَا خَالِدٌ مِنْ مِثْلِهَا بِمُحَلَّلِ

(١) الناموس: هو جبريل عليه السلام، وكذا يسميه أهل الكتاب.

(٢) في سير أعلام النبلاء ٦٠/٣ «الميسم».

(٣) يجب: يقطع.

(٤) رجال الحديث ثقات، عدا راشد مولى حبيب، فلم يوثقه غير ابن حبان، وأخرجه من طريق ابن إسحاق بنحوه أحمد في المسند ٤/١٩٨، ١٩٩، والواقدي في المغازي ٢/٧٤١ - ٧٤٥ من طريق عبد الحميد بن جعفر، عن أبيه، قال: قال عمرو بن العاص... بأبسط من رواية ابن إسحاق.

وأخرج مسلم في صحيحه (١٢١) في الإيمان، باب كون الإسلام يهدم ما قبله، من طريق ابن شماس المهرري قال: حضرنا عمرو بن العاص وهو في سبابة الموت، فبكى طويلاً، وحول وجهه إلى الجدار... وفيه: فلما جعل الله الإسلام في قلبي، أتيت النبي ﷺ، فقلت: أبسط يمينك فلأبايعك فبسط يمينه، قال: فقبضت يدي، قال: «ما لك يا عمرو؟» قال: قلت: أردت أن أشرط. قال: «تشرط بماذا؟» قلت: أن يغفر لي. قال: «أما علمت أن الإسلام يهدم ما كان قبله، وأن الهجرة تهدم ما كان قبلها، وأن الحج يهدم ما كان قبله...». وانظر سير أعلام النبلاء ٣/٥٩، ٦٠.

(٥) يحْتُ: يسقط.

(٦) المُقْبَل: اسم مكان من قَبِلَ، ويريد به الحجر الأسود.

أَمِفْتَاخَ بَيْتٍ غَيْرِ بَيْتِكَ تَبْتَنِي وَمَا يُبْتَنَى مِنْ مَجْدِ بَيْتِ مُؤْتَلٍ
فَلَا تَأْمَنَنَّ خَالِدًا بَعْدَ هَذِهِ وَعِثْمَانُ جَاءَ بِالذُّهَيْمِ^(١) الْمُعْضَلُ
وكان فتح بني قريظة في ذي القعدة وصدر ذي الحجة، وولي تلك الحجة المشركون.

غزوة بني لحيان^(٢)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قال ابن إسحاق: ثم أقام رسول الله ﷺ بالمدينة ذا الحجة والمحرم وصفرًا وشهرَي ربيع، وخرج في جمادى الأولى على رأس ستة أشهر من فتح قريظة، إلى بني لحيان يطلب بأصحاب الرجيع: حبيب بن عدي وأصحابه، وأظهر أنه يريد الشام، ليصيب من القوم غزوة. فخرج من المدينة ﷺ، واستعمل على المدينة ابن أم مكتوم، فيما قال ابن هشام.

قال ابن إسحاق: فسلك على غراب، جبل بناحية المدينة على طريقه إلى الشام، ثم على مَحِيص^(٣)، ثم على البثراء، ثم صفق^(٤) ذات اليسار، فخرج على يمين^(٥)، ثم على صُخَيْرَات^(٦) اليمام، ثم استقام به الطريق على المحجة من طريق مكة، فأغذ^(٧) السير سريعاً، حتى نزل على غُرَان^(٨)، وهي منازل بني لحيان، وغُرَان واد بين أمج وعُسفان، إلى بلد يقال له: ساية^(٩)، فوجدهم قد حذروا وتمنعوا في رؤوس الجبال. فلما نزلها رسول الله ﷺ وأخطأه من غرتهم ما أراد، قال: لو أَنَا هَبَطْنَا عُسفان لرأى أهل مكة أَنَا قد جئنا مكة، فخرج في مائتي راكب من أصحابه حتى نزل عُسفان، ثم بعث فارسين من أصحابه حتى بلغا كُراع الغميم^(١٠)، ثم كر وراح رسول الله ﷺ قافلًا^(١١).

(١) الذهيم: الداهية.

(٢) انظر عنها في: المغازي للواقدي ٥٣٥/٢ - ٥٣٧، الطبقات الكبرى ٧٨/٢ - ٨٠، تاريخ الطبري ٥٩٥/٢، المحبر ١١٤، البدء والتاريخ ٢٢٢/٤، أنساب الأشراف ٣٤٨/١ رقم ٧٣٤، الكامل في التاريخ ١٨٨/٢، عيون الأثر ٨٣/٢ نهاية الأرب ٢٠١/١٧، ٢٠١، عيون التواريخ ٢٢٣/١، ٢٢٤، تاريخ الإسلام (المغازي)، الروض الأنف ٣٠٥/٣.

(٣) في الأصول، وتاريخ الطبري ٥٩٥/٢ «مخيص» والمثبت يتفق مع معجم البلدان ٦٧/٥.

(٤) صفق: عدل.

(٥) يمين: بالفتح ثم السكون. قال الزمخشري: يمين عين بواد يقال له حورتان. وقال غيره: واد بين ضاحك وضويحك، وهما جبلان أسفل الفرش. وقال نصر: ناحية من اعراض المدينة على بريد منها وهي منازل أسلم بن خزاعة. (معجم البلدان ٥/٤٥٤).

(٦) صُخَيْرَات: تصغير جمع صخرة. وهي صخيرات الثمام بالثاء المثناة المضمومة. (معجم البلدان ٣/٣٩٥).

(٧) أغذ: أسرع.

(٨) الغُرَان: بفتح أوله وتشديد ثانيه، تثنية الغز. اسم موضع. (معجم البلدان ٤/١٩١).

(٩) ساية: اسم واد من حدود الحجاز. يُطلَع إليه من الشراة. (معجم البلدان ٣/١٨٠).

(١٠) كُراع الغميم: بالضم. موضع بناحية الحجاز بين مكة والمدينة وهو واد أمام عُسفان بثمانية أميال. وهذا الكُراع جبل أسود في طرف الحرة يمتد إليه. (معجم البلدان ٤/٤٤٣).

(١١) تاريخ الطبري ٥٩٥/٢، تاريخ الإسلام (المغازي).

فكان جابر بن عبد الله يقول: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول حين وجه راجعاً: آيئون تائبون إن شاء الله لرئنا حامدون، أعوذ بالله من وِغْشاءِ السُّفْرِ، وكآبةِ المُنْقَلَبِ، وسوءِ المُنْظَرِ في الأهلِ والمال^(١).

والحديث في غزوة بني لحيان، عن عاصم بن عمر بن قتادة وعبد الله بن أبي بكر، عن عبد الله ابن كعب بن مالك؛ فقال كعب بن مالك في غزوة بني لحيان:

لو أن بني لحيان كانوا تناظروا^(٢) لثقوا عُصْباً^(٣) في دارهم ذات مَضَدَقٍ
لثقوا سرعاناً يَمْلأُ السَّرْبَ رَوْعُهُ^(٤) أمامَ طُحُونٍ كالمَجْرَةِ فَيَلْقُ^(٥)
ولكنهم كانوا وباراً^(٦) تَتَبَعَتْ شِعَابَ حِجَازٍ غيرِ ذِي مُتَنَفِّقٍ^(٧)

غزوة ذي قرد^(٨)

ثم قدم رسولُ الله ﷺ المدينة، فلم يُقَمَّ بها إلا ليالي قلائل، حتى أغار عُيينة ابنِ جِضْنِ بنِ حذيفة بن بدر الفزاري، في خَيْلٍ من عَطْفَانٍ على لِقَاحٍ لرسولِ الله ﷺ بالغابَةِ، وفيها رجلٌ من بني غفار وامرأة له، فقتلوا الرجل، واحتملوا المرأة في اللقَاحِ^(٩).

قال ابن إسحاق: فحدثني عاصم بن عمر بن قتادة وعبد الله بن أبي بكر، ومن لا أتهم، عن عبد الله بن كعب بن مالك، كل قد حدث في غزوة ذي قرد^(١٠) بعض الحديث: أنه كان أول من نذر^(١١)

(١) أخرجه البخاري في المغازي (٩٤/٥) باب غزوة الخندق وهي الأحزاب، ومسلم في الحج (٤٢٥) و(٤٢٨) و(٤٢٩) باب ما يقول إذا ركب إلى سفر الحج وغيره، وباب ما يقول إذا قتل من سفر الحج وغيره، وأبو داود في الجهاد (٢٥٩٨) باب ما يقول الرجل إذا سافر، والترمذي في كتاب الدعوات (٣٥٠٠) باب ما يقول إذا خرج مسافراً، و(٣٥١١) باب ما جاء يقول إذا ركب دابة، والدارمي في الاستئذان باب (٥٠)، ومالك في الموطأ، كتاب الحج (٩٥٢) باب جامع الحج، وأحمد في المسند ٢٥٦/١ و١٠/٢ و١٥ و٢١ و٣٨ و٦٢ و١٠٥ و١٤٤ و١٥٠ و١٨٧/٣ و١٨٩ و٢٣١/٤ و٢٨٩ و٢٨٩ و٢٩٨ و٣٠٠، والطبراني في المعجم الكبير (٣٢٢)٧ رقم ٧٠٩٢، وابن جميع الصيدواي في معجم الشيوخ ٦٤ رقم ٥، وابن سعد في الطبقات ٧٩/٢، والواقدي في المغازي ٥٣٧/٢.

(٢) تناظروا: انتظروا.

(٣) السرعان: الذين يتقدمون الجيش، والسرب: الطريق.

(٤) الطحون: الكتيبة الضخمة. والمجرة: مجموعة من النجوم. والفيلق: الكتيبة.

(٥) الوبار: جمع وير دويبة صغيرة تشبه الهرة.

(٦) المتنفق: الذي له منفذ ينفذ منه.

(٧) وهي غزوة الغابة. انظر عنها في: المغازي للواقدي ٥٣٧/٢ - ٥٤٩، والطبقات الكبرى ٨٠/٢ - ٨٤، وتاريخ الطبري ٢/

٥٩٦ - ٦٠٤، وأنساب الأشراف ٣٤٨/١ رقم ٧٣٥، والبدء والتاريخ ٢٢٣/٤، والمحبر ١١٤ والكامل في التاريخ ٢/

١٨٨ - ١٩١، ونهاية الأرب ٢٠١/١٧ - ٢٠٣، ومجمع الزوائد ١٤٣/٦، ١٤٤، وعيون التواريخ ١/٢٢٤ - ٢٢٧، وتاريخ الإسلام (المغازي)، وسيرة ابن كثير ٢٨٦/٣ - ٢٩٦، وعيون الأثر ٨٤/٢ - ٨٨، والروض الأنف ١٤/٤ - ١٧.

(٨) اللقاح: الإبل الحوامل.

(٩) ذو قرد: قال السهيلي: بضمّتين، هكذا ألفيته مقيداً عن أبي علي. والقرد في اللغة الصوف الرديء، يقال في مثل: عثرت

على المغزل بأخرة فلم تدع بنجد قردة. (الروض الأنف ١٤/٤).

(١١) نذر: علم به فحذوه.

بهم سلمة بن عمرو بن الأكوخ الأسلمي، غدا يريد الغابة^(١) متوشحاً قَوْسَهُ وَنَبْلَهُ، ومعه غلامٌ لطلحة بن عبيد الله معه فرسٌ له يقوده، حتى إذا علا ثنية الوداع نظرَ إلى بعض خيولهم، فأشرف في ناحية سَلَع، ثم صرخ: وا صباحاه، ثم خرج يَشْتَدُّ في آثار القوم، وكان مثل السبع حتى لحق بالقوم، فجعل يَرُدُّهم بالنَّبل، ويقول إذا رمى: «خذها وأنا ابن الأكوخ، اليوم يوم الرُّضْع»، فإذا وُجِّه الخيلُ نحوه انطلق هارباً، ثم عارضهم، فإذا أمكنه الرَّمي رمى، ثم قال: خُذْها وأنا ابن الأكوخ، اليوم يوم الرُّضْع، قال: فيقول قائلهم: أُوَيْكَعنا هو أول النهار^(٢).

تسابق الفرسان: قال: وبلغ رسول الله ﷺ صياح ابن الأكوخ، فصرخ بالمدينة الفرع الفرع، فترامت الخيولُ إلى رسول الله ﷺ.

وكان أول من انتهى إلى رسول الله ﷺ من الفرسان: المقداد بن عمرو، وهو الذي يُقال له: المقداد بن الأسود، حليف بني زُهرة؛ ثم كان أول فارس وقف على رسول الله ﷺ بعد المقداد من الأنصار، عبَّاد بن بشر بن وقش بن زُغبة بن زُغوراء، أحد بني عبد الأشهل؛ وسعد بن زيد، أحد بني كعب بن عبد الأشهل، وأسيد بن ظهير، أخو بني حارثة بن الحارث، يُشكُّ فيه؛ وعُكاشة بن مِخَصَّن، أخو بني أسد بن خزيمة؛ ومُحرز بن نضلة، أخو بني أسد بن خزيمة، وأبو قتادة الحارث بن ربيعي، أخو بني سلمة؛ وأبو عيَّاش، وهو عبيد بن زيد بن الصَّامت، أخو بني زُرَيْق. فلما اجتمعوا إلى رسول الله ﷺ أمرَ عليهم سعد بن زيد، فيما بلغني، ثم قال: اخرج في طلب القوم، حتى ألحقك في الناس^(٣).

وقد قال رسولُ الله ﷺ، فيما بلغني عن رجال من بني زُرَيْق، لأبي عيَّاش: يا أبا عيَّاش، لو أعطيت هذا الفرس رجلاً، هو أفرس منك فلاحق بالقوم؟ قال أبو عيَّاش: فقلت: يا رسول الله، أنا أفرس الناس، ثم ضربتُ الفرس، فوالله ما جرى بي خمسين ذراعاً حتى طرحتني، فعجبت أن رسولَ الله ﷺ يقول: لو أعطيتَه أفرسَ منك، وأنا أقول: أنا أفرس الناس. فزعم رجالٌ من بني زُرَيْق أن رسولَ الله ﷺ أعطى فرسَ أبي عيَّاش مُعَاذَ بن ماعص، أو عائذَ بن ماعص بن قيس بن خَلْدَةَ، وكان ثامناً، وبعض الناس يعد سلمة بن عمرو بن الأكوخ أحد الثمانية، وي طرح أسيد بن ظهير، أخا بني حارثة، والله أعلم أي ذلك كان. ولم يكن سلمة يومئذ فارساً، وقد كان أول من لحق بالقوم على رجليه. فخرج الفرسانُ في طلب القوم حتى تلاحقوا^(٤).

محرز بن نضلة ومقتله: قال ابن إسحاق: فحدثني عاصم بن عمر بن قتادة: أن أول فارس لحق بالقوم مُحْرز بن نضلة، أخو بني أسد بن خزيمة - وكان يُقال لمحرز: الأخرم؛ ويقال له قُمير - وأن الفرع لما كان جال فرسٌ لمحمود بن مسلمة في الحائط، حين سمع صاهلة الخيل، وكان فرساً

(١) الغابة: قال ابن سعد: هي على بريد من المدينة بطريق الشام.

(٢) تاريخ الطبري ٥٩٦/٢، ٥٩٧، الطبقات الكبرى ٨١/٢.

(٣) الطبري ٦٠١/٢.

(٤) تاريخ الطبري ٦٠١/٢، ٦٠٢، والحديث في مجمع الزوائد ١٤٢/٦، ١٤٤ وقال الهيثمي: في الصحيح بعضه، رواه

الطبراني وفيه موسى بن محمد بن إبراهيم التيمي وهو ضعيف.

صَنِيعاً^(١) جَامِئاً^(٢)، فقال نساءٌ من نساء بني عبد الأشهل، حين رأين الفرسَ يجول في الحائط بِجَذَع نخل هو مَرْبُوط فيه: يا قَمِير، هل لك في أن تتركب هذا الفرسَ؟ فإنه كما ترى، ثم تَلْحَق برسول الله ﷺ وبالمسلمين؟ قال: نعم، فأعطينه إياه. فخرج عليه، فلم يلبث أن بذ الخيل بِجَمَامِه^(٣)، حتى أدرك القوم، فوقف لهم بين أيديهم، ثم قال: قِفُوا يا معشر بني اللكيعة^(٤) حتى يلحق بكم مَنْ وَرَاءكم من أذباركم من المهاجرين والأنصار. قال: وحمل عليه رجلٌ منهم فقتله، وجال الفرس، فلم يَقْدِر عليه حتى وقف على آريه^(٥) من بني عبد الأشهل، فلم يَقْتَل من المسلمين غيره.

قال ابن هشام: وقتل يومئذ من المسلمين مع مُحْرز، وقَاص بن مُجَزَّز المُدَلَجِي، فيما ذُكِر غير واحد من أهل العلم.

قال ابن إسحاق: وكان اسم فرس محمود: ذا اللَّمَّة^(٦).

قال ابن هشام: وكان اسم فرس سَعْد بن زيد: لَاحِق^(٧)؛ واسم فرس المِقْدَاد بَعَزَجَة^(٨)؛ ويقال: سبحة، واسم فرس عُكَاشَة بن مِخْصَن: ذُو اللَّمَّة^(٩)؛ واسم فرس أبي قَتَادَة: حَزْوَة؛ وفرس عَبَاد بن بَشْر: لَمَاع^(١٠)، وفرس أُسَيْد بن طُهَيْر: مَسْنُون^(١١)؛ وفرس أبي عِيَّاش: جُلُوءَة^(١٢).

قال ابن إسحاق: وحدثني بعضٌ من لا أتهم عن عبد الله بن كَعْب بن مالك: أن مُجَزَّزاً إنما كان على فرس لِعُكَاشَة بن مِخْصَن، يقال له: الجَنَاح^(١٣)، فقتل مُجَزَّز واستئبلت الجَنَاح^(١٤).

قتلى المشركين: ولما تلاحت الخيل، قتل أبو قتادة الحارث بن رُبَيع، أخو بنو سلمة، حبيب ابن عُيَيْنَة بن حِصْن، وغشاه بُرْدُه، ثم لحق بالناس.

(١) الفرس الصنيع: الذي يخدمه أهله، ويقومون عليه.

(٢) يقال: جَمَّ الفرس، إذا تُرِكَ ولم يُرَكَب.

(٣) الجمام: كالسحاب، الراحة، والباء هنا للسببية.

(٤) اللكيعة: اللثيمة.

(٥) يقصد بالآرية هنا الموضع الذي يُربط به الفرس.

(٦) تاريخ الطبري ٢/٦٠٢، ٦٠٣.

(٧) فضل الخيل للدمياطي ١٧٨ و١٨٣، الحلبه ١٥٢ و١٥٩ و١٨٦.

(٨) فضل الخيل ١٦٨، ١٦٩، عقد الأجياد ٣٢٦، المخصّص (الخيل ١٩٤)، الحلبه ٤٥.

(٩) فضل الخيل ١١٧ و١٧١، ١٧٢، أنساب الخيل للكلبي ٣٠، وحلبه الفرسان ١٥٣، المخصّص (الخيل ١٩٤)، الحلبه ٨١.

(١٠) فضل الخيل ١٧٤، الحلبه ٦٣.

(١١) فضل الخيل ١٧٥، المخصّص (الخيل ١٩٤)، الحلبه ١٨٨.

(١٢) المخصّص (الخيل ١٩٤)، الحلبه ١٩٥.

(١٣) الحلبه ٥٥، والبمزجة: شدة جري في مغالية، وعز، أي: غلب. وأما سبحة فمن سبج إذا علا علواً في اتساع ومنه:

سبحان الله، وسبحات الله: عظمته وعلوه، لأن الناظر المفكر في الله سبحانه يسبح في بحر لا ساحل له، وأما حزوة: فمن

حزوت الطير إذا زجرتها، أو من حزوت الشيء إذا أظهرته، قال الشاعر:

ترى الأمعز المحزوز فيه كأنه من الحر واستقبله الشمس مسطح

وجلوة: من جلوت السيف، وجلوت العروس، كأنها تجلو الغم عن قلب صاحبها. ومسنون من سننت الحديدية إذا

صقلتها. (الروض الأنف ٤/١٥).

(١٤) المخصّص (الخيل ١٩٦)، الحلبه ١٣٤.

وأقبل رسول الله ﷺ في المسلمين .

قال ابن هشام: واستعمل على المدينة ابن أم مكتوم .

قال ابن إسحاق: فإذا حبيب مُسَجَّى ببرد أبي قتادة، فاستزجج الناس وقالوا: قُتل أبو قتادة؛ فقال رسول الله ﷺ: ليس بأبي قتادة، ولكنه قَتِيل لأبي قتادة، وُضِع عليه بُرْدُه، لتَعْرِفُوا أَنَّهُ صَاحِبُه .

وأدرك عُكَّاشَةُ بْنُ مِخْصَنٍ أُوبَاراً وابنه عَمْرُو بْنُ أُوبَارٍ، وهما على بَعِيرٍ وَاحِدٍ، فانتظما بالرُفْحِ، فَقَتَلَهُمَا جَمِيعاً، واستنقذوا بعض اللقاح، وسار رسول الله ﷺ حتى نزل بالجبل من ذي قرد، وتلاحق به الناس، فنزل رسول الله ﷺ به، وأقام عليه يوماً وليلة؛ وقال له سلمة بن الأكوع: يا رسول الله، لو سرختني في مائة رجل لاستنقذت بقيّة السرح، وأخذت بأعناق القوم؟ فقال له رسول الله ﷺ، فيما بلغني: إنهم الآن لِيُغَبِّقُونَ^(١) في عَطْفَانٍ .

تقسيم الفياء بين المسلمين: فقسم رسول الله ﷺ في أصحابه في كل مائة رجل جزوراً، وأقاموا عليها، ثم رجع رسول الله ﷺ قافلاً حتى قَدِمَ المدينة^(٢) .

لا نذر مع معصية: وأقبلت امرأة الغفاري^(٣) على ناقة من إبل رسول الله ﷺ، حتى قدمت عليه فأخبرته الخبر، فلما فرغت، قالت: يا رسول الله، إني قد نذرت لله أن أنحرها إن نجاني الله عليها؛ قال: فتبسم رسول الله ﷺ، ثم قال: بس ما جزيتها أن حملك الله عليها ونجأك بها ثم تنحرينها! إنّه لا نذر في معصية الله ولا فيما لا تملكين، إنما هي ناقة من إبلي، فارجعي إلى أهلك على بركة الله^(٤) .

والحديث عن امرأة الغفاري وما قالت، وما قال لها رسول الله ﷺ، عن أبي الزبير المكي، عن الحسن بن أبي الحسن البصري:

وكان مما قيل من الشعر في يوم ذي قرد قول حسان بن ثابت:

لولا الذي لاقت ^(٥) ومن سُورِها	بجنوب ساية أمس في التّفوَادِ
للقينكم يَحْمِلُنْ كُلُّ مُدْجَجٍ	حامِي الحَقِيقَةِ ماجِد الأجداد
ولسّر أولاد اللقيطة أننا	سِلْمٌ غَدَاةٌ فوارِس المِقداد
كُنّا مَنايَةَ وكانوا جَحْفَلًا	لجِباً فَشكُّوا بِالرَمَاحِ بَداد
كُنّا مِنَ القَوْمِ الذين يَلُونَهُم	وَيُقَدِّمُونَ عِنا نَ كُلِّ جَواد
كلا ورب الراقصات إلى منى	يَقْطَعْنَ عُرْضَ مَخارِمِ الأَطوادِ ^(٦)

(١) الغبيق: شرب اللبن بالعشي .

(٢) تاريخ الطبري ٢/٦٠٣، ٦٠٤ .

(٣) اسمها «ليلى» .

(٤) المغازي للواقدي ٢/٥٤٨ .

(٥) الضمير في لاقت وما بعدها للخيل، والنسر كالنواة في باطن حوافر، وفي الفرس عشرون عضواً كل عضو منها يسمى باسم طائر، النسر والنعام والهامة والسعدانة وهي الحمامة والقطاة والذباب والعصفور والغراب والصدرد والصقر والحرب والناهض، وهو فرخ العقاب والخطاب الخ . (الروض الأنف ٤/١٩) .

(٦) الراقصات: الإبل . والرقص للإبل: نوع من المشي . المخارم: الطرق . الأطواد: الجبال .

حتى نُبيل^(١) الخيل في عَرَصاتكم
 زَهْواً بِكُلِّ مُقْلَصٍ وَطَمْرَةٍ
 أَفْسَى دَوَابِرِهَا وَوَلَّاحٍ مُتُونِهَا
 فَكَذَلِكَ إِنْ جِئْنَا مَلْبُونَةً^(٣)
 وَسُيُوفِنَا بِيضُ الْحَدَائِدِ تَجْتَلِي
 أَخَذَ إِلَهُ عَلَيْهِمْ لِحْرَامِهِ
 كَانُوا بَدَارِ نَاعِمِينَ فَبَدَّلُوا

قال ابن هشام: فلما قالها حسان، غَضِبَ عليه سعدُ بن زيد، وحَلَفَ أن لا يكلمه أبداً؛ قال:
 انطَلَقَ إِلَى خَيْلِي وَفُوارِسي فَجَعَلُهَا لِلْمَقْدَادِ! فَاعتذر إليه حسان وقال: والله ما ذاك أردت، ولكن الروي
 وافق اسمَ المَقْدَادِ؛ وقال أبياتاً يُرضي بها سعداً:

إِذَا أَرَدْتُمْ الْأَشَدَّ الْجَلْدَا أَوْ ذَا غَنَاءٍ فَعَلَيْكُمْ سَعْدَا
 سَعْدُ بِن زَيْدٍ لَا يُهَدَّ هَدَا

فلم يقبل منه سعد ولم يُغن شيئاً.

وقال حسان بن ثابت في يوم ذي قرد:

أظنَّ عَيْنِنَا إِذْ زَارَهَا
 فَأَكْذِبتَ مَا كُنْتَ صَدَقْتَهُ
 فَعَرَفْتَ الْمَدِينَةَ إِذْ زُرْتَهَا
 فَوَلَّوْا سِرَاعاً كَشَدَّ النَّعَامِ
 أَمِيرٌ عَلَيْنَا رَسُولُ الْمَلِكِ
 رَسُولٌ نُصَدِّقُ مَا جَاءَهُ

وقال كعب بن مالك في يوم ذي قرد للفوارس:

أَتَحَسَبُ أَوْلَادُ اللَّقِيظَةِ أَنَّنَا
 وَإِنَّا أَنَاسٌ لَا نَرَى الْقَتْلَ سُبَّةً
 عَلَى الْخَيْلِ لَسْنَا مِثْلَهُمْ فِي الْفُوارِيسِ
 وَلَا تُنْثِنِي عِنْدَ الرِّمَاحِ الْمَدَاعِيسِ^(٦)

(١) نُبيل الخيل: نجعلها تبول.

(٢) الرهو: المشي في تَوْدَةٍ. الْمُقْلَصُ: المشتمر. طمرة: فرسة سريعة. روادى: سريعة.

(٣) ملبونة: تسقي اللبن.

(٤) تجلى: تقطع. الجُنن: الأسلحة. والمُرتاد: المحارب.

(٥) ملط: من قولهم: أَلطتِ النَّاقَةُ بِذَنبِهَا إِذَا وَضَعَتْهُ بَيْنَ فَخْذَيْهَا؛ يريد أنهم لم يستطيعوا الإغارة على العير ولم يكشفوا ما تستتر به.

(٦) المداعس: المطاعن.

وَأَنَا لَنَثْقِرِي الضَّيْفَ مِنْ قُمْعِ الذُّرَا
 نَرُدُّ كُفَاةَ الْمُعْلَمِينَ إِذَا انْتَحَوْا
 بِكُلِّ فَتَى حَامِي الْحَقِيقَةِ مَا جِدِ
 يَذُودُونَ عَنْ أَحْسَابِهِمْ وَيَلَادِهِمْ
 فَسَائِلُ بَنِي بَدْرٍ إِذَا مَا لَقِيَتْهُمْ
 إِذَا مَا خَرَجْتُمْ فَاصْدُقُوا مَنْ لَقَيْتُمْ
 وَقُولُوا زَلَلْنَا عَنْ مَخَالِبِ خَادِرٍ

قال ابن هشام: أنشدني بيته: «وَأَنَا لَنَثْقِرِي الضَّيْفَ» أبو زيد.

قال ابن إسحاق: وقال شداد بن عارض الجشمي، في يوم ذي قرد: لعيينة ابن حِصْن، وكان
 عيينة بن حِصْن يُكنى بأبي مالك:

فَهَلَّا كَرَزْتَ أَبَا مَالِكٍ
 ذَكَرْتَ الْإِيَابَ إِلَى عَسْجَرٍ
 وَطُمْنَنْتَ نَفْسَكَ ذَا مَيْعَةٍ
 إِذَا قَبِضْتَهُ إِلَيْكَ الشَّمَا
 فَلَمَّا عَرَفْتُمْ عِبَادَ الْإِلَهِ
 عَرَفْتُمْ قَوَارِسَ قَدِ عَوَّدُوا
 إِذَا طَرَدُوا الْخَيْلَ تَشَقَّى بِهِمْ
 فَيَغْتَصِمُوا فِي سَوَاءِ الْمُقَا
 وَخَيْلُكَ مُذْبِرَةٌ تُثَقِّلُ
 وَهَيْهَاتَ قَدْ بَعُدَ الْمُثْقَلُ^(٥)
 وَمَسَحَ الْفَضَاءَ إِذَا يُرْسَلُ^(٦)
 لُ جَاشَ كَمَا اضْطَرَمَّ الْمِرْجَلُ
 لَمْ يَنْظُرِ الْآخِرَ الْأَوَّلُ
 طَرَادَ الْكُفَاةِ إِذَا أَسْهَلُوا^(٧)
 فَضَاحاً وَإِنْ يُطَرَّدُوا يَنْزَلُوا
 بِمِ الْبَيْضِ أَخْلَصَهَا الصَّنِيقُلُ

غزوة بني المصطلق^(٨)

في شعبان سنة ست

قال ابن إسحاق: فأقام رسول الله ﷺ بالمدينة بعض جمادى الآخرة ورجباً، ثم غزا بني

(١) قمع الذرا: أعالي الأنسمة. الأبلخ: المتعاطم. المتشاورس: الجريء في القتال.

(٢) انتحوا: تكبروا. المتقاعس: الراكب رأسه.

(٣) السرحن: الذئب. وغضاة: جمعها غضا: شجر خشبه من أصلب الخشب وجمره شديد الالتهاب، ويقال ذئب الغضا: مثل
 يُضرب في الخداع والاحتيال.

(٤) الخادر: الأسد الذي يلازم الخدر وهو بيته. الوحر: الحقد.

(٥) عسجر: موضع بمكة.

(٦) «ذا ميعة»: ذو نشاط. المسح: الكثير الجري.

(٧) أسهلوا: نزلوا السهل.

(٨) انظر عنها في: المغازي لعروة ١٩٠، ١٩١، المغازي للواقدي ١/٤٠٤ وما بعدها، الطبقات الكبرى ٢/٦٣ - ٦٥، تاريخ
 خليفة ٨٠، تهذيب الأسماء واللغات ق ١ ج ٢/٣٣٦، أنساب الأشراف ١/٣٤١ رقم ٧٢٩، الدرر ٢٠٠ وما بعدها، =

المُصطلق من خُزاعة^(١)، في شعبان سنة ست^(٢).

قال ابن هشام: واستعمل على المدينة أبا ذر الغفاري؛ ويقال: نُميلة بن عبد الله الليثي.

سببها: قال ابن إسحاق: فحدثني عاصم بن عمر بن قتادة وعبد الله بن أبي بكر، ومحمد بن يحيى بن حبان، كلٌ قد حدثني بعض حديث بني المُصطلق، قالوا: بلغ رسول الله ﷺ أن بني المُصطلق يَجْمعون له، وقائدهم الحارث بن أبي ضرار أبو جُوَيْرية بنت الحارث، زوج رسول الله ﷺ؛ فلما سمع رسول الله ﷺ بهم خَرَج إليهم، حتى لَقِيهم على ماءٍ لهم يقال له: المَرَيْسِيع^(٣)، من ناحية قُدَيْد إلى الساحل، فتراحف الناس واقتتلوا، فهزَمَ الله بني المُصطلق، وقُتِل من قُتِل منهم، ونُقِل رسول الله ﷺ أبناءهم ونساءهم وأموالهم، فأفاءهم عليه^(٤).

استشهد ابن صُبابَة خطأ: وقد أُصِيب رجلٌ من المسلمين من بني كَلْب بن عَوْف بن عامر بن ليث بن بكر، يقال له: هشام بن صُبابَة، أصابه رجلٌ من الأنصار من رَهْطِ عُبادة بن الصامت، وهو يرى أنه من العدو، فقتله خطأ^(٥).

الفتنة بين المهاجرين والأنصار: فبينما رسول الله ﷺ على ذلك الماء، وردت واردةٌ الناس، ومع عمر بن الخطاب أجيرٌ له من بني غفار، يقال له: جَهْجَاه بن مَسْعُود يقود فرسه، فازدحم جَهْجَاه وسنان بن وَبَر^(٦) الجهني، حليف بني عَوْف بن الخزرج على الماء، فاقتتلا، فصرخ الجهني: يا معشر الأنصار، وصرخ جَهْجَاه: يا معشر المهاجرين^(٧)؛ فغضب عبد الله بن أبي بن سلول، وعنده رَهْط من قومه فيهم: زيد بن أرقم، غلام حدث، فقال: أوّقد فعلوها، قد نافرونا وكاثرونا في بلادنا، والله ما

= المحبّر ١١٤، الكامل في التاريخ ١٩٢/٢ - ١٩٤، نهاية الأرب ١٧/١٦٤ - ١٦٦، تاريخ الإسلام (المغازي)، تاريخ الطبري ٦٠٤/٢ - ٦١٠، مجمع الزوائد ٦/١٤٢، ١٤٣، عيون الأثر ٢/٩١ - ٩٦، سيرة ابن كثير ٣/٢٩٧ - ٣٠٣، عيون التواريخ ١/٢٢٨ - ٢٣٠.

(١) وهم بنو جُدَيْمة بن كعب من خُزاعة فجذيمة هو المصطلق وهو مفتعل من الصلوق، وهو رفع الصوت. (الروض الأنف ٤/١٧).

(٢) الطبري ٦٠٤/٢.

(٣) المريسيع، وهو ماء لخزاعة، وهو من قولهم: رسعت عين الرجل: إذا دعت من فساد.

(٤) تاريخ الطبري ٦٠٤/٢.

(٥) تاريخ الطبري ٦٠٤/٢، الكامل ١٩٢/٢.

(٦) وقيل إنه: سنان بن تميم، من جُهينة بن سود بن أسلم حليفي الأنصار. (انظر الروض الأنف ٤/١٥).

(٧) وفي الصحيح أنه عليه السلام حين سمعها منهما، قال: دعوها فإنها منتنة، يعني: إنها كلمة خبيثة، لأنها من دعوى الجاهلية، وجعل الله المؤمنين إخوة وحزباً واحداً، فإنما ينبغي أن تكون الدعوة لا للمسلمين؛ فمن دعا في الإسلام بدعوى الجاهلية فيتوجه للفقهاء فيها ثلاثة أقوال: أحدها: أن يُجلد من استجاب لها بالسلاح خمسين سوطاً اقتداءً بأبي موسى الأشعري في جلده النابغة الجعدي خمسين سوطاً حين سمع يا لعامر، فأقبل يشتد بعصبة له. والقول الثاني: إن فيها الجلد دون العشرة لنهيهِ عليه السلام أن يجلد أحد فوق العشرة إلا في حدّ، والقول الثالث: اجتهاد الإمام في ذلك على حسب ما يراه من سدّ الذريعة وإغلاق باب الشرّ، إما بالوعيد، وإما بالسجن وإما بالجلد.

فإن قيل: إن النبي ﷺ لم يعاقب الرجلين حين دعوا بها؟ قلنا: قد قال: دعوها فإنها منتنة، فقد أكد النهي، فمن عاد إليها بعد هذا النهي، وبعد وصف النبي ﷺ لها بالإنثان وجب أن يؤدّب. (الروض الأنف ٤/١٧).

أعدنا وجلايب قريش^(١) إلا كما قال الأول: سَمَنَ كَلْبِكَ يَأْكُلُكَ، أما والله لئن رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لِيُخْرِجَنَّ الْأَعَزَّ مِنْهَا الْأَذْلَ. ثم أقبل على مَنْ حَضَرَهُ مِنْ قَوْمِهِ، فقال لهم: هذا ما فعلتم بأنفسكم، أحللتموهم بلادكم، وقاسمتموهم أموالكم، أما والله لو أُنسكتم عنهم ما بأيديكم لتحوّلوا إلى غير داركم. فسمع ذلك زيد بن أرقم، فمضى به إلى رسول الله ﷺ، وذلك عند فراغ رسول الله ﷺ من عدوّه، فأخبره الخبر، وعنده عمرُ بن الخطّاب، فقال: مُرْ بِهِ عَبَادَ بْنَ بَشْرٍ فَلْيَقْتَلْهُ؛ فقال له رسولُ الله ﷺ: «كَيْفَ يَا عَمْرُ إِذَا تَحَدَّثَ النَّاسُ أَنَّ مُحَمَّدًا يَقْتُلُ أَصْحَابَهُ! لَا وَلَكِنْ أَذُنُ بِالرَّحِيلِ». وذلك في ساعة لم يكن رسولُ الله ﷺ يرتحل فيها، فارتحل النَّاسُ^(٢).

نفاق ابن أبي: وقد مشى عبد الله بن أبي بن سلول إلى رسول الله ﷺ، حين بلغه أن زيد بن أرقم قد بلغه ما سمع منه، فحلف بالله: ما قلت ما قال، ولا تكلمت به - وكان في قومه شريفاً عظيماً - فقال مَنْ حضر رسول الله ﷺ من الأنصار من أصحابه: يا رسول الله، عسى أن يكون الغلام قد أُوهم في حديثه، ولم يحفظ ما قال الرجل، حَدِّبْ أَعْلَى ابْنَ أَبِي بِنِ سَلُولٍ، وَدْفَعَا عَنْهُ^(٣).

قال ابن إسحاق: فلما استقل رسولُ الله ﷺ وسار، لقيه أسيد بن حُضَيْرٍ، فحيّاه بتحية النبوة وسلم عليه، ثم قال: يا نبي الله، والله لقد رُحِتَ في ساعة مُنْكَرَةٍ، ما كنتَ تروح في مثلها؛ فقال له رسولُ الله ﷺ: أو ما بلغك ما قال صاحبك؟ قال: وأي صاحبٍ يا رسولَ الله؟ قال: عبد الله بن أبي؛ قال: وما قال؟ قال: زعم أنه إن رجع إلى المدينة ليُخْرِجَنَّ الْأَعَزَّ مِنْهَا الْأَذْلَ، قال: فأنت يا رسول الله والله تُخرجه منها إن شئت. هو والله الذليلُ وأنت العزيز؛ ثم قال: يا رسول الله، ارفق به، فوالله لقد جاءنا الله بك، وإن قومه لَيَنْظُمُونَ لَهُ الْحَرْزَ لِيَتَوَجَّوهُ، فإنه ليرى أنك قد استلبته مُلْكاً^(٤).

ثم مشى رسولُ الله ﷺ بالناس يومهم ذلك حتى أمسى، وليلتهم حتى أصبح، وصدر يومهم ذلك حتى آذتهم الشمس، ثم نزل بالناس، فلم يلبثوا أن وجدوا مسَّ الأرض فوقعوا نياماً، وإنما فعل ذلك رسولُ الله ﷺ ليشغل النَّاسَ عن الحديث الذي كان بالأمس، من حديث عبد الله بن أبي.

ثم راح رسول الله ﷺ بالنَّاسِ، وسلَّك الحجاز حتى نزل على ماء بالحجاز فَوَيْقَ التَّقِيْعِ؛ يقال له: بقعاء^(٥). فلما راح رسولُ الله ﷺ هبَّت على الناس ريحٌ شديدة آذتهم وتخوفوها؛ فقال رسولُ الله ﷺ: لا تخافوها، فإنما هبَّت لموت عَظِيمٍ من عَظْمَاءِ الْكُفَّارِ. فلَمَّا قَدَمُوا الْمَدِينَةَ وَجَدُوا رِفَاعَةَ بِنَ زَيْدِ بْنِ التَّائِبِ، أَحَدِ بَنِي قَيْنِقَاعٍ، وَكَانَ عَظِيماً مِنْ عَظْمَاءِ يَهُودٍ، وَكَهْفُماً لِلْمُنَافِقِينَ، مَاتَ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ^(٦).

(١) لفظ أطلقته قريش على المهاجرين.

(٢) تاريخ الطبري ٢/٦٠٥، ٦٠٦، الكامل في التاريخ ٢/١٩٣، تاريخ الإسلام (المغازي) والحديث أخرجه البخاري في كتاب التفسير (٦٥/٦٦)، سورة المنافقون، ومسلم في كتاب البر والصلة (٢٥٨٤) باب نصر الأخ ظالماً أو مظلوماً.

(٣) تاريخ الطبري ٢/٦٠٦.

(٤) تاريخ الطبري ٢/٦٠٦، الكامل ٢/١٩٣.

(٥) في تاريخ الطبري ٢/٦٠٧ «تقيع». وهما قولان. انظر معجم البلدان.

(٦) تاريخ الطبري ٢/٦٠٧ وانظر الحديث عند مسلم (٢٧٨٢) كتاب صفات المنافقين وأحكامهم.

ما نزل في ابن أبي : ونزلت السورة التي ذَكَرَ اللهُ فيها المنافقين في ابن أبي وَمَنْ كَانَ عَلَى مِثْلِ أَمْرِهِ، فَلَمَّا نَزَلَتْ، أَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِأُذُنِ زَيْدِ بْنِ أَرْقَمٍ، ثُمَّ قَالَ: هَذَا الَّذِي أَوْفَى اللَّهُ بِأُذُنِهِ^(١). وبلغ عبد الله بن عبد الله بن أبي الذي كان من أمر أبيه.

موقف عبدالله من أبيه: قال ابن إسحاق: فحدثني عاصم بن عمر بن قتادة: أن عبد الله أتى رسول الله ﷺ، فقال: يا رسول الله، إنه بلغني أنك تريد قتل عبد الله بن أبي فيما بلغك عنه، فإن كنت لا بد فاعلاً فمُرني به، فأنا أحمل إليك رأسه، فوالله لقد علمت الخزرج ما كان لها من رجل أبر بوالده مني، وإنني أخشى أن تأمر به غيري فيقتله، فلا تدعني نفسي أنظر إلى قاتل عبد الله بن أبي يمشي في الناس، فأقتله فأقتل مؤمناً بكافر، فأدخل النار؛ فقال رسول الله ﷺ: «بل تترقق به، وتُحسن صُحبته ما بقي معنا»^(٢).

وجعل بعد ذلك إذا أحدث الحديث كان قومه هم الذين يُعاتبونه ويأخذونه ويُعتفونه؛ فقال رسول الله ﷺ لعمر بن الخطاب، حين بلغه ذلك من شأنهم: «كيف ترى يا عمر؛ أما والله لو قتلته يوم قلت لي أقتله، لأزعدت له آف، لو أمرتها اليوم بقتله لقتلته»؛ قال: قال عمر: قد والله علمت، لأمر رسول الله ﷺ أعظم بركة من أمري^(٣).

مخادعة مقيس: قال ابن إسحاق: وقدم مقيس بن ضبابة من مكة مسلماً، فيما يُظهر، فقال: يا رسول الله، جئتكم مسلماً، وجئتكم أطلب دية أخي، فقتل خطأ. فأمر له رسول الله ﷺ بدية أخيه هشام بن ضبابة؛ فأقام عند رسول الله ﷺ غير كثير، ثم عدا على قاتل أخيه فقتله، ثم خرج إلى مكة مرتداً؛ فقال في شعر يقوله:

شَفَى النَّفْسَ أَنْ قَدِمَاتِ بِالْقَاعِ مُسْنَدًا
وَكَانَتْ هُمُومُ النَّفْسِ مِنْ قَبْلِ قَتْلِهِ
حَلَلْتُ بِهِ وَثْرِي وَأَدْرَكْتُ تُؤْزَتِي^(٤)
ثَارَتْ بِهِ فَهَرَأَ وَحَمَلَتْ عَقْلَهُ
وَقَالَ مَقِيسُ بْنُ ضَبَابَةَ أَيْضًا:

جَلَلَتْهُ ضَرْبَةٌ بَاءَتْ لَهَا وَشَلُّ^(٥)
فَقُلْتُ وَالْمَوْتُ تَغْشَاهُ أَسْرَتَهُ^(٦)

قال ابن هشام: وكان شعار المسلمين يوم بني المصطلق: يا منصور، أميت أيت.

(١) تاريخ الطبري ٦٠٧/٢، الكامل في التاريخ ١٩٣/٢، ١٩٤، البخاري ٦٥/٦.

(٢) تاريخ الطبري ٦٠٨/٢، الكامل في التاريخ ١٩٤/٢، تاريخ الإسلام (المغازي).

(٣) تاريخ الطبري ٦٠٨/٢، ٦٠٩، الكامل في التاريخ ١٩٤/٢.

(٤) الأخداع: يريد الأخدعان: وهما عرقان بالقفا.

(٥) تلم: تحيط، أو تحل. (٦) الوتر: طلب الثأر. والثورة: الثأر.

(٧) فارع: حصن لبني النجار بالمدينة. (٨) الوشل: القطر. ويريد بناقع الجوف: الدم.

(٩) الأسرة: التكسر الذي يكون في جلد الوجه والجبهة.

قتل بني المصطلق: قال ابن إسحاق: وأصيب من بني المصطلق يومئذ ناس، وقتل علي بن أبي طالب منهم رجلين، مالكا وابنه، وقتل عبد الرحمن بن عوف رجلاً من فرسانهم، يقال له: أحمر، أو أحيمر.

وكان رسول الله ﷺ قد أصاب منهم سنيّاً كثيراً، فشا قسّمه في المسلمين؛ وكان فيمن أصيب يومئذ من السبايا جويرية بنت الحارث بن أبي ضرار، زوج رسول الله ﷺ.

قال ابن إسحاق: وحدثني محمد بن جعفر بن الزبير، عن عروة بن الزبير، عن عائشة، قالت: لما قسم رسول الله ﷺ سبايا بني المصطلق، وقعت جويرية بنت الحارث في السهم لثابت بن قيس بن الشّمس، أو لابن عمّ له، فكاتبتة على نفسها، وكانت امرأة حلوة ملاححة^(١)، لا يراها أحد إلا أخذت بنفسه، فأتت رسول الله ﷺ تستعينه في كتابتها؛ قالت عائشة: فوالله ما هو إلا أن رأيتها على باب حُجرتي فكّرتها، وعرفت أنه سيرى منها ﷺ ما رأيت، فدخلت عليه، فقالت: يا رسول الله، أنا جويرية بنت الحارث بن أبي ضرار، سيد قومه، وقد أصابني من البلاء ما لم يخف عليك، ف وقعت في السهم لثابت بن قيس بن الشّمس، أو لابن عمّ له، فكاتبتة على نفسي، فحجّتك أستعينك على كتابتي؛ قال: «فهل لك في خير من ذلك»؟ قالت: وما هو يا رسول الله؟ قال: «أقضي عنك كتابتك وأنزّوجك»؛ قالت: نعم يا رسول الله؛ قال: «قد فعلت»^(٢).

قالت: وخرج الخبر إلى الناس أن رسول الله ﷺ قد تزوّج جويرية ابنة الحارث بن أبي ضرار، فقال الناس: أصهار رسول الله ﷺ، وأرسلوا ما بأيديهم؛ قالت: فلقد أغتقت بتزويجه إياها مائة أهل بيت من بني المصطلق، فما أعلم امرأة كانت أعظم على قومها بركة منها^(٣).

قال ابن هشام: ويقال: لما انصرف رسول الله ﷺ من غزوة بني المصطلق ومعه جويرية بنت الحارث، وكان بذات الجيش، دفع جويرية إلى رجل من الأنصار وديعة، وأمره بالاحتفاظ بها، وقدم رسول الله ﷺ المدينة؛ فأقبل أبوها الحارث بن أبي ضرار بفداء ابنته؛ فلما كان بالعقيق، نظر إلى الإبل التي جاء بها للفداء، فرغب في بيعين منها، فغيّبهما في شعب من شعاب العقيق، ثم أتى إلى النبي ﷺ وقال: يا محمد، أصبتم ابنتي، وهذا فداؤها؛ فقال رسول الله ﷺ: فأين البعيران اللذان غيبتهما بالعقيق، في شعب كذا وكذا؟ فقال الحارث: أشهد أن لا إله إلا الله، وأنتك محمد رسول

(١) الملاحه: الشديدة الملاحه.

(٢) وكان نظره عليه السلام لجويرية حتى عرف من حُسنها ما عرف، فإنما ذلك لأنها كانت امرأة مملوكة، ولو كانت حرة ما ملأ عينه منها، لأنه لا يكره النظر إلى الإماء، وجائز أن يكون نظر إليها لأنه نوى نكاحها، كما نظر إلى المرأة التي قالت له: إني قد وهبت لك نفسي يا رسول الله، فصعد فيها النظر ثم صوب، ثم أنكحها من غيره، وقد ثبت عنه عليه السلام الرخصة في النظر إلى المرأة عند إرادة نكاحها، وقال للمغيرة حين شاره في نكاح امرأة: لو نظرت إليها فإن ذلك أحرى أن يؤدم بينكما، وقال مثل لك لمحمد بن مسلمة حين أراد نكاح ثبيبة بنت الصّحّاح، وقد أجازها مالك في إحدى الروايتين عنه، وفي مسند البزار، من طريق أبي بكر: لا حرج أن ينظر الرجل إلى المرأة قبل التزويج، وأورد في الباب قوله عليه السلام لعائشة: أريتك في المنام يجيء بك الملك في سرقة من حرير، فكشفت عن وجهك، فقال: هذه امرأتك، فقلت: إن يكن من عند الله يُمضه. وهذا الاستدلال حسن. (الروض الأنف ٤/١٩)، والخبر في تاريخ الإسلام (المغازي).

(٣) الطبقات الكبرى ٨/١١٨، تاريخ الإسلام (المغازي)، تاريخ الطبري ٢/٦١٠.

الله، فوالله ما اطلع على ذلك إلا الله، فأسلم الحارث، وأسلم معه ابنان له، وناس من قومه، وأرسل إلى البعيرين، فجاء بهما، فدفع الإبل إلى النبي ﷺ، ودُفعت إليه ابنته جويرية، فأسلمت، وحسن إسلامها؛ فخطبها رسول الله ﷺ إلى أبيها، فزوجه إياها، وأصدقها أربع مئة درهم.

قال ابن إسحاق: وحدثني يزيد بن رومان: أن رسول الله ﷺ بعث إليهم بعد إسلامهم الوليد بن عقبة بن أبي مُعيط، فلما سمعوا به ركبوا إليه، فلما سمع بهم هابهم، فرجع إلى رسول الله ﷺ، فأخبره أن القوم قد هموا بقتله، ومنعوه ما قبلهم من صدقتهم، فأكثر المسلمون في ذكر غزوهم، حتى هم رسول الله ﷺ بأن يغزوهم، فبينما هم على ذلك، قَدِمَ وفدُهم على رسول الله ﷺ، فقالوا: يا رسول الله، سمعنا برسولك حين بعثته إلينا، فخرجنا إليه لثُكْرِمِهِ، وتُوذِي إليه ما قبلنا من الصدقة، فانشم^(١) راجعاً، فبلغنا أنه زعم لرسول الله ﷺ أننا خرجنا إليه لنقتله، ووالله ما جئنا لذلك؛ فأُنزل الله تعالى فيه وفيهم: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا يَجهَلُونَ فَتُصِيبُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ وَتَدْمِينٌ ﴿٦﴾ وَأَعْلَمُوا أَن فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِّنَ الْأَمْرِ لَعَزِمْتُمْ...﴾ [الحجرات: ٦، ٧]... إلى آخر الآية.

وقد أقبل رسول الله ﷺ من سفره ذلك، كما حدثني من لا أتهم عن الزهري، عن عروة عن عائشة رضي الله عنها، حتى إذا كان قريباً من المدينة، وكانت معه عائشة في سفره ذلك، قال فيها أهل الإفك ما قالوا.

خبر الإفك في غزوة بني المصطلق^(٢)

قال ابن إسحاق: حدثنا الزهري، عن علقمة بن وقاص، وعن سعيد بن جبير وعن عروة ابن الزبير، وعن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة، قال: كلُّ قد حدثني بعض هذا الحديث، وبعض القوم كان أوعى له من بعض، وقد جمعت لك الذي حدثني القوم.

قال محمد بن إسحاق: وحدثني يحيى بن عبّاد بن عبد الله بن الزبير، عن أبيه عن عائشة، وعبد الله بن أبي بكر، عن عمّرة بنت عبد الرحمن، عن عائشة، عن نفسها، حين قال فيها أهل الإفك ما قالوا، فكُلُّ قد دخل في حديثها عن هؤلاء جميعاً يحدث بعضهم ما لم يحدث صاحبه، وكلُّ كان عنها ثقة، فكلُّهم حدّث عنها ما سمع، قالت: كان رسول الله ﷺ إذا أراد سفراً أفرع بين نسائه، فأَيَّتِهِنَّ خَرَجَ سَهْمُهَا خَرَجَ بِهَا مَعَهُ؛ فلما كانت غزوة بني المُصْطَلِقِ أفرع بين نسائه، كما كان يصنع، فخرج سهمي عليهنّ معه، فخرج بي رسول الله ﷺ.

قالت: وكان النساء إذ ذاك إنما يأكلن العُلُقَ^(٣) لم يَهْجِهِنَّ اللَّحْمَ فَيَثْقُلْنَ، وكنت إذا رُحِلَ لي

(١) انشم: أسرع.

(٢) انظر عنه في: صحيح البخاري ٥٥/٥ - ٦١ باب حديث الإفك، وتاريخ الطبري ٦١٠/٢ - ٦١٩، والكامل في التاريخ ٢/ ١٩٥ - ١٩٩، وتاريخ الإسلام (المغازي)، وسيرة ابن كثير ٣/٣٠٤ - ٣١١، وعيون الأثر ٩٦/١٧ - ١٠٣، وعيون التواريخ ٢٣٠/١ - ٢٣٧.

(٣) العُلُق: جمع علق: ما يتعلل به قبل وجبة الطعام الأساسية.

بعيري جلسْتُ في هودجي، ثم يأتي القوم الذين يُرْحَلون لي ويَحْمِلونني، فيأخذون بأسفل اليهودج، فيرفعونه، فيضعونه على ظهر البعير، فيشدونه بحباله، ثم يأخذون برأس البعير، فينطلقون به. قالت: فلما فرغ رسول الله ﷺ من سفره ذلك، وجَّه قافلاً، حتى إذا كان قريباً من المدينة نزل منزلاً، فبات به بعض الليل، ثم أذن في الناس بالرحيل، فارتحل الناس، وخرجتُ لبعض حاجتي، وفي عُنقي عِقْد لي، فيه جَزَع ظفار^(١)، فلما فرغت انسلت من عُنقي ولا أذري، فلما رجعتُ إلى الرَّحْل ذهبْتُ ألتَمسه في عُنقي، فلم أجده، وقد أخذ الناس في الرَّحيل، فرجعتُ إلى مكاني الذي ذهبتُ إليه، فالتمسته حتى وجدته، وجاء القوم خلفي، الذين كانوا يُرْحَلون لي البعير، وقد فرغوا من رحلته، فأخذوا اليهودج، وهم يظنون أنني فيه، كما كنتُ أصنع، فاحتملوه، فشدوه على البعير، ولم يشكوا أنني فيه، ثم أخذوا برأس البعير، فانطلقوا به؛ فرجعتُ إلى العسكر وما فيه من داعٍ ولا مُجيب، قد انطلق الناس.

قالت: فتلففتُ بجلبابي، ثم اضطجعتُ في مكاني، وعرفتُ أن لو قد افتقدتُ لرجع إليّ. قالت: فوالله إنني لمُضطجعة إذ مرَّ بي صفوان بن المعطل السُّلمي، وقد كان تخلف عن العسكر لبُعض حاجته^(٢)، فلم يبت مع الناس، فرأى سوادي، فأقبل حتى وقف عليّ، وقد كان يراني قبل أن يُضرب علينا الحجاب، فلما رآني قال: إنا لله وإنا إليه راجعون، طَعمينة رسول الله ﷺ! وأنا متلففة في ثيابي؛ قال: ما خلفك يرحمك الله؟ قالت: فما كلمته، ثم قرَّب البعير، فقال: اركبي، واستأخر عُني. قالت: فركبتُ، وأخذ برأس البعير، فانطلق سريعاً، يطلب الناس، فوالله ما أدركنا الناس، وما افتقدت حتى أصبحتُ، ونزل الناس، فلما اطمأنوا طلع الرجلُ يقود بي، فقال أهل الإفك ما قالوا، فارتعج^(٣) العسكر، ووالله ما أعلم بشيء من ذلك.

ثم قدِمنا المدينة، فلم ألبث أن اشتكيتُ شكوى شديدة، ولا يبلغني من ذلك شيء، وقد انتهى الحديث إلى رسول الله ﷺ وإلى أبيي، لا يذكرون لي منه قليلاً ولا كثيراً، إلا أنني قد أنكرتُ من رسول الله ﷺ بعض لُطفه بي، كنتُ إذا اشتكيتُ رَجَمني، ولُطف بي، فلم يفعل ذلك بي في شكواي تلك، فأنكرت ذلك منه، كان إذا دخل عليّ وعندي أُمي تمرضني - قال ابن هشام: وهي أم رومان، واسمها زَيْنب بنت عبد دُهمان، أحد بني فراس بن عَنَم بن مالك بن كنانة - قال: «كيف تيبكم». لا يزيد علي ذلك.

(١) الجزع: الخرز. ظفار: مدينة باليمن يُنسب إليها هذا الخرز.

(٢) وهو صفوان بن ربيعة بن خزاعي بن محارب بن مزة بن ذكوان بن ثعلبة بن بهثة بن سليم السُّلمي. الذكواني، يُكنى أبا عمرو، وكان يكون على ساقفة العسكر يلتقط ما يسقط من متاع المسلمين، حتى ياتيهم به، ولذلك تخلف في هذا الحديث الذي قال فيه أهل الإفك ما قالوا، وقد زُوري في تخلفه سبب آخر، وهو أنه كان ثقيل النوم لا يستيقظ حتى يرتحل الناس ويشهد لصحة هذا حديث أبي داود أن امرأة صفوان اشتكت به إلى النبي - ﷺ - وذكرت أشياء منها أنه لا يصلّي الصبح، فقال صفوان: يا رسول الله إنني امرؤ ثقيل الرأس لا أستيقظ حتى تطلع الشمس. فقال له النبي عليه السلام: فإذا استيقظت فصل، وقد ضعفت البراز حديث أبي داود هذا في مسنده. وقُتل صفوان بن المعطل شهيداً في خلافة معاوية، واندقت رجله يوم قُتل. فطاعن بها، وهي متكسرة حتى مات وذلك بالجزيرة بموضع يقال له شمشاط. (الروض الأنف ٤/٢٠٠).

(٣) ارتعج: اضطرب. وفي تاريخ الطبري ٦١٢/٢ «فارتعج».

قال ابن إسحاق: قالت: حتى وَجَدْتُ في نفسي، فقلت: يا رسول الله، حين رأيتُ ما رأيتُ من جفائه لي: لو أذنت لي، فانتقلت إلى أمي، فمَرَضْتَنِي؟ قال: لا عليك. قالت: فانتقلت إلى أمي، ولا علم لي بشيء مما كان، حتى نَقِهْت من وجعي بعد بضع وعشرين ليلة، وكنا قوماً عرباً، لا نتخذ في بيوتنا هذه الكُفُف التي تتخذها الأعاجم، نَعافها ونكرهها، إنما كُنَّا نذهب في فُسْح المدينة، وإنما كانت النساء يخرجن كلَّ ليلة في حوائجهنَّ، فخرجتُ ليلةً لبعض حاجتي ومعِي أم مسطح بنت أبي رُهم بن المطلب بن عبد مناف، وكانت أمها بنت صَخْر ابن عامر بن كعب بن سعد بن تيم، خالة أبي بكر الصديق رضي الله عنه؛ قالت: فوالله إنها لتمشي معي إذ عثرت في مِرْطِها^(١)؛ فقالت: تعس مسطح! ومسطح لقب واسمه عوف؛ قالت: قلت: بنس لعمر الله ما قلت لرجل من المهاجرين قد شهد بدرأ؛ قالت: أو ما بلغك الخبر يا بنت أبي بكر؟ قالت: قلت: وما الخبر؟ فأخبرتني بالذي كان من قول أهل الإفك، قالت: قلت: أوقد كان هذا؟ قالت: نعم والله لقد كان. قالت: فوالله ما قدرت على أن أقضي حاجتي، ورجعت؛ فوالله ما زلت أبكي حتى ظننت أن البكاء سيَصُدِّع كَبْدِي؛ قالت: وقلت لأمي: يغفر الله لك، تحدث الناس بما تحدثوا به، ولا تذكرين لي من ذلك شيئاً! قالت: أي بنية، خَفَضِي عليك الشأن، فوالله لقلما كانت امرأة حسناء، عند رجل يحبها، لها ضرائر، إلا كَثُرْنَ وكَثُرَ الناس عليها.

قالت: وقد قام رسولُ الله ﷺ في الناس يخطبهم ولا أعلم بذلك، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: أيها الناس، ما بال رجال يؤذونني في أهلي، ويقولون عليهم غير الحق، والله ما علمت منهم إلا خيراً، ويقولون ذلك لرجل والله ما علمت منه إلا خيراً، وما يَدْخُل بيتاً من بيوتي إلا وهو معي.

قالت: وكان كُبر ذلك^(٢) عند عبد الله بن أبي بن سلوول في رجال من الخزرج مع الذي قال مسطح وحمنة بنت جحش، وذلك أن أختها زينب بنت جحش كانت عند رسول الله ﷺ، ولم تكن من نسائه امرأة تناصبني^(٣) في المنزلة عنده غيرها؛ فأما زينب فعصمها الله تعالى بدينها فلم تقل إلا خيراً وأما حمنة بنت جحش، فأشاعت من ذلك ما أشاعت، تُضادُني^(٤) لأختها، فسقيت بذلك.

فلما قال رسول الله ﷺ تلك المقالة، قال أسيد بن حُضير: يا رسول الله، إن يكونوا من الأوس نكفكهم، وإن يكونوا من إخواننا من الخزرج، فمُرنا بأمرك، فوالله إنهم لأهل أن تُضرب أعناقهم؛ قالت: فقام سعد بن عبادة، وكان قبل ذلك يُرى رجلاً صالحاً؛ فقال: كذبت لعمر الله، لا تضرب أعناقهم، أما والله ما قلت هذه المقالة إلا أنك قد عرفت أنهم من الخزرج ولو كانوا من قومك ما قلت هذا، فقال أسيد: كذبت لعمر الله، ولكنك مُنافق تُجادل عن المُنافقين؛ قالت: وتساور الناس، حتى كاد يكون بين هذين الحيين من الأوس والخزرج شر. ونزل رسولُ الله ﷺ، فدخل علي.

قالت: فدعا علي بن أبي طالب رضوان الله عليه، وأسامة بن زيد، فاستشارهما؛ فأما أسامة

(١) مرطها: كساؤها.

(٢) كُبر ذلك: إثم.

(٣) في الأصول: تناصبني ولكن قال السهيلي في الروض الأنف أن الحديث في تناصبني من المناصاة، أي: المساواة. (الروض الأنف ٢١/٤).

(٤) في تاريخ الطبري ٦١٤/٢ «تضادني» بالراء.

فأثنى عليّ خيراً وقاله؛ ثم قال: يا رسول الله، أهلك ولا نعلم منهم إلا خيراً، وهذا الكذب والباطل؛ وأما عليّ فإنه قال: يا رسول الله إن النساء لكثير، وإنك لقادر على أن تستخلف، وسلّ الجارية، فإنها ستصدقك. فدعا رسول الله ﷺ بُريرة ليسألها؛ قالت: فقام إليها عليّ بن أبي طالب، ففرضها ضرباً شديداً، ويقول: اضدقي رسول الله ﷺ؛ قالت: فتقول والله ما أعلم إلا خيراً، وما كنت أعيب على عائشة شيئاً، إلا أنني كنت أعجن عجيني، فأمرها أن تحفظه، فتنام عنه، فتأتي الشاة فتأكله^(١).

قالت: ثم دخل عليّ رسول الله ﷺ، وعندني أبواي، وعندني امرأة من الأنصار، وأنا أبكي، وهي تبكي معي، فجلس، فحمد الله، وأثنى عليه، ثم قال: «يا عائشة، إنه قد كان ما قد بلغك من قول الناس، فاتقي الله، وإن كنت قد قارفت سوءاً مما يقول الناس فتوبي إلى الله، فإن الله يقبل التوبة عن عباده»؛ قالت: فوالله ما هو إلا أن قال لي ذلك، فقلص^(٢) دمعني، حتى ما أحسن منه شيئاً، وانتظرت أبوي أن يجيبا عني رسول الله ﷺ، فلم يتكلما، قالت: وأيم الله لأنا كنت أحقر في نفسي، وأصغر شأناً من أن ينزل الله في قرآناً يُقرأ به في المساجد، ويصلى به، ولكني قد كنت أرجو أن يرى رسول الله ﷺ في نومه شيئاً يكذب به الله عني، لما يعلم من براءتي، أو يُخبر خبيراً؛ فأما قرآن ينزل في، فوالله لئن نفسي كانت أحقر عندي من ذلك. قالت: فلما لم أر أبوي يتكلمان، قالت: قلت لهما: ألا تُجيبان رسول الله ﷺ؟ قالت: فقالا: والله ما ندري بماذا نُجيبه؛ قالت: والله ما أعلم أهل بيت دخل عليهم ما دخل على آل أبي بكر في تلك الأيام؛ قالت: فلما أن استعجما عليّ، استعبرت فبكيته؛ ثم قلت: والله لا أتوب إلى الله مما ذكرت أبداً. والله إني لأعلم لئن أقررت بما يقول الناس، والله يعلم أنني منه بريئة، لأقولن ما لم يكن، ولئن أنا أنكرت ما يقولون لا تصدقوني. قالت: ثم التمسيت اسم يعقوب فما أذكره؛ فقلت: ولكن سأقول كما قال أبو يوسف: ﴿فَصَبِّرْ حَمِيدٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا نَصَبُونَ﴾ [يوسف: ١٨]. قالت: فوالله ما برح رسول الله ﷺ مجلسه حتى تتعشاه من الله ما كان يتعشاه، فسجى بثوبه ووضعت له وسادة من آدم تحت رأسه، فأما أنا حين رأيت من ذلك ما رأيت، فوالله ما فزعت ولا باليت، قد عرفت أنني بريئة، وأن الله عز وجل غير ظالمي؛ وأما أبواي، فوالذي نفس عائشة بيده، ما سُري عن رسول الله ﷺ حتى ظننت لتخرجن أنفسهما، فرقا من أن يأتي من الله تحقيق ما قال الناس؛ قالت: ثم سُري عن رسول الله ﷺ، فجلس، وإنه ليتحدّر منه مثل الجمان^(٣) في يوم شات، فجعل يمسح العرق عن جبينه، ويقول: أبشري يا عائشة، فقد أنزل الله براءتك؛ قالت: قلت: بحمد الله، ثم خرج إلى الناس، فخطبهم، وتلا عليهم ما أنزل الله عليه من القرآن في ذلك، ثم أمر بمسطح بن أثانة، وحسان بن ثابت، وحمّنة بنت جحش، وكانوا ممن أفصح بالفاحشة، فضربوا حدهم^(٤).

قال ابن إسحاق: وحدثني أبي إسحاق بن يسار عن بعض رجال بني النجار: أن أبا أيوب خالد بن

(١) في تاريخ الطبري ٦١٥/٢ «فيأتي الداجن فيأكله».

(٢) في تاريخ الطبري ٦١٥/٢ «فتقلص».

(٣) الجمان: اللؤلؤ.

(٤) الخبر بطوله في تاريخ الطبري ٦١١/٢ - ٦١٦، وفي تفسير الطبري باختلاف ١٨ - ٧١ - ٧٤.

زيد، قالت له امرأته أم أيوب: يا أبا أيوب، ألا تسمع ما يقول الناس في عائشة؟ قال: بلى، وذلك الكذب، أكنت يا أم أيوب فاعلة؟ قالت: لا والله ما كنت لأفعله؛ قال: فعائشة والله خير منك^(١).

قالت: فلما نزل القرآن بذكر من قال من أهل الفاحشة ما قال من أهل الإفك فقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ لَا نَحْسَبُهُمْ شُرُكًا لَكُمْ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لِّكُلِّ لَمِيٍّ مِّمَّنْ مَّا آكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١﴾﴾ [النور: ١١]، وذلك حسان بن ثابت وأصحابه الذين قالوا ما قالوا. قال ابن هشام: ويقال: وذلك عبد الله بن أبي وأصحابه.

قال ابن هشام: والذي تولى كبره عبد الله بن أبي، وقد ذكر ذلك ابن إسحاق في هذا الحديث قبل هذا. ثم قال تعالى: ﴿لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنْفُسِهِنَّ خَيْرًا﴾ [النور: ١٢]، أي فقالوا كما قال أبو أيوب وصاحبه، ثم قال: ﴿إِذْ تَلَقَّوهُ بِاللَّيْسِ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هَيئًا وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾﴾ [النور: ١٥].

فلما نزل هذا في عائشة، وفيمن قال لها ما قال، قال أبو بكر، وكان ينفق على مسطح لقربته وحاجته: والله لا أنفق على مسطح شيئاً أبداً، ولا أنفقه بتفجع أبداً بعد الذي قال لعائشة، وأدخل علينا؛ قالت: فأنزل الله في ذلك: ﴿وَلَا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولَى الْقُرْبَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٢٢﴾﴾ [النور: ٢٢].

قال ابن هشام: يقال: كبره وكبره في الرواية، وأما في القرآن فكبره بالكسر. قال ابن هشام: ﴿وَلَا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ﴾ ولا يأل أولو الفضل منكم. قال امرؤ القيس بن حجر الكندي:

أَلَا رَبَّ حَضْمٍ فِيكَ أَلْوَى رَدَدْتَهُ نَصِيحٍ عَلَى تَغْذَالِهِ غَيْرُ مُؤْتَلٍ
وهذا البيت في قصيدة له؛ ويقال: وَلَا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ: ولا يحلف أولو الفضل، وهو قول الحسن بن أبي الحسن البصري، فيما بلغنا عنه. وفي كتاب الله تعالى: ﴿لِلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ﴾ [البقرة: ٢٢٦] وهو من الألية، والألية: اليمين. قال حسان بن ثابت:

أَلَيْتُ مَا فِي جَمِيعِ النَّاسِ مُجْتَهَدًا مِثِّي أَلِيَّةً بَرَّ غَيْرِ إِفْنَادٍ^(٢)
وهذا البيت في أبيات له، سأذكرها إن شاء الله في موضعها. فمعنى: أن يؤتوا في هذا المذهب: أن لا يؤتوا، وفي كتاب الله عز وجل: ﴿يَبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ أَنْ تَضَلُّوا﴾ [النساء: ١٧٦] يريد: أن لا تضلوا؛ ﴿وَيُؤَيِّنُكَ السَّمَاءُ أَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ﴾ [الحج: ٦٥] يريد: أن لا تقع على الأرض، وقال ابن مفرغ الحميري:

لَا دَعَرْتُ السَّوَامَ فِي وَضَحِ الصُّبِّ حِمْيَرًا وَلَا دُعَيْتُ يَزِيدًا
يَوْمَ أُعْطِيَ مَخَافَةَ الْمَوْتِ ضَمِيمًا وَالْمَنَايَا يَرْضُذُنِّي أَنْ أَحِيدًا
يريد: أن لا أحيد؛ وهذان البيتان في أبيات له.

قال ابن إسحاق: قالت: فقال أبو بكر: بلى والله، إني لأحب أن يغير الله لي، فرجع إلى مسطح نفقته التي كان ينفق عليه، وقال: والله لا أنزعها منه أبداً.

قال ابن إسحاق: ثم إن صفوان بن المعطل اعترض حسان بن ثابت بالسيف، حين بلغه ما كان يقول فيه، وقد كان حسان قال شعراً مع ذلك يعرض بابن المعطل فيه، وبمن أسلم من العرب من مضر، فقال:

أَمْسَى الْجَلَابِيْبُ قَدْ عَزَّوْا وَقَدْ كَثُرُوا
قَدْ نَكَلْتِ أُمَّهُ مَنْ كُنْتَ صَاحِبَهُ
مَا لَقَيْتِ لِي الَّذِي أَعْدُو فَاخُذْهُ
مَا الْبَحْرُ حِينَ تَهَبَ الرِّيحُ شَامِيَةً
يَوْمًا بِأَغْلَبَ مِنِّي حِينَ تُبْصِرْنِي
أَمَا قَرَيْشٌ فَإِنِّي لَنْ أَسَالِمَهُمْ
وَيَتْرَكُوا اللَّاتَ وَالْعُزَّى بِمَعْزِلَةٍ
وَيَسْهَدُوا أَنَّ مَا قَالَ الرَّسُولُ لَهُمْ
فَاعْتَرَضَهُ صَفْوَانُ بْنُ الْمُعْطَلِ، فَضْرَبَهُ بِالسَّيْفِ، ثُمَّ قَالَ: كَمَا حَدَّثَنِي يَعْقُوبُ بْنُ عَبْتَةَ:

وَابْنُ الْفُرَيْعَةِ أَمْسَى بَيْضَةَ الْبَلَدِ^(١)
أَوْ كَانَ مُنْتَشِبًا فِي بُرْثَنِ الْأَسَدِ^(٢)
مِنْ دِيَةِ فِيهِ يُعْطَاهَا وَلَا قَوْدَ
فَيَغْطِئُلُ وَيَزْمِي الْعَبْرَ بِالزَّيْدِ^(٣)
مَلْعَنِظُ أَفْرِي كَفَرِي الْعَارِضِ الْبَرْدِ^(٤)
حَتَّى يُنِيبُوا مِنَ الْغِيَّاتِ لِلرَّشَدِ
وَيَسْجُدُوا كُلَّهُمْ لِلوَاحِدِ الصَّمَدِ
حَقٌّ وَيُوقَفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ وَالْوُكُودِ

تَلَقَّ ذُبَابَ السَّيْفِ عَنِّي فَإِنِّي

قال ابن إسحاق: وحدثني محمد بن إبراهيم بن الحارث التيمي: أن ثابت بن قيس بن الشماس وثب على صفوان بن المعطل، حين ضرب حسان، فجمع يديه إلى عنقه بحيل، ثم انطلق به إلى دار بني الحارث بن الخزرج؛ فلقيه عبد الله بن رواحة، فقال: ما هذا؟ قال: أما أعجبك ضرب حسان بالسيف! والله ما أراه إلا قد قتله؛ قال له عبد الله بن رواحة: هل علم رسول الله ﷺ بشيء مما صنعت؟ قال: لا والله؛ قال: لقد اجترأت، أطلق الرجل، فأطلقه، ثم أتوا رسول الله ﷺ، فذكروا ذلك له، فدعا حسان وصفوان بن المعطل؛ فقال ابن المعطل: يا رسول الله، آذاني وهجاني، فاحتملني الغضب، فضربتته؛ فقال رسول الله ﷺ لحسان: «أحسن يا حسان، أتشوهت^(٦) على قومي أن هداهم الله للإسلام»، ثم قال: «أحسن يا حسان في الذي أصابك»؛ قال: هي لك يا رسول الله^(٧).

قال ابن هشام: ويقال: أبعد أن هداكم الله للإسلام.

قال ابن إسحاق: فحدثني محمد بن إبراهيم بن الحارث التيمي: أن رسول الله ﷺ أعطاه عوضاً منها بئرحاء، وهي

(١) الجلابيب: لفظ تطلقه قريش على من أسلم منهم. بيضة البلد: أي منفرد.

(٢) البرثن: يد الأسد مع أصابعه. (٣) يفظئل: يتحرك. الجبر: جانب البحر.

(٤) أفري: أقطع. العارض البرد: السحاب الحامل للبرد. والأبيات حتى هنا في تاريخ الطبري ٦١٨/٢.

(٥) تاريخ الطبري ٦١٨/٢.

(٦) أشوهت على قومي: أقبحت ذلك من فعلهم حين سميتهم بالجلابيب من أجل هجرتهم إلى الله وإلى رسوله. هكذا قال السهيلي في (الروض الأنف ٢٢/٤).

(٧) تاريخ الطبري ٦١٩/٢.

قصر بني جُدَيْلة اليوم بالمدينة، وكانت مالا لأبي طَلْحَة بن سَهْل تصدَّق بها على آل رسول الله ﷺ، فأعطاهما رسولُ الله ﷺ حَسَّانَ في صَربته، وأعطاه سِيرِينَ أمة قَبْطِيَّة، فولدت له عبد الرحمن بن حَسَّان، قالت: وكانت عائشة تقول: لقد سُئِلَ عن ابن المُعطل، فَوَجَدوه رجلاً حَاصِراً، ما يأتي النساء، ثم قُتِلَ بعد ذلك شهيداً^(١).

قال حَسَّان بن ثابت يعتذر من الذي كان قال في شأن عائشة رضي الله عنها:

حَصَّانَ رَزَّانَ مَا تُزَنُّ بِرِيبَةٍ وَتُضْبِحُ عَرَّثِي مِنْ لُحُومِ الْعَوَافِلِ^(٢)
عَقِيلَةَ حَيٍّ مِنْ لُؤَيِّ بْنِ غَالِبٍ كِرَامِ الْمَسَاعِي مَجْدُهُمْ غَيْرَ زَائِلٍ
مُهَذَّبَةٌ قَدْ طَيَّبَ اللَّهُ خِيَمَهَا^(٣) وَطَهَّرَهَا مِنْ كُلِّ سُوءٍ وَبَاطِلٍ
فَإِنْ كُنْتُ قَدْ قَلْتُ الَّذِي قَدْ زَعَمْتُمْ فَلَا رَفَعْتُ سَوْطِي إِلَيَّ أَنْامِلِي
وَكَيْفَ وَوُدِّي مَا حَيَّيْتُ وَنُضَّرْتِي لَأَلِ رَسُولِ اللَّهِ زُنْنَ الْمَحَافِلِ
لَهُ رَتَّبَ عَالٍ عَلَى النَّاسِ كُلِّهِمْ تَقَاصِرُ عَنْهُ سَوْرَةُ الْمُتَطَاوِلِ
فَإِنَّ الَّذِي قَدْ قِيلَ لَيْسَ بِلَائِطٍ وَلَكِنَّهُ قَوْلُ امْرِئٍ بِي مَاجِلِ^(٤)

قال ابن هشام: بيته: «عقيلة حي» والذي بعده، وبيته: «له رتب عال» عن أبي زيد الأنصاري.

قال ابن هشام: وحدثني أبو عبيدة: أن امرأة مدحت بنت حسان بن ثابت عند عائشة، فقالت:

حَصَّانَ رَزَّانَ مَا تُزَنُّ بِرِيبَةٍ وَتُضْبِحُ عَرَّثِي مِنْ لُحُومِ الْعَوَافِلِ
فقالت عائشة: لكن أبوها.

(١) تاريخ الطبري ٦١٩/٢.

(٢) حصان: فعال بفتح الحاء يكثر في أوصاف المؤنث: وفي الأعلام منها، كأنهم قصدوا بتوالي الفتحات مشاكلة خفة اللفظ لخفة المعنى، أي المسمى بهذه الصفات خفيف على النفس، وحصان من الحصن والتحصن، وهو الامتناع على الرجال من نظرهم إليها، وقالت جارية من العرب لأنها:

يَا أَنتَا أَبْصُرْنِي رَاكِبٍ بِسِيرٍ فِي مَسْحَنَفِرٍ لَاحِبٍ
جَلَمْتُ أَحْثِي التَّرَابَ فِي وَجْهِهِ حَصَّنَا وَأَحْمِي حَوْزَةَ الْغَنَائِبِ
فقالت لها أمها:

الْحَصَّنَ أَدْنَى لَوْ تَأَبَيْتَهُ مِنْ حَثِيكَ التَّرَبِّ عَلَى الرَّاكِبِ

ذكر هذه الأبيات أحمد بن أبي سعيد السيرافي في شرح أبيات الإيضاح. والرزان والثقال بمعنى واحد، وهي القليلة الحركة.

وقوله: وتصبح عرثي من لحوم الغوافل، أي خميصة البطن من لحوم الناس، أي اغتياهم وضرب الغرث مثلاً، وهو عدم الطعم وخلو الجوف وفي التنزيل ﴿أحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتاً﴾ ضرب المثل لأخذه في العرض بأكل اللحم. لأن اللحم ستر على العظم، والشاتم لأخيه كأنه يقشر ويكشف ما عليه من ستره.

وقوله: من لحوم الغوافل، يريد: العفائف الغافلة قلوبهن عن الشر، كما قال سبحانه: ﴿إن الذين يرمون المحصنات الغافلات المؤمنات﴾ جعلن غافلات، لأن الذي زُمن به من الشر لم يهمن به قط ولا خطر على قلوبهن، فهن في غفلة عنه، وهذا أبلغ ما يكون من الوصف بالعفاف. (الروض الأنف ٤/٢٣).

(٣) الخيم: الطبع.

(٤) لائط: لاصق. ماحل: ماشي بالنميمة.

قال ابن إسحاق: وقال قائل من المسلمين في ضرب حسان وأصحابه في فزيتهم على عائشة - قال ابن هشام: في ضرب حسان وصاحبه :-

لَقَدْ ذَاقَ حَسَانَ الَّذِي كَانَ أَهْلَهُ وَحَمْنَةً إِذْ قَالُوا هَجِيرًا وَمَسْطَحُ
تَعَاطَوْا بِرَجْمِ الْعَيْنِ زَوْجَ نَبِيِّهِمْ وَسَخَطَةَ ذِي الْعَرْشِ الْكَرِيمِ فَأَتْرَحُوا^(١)
وَأَذَوْا رَسُولَ اللَّهِ فِيهَا فَجَلَّلُوا مَخَازِي تَبْقَى عُمُومُهَا وَفُضِحُوا
وَضَبَّتْ عَلَيْهِمْ مُخَصَّدَاتُ كَأَنَّهَا شَابِيبُ قَطْرٍ مِنْ دُرِّ الْمُزْنِ تَسْفَحُ^(٢)

أمر الحديدية^(٣) في آخر سنة ست، وذكر بيعة الرضوان^(٤)

والصلح بين رسول الله ﷺ وبين سهيل بن عمرو

قال ابن إسحاق: ثم أقام رسول الله ﷺ بالمدينة شهر رمضان وشوالاً، وخرج في ذي القعدة معتمراً، لا يريد حرباً.

قال ابن هشام: واستعمل على المدينة ثُمَيْلَةَ بن عبد الله اللُّثِي.

قال ابن إسحاق: واستنفر العربَ ومن حوله من أهل البوادي من الأعراب ليخرجوا معه، وهو يخشى من قريش الذي صنعوا، أن يعرضوا له بحرب أو يصدّوه عن البيت، فأبطأ عليه كثيرٌ من الأعراب، وخرج رسول الله ﷺ بمن معه من المهاجرين والأنصار ومن لُحِقَ به من العرب، وساق معه الهدّي، وأحرم بالعمرة ليأمن الناس من حربه، وليعلم الناس أنه إنما خرج زائراً لهذا البيت ومعظماً^(٥) له.

قال ابن إسحاق: حدثني محمد بن مسلم بن شهاب الزهري، عن عروة بن الزبير عن مسور بن مخرمة ومزوان بن الحكم أنهما حدثاه قالاً: خرج رسول الله ﷺ عام الحُدَيْبِيَّةِ يريد زيارة البيت، لا يريد قتالاً، وساق معه الهدّي سبعين بَدَنَةً، وكان الناس سبع مائة رجل، فكانت كل بدنة عن عشرة نفر^(٦).

(١) أترحوا: من الترح وهو الحزن.

(٢) محصّدات. صفة لموصوف محذوف يعني سباطاً. والمحصّدات: المفتولة. الشّابيب: الدفعات من المطر. تسفح: تسيل.

(٣) يقال فيها: الحُدَيْبِيَّةُ بالتخفيف، وهو الأعراف عند أهل العربية. قال الخطّابي: أهل الحديث يقولون: الحُدَيْبِيَّةُ بالتشديد، والجُعْرَانَةُ كذلك، وأهل العربية يقولونهما: بالتخفيف. وقال البكري: أهل العراق يشدّدون الراء والياء في الجُعْرَانَةُ والحُدَيْبِيَّةِ، وأهل الحجاز يخفّفون. وقال أبو جعفر النحاس: سألت كل من لقيته ممن أتق بعلمه عن الحُدَيْبِيَّةِ، فلم يختلفوا على أنّها بالتخفيف. (الروض الأنف ٤/٣٣٣).

(٤) انظر عنها في: تاريخ الطبري ٢/٦٢٠ - ٦٣٩، وتاريخ خليفة ٨١، المحبّر ١١٥، المغازي لعروة ١٩٢ - ١٩٤، الدرر ٢٠٥ وما بعدها، جوامع السيرة ٢٠٧ وما بعدها، وصحيح البخاري ٥/٦١ - ٧٠، وصحيح مسلم، في الجهاد ٩٠ - ٩٧ صفحة ١٤٠٩ - ١٤١٣، والطبقات الكبرى ٢/١٩٥ - ١٠٥، والمغازي للواقدي ٢/٥٧١ - ٦٣٣، والبدء والتاريخ ٤/٢٢٤، ٢٢٥، وأنساب الأشراف ١/٣٤٩ - ٣٥٢، والمعرفة والتاريخ ٣/٢٥٨، والكمال في التاريخ ٢/٢٠٠ - ٢٠٦، وتاريخ الإسلام (المغازي)، وعيون الأثر ٢/١١٣ - ١٣٠، ونهاية الأرب ١٧/٢١٧ - ٢٣٣، ومراة الجنان ١/١١، وسيرة ابن كثير ٣/٣١٢ - ٣٣٧، ومجمع الزوائد ٦/١٤٤ - ١٤٧، وعيون التواريخ ١/٢٣٨ - ٢٤٧.

(٦) تاريخ الطبري ٢/٦٢٠.

(٥) تاريخ الطبري ٢/٦٢٠.

وكان جابر بن عبد الله، فيما بلغني، يقول: كنا أصحاب الحديبية أربع عشرة مائة.

قال الزهري: وخرج رسول الله ﷺ، حتى إذا كان بعُسفان لقيه بشر بن سُفيان الكعبي - قال ابن هشام: ويقال بُسر - فقال: يا رسول الله هذه قريش، قد سمعت بمسيرك، فخرجوا معهم العوذ المطافيل^(١)، قد لبسوا جلود الثُمرور، وقد نزلوا بذي طوى^(٢)، يعاهدون الله لا تدخلها عليهم أبداً، وهذا خالد بن الوليد في خيلهم قد قدموها إلى كراع الغميم^(٣)؛ قال: فقال رسول الله ﷺ: «يا ويح قريش! لقد أكلتهم الحرب، ماذا عليهم لو خَلَوْا بيني وبين سائر العرب، فإن هم أصابوني كان الذي أراؤوا، وإن أظهرني الله عليهم دخلوا في الإسلام وإفرين، وإن لم يفعلوا قاتلوا وبهم قوة، فما تظن قريش، فوالله لا أزال أجاهد على الذي بعثني الله به حتى يُظهره الله أو تنفرد هذه السالفة^(٤)»، ثم قال: «من رجل يخرج بنا على طريق غير طريقهم التي هم بها^(٥)؟»

قال ابن إسحاق: فحدثني عبد الله بن أبي بكر: أن رجلاً من أسلم قال: أنا يا رسول الله؛ قال: فسلك بهم طريقاً وعرأً أجزل^(٦) بين شعاب، فلما خرجوا منه، وقد شق ذلك على المسلمين وأفضوا إلى أرض سهلة عند مُنقطع الوادي؛ قال رسول الله ﷺ للناس: «قولوا نستغفر الله وتُتوب إليه»؛ فقالوا ذلك، فقال: «والله إنها للْحِطَّة^(٧) التي عرِضت على بني إسرائيل. فلم يقولوها^(٨)».

قال ابن شهاب: فأمر رسول الله ﷺ الناس فقال: اسلكوا ذات اليمين بين ظهري الحَمْش، في طريق تُخرجه على نِيَّة المُرَار مَهبط الحديبية من أسفل مكة؛ قال: فسلك الجيش ذلك الطريق، فلما رأت خيل قريش قِتْرَةَ^(٩) الجيش قد خالفوا عن طريقهم، رَجَعُوا رَاكضين إلى قريش، وخرج رسول الله ﷺ، حتى إذا سلك، في نِيَّة المُرَار بَرَكْتَ ناقته، فقالت الناس: خَلَّاتِ^(١٠) الناقة، قال: ما خَلَّاتِ وما هو لها بخلق، ولكن حبسها حابس الفيل عن مكة. لا تدعوني قريش اليوم إلى حُطَّة يسألوني فيها صِلَةَ الرحم إلا أعطيتهم إياها. ثم قال للناس: انزلوا؛ قيل له: يا رسول الله ما بالوادي ماء نزل عليه، فأخرج سهماً من كِنانته، فأعطاه رجلاً من أصحابه، فنزل به في قَلِيب من تلك القُلُوب. فغرز في جوفه، فجاش الماء بالزَّوَاء^(١١) حتى ضَرَبَ الناس عنه بَعَطَن^(١٢).

قال ابن إسحاق: فحدثني بعض أهل العلم عن رجال من أسلم: أن الذي نزل في القليب بسهم رسول الله ﷺ ناجية بن جُنْدَب بن عمير بن يعمر بن دارم بن عمرو بن وائلة بن سَهْم بن مازن بن سلامان بن أسلم بن أفضى بن أبي حارثة، وهو سائق بُذْن رسول الله ﷺ.

(١) استعار العوذ المطافيل للنساء مع أولادهن. والعوذ هي الإبل حديثة التاج. والمطافيل التي معها أولادها.

(٢) ذو طوى: موضع قرب مكة.

(٣) كراع الغميم: موضع بين مكة والمدينة.

(٤) السالفة: صفحة العنق.

(٥) تاريخ الطبري ٦٢٢/٢ و٦٢٣.

(٦) الأجزل: كثير الحجارة.

(٧) وهو قوله تعالى: «وقولوا حطة نغفر لكم ذنوبكم» ومعناها الاستغفار من الذنوب بقولهم اللهم حط عنا ذنوبنا.

(٨) تاريخ الطبري ٦٢٣/٢.

(٩) القطرة: الغبار.

(١٠) خلّات: بركت وحرنت عن المشي.

(١١) في تاريخ الطبري ٦٢٤/٢ «بالري».

(١٢) العطن: مبرك الإبل حول الماء. والخبر في تاريخ الطبري ٦٢٣/٢، ٦٢٤.

قال ابن هشام: أفصى بن حارثة.

قال ابن إسحاق: وقد زعم لي بعض أهل العلم: أن البراء بن عازب كان يقول: أنا الذي نزلت بسهم رسول الله ﷺ، فالله أعلم أي ذلك كان.

وقد أشدت أسلم آياتاً من شعر قالها ناجية، قد ظننا أنه هو الذي نزل بالسهم، فزعمت أسلم أن جارية من الأنصار أقبلت بدلوها، وناجية في القلب يميح^(١) على الناس، فقالت:

يايها المائح ذلوي دُونُكَ إني رأيتُ الناسَ يَخْمَدونُكَ
يثنون خيراً ويُمجّدونكَ

قال ابن هشام: ويروى:

إني رأيتُ النَّاسَ يَمْدحونكَ

قال ابن إسحاق: فقال ناجية، وهو في القلب يميح على الناس:

قد علمت جاريةً يَمَانِيَةَ أتي أنا المائح واسمي ناجية
وطعنة ذات رَشاش وإهية^(٢) طعنُها عند صدور العادية

فقال الزهري في حديثه: فلما اطمان رسول الله ﷺ أتاه بُدَيْل بن وَرْقَاء الخُزَاعِي، في رجال من خُزَاعَة، فكلّموه وسألوه: ما الذي جاء به؟ فأخبرهم أنه لم يأت يريد حرباً، وإنما جاء زائراً للبيت، ومعظماً لحرمة، ثم قال لهم نحواً مما قال لبشر بن سُفْيَان، فَرَجَعُوا إلى قُرَيْش فقالوا: يا معشر قُرَيْش، إنكم تَعْجَلون على محمد، إن محمداً لم يأت لقتال، وإنما جاء زائراً هذا البيت، فاتهموهم وَجَبَهُوهم^(٣) وقالوا: وإن كان جاء ولا يريد قتالاً، فوالله لا يدخلها علينا عتوة أبداً، ولا تحدث بذلك عتاً العرب.

قال الزهري: وكانت خُزَاعَة عَيْبَة نُضِح^(٤) رسول الله ﷺ، مُسَلِّمُهَا ومُشْرِكُهَا، لا يُخْفون عنه شيئاً كان بمكة.

قال: ثم بعثوا إليه مِكْرَز بن حَفْص بن الأَخِيْف، أخا بني عامر بن لُؤَي، فلما رآه رسول الله ﷺ مُقْبِلاً قال: هذا رجل غادر؛ فلما انتهى إلى رسول الله ﷺ وكلمه، قال له رسول الله ﷺ نحواً مما قال لبُدَيْل وأصحابه؛ فرجع إلى قُرَيْش فأخبرهم بما قال له رسول الله ﷺ.

ثم بعثوا إليه الحُلَيْس بن عَلْقَمَة أو ابن زَبَّان، وكان يومئذ سَيِّد الأَحَابِيْش، وهو أحد بني الحارث ابن عبد مَنَاة بن كِنَانَة؛ فلما رآه رسول الله ﷺ قال: إن هذا من قوم يتألهون، فابعثوا الهذلي في وجهه حتى يراه، فلما رأى الهذلي يسيل عليه من عُرْض^(٥) الوادي في قِلائِده^(٦)، وقد أكل أُوْبَارَه من طول الحَبْس عن مَحَلِّه، رجع إلى قُرَيْش، ولم يصل إلى رسول الله ﷺ إعظاماً لما رأى، فقال لهم ذلك.

(١) يميح على الناس: يملأ دلاهم.

(٢) عيبة نصح الرجل: موضع سزه.

(٣) جبهوهم: واجهوهم بما يكرهون.

(٤) عرض الوادي جانبه.

(٥) القلائد: ما يعلق في أعناق الإبل علامة على أنها هذي.

قال: فقالوا له: اجلس، فإنما أنت أعرابي لا علم لك^(١).

قال ابن إسحاق: فحدثني عبد الله بن أبي بكر: أن الحُلَيْس غضب عند ذلك وقال: يا معشر قريش، والله ما على هذا حالناكم، ولا على هذا عاقدناكم. أئصد عن بيت الله من جاء معظماً له! والذي نفس الحُلَيْس بيده، لثُخِّلَ بين محمد وبين ما جاء له، أو لأنفرون بالأحابيش نفرة رجل واحد. قال: فقالوا له: مه، كف عنا يا حُلَيْس حتى نأخذ لأنفسنا ما نرضى به^(٢).

قال الزهري في حديثه: ثم بعثوا إلى رسول الله ﷺ عروة بن مسعود الثقفي؛ فقال: يا معشر قريش، إني قد رأيت ما يلقى منكم من بعثتموه إلى محمد إذ جاءكم من التعنيف وسوء اللفظ، وقد عرفتم أنكم والد وإني ولد - وكان عروة لسبيعة بنت عبد شمس - وقد سمعت بالذي نابكم، فجمعت من أطاعني من قومي، ثم جئتمكم حتى آسيتكم بنفسي؛ قالوا: صدقت، ما أنت عندنا بمتهم. فخرج حتى أتى رسول الله ﷺ، فجلس بين يديه، ثم قال: يا محمد، أجمعت أوشاب الناس^(٣)، ثم جئت بهم إلى بيضتك لتفضها^(٤) بهم، إنها قريش قد خرجت معها العوذ المطايل. قد لبسوا جلود الثمور، يعاهدون الله لا تدخلها عليهم عتوة أبداً. وإيم الله، لكأني بهؤلاء قد انكشفوا عنك غداً. قال: وأبو بكر الصديق خلف رسول الله ﷺ قاعد؛ فقال: امض بظر اللات^(٥)، أنحن نكشيف عنه؟ قال: من هذا يا محمد؟ قال: هذا ابن أبي قحافة؛ قال: أما والله لولا يد كانت لك عندي لكافأتك بها، ولكن هذه بها؛ قال: ثم جعل يتناول لحيه رسول الله ﷺ وهو يكلمه. قال: والمغيرة بن شعبة واقف على رأس رسول الله ﷺ في الحديد. قال: فجعل يقرع يده إذا تناول لحيه رسول الله ﷺ، ويقول: اكفك يدك عن وجه رسول الله ﷺ قبل أن لا تصل إليك؛ قال: فيقول عروة: ويحك! ما أفطك وأغلظك! قال: فتبسم رسول الله ﷺ؛ فقال له عروة: من هذا يا محمد؟ قال: هذا ابن أخيك المغيرة بن شعبة؛ قال: أي عُدر، وهل عسلت سوءتك إلا بالأمس.

قال ابن هشام: أراد عروة بقوله هذا أن المغيرة بن شعبة قتل ثلاثة عشر رجلاً من بني مالك، من ثقيف، فتهايج الحيان من ثقيف: بنو مالك رهط المقتولين، والأحلاف رهط المغيرة، فوذى عروة المقتولين ثلاث عشرة دية، وأصلح ذلك الأمر.

قال ابن إسحاق: قال الزهري: فكلمه رسول الله ﷺ بنحو مما كلم به أصحابه، وأخبره أنه لم يأت يريد حرباً.

فقام من عند رسول الله ﷺ وقد رأى ما يصنع به أصحابه، لا يتوضأ إلا ابتدروا وضوءه، ولا يئصق بوضوءه إلا ابتدروه. ولا يسقط من شعره شيء إلا أخذه. فرجع إلى قريش، فقال: يا معشر قريش، إني قد جئت كسرى في ملكه، وقيصر في ملكه. والنجاشي في ملكه. وإني والله ما رأيت

(١) تاريخ الطبري ٢/٦٢٨.

(٢) تاريخ الطبري ٢/٦٢٨.

(٣) أوشاب الناس: أخلاطهم.

(٤) بيضة الرجل: عشيرته. ويفضها: يهلكها.

(٥) جاء في شرح نهاية الأرب ١٧/٢٢٤ (٥): أقام أبو بكر رضي الله عنه معبود عروة، وهو صنم اللات مقام أمه، لأن عادة العرب الشتم بلفظ الأم، فأبدله الصديق باللات، فنزله منزلة امرأة تحقيراً لمعبوده.

مَلِكًا فِي قَوْمِ قَطٍّ مِثْلَ مُحَمَّدٍ فِي أَصْحَابِهِ، وَلَقَدْ رَأَيْتُ قَوْمًا لَا يُسَلِّمُونَ لَشَيْءٍ أَبَدًا، فَرَوْا رَأْيَكُمْ^(١).
قال ابن إسحاق: وحدثني بعض أهل العلم: أن رسول الله ﷺ دعا خراش بن أمية الخزاعي، فبعثه إلى قريش بمكة، وحمله على بعير له يقال له الثعلب، ليبلغ أشرافهم عنه ما جاء له، ففعلوا به جمل رسول الله ﷺ، وأرادوا قتله، فمَنَعَتْهُ الأَحْيَابِيسُ، فحَلُّوا سَبِيلَهُ، حَتَّى أَتَى رَسُولَ اللَّهِ ﷺ^(٢).

قال ابن إسحاق: وقد حدثني بعض من لا أتهم عن عكرمة مولى ابن عباس عن ابن عباس: أن قريشاً كانوا بعثوا أربعين رجلاً منهم أو خمسين رجلاً، وأمروهم أن يُطيفوا بعسكر رسول الله ﷺ، ليُصيبوا لهم من أصحابه أحداً، فأخذوا أحداً، فأُتِيَ بهم رسول الله ﷺ، فَعَفَا عَنْهُمْ، وَخَلَّى سَبِيلَهُمْ، وَقَد كَانُوا رَمَوْا فِي عَسْكَرِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِالْحِجَارَةِ وَالنَّبْلِ.

ثم دعا عمر بن الخطاب لبيعته إلى مكة، فيبلغ عنه أشراف قريش ما جاء له، فقال: يا رسول الله، إني أخاف قريشاً على نفسي، وليس بمكة من بني عدتي ابن كعب أحد يمنعني، وقد عرفت قريش عداوتي إياها، وغلظتي عليها، ولكنني أدلك على رجل أعز بها مني، عثمان بن عفان. فدعا رسول الله ﷺ عثمان بن عفان، فبعثه إلى أبي سفيان وأشراف قريش، يُخبرهم أنه لم يأت لحرب، وإنه إنما جاء زائراً لهذا البيت، ومعظماً لحُرْمَتِهِ^(٣).

قال ابن إسحاق: فخرج عثمان إلى مكة، فلقيه أبا بن سعيد بن العاص حين دخل مكة، أو قبل أن يدخلها، فحمله بين يديه، ثم أجاره حتى بلغ رسالة رسول الله ﷺ؛ فانطلق عثمان حتى أتى أبا سفيان وعظماء قريش، فبلغهم عن رسول الله ﷺ ما أرسله به، فقالوا لعثمان حين فرغ من رسالة رسول الله ﷺ إليهم: إن شئت أن تطوف بالبيت فطف؛ فقال: ما كنت لأفعل حتى يطوف به رسول الله ﷺ. واحتبسته قريش عندها، فبلغ رسول الله ﷺ والمسلمين أن عثمان ابن عفان قد قُتِلَ^(٤).

بيعة الرضوان

قال ابن إسحاق: فحدثني عبد الله بن أبي بكر: أن رسول الله ﷺ، قال حين بلغه أن عثمان قد قُتِلَ: لا تَبْرَحْ حَتَّى تُنَاجِزَ الْقَوْمَ، فدعا رسول الله ﷺ الناس إلى البيعة. فكانت بيعة الرضوان تحت الشجرة، فكان الناس يقولون: بايعهم رسول الله ﷺ على الموت، وكان جابر بن عبد الله يقول: إن رسول الله ﷺ لم يبايعنا على الموت، ولكن يبايعنا على أن لا نفر.

فبايع رسول الله ﷺ الناس، ولم يتخلف عنه أحد من المسلمين حضرها، إلا الجذ بن قيس، أخو بني سلمة، فكان جابر بن عبد الله يقول: والله لكانني أنظر إليه لاصقاً بإبط ناقتة. قد ضباً^(٥) إليها، يَسْتَرُّ بِهَا مِنَ النَّاسِ. ثم أتى رسول الله ﷺ أن الذي ذكر من أمر عثمان باطل^(٦).

قال ابن هشام: فذكر وكيع عن إسماعيل بن أبي خالد، عن الشعبي: أن أول من بايع رسول الله ﷺ بيعة الرضوان أبو سنان الأسدي.

(١) انظر تاريخ الطبري ٦٢٧/٢، ونهاية الأرب ٢٢٦/١٧، وتاريخ الإسلام (المغازي).

(٢) تاريخ الطبري ٦٣١/٢، تفسير الطبري ٥٣/٢٦، ٥٤.

(٣) تاريخ الطبري ٦٣١/٢. (٤) تاريخ الطبري ٦٣١/٢، ٦٣٢.

(٥) ضباً إليها: احتفى بها. (٦) تاريخ الطبري ٦٣٣/٢.

قال ابن هشام: وحدثني من أتق به عمّن حدثه بإسناد له، عن ابن أبي مُليكة عن ابن أبي عمر: أن رسول الله ﷺ بايع لعثمان، ففُضِرَ بِإِحْدَى يَدَيْهِ عَلَى الْآخَرَى.

أمر الهدنة: قال ابن إسحاق: قال الزهري: ثم بعثت قُرَيْشَ سُهَيْلَ بْنِ عَمْرٍو، أَخَا بَنِي عَامِرِ بْنِ لُؤَيٍّ، إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَقَالُوا لَهُ: أَتَيْتَ مُحَمَّدًا فَصَالِحَهُ، وَلَا يَكُنْ فِي صُلْحِهِ إِلَّا أَنْ يَرْجَعَ عَنَّا عَامَهُ هَذَا، فَوَاللَّهِ لَا تَحْدِثُ الْعَرَبُ عَنَّا أَنَّهُ دَخَلَهَا عَلَيْنَا عَنَوَةً^(١) أَبَدًا. فَأَتَاهُ سُهَيْلُ بْنُ عَمْرٍو؛ فَلَمَّا رَأَى رَسُولَ اللَّهِ ﷺ مَقْبَلًا، قَالَ: قَدْ أَرَادَ الْقَوْمُ الصَّلْحَ حِينَ بَعَثُوا هَذَا الرَّجُلَ. فَلَمَّا انْتَهَى سُهَيْلُ بْنُ عَمْرٍو إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ تَكَلَّمَ فَأَطَالَ الْكَلَامَ، وَتَرَا جَعَا، ثُمَّ جَرَى بَيْنَهُمَا الصَّلْحَ.

فلما التأم الأمر ولم يبق إلا الكتاب، وثب عمر بن الخطاب، فأتى أبا بكر فقال: يا أبا بكر، أليس برسول الله؟ قال: بلى، قال: أولسنا بالمسلمين؟ قال: بلى؛ قال: أوليسوا بالمشركين؟ قال: بلى؛ قال: فعلام نُعْطِي الدِّيْنَةَ^(٢) فِي دِينِنَا؟ قَالَ أَبُو بَكْرٍ: يَا عَمْرُ، لَزِمَ غَرْزَهُ^(٣)، فَإِنِّي أَشْهَدُ أَنَّهُ رَسُولُ اللَّهِ؛ قَالَ عَمْرُ: وَأَنَا أَشْهَدُ أَنَّهُ رَسُولُ اللَّهِ؛ ثُمَّ أَتَى رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَلَسْتَ بِرَسُولِ اللَّهِ؟ قَالَ: «بلى»؛ قال: أولسنا بالمسلمين؟ قال: «بلى»؛ قال: أوليسوا بالمشركين؟ قال: «بلى»؛ قال: فعلام نُعْطِي الدِّيْنَةَ فِي دِينِنَا؟ قَالَ: «أَنَا عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ، لَنْ أَخَالَفَ أَمْرَهُ، وَلَنْ يُضَيِّعَنِي!». قَالَ: فَكَانَ عُمَرُ يَقُولُ: مَا زِلْتُ أَتَصَدَّقُ وَأَصُومُ وَأُصَلِّي وَأُعْتِقُ، مِنْ الَّذِي صَنَعْتُ يَوْمَئِذٍ! مَخَافَةَ كَلَامِي الَّذِي تَكَلَّمْتُ بِهِ، حَتَّى رَجَوْتُ أَنْ يَكُونَ خَيْرًا^(٤).

شروط الصلح: قال: ثم دعا رسول الله ﷺ علي بن أبي طالب رضوان الله عليه، فقال: «اكتب: بسم الله الرحمن الرحيم»؛ قال: فقال سُهَيْلٌ: لَا أَعْرِفُ هَذَا، وَلَكِنْ «اكتب: باسمك اللهم»؛ فقال رسول الله ﷺ: «اكتب باسمك اللهم»، فكتبها؛ ثم قال: «اكتب: هذا ما صالح عليه محمد رسول الله سُهَيْلُ بْنُ عَمْرٍو»؛ قال: فقال سُهَيْلٌ: لَوْ شِئْتُمْ لَأَتَى رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لَمْ أَقَاتِلْكُمْ، وَلَكِنْ أَكْتُبْ اسْمَكَ وَاسْمَ أَبِيكَ؛ قَالَ: فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «اكتب: هذا ما صالح عليه محمد بن عبد الله سُهَيْلُ بْنُ عَمْرٍو، اصْطَلَحَا عَلَى وَضْعِ الْحَرْبِ عَنِ النَّاسِ عَشْرَ سِنِينَ يَأْمَنُ فِيهِمُ النَّاسُ وَيَكْفُ بِعَضُفِهِمْ عَنْ بَعْضِ عَلِيٍّ أَنَّهُ مِنْ أَتَى مُحَمَّدًا مِنْ قُرَيْشٍ بِغَيْرِ إِذْنٍ وَلِيَّهِ رَدُّهُ عَلَيْهِمْ، وَمَنْ جَاءَ قُرَيْشًا مِمَّنْ مَعَ مُحَمَّدٍ لَمْ يَرُدُّوهُ عَلَيْهِ، وَإِنْ بَيْنَنَا عَيْبَةٌ مَكْفُوفَةٌ^(٥)، وَأَنَّهُ لَا إِسْلَاسَ وَلَا إِغْلَالَ^(٦)، وَأَنَّهُ مِنْ أَحَبَّ أَنْ يَدْخُلَ فِي عَقْدِ مُحَمَّدٍ وَعَهْدِهِ دَخَلَ فِيهِ، وَمَنْ أَحَبَّ أَنْ يَدْخُلَ فِي عَقْدِ قُرَيْشٍ وَعَهْدِهِمْ دَخَلَ فِيهِ».

فتواثبت خِزَاعَةً فَقَالُوا: نَحْنُ فِي عَقْدِ مُحَمَّدٍ وَعَهْدِهِ، وَتَوَاتَبَتْ بَنُو بَكْرٍ، فَقَالُوا: نَحْنُ فِي عَقْدِ قُرَيْشٍ وَعَهْدِهِمْ، وَأَنْتَ تَرْجِعُ عَنَّا عَامَكَ هَذَا، فَلَا تَدْخُلُ عَلَيْنَا مَكَّةَ، وَأَنَّهُ إِذَا كَانَ عَامَ قَابِلٍ، خَرَجْنَا عَنْكَ فَدَخَلْتُمَا بِأَصْحَابِكُمْ، فَأَقَمْتُمْ بِهَا ثَلَاثًا، مَعَكُمْ سِلَاحُ الرَّكَابِ، السُّيُوفُ فِي الْقُرْبِ، لَا تَدْخُلُهَا بِغَيْرِهَا^(٧).

(١) تاريخ الطبري ٢/٦٣٣، نهاية الأرب ١٧/٢٢٩.

(٢) الدِّيْنَةُ: الدَّلُّ.

(٣) إلزم غرزه: أي لزم أمره.

(٤) تاريخ الطبري ٢/٦٣٤، نهاية الأرب ١٧/٢٢٩، ٢٣٠.

(٥) عيبة مكفوفة: أي صدور منطوية على ما فيها.

(٦) الإغلال: السرقة خفية. الإغلال: الخيانة.

(٧) تاريخ الطبري ٢/٦٣٤، ٦٣٥.

أبو جندل بن سهيل: فيينا رسول الله ﷺ يكتب الكتاب هو وسهيل بن عمرو، إذ جاء أبو جندل ابن سهيل بن عمرو يزسّف في الحديد، قد انفلت إلى رسول الله ﷺ، وقد كان أصحاب رسول الله ﷺ خرجوا وهم لا يشكّون في الفتح، لرؤيا رآها رسول الله ﷺ، فلما رأوا ما رأوا من الصلح والرجوع، وما تحمل عليه رسول الله ﷺ في نفسه دخل على الناس من ذلك أمر عظيم، حتى كادوا يهلكون؛ فلما رأى سهيل أبا جندل قام إليه فضرب وجهه، وأخذ بتليبيه^(١)؛ ثم قال: يا محمد، قد لجت^(٢) القضية بيني وبينك قبل أن يأتيك هذا؛ قال: صدقت، فجعل يتره^(٣) بتليبيه، ويجزه ليرده إلى قريش، وجعل أبو جندل يصرخ بأعلى صوته: يا معشر المسلمين، أأرد إلى المشركين يفتنونني في ديني؟ فزاد ذلك الناس إلى ما بهم، فقال رسول الله ﷺ: يا أبا جندل؛ اصبر واحتسب، فإن الله جاعل لك ولمن معك من المستضعفين فرجاً ومخرجاً، إننا قد عقدنا بيننا وبين القوم صلحاً، وأعطيناهم على ذلك، وأعطينا عهد الله، وإننا لا نعدر بهم؛ قال: فوثب عمر بن الخطاب مع أبي جندل يمشي إلى جنبه، ويقول: اصبر يا أبا جندل، فإنما هم المشركون، وإنما دم أحدهم دم كلب. قال: ويؤذي قائم السيف منه. قال: يقول عمر: رجوت أن يأخذ السيف فيضرب به أباه؛ قال: فضن الرجل بأبيه، ونفذت القضية^(٤).

من شهدوا على الصلح: فلما فرغ رسول الله ﷺ من الكتاب أشهد على الصلح رجالاً من المسلمين ورجالاً من المشركين: أبو بكر الصديق، وعمر بن الخطاب، وعبد الرحمن بن عوف، وعبد الله بن سهيل بن عمرو، وسعد بن أبي وقاص، ومحمود بن مسلمة، ومكرز بن حفص، وهو يومئذ مشرك، وعلي بن أبي طالب وكتب، وكان هو كاتب الصحيفة^(٥).

الإخلاق: قال ابن إسحاق: وكان رسول الله ﷺ مضطرباً في الحِلّ، وكان يصلي في الحرم، فلما فرغ من الصلح قدم إلى هذيه فنحره، ثم جلس فحلق رأسه، وكان الذي حلقه، فيما بلغني، في ذلك اليوم خراش بن أمية بن الفضل الخزاعي^(٦)؛ فلما رأى الناس أن رسول الله ﷺ قد نحر وحلق توثبوا يتحرون ويخلقون.

قال ابن إسحاق: فحدثني عبد الله بن أبي نجيح، عن مجاهد، عن ابن عباس، قال: حلق رجال يوم الحديبية، وقصّر آخرون. فقال رسول الله ﷺ: «يرحم الله المحلقين»، قالوا: والمقصرين يا رسول الله؟ قال: «يرحم الله المحلقين»؛ قالوا: والمقصرين يا رسول الله؟ قال: «يرحم الله المحلقين»؛ قالوا: والمقصرين يا رسول الله؟ قال: «يرحم الله المحلقين»؛ قالوا: والمقصرين يا رسول الله؟ قالوا: يا رسول الله: فلم ظهرت الترحيم للمحلقين دون المقصرين؟ قال: «لم يشكوا»^(٧).

(١) في تاريخ الطبري ٦٣٥/٢ «بليبه».

(٢) يتره: يجذبه جذباً شديداً مع جفاء.

(٣) تاريخ الطبري ٦٣٥/٢، ٦٣٦، نهاية الأرب ١٧/٢٣٢.

(٤) تاريخ الطبري ٦٣٦/٢، نهاية الأرب ١٧/٢٣٢.

(٥) تاريخ الطبري ٦٣٧/٢.

(٦) أخرج بنحوه البخاري في كتاب الحج (١٨٨/٢، ١٨٩) باب الحلق والتقصير عند الإحلال، عن عبد الله بن يوسف، أخبرنا مالك، عن نافع، عن عبد الله بن عمر. ومسلم في كتاب الحج (٣١٦) باب تفضيل الحلق على التقصير وجواز =

وقال عبد الله بن أبي نجيج: حدثني مجاهد، عن ابن عباس: أن رسول الله ﷺ أهدى عام الحديبية في هداياه جملاً لأبي جهل، في رأسه بُرَّةٌ^(١) من فضة، يغيظ بذلك المشركين^(٢).
نزول سورة الفتح: قال الزهري في حديثه: ثم انصرف رسول الله ﷺ من وجهه ذلك قافلاً، حتى إذا كان بين مكة والمدينة، نزلت سورة الفتح: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ﴿١﴾ لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيَنْتَهِ بِنِعْمَتِهِ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا ﴿٢﴾﴾ [الفتح: ٢، ١].

ثم كانت القصّة فيه وفي أصحابه، حتى انتهى إلى ذكر البيعة، فقال جل ثناؤه: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَن نَّكَتَ فَإِنَّمَا يَكُفُّ عَن نَّفْسِهِ وَمَن أَوْفَىٰ بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ اللَّهُ فَسَبُّوهُ آجْرًا عَظِيمًا ﴿١٠﴾﴾ [الفتح: ١٠].

ثم ذكر من تخلف عنه من الأعراب، ثم قال: حين استفرّجهم للخروج معه فأبطأوا عليه: ﴿سَيَقُولُ لَكَ الْمُخَلَّفُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ شَغَلَتْنَا أَمْوَالُنَا وَأَهْلُونَا﴾ [الفتح: ١١]. ثم القصّة عن خبرهم، حتى انتهى إلى قوله: ﴿سَيَقُولُ الْمُخَلَّفُونَ إِذَا انطَلَقْتُمْ إِلَىٰ مَعَانِهِمْ لِنَأْخُذْهُمَا ذَرِينَا نَتَّبِعْكُمْ يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا كَلِمَ اللَّهِ فُل لَّن تَتَّبِعُونَا كَذَلِكُمْ قَالَ اللَّهُ مِن قَبْلُ﴾ [الفتح: ١٥]. ثم القصة عن خبرهم وما عرض عليهم من جهاد القوم أولي البأس الشديد.

قال ابن إسحاق: حدثني عبد الله بن أبي نجيج، عن عطاء بن أبي رباح، عن ابن عباس، قال: فارس. قال ابن إسحاق: وحدثني من لا أنهم، عن الزهري أنه قال: أولو البأس الشديد حنيفة مع الكذاب.

ثم قال تعالى: ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا وَمَعَانٍ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا وَعَدَّكُمْ اللَّهُ مَعَانِدَ كَثِيرَةٍ تَأْخُذُونَهَا فَجَعَلَ لَكُم هُدًى وَكَفَّ أَيْدِيَ النَّاسِ عَنْكُمْ وَلِتَكُونَ آيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ وَيَهْدِيَكُمْ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا وَأُخْرَى لَمْ نَقْدِرُوا عَلَيْهَا قَدْ أَحَاطَ اللَّهُ بِهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا﴾.

ثم ذكر محبسه وكفه إياه عن القتال، بعد الظفر منه بهم، يعني الثفر الذين أصاب منهم وكفهم عنه، ثم قال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ بِبَطْنِ مَكَّةَ مِن بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴿٢٤﴾﴾ [الفتح: ٢٤]. ثم قال تعالى: ﴿هُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَالْهَدَىٰ مَعَكُوفًا أَنْ يَبْلُغَ مَحَلَّهُمْ﴾ [الفتح: ٢٥].

= التقصير، عن يحيى بن يحيى، ومحمد بن رمح، عن الليث، وعن قتيبة، عن ليث، عن نافع. و(٣١٧) عن يحيى بن يحيى، قال قرأت على مالك، عن نافع، عن عبد الله بن عمر. و(٣١٨) و(٣١٩) و(٣٢٠) عن أبي بكر بن أبي شيبة وزهير ابن حرب وابن نمير وأبي كريب، جميعاً عن ابن فضيل، قال زهير: حدثنا محمد بن فضيل، حدثنا عمارة، عن أبي زرعة، عن أبي هريرة. وأبو داود في كتاب المناسك (١٩٧٩) باب الحلق والتقصير. والثرمذي في كتاب الحج (٩١٦) باب ما جاء في الحلق والتقصير. وابن ماجه في كتاب المناسك (٣٠٤٣) و(٣٠٤٤) و(٣٠٤٥) باب الحلق. والدارمي في المناسك، باب (٦٤). ومالك في الموطأ كتاب الحج (٨٩٦) باب الحلاق. وأحمد في المسند ٢١٦/١ و٢٥٣ و١٦/٢ و٣٤ و٧٩ و١١٩ و١٣٨ و١٤١ و١٥١ و٢٠/٣ و٨٩ و٧٠/٤ و١٦٥ و١٧٧ و١٧٧/٥ و٣٨١/٦ و٣٩٣ و٤٠٢ و٤٠٣ وانظر: تاريخ الطبري ٦٣٧/٢. وظهرت: قويت وأكثت.

(١) البرة: حلقة تجعل في أنف البعير ليزال بها وكانت في العادة من خشب أو شعر.

(٢) تاريخ الطبري ٦٣٨/٢، نهاية الأرب ١٧/٢٣٣.

قال ابن هشام: المعكوف: المحبوس، قال أعشى بني قيس بن ثعلبة:

وَكَاذَ السَّمُوطِ عَكْفُهُ السُّلْدُ لَكَ بِعَطْفِي جِنْدَاءُ أُمِّ عَزَالٍ^(١)

وهذا البيت في قصيدة له.

قال ابن إسحاق: ﴿وَلَوْلَا رِجَالٌ مُؤْمِنُونَ وَنِسَاءٌ مُؤْمِنَاتٌ لَّزَّ تَعْلَمُوهُمْ أَنْ تَطَّوَّهُمْ فَتُصِيبَكُمْ مِنْهُمْ مَعْرَةٌ بَعِيرٌ عَلِيٌّ﴾ [الفتح: ٢٥]، والمعرة: الغرم، أي أن تصيبوا منهم معرة بغير علم فتخرجوا دينته، فإما إن لم يخلصه عليهم.

قال ابن هشام: بلغني عن مجاهد أنه قال: نزلت هذه الآية في الوليد بن الوليد بن المغيرة، وسلمة بن هشام، وعياش بن أبي ربيعة، وأبي جندل بن سهيل، وأشباههم.

قال ابن إسحاق: ثم قال تبارك وتعالى: ﴿إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ اللَّيئَةَ حِيئَةَ الْجَنَّةِ﴾ [الفتح: ٢٦]، يعني سهيل بن عمرو حين حرم أن يكتب بسم الله الرحمن الرحيم، وأن محمداً رسول الله، ثم قال تعالى: ﴿فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى﴾ [الفتح: ٢٦]، ﴿وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا﴾: أي التوحيد، شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمداً عبده ورسوله.

ثم قال تعالى: ﴿لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلَنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا﴾ [الفتح: ٢٧]، أي لرؤيا رسول الله ﷺ التي رأى، أنه سيدخل مكة آمناً لا يخاف؛ يقول: محلّقين رؤوسكم، ومقصرين معه لا تخافون، فعلم من ذلك ما لم تعلموا، ﴿فَجَعَلَ مِنْ دُونِ ذَلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا﴾، صلح الحديبية.

قال الزهري: فما فتح في الإسلام فتح قبله كان أعظم منه، إنما كان القتال حيث التقى الناس؛ فلما كانت الهدنة، ووضعت الحرب، وآمن الناس بعضهم بعضاً، والتقوا وتفاوضوا في الحديث والمنازعة، فلم يكلم أحد بالإسلام يعقل شيئاً إلا دخل فيه، ولقد دخل في تينك السنتين مثل من كان في الإسلام قبل ذلك أو أكثر^(٢).

قال ابن هشام: والدليل على قول الزهري أن رسول الله ﷺ خرج إلى الحديبية في ألف وأربعمائة، في قول جابر بن عبد الله، ثم خرج عام فتح مكة بعد ذلك بستين في عشرة آلاف.

أمر المستضعفين بمكة بعد الصلح

قصة أبي بصير: قال ابن إسحاق: فلما قدم رسول الله ﷺ المدينة أتاه أبو بصير عتبة^(٣) بن أسيد ابن جارية، وكان ممن حبس بمكة، فلما قدم رسول الله ﷺ كتب فيه أزهري بن عبد عوف بن عبد بن الحارث بن زهرة، والأخنس بن شريق بن عمرو بن وهب الثقفي إلى رسول الله ﷺ، وبعثا رجلاً من بني عامر بن لؤي، ومعه مولى لهم، فقدموا على رسول الله ﷺ بكتاب الأزهري والأخنس؛ فقال رسول الله ﷺ: «يا أبا بصير إنا قد أعطينا هؤلاء القوم ما قد علمت، ولا يصلح لنا في ديننا الغدر، وإن الله

(١) السموط: جمع سمط: وهو القلادة.

(٢) تاريخ الطبري ٢/٦٣٨.

(٣) وقيل: عبيد.

جاعل لك ولمن معك من المُسْتَضْعَفِينَ فرجاً ومخرجاً، فأنطلق إلى قومك»؛ قال: يا رسول الله، أتردني إلى المشركين يفتنونني في ديني؟ قال: «يا أبا بصير، انطلق، فإن الله تعالى سيجعل لك ولمن معك من المُسْتَضْعَفِينَ فرجاً ومخرجاً».

فانطلقَ معهما، حتى إذا كان بذي الحُلَيْفَةِ^(١)، جلس إلى جدار، وجلس معه صاحبا، فقال أبو بصير: أصارم سيفك هذا يا أبا بني عامر؟ فقال: نعم؛ قال: أنظر إليه؟ قال: انظر، إن شئت. قال: فاستلَّهُ أبو بصير، ثم علاه به حتى قتله، وخرج المولى سريعاً حتى أتى رسولَ الله ﷺ وهو جالس في المسجد، فلما رآه رسولُ الله ﷺ طالعاً، قال: إن هذا الرجل قد رأى فرجاً؛ فلما انتهى إلى رسول الله ﷺ، قال: «ويحك! ما لك؟» قال: قَتَلَ صاحبُكم صاحبي. فوالله ما برح حتى طلع أبو بصير متوشحاً بالسيف، حتى وقف على رسولِ الله ﷺ، فقال: يا رسول الله، وَفَتِ دِمَّتْكَ، وأذى الله عنك، أسلمتني بيد القوم وقد امتنعتُ بديني أن أفتن فيه، أو يُعَبِّثَ بي. قال: فقال رسول الله ﷺ: «ويل أمه مَحْشُ حَرْبٍ^(٢) لو كان معه رجال^(٣)!»

ثم خرج أبو بصير حتى نزل العيص، من ناحية ذي المَرْوَةِ، على ساحل البحر، بطريق قُرَيْش التي كانوا يأخذون عليها إلى الشام، وبلغ المسلمین الذين كانوا احتبسوا بمكة قولَ رسول الله ﷺ لأبي بصير: «وَيْلُ أُمِّهِ مَحْشُ حَرْبٍ لو كان معه رجال!» فخرجوا إلى أبي بصير بالعيص، فاجتمع إليه منهم قريب من سبعين رجلاً، وكانوا قد ضيقوا على قُرَيْش، لا يظفرون بأحد منهم إلا قتلوه، ولا تَمُرُّ بهم عِيرٌ إلا اقتطعوها، حتى كتبت قُرَيْش إلى رسول الله ﷺ تسأل بأرحامها إلا آواهم، فلا حاجة لهم بهم. فأواهم رسول الله ﷺ، فقدموا عليه المدينة^(٤).

قال ابن هشام: أبو بصير ثَقْفِي.

قال ابن إسحاق: فلما بلغ سُهَيْل بن عمرو قتلَ أبي بصير صاحبهم العامري، أسند ظهره إلى الكعبة، ثم قال: والله لا أؤخر ظهري عن الكعبة حتى يُودَى هذا الرجل؛ فقال أبو سفيان بن حرب: والله إن هذا لهو السَّفَه، والله لا يُودَى^(٥). فقال في ذلك مَوْهَب بن رياح أبو أنيس، حليف بني زُهرة، قال ابن هشام: أبو أنيس أشعري:-

أَتَانِي عَنْ سُهَيْلِ دَزْءٍ^(٦) قَوْلٍ
فَإِنْ تَكُنِ الْعِتَابُ تُرِيدُ مِنِّي
أَتُوعِدُنِي وَعَبْدُ مَنْفَ حَوْلِي
فَإِنْ تَغْمِزُ قَنَاتِي لَا تَجِدُنِي
فَأَيُّظَنِّي وَمَا بِي مِنْ رُقَادٍ
فَعَايَبُنِي فَمَا بَكَ مِنْ بَعَادِي
بِمَخْزُومِ الْهَفَا مَنْ تُعَادِي
ضَعِيفِ الْعُودِ فِي الْكُرْبِ الشَّدَادِ

(١) ميقات أهل المدينة. بينها وبين المدينة ستة أميال.

(٢) وفي الصحيح: ويل أمه مشعر حرب، ويقال حششت النار، وأزنتها، وأذكتها، وأثقلتها وسقرتها بمعنى واحد.

(٣) تاريخ الطبري ٢/٦٣٨، ٦٣٩، نهاية الأرب ١٧/٢٤٥، ٢٤٦.

(٤) تاريخ الطبري ٢/٦٣٩، نهاية الأرب ١٧/٢٤٦، ٢٤٧.

(٦) ذرء: طرف.

(٥) تاريخ الطبري ٢/٦٣٩.

أَسَامِي الْأَنْحَرَمِينَ أَبَا بَقْوَمِي
 هُمْ مَنَعُوا الظُّوَاهِرَ غَيْرَ شَكِّ
 بِكُلِّ طَيْرَةٍ وَبِكُلِّ نَهْدٍ
 لَهُمْ بِالْخَيْفِ قَدْ عَلِمَتْ مَعَدَّ
 فَأَجَابَهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنِ الزَّبْعَرِيِّ، فَقَالَ:
 وَأَمْسَى مَوْهَبَ كِحِمَارِ سَوْءٍ
 فَإِنَّ الْعَبْدَ مِثْلَكَ لَا يُنَاوِي
 فَأَقْصِرْ يَا بَنَ قَيْنِ السُّوءِ عَنْهُ
 وَلَا تَذْكَرْ عِتَابَ أَبِي يَزِيدٍ
 إِذَا وَطِئَ الضَّعِيفُ بِهِمْ أُرَادِي^(١)
 إِلَى حَيْثُ الْبَوَاطِنُ فَالْعَوَادِي
 سَوَاهِمَ قَدْ طُوبِينَ مِنَ الطُّرَادِ^(٢)
 رِوَاقِ الْمَجْدِ رُفِعَ بِالْعِمَادِ^(٣)
 أَجَازَ بِبَلَدَةٍ فِيهَا يُنَادِي
 سُهَيْلًا ضَلَّ سَعِيكَ مِنْ تُعَادِي^(٤)
 وَعَدُّ عَنِ الْمَقَالَةِ فِي الْبِلَادِ
 فَهَيْهَاتَ الْبُحُورِ مِنَ الثَّمَادِ^(٥)

أمر المهاجرات بعد الهدنة

قال ابن إسحاق: وهاجرت إلى رسول الله ﷺ أم كلثوم بنت عتبة بن أبي معيط في تلك المدة فخرج أخوها عمارة والوليد ابنا عتبة، حتى قديما على رسول الله ﷺ يسألانه أن يردها عليهما بالعهد الذي بينه وبين قريش في الحديبية، فلم يفعل، أبى الله ذلك.

قال ابن إسحاق: فحدثني الزهري، عن عروة بن الزبير، قال: دخلت عليه وهو يكتب كتاباً إلى ابن أبي هنيذة، صاحب الوليد بن عبد الملك، وكتب إليه يسأله عن قول الله تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمْ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ فَامْتَحِنُوهُنَّ اللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِنَّ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ لَا مِنْ حِلٍّ لَمَنْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ وَآثُوهُمْ مَا أَنْفَقُوا وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أَجْرَهُنَّ وَلَا تَنْسِكُوا بِعِصَمِ الْكُفَّارِ﴾ [الممتحنة: ١٠].

قال ابن هشام: واحدة العِصَمِ: عِضْمَةٌ، وهي العِجْلُ والسَّبَبُ. قال أعشى بني قيس بن ثعلبة:
 إِلَى الْمَرْءِ قَيْسِ نَطِيلِ السُّرَى
 وَنَأْخِذُ مِنْ كُلِّ حَيٍّ عِصَمِ
 وهذا البيت في قصيدة له.

﴿وَسْتَلُوا مَا أَنْفَقْتُمْ وَلَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِقَابٌ وَأَلَّهِ عِلْمُ حَكِيمٍ﴾ [الممتحنة: ١٠].

قال: فكتب إليه عروة بن الزبير: إن رسول الله ﷺ كان صالح قريشاً يوم الحديبية على أن يرده عليهم من جاء بغير إذن وليه؛ فلما هاجر النساء إلى رسول الله ﷺ وإلى الإسلام، أبى الله أن يردن إلى المشركين إذا هن امتحنن بمحنة الإسلام، ففرقوا أنهن إنما جئن رغبة في الإسلام، وأمر برد صدقاتهن إليهم إن احتبس عنهم، إن هم ردوا على المسلمين صدقات من حبسوا عنهم من نسائهم،

(١) أُرَادِي: أُرَامِي.

(٢) الطيرَة: الفرس السريعة. التهذ: الغليظ. طوبين: ضعفن. والطراد: الهجوم.

(٣) الخيف: موضع في بني الرواق: بيت كالخيمة يحمل على عمود طويل.

(٤) لا يناري: لا يُعَادِي.

(٥) الثماد: الماء القليل.

ذلك حكم الله يحكم بينكم، والله عليم حكيم. فأمسك رسول الله ﷺ النساء وردّ الرجال، وسأل الذي أمره الله به أن يسأل من صدقات نساء من حُبسوا منهنّ، وأن يردّوا عليهم مثل الذي يردّون عليهم، إن هم فعلوا، ولولا الذي حكم الله به من هذا الحكم لردّ رسول الله ﷺ النساء كما ردّ الرجال، ولولا الهدنة والعهد الذي كان بينه وبين قريش يوم الحديبية لأمسك النساء، ولم يردّ لهنّ صداقاً، وكذلك كان يصنع بمنّ جاءه من المسلمات قبل العهد.

قال ابن إسحاق: وسألت الزُّهري عن هذه الآية، وقول الله عزّ وجلّ فيها: ﴿وَإِنْ فَاتَكُمْ نِسَاءٌ مِنْ أَوْلِيَّتِكُمْ إِلَى الْكُفَّارِ فَأَقْبَرِيهِنَّ فَتَأْتُوا الذِّكْرَ ذَهَبَتْ أَرْوَاحُهُمْ يُنْزَلُ مَا أَنْفَقُوا وَأَنْفَقُوا اللَّهُ الَّذِي أَنْتُمْ بِهٖ مُؤْمِنُونَ ﴿١١﴾﴾ [المُتَحَنَّة: ١١] فقال: يقول: إن فات أحدكم منكم أهله إلى الكفار، ولم تأتكم امرأة تأخذون بها مثل الذي يأخذون منكم، فعوضوهم من فنيء إن أصبتموه؛ فلما نزلت هذه الآية: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمْ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ﴾ [المُتَحَنَّة: ١٠]... إلى قول الله عزّ وجلّ: ﴿وَلَا تَمْسِكُوا بِعَصَمِ الْكُفَّارِ﴾ [المُتَحَنَّة: ١٠]، كان ممن طلق عمر بن الخطاب، طلق امرأته قُريية بنت أبي أمية بن المغيرة، فتزوجها بعده مُعاوية بن أبي سفيان، وهما على شركهما بمكة، وأم كلثوم بنت جَزول أم عبيد الله بن عمر الخُزاعية، فتزوجها أبو جهم بن حُذيفة بن غانم، رجل من قومه، وهما على شركهما^(١).

بشرى فتح مكة: قال ابن هشام: حدثنا أبو عبيدة: أن بعض من كان مع رسول الله ﷺ قال له لما قدم المدينة: ألم تقل يا رسول الله إنك تدخل مكة آمناً؟ قال: «بلى، أفقلت لكم من عامي هذا؟ قالوا: لا، قال: «فهو كما قال لي جبريل ﷺ».

ذكر المسير إلى خيبر^(٢)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قال: حدثنا أبو محمد عبد الملك بن هشام قال: حدثنا زياد بن عبد البكائي عن محمد بن إسحاق المطلبي: ثم أقام رسول الله ﷺ بالمدينة حين رجع من الحديبية، ذا الحجة وبعض المحرم، وولي تلك الحجة المشركون^(٣). ثم خرج في بقية المحرم إلى خيبر.

قال ابن هشام: واستعمل على المدينة نُمَيْلَة بن عبد الله اللثيبي، ودفع الراية إلى علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وكانت بيضاء.

قال ابن إسحاق: فحدثني محمد بن إبراهيم بن الحارث التميمي عن أبي الهيثم بن نصر بن دُهر الأسلمي أن أباه حدثه: أنه سمع رسول الله ﷺ يقول في مسيره إلى خيبر لعامر بن الأكوع، وهو عم

(١) تاريخ الطبري ٦٤٠/٢.

(٢) انظر عن الغزوة في: الطبقات الكبرى ١٠٦/٢ - ١١٧، والمغازي ١٩٥، وتاريخ خليفة ٨٢، والمغازي للواقدي ٦٣٣/٢ - ٧٠٥، وتاريخ الطبري ٩/٣ - ١٦، وأنساب الأشراف ١/٣٥٢ رقم ٧٣٧، والبدء والتاريخ ٢٢٥/٤، والمحبر ١١٥، والكامل في التاريخ ٢/٢١٦ - ٢٢٤، ونهاية الأرب ١٧/٢٤٨ - ٢٦٦، وسيرة ابن كثير ٣/٣٤٤ - ٣٨٨، وتاريخ الإسلام (المغازي)، وعيون الأثر ٢/١٣٠ - ١٤٣، ومرآة الجنان ١/١١، والروض الأنف ٤/٥٩ - ٦٦، ومجمع الزوائد ١٤٧/١ - ١٥٥، وعيون التواريخ ١/١٦٤ - ٢٧٠، وانظر صحيح البخاري ٧٢/٥ - ٨٤.

(٣) تاريخ الطبري ٦٥٧/٢.

سَلْمَةُ بن عمرو بن الأكوْع، وكان اسم الأكوْع سِنَان: انزل يا بن الأكوْع، فحُذِّ لنا من هَنَاتِكَ^(١)، قال: فنزلَ يرتجز برسولِ الله ﷺ، فقال:

والله لَوْلَا اللهُ مَا اهْتَدَيْنَا
وَلَا تَصَدَّقْنَا وَلَا صَلَّيْنَا
إِنَّا إِذَا قَوْمٌ بَغَوْا عَلَيْنَا
وَأَرَادُوا فِتْنَةَ أَبِينَا
فَأَنْزَلْنَا سَكِينَةً عَلَيْنَا
وَتَبَّتِ الْأَقْدَامُ إِنْ لَاقَيْنَا^(٢)

فقال رسولُ الله ﷺ: «يرحمك الله»؛ فقال عمر بن الخطاب: وَجبت والله يا رسول الله، لو أمْتَعْتْنَا به! فقتل يوم خيبر شهيداً^(٣)، وكان قتله، فيما بلغني، أن سيفه رجع عليه وهو يُقاتِل، فكلمه كلماً شديداً، فمات منه؛ فكان المسلمون قد شكروا فيه، وقالوا: إنما قتله سلاحه، حتى سأل ابنُ أخيه سلمةُ بن عمرو بن الأكوْع رسولَ الله ﷺ عن ذلك، وأخبر بقول الناس، فقال رسولُ الله ﷺ: «إنه لشهيدٌ». وصلى عليه، فصلى عليه المسلمون.

قال ابن إسحاق: حدثني من لا أتهم، عن عطاء بن أبي مَرْزُوان الأسلمي، عن أبيه، عن أبي مُعْتَب بن عمرو: أن رسولَ الله ﷺ لما أشرف على خيبر قال لأصحابه، وأنا فيهم: «فَقُؤُوا»، ثم قال: «اللهم رب السموات وما أظللن ورب الأرضين وما أقلنن، ورب الشياطين وما أضللن، ورب الرياح وما أذرين فإننا نسألك خيرَ هذه القرية وخير أهلها وخير ما فيها، ونعوذ بك من شرها وشر أهلها وشر ما فيها، أقدموا بسم الله»^(٤). قال: وكان يقولها ﷺ لكل قرية دخلها.

قال ابن إسحاق: وحدثني من لا أتهم عن أنس بن مالك، قال: كان رسول الله ﷺ إذا غزا قوماً لم يُغز عليهم حتى يُصبح، فإن سمِع أذاناً أمسك، وإن لم يسمع أذاناً أغار. فنزلنا خيبر ليلاً، فبات رسول الله ﷺ، حتى إذا أصبح لم يسمع أذاناً، فركب وركبنا معه، فركبتُ خلف أبي طلحة، وإن

(١) هَنَاتِكَ: جمع الهنة: كناية عن كل شيء لا تعرف اسمه، أو تعرفه، فتكفي عنه، وأصل الهنة: هنة وهنوة. قال الشاعر:

على هنوات شأنها متتابع

وفي البخاري: أن رجلاً قال لابن الأكوْع: ألا تنزل فتسمعنا من هنيئاتك، صفه بالهاء، ولو صفه على لغة من قال هنوات لقال هنيئاتك، وإنما أراد - ﷺ - أن يحدو بهم، والإبل تُستحث بالحداء، ولا يكون الحداء إلا بشعر أو رجز. (الروض الأنف ٥٩، ٦٠).

(٢) انظر القول باختلاف الألفاظ في: الطبقات الكبرى ١١١/٢، وصحيح البخاري ٧٢/٥ في المغازي، ومناقب أمير المؤمنين علي للواسطي ١٢٩، وتاريخ الإسلام (المغازي)، ونهاية الأرب ٢٤٩/١٧، وشرح المواهب اللدنية ٢٦٢/٢، وعيون الأثر ١٣٠/٢، وعيون التواريخ ٢٦٤/١، والكامل في التاريخ ٢١٦/٢، والمغازي للواقدي ٦٣٨/٢ و٦٣٩، ومجمع الزوائد ١٤٨/٦.

(٣) تاريخ الإسلام (المغازي).

(٤) أخرج الترمذي حديثاً بنحو ألفاظ الدعاء في كتاب الدعوات (٣٥٨٩) باب ٩٦ قال: حدثنا محمد بن حاتم المؤدب، أخبرنا الحكم بن ظهير، أخبرنا علقمة بن مرثد، عن سليمان بن بريدة، عن أبيه قال: شكنا خالد بن الوليد المخزومي إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله ما أنام الليل من الأرق، فقال نبي الله ﷺ: «إذا أويت إلى فراشك فقل اللهم رب السموات السبع وما أظلت، ورب الأرضين وما أقلت، ورب الشياطين وما أضلت، كن لي جاراً من شر خلقك كلهم جميعاً أن يفرط علي أحد منهم أو أن يبغى. عز جارك وجل ثناؤك، ولا إله غيرك لا إله إلا أنت». هذا إسناد حديث ليس إسناده بالقوي. والحكم ابن ظهير قد ترك حديثه بعض أهل الحديث. ويروي هذا الحديث عن النبي ﷺ مرسل من غير هذا الوجه.

قَدَمِي لَتَمَسَّ قَدَمَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَاسْتَقْبَلْنَا عُمَالَ خَيْبَرَ غَادِينَ، قَدْ خَرَجُوا بِمَسَاحِيهِمْ وَمَكَاتِلِهِمْ^(١)، فَلَمَّا رَأَوْا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَالْجَيْشَ، قَالُوا: مُحَمَّدٌ وَالْخَمِيسُ^(٢) مَعَهُ! فَأَذْبَرُوا هُرَابًا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «اللَّهُ أَكْبَرُ، خَرِبَتْ خَيْبَرُ، إِنَّا إِذَا نَزَلْنَا بِسَاحَةِ قَوْمِ فِسَاءٍ صَبَاحَ الْمُنْدَرِينَ»^(٣).

قال ابن إسحاق: حدثنا هارون عن حميد، عن أنس بمثله.

قال ابن إسحاق: وكان رسولُ الله ﷺ حين خرج من المدينة إلى خيبر سلك على عِضْر^(٤)، فبني له فيها مسجدًا، ثم على الصَّهْبَاءِ^(٥)، ثم أقبل رسولُ الله ﷺ بجيشه، حتى نزل بوادٍ يقال له الرجيع، فنزل بينهم وبين غطفان، ليحول بينهم وبين أن يُمدوا أهل خيبر، وكانوا لهم مُظَاهِرِينَ على رسولِ الله ﷺ.

فبلغني أن غطفان لَمَّا سَمِعَتْ بِمَنْزِلِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنْ خَيْبَرَ جَمَعُوا لَهُ، ثُمَّ خَرَجُوا لِيُظَاهِرُوا يَهُودَ عَلَيْهِ، حَتَّى إِذَا سَارُوا مَنقَلَةً^(٦) سَمِعُوا خَلْفَهُمْ فِي أَمْوَالِهِمْ وَأَهْلِيهِمْ حَسًّا، ظَنُّوا أَنَّ الْقَوْمَ قَدْ خَالَفُوا إِلَيْهِمْ، فَرَجَعُوا عَلَى أَعْقَابِهِمْ، فَأَقَامُوا فِي أَهْلِيهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ، وَخَلُّوا بَيْنَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَبَيْنَ خَيْبَرَ^(٧).

وتدنى^(٨) رسولُ الله ﷺ الأموال يأخذها مالا مالا، ويفتحها حِضْنًا حِضْنًا، فكان أول حُصُونِهِمْ افْتَتَحَ حِضْنَ نَاعِمٍ، وَعِنْدَهُ قَتْلُ مُحَمَّدِ بْنِ مَسْلَمَةَ، أَلْقَيْتَ عَلَيْهِ مِنْهُ رِحًا فقتلته، ثم القموص، حِضْنَ بَنِي أَبِي الْحَقِيقِ، وَأَصَابَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنْهُمْ سَبَايَا، مِنْهُمْ صَفِيَّةُ بِنْتُ حَيِّ بْنِ أَخْطَبٍ، وَكَانَتْ عِنْدَ كِنَانَةَ بْنِ الرَّبِيعِ بْنِ أَبِي الْحَقِيقِ، وَبَنِي عَمِّ لَهَا؛ فاصطفى رسولُ الله ﷺ صَفِيَّةَ لِنَفْسِهِ.

وكان دِخِيَةَ بْنِ خَلِيفَةَ الْكَلْبِيِّ قَدْ سَأَلَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ صَفِيَّةَ، فَلَمَّا أَصْفَاهَا لِنَفْسِهِ أَعْطَاهَا ابْنَتِي عَمَّهَا، وَقَسَّتِ السَّبَايَا مِنْ خَيْبَرَ فِي الْمُسْلِمِينَ^(٩).

أشياء نهى عنها الرسول يوم خيبر: وأكل المسلمون لحوم الحُمُرِ الأهلِيَّةِ مِنْ حُمْرِهَا، فَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَتَهَى النَّاسَ عَنْ أُمُورِ سَمَاهَا لَهُمْ.

قال ابن إسحاق: فحدثني عبدُ الله بن عمرو بن ضَمْرَةَ الْفَزَارِيِّ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ ابْنِ أَبِي سَلَيْطٍ، عَنْ

(١) المساحي: مجارف الحديد. المكاتل: الفُفَّ الكبيرة.

(٢) الخميس: الجيش.

(٣) أخرج البخاري في المغازي (٧٣/٥) باب غزوة خيبر، قال: حدثنا عبد الله بن يوسف، أخبرنا مالك، عن حميد الطويل، عن أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ أتى خيبر ليلاً وكان إذا أتى قوماً بلبيل لم يُغز بهم حتى يُصبح فلما أصبح خرجت اليهود بمساحيهم ومكاتلهم فلما رأوه قالوا: محمد والله محمد والخميس. فقال النبي ﷺ: خربت خيبر إنا إذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين.

وانظر: نهاية الأرب ١٧/٢٥٠، ٢٥١، وتاريخ الإسلام (المغازي)، والطبقات لابن سعد ٢/١٠٩.

(٤) عِضْر: بكسر أوله، وسكون ثانيه، ورواه بعضهم بالتحريك، والأول أشهر وأكثر، وكل حصن يُستحصن به يقال له عِضْر. وهو جبل بين المدينة ووادي الفُزَع. (معجم البلدان ٤/١٢٨).

(٥) صهباء: اسم موضع بينه وبين خيبر روحة. (معجم البلدان ٣/٤٣٥).

(٦) منقلة: مرحلة. (٧) تاريخ الطبري ٣/٩.

(٨) تدنى: أي أخذ الأدنى فالأدنى. وفي تاريخ الطبري «وبدا».

(٩) تاريخ الطبري ٣/٩.

أبيه، قال: أتانا نهْيُ رسولِ الله ﷺ عن أكلِ لحومِ الحُمُرِ الإنسيَّة، والقُدورِ تُفُورِ بها، فكفَّناها على وجوهها^(١).

قال ابن إسحاق: وحدثني عبد الله بن أبي نجيح، عن مكحول: أن رسول الله ﷺ نهاهم يومئذٍ عن أربع: عن إتيانِ الجبالِ من السَّبايا، وعن أكلِ الحمارِ الأهلي، وعن أكلِ كلِّ ذي نابٍ من السباع، وعن بيعِ المغانمِ حتى تُقسَم^(٢).

قال ابن إسحاق: وحدثني سلامٌ بن كزكرة، عن عمرو بن دينار، عن جابر بن عبد الله الأنصاري، ولم يشهد جابر خيبر: أن رسولَ الله ﷺ حين نهَى الناسَ عن أكلِ لحومِ الحُمُرِ، أذن لهم في أكلِ لحومِ الخَيْلِ^(٣).

قال ابن إسحاق: وحدثني يزيد بن أبي حبيب، عن أبي مرزوق مولى ثُجيب، عن حنش الصنعاني، قال: غزونا مع رُوَيْفِعِ بنِ ثابتِ الأنصاريِ المغرب، فافتتَحَ قريةً من قُرَى المغربِ يقالُ لها جربة، فقام فينا خطيباً، فقال: يا أيها الناس، إني لا أقولُ فيكم إلا ما سمعتُ من رسولِ الله ﷺ يقوله فينا يومَ خيبر، قام فينا رسولُ الله ﷺ فقال: «لا يحلُّ لامرئٍ يؤمنُ باللهِ واليومِ الآخرِ أن يَسْقِيَ ماؤهُ

(١) أخرج البخاري في كتاب الخمس ٦١/٤ باب ما يصيب من الطعام في أرض الحرب، فقال: حدثنا موسى بن إسماعيل، حدثنا عبد الواحد، حدثنا الشيباني، قال: سمعت ابن أبي أوفى رضي الله عنهما يقول: أصابتنا مجاعة ليالي خيبر فلما كان يوم خيبر وقعنا في الحُمُرِ الأهلية فانتحرناها فلما غلت القُدور نادى منادي رسول الله ﷺ: اكفئوا القُدور فلا تطعموا من لحوم الحُمُرِ شيئاً. قال عبد الله: فقلنا إنما نهى النبي ﷺ لأنها لم تخمس. قال: وقال آخرون: حرّمها البتة. وسألت سعيد بن جبيرة فقال: حرّمها البتة.

وأخرج في كتاب النكاح ٣/٥، باب غزوة خيبر، قال: أخبرنا صدقة بن الفضل، أخبرنا ابن عُيينة، حدثنا أيوب، عن محمد بن سيرين، عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: صَبَحْنَا خيبرَ بُكرةً فخرج أهلها بالمساحي فلما أبصروا بالنبي ﷺ قالوا: محمد والله محمد والخميس. فقال النبي ﷺ: الله أكبر خربت خيبر إنا إذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين. فأصبنا من لحوم الحمر فنأدي منادي النبي ﷺ أن الله ورسوله ينهايكم عن لحوم الحمر فإنها رجس.

وأخرج من طريق عبد الله بن عبد الوهاب، حدثنا عبد الوهاب، حدثنا أيوب، عن محمد، عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ جاءه جاء فقال: أكلت الحُمُر. فسكت، ثم أتاه الثانية فقال: أكلت الحُمُر فسكت، ثم أتاه الثالثة فقال: أفئيت الحمر. فأمر منادياً فنأدي في الناس إن الله ورسوله ينهايكم عن لحوم الحمر الأهلية. فأكفئت القُدور وإنها لتفور باللحم. وفي كتاب النكاح ١٢٩/٦ باب نهى رسول الله ﷺ عن نكاح المتعة آخرأ. ومسلم في كتاب النكاح (٣٠) و(٣١) و(٣٢) و(٣٣) و(٣٤) و(٣٥) و(٣٦) و(٣٧) و(٣٨) و(٣٩) و(٤٠) و(٤١) و(٤٢) و(٤٣) و(٤٤) و(٤٥) و(٤٦) و(٤٧) و(٤٨) و(٤٩) و(٥٠) و(٥١) و(٥٢) و(٥٣) و(٥٤) و(٥٥) و(٥٦) و(٥٧) و(٥٨) و(٥٩) و(٦٠) و(٦١) و(٦٢) و(٦٣) و(٦٤) و(٦٥) و(٦٦) و(٦٧) و(٦٨) و(٦٩) و(٧٠) و(٧١) و(٧٢) و(٧٣) و(٧٤) و(٧٥) و(٧٦) و(٧٧) و(٧٨) و(٧٩) و(٨٠) و(٨١) و(٨٢) و(٨٣) و(٨٤) و(٨٥) و(٨٦) و(٨٧) و(٨٨) و(٨٩) و(٩٠) و(٩١) و(٩٢) و(٩٣) و(٩٤) و(٩٥) و(٩٦) و(٩٧) و(٩٨) و(٩٩) و(١٠٠) و(١٠١) و(١٠٢) و(١٠٣) و(١٠٤) و(١٠٥) و(١٠٦) و(١٠٧) و(١٠٨) و(١٠٩) و(١١٠) و(١١١) و(١١٢) و(١١٣) و(١١٤) و(١١٥) و(١١٦) و(١١٧) و(١١٨) و(١١٩) و(١٢٠) و(١٢١) و(١٢٢) و(١٢٣) و(١٢٤) و(١٢٥) و(١٢٦) و(١٢٧) و(١٢٨) و(١٢٩) و(١٣٠) و(١٣١) و(١٣٢) و(١٣٣) و(١٣٤) و(١٣٥) و(١٣٦) و(١٣٧) و(١٣٨) و(١٣٩) و(١٤٠) و(١٤١) و(١٤٢) و(١٤٣) و(١٤٤) و(١٤٥) و(١٤٦) و(١٤٧) و(١٤٨) و(١٤٩) و(١٥٠) و(١٥١) و(١٥٢) و(١٥٣) و(١٥٤) و(١٥٥) و(١٥٦) و(١٥٧) و(١٥٨) و(١٥٩) و(١٦٠) و(١٦١) و(١٦٢) و(١٦٣) و(١٦٤) و(١٦٥) و(١٦٦) و(١٦٧) و(١٦٨) و(١٦٩) و(١٧٠) و(١٧١) و(١٧٢) و(١٧٣) و(١٧٤) و(١٧٥) و(١٧٦) و(١٧٧) و(١٧٨) و(١٧٩) و(١٨٠) و(١٨١) و(١٨٢) و(١٨٣) و(١٨٤) و(١٨٥) و(١٨٦) و(١٨٧) و(١٨٨) و(١٨٩) و(١٩٠) و(١٩١) و(١٩٢) و(١٩٣) و(١٩٤) و(١٩٥) و(١٩٦) و(١٩٧) و(١٩٨) و(١٩٩) و(٢٠٠) و(٢٠١) و(٢٠٢) و(٢٠٣) و(٢٠٤) و(٢٠٥) و(٢٠٦) و(٢٠٧) و(٢٠٨) و(٢٠٩) و(٢١٠) و(٢١١) و(٢١٢) و(٢١٣) و(٢١٤) و(٢١٥) و(٢١٦) و(٢١٧) و(٢١٨) و(٢١٩) و(٢٢٠) و(٢٢١) و(٢٢٢) و(٢٢٣) و(٢٢٤) و(٢٢٥) و(٢٢٦) و(٢٢٧) و(٢٢٨) و(٢٢٩) و(٢٣٠) و(٢٣١) و(٢٣٢) و(٢٣٣) و(٢٣٤) و(٢٣٥) و(٢٣٦) و(٢٣٧) و(٢٣٨) و(٢٣٩) و(٢٤٠) و(٢٤١) و(٢٤٢) و(٢٤٣) و(٢٤٤) و(٢٤٥) و(٢٤٦) و(٢٤٧) و(٢٤٨) و(٢٤٩) و(٢٥٠) و(٢٥١) و(٢٥٢) و(٢٥٣) و(٢٥٤) و(٢٥٥) و(٢٥٦) و(٢٥٧) و(٢٥٨) و(٢٥٩) و(٢٦٠) و(٢٦١) و(٢٦٢) و(٢٦٣) و(٢٦٤) و(٢٦٥) و(٢٦٦) و(٢٦٧) و(٢٦٨) و(٢٦٩) و(٢٧٠) و(٢٧١) و(٢٧٢) و(٢٧٣) و(٢٧٤) و(٢٧٥) و(٢٧٦) و(٢٧٧) و(٢٧٨) و(٢٧٩) و(٢٨٠) و(٢٨١) و(٢٨٢) و(٢٨٣) و(٢٨٤) و(٢٨٥) و(٢٨٦) و(٢٨٧) و(٢٨٨) و(٢٨٩) و(٢٩٠) و(٢٩١) و(٢٩٢) و(٢٩٣) و(٢٩٤) و(٢٩٥) و(٢٩٦) و(٢٩٧) و(٢٩٨) و(٢٩٩) و(٣٠٠) و(٣٠١) و(٣٠٢) و(٣٠٣) و(٣٠٤) و(٣٠٥) و(٣٠٦) و(٣٠٧) و(٣٠٨) و(٣٠٩) و(٣١٠) و(٣١١) و(٣١٢) و(٣١٣) و(٣١٤) و(٣١٥) و(٣١٦) و(٣١٧) و(٣١٨) و(٣١٩) و(٣٢٠) و(٣٢١) و(٣٢٢) و(٣٢٣) و(٣٢٤) و(٣٢٥) و(٣٢٦) و(٣٢٧) و(٣٢٨) و(٣٢٩) و(٣٣٠) و(٣٣١) و(٣٣٢) و(٣٣٣) و(٣٣٤) و(٣٣٥) و(٣٣٦) و(٣٣٧) و(٣٣٨) و(٣٣٩) و(٣٤٠) و(٣٤١) و(٣٤٢) و(٣٤٣) و(٣٤٤) و(٣٤٥) و(٣٤٦) و(٣٤٧) و(٣٤٨) و(٣٤٩) و(٣٥٠) و(٣٥١) و(٣٥٢) و(٣٥٣) و(٣٥٤) و(٣٥٥) و(٣٥٦) و(٣٥٧) و(٣٥٨) و(٣٥٩) و(٣٦٠) و(٣٦١) و(٣٦٢) و(٣٦٣) و(٣٦٤) و(٣٦٥) و(٣٦٦) و(٣٦٧) و(٣٦٨) و(٣٦٩) و(٣٧٠) و(٣٧١) و(٣٧٢) و(٣٧٣) و(٣٧٤) و(٣٧٥) و(٣٧٦) و(٣٧٧) و(٣٧٨) و(٣٧٩) و(٣٨٠) و(٣٨١) و(٣٨٢) و(٣٨٣) و(٣٨٤) و(٣٨٥) و(٣٨٦) و(٣٨٧) و(٣٨٨) و(٣٨٩) و(٣٩٠) و(٣٩١) و(٣٩٢) و(٣٩٣) و(٣٩٤) و(٣٩٥) و(٣٩٦) و(٣٩٧) و(٣٩٨) و(٣٩٩) و(٤٠٠) و(٤٠١) و(٤٠٢) و(٤٠٣) و(٤٠٤) و(٤٠٥) و(٤٠٦) و(٤٠٧) و(٤٠٨) و(٤٠٩) و(٤١٠) و(٤١١) و(٤١٢) و(٤١٣) و(٤١٤) و(٤١٥) و(٤١٦) و(٤١٧) و(٤١٨) و(٤١٩) و(٤٢٠) و(٤٢١) و(٤٢٢) و(٤٢٣) و(٤٢٤) و(٤٢٥) و(٤٢٦) و(٤٢٧) و(٤٢٨) و(٤٢٩) و(٤٣٠) و(٤٣١) و(٤٣٢) و(٤٣٣) و(٤٣٤) و(٤٣٥) و(٤٣٦) و(٤٣٧) و(٤٣٨) و(٤٣٩) و(٤٤٠) و(٤٤١) و(٤٤٢) و(٤٤٣) و(٤٤٤) و(٤٤٥) و(٤٤٦) و(٤٤٧) و(٤٤٨) و(٤٤٩) و(٤٥٠) و(٤٥١) و(٤٥٢) و(٤٥٣) و(٤٥٤) و(٤٥٥) و(٤٥٦) و(٤٥٧) و(٤٥٨) و(٤٥٩) و(٤٦٠) و(٤٦١) و(٤٦٢) و(٤٦٣) و(٤٦٤) و(٤٦٥) و(٤٦٦) و(٤٦٧) و(٤٦٨) و(٤٦٩) و(٤٧٠) و(٤٧١) و(٤٧٢) و(٤٧٣) و(٤٧٤) و(٤٧٥) و(٤٧٦) و(٤٧٧) و(٤٧٨) و(٤٧٩) و(٤٨٠) و(٤٨١) و(٤٨٢) و(٤٨٣) و(٤٨٤) و(٤٨٥) و(٤٨٦) و(٤٨٧) و(٤٨٨) و(٤٨٩) و(٤٩٠) و(٤٩١) و(٤٩٢) و(٤٩٣) و(٤٩٤) و(٤٩٥) و(٤٩٦) و(٤٩٧) و(٤٩٨) و(٤٩٩) و(٥٠٠) و(٥٠١) و(٥٠٢) و(٥٠٣) و(٥٠٤) و(٥٠٥) و(٥٠٦) و(٥٠٧) و(٥٠٨) و(٥٠٩) و(٥١٠) و(٥١١) و(٥١٢) و(٥١٣) و(٥١٤) و(٥١٥) و(٥١٦) و(٥١٧) و(٥١٨) و(٥١٩) و(٥٢٠) و(٥٢١) و(٥٢٢) و(٥٢٣) و(٥٢٤) و(٥٢٥) و(٥٢٦) و(٥٢٧) و(٥٢٨) و(٥٢٩) و(٥٣٠) و(٥٣١) و(٥٣٢) و(٥٣٣) و(٥٣٤) و(٥٣٥) و(٥٣٦) و(٥٣٧) و(٥٣٨) و(٥٣٩) و(٥٤٠) و(٥٤١) و(٥٤٢) و(٥٤٣) و(٥٤٤) و(٥٤٥) و(٥٤٦) و(٥٤٧) و(٥٤٨) و(٥٤٩) و(٥٥٠) و(٥٥١) و(٥٥٢) و(٥٥٣) و(٥٥٤) و(٥٥٥) و(٥٥٦) و(٥٥٧) و(٥٥٨) و(٥٥٩) و(٥٦٠) و(٥٦١) و(٥٦٢) و(٥٦٣) و(٥٦٤) و(٥٦٥) و(٥٦٦) و(٥٦٧) و(٥٦٨) و(٥٦٩) و(٥٧٠) و(٥٧١) و(٥٧٢) و(٥٧٣) و(٥٧٤) و(٥٧٥) و(٥٧٦) و(٥٧٧) و(٥٧٨) و(٥٧٩) و(٥٨٠) و(٥٨١) و(٥٨٢) و(٥٨٣) و(٥٨٤) و(٥٨٥) و(٥٨٦) و(٥٨٧) و(٥٨٨) و(٥٨٩) و(٥٩٠) و(٥٩١) و(٥٩٢) و(٥٩٣) و(٥٩٤) و(٥٩٥) و(٥٩٦) و(٥٩٧) و(٥٩٨) و(٥٩٩) و(٦٠٠) و(٦٠١) و(٦٠٢) و(٦٠٣) و(٦٠٤) و(٦٠٥) و(٦٠٦) و(٦٠٧) و(٦٠٨) و(٦٠٩) و(٦١٠) و(٦١١) و(٦١٢) و(٦١٣) و(٦١٤) و(٦١٥) و(٦١٦) و(٦١٧) و(٦١٨) و(٦١٩) و(٦٢٠) و(٦٢١) و(٦٢٢) و(٦٢٣) و(٦٢٤) و(٦٢٥) و(٦٢٦) و(٦٢٧) و(٦٢٨) و(٦٢٩) و(٦٣٠) و(٦٣١) و(٦٣٢) و(٦٣٣) و(٦٣٤) و(٦٣٥) و(٦٣٦) و(٦٣٧) و(٦٣٨) و(٦٣٩) و(٦٤٠) و(٦٤١) و(٦٤٢) و(٦٤٣) و(٦٤٤) و(٦٤٥) و(٦٤٦) و(٦٤٧) و(٦٤٨) و(٦٤٩) و(٦٥٠) و(٦٥١) و(٦٥٢) و(٦٥٣) و(٦٥٤) و(٦٥٥) و(٦٥٦) و(٦٥٧) و(٦٥٨) و(٦٥٩) و(٦٦٠) و(٦٦١) و(٦٦٢) و(٦٦٣) و(٦٦٤) و(٦٦٥) و(٦٦٦) و(٦٦٧) و(٦٦٨) و(٦٦٩) و(٦٧٠) و(٦٧١) و(٦٧٢) و(٦٧٣) و(٦٧٤) و(٦٧٥) و(٦٧٦) و(٦٧٧) و(٦٧٨) و(٦٧٩) و(٦٨٠) و(٦٨١) و(٦٨٢) و(٦٨٣) و(٦٨٤) و(٦٨٥) و(٦٨٦) و(٦٨٧) و(٦٨٨) و(٦٨٩) و(٦٩٠) و(٦٩١) و(٦٩٢) و(٦٩٣) و(٦٩٤) و(٦٩٥) و(٦٩٦) و(٦٩٧) و(٦٩٨) و(٦٩٩) و(٧٠٠) و(٧٠١) و(٧٠٢) و(٧٠٣) و(٧٠٤) و(٧٠٥) و(٧٠٦) و(٧٠٧) و(٧٠٨) و(٧٠٩) و(٧١٠) و(٧١١) و(٧١٢) و(٧١٣) و(٧١٤) و(٧١٥) و(٧١٦) و(٧١٧) و(٧١٨) و(٧١٩) و(٧٢٠) و(٧٢١) و(٧٢٢) و(٧٢٣) و(٧٢٤) و(٧٢٥) و(٧٢٦) و(٧٢٧) و(٧٢٨) و(٧٢٩) و(٧٣٠) و(٧٣١) و(٧٣٢) و(٧٣٣) و(٧٣٤) و(٧٣٥) و(٧٣٦) و(٧٣٧) و(٧٣٨) و(٧٣٩) و(٧٤٠) و(٧٤١) و(٧٤٢) و(٧٤٣) و(٧٤٤) و(٧٤٥) و(٧٤٦) و(٧٤٧) و(٧٤٨) و(٧٤٩) و(٧٥٠) و(٧٥١) و(٧٥٢) و(٧٥٣) و(٧٥٤) و(٧٥٥) و(٧٥٦) و(٧٥٧) و(٧٥٨) و(٧٥٩) و(٧٦٠) و(٧٦١) و(٧٦٢) و(٧٦٣) و(٧٦٤) و(٧٦٥) و(٧٦٦) و(٧٦٧) و(٧٦٨) و(٧٦٩) و(٧٧٠) و(٧٧١) و(٧٧٢) و(٧٧٣) و(٧٧٤) و(٧٧٥) و(٧٧٦) و(٧٧٧) و(٧٧٨) و(٧٧٩) و(٧٨٠) و(٧٨١) و(٧٨٢) و(٧٨٣) و(٧٨٤) و(٧٨٥) و(٧٨٦) و(٧٨٧) و(٧٨٨) و(٧٨٩) و(٧٩٠) و(٧٩١) و(٧٩٢) و(٧٩٣) و(٧٩٤) و(٧٩٥) و(٧٩٦) و(٧٩٧) و(٧٩٨) و(٧٩٩) و(٨٠٠) و(٨٠١) و(٨٠٢) و(٨٠٣) و(٨٠٤) و(٨٠٥) و(٨٠٦) و(٨٠٧) و(٨٠٨) و(٨٠٩) و(٨١٠) و(٨١١) و(٨١٢) و(٨١٣) و(٨١٤) و(٨١٥) و(٨١٦) و(٨١٧) و(٨١٨) و(٨١٩) و(٨٢٠) و(٨٢١) و(٨٢٢) و(٨٢٣) و(٨٢٤) و(٨٢٥) و(٨٢٦) و(٨٢٧) و(٨٢٨) و(٨٢٩) و(٨٣٠) و(٨٣١) و(٨٣٢) و(٨٣٣) و(٨٣٤) و(٨٣٥) و(٨٣٦) و(٨٣٧) و(٨٣٨) و(٨٣٩) و(٨٤٠) و(٨٤١) و(٨٤٢) و(٨٤٣) و(٨٤٤) و(٨٤٥) و(٨٤٦) و(٨٤٧) و(٨٤٨) و(٨٤٩) و(٨٥٠) و(٨٥١) و(٨٥٢) و(٨٥٣) و(٨٥٤) و(٨٥٥) و(٨٥٦) و(٨٥٧) و(٨٥٨) و(٨٥٩) و(٨٦٠) و(٨٦١) و(٨٦٢) و(٨٦٣) و(٨٦٤) و(٨٦٥) و(٨٦٦) و(٨٦٧) و(٨٦٨) و(٨٦٩) و(٨٧٠) و(٨٧١) و(٨٧٢) و(٨٧٣) و(٨٧٤) و(٨٧٥) و(٨٧٦) و(٨٧٧) و(٨٧٨) و(٨٧٩) و(٨٨٠) و(٨٨١) و(٨٨٢) و(٨٨٣) و(٨٨٤) و(٨٨٥) و(٨٨٦) و(٨٨٧) و(٨٨٨) و(٨٨٩) و(٨٩٠) و(٨٩١) و(٨٩٢) و(٨٩٣) و(٨٩٤) و(٨٩٥) و(٨٩٦) و(٨٩٧) و(٨٩٨) و(٨٩٩) و(٩٠٠) و(٩٠١) و(٩٠٢) و(٩٠٣) و(٩٠٤) و(٩٠٥) و(٩٠٦) و(٩٠٧) و(٩٠٨) و(٩٠٩) و(٩١٠) و(٩١١) و(٩١٢) و(٩١٣) و(٩١٤) و(٩١٥) و(٩١٦) و(٩١٧) و(٩١٨) و(٩١٩) و(٩٢٠) و(٩٢١) و(٩٢٢) و(٩٢٣) و(٩٢٤) و(٩٢٥) و(٩٢٦) و(٩٢٧) و(٩٢٨) و(٩٢٩) و(٩٣٠) و(٩٣١) و(٩٣٢) و(٩٣٣) و(٩٣٤) و(٩٣٥) و(٩٣٦) و(٩٣٧) و(٩٣٨) و(٩٣٩) و(٩٤٠) و(٩٤١) و(٩٤٢) و(٩٤٣) و(٩٤٤) و(٩٤٥) و(٩٤٦) و(٩٤٧) و(٩٤٨) و(٩٤٩) و(٩٥٠) و(٩٥١) و(٩٥٢) و(٩٥٣) و(٩٥٤) و(٩٥٥) و(٩٥٦) و(٩٥٧) و(٩٥٨) و(٩٥٩) و(٩٦٠) و(٩٦١) و(٩٦٢) و(٩٦٣) و(٩٦٤) و(٩٦٥) و(٩٦٦) و(٩٦٧) و(٩٦٨) و(٩٦٩) و(٩٧٠) و(٩٧١) و(٩٧٢) و(٩٧٣) و(٩٧٤) و(٩٧٥) و(٩٧٦) و(٩٧٧) و(٩٧٨) و(٩٧٩) و(٩٨٠) و(٩٨١) و(٩٨٢) و(٩٨٣) و(٩٨٤) و(٩٨٥) و(٩٨٦) و(٩٨٧) و(٩٨٨) و(٩٨٩) و(٩٩٠) و(٩٩١) و(٩٩٢) و(٩٩٣) و(٩٩٤) و(٩٩٥) و(٩٩٦) و(٩٩٧) و(٩٩٨) و(٩٩٩) و(١٠٠٠) و(١٠٠١) و(١٠٠٢) و(١٠٠٣) و(١٠٠٤) و(١٠٠٥) و(١٠٠٦) و(١٠٠٧) و(١٠٠٨) و(١٠٠٩) و(١٠١٠) و(١٠١١) و(١٠١٢) و(١٠١٣) و(١٠١٤) و(١٠١٥) و(١٠١٦) و(١٠١٧) و(١٠١٨) و(١٠١٩) و(١٠٢٠) و(١٠٢١) و(١٠٢٢) و(١٠٢٣) و(١٠٢٤) و(١٠٢٥) و(١٠٢٦) و(١٠٢٧) و(١٠٢٨) و(١٠٢٩) و(١٠٣٠) و(١٠٣١) و(١٠٣٢) و(١٠٣٣) و(١٠٣٤) و(١٠٣٥) و(١٠٣٦) و(١٠٣٧) و(١٠٣٨) و(١٠٣٩) و(١٠٤٠) و(١٠٤١) و(١٠٤٢) و(١٠٤٣) و(١٠٤٤) و(١٠٤٥) و(١٠٤٦) و(١٠٤٧) و(١٠٤٨) و(١٠٤٩) و(١٠٥٠) و(١٠٥١) و(١٠٥٢) و(١٠٥٣) و(١٠٥٤) و(١٠٥٥) و(١٠٥٦) و(١٠٥٧) و(١٠٥٨) و(١٠٥٩) و(١٠٦٠) و(١٠٦١) و(١٠٦٢) و(١٠٦٣) و(١٠٦٤) و(١٠٦٥) و(١٠٦٦) و(١٠٦٧) و(١٠٦٨) و(١٠٦٩) و(١٠٧٠) و(١٠٧١) و(١٠٧٢) و(١٠٧٣) و(١٠٧٤) و(١٠٧٥) و(١٠٧٦) و(١٠٧٧) و(١٠٧٨) و(١٠٧٩) و(١٠٨٠) و(١٠٨١) و(١٠٨٢) و(١٠٨٣) و(١٠٨٤) و(١٠٨٥) و(١٠٨٦) و(١٠٨٧) و(١٠٨٨) و(١٠٨٩) و(١٠٩٠) و(١٠٩١) و(١٠٩٢) و(١٠٩٣) و(١٠٩٤) و(١٠٩٥) و(١٠٩٦) و(١٠٩٧) و(١٠٩٨) و(١٠٩٩) و(١١٠٠) و(١١٠١) و(١١٠٢) و(١١٠٣) و(١١٠٤) و(١١٠٥) و(١١٠٦) و(١١٠٧) و(١١٠٨) و(١١٠٩) و(١١١٠) و(١١١١) و(١١١٢) و(١١١٣) و(١١١٤) و(١١١٥) و(١١١٦) و(١١١٧) و(١١١٨) و(١١١٩) و(١١٢٠) و(١١٢١) و(١١٢٢) و(١١٢٣) و(١١٢٤) و(١١٢٥) و(١١٢٦) و(١١٢٧) و(١١٢٨) و(١١٢٩) و(١١٣٠) و(١١٣١) و(١١٣٢) و(١١٣٣) و(١١٣٤) و(١١٣٥) و(١١٣٦) و(١١٣٧) و(١١٣٨) و(١١٣٩) و(١١٤٠) و(١١٤١) و(١١٤٢) و(١١٤٣) و(١١٤٤) و(١١٤٥) و(١١٤٦) و(١١٤٧) و(١١٤٨) و(١١٤٩) و(١١٥٠) و(١١٥١) و(١١٥٢) و(١١٥٣) و(١١٥٤) و(١١٥٥) و(١١٥٦) و(١١٥٧) و(١١٥٨) و(١١٥٩) و(١١٦٠) و(١١٦١) و(١١٦٢) و(١١٦٣) و(١١٦٤) و(١١٦٥) و(١١٦٦) و(١١٦٧) و(١١٦٨) و(١١٦٩) و(١١٧٠) و(١١٧١) و(١١٧٢) و(١١٧٣) و(١١٧٤) و(١١٧٥) و(١١٧٦) و(١١٧٧) و(١١٧٨) و(١١٧٩) و(١١٨٠) و(١١٨١) و(١١٨٢) و(١١٨٣) و(١١٨٤) و(١١٨٥) و(١١٨٦) و(١١٨٧) و(١١٨٨) و(١١٨٩) و(١١٩٠) و(١١٩١) و(١١٩٢) و(١١٩٣) و(١١٩٤) و(١١٩٥) و(١١٩٦) و(١١٩٧) و(١١٩٨) و(١١٩٩) و(١٢٠٠) و(١٢٠١) و(١٢٠٢) و(١٢٠٣) و(١٢٠٤) و(١٢٠٥) و(١٢٠٦) و(١٢٠٧) و(١٢٠٨) و(١٢٠٩) و(١٢١٠) و(١٢١١) و(١٢١٢) و(١٢١٣) و(١٢١٤) و(١٢١٥) و(١٢١٦) و(١٢١٧) و(١٢١٨) و(١٢١٩) و(١٢٢٠) و(١٢٢١) و(١٢٢٢) و(١٢٢٣) و(١٢٢٤) و(١٢٢٥) و(١٢٢٦) و(١٢٢٧) و(١٢٢٨) و(١٢٢٩) و(١٢٣٠) و(١٢٣١) و(١٢٣٢) و(١٢٣٣) و(١٢

زرع غيره، يعني إتيانَ الحبالى من السبايا، ولا يحل لامرئ يؤمن بالله واليوم الآخر أن يُصيب امرأة من السبي حتى يستبرئها، ولا يحل لامرئ يؤمن بالله واليوم الآخر أن يبيع مَغْنَمًا حتى يقسم، ولا يحل لامرئ يؤمن بالله واليوم الآخر أن يركب دابةً من فئء المسلمين حتى إذا أعجفها ردها فيه، ولا يحل لامرئ يؤمن بالله واليوم الآخر أن يلبس ثوباً من فئء المسلمين حتى إذا أخلقه رده فيه^(١).

قال ابن إسحاق: وحدثني يزيد بن عبد الله بن قُسيط، أنه حدث عن عبادة بن الصامت، قال: نهانا رسول الله ﷺ يوم خيبر عن أن تبيع أو تبتاع تبر الذهب بالذهب العين، وتبر الفضة بالورق العين؛ وقال: «ابتاعوا تبر الذهب بالورق العين، وتبر الفضة بالذهب العين»^(٢).

قال ابن إسحاق: ثم جعل رسول الله ﷺ يتدنى الحصون والأموال.

بنو سهم: فحدثني عبد الله بن أبي بكر أنه حدثه بعض أسلم: أن بني سهم من أسلم أتوا رسول الله ﷺ، فقالوا: والله يا رسول الله لقد جهدنا وما بأيدينا من شيء؛ فلم يجدوا عند رسول الله ﷺ شيئاً يُعطيهم إياه؛ فقال: «اللهم إنك قد عرفت حالهم وأن لئست بهم قوة، وأن ليس بيدي شيء أعطيهم إياه، فافتح عليهم أعظم حصونها عنهم غناء، وأكثرها طعاماً وودكاً». فغدا الناس، ففتح الله عز وجل حصن الصُعب ابن مُعاذ، وما بخيبر حصن كان أكثر طعاماً وودكاً منه^(٣).

مقتل مرحب: قال ابن إسحاق: ولما افتتح رسول الله ﷺ من حصونهم ما افتتح، وحاز من

(١) الحديث أخرجه أبو داود في كتاب النكاح (٢١٥٨) باب في وطء السبايا، عن النفيلى، عن محمد بن سلمة، عن محمد بن إسحاق، عن يزيد بن أبي حبيب، عن أبي مرزوق، عن حنش الصنعاني، عن رويغ بن ثابت الأنصاري، قال: قام فينا خطيباً، قال: أما إنني لا ألو لكم إلا ما سمعت رسول الله ﷺ يقول يوم حنين قال: «لا يحل لامرئ يؤمن بالله واليوم الآخر أن يسقي ماؤه زرع غيره» يعني إتيان الحبالى، «ولا يحل لامرئ يؤمن بالله واليوم الآخر أن يقع على امرأة من السبي حتى يستبرئها، ولا يحل لامرئ يؤمن بالله واليوم الآخر أن يبيع مَغْنَمًا حتى يقسم». و(٢١٥٩) حدثنا سعيد بن منصور، حدثنا أبو معاوية، عن ابن إسحاق، بهذا الحديث، قال: «حتى يستبرئها بحيضة» زاد فيه «بحيضة» وهو وهم من أبي معاوية. وهو صحيح في حديث أبي سعيد، زاد «ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يركب دابةً من فئء المسلمين حتى إذا أعجفها ردها فيه، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يلبس ثوباً من فئء المسلمين حتى إذا أخلقه رده فيه» قال أبو داود: الحيضة ليست بمحفوظة. وهو وهم من أبي معاوية. وأخرج الترمذي في النكاح (١١٤٠) باب الرجل يشتري الجارية وهي حامل، قال: حدثنا عمر بن حفص الشيباني البصري، أخبرنا عبد الله بن وهب. أخبرنا يحيى بن أيوب، عن ربيعة بن سليم، عن بسر بن عبيد الله، عن رويغ بن ثابت، عن النبي ﷺ قال: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يسق ماءه ولد غيره». وقال: هذا حديث حسن. وقد روي من غير وجه عن رويغ بن ثابت. والعمل على هذا عند أهل العلم، لا يرون للرجل، إذا اشترى جارية وهي حامل، أن يطأها حتى تضع. وفي الباب عن ابن عباس وأبي الدرداء، والعرباض بن سارية، وأبي سعيد. ورواه بسنده ونصه أحمد في المسند ١٠٨/٤ و١٠٩.

(٢) أخرجه أبو داود في كتاب البيوع (٣٣٤٩) باب في الصرف، حدثنا الحسن بن علي، حدثنا بشر بن عمر، حدثنا همام، عن قتادة، عن أبي الخليل، عن مسلم المكي، عن أبي الأشعث الصنعاني، عن عبادة بن الصامت، أن رسول الله ﷺ قال: «الذهب بالذهب تبرها وعينها. والفضة بالفضة تبرها وعينها، والبر بالبر مُدِّي مُدِّي، والملح بالملح مدي بمدِّي، فمن زاد أو ازداد فقد أربى، ولا بأس ببيع الذهب بالفضة، والفضة أكثرهما يداً بيد، وأما نسيئه فلا». وأخرج النسائي نحوه في كتاب البيوع ٧/٢٧٤ و٢٧٥ باب يبيع البر بالبر. وفي باب يبيع الشعير بالشعير. من طريق قتادة، عن أبي الخليل، عن مسلم المكي، عن أبي الأشعث الصنعاني عن عبادة بن الصامت قال: قال رسول الله ﷺ: «الذهب بالذهب تبره وعينه وزناً بوزن والفضة بالفضة تبره وعينه وزناً بوزن».

(٣) تاريخ الطبري ١٠/٣.

الأموال ما حاز، انتهوا إلى حصنهم الوطّيح والسّلام، وكان آخر حصون أهل خيبر افتتاحاً، فحاصرهم رسول الله ﷺ بضع عشرة ليلة^(١).

قال ابن هشام: وكان شعار أصحاب رسول الله ﷺ يوم خيبر: يا منصور، أمت أمت.

قال ابن إسحاق: فحدثني عبد الله بن سهل بن عبد الرحمن بن سهل، أخو بني حارثة، عن جابر بن عبد الله، قال: خرج مَرَّحِبُ اليهودي من حصنهم، قد جمع سلاحه، يرتجز وهو يقول:

قد عَلِمْتُ خَيْبِرُ أَتَيْ مَرْحَبُ شَاكِي السُّلَاحِ بَطَلٌ مُجَرَّبُ
أَطْعُنُ أُخْيَاناً وَجِيناً أَضْرِبُ إِذَا اللَّيْثُ أَقْبَلَتْ تَحْرَبُ^(٢)
إِنْ جِمَايَ لِلْجِمَى لَا يُقْرَبُ

وهو يقول: [هل]^(٣) من يُبارز؟ فأجابه كعب بن مالك، فقال:

قد عَلِمْتُ خَيْبِرُ أَتَيْ كَعْبُ مَفْرُجُ الْعَمَى جَرِيءٌ صُلْبُ
إِذْ شَبَّتْ الْحَرْبُ تَلَّتْهَا الْحَرْبُ مَعِيَ حُسَامٌ كَالْعَقِيقِ عَضْبُ
نَطَوُّكُمْ حَتَّى يَذِلَّ الصُّغْبُ نُعْطِي الْجَزَاءَ أَوْ يَفِيءُ النَّهْبُ
بَكَفٍ مَاضٍ لَيْسَ فِيهِ عَثْبُ

قال ابن هشام: أنشدني أبو زيد الأنصاري:

قد عَلِمْتُ خَيْبِرُ أَتَيْ كَعْبُ وَأَنْبِي مَتَى تُشَبُّ الْحَرْبُ
مَاضٍ عَلَى الْهَوْلِ جَرِيءٌ صُلْبُ مَعِيَ حُسَامٌ كَالْعَقِيقِ عَضْبُ
بَكَفٍ مَاضٍ لَيْسَ فِيهِ عَثْبُ نَدُّكُمْ حَتَّى يَذِلَّ الصُّغْبُ

قال ابن هشام: ومَرَّحِبُ من جَمِير.

قال ابن إسحاق: فحدثني عبد الله بن سهل، عن جابر بن عبد الله الأنصاري، قال: فقال رسول الله ﷺ: من لهذا؟ قال محمد بن مسلمة: أنا له يا رسول الله، أنا والله المَوتور الثائر، قُتِلَ أَخِي بِالْأَمْسِ؛ فقال: فقم إليه، اللهم أعنه عليه. قال: فلما دنا أحدهما من صاحبه، دخلت بينهما شجرة عُمرية^(٤) من شجر العُسر^(٥)، فجعل أحدهما يلوذ بها من صاحبه، كلُّما لاذ بها منه اقتطع صاحبه بسيفه ما دونه منها، حتى برز كل واحد منهما لصاحبه، وصارت بينهما كالرَّجل القائم، ما فيها فنن، ثم حمل مَرَّحِبُ على محمد بن مسلمة، فضربه، فأتقاه بالدَّرقة، فوقع سيفه فيها، فعضت به فأمسكته، وضربه محمد بن مسلمة حتى قتله^(٦).

مقتل ياسر: قال ابن إسحاق: ثم خرج بعد مَرَّحِبُ أخوه ياسر، وهو يقول: من يبارز؟ فزعم هشام بن عروة أن الزبير بن العوام خرج إلى ياسر، فقالت أمه صفية بنت عبد المطلب: يقتل ابني يا

(٢) تحرب: مفضبة.

(٤) عُمرية: عجوز.

(١) تاريخ الطبري ١٠/٣.

(٣) إضافة من الطبري ١٠/٣.

(٥) العُسر: شجر أملس ضعيف العود.

(٦) تاريخ الطبري ١٠/٣، ١١، تاريخ الإسلام (المغازي).

رسول الله! قال: «بل ابْنُك يقتله إن شاء الله». فخرج الزبير فالتقى، فقتله الزبير^(١).

قال ابن إسحاق: فحدثني هشام بن عروة: أن الزبير كان إذا قيل له: والله إن كان سيفك يومئذ لصارماً غضباً، قال: والله ما كان صارماً، ولكنني أكرهته.

فتح خيبر على يد علي: قال ابن إسحاق: وحدثني بريدة بن سفيان بن فروة الأسلمي، عن أبيه سفيان، عن سلمة بن عمرو بن الأكوع، قال: بعث رسول الله ﷺ أبا بكر الصديق رضي الله عنه برأيته، وكانت بيضاء، فيما قال ابن هشام، إلى بعض حصون خيبر، فقاتل، فرجع ولم يك فتح، وقد جهد؛ ثم بعث الغد عمر بن الخطاب، فقاتل، ثم رجع ولم يك فتح، وقد جهد؛ فقال رسول الله ﷺ: «لأعطين الراية غداً رجلاً يحب الله ورسوله، يفتح الله على يديه، ليس بفراً». قال: يقول سلمة: فدعا رسول الله ﷺ علياً رضوان الله عليه، وهو أرمذ، فتقل في عينه، ثم قال: «خذ هذه الراية، فامض بها حتى يفتح الله عليك»^(٢).

قال: يقول سلمة: فخرج والله بها يأنح^(٣)، يهرول هزولة، وأنا لخلفه نتبع أثره، حتى ركز رأيته في رضم^(٤) من حجارة تحت الحصن، فاطلع إليه يهودي من رأس الحصن، فقال: من أنت؟ قال: أنا علي بن أبي طالب. قال: يقول اليهودي: علّوتم، وما أنزل على موسى، أو كما قال. قال: فما رجع حتى فتح الله على يديه^(٥).

قال ابن إسحاق: حدثني عبد الله بن الحسن، عن بعض أهله، عن أبي رافع، مولى رسول الله ﷺ، قال: خرجنا مع علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه، حين بعثه رسول الله ﷺ برأيته؛ فلما دنا من الحصن خرج إليه أهله فقاتلهم، فضربه رجل من يهود، فطاح ترضه من يده، فتناول علي ﷺ باباً كان عند الحصن فترس به عن نفسه، فلم يزل في يده وهو يقاتل حتى فتح الله عليه، ثم ألقاه من يده حين فرغ، فلقد رأيتني في نفر سبعة معي، أنا ثامنهم، نجهد على أن نقلب ذلك الباب، فما نقله^(٦).

حديث أبي اليسر: قال ابن إسحاق: وحدثني بريدة بن سفيان الأسلمي، عن بعض رجال بني سلمة عن أبي اليسر كعب بن عمرو، قال: والله إننا لمع رسول الله ﷺ بخيبر ذات عشية، إذ أقبلت غنم لرجل من يهود تريد حصنهم، ونحن محاصروهم فقال رسول الله ﷺ: من رجل يطعمنا من هذه الغنم؟ قال أبو اليسر: فقلت: أنا يا رسول الله؟ قال: فافعل؛ قال: فخرجت أشتد مثل الظليم^(٧)،

(١) تاريخ الطبري ١١/٣.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الجهاد والسير (١٢/٤) باب ما قيل في لواء النبي ﷺ، ومسلم في فضائل الصحابة (٢٤٠٧) باب من فضائل علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وانظر طبقات ابن سعد ١١٠/٢ و١١١، ونهاية الأرب ٢٥٣/١٧، وتاريخ الإسلام (المغازي)، وتاريخ الطبري.

(٣) يأنح: يعلو صوته.

(٤) رضم ورضام: حجارة أو صخور بعضها على بعض، وهي دون الهضبة، (النهاية في غريب الحديث ٢/٢٣١).

(٥) مناقب أمير المؤمنين علي للواسطي ١٣٢ رقم ٢١٧، تاريخ الإسلام (المغازي).

(٦) تاريخ الطبري ١٣/٣، تاريخ الإسلام (المغازي)، وانظر تاريخ يعقوبي ٥٦/٢.

(٧) الظليم: ولد النعام.

فلما نظر إليّ رسولُ الله ﷺ مولياً قال: اللهم أمتِعنا به؛ قال: فأدركتُ الغنم وقد دخلت أولاها الحِصْن، فأخذت شاتين من أخراها، فاحتضنتهما تحت يديّ، ثم أقبلت بهما أشتدّ، كأنه ليس معي شيء، حتى ألقىتهما عند رسول الله ﷺ. فذبحوهما فأكلوهما، فكان أبو اليسر من آخر أصحاب رسول الله ﷺ هلاكاً، فكان إذا حدّث هذا الحديث بكى، ثم قال: أمتِعوا بي، لعمرى، حتى كنت من آخرهم هُلكاً^(١).

صفية رضي الله عنها: قال ابن إسحاق: ولما افتتح رسولُ الله ﷺ القموص، حصن بني أبي الحُقَيْق، أتى رسول الله ﷺ بصفية بنت حُبَيْب بن أخطب، وبأخرى معها، فمرّ بهما بلال، وهو الذي جاء بهما على قتلى من قتلى يهود؛ فلما رأتهم التي مع صفية صاحت، وصكّت وجهها وحثت التراب على رأسها؛ فلما رآها رسولُ الله ﷺ قال: «أعزّبوا»^(٢) عني هذه الشيطانة». وأمر بصفية فحيزت خلفه، وألقى عليها رداءه؛ فعرف المسلمون أن رسول الله ﷺ قد اصطفأها لنفسه. فقال رسول الله ﷺ لبلال، فيما بلغني، حين رأى بتلك اليهودية ما رأى: «أنزعك منك الرحمة يا بلال، حين تمرّ بامرأتين على قتلى رجالهما؟ وكانت صفية قد رأت في المنام وهي عروس بكنانة بن الربيع بن أبي الحُقَيْق، أن قمرأ وقع في حجرها، فعرضت رؤياها عليّ زوجها؛ فقال: ما هذا إلا أنك تمثّين ملك الحجاز محمداً، فلطم وجهها لطمه خضر عينها منها. فأتي بها رسولُ الله ﷺ وبها أثر منه، فسألها ما هو؟ فأخبرته هذا الخبر»^(٣).

وأتي رسول الله ﷺ بكنانة بن الربيع، وكان عنده كثر بني النضير، فسأله عنه، فوجد أن يكون يعرف مكانه، فأتي رسولُ الله ﷺ رجل من يهود، فقال لرسول الله ﷺ: إني رأيت كنانة يطيف بهذه الخربة كلّ غداة؛ فقال رسول الله ﷺ لكنانة: أرايت إن وجدناه عندك، أقتلك؟ قال: نعم؛ فأمر رسول الله ﷺ بالخربة فحفرت، فأخرج منها بعض كثرهم، ثم سأله عما بقي، فأبى أن يؤدّيه، فأمر به رسولُ الله ﷺ الزبير بن العوام، فقال: عذبه حتى تستأصل ما عنده، فكان الزبير يقده بزناد في صدره، حتى أشرف على نفسه، ثم دفعه رسولُ الله ﷺ إلى محمد بن مسلمة، فضرب عنقه بأخيه محمود بن مسلمة^(٤).

مصالحة الرسول أهل خيبر: وحاصر رسولُ الله ﷺ، أهل خيبر في حصنهم الوطيح والسالام، حتى إذا أيقنوا بالهلكة، سألوه أن يُسيّرهم وأن يحقن لهم دماءهم، ففعل. وكان رسول الله ﷺ قد حاز الأموال كلها: الشقّ ونطاة والكثبية وجميع حصونهم، إلا ما كان من ذئب الحِصْنين. فلما سمع بهم أهل فدك قد صنعوا ما صنعوا، بعثوا إلى رسول الله ﷺ يسألونه أن يُسيّرهم، وأن يحقن دماءهم، ويخلّوا له الأموال، ففعل. وكان فيمن مشى بين رسول الله ﷺ وبينهم في ذلك مُحِيصة بن مسعود،

(١) قال الهيثمي في مجمع الزوائد ٦/١٤٩: رواه أحمد عن بعض رجال بني سلمة عنه، وبقية رجاله ثقات.

(٢) أعزّبوا: أبعدوا.

(٣) الحديث في مجمع الزوائد ٦/١٥٢، ١٥٣ وانظر: تاريخ الطبري ٣/١٤ وانظر عن زواج النبي ﷺ من صفية، الطبقات لابن سعد ٨/٨٥ وما بعدها، وتسمية أزواج النبي لأبي عبيدة ٦٦، والاستيعاب ٤/١٨٧، وأسد الغابة ٥/٤٩٠، والسمط الثمين ١١٨، وامتاع الأسماع ٣٢١، والاصابة ٤/٣٣٧.

(٤) تاريخ الطبري ٣/١٤.

أخو بني حارثة، فلما نزل أهل خيبر على ذلك، سألوا رسول الله ﷺ أن يُعاملهم في الأموال على النصف، وقالوا: نحن أعلم بها منكم، وأمر لها؛ فصالحهم رسول الله ﷺ على النصف، على أنا إذا شئنا أن نخرجكم أخرجناكم؛ فصالحه أهل فدك على مثل ذلك، فكانت خيبر فَيْئاً بين المسلمين، وكانت فدك خالصة لرسول الله ﷺ، لأنهم لم يَجلبوا عليها بخيل ولا ركاب^(١).

قصة الشاة المسمومة: فلما اطمأن رسول الله ﷺ أهدت له زينب بنت الحارث، امرأة سلام بن مشكم، شاة مَضْلِيَّة^(٢)، وقد سألت أي عضو من الشاة أحب إلى رسول الله ﷺ؟ فقيل لها: الذراع؛ فأكثر فيها من السم، ثم سمّت سائر الشاة، ثم جاءت بها؛ فلما وضعتها بين يدي رسول الله ﷺ، تناول الذراع، فلاك منها مُضْغَةً، فلم يُسغها. ومعه بشر بن البراء بن معرور، قد أخذ منها كما أخذ رسول الله ﷺ، فأما بشر فأساغها؛ وأما رسول الله ﷺ فَلَفْظَهَا، ثم قال: «إن هذا العظم ليخبرني أنه مَسْموم». ثم دعا بها، فاعترفت؛ فقال: «ما حملك على ذلك؟» قال: بلغت من قومي ما لم يخف عليك، فقلت: إن كان ملكاً استرحت منه، وإن كان نبياً فسُخِّرُ، قال: فتجاوز عنها رسول الله ﷺ؛ ومات بشر من أكلته التي أكل^(٣).

قال ابن إسحاق: وحدثني مروان بن عثمان بن أبي سعيد بن المعلّى، قال: كان رسول الله ﷺ قد قال في مرضه الذي توفي فيه، ودخلت أم بشر بنت البراء بن معرور تَعُودُه: «يا أم بشر، إن هذا الأوان وجدث فيه انقطاع أبهري^(٤) من الأكلة التي أكلت مع أخيك بخيبر». قال: فإن كان المسلمون ليُرُون أن رسول الله ﷺ مات شهيداً، مع ما أكرمه الله به من النبوة^(٥).

قال ابن إسحاق: فلما فرغ رسول الله ﷺ من خيبر انصرف إلى وادي القُرى، فحاصر أهله ليالي، ثم انصرف راجعاً إلى المدينة^(٦).

جزاء الغال من الغنيمة: قال ابن إسحاق: فحدثني ثور بن زيد، عن سالم، مولى عبد الله بن مُطِيع، عن أبي هريرة، قال: فلما انصرفنا مع رسول الله ﷺ عن خيبر إلى وادي القُرى نزلنا بها أصيلاً مع مغرب الشمس، ومع رسول الله ﷺ غلام له، أهده له رفاعة بن زيد الجذامي، ثم الضبيبي^(٧). قال ابن هشام: جذام، أخو لحم.

قال: فوالله إنه ليضع رَحْل رسول الله ﷺ إذ أتاه سهم غَرْب^(٨) فأصابه فقتله؛ فقلنا: هنيئاً له

(١) تاريخ الطبري ١٤/٣، ١٥، تاريخ خليفة ٨٣، فتوح البلدان ٣٤/١، تاريخ الإسلام (المغازي)، البداية والنهاية ٤/١٩٨.

(٢) مَضْلِيَّة: مسمومة. (٣) تاريخ الطبري ١٥/٣.

(٤) الأبهري: عرق من عرقين يخرجان من القلب ومنهما تشعب الشرايين كلها.

(٥) انظر ما أخرجه البخاري في كتاب المغازي (٨٤/٥) باب الشاة التي سُمّت للنبي ﷺ في خيبر، و(٤٥١٣) و(٤٥١٤) باب فيمن سقى رجلاً سماً أو أطعمه فمات أيقاد منه؟ وابن ماجه في الطب (٣٥٤٦) باب السحر، وأحمد في المسند ١/٣٠٥، و٣٧٣، والهيثمي في مجمع الزوائد ٨/٢٩٥، ٢٩٦ باب ما جاء في الشاة المسمومة، وقال: رواه الطبراني والبيهقي، والذهبي في تاريخ الإسلام (المغازي)، وابن سعد في الطبقات ٢/٢٠٢، ٢٠٣، والطبري في تاريخه ١٥/٣.

(٦) تاريخ الطبري ١٦/٣.

(٧) في تاريخ الطبري ١٦/٣ «الضبيبي» من الضبيب بن جذام، له صحبة.

(٨) سهم غرب: مجهول الرامي، لا يُعرف من أين أتى.

الجنة؛ فقال رسول الله ﷺ: «كلا، والذي نفس محمد بيده، إن شملته الآن لتحترق عليه في النار، كان غلها من فيء المسلمين يوم خيبر». قال: فسمعها رجل من أصحاب رسول الله ﷺ، فأثابه فقال: يا رسول الله، أصبت شراكين لنعلمين لي؛ قال: فقال: «يُقدِّ لك مثلهما من النار»^(١).

قال ابن إسحاق: وحدثني من لا أتهم، عن عبد الله بن مَعْقِلِ الْمُزْنِي، قال: أصبت فيء خيبر جراب شخم، فاحتملته على عاتقي إلى رجلي وأصحابي. قال: فلقيني صاحب المغنم الذي جعل عليها، فأخذ بناحيته وقال: هلّم هذا نقسمه بين المسلمين؛ قال: قلت: لا والله لا أعطيكه؛ قال: فجعل يُجابذني الجراب. قال: فرأنا رسول الله ﷺ ونحن نُصنع ذلك. قال: فتبسّم رسول الله ﷺ ضاحكاً، ثم قال لصاحب المغنم: «لا أبأ لك، خل بينه وبينه». قال: فأرسله، فانطلقت به إلى رجلي وأصحابي، فأكلناه^(٢).

حراسة أبي أيوب للرسول: قال ابن إسحاق: ولما أعرس رسول الله ﷺ بصفية، بخيبر أو ببعض الطريق، وكانت التي جمعتها لرسول الله ﷺ ومَشَطَتِها وأصلحت من أمرها أم سليم بنت ملحان، أم أنس بن مالك. فبات بها رسول الله ﷺ في قبة له، وبات أبو أيوب خالد بن زيد، أخو بني النجار متوشحاً سيفه، يحرس رسول الله ﷺ، ويُطيف بالقبة، حتى أصبح رسول الله ﷺ؛ فلما رأى مكانه قال: «ما لك يا أبا أيوب؟» قال: يا رسول الله، خفت عليك من هذه المرأة، وكانت امرأة قد قتلت أباهاً وزوجها وقومها، وكانت حديثه عهد بكفر، فخفتها عليك. فزعموا أن رسول الله ﷺ، قال: «اللهم احفظ أبا أيوب كما بات يحفظني»^(٣).

بلال يغلبه النوم وهو يرقب الفجر: قال ابن إسحاق: وحدثني الزهري، عن سعيد بن المسيب، قال: لما انصرف رسول الله ﷺ من خيبر، فكان ببعض الطريق، قال من آخر الليل: «من رجل يحفظ علينا الفجر لعلنا ننام؟» قال بلال: أنا يا رسول الله أحفظه عليك. فنزل رسول الله ﷺ، ونزل الناس فناموا، وقام بلال يصلي، فصلى ما شاء الله عز وجل أن يصلي. ثم استند إلى بعيره، واستقبل الفجر يرمقه، فعلبته عينه، فنام، فلم يُوقظهم إلا مس الشمس؛ وكان رسول الله ﷺ أول أصحابه هب، فقال: «ماذا صنعت بنا يا بلال؟» قال: يا رسول الله، أخذ بنفسي الذي أخذ بنفسك؛ قال: «صدقت»؛ ثم اقتاد رسول الله ﷺ بعيره غير كثير، ثم أناخ فتوضأ، وتوضأ الناس، ثم أمر بلالاً فأقام الصلاة، فصلى رسول الله ﷺ بالناس؛ فلما سلم أقبل على الناس فقال: «إذا نسيتم الصلاة فصلوها إذا ذكرتموها، فإن الله تبارك وتعالى يقول: ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي﴾» [طه: ١٤]^(٤).

شعر ابن لقيم في فتح خيبر:

قال ابن إسحاق: وكان رسول الله ﷺ، فيما بلغني، قد أعطى ابن لقيم العبسي، حين افتتح

(١) تاريخ الطبري ١٦/٣ وانظر الحديث عند البخاري في المغازي ٨١/٥ باب غزوة خيبر.

(٢) أخرج البخاري في كتاب الخمس ٦١/٤ باب ما يصيب من الطعام في أرض الحرب. فقال: حدثنا أبو الوليد، حدثنا شعبة، عن حميد بن هلال، عن عبد الله بن مَعْقِلِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: كنا محاصرين قصر خيبر فرمى إنسان بجراب فيه شحم، فنزوت لأخذه فالتفت فإذا النبي ﷺ فاستحييت منه.

(٣) انظر: تاريخ الطبري ١٧/٣.

(٤) الخبر في تاريخ الطبري ١٧/٣.

خَيْبِر، ما بها من دَجاجة أو داجن، وكان فتح خَيْبِر في صَفَر، فقال ابنُ لَقيم العَبْسي في خَيْبِر:
 رُمِيَتْ نَظاةٌ مِنَ الرَّسُولِ بِفَيْلِقِ
 وَاسْتَيْقَنْتَ بِالذَّلِّ لِمَا شِيعَتْ
 وَرَجَالَ أَشْلَمَ وَسَطِهَا وَغِفَارِ
 وَاسْتَيْقَنْتَ بِالذَّلِّ لِمَا شِيعَتْ
 وَصَبَحَتْ بَنِي عَمْرٍو بِنِ زُرْعَةِ غُدْوَةٍ
 وَوَالشُّقُّ^(٢) أَظْلَمَ أَهْلُهُ بِنَهَارِ
 جَرَّتْ بِأَبْطَحِهَا الذِّيُولُ فَلَمْ تَدَعِ
 إِلَّا الدَّجَاجَ تَصِيحُ فِي الأَسْحَارِ
 وَلِكُلِّ حِضْنٍ شَاغِلٍ مِنْ خَيْلِهِمْ
 مِنْ عَبْدِ أَشْهَلٍ أَوْ بَنِي النَّجَارِ
 وَمُهَاجِرِينَ قَدْ اغْلَمُوا سِيْمَاهُمْ
 فَوْقَ المَغْفَارِ^(٣) لَمْ يَثُورُوا لِغَفَارِ
 وَلَقَدْ عَلِمْتُ لِيَغْلِبَنَّ مُحَمَّدٌ
 وَلِيَسْثَوِينَ بِهَا إِلَى أَضْفَارِ^(٤)
 فَرَّتْ يَهُودٌ يَوْمَ ذَلِكَ فِي الوَعَى
 تَحْتَ العَجَاجِ غَمَائِمَ الأَبْصَارِ
 قَالَ ابنُ هِشَامٍ: فَرَّتْ: كَشَفَتْ، كَمَا تُفَرِّ الذَّابَّةُ بِالكَشْفِ عَنِ أَسْنَانِهَا؛ يَرِيدُ كَشَفَتْ عَنِ جُفُونِ
 العُيُونِ غَمَائِمَ الأَبْصَارِ، يَرِيدُ الأَنْصَارِ.

قال ابن إسحاق: وشهد خيبر مع رسول الله ﷺ نساء من نساء المسلمين، أَرْضَخَ^(٥) لهنَّ رسولُ
 الله ﷺ من الفَيءِ، ولم يضرب لهنَّ بسهمٍ^(٦).

قال ابن إسحاق: حدثني سليمان بن سُهَيْمٍ، عن أمية بن أبي الصلت، عن امرأة من بني غِفَارِ،
 قَد سَمَّاهَا لِي، قَالَتْ: أَتَيْتَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فِي نِسْوَةٍ مِنْ بَنِي غِفَارِ، فَقَلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَد أَرَدْنَا أَنْ
 نَخْرُجَ مَعَكَ إِلَى وَجْهِكَ هَذَا، وَهُوَ يَسِيرُ إِلَى خَيْبِرِ، فَنُدَاوِي الْجَزْحَى، وَنُعِينُ الْمُسْلِمِينَ بِمَا اسْتَطَعْنَا؛
 فَقَالَ: عَلَى بَرَكَةِ اللَّهِ. قَالَتْ: فَخَرَجْنَا مَعَهُ، وَكُنْتُ جَارِيَةَ حَدَثَةٍ، فَأَزْدَفَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى حَقِيبةِ
 رَحْلِهِ^(٧). قَالَتْ: فَوَاللَّهِ لَنَزَلَ^(٨) رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى الصُّبْحِ وَأَنَاخَ، وَنَزَلَتْ عَنِ حَقِيبةِ رَحْلِهِ، وَإِذَا بِهَا دَمٌ
 مِنِّي، وَكَانَتْ أَوَّلَ حَيْضَةٍ حِضَّتْهَا، قَالَتْ: فَتَقَبَّضْتُ إِلَى النَّاقَةِ وَاسْتَحْيَيْتُ؛ فَلَمَّا رَأَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَا
 بِي وَرَأَى الدَّمَ، قَالَ: «مَا لَكَ؟ لَعَلَّكَ تَيْفَسْتِ؟» قَالَتْ: قُلْتُ: نَعَمْ؛ قَالَ: «فَأُصْلِحِي مِنْ نَفْسِكَ، ثُمَّ
 خُذِي إِنْاءَ مِنْ مَاءٍ، فَاطْرَحِي فِيهِ مِلْحاً، ثُمَّ اغْسَلِي بِهِ مَا أَصَابَ الحَقِيبةَ مِنَ الدَّمِ، ثُمَّ عَوْدِي لِمَرْكَبِكَ».
 قَالَتْ: فَلَمَّا فَتَحَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ خَيْبِرَ، رَضَخَ لَنَا مِنَ الفَيءِ، وَأَخَذَ هَذِهِ القِلَادَةَ الَّتِي تَرْتِينَ فِي
 عُنُقِي فَأَعْطَانِيهَا، وَعَلَّقَهَا بِيَدِهِ فِي عُنُقِي، فَوَاللَّهِ لَا تُفَارِقُنِي أَبَدًا.

(١) نِظَاةٌ: حِصْنٌ. بِخَيْبِرِ. الشَّهْبَاءُ: كَثِيرَةُ العِتَادِ: تَلْمَعُ الأَسْلِحَةُ فِيهَا كَالشَّهْبِ.

(٢) الشُّقُّ: حِصْنٌ بِخَيْبِرِ.

(٣) المَغْفَارِ: مَا تَوَضَّعَ عَلَى الرُّؤُوسِ وَقَايَةَ لَهَا مِنْ ضَرْبِ السِّلَاحِ.

(٤) يَثُورِينَ: يَقِيمِينَ. وَأَصْفَارٌ: جَمْعُ صَفَرٍ وَهُوَ شَهْرٌ مِنَ الشُّهُورِ العَرَبِيَّةِ.

(٥) أَرْضَخَ لِهِنَّ: أَعْطَاهُنَّ قَلِيلاً مِنْ أَقْلٍ مِنَ السَّهْمِ.

(٦) تَارِيخُ الطَّبْرِيِّ ١٧/٣.

(٧) حَقِيبةِ رَحْلِهِ: هِيَ كُلُّ مَا شُدَّ فِي مُؤَخَّرِ رَحْلِ أَوْ قَتَبِ. وَالرَّحْلُ هُوَ المَرْكَبُ لِلبَعِيرِ، وَهُوَ أَصْغَرُ مِنَ القَتَبِ. وَقَالَ ابْنُ الأَثِيرِ
 فِي النِّهَايَةِ: الحَقِيبةُ: هِيَ الزِّيَادَةُ الَّتِي تُجْعَلُ فِي مُؤَخَّرِ القَتَبِ.

(٨) فِي سَنَنِ أَبِي دَاوُدَ ٨٤/١ «فَوَاللَّهِ لَمْ يَزَلْ».

قالت: فكانت في عنقها حتى ماتت، ثم أوصت أن تُدفن معها. قالت: وكانت لا تطهر من حيضة إلا جعلت في طهورها ملحاً، وأوصت به أن يجعل في غسلها حين ماتت^(١).

شهداء خيبر: قال ابن إسحاق: وهذه تسمية من استشهد بخيبر من المسلمين، من قريش، ثم من بني أمية بن عبد شمس، ثم من حلفائهم: ربيعة بن أكثم بن سخبيرة بن عمرو بن بكير بن عامر بن غنيم بن دودان بن أسد؛ وثقيف^(٢) بن عمرو، ورفاعة بن مسروح.

ومن بني أسد بن عبد العزى: عبد الله بن الهبيّب، ويقال: ابن الهبيّب، فيما قال ابن هشام، ابن أهيّب بن سُحيم بن غيرة، من بني سعد بن ليث، حليف لبني أسد، وابن أختهم. ومن الأنصار ثم من بني سلمة: بشر بن البراء بن مغرور، مات من الشاة التي سُم فيها رسول الله ﷺ: وقُضيل بن النعمان. رجلان.

ومن بني زريق: مسعود بن سعد بن قيس بن خَلدة بن عامر بن زريق. ومن الأوس ثم من بني عبد الأشهل: محمود بن مسلمة بن خالد بن عدي بن مجدعة بن حارثة ابن الحارث، حليف لهم من بني حارثة.

ومن بني عمرو بن عوف: أبو ضيَّاح^(٣) بن ثابت بن الثُّعمان بن أمية بن امرئ القيس بن ثعلبة بن عمرو بن عوف؛ والحارث بن حاطب؛ وعروة بن مُرة بن سُراق؛ وأوس بن القائد^(٤)؛ وأنيف بن حبيب؛ وثابت بن أثلة؛ وطلحة.

ومن بني غفار: عُمارة بن عَقبَة، رمي بسهم.

ومن أسلم: عامر بن الأكوخ؛ والأسود الراعي، وكان اسمه أسلم.

قال ابن هشام: الأسود الراعي من أهل خيبر.

وممن استشهد بخيبر فيما ذكر ابن شهاب الزهري، من بني زهرة: مسعود بن ربيعة، حليف لهم من القازة.

ومن الأنصار بني عمرو بن عوف: أوس بن قنادة.

حديث الأسود الراعي في خيبر: قال ابن إسحاق: وكان من حديث الأسود الراعي، فيما بلغني: أنه أتى رسول الله ﷺ وهو محاصر لبعض حصون خيبر، ومعه غنم له، كان فيها أجيراً لرجل من يهود، فقال: يا رسول الله، اعرض عليّ الإسلام، فعرضه عليه، فأسلم - وكان رسول الله ﷺ لا يخقر أحداً أن يدعوه إلى الإسلام، ويعرضه عليه - فلما أسلم قال: يا رسول الله، إني كنت أجيراً لصاحب هذه الغنم، وهي أمانة عندي، فكيف أصنع بها؟ قال: «أضرب في وجوهها، فإنها سترجع إلى ربها» - أو كما قال - فقال الأسود، فأخذ حفنة من الحصى، فرمى بها في وجوهها، وقال: ارجعي إلى

(١) الحديث بسنده ونصه في سنن أبي داود، كتاب الطهارة (٣١٣) باب الاغتسال من الحيض، وفي مسند أحمد ٦/٣٨٠.

(٢) هكذا في الأصل، وفي المغازي لعروة ١٩٩، وطبقات ابن سعد ٣/٩٨، وتاريخ خليفة ٨٣، وحلية الأولياء ١/٣٥٢، والإصابة ١/٢٠٢ رقم ٩٦٠، وتاريخ الإسلام.

(٣) قال في المغازي لعروة ١٩٩ «أبو الصباح أو أبو ضيَّاح».

(٤) قيل: القائد، والفاتك، والفاكه. انظر: أسد الغابة ١/١٧٤، الإصابة ١/٨٦.

صاحبك، فوالله لا أصحبك أبداً. فخرجت مجتمعة، كأن سائقاً يسوقها، حتى دخلت الحصن، ثم تقدم إلى ذلك الحصن ليقاتل مع المسلمين، فأصابه حجر فقتله، وما صلى الله صلاة قط؛ فأتني به رسول الله ﷺ، فوضع خلفه، وسُجِّي بِسُمْلَةٍ كانت عليه، فالتفت إليه رسول الله ﷺ، ومعه نفر من أصحابه، ثم أعرض عنه، فقالوا: يا رسول الله، لِمَ أعرضت عنه؟ قال: «إن معه الآن زَوْجَتِي من الحور العين»^(١).

قال ابن إسحاق: وأخبرني عبد الله بن أبي نَجِيح أنه ذُكر له: أن الشهيد إذا ما أصيب تدلّت له زَوْجَتاه من الحُور العين، عليه تُنْفُضان التراب عن وجهه، وتقولان: تَرَبَّ اللهُ وجهَ من تَرَبَّك، وقتل مَنْ قتلَك.

حديث الحجاج بن علاط السلمي:

قال ابن إسحاق: ولما أُتحت خيبر، كلّم رسول الله ﷺ، الحجاجُ بن علاط السلمي ثم البُهَزي^(٢)، فقال: يا رسول الله، إن لي بمكة مالا عند صاحبتني أم شَيْبَةَ بنت أبي طلحة - وكانت عنده، له منها مُعرض بن الحجاج، ومالٌ متفرّق في تجار أهل مكة، فأذن لي يا رسول الله؛ فأذن له، قال: إنه لا بد لي يا رسول الله من أن أقول؛ قال: قل. قال الحجاج: فخرجت حتى إذا قدمت مكة وجدت بئينة البيضاء رجلاً من قريش يتسمعون الأخبار، ويسألون عن أمر رسول الله ﷺ، وقد بلغهم أنه قد سار إلى خيبر، وقد عرفوا أنها قريّة الحجاز، ريفاً ومَنعة ورجالاً، فهم يتحسسون الأخبار، ويسألون الركبان، فلما رأوني قالوا: الحجاج بن علاط - قال: ولم يكونوا علموا بإسلامي عنده والله الخبر - أخبرنا يا أبا محمد، فإنه قد بلغنا أنّ القاطع قد سار إلى خيبر، وهي بلد يهود وريف الحجاز؛ قال: قلت: قد بلغني ذلك وعندي من الخبر ما يسرّكم؛ قال: فالتبطوا^(٣) بجنبي ناقتي يقولون: إيه يا حجاج؛ قال: قلت: هُزم هزيمة لم تسمعوا بمثلها قط، وقتل أصحابه قتلاً لم تسمعوا بمثله قط، وأسر محمد أسراً، وقالوا: لا تقتله حتى تُبعث به إلى أهل مكة، فيقتلوه بين أظهرهم بمن كان أصاب من رجالهم. قال: فقاموا وصاحوا بمكة، وقالوا: قد جاءكم الخبر، وهذا محمد إنما تنتظرون أن يُقدم به عليكم، فيُقتل بين أظهركم. قال: قلت: أعينوني على جمع مالي بمكة وعلى عُرمائي، فإنني أريد أن أقدم خيبر، فأصيب من قَلِّ^(٤) محمد وأصحابه قبل أن يسبقني التجار إلى ما هنالك.

قال ابن هشام: ويقال: من فيء محمد.

قال ابن إسحاق: قال: فقاموا فجمعوا لي مالي كأحْت^(٥) جَمَع سَمِعَت به. قال: وجئت صاحبتني فقلت: مالي، وقد كان لي عندها مال موضوع، لعلي الحق بخيبر، فأصيب من فُرص البيع قبل أن يسبقني التجار؛ قال: فلما سمع العباس بن عبد المطلب الخبر، وجاءه عني، أقبل حتى وقف

(١) الاستيعاب ٨٧/١، ٨٨، الإصابة ٣٨١/١، ٣٩ رقم ١٣٢.

(٢) البهزي: بفتح الباء الموحدة وسكون الهاء وبعدها زاي، نسبة إلى بهز بن امرئ القيس... (اللباب ١٩٢/١) وانظر ترجمته في أسد الغابة ٣٨١/١، والإصابة ٣١٣/١ رقم ١٦٢٢.

(٣) التبطوا: ساروا ملازمين لها. (٤) القلّ: المنهزمون.

(٥) كأحْت: كأسرع.

إلى جَنَيْبِي وأنا في خيمة من خيام التجار، فقال: يا حجاج، ما هذا الخبر الذي جئت به؟ قال: فقلت: وهل عندك حِفْظ لما وضعتُ عندك؟ قال: نعم؛ قال: قلت: فاستأخر عني حتى ألقاك على خلاء، فإني في جَمْع مالي كما ترى، فانصرف عني حتى أفرغ. قال: حتى إذا فرغت من جمع كل شيء كان لي بمكة، وأجمعت الخروج، لقيت العباس، فقلت: احفظ عليّ حديثي يا أبا الفضل، فإني أخشى الطلب ثلاثاً، ثم قل ما شئت. قال: أفعَل؛ قلت: فإني والله لقد تركت ابن أخيك عروساً على بنت مَلِكهم، يعني صفيّة بنت حُبَي. ولقد افتتح خَيْبِر، وانتل^(١) ما فيها، وصارت له ولأصحابه؛ فقال: ما تقول يا حجاج؟ قال: قلت: إي والله، فاكتم عني، ولقد أسلمتُ وما جئت إلا لأخذ مالي، فَرَقاً من أن أغلب عليه، فإذا مضت ثلاث فأظهر أمرك، فهو والله على ما تحب. قال: حتى إذا كان اليوم الثالث لبس العباس حلة له، وتخلّق^(٢)، وأخذ عصاه، ثم خرج حتى أتى الكعبة، فطاف بها، فلما رآه قالوا: يا أبا الفضل، هذا والله التجلّد لحزّ المصيبة؛ قال: كلا، والله الذي حلفتُم به، لقد افتتح محمد خيبر وتُرك عروساً على بنت ملكهم، وأحرز أموالهم وما فيها فأصبحت له ولأصحابه؛ قالوا: من جاءك بهذا الخبر؟ قال: الذي جاءكم بما جاءكم به، ولقد دخل عليكم مُسلماً، فأخذ ماله، فانطلق ليَلحق بمحمد وأصحابه، فيكون معه؛ قالوا: يا لعباد الله! انفلت عدو الله، أما والله لو علمنا لكان لنا وله شأن؛ قال: ولم يَنْشَبوا^(٣) أن جاءهم الخبر بذلك^(٤).

ما قيل في الشعر في خيبر: قال ابن إسحاق: وكان مما قيل من الشعر في يوم خيبر قول حسان ابن ثابت:

بِئْسَمَا قَاتَلَتْ خَيْابِرُ^(٥) عَمَّا
كِرَهُوا الْمَوْتَ^(٧) فَاسْتَبِيحَ جِمَاهُمْ
أَمِنَ الْمَوْتَ يَهْرَبُونَ فَإِنَّ أَلْ
جَمَعُوا^(٦) مِنْ مَزَارِعٍ وَنَخِيلٍ
وَأَقْرَوا فِعْلَ اللَّئِيمِ الدَّلِيلِ
مَوْتَ مَوْتَ الْهَزَالِ غَيْرُ جَمِيلِ^(٨)

وقال حسان بن ثابت أيضاً، وهو يعذر أيمن بن أم أيمن بن عبيد، وكان قد تخلّف عن خيبر، وهو من بني عوف ابن الخزرج، وكانت أمه أم أيمن مولاة رسول الله ﷺ، وهي أم أسامة بن زيد، فكان أخا أسامة لأمه:

عَلَى حِينِ أَنْ قَالَتْ لِأَيْمَنَ أُمُّهُ
جَبُنْتُ وَلَمْ تَشْهَدْ فَوَارِسَ خَيْبِرِ

(١) انتل: استخرج.

(٢) تخلّق: تطيّب بالخلوق وهو أنواع من الطيب يغلب عليها الزعفران.

(٣) لم ينشبا: لم يلبثوا غير قليل.

(٤) الخبر بطوله في: المعرفة والتاريخ ١/٥٠٧-٥٠٩، ومسند أحمد ٣/١٣٨، ١٣٩، ومسند أبي يعلى، والبيزار ١٦٥، ١٦٦، والمصنّف لعبد الرزاق ١/١٩٧، وتاريخ الطبري ٣/١٧-١٩، والطبقات الكبرى لابن سعد ٤/١٧، ١٨، وتاريخ اليعقوبي ٢/٥٧، والمعجم الكبير للطبراني ٣/٢٤٧-٢٤٩ رقم ٣١٩٦، ونهاية الأرب للنويري ١٧/٢٦٦-٢٦٨، وتاريخ الإسلام (المغازي)، والبداء والنهاية ٤/٢١٥-٢١٧، والكمال في التاريخ لابن الأثير ٢/٢٢٣، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد ٦/١٥٥: ورجال أحمد رجال الصحيح. وانظر المغازي للواقدي ٢/٧٠٤، ٧٠٥.

(٥) خيابر: أهل خيبر.

(٦) في البدء والتاريخ «جمعت».

(٧) في البدء والتاريخ ٤/٢٢٧ البيتان الأولان فقط.

(٨) في البدء والتاريخ «الحرب».

وَأَيْمَنُ لَمْ يَجْبُنْ وَلَكِنَّ مُهْرَهُ
ولولا الذي قد كان من شأن مُهْرِهِ
ولكئنه قد صدّه فعل مُهْرِهِ
قال ابن هشام: أنشدني أبو زيد هذه الأبيات لكعب بن مالك، وأنشدني:
ولكئنه قد صدّه شأنُ مُهْرِهِ
شعر ناجية في يوم خيبر:

قال ابن إسحاق: وقال ناجية بن جُنْدَبِ الأَسْلَمِيِّ:

يَا لِعِبَادِ اللَّهِ فِيمَ يُرْغَبُ مَا هُوَ إِلَّا مَأْكُلٌ وَمَشْرَبٌ
وَجَنَّةٌ فِيهَا نَعِيمٌ مُفْجِبٌ
وقال ناجية بن جُنْدَبِ الأَسْلَمِيِّ أيضاً:

أَنَا لِمَنْ أَتَكَرَّرَنِي^(٢) ابْنُ جُنْدَبِ يَارُبُّ قَزِينِ فِي مَكْرِي أَتَكَبِ^(٣)
طَاحَ بِمَعْدِي^(٤) أُنْسِرُ وَتَغْلِبُ^(٥)

قال ابن هشام: وأنشدني بعض الرواة للشعر قوله: «في مَكْرِي»، و«طاح بِمَعْدِي».

وقال كعب بن مالك في يوم خيبر، فيما ذكر ابن هشام، عن أبي زيد الأنصاري:

وَنَحْنُ وَرَدْنَا خَيْبَرًا وَقُرُوضَهُ
جَوَادٍ لَدَى الْغَايَاتِ لَا وَهِنَ الْقُؤَى
عَظِيمٍ رَمَادِ الْقِدْرِ فِي كُلِّ شَتْوَةٍ
يَرَى الْقَتْلَ مَذْحًا إِنْ أَصَابَ شَهَادَةَ
يَذُودُ وَيَحْمِي عَن ذِمَارِ مُحَمَّدٍ
وَيَنْصُرُهُ مِن كُلِّ أَمْرٍ يَرِيبُهُ
يَصَدِّقُ بِالْأَنْبَاءِ بِالْغَيْبِ مُخْلِصًا

تقسيم خيبر وأموالها: قال ابن إسحاق: وكانت المقاسم على أموال خيبر. على الشق ونطاة
والكتيبة فكانت الشق ونطاة في سهمان المسلمين^(٧)، وكانت الكتيبة خمس الله، وسهم النبي ﷺ،
وسهم ذوي القربى واليتامى والمساكين، وطعم أزواج النبي ﷺ، وطعم رجال مشوا بين رسول الله ﷺ

(١) المديد المخمر: دقيق يُخلط بالماء ويُترك حتى يخمر.

(٢) في المغازي للواقدي «أبصرني».

(٣) في المغازي للواقدي: «يا رَبُّ قَزِينِ» الذي يقاوم في قتال أو شدة. (شرح أبي ذر ٣٤٩).

(٤) في المغازي «طاح عليه». وطاح: هلك. (الصحاح ٣٨٩).

(٥) القول في المغازي للواقدي ٧٠١/٢.

(٦) الفروض: أماكن في الأنهار يُشرب منها. الأشاجع: عروق ظاهر اليد. مذود: مانع.

(٧) انظر ما أخرجه أبو داود في كتاب الخراج والإمارة والفيء (٣٠١٣) باب ما جاء في حكم أرض خيبر.

وبين أهل فدك بالصلح؛ منهم مُحَيِّصَة بن مَسْعُود، أعطاه رسول الله ﷺ ثلاثين وَسَقاً^(١) من شعير، وثلاثين وَسَقاً من تمر، وقُسمت خيبرُ على أهل الحُدَيْبِيَّة، مَنْ شهد خيبر، وَمَنْ غاب عنها، ولم يَغِب عنها إلا جابرُ بن عبد الله بن عمرو بن حَرَام، فقَسَم له رسول الله ﷺ كَسْهَم مَنْ حضرها^(٢).

وكان واديها، وادي السُرَيْرَة، ووادي خاص^(٣)، وهما اللذان قُسمت عليهما خيبر، وكانت نَطَاة والشُّقُّ ثمانية عشر سهماً، نَطَاة من ذلك خمسة أسهم، والشُّقُّ ثلاثة عَشْرَ سهماً، وقُسمت الشُّقُّ ونَطَاة على ألف سهم، وثمان مِئَة سهم^(٤).

وكانت عِدَّة الذين قُسمت عليهم خيبر من أصحاب رسول الله ﷺ ألف سهم وثمان مِئَة سهم، برجالهم وخيلهم، الرجال أربع عشرة مئة، والخيل متتا فارس؛ فكان لكلّ فارس سهمان، ولفارسه سهم، وكان لكلّ راجل سهم؛ فكان لكل سهم رأسٌ جُمِيع إليه مئة رجل^(٥)، فكانت ثمانية عشر سهماً جُمِيع^(٦).

قال ابن هشام: وفي يوم خيبر عَرَب رسول الله ﷺ العربي من الخيل، وهَجَن الهجين.

قال ابن إسحاق: فكان علي بن أبي طالب رأساً، والزُّبَيْر بن العوّام، وطلحة بن عبيد الله وعُمَر بن الخطّاب، وعبد الرحمن بن عوف، وعاصم بن عدي، أخو بني العَجَلان، وأَسِيد بن حُضَيْر، وسهم الحارث بن الخزرج، وسهم ناعم، وسهم بني بياضة، وسهم بني عُبيد، وسهم بني حَرَام من بني سَلَمَة، وعُبيد السَّهَام.

قال ابن هشام: وإنما قيل له عُبيد السَّهَام لما اشترى من السهام يوم خيبر، وهو عُبيد بن أوس، أخذ بني حارثة بن الحارث بن الخزرج بن عمرو بن مالك بن الأوس.

قال ابن إسحاق: وسهم ساعدة، وسهم غِفَار وأَسَلَم، وسهم التُّجَار وسهم حارثة، وسهم أوس. فكان أول سهم خَرَج من خيبر بنَطَاة سهم الزُّبَيْر بن العوّام، وهو الخَوْع، وتابعه السُّرَيْر؛ ثم كان الثاني سهم بياضة، ثم كان الثالث سهم أَسِيد ثم كان الرابع سهم بني الحارث بن الخزرج، ثم كان الخامس سهم ناعم لبني عوف بن الخَزْرَج ومُزِينَة وشركائهم، وفيه قُتِل محمود بن مَسَلَمَة؛ فهذه نَطَاة.

ثم هبطوا إلى الشُّقِّ، فكان أول سهم خرج منه سهم عاصم بن عدي، أخي بني العَجَلان، ومعه كان سهم رسول الله ﷺ، ثم سهم عبد الرحمن بن عوف، ثم سهم ساعدة، ثم سهم النُّجَار، ثم سهم علي بن أبي طالب رضوان الله عليه، ثم سهم طَلْحَة بن عُبيد الله، ثم سهم غِفَار وأَسَلَم، ثم سهم

(١) الوسق: يريد به هنا إما حمل البعير أو ستين صاعاً. ومن معانيه أيضاً حمل النخلة وليس مُراد هنا.

(٢) تاريخ الطبري ١٩/٣، نهاية الأرب ٢٦٢/١٧.

(٣) قال السهيلي في الروض الأنف: أنه وادي خلص.

(٤) نهاية الأرب ٢٦٢/١٧. (٥) نهاية الأرب ٢٦٢/١٧.

(٦) أخرج أبو داود في كتاب الخراج والإمارة (٣٠١٥) من طريق مجمع بن جارية الأنصاري. وكان أحد القراء الذين قرأوا القرآن، قال: قُسمت خيبر على أهل الحديبية، فقَسَمها رسول الله ﷺ على ثمانية عشرة سهماً، وكان الجيش ألفاً وخمسمائة فيهم ثلثمائة فارس، فأعطى الفارس سهمين، وأعطى الراجل سهماً.

عمر بن الخطاب، ثم سهما سلمة بن عبيد وبني حرام، ثم سهم حارثة، ثم سهم عبيد السهام، ثم سهم أوس، وهو سهم الليف، جمعت إليه جهينة ومن حضر خيبر من سائر العرب؛ وكان خذوه سهم رسول الله ﷺ، الذي كان أصابه في سهم عاصم بن عدي.

ثم قسم رسول الله ﷺ الكتيبة، وهي وادي خاص^(١)، بين قرابته وبين نسائه، وبين رجال المسلمين ونساء أعطاهم منها، فقسم رسول الله ﷺ لفاطمة ابنته منتي وسق، ولعلي بن أبي طالب مئة وسق، ولأسامة بن زيد منتي وسق، وخمسين وسقاً من نوى، ولعائشة أم المؤمنين منتي وسق، ولأبي بكر بن أبي قحافة مئة وسق، ولعقيل بن أبي طالب مئة وسق وأربعين وسقاً، ولبني جعفر خمسين وسقاً، ولربيعة بن الحارث مئة وسق، وللصلت بن مخزومة وابنيه مئة وسق، وللصلت منها أربعون وسقاً، ولأبي نبة^(٢) خمسين وسقاً، ولزكاة بن عبد يزيد خمسين وسقاً، ولقيس بن مخزومة ثلاثين وسقاً، ولأبي القاسم بن مخزومة أربعين وسقاً، ولبنات عبيدة بن الحارث وابنة الحصين بن الحارث مئة وسق، ولبني عبيد بن عبد يزيد ستين وسقاً، ولابن أوس ابن مخزومة ثلاثين وسقاً. ولمسطح بن أثانة وابن إلياس خمسين وسقاً، ولأم رميثة أربعين وسقاً، ولثعيم بن هند ثلاثين وسقاً، ولبحينة بنت الحارث ثلاثين وسقاً، ولعجيز بن عبد يزيد ثلاثين وسقاً، ولأم الحكم^(٣) ثلاثين وسقاً، ولجمانة بنت أبي طالب ثلاثين وسقاً، ولابن الأرقم خمسين وسقاً، ولعبد الرحمن بن أبي بكر أربعين وسقاً، ولحمئة بنت جحش ثلاثين وسقاً، ولأم الزبير أربعين وسقاً، ولضباعة بنت الزبير أربعين وسقاً، ولابن أبي حنيس ثلاثين وسقاً ولأم طالب أربعين وسقاً، ولأبي بضره^(٤) عشرين وسقاً، ولثميلة الكلبي خمسين وسقاً، ولعبد الله بن وهب وابنتيه تسعين وسقاً، لابنيه منها أربعين وسقاً، ولأم حبيب بنت جحش ثلاثين وسقاً، ولملكو بن عبدة ثلاثين وسقاً، ولنسائه ﷺ سبع مئة وسق^(٥).

قال ابن هشام: قمح وشعير وتمر ونوى وغير ذلك، قسمه على قدر حاجتهم وكانت الحاجة في بني عبد المطلب أكثر، ولهذا أعطاهم أكثر.

ذكر ما أعطى محمد رسول الله ﷺ نساءه من قمح خيبر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قسم لهن مئة وسق وثمانين وسقاً، ولفاطمة بنت رسول الله ﷺ خمسة وثمانين وسقاً، ولأسامة

(١) قال السهيلي في الروض الأنف: وادي خلص.

(٢) هو علقمة بن المطلب، ويقال: عبد الله بن علقمة، وقال أبو عمر: هو مجهول، وقال ابن الفرضي: أبو نبة بن المطلب بن عبد مناف، واسم أبي نبة: عبد الله، ومن ولده محمد بن العلاء بن الحسين بن عبد الله بن أبي نبة، ومن ولده: أبو الحسين المطلبي إمام مسجد رسول الله ﷺ، وهو يحيى بن الحسين بن محمد بن أحمد بن عبد الله بن الحسين بن العلاء بن المغيرة بن أبي نبة بن المطلب بن عبد مناف. (الروض الأنف ٩٦/٤).

(٣) الصحيح أنها أم حكيم وهي بنت الزبير بن عبد المطلب أخت ضباعة، وكانت تحت ربيعة ابن الحارث، وأما أم الحكم فهي بنت أبي سفيان. وهي من مسلمة الفتح. ولولا ذلك لقلت إن ابن إسحاق إياها أراد، لكنها لم تشهد خيبر ولا كانت أسلمت بعد. (الروض الأنف ٩٦/٤).

(٤) في نهاية الأرب ١٧/٢٦٤ «ولأبي بضره». (٥) نهاية الأرب ١٧/٢٦٣، ٢٦٤.

ابن زيد أربعين وسقاً، وللمقداد بن الأسود خمسة عشر وسقاً، ولأم رُمَيْثَةَ خمسة أوسق. شهد عثمان بن عفان وعباس وكتب.

وصية الرسول عند موته: قال ابن إسحاق: وحدثني صالح بن كيسان، عن ابن شهاب الزهري، عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود، قال: لم يُوصِ رسولُ الله ﷺ عند موته إلا بثلاث، أوصى للرُّهاويين بجاذٍ مئة وسق من خيبر، وللداريين بجاذٍ مئة وسق من خيبر، وللنَّبَاطِيِّين، وللأشعريين بجاذٍ مئة وسق من خيبر. وأوصى بتنفيذ بعث أسامة بن زيد بن حارثة؛ والأُ يُترك بجزيرة العرب دِينان^(١).

خيبر فذلك: قال ابن إسحاق: فلما فرغ رسول الله ﷺ من خيبر كذب الله الرُّغب في قلوب أهل فذلك، حين بلغهم ما أوقع الله تعالى بأهل خيبر، فبعثوا إلى رسول الله ﷺ يصلحونه على النصف من فذلك، فقدمت عليه رُسُلُهُم بخيبر، أو بالطائف، أو بعد ما قَدِم المدينة، فقبل ذلك منهم، فكانت فذلك لرسول الله ﷺ خالصة، لأنه لم يوجف عليها بخيل ولا ركاب^(٢).

تسمية النفر الدارين

الذين أوصى لهم رسول الله ﷺ من خيبر

وهم بنو الدار بن هانيء بن حبيب بن ثمارة بن لحم، الذين ساروا إلى رسول الله ﷺ من الشام: تميم بن أوس ونُعَيم بن أوس أخوه، ويزيد بن قيس، وعرفة بن مالك، سماه رسولُ الله ﷺ عبد الرحمن.

قال ابن هشام: ويقال: عزة بن مالك: وأخوه مَرَّان بن مالك.

قال ابن هشام: مَرَّوان بن مالك.

قال ابن إسحاق: وفاكه بن نُعمان، وجَبَلَة بن مالك، وأبو هِنْد بن بَرّ، وأخوه الطَّيِّب بن بَرّ، فسماه رسولُ الله ﷺ عبد الله.

(١) أخرج أبو داود جزءاً بمعنى الحديث في كتاب الخراج والإمارة والفيء (٣٠٢٩) باب في إخراج اليهود من جزيرة العرب. قال: حدثنا سعيد بن منصور، حدثنا سفيان بن عيينة، عن سليمان الأحول، عن سعيد بن جبيرة، عن ابن عباس، أن رسول الله ﷺ أوصى بثلاثة فقال: «أخرجوا المشركين من جزيرة العرب، وأجيزوا الوفد بنحو مما كنت أجيزهم» قال ابن عباس: وسكت عن الثالثة، أو قال فأنسيتها. وقال الحميدي عن سفيان: قال سليمان: لا أدري أذكر سعيد الثالثة فنسيتها أو سكت عنها؟ و(٢٠٣٢) من حديث ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تكون قبلتان في بلد واحد». وأخرج أحمد في المسند ٢٢٢/١ مثل الحديث الأول بالسند، عن ابن عباس قال: يوم الخميس، وما يوم الخميس، ثم بكى حتى بلّ دمه، وقال مرة: دمعه، الحصى. قلنا: يا أبا العباس، وما يوم الخميس؟ قال: اشتد برسول الله ﷺ وجعه فقال: «اتوني أكتب لكم كتاباً لا تصلوا بعده أبداً فتنازعوا ولا يبغي عند نبي تنازع». فقالوا: ما شأنه أهرج. قال سفيان: يعني: هذى، استفهموه، فذهبوا يعيدون عليه، فقال: «دعوني فالذي أنا فيه خير مما تدعوني إليه» وأمر بثلاث، وقال سفيان مرة: أوصى بثلاث: قال: «أخرجوا المشركين من جزيرة العرب...» والباقي بمثله.

(٢) أخرج أبو داود في كتاب الخراج... (٣٠١٦) قال: حدثنا حسين بن علي العجلي، ثنا يحيى يعني ابن آدم - ثنا ابن أبي زائدة، عن محمد بن إسحاق، عن الزهري وعبد الله بن أبي بكر وبعض ولد محمد بن مسلمة، قالوا: بقيت بقية من أهل خيبر تحصنوا فسألوا رسول الله ﷺ أن يحقن دماءهم ويستبرهم، ففعل، فسمع بذلك أهل فذلك فنزلوا على مثل ذلك، فكانت لرسول الله ﷺ خاصة، لأنه لم يوجف عليها بخيل ولا ركاب. وانظر تاريخ الطبري ٢٠/٣.

فكان رسول الله ﷺ، كما حدثني عبد الله بن أبي بكر، يبعث إلى أهل خيبر عبد الله بن رَوَاحَةَ خارصاً^(١) بين المسلمين ويهود، فيخْرَص عليهم، فإذا قالوا: تعذبت علينا؛ قال: إن شئتم فلکم، وإن شئتم فلنا، فتقول يهود: بهذا قامت السموات والأرض.

وإنما خَرَص عليهم عبد الله بن رَوَاحَةَ عاماً واحداً، ثم أصيب بمؤتة يرحمه الله، فكان جَبَّار بن صخر بن أمية بن خنساء، أخو بني سلمة، هو الذي يخْرَص عليهم بعد عبد الله بن رَوَاحَةَ.

فأقامت يهود على ذلك، لا يرى بهم المسلمون بأساً في معاملتهم، حتى عدّوا في عهد رسول الله ﷺ على عبد الله بن سهل، أخي بني حارثة، فقتلوه، فاتهمهم رسول الله ﷺ والمسلمون عليه^(٢).

قال ابن إسحاق: فحدثني الزهري عن سهل بن أبي حنمة؛ وحدثني أيضاً بشير بن يسار، مولى بني حارثة، عن سهل بن أبي حنمة، قال: أصيب عبد الله بن سهل بخيبر، وكان خرج إليها في أصحاب له يمتار منها تمراً فوجد في عين قد كسرت عنقه، ثم طرح فيها؛ قال: فأخذه فغيبوه، ثم قدّموا على رسول الله ﷺ، فذكروا له شأنه، فتقدّم إليه أخوه عبد الرحمن بن سهل، ومعه ابنا عمه حُوَيْصَةُ ومُحَيِّصَةُ ابنا مسعود، وكان عبد الرحمن من أحدثهم سناً، وكان صاحب الدم، وكان ذا قدم في القوم، فلما تكلم قبل ابني عمه، قال رسول الله ﷺ: «الكَبِيرُ الكَبِيرُ».

قال ابن هشام: ويقال: كَبِيرٌ كَبِيرٌ - فيما ذكر مالك بن أنس - فسكت؛ فتكلم حُوَيْصَةُ ومُحَيِّصَةُ، ثم تكلم هو بعد، فذكروا لرسول الله ﷺ قتل صاحبهم؛ فقال رسول الله ﷺ: أتسمون قاتلكم، ثم تحلفون عليه خمسين يميناً فئسليمه إليكم؟ قالوا: يا رسول الله، ما كنا لنحلف على ما لا نعم؛ قال: أئحلفون بالله خمسين يميناً ما قتلوه ولا يعلمون له قاتلاً ثم يبرؤون من دمه؟ قالوا: يا رسول الله، ما كنا لنقبل أيمان يهود، ما فيهم من الكفر أعظم من أن يحلفوا على إثم. قال: فوداه^(٣) رسول الله ﷺ من عنده مئة ناقة^(٤).

قال سهل: فوالله ما أنسى بكرة منها حمراء ضربتني وأنا أخوزها.

قال ابن إسحاق: وحدثني محمد بن إبراهيم بن الحارث التيمي، عن عبد الرحمن بن بُجَيْد بن قَيْظِي، أخي بني حارثة، قال محمد بن إبراهيم: وإيم الله، ما كان سهل بأكثر علماً منه، ولكنه كان أسن منه؛ إنه قال له: والله ما هكذا كان الشأن! ولكن سهلاً أوهم، ما قال رسول الله ﷺ، ائحلفوا على ما لا علم لكم به، ولكنه كتب إلى يهود خير حين كلمته الأنصار: إنه قد وجد قتيل بين أبياتكم فدوه، فكتبوا إليه يحلفون بالله ما قتلوه، ولا يعلمون له قاتلاً. فوداه رسول الله ﷺ من عنده.

قال ابن إسحاق: وحدثني عمرو بن شعيب مثل حديث عبد الرحمن بن بُجَيْد، إلا أنه قال في حديثه: دوه أو ائذنوا بحرب. فكتبوا يحلفون بالله ما قتلوه ولا يعلمون له قاتلاً؛ فوداه رسول الله ﷺ من عنده^(٥).

(١) الخارص: الذي يقدر الشيء نظراً بلا وزن ولا كلي، من الخرص: وهو الظن.

(٢) تاريخ الطبري ٢/٢٠، نهاية الأرب ١٧/٢٦٥.

(٣) وداه: أعطاهم دينه.

(٤) نهاية الأرب ١٧/٢٦٥.

(٥) أخرج البخاري في كتاب الأحكام ٨/١١٩، ١٢٠ باب كتاب الحاكم إلى عماله والقاضي إلى أمنائه، فقال: حدّثنا =

عمر يجلو يهود خيبر قال ابن إسحاق: وسألت ابن شهاب الزهري: كيف كان إعطاء رسول الله ﷺ يهودَ خيبرَ نخلهم، حين أعطاهم النخل على خزجها، أثبت ذلك لهم حتى قبض، أم أعطاهم إياها للضرورة من غير ذلك؟

فأخبرني ابن شهاب: أن رسول الله ﷺ افتتح خيبرَ عثوةً بعد القتال، وكانت خيبر مما أفاء الله عز وجل على رسول الله ﷺ، خمسها رسول الله ﷺ، وقسمها بين المسلمين، ونزل من نزل من أهلها على الجلاء بعد القتال، فدعاهم رسول الله ﷺ، فقال: إن شئتم دفعت إليكم هذه الأموال على أن تعملوها، وتكون ثمازها بيننا وبينكم، وأترؤكم ما أترؤكم الله. فقبلوا، فكانوا على ذلك يعملونها. وكان رسول الله ﷺ يبعث عبد الله بن زواعة، فيقسم ثمرها، ويعيد عليهم في الخرص، فلما توفى الله نبيّه ﷺ، أقرها أبو بكر رضي الله تعالى عنه، بعد رسول الله ﷺ بأيديهم، على المعاملة التي عاملهم عليها رسول الله ﷺ، حتى توفي؛ ثم أقرها عمر رضي الله عنه صدرًا من إمارته. ثم بلغ عُمَرَ أن رسول الله ﷺ قال في وجعه الذي قبضه الله فيه: لا يجتمعن بجزيرة العرب دينان؛ ففحص عُمَرَ ذلك، حتى بلغه الثبوت، فأرسل إلى يهود، فقال: إن الله عز وجل قد أذن في جلاتكم، قد بلغني أن رسول الله ﷺ قال: لا يجتمعن بجزيرة العرب دينان، فمن كان عنده عهد من رسول الله ﷺ من اليهود فليأتي به، أنفذه له، ومن لم يكن عنده عهد من رسول الله ﷺ من اليهود، فليتهجز الجلاء، فأجلى عُمَرَ من لم يكن عنده عهد من رسول الله ﷺ منهم^(١).

قال ابن إسحاق: وحدثني نافع، مولى عبد الله بن عمر، عن عبد الله بن عمر قال: خرجت أنا والزبير والمقداد بن الأسود إلى أموالنا بخيبر نتعاهدها، فلما قدّمنا تفرقنا في أموالنا، قال: فعدي عليّ تحت الليل، وأنا نائم على فراشي، ففدعت يداي من مرفقي^(٢)، فلما أصبحت استصرخ عليّ صاحبائي، فأتاني فسألاني: من صنع هذا بك؟ فقلت: لا أدري؛ قال: فأصلحنا من يدّي، ثم قدما بي على عمر رضي الله عنه؛ فقال: هذا عمل يهود، ثم قام في الناس خطيباً فقال: أيها الناس، إن رسول الله ﷺ كان عاملاً يهودَ خيبر على أنا نخرجهم إذا شئنا، وقد عدوا على عبد الله بن عمر، ففدعوا

= عبد الله بن يوسف، أخبرنا مالك، عن أبي ليلى. وحدثنا إسماعيل، حدثني مالك، عن أبي ليلى بن عبد الله بن عبد الرحمن بن سهل، عن سهل بن أبي حنمة أنه أخيره هو ورجال من كبراء قومه أن عبد الله بن سهل ومحيصة خرجا إلى خيبر من جهد أصابهم فأخبر محيصة أن عبد الله قُتل وطرح في فقير أو عين فأتى يهود فقال: «أنتم والله قتلتموه» قالوا: ما قتلناه والله. ثم أقبل حتى قدم على قومه فذكر لهم وأقبل هو وأخوه حويصة، وهو أكبر منه، وعبد الرحمن بن سهل فذهب ليتكلم وهو الذي كان بخيبر فقال لمحيصة: «كبر كبر» يريد السن، فتكلم حويصة ثم تكلم محيصة فقال رسول الله ﷺ: «إما أن يدا صاحبكم وإما أن يؤذونا بحرب» فكتب رسول الله ﷺ إليهم به، فكتب ما قتلناه، فقال رسول الله ﷺ لحويصة ومحيصة وعبد الرحمن: «اتحلفون وتستحلفون دم صاحبكم؟» قالوا: لا. قال: «فتحلف لكم يهود؟» قالوا: ليسوا بمسلمين، فوداه رسول الله ﷺ من عنده مائة ناقة حتى أدخلت الدار. قال سهل: فركضتني منها ناقة. وأخرجه مسلم في كتاب القسامة (٦) باب القسامة، وأبو داود في كتاب الدييات (٤٥٢٠) باب القتل بالقسامة. والنسائي في القسامة (٥/٨، ٦) باب تبدة أهل الدم في القسامة. وابن ماجه في الدييات (٢٦٧٧) باب القسامة. ومالك في الموطأ، كتاب القسامة (١٥٩١) باب تبدة أهل الدم في القسامة.

(١) تاريخ الطبري ٣/٢٠، ٢١ نهاية الأرب ١٧/٢٦٥، ٢٦٦.

(٢) الفدع: اعوجاج في المفاصل، كأنها أزيلت عن أماكنها.

يديه، كما قد بلغكم، مع عذوهم على الأنصاريّ قبله، لا نشكّ أنهم أصحابه، ليس لنا هناك عدوّ غيرهم، فمن كان له مالٌ بخيبر فليلحق به، فإني مُخرج يهود. فأخرجهم.

عمر يقسم وادي القرى: قال ابن إسحاق: فحدثني عبد الله بن أبي بكر، عن عبد الله بن مَكْنَف، أخي بني حارثة، قال: لَمَّا أخرج عمرُ يهودَ من خيبر ركب في المهاجرين والأنصار، وخرج معه جبار بن صخر بن أمية بن خنساء، أخو بني سلمة، وكان خارصَ أهل المدينة وحاسبهم - ويزيد بن ثابت، وهما قَسَمَا خيبر بين أهلها، على أصل جماعة السُهَمان، التي كانت عليها.

وكان ما قَسَم عمر بن الخطاب من وادي القُرَى، لعثمانَ بن عَفَّانَ حَطْرَ، ولعبد الرحمن بن عوف حَطْرَ، ولعمر بن أبي سلمة حَطْرَ، ولعامر بن أبي ريبة حَطْرَ، ولعمرو بن سُرَاقَةَ حَطْرَ، ولأشيم حَطْرَ.

قال ابن هشام: ويقال: ولأسلم ولبني جعفر حَطْرَ، ولمُعَيْتِيب حَطْرَ، ولعبد الله بن الأرقم حَطْرَ، ولعبد الله وعبيد الله حَطْران، ولابن عبد الله بن جَحْش حَطْرَ، ولابن البُكَيْر حَطْرَ، ولمُعْتَمِر حَطْرَ، ولزيد بن ثابت حَطْرَ، ولأبي بن كعب حَطْرَ، ولمُعَاذ بن عَفْرَاء حَطْرَ، ولأبي طلحة وحسن حَطْرَ، ولجبار بن صخر حَطْرَ، ولجابر بن عبد الله بن رثاب حَطْرَ، ولمالك بن صَغْصَعَة وجابر بن عبد الله بن عمرو حَطْرَ، ولابن حُضَيْر حَطْرَ، ولابن سَعْد بن مُعَاذ حَطْرَ، ولسلامة بن سلامة حَطْرَ، ولعبد الرحمن بن ثابت وأبي شريك حَطْرَ، ولأبي عَبْس بن جَبْر حَطْرَ، ولمحمد بن مسلمة حَطْرَ، ولعبادة بن طارق حَطْرَ.

قال ابن هشام: ويقال: لقتادة.

قال ابن إسحاق: ولجبر بن عتيك نصف حَطْرَ، ولابني السارث بن قيس نصف حَطْرَ، ولابن حَزَمَة والضحاك حَطْرَ، فهذا ما بلغنا من أمر خيبر ووادي القُرَى ومقاسمها.

قال ابن هشام: الحَطْر: النَّصيب. يقال: أَخْطَر لي فلان حَطْرًا.

قدوم جعفر بن أبي طالب من الحبشة المهاجرين معه

قال ابن هشام: وذكر سفيان بن عيينة عن الأجلح، عن الشَّعْبِي: أن جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه، قَدِم على رسول الله ﷺ يومَ فَتَح خيبر، فقبَّل رسول الله ﷺ بين عَيْنَيْهِ^(١)، والتزمه وقال: ما أدري بأيهما أنا أُسْرُ: بفتح خيبر، أم بقدوم جعفر؟

قال ابن إسحاق: وكان مَنْ أَقام بأرض الحبشة من أصحاب رسول الله ﷺ حتى بعث فيهم رسولُ الله ﷺ إلى النجاشي عمرو بن أمية الضمري، فحملهم في سفينتين، فقدم بهم عليه وهو بخيبر بعد الحُدَيْبِيَّة.

(١) احتج بهذا الحديث الثوري على مالك بن أنس في جواز المعانقة، وذهب مالك إلى أنه مخصوص بالنبي ﷺ، وما ذهب إليه سفيان من حمل الحديث على عمومهم أظهر، وقد التزم النبي ﷺ زيد بن حارثة، حين قدم عليه من مكة. وأما المصافحة باليد عند السلام ففيها أحاديث منها قوله عليه السلام: «تمام تحيتكم المصافحة»، ومنها حديث آخر أن أهل اليمن حين قدموا المدينة صافحوا الناس بالسلام فقال النبي ﷺ: إن أهل اليمن قد سئوا لكم المصافحة، وحديث آخر معناه تنزل على المتصافحين مائة رحمة تسعون منها للباديء. وعن مالك فيها روايتان: الإباحة والكراهة، ولا أدري ما وجه الكراهية في ذلك.. (عن السهلي في الروض الأنف ٤/٦٧).

من بني هاشم بن عبد مناف: جعفر بن أبي طالب بن عبد المطلب، معه امرأته أسماء بنت عميس الخثعمية؛ وابنه عبد الله بن جعفر، وكانت ولدته بأرض الحبشة. قُتل جعفر بمؤتة من أرض الشام أميراً لرسول الله ﷺ، رجل.

ومن بني عبد شمس بن عبد مناف: خالد بن سعيد بن العاص بن أمية بن عبد شمس، معه امرأته أمينة بنت خلف بن أسعد - قال ابن هشام: ويقال: هُمينة بنت خلف - وابناه سعيد بن خالد، وأمه بنت خالد، ولدتهما بأرض الحبشة. قُتل خالد بمزج الضفر في خلافة أبي بكر الصديق بأرض الشام؛ وأخوه عمرو بن سعيد بن العاص، معه امرأته فاطمة بنت صفوان بن أمية ابن محرز الكناني، هلكت بأرض الحبشة. قُتل عمرو بأخنادين من أرض الشام في خلافة أبي بكر رضي الله عنه.

ولعمرو بن سعيد يقول أبوه سعيد بن العاص بن أمية أبو أحيحة:

ألا ليت شعري عنك يا عمرو سائلاً إذا شَبَّ واشتدَّت يَداه وسُلْحَا
أترُك أمرَ القوم فيه بلائيل تكشف غيظاً كان في الصدر مُوجِحاً^(١)

ولعمرو وخالد يقول أخوهما أبان بن سعيد بن العاص، حين أسلما، وكان أبوهما سعيد بن العاص هلك بالظربة، من ناحية الطائف، هلك في مال له بها:

ألا ليت ميتاً بالظربة شاهدُ لما يفتري في الدين عمرو وخالدُ
أطاعا بنا أمر النساء فأضبحا يعينان من أعدائنا من تكايد
فأجابه خالد بن سعيد، فقال:

أخي ما أخي لا شاتم أنا عزضه ولا هو من سوء المقالة مُقصرُ
يقول إذا اشتدَّت عليه أمورُه ألا ليت ميتاً بالظربة ينشرُ
فدع عنك ميتاً قد مشى لسبيله وأقبل على الأذى الذي هو أفقرُ

ومُعَيَّب بن أبي فاطمة، خازن عمر بن الخطاب على بيت مال المسلمين وكان إلى آل سعيد بن العاص؛ وأبو موسى الأشعري عبد الله بن قيس، حليف آل عتبة بن ربيعة بن عبد شمس، أربعة نفر.

ومن بني أسد بن عبد العزى بن قصي: الأسود بن نوفل بن خويلد. رجل.

ومن بني عبد الدار بن قصي: جهم بن قيس بن عبد شريحيل، معه ابناه عمرو بن جهم وخزيمة ابن جهم، وكانت معه امرأته أم حرملة بنت عبد الأسود هلكت بأرض الحبشة، وابناه لها. رجل.

ومن بني زهرة بن كلاب: عامر بن أبي وقاص، وعُتْبة بن مسعود، حليف لهم من هذيل.

رجلان.

ومن بني تميم بن مرة بن كعب: الحارث بن خالد بن صخر، وقد كانت معه امرأته ربيعة بنت الحارث بن جبيلة، هلكت بأرض الحبشة. رجل.

ومن بني جُمح بن عمرو بن هُصَيص بن كعب: عثمان بن ربيعة بن أهبان. رجل.

(١) البلايل: الاضطراب موجحاً: مستوراً.

ومن بني سَهْم بن عمرو بن هُصَيْص بن كعب، مَخْمِيَّة بن الجَزء، حليف لهم من بني زُبَيْد، كان رسولُ الله ﷺ، جعله على خُمس المسلمين. رجل.

ومن بني عَدِي بن كعب بن لُوَيّ: مَعْمَر بن عبد الله بن نُضلة. رجل.

ومن بني عامر بن لُوَيّ بن غالب: أبو حاطب بن عمرو بن عبد شمس؛ ومالك بن ربيعة بن قَيْس بن عبد شمس، معه امرأته عَمْرَة بنت السُعدي بن وَقْدان ابن عُبْد شمس. رجلان.

ومن بني الحارث بن فُهر بن مالك: الحارث بن عبد قَيْس بن لَقِيظ. رجل. وقد كان حُمِل معهم في السَّفِينتين نساءً من نساء من هَلِك هنالك من المسلمين.

فهؤلاء الذين حمل النجاشي مع عمرو بن أمية الضمري في السَّفِينتين، فجميع من قَدِم في السَّفِينتين إلى رسول الله ﷺ ستة عشر رجلاً.

وكان مَن هاجر إلى أرض الحبشة، ولم يقدّم إلا بعد بدر، ولم يخمل النجاشي في السَّفِينتين إلى رسول الله ﷺ، ومن قدم بعد ذلك، ومن هلك بأرض الحبشة، من مهاجرة الحبشة:

من بني أمية بن عبد شمس بن عبد مناف: عُبَيْد الله بن جَحْش بن رِثاب الأُسدي، أسد خزيمة، حليف بني أمية بن عبد شمس، معه امرأته أم حَبِيبة بنت أبي سُفيان، وابنته حَبِيبة بنت عبيد الله، وبها كانت تُكنى أم حَبِيبة بنت أبي سُفيان، وكان اسمها رَملة.

خرج مع المسلمين مهاجراً، فلما قَدِم أرض الحبشة تنصّر بها وشارك الإسلام، ومات هنالك نصرانياً، فخلّف رسولُ الله ﷺ على امرأته من بعده أم حَبِيبة بنت أبي سُفيان بن حرب.

قال ابن إسحاق: حدثني محمد بن جعفر بن الزبير، عن عروة، قال: خرج عُبَيْد الله بن جَحْش مع المسلمين مُسليماً، فلما قدم أرض الحبشة تنصّر، قال: فكان إذا مرّ بالمسلمين من أصحاب رسول الله ﷺ قال: ففتحنا وصأصأتم. أي قد أنصَرنا وأنتم تَلتمسون البصر ولم تُبصروا بعد. وذلك أن ولد الكلب إذا أراد أن يفتح عينيه للنظر صأصأ قبل ذلك، فضرب ذلك له ولهم مثلاً: أي أننا قد ففتحنا أعيننا فأبصرنا، ولم تفتحوا أعينكم فبصروا. وأنتم تَلتمسون ذلك.

قال ابن إسحاق: وقيس بن عبد الله، رجل من بني أسد بن خزيمة، وهو أبو أمية بنت قَيْس التي كانت مع أم حَبِيبة؛ وامرأته بركة بنت يسار، مولاة أبي سُفيان ابن حرب، كانتا ظنّري^(١) عُبَيْد الله ابن جَحْش؛ وأم حَبِيبة بنت أبي سُفيان، فخرجا بهما حين هاجرا إلى أرض الحبشة. رجلان.

ومن بني أسد بن عبد العزى بن قُصَيّ: يزيد بن زَمعة بن الأسود بن المَطْلَب ابن أسد، قُتل يوم حنين مع رسول الله ﷺ شهيداً؛ وعمرو بن أمية بن الحارث بن أسد، هَلِك بأرض الحبشة. رجلان.

ومن بني عبد الدار بن قُصَيّ: أبو الروم بن عُمر بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار؛ وفِراس ابن النضر بن الحارث بن كَلدة بن علقمة بن عبد مناف بن عبد الدار. رجلان.

ومن بني زُهرة بن كِلاب بن مُرة: المَطْلَب بن أزهر بن عبد عَوْف بن عبد بن الحارث بن زُهرة، معه امرأته رَملة بنت أبي عوف بن ضُبيرة بن سُعيد بن سَعْد بن سهم، هَلِك بأرض الحبشة، ولدت له

(١) الظنر: من تُرضع غير ولدها.

هنالك عبد الله بن المُطَّلَب، فكان يقال: إن كان لأوَّل رجل وَرِث أباه في الإسلام. رجل.

ومن بني تَيْم بن مُرَّة بن كَعْب بن لُؤَيٍّ: عمرو بن عُثمان بن عمرو بن كعب ابن سَعْد بن تَيْم، قُتِلَ بالقادسيَّة مع سعد بن أبي وقَّاص. رجل.

ومن بني مخزوم بن يَقْظَة بن مُرَّة بن كعب: هَبَّار بن سُفيان بن عبد الأسد، قُتِلَ بأجناديين من أرض الشام، في خلافة أبي بكر رضي الله عنه، وأخوه عبد الله ابن سُفيان، قُتِلَ عام اليزموك بالشام، في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه، يشكُّ فيه أقتل تَمَّ أم لا؛ وهشام^(١) بن أبي حذيفة بن المُغيرة، ثلاثة نفر.

ومن بني جُمَح بن عمرو بن هُصَيص بن كَعْب: حاطب بن الحارث بن مَعمر ابن حَبِيب بن وَهَب بن حُذافة بن جُمَح، وابناه محمد والحارث، معه امرأته فاطمة بنت المُجَلَّل. هَلِك حاطب هنالك مُسلماً، فَقَدِمَت امرأته وابناه، وهي أمهما، في إحدى السِّفيتين؛ وأخوه حطَّاب بن الحارث، معه امرأته فُكَيْهَة بنت يَسار، هَلِك هنالك مُسلماً، فَقَدِمَت امرأته فُكَيْهَة في إحدى السِّفيتين؛ وسُفيان ابن مَعمر بن حَبِيب، وابناه جُنادة وجابر، وأمهما معه حَسِنة، وأخوهما لأمهما شَرَحْبِيل بن حَسِنة؛ وهَلِك سُفيان وهلك ابناه جُنادة وجابر في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه. ستة نفر.

ومن بني سَهْم بن عمرو بن هُصَيص بن كَعْب: عبد الله بن الحارث بن قَيْس بن عدي بن سعد بن سَهْم الشاعر، هَلِك بأرض الحبشة، وقَيْس بن حُذافة بن قَيْس بن عدي بن سعد بن سَهْم، وأبو قَيْس بن الحارث بن قَيْس بن عدي بن سعد ابن سَهْم. قُتِلَ يوم اليمامة في خلافة أبي بكر الصديق رضي الله عنه؛ وعبد الله بن حُذافة بن قَيْس بن عدي بن سعد بن سَهْم، وهو رسولُ رسول الله ﷺ إلى كسرى؛ والحارث بن الحارث بن قَيْس بن عدي؛ ومَعمر بن الحارث بن قَيْس بن عدي؛ وبِشْر بن الحارث بن قَيْس بن عدي؛ وأخ له من أمه من بني تميم، يقال له سعيد بن عمرو، قُتِلَ بأجناديين في خلافة أبي بكر رضي الله عنه؛ وسعيد بن الحارث بن قَيْس، قُتِلَ عام اليزموك في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه؛ والسائب بن الحارث بن قَيْس، جُرح بالطائف مع رسول الله ﷺ، وقُتِلَ يوم فِجَل^(٢) في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه. ويقال: قُتِلَ يوم خَيْبر. يُشكُّ فيه؛ وعُمير بن رثاب بن حُذيفة بن مَهْشَم بن سعد بن سَهْم، قُتِلَ بعَيْنِ التمر مع خالد بن الوليد، مُنْصَرَفَه من اليمامة، في خلافة أبي بكر رضي الله عنه. أحد عشر رجلاً.

ومن بني عدي بن كعب بن لُؤَيٍّ: عُرْوَة بن عبد العُزَّى بن حُرْثان بن عوف ابن عُبيد بن عُوَيْج بن عدي بن كعب، هَلِك بأرض الحبشة؛ وعدي بن نَضْلَة بن عبد العُزَّى بن حُرْثان. هَلِك بأرض الحبشة. رجلا.

وقد كان مع عدي ابنه التُّعمان بن عدي، فَقَدِمَ النعمان مع من قَدِمَ من المسلمين من أرض

(١) هشام بن أبي حذيفة بن المغيرة بن عبد الله بن مخزوم، واسم أبي حذيفة مهشم، وذكر الواقدي هشاماً. هذا فيمن قدم من الحبشة غير أنه قيل فيه: هاشم، ولم يذكره موسى بن عقبة، ولا أبو معشر في القادمين من الحبشة. (الروض الأنف / ٤)

(٦٧)

(٢) فجل: موضع بالشام: كانت فيه وقعة للمسلمين مع الروم.

الحبشة، فبقي حتى كانت خلافة عمر بن الخطاب، فاستعمله على ميسان، من أرض البصرة، فقال أبياتاً من شعر، وهي:

ألا هل أتى الحسناء أن حليلها
إذا شئتُ غنّني دهاقين قزية
بميسان يُسقى في زجاج وحنثم^(١)
ورقاصة تجذو على كل منسيم^(٢)
فإن كنت نذمانني فبالأكبر اسقني
ولا تسقني بالأصغر المتثلّم
لعل أمير المؤمنين يسوؤه
تناذمنا في الجوسق المتهدّم^(٣)

فلما بلغت أبياته عمر، قال: نعم والله، إن ذلك ليسووني، فمن لقيه فليخبره أنني قد عزّلته، وعزّله. فلما قدّم عليه اعتذر إليه وقال: والله يا أمير المؤمنين، ما صنعت شيئاً مما بلغك أنني قلته قط، ولكنني كنت امرأة شاعراً، وجدت فضلاً من قول، فقلت فيما تقول الشعراء؛ فقال له عمر: وأيم الله، لا تعمل لي على عمل ما بقيت، وقد قلت ما قلت.

ومن بني عامر بن لؤي بن غالب بن فهر: سليل بن عمرو بن عبد شمس بن عبد ود بن نصر بن مالك بن حسل بن عامر، وهو كان رسول رسول الله ﷺ إلى هذوة بن علي الحنفي باليمامة. رجل.
ومن بني الحارث بن فهر بن مالك: عثمان بن عبد غنم بن زهير بن أبي شداد؛ وسعد بن عبد قيس بن لقيط بن عامر بن أمية بن ظرب بن الحارث بن فهر، وعياض بن زهير بن أبي شداد. ثلاثة نفر.

فجميع من تخلّف عن بدر، ولم يقدم على رسول الله ﷺ مكة، ومن قدّم بعد ذلك، ومن لم يحمل النجاشي في السفينتين، أربعة وثلاثون رجلاً.

الهالكون منهم: وهذه تسمية جملة من هلك منهم ومن أبنائهم بأرض الحبشة:
من بني عبد شمس بن عبد مناف: عبید الله بن جحش بن رثاب، حليف بني أمية، مات بها نضراًياً.

ومن بني أسد بن عبد العزى بن قصي: عمرو بن أمية بن الحارث بن أسد.
ومن بني جُمح: حاطب بن الحارث، وأخوه حطاب بن الحارث.
ومن بني سهم بن عمرو بن هصيص بن كعب: عبد الله بن الحارث بن قيس.
ومن بني عدي بن كعب بن لؤي: عروة بن عبد العزى بن حُزّان بن عوف، وعدي بن نضلة.
سبعة نفر.

ومن أبنائهم، من بني تيم بن مرة: موسى بن الحارث بن خالد بن صخر بن عامر. رجل.
مهاجرات الحبشة: وجميع من هاجر إلى أرض الحبشة من النساء، من قدّم منهنّ ومن هلك هنالك ست عشرة امرأة، سوى بناتهنّ اللاتي ولدن هنالك، من قدّم منهنّ ومن هلك هنالك، ومن خرج به معهنّ حين خرجن.

(١) الحنثم: جرار مصبوغة بخضرة.

(٢) الدهاقين: رؤساء الأقاليم. تجثو: تبرك على ركبتيها. والمنسيم: في الأصل طرف خفّ البعير. فاستعاره هنا لطرف قدمها.

(٣) الجوسق: الحصن.

من قُريش، من بني هاشم: رُقية بنت رسول الله ﷺ.

ومن بني أمية: أم حبيبة بنت أبي سفيان، معها ابنتها حبيبة، خرجت بها من مكة، ورجعت بها معها.

ومن بني مخزوم: أم سلمة بنت أبي أمية، قدمت معها بزینب ابنتها من أبي سلمة ولدتها هنالك.

ومن بني تميم بن مرة: ربيعة بنت الحارث بن جُبيلة، هلكت بالطريق، وبتان لها كانت ولدتها هنالك: عائشة بنت الحارث، وزینب بنت الحارث، هلكن جميعاً، وأخوهن موسى بن الحارث، من ماء شربوه في الطريق، وقدمت بنت لها ولدتها هنالك، فلم يبق من ولدها غيرها، يقال لها فاطمة.

ومن بني عدي بن كعب: ليلي بنت أبي حُثمة بن غانم.

ومن بني عامر بن لؤي: سودة بنت زَمعة بن قيس؛ وسهلة بنت سهيل بن عمرو، وابنة المجمل، وعمرة بنت السُّغدي بن وقدان، وأم كلثوم بنت سهيل بن عمرو.

ومن غرائب العرب: أسماء بنت عميس بن النعمان الخثعمية؛ وفاطمة بنت صفوان بن أمية بن مُحَرَّث الكِنَازية، وفُكَيْهة بنت يسار، وبركة بنت يسار، وحسنة، أم شَرَحْبِيل بن حسنة.

من وُلد من أبنائهم بالحبشة: وهذه تسمية من وُلد من أبنائهم بأرض الحبشة.

ومن بني هاشم: عبد الله بن جعفر بن أبي طالب.

ومن بني عبد شمس: محمد بن أبي حذيفة، وسعيد بن خالد بن سعيد، وأخته أمة بنت خالد.

ومن بني مخزوم: زينب بنت أبي سلمة بن الأسد.

ومن بني زهرة: عبد الله بن المُطلب بن أزهري.

من بني تيم:

ومن بني تميم: موسى بن الحارث بن خالد، وأخواته عائشة بنت الحارث، وفاطمة بنت الحارث، وزينب بنت الحارث.

الرجال منهم خمسة: عبد الله بن جعفر، ومحمد بن أبي حذيفة، وسعيد بن خالد، وعبد الله بن المُطلب، وموسى بن الحارث.

ومن النساء خمس: أمة بنت خالد، وزينب بنت أبي سلمة، وعائشة وزينب وفاطمة، بنات الحارث بن خالد بن صخر.

عمرة القضاء^(١)

في ذي القعدة سنة سبع

قال ابن إسحاق: فلما رجع رسول الله ﷺ إلى المدينة من خيبر، أقام بها شهري ربيع وجماديين

(١) انظر عنها في: المغازي للواقدي ٢/٧٣١ - ٧٤١، والطبقات الكبرى لابن سعد ٢/١٢٠ - ١٢٣، والمحرر لابن حبيب

١١٥، والمغازي لعمرو ٢٠١ - ٢٠٣، وتاريخ الطبري ٣/٢٣ - ٢٦، وأنساب الأشراف ١/٣٥٣ رقم ٧٣٩، وتاريخ =

ورجياً وشعبان ورمضان وشوالاً، يبعث فيما بين ذلك من غزوه وسراياه ﷺ. ثم خرج في ذي القعدة في الشهر الذي صدّه فيه المشركون معتمراً عُمرَةَ القضاء، مكان عمرته التي صدّوه عنها.

قال ابن هشام: واستعمل على المدينة عُوف بن الأصبط الديلي.

ويقال لها عمرة القصاص^(١)، لأنهم صدّوا رسول الله ﷺ في ذي القعدة في الشهر الحرام من سنة ست، فاقترض رسول الله ﷺ منهم، فدخل مكة في ذي القعدة، في الشهر الحرام الذي صدّوه فيه، من سنة سبع.

وبلغنا عن ابن عباس أنه قال: فأنزل الله في ذلك: ﴿وَأَلْمَمْتُ بِقِصَاصٍ﴾ [البقرة: ١٩٤].

قال ابن إسحاق: وخرج معه المسلمون ممن كان صدّ معه في عمرته تلك، وهي سنة سبع، فلما سمع به أهل مكة خرجوا عنه، وتحدّثت قريش بينها أن محمداً وأصحابه في عسرة وجهد وشدة.

قال ابن إسحاق: فحدثني من لا أتهم، عن ابن عباس، قال: صَفُّوا له عند دار الندوة لِيَنْظُرُوا إليه وإلى أصحابه؛ فلما دخل رسول الله ﷺ المسجد اضطجع بردائه^(٢)، وأخرج عَصَدَه اليمنى، ثم

= خليفة ٨٦، والبدء والتاريخ ٢٢٨/٤، والكامل في التاريخ ٢٢٧/٢، ٢٢٨، وصحيح البخاري ٨٤/٥ - ٨٦، والروض الأنف ٧٦/٤.

(١) عُمرَةُ القِصَاص: وهذا الاسم أُوْلَى بها لقوله تعالى: ﴿الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ وَالْحَرَمَاتِ قِصَاصٌ﴾ وهذه الآية فيها نزلت، فهذا الاسم أُوْلَى بها، وسُميت عُمرَةُ القِصَاص لأنَّ النَّبِيَّ ﷺ قاضى قريشاً عليها، لا لأنه قضى العُمرة التي صدّ عن البيت فيها، فإنها لم تك فسدت بصدّهم عن البيت، بل كانت عُمرَةً تامّةً مَتَقَبَّلَةً، حتى إنهم حين حلّقوا رؤوسهم بالجلّ احتملها الريح، فألقتهما في الحرم، فهي معدودة في عَمَرِ النَّبِيِّ ﷺ - وهي أربع - عُمرَةُ الحُدَيْبِيَّةِ. وعُمرَةُ القِصَاص، وعُمرَةُ الجُفْرَانَةِ، والعُمرة التي قرنها مع حجّته في حجة الوداع فهو أصحُّ القولين أنه كان قارناً في تلك الحجة وكانت إحدى عُمَرِهِ عليه السلام في شِوَالٍ كذلك. روى عُروة عن عائشة وأكثر الروايات آتَهْنَ كَنَ كَلَهْنَ في ذي القعدة إلاّ التي قرن مع حجّته، كذلك روى الزُّهْرِيُّ، وانفرد مُعَمَّرٌ عن الزُّهْرِيِّ بأنّه عليه السلام كان قارناً، وأنَّ عُمَرَهُ كُنَّ أَرْبَعاً بِعُمَرَةِ الْقِرَانَ.

وأما حجّاته عليه السلام فقد روى الترمذيّ أنه حجّ ثلاث حجّات ثنتين بمكة، وواحدة بالمدينة وهي حجة الوداع، ولا ينبغي أن يضاف إليه في الحقيقة إلاّ حجة الوداع، وإن كان حجّ من الناس إذا كان بمكة كما روى الترمذيّ، فلم يكن ذلك الحجّ على سُنَّةِ الحجّ، وكماله، لأنه كان مغلوباً على أمره وكان الحجّ منقولاً عن وقته، كما تقدّم في أول الكتاب، فقد ذكر أنهم كانوا ينقلونه على حسب الشهور الشمسية، ويؤخّرونه في كل سنة أحد عشر يوماً، هذا هو الذي منع النبيّ ﷺ - أن يحجّ من المدينة، حتى كانت مكة دار إسلام، وقد كان أراد أن يحجّ مُتَّفَعِلُهُ مَنِّيوك، وذلك بإثر فتح مكة ببسير، ثم ذكر أنّ بقايا المشتركين يحجّون، ويطوفون عُرَاةً فأخّر الحجّ، حتى نبذ إلى كلّ ذي عهد عهده، وذلك في السنة التاسعة، ثم حجّ في السنة العاشرة بعد امتحاء رسوم الشّرك، وانحسام سير الجاهلية، ولذلك قال في حجة الوداع: «إنّ الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض».

والعُمرة واجبة في قول أكثر العلماء، وهو قول ابن عمر وابن عباس، وقال الشعبي: ليست بواجبة، وذكر عنه أنه كان يقرنها: «وأتّموا الحجّ والعُمرة لله» بالرفع - أي رفع لفظ العُمرة على جعل «والعُمرة لله» كلاماً مستأنفاً لا يعطفها على الحجّ، وقال عطاء: هي واجبة إلاّ على أهل مكة، ويكره مالك أن يعتمر الرجل في العام مراراً، وهو قول الحسن وابن سيرين، وجمهور العلماء على الإباحة في ذلك، وهو قول عليّ وابن عباس وعائشة والقاسم بن محمد. قالوا: يعتمر الرجل في العام ما شاء. (الروض الأنف ٧٦/٤، ٧٧).

(٢) اضطجع: أدخل الرداء تحت يبطه الأيمن وغطّى به الأيسر.

قال: «رحم الله امرأة أراهم اليوم من نفسه قوة^(١)، ثم استلم الركن، وخرج يُهزول^(٢) ويهرول أصحابه معه، حتى إذا وراه البيت منهم، واستلم الركن اليماني، مشى حتى يستلم الركن الأسود، ثم هرول كذلك ثلاثة أطواف، ومشى سائرهما. فكان ابن عباس يقول: كان الناس يظنون أنها ليست عليهم. وذلك أن رسول الله ﷺ إنما صنعها لهذا الحَي من قريش للذي بلغه عنهم، حتى إذا حجَّ حِجَّة الوداع فلزمها، فمضت السنة بها.

قال ابن إسحاق: وحدثني عبد الله بن أبي بكر: أن رسول الله ﷺ حين دخل مكة في تلك العمرة دخلها وعبد الله بن رواحة أخذ بخطام^(٣) ناقته يقول:

خَلُّوا بَنِي الْكُفَّارِ عَنْ سَبِيلِهِ خَلُّوا فَكُلَّ الْخَيْرِ فِي رَسُولِهِ
يَا رَبِّ إِنِّي مُؤْمِنٌ بِقِيلِهِ^(٤) أَغْرَفَ حَقَّ اللَّهِ فِي قَبُولِهِ
نَحْنُ قَتَلْنَاكُمْ عَلَى تَأْوِيلِهِ كَمَا قَتَلْنَاكُمْ عَلَى تَنْزِيلِهِ^(٥)
ضَرْباً يُزِيلُ الْهَامَ عَنْ مَقِيلِهِ وَيُذْهِلُ الْخَلِيلَ عَنْ خَلِيلِهِ^(٦)

قال ابن هشام: «نحن قتلناكم على تأويله» إلى آخر الأبيات، لعمار بن ياسر في غير هذا اليوم^(٧)، والدليل على ذلك أن ابن رواحة إنما أراد المشركين، والمشركون لم يُقْبَرُوا بالتنزيل، وإنما يُقتل على التأويل من أقر بالتنزيل.

زواج الرسول بميمونة: قال ابن إسحاق: وحدثني أبان بن صالح وعبد الله بن أبي نجیح، عن عطاء بن أبي رباح ومجاهد أبي الحجاج، عن ابن عباس: أن رسول الله ﷺ تزوج ميمونة بنت الحارث^(٨) في سفره ذلك وهو حَرَام، وكان الذي زوجه إيَّها العباس بن عبد المطلب^(٩).
قال ابن هشام: وكانت جعلت أمرها إلى أختها أم الفضل، وكانت أم الفضل تحت العباس،

(١) روى البخاري في كتاب المغازي ٨٦/٥ باب عمرة القضاء، عن طريق أيوب، عن سعيد بن جبیر، عن ابن عباس قال: لما قدم النبي ﷺ لعامة الذي استأمن قال: «ازمّلوا»، ليُري المشركين قوتهم، والمشركون من قبل قعيقعان.

(٢) يهرول: من الهرولة وهي فوق المشي ودون الجري.

(٣) الخطام: حبل تُقاد به الناقة.

(٤) قيله: قوله.

(٥) ويروى: اليوم نضربكم على تأويله بسكون الباء، وهو جائز في الضرورة نحو قول امرئ القيس:

فاليوم أشرب غير مستحقب

ولا يبعد أن يكون جائزاً في الكلام إذا اتصل بضمير الجمع، فقد روي عن ابن عمرو أنه كان يقرأ «يامزكم وينصركم». (الروض الأنف ٧٧/٤).

(٦) انظر القول بالألفاظ المختلفة وترتيب مختلف للأبيات في: الطبقات الكبرى ١٢١/٢، وتاريخ الطبري ٢٤/٣، والمغازي لعروة ٢٠٢، وتاريخ الإسلام (المغازي)، وعيون التواريخ ٢٧٣/١، وعيون الأثر ١٤٩/٢، والكامل في التاريخ ٢٢٧/٢، والمغازي للواقدي ٧٣٦/٢، ديوان ابن رواحة ١٠٠.

(٧) قالهما يوم صفين، وهو اليوم الذي قُتل فيه عمار، قتله أبو الغادية الفزاري وابن جزء اشتركا فيه. (الروض الأنف ٧٧/٤).

(٨) وأمها: هند بنت عوف الكنانية. (الروض الأنف ٧٧/٤).

(٩) الطبقات لابن سعد ١٢٢/٢، المغازي لعروة ٢٠١، تاريخ الطبري ٢٥/٣، تاريخ الإسلام (المغازي).

فجعلت أم الفضل أمرها إلى العباس^(١)، فزوجه رسول الله ﷺ بمكة، وأصدقها عن رسول الله ﷺ أربع مئة درهم.

قال ابن إسحاق: فأقام رسول الله ﷺ بمكة ثلاثاً، فأتاه حُوَيْطِبُ بْنُ عَبْدِ الْعُزَّى بْنِ أَبِي قَيْسِ بْنِ عَبْدِ وَدِّ بْنِ نَصْرِ بْنِ مَالِكِ بْنِ حِجْلٍ، فِي نَفَرٍ مِنْ قُرَيْشٍ، فِي الْيَوْمِ الثَّلَاثِ، وَكَانَتْ قُرَيْشٌ قَدْ وَكَلَتْهُ بِإِخْرَاجِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنْ مَكَّةَ؛ فَقَالُوا لَهُ: إِنَّهُ قَدْ انْقَضَى أَجْلُكَ، فَاخْرَجْنَا عَنْكَ: فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «وَمَا عَلَيْكُمْ لَوْ تَرَكْتُمُونِي فَأَعْرَسْتُمْ بَيْنَ أَظْهَرِكُمْ، وَصَنَعْنَا لَكُمْ طَعَاماً فَحَضَرْتُمُوهُ»، قَالُوا: لَا حَاجَةَ لَنَا فِي طَعَامِكَ، فَاخْرَجْنَا عَنْكَ. فَخَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، وَخَلَّفَ أَبَا رَافِعٍ مَوْلَاهُ عَلَى مَيْمُونَةَ، حَتَّى أَتَاهُ بِهَا بِسَرَفٍ^(٢)، فَبَنَى بِهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ هُنَاكَ، ثُمَّ انْصَرَفَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى الْمَدِينَةِ فِي ذِي الْحِجَّةِ^(٣).

قال ابن هشام: فأنزل الله عز وجل عليه، فيما حدثني أبو عبيدة: ﴿لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَخْلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ ءَامِينَ مَلْحِقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِنْ دُونِ ذَلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿٢٧﴾﴾ [الفتح: ٢٧] يعني خيبر.

ذكر غزوة مؤتة^(٤)

في جمادى الأولى سنة ثمان، ومقتل جعفر وزيد وعبد الله بن راحة

قال ابن إسحاق: فأقام بها بقيّة ذِي الْحِجَّةِ، وَوَلِيَّ تِلْكَ الْحِجَّةِ الْمُشْرِكُونَ، وَالْمُحْرَمَ وَصَفْرًا

(١) المغازي لعروة ٢٠١.

(٢) مكان قرب التنعيم وبسرف كانت وفاتها رضي الله عنها حين ماتت، وذلك سنة ثلاث وستين، وقيل سنة ست وستين، وصلى عليها ابن عباس، ويزيد بن الأصم: وكلاهما ابن أخت لها، ويقال: فيها نزلت «وامرأة مؤمنة إن وهبت نفسها للنبي ﷺ في أحد الأقوال، وذلك أنّ الخاطب جاءها، وهي على بغيرها، فقالت: البعير وما عليه لرسول الله ﷺ. واختلف الناس في تزويجه إياها أكان محرماً أم حلالاً، فروى ابن عباس أنه تزوجها محرماً، واحتج به أهل العراق في تجويز نكاح المُخْرَمِ، وخالفهم أهل الحجاز، واحتجوا بنهيه عليه السلام عن أن ينكح المُخْرَمَ أو يُنْكَحَ، وزاد بعضهم فيه: أو يخطب من رواية مالك، وعارضوا حديث ابن عباس بحديث يزيد بن الأصم أنّ النبي ﷺ تزوج ميمونة وهو حلال، وخزج الدارقطني والترمذي أيضاً من طريق أبي رافع أنّ النبي ﷺ تزوج ميمونة، وهو حلال. وروى الدارقطني من طريق ضعيف عن أبي هريرة أنه تزوجها وهو مُحْرَمٌ كرواية ابن عباس. وفي مُسْنَدِ الْبِزَّارِ من حديث مسروق وعائشة رضي الله عنها، قالت: تزوج رسول الله ﷺ وهو مُحْرَمٌ، وإن لم تُذكر في هذا الحديث ميمونة، فنكاحها أرادت، وهو حديث غريب، وخزج البخاري حديث ابن عباس، ولم يعلِّه هو، ولا غيره، وروى عن سعيد بن المسيّب أنه قال: غلط ابن عباس أو قال وهم، ما تزوجها النبي ﷺ إلا وهو حلال، ولما أجمعوا عن ابن عباس أنّ النبي ﷺ تزوجها مُحْرَمًا، ولم ينقل عنه أحد من المحدثين غير ذلك استغربت استغراباً شديداً ما رواه الدارقطني في السُنَنِ من طريق أبي الأسود يتيم غرورة، ومن طريق مطر الوزاق عن عكرمة، عن ابن عباس أنّ النبي ﷺ تزوج ميمونة، وهو حلال، فهذه الرواية عنه موافقة لرواية غيره، فقف عليها، فإنها غريبة عن ابن عباس، وهناك من يتأول قول ابن عباس: تزوجها مُحْرَمًا، أي: في الشهر الحرام، وفي البلد الحرام، وذلك أنّ ابن عباس رجل عربي فصيح، فتكلم بكلام العرب، ولم يُرد الإحرام بالحج، وقد قال الشاعر:

قتلوا ابن عفان الخليفة مُحْرَمًا ودعا فلم أر مثله مخذولاً

وذلك أنّ قتله كان في أيام التشريق، والله أعلم أراد ذلك ابن عباس، أو لا... (الروض الأنف ٧٧/٤، ٧٨).

(٣) تاريخ الطبري ٢٥/٤.

(٤) وهي مهموزة الواو، وهي قرية من أرض البلقاء. من الشام، وأما الموتة بلا همزة، فغضب من الجنون. وفي الحديث أنّ النبي ﷺ - كان يقول في صلاته: «أعوذ بالله من الشيطان الرجيم من همزه ونفخه ونفثه» وفسره راوي الحديث، فقال:

نفثه: الشعر، ونفخه: الكبُر، وهمزه: الموتة. (الروض الأنف ٧٨/٤).

وشهري ربيع، وبعث في جمادى الأولى بغته إلى الشام الذين أصيبوا بمؤتة.

قال ابن إسحاق: حدثني محمد بن جعفر بن الزبير، عن عروة بن الزبير، قال: بعث رسول الله ﷺ بغته إلى مؤتة في جمادى الأولى سنة ثمان، واستعمل عليهم زيد بن حارثة وقال: إن أصيب زيد فجعفر بن أبي طالب على الناس، فإن أصيب جعفر فعبد الله بن رواحة على الناس.

فتجهز الناس ثم تهيأوا للخروج، وهم ثلاثة آلاف، فلما حضر خروجهم ودع الناس أمراء رسول الله ﷺ وسلموا عليهم. فلما ودع عبد الله بن رواحة من ودع من أمراء رسول الله ﷺ بكى؛ فقالوا: ما يبكيك يا بن رواحة؟ فقال: أما والله ما بي حب الدنيا ولا صباة بكم، ولكني سمعت رسول الله ﷺ يقرأ آية من كتاب الله عز وجل، يذكر فيها النار ﴿وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا﴾ [مریم: ٧١]، فلست أدري كيف لي بالصدر بعد الورود؛ فقال المسلمون: صحبكم الله ودفن عنكم، وردكم إلينا صالحين؛ فقال عبد الله بن رواحة:

لكنني أسأل الرحمن مغفرة
أو طعنة بيدي حران مجهزة^(٢)
وضربة ذات فرغ تقذف الزبدا^(١)
بحزبة تنفذ الأحشاء والكبدا
أرشدته الله^(٤) من غاز وقد رشدا^(٥)
حتى يقال إذا مروا على جدتي^(٣)

قال ابن إسحاق: ثم إن القوم تهيأوا للخروج، فأتى عبد الله بن رواحة رسول الله ﷺ فودعه، ثم قال:

فشبت الله ما آتاك من حسن
إنني تفرست فيك الخير نافلة
أنت الرسول فمن يحرم نوافله
قال ابن هشام: أنشدني بعض أهل العلم بالشعر هذه الأبيات:
أنت الرسول فمن يحرم نوافله
فشبت الله ما آتاك من حسن
تثبتت موسى ونصراً كالذي نصروا
الله يعلم أنني ثابت البصر
والوجه منه فقد أزرى به القدر^(٦)
والوجه منه فقد أزرى به القدر
في المرسلين ونصراً كالذي نصروا

= وانظر عن الغزوة في: صحيح البخاري ٨٦/٥ - ٨٨، والمغازي لعروة ٢٠٤ - ٢٠٦، الدرر لابن عبد البر ٢٢٢، جوامع السيرة ٢٢٠، الطبقات الكبرى ١٢٨/٢ - ١٣٠، المغازي للواقدي ٧٥٥/٢ - ٧٦٩، المحجّر ١٢٣، تاريخ الطبري ٣٦/٣ - ٤٢، البدء والتاريخ ٤/٢٣٠ - ٢٣٢، تاريخ خليفة ٨٦، ٨٧، المعرفة والتاريخ ٣/٢٥٨، ٢٥٩.

(١) الفرغ: السعة. والزبد: في الأصل الرغوة، ويراد هنا شدة تدفق الدم.

(٢) المجهزة: التي تُجهز عليه، أي تُسرع في قتله.

(٣) الحدث: القبر.

(٤) في تاريخ الطبري ٣٧/٣ «أرشدك الله». وفي تاريخ الإسلام (المغازي) «يا أرشد الله».

(٥) انظر الأبيات في: تاريخ الطبري ٣٧/٣، والمغازي لعروة ٢٠٤، ٢٠٥، والبداية والنهاية ٤/٢٤٢، وتاريخ الإسلام (المغازي)، وعيون التواريخ ١/٢٧٩، ٢٨٠، وعيون الأثر ٢/١٥٣، والكامل في التاريخ ٢/٢٣٥.

(٦) انظر الأبيات مع اختلاف الألفاظ في: ديوان ابن رواحة ٩٤، والمغازي لعروة ٢٠٥، والبداية والنهاية ٤/٢٤٢، وتاريخ الإسلام (المغازي)، ومجمع الزوائد ٦/١٥٨.

إنني تفرّست فيك الخير نافلةً فراسةً خالفت فيك الذي نظروا
يعني المشركين؛ وهذه الأبيات في قصيدة له.

قال ابن إسحاق: ثم خرج القوم، وخرج رسول الله ﷺ، حتى إذا ودّعهم وانصرف عنهم، قال
عبد الله بن رواحة:

خَلَفَ السَّلَامُ عَلَى امْرِيءٍ وَدَعْتَهُ فِي النَّخْلِ خَيْرَ مُشِيْعٍ وَخَلِيلِ
ثم مضوا حتى نزلوا معان^(١)، من أرض الشام، فبلغ الناس أن هرقل قد نزل مآب، من أرض
البلقاء، في مائة ألف من الروم، وانضم إليهم من لحم وجذام والقيين وبهراء وبلي مائة ألف منهم،
عليهم رجل من بلي ثم أحد إزاشة، يقال له: مالك بن زافلة. فلما بلغ ذلك المسلمين أقاموا على
معان ليلتين يفكرون في أمرهم وقالوا: نكتب إلى رسول الله ﷺ، فنخبره بعدد عدونا، فإما أن يمدنا
بالرجال، وإما أن يأمرنا بأمره، فتمضي له.

قال: فشجع الناس عبد الله بن رواحة، وقال: يا قوم، والله إن التي تكروهون، لئتي خرجتم
تطلبون الشهادة، وما نقاتل الناس بعدد ولا قوة ولا كثرة، ما نقاتلهم إلا بهذا الدين الذي أكرمنا الله
به، فانطلقوا وإنما هي إحدى الحسينين إما ظهور وإما شهادة. قال: فقال الناس: قد والله صدق ابن
رواحه. فمضى الناس فقال عبد الله بن رواحة في مخبئهم ذلك:

جَلَبْنَا الْخَيْلَ مِنْ أَجَاً وَقَرَعُ^(٢) تُعْرُ مِنَ الْحَشِيْشِ لَهَا الْعُكُومُ^(٣)
حَدَوْنَاهَا مِنَ الصُّوَانِ سَبْتًا^(٤) أزل كأن صفحته أديم
أقامت ليلتين على معان فأعقب بعد فترتها جُموم^(٥)

(١) معان: مدينة في طرف بادية الشام تلتقاء الحجاز من نواحي البلقاء. (معجم البلدان ١٥٣/٥).

(٢) في تاريخ الطبري ٣٨/٣ «من أجم قرع».

(٣) أجأ: أحد جبلي طيء والجبيل الآخر سلمى. وفرع: مكان بأجأ. تُعْر: تُطعم مرة بعد أخرى. والعُكُوم: جمع عُكْم وهو
الجب.

(٤) أي حَدَوْنَاهَا نعالاً من حديد جعله سبباً لها، مجازاً. وصوآن من الصون، أي: يصون حوافرها، أو أخفافها، إن أراد
الإبل، فهو فعال من الصون، فقد كانوا يحذونها السريح وهو جلد يصون أخفافها، وأظهر من هذا أن يكون أراد بالصوآن
يسس الأرض، أي لا سبت له إلا ذلك، ووزنه فعلان من قولهم: نخلة خاوية أي يابسة، وأشد أبو علي:

قد أوبيت كل ماء فهي صاوية

ويشهد لمعنى الصوآن هنا قول النابغة الذبياني:

برى وقع الصوآن حد نسورها

وعين الفعل في صوآن ولامه واو، وأدخل صاحب العين في الصاد والواو والياء هذا اللفظ، فقال: صوى يصوي: إذا
يسس، ونخلة صاوية، ولو كان مما لاهم ياء، لقليل في صوآن صيان، كما قيل طيآن وريآن، ولكن لما انقلبت الواو ياء من
أجل الكسرة ظن الحرف من ذوات الياء. (الروض الأنف ٧٩/٤، ٨٠).

(٥) معان: بفتح الميم، وهو اسم موضع، وذكره البكري بضم الميم، وقال: هو اسم جبل، والمعان أيضاً: حيث تُحبس
الخيال والركاب، ويجتمع الناس، ويجوز أن يكون من أمعت للنظر، أو من الماء الممين، فيكون وزنه فعلاً، ويجوز أن
يكون من العون، فيكون وزنه مفعلاً، وقد جس المعري بهذه الكلمة، فقال:

معان من أحببتنا معان تجيب الصاهلات بها القيان =

فَرُحْنَا وَالْجِيَادُ مُسَوِّمَاتٍ تَنَفَّسُ فِي مَنَاخِرِهَا السَّمُومُ
 فَلَا وَأَبِي مَابَ لَنَأْتِيَنَّهَا وَإِنْ كَانَتْ بِهَا عَرَبٌ وَرُومُ
 فَعَبَّأْنَا أَعْنُتَهَا فَجَاءَتْ عَوَابِسَ وَالْعُبَارُ لَهَا بَرِيمُ^(١)
 بِذِي لَجَبٍ كَأَنَّ الْبَيْضَ فِيهِ إِذَا بَرَزَتْ قَوَانِسَهَا التُّجُومُ^(٢)
 فِرَاضِيَةَ الْمَعِيشَةِ طَلَّقَتْهَا أَسْنَتَهَا فَتَنَكَّحُ أَوْ تَنِيمُ^(٣)

قال ابن هشام: «ويروى: جلبنا الخيل من آجام قُرح»، وقوله: «فعبأنا أعتتها» عن غير ابن إسحاق.

قال ابن إسحاق: ثم مضى الناس، فحدثني عبد الله بن أبي بكر أنه حدث عن زيد بن أرقم، قال: كنت يتيماً لعبد الله بن رواحة في حجره، فخرج بي في سفره ذلك مُرَدِّفِي عَلَى حَقِيْبَةِ رَحْلِهِ، فوالله إنه ليسير ليلة إذ سمعته وهو ينشد أبياته هذه:

إِذَا أَدْيَيْتَنِي وَحَمَلْتِ رَحْلِي مَسِيرَةَ أَرْبَعٍ بَعْدَ الْجِسَاءِ^(٤)
 فَشَأْنُكَ أَنْعُمٌ وَخَلَائِكُ ذَمِّ وَلَا أَرْجِعُ إِلَى أَهْلِي وَرَائِي
 وَجَاءَ الْمُسْلِمُونَ وَغَادِرُونِي بِأَرْضِ الشَّامِ مُشْتَهِي التُّوَاءِ
 وَرَدَّكَ كُلُّ ذِي نَسَبٍ قَرِيبٍ إِلَى الرَّحْمَنِ مُنْقَطِعِ الْإِخَاءِ
 هُنَالِكَ لَا أَبَالِي طَلَعَ بَغْلِي^(٥) وَلَا نَخْلِي أَسَافِلُهَا رِوَاءِ^(٦)

فلما سمعتهن منه بكيت. قال: فحَفَقَنِي بِالذَّرَّةِ، وقال: ما عليك يا لَكْعُ^(٧) أن يرزقني الله شهادةً وترجع بين شُعْبَتِي الرَّحْلِ!

قال: ثم قال عبد الله بن رواحة في بعض سفره ذلك وهو يرتجز:

يَا زَيْدُ زَيْدَ الْيَعْمَلَاتِ الذُّبُلِ^(٨) تَطَاوَلَ اللَّيْلُ هُدَيْتَ فَاَنْزِلِ^(٩)

= (الروض الأنف ٧٩/٤).

والفترة: السكون. الجُوم: اجتماع القوة.

(١) البريم في الأصل: الخيط المفتول الذي فيه لوانان مختلطان، يريد أن لون الخيل اختلط بلون التراب.

(٢) بذِي لَجَبٍ: أي بجيش ذِي لَجَبٍ. واللجب اختلاط الأصوات. الْبَيْضُ: ما يوضع على الرأس من الحديد ليحميه. والقوانس: أعالي الْبَيْضِ.

(٣) تنيم: تبقى دون زوج. والأبيات في تاريخ الطبري ٣٨/٣.

(٤) الجِسَاءُ: جمع حسي: ماء يخفي في الرمل حتى يجد مكاناً صلباً فيستقر.

(٥) البعل: من يشرب بعروقه من الزرع دون ري.

(٦) الأبيات في تاريخ الطبري ٣٨/٣، ٣٩، والكامل في التاريخ ٢/٢٣٥، ٢٣٦، ومنها ثلاثة أبيات في عيون الأثر ٢/١٥٤، وأربعة أبيات في المغازي للواقدي ٢/٧٥٩، والبيت الأول في مجمع الزوائد ٩/١٥٨، وكلها في عيون التواريخ ١/٢٨١.

(٧) اللَّكْعُ: اللثيم أو الأحمق.

(٨) الْيَعْمَلَاتُ: النوق السريعة. والذُّبُلُ: التي أهزلها السير.

(٩) تاريخ الطبري ٣/٣٩.

لقاء الروم وحلفائهم: قال ابن إسحاق: فمضى الناس، حتى إذا كانوا بتخوم^(١) البلقاء لقيتهم جموع هزقل، من الروم والعرب، بقرية من قرى البلقاء يقال لها مشارف^(٢)، ثم دنا العدو، وانحاز المسلمون إلى قرية يقال لها مؤتة، فالتقى الناس عندها، فتعبأ لهم المسلمون، فجعلوا على ميمنتهم رجلاً من بني عذرة، يقال له: قُطْبَةُ ابْنُ قُتَادَةَ، وعلى ميسرتهم رجلاً من الأنصار يقال له عُبَايَةُ بْنُ مَالِكٍ.

قال ابن هشام: ويقال عبادة بن مالك.

مقتل زيد بن حارثة: قال ابن إسحاق: ثم التقى الناس واقتتلوا، فقاتل زيد بن حارثة براءة رسول الله ﷺ حتى شاط^(٣) في رماح القوم^(٤).

مقتل جعفر:

ثم أخذها جعفر فقاتل بها، حتى إذا ألحمه^(٥) القتال اقتحم^(٦) عن فرس له شقراء، فعقرها^(٧)، ثم قاتل القوم حتى قُتِلَ. فكان جعفر أول رجل من المسلمين عقر في الإسلام.

وحدثني يحيى بن عبّاد بن عبد الله بن الزبير، عن أبيه عبّاد، قال: حدثني أبي الذي أرضعني، وكان أحد بني مروة بن عوف، وكان في تلك الغزوة غزوة مؤتة قال: والله لكأنني أنظر إلى جعفر حين اقتحم عن فرس له شقراء، ثم عقرها ثم قاتل حتى قُتِلَ^(٨) وهو يقول:

يا حَبِذا الجِنَّةُ واقترباُها طَيِّبَةً وبارداُ شرابها
والروم رومٌ قد دنا عذابها كافرةً بعيدهُ أنسابها
عليّ إذ لاقيتها ضرابها^(٩)

قال ابن هشام: وحدثني من أتق به من أهل العلم: أن جعفر بن أبي طالب أخذ اللواء بيمينه ففُطِعت، فأخذه بشماله ففُطِعت، فاحتضنه بعضديه حتى قُتِلَ رضي الله عنه وهو ابن ثلاث وثلاثين

(١) التخوم: الحدود الفاصلة بين البلاد.

(٢) مشارف: توزع.

(٣) ألحمه: وقع فيه فلم يجد له مخرجاً.

(٤) عقرها: ضرب قواتها بسيفه. ولم يُعَب ذلك عليه. فدَل على جوازه مخافة أن يأخذها العدو، فيقاتل عليها المسلمون، فلم يدخل هذا في باب النهي عن تعذيب البهائم، وقتلها عبثاً. غير أن أبا داود خرج هذا الحديث فقال: حدثنا الثَّقَلِي قال: حدثنا محمد بن مسلمة، عن محمد بن إسحاق، عن ابن عبّاد، عن أبيه عبّاد بن عبد الله بن الزبير، قال: حدثني: أبي الذي أرضعني، وهو أحد بني مروة بن عوف، وكان في تلك الغزوة غزوة مؤتة، قال: والله لكأنني أنظر إلى جعفر حين اقتحم عن فرس له شقراء فعقرها، ثم قاتل القوم حتى قتل.

قال: أبو داود: وليس هذا الحديث بالقوي، وقد جاء فيه نهي كثير عن أصحاب النبي ﷺ. (الروض الأنف ٤/٨٠).

(٨) سنن أبي داود ٢٩/٣ كتاب الجهاد (٢٥٧٣) باب في الدابة تعرب في الحرب. وهو في فتح الباري لابن حجر ٧/٥١١، والطبقات لابن سعد ١/٣٧، وحلية الأولياء لأبي نعيم ١/١١٨، وأسد الغابة لابن الأثير ٣/٣٤٣، وشرح المواهب للزرقاني ٢/٢٧١، ٢٧٢ ورواه الطبراني كما قال عروة في مغازيه ٢٠٦، والهيشمي في مجمع الزوائد ٦/١٥٧، والطبراني في المعجم الكبير ٢/١٠٦ رقم ١٤٦٢.

(٩) تاريخ الطبري ٣/٣٩، نهاية الأرب ١٧/٢٨٠.

سنة، فأثابه الله بذلك جناحين في الجنة يطير بهما حيث شاء^(١).

ويقال: إن رجلاً من الروم ضربه يومئذ ضربة، فقطعه بنصفين^(٢).

مقتل عبد الله بن راحة: قال ابن إسحاق: وحدثني يحيى بن عبّاد بن عبد الله بن الزبير، عن أبيه عبّاد قال: حدثني أبي الذي أَرْضَعَنِي، وكان أحد بني مَرَّة بن عوف، قال: فلما قُتِل جعفر أخذ عبد الله بن رَوَاحَةَ الرَايَةَ، ثم تقدّم بها، وهو على فرسه، فجعل يستنزل نفسه، ويتردّد بعض التردّد، ثم قال:

أَقْسَمْتُ يَا نَفْسُ لَتَنْزِلَنَّ
مَالِي أَرَاكَ تَكْرَهِيْنَ الْجَنَّةَ
قَدْ طَالَ مَا قَد كُنْتُ مُطْمَئِنِّئَةً
هَلْ أَنْتِ إِلَّا نُطْفَةٌ فِي شَيْئَةٍ^(٤)

وقال أيضاً:

يَا نَفْسُ إِلَّا تُفْتَلِي تَمُوتِي هَذَا جِمَامِ الْمَوْتِ قَدْ صَلَيْتِ

(١) وروى عكرمة، عن ابن عباس أنّ النبي ﷺ قال: «دخلت الجنة البارحة، فرأيت جعفرأ يطير مع الملائكة، وجناحاه مضرّجان بالدم». وعن سعيد بن المسيّب، قال: قال رسول الله ﷺ: «مُتِلْ لِي جَعْفَرُ زَيْدٍ وَعَبْدُ اللَّهِ بْنِ رَوَاحَةَ فِي خِيْمَةٍ مِنْ دُرٍّ عَلَى أَسْرَةٍ، فَرَأَيْتُ زَيْدًا وَعَبْدَ اللَّهِ فِي أَعْنَاقِهِمَا صُدُودٌ، وَرَأَيْتُ جَعْفَرًا مُسْتَقِيمًا. فَقِيلَ لِي: إِنَّهُمَا حِينَ غَشِيَهُمَا الْمَوْتَ أَعْرَضَا بَوَاجِهِمَا، وَمَضَى جَعْفَرٌ، فَلَمْ يَعْرِضْ، وَسَمِعَ النَّبِيَّ - ﷺ - فَاطِمَةَ حِينَ جَاءَ نَعْيَ جَعْفَرٍ تَقُولُ: وَاعْمَأْهُ، فَقَالَ: عَلَى مِثْلِ جَعْفَرٍ، فَلْتَبْكِي الْبَوَاكِي. وَكَانَ أَبُو هُرَيْرَةَ يَقُولُ: مَا احْتَذَى النَّعَالَ، وَلَا رَكِبَ الْمَطَايَا بَعْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَفْضَلَ مِنْ جَعْفَرٍ. وَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ جَعْفَرٍ: كُنْتُ إِذَا سَأَلْتُ عَلِيًّا حَاجَةً، فَمَنْعَنِي أَقْسَمَ عَلَيْهِ بِحَقِّ جَعْفَرٍ فَيُعْطِينِي.

ومما ينبغي الوقوف عليه في معنى الجناحين أنهما ليسا كما يسبق إلى الوهم على مثل جناحي الطائر وريشه، لأن الصورة الآدمية أشرف الصّور، وأكملها، وفي قوله عليه السلام: «إن الله خلق آدم على صورته» تشريف له عظيم، وحاشا لله من التشبيه والتمثيل، ولكنها عبارة عن صفة ملكية وقوة روحانية، أعطيتها جعفر كما أعطيتها الملائكة، وقد قال الله تعالى لموسى: «واضمم يدك إلى جناحك» فعبر عن العضد بالجناح توسعاً، وليس ثمّ طيران، فكيف بمن أعطي القوة على الطيران مع الملائكة أخلق به إذا: أن يوصف بالجناح مع كمال الصورة الآدمية وتمام الجوارح البشرية، وقد قال أهل العلم في أجنحة الملائكة ليست كما يتوهم من أجنحة الطير، ولكنها صفات ملكية لا تفهم إلا بالمعانية، واحتجوا بقوله تعالى: «أولي أجنحة منى وثلاث ورباع» فكيف تكون كأجنحة الطير على هذا، ولم يُر طائر له ثلاثة أجنحة، ولا أربعة، فكيف بستمائة جناح، كما جاء في صفة جبريل عليه السلام، فدلّ على أنها صفات لا تنضب كيفيتها للفكر، ولا ورد أيضاً في بيانها خير، فيجب علينا الإيمان بها، ولا يفيدنا علماً إعمال الفِكر في كيفيتها، وكل امرئ قريب من معانية ذلك. (الروض الأنف ٤/ ٨٠).

والحديث ضعيف لجهالة راويه، وأخرجه الترمذي في المناقب (٣٧٦٧) والحاكم في المستدرک ٣/ ٢٠٩ و٢١٣ وفيه بإسناد صحيح على شرط مسلم. وابن حجر في فتح الباري ٧/ ٧٦ عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «مرّ بي جعفر الليلة في ملا من الملائكة، وهو مخضّب الجناحين بالدم أبيض الفؤاد». وفي صحيح البخاري (٣٧٠٩) من طريق الشعبي أن ابن عمر رضي الله عنه كان إذا سلّم على ابن جعفر قال: السلام عليك يا ابن ذي الجناحين. انظر سير أعلام النبلاء ١/ ٢١٢ وأخرجه الطبراني في المعجم الكبير ٢/ ١٠٧ رقم ١٤٦٦.

(٢) الطبقات الكبرى لابن سعد ٢/ ١٢٩.

(٣) الرّثة: صوت فيه ترجيع يشبه البكاء.

(٤) النطفة الماء القليل الصافي. الشّقة: السقاء البالي، ضرب بذلك مثلاً بقصر العُمر.

والقول في: تاريخ الطبري ٣/ ٣٩، ٤٠، ونهاية الأرب ١٧/ ٢٨٠، وتاريخ الإسلام (المغازي)، وديوان ابن راحة ١٠٨، ومجمع الزوائد ٦/ ١٥٩، والبدء والتاريخ ٤/ ٢٣١، وعيون التواريخ ١/ ٢٨٢، وسنن سعيد بن منصور ٢/ ٢٩٧.

وماتمئيت فقد أعطيت إن تفعلني فغلهما هديت^(١) يريد صاحبيه: زيداً وجعفرأ؛ ثم نزل. فلما نزل أتاه ابن عم له بعزق^(٢) من لحم فقال: شدّ بهذا صلبك، فإنك قد لقيت في أيامك هذه ما لقيت، فأخذه من يده ثم انتَهَس^(٣) منه نَهْسةً، ثم سمع الحَظْمَةَ^(٤) في ناحية الناس، فقال: وأنت في الدنيا! ثم ألقاه من يده، ثم أخذ سيفه فتقدم، فقاتل حتى قُتل.

إمارة خالد: ثم أخذ الراية ثابت بن أقرم أخو بني العَجْلان، فقال: يا معشر المسلمين اصطلحوا على رجل منكم، قالوا: أنت، قال: ما أنا بفاعل. فاصطلح الناس على خالد بن الوليد؛ فلما أخذ الراية دافع القوم، وحاشى^(٥) بهم، ثم انحاز وانحيز عنه، حتى انصرف بالناس^(٦).

الرسول يتنبأ بما حدث للمسلمين: قال ابن إسحاق: ولما أصيب القوم قال رسول الله ﷺ، فيما بلغني: «أخذ الراية زيد بن حارثة فقاتل بها حتى قُتل شهيداً»؛ ثم أخذها جعفر فقاتل بها حتى قُتل شهيداً؛ قال: «ثم صمت رسول الله ﷺ حتى تغيرت وجوه الأنصار، وظنوا أنه قد كان في عبد الله بن رواحة بعض ما يكرهون، ثم قال: ثم أخذها عبد الله بن رواحة فقاتل بها حتى قُتل شهيداً»؛ ثم قال: «لقد رُفِعوا إليّ في الجنة، فيما يرى النائم، على سُرر من ذهب، فرأيت في سرير عبد الله بن رواحة ازوراراً^(٧) عن سرير صاحبيّ، فقلت: عمّ هذا؟ فقيل لي: مَضيا وتردد عبد الله بعض التردد، ثم مضى^(٨)».

حزن الرسول على جعفر: قال ابن إسحاق: فحدثني عبد الله بن أبي بكر، عن أم عيسى الخُزاعية، عن أم جعفر بنت محمد بن جعفر بن أبي طالب، عن جدتها أسماء بنت عُميس، قالت: لما أصيب جعفر وأصحابه دخل عليّ رسول الله ﷺ وقد دبغت أربعين مناً - قال ابن هشام: ويروى أربعين منيئة - وعجنت عجيني، وغسلت بنيّ وذَهنتهم ونظفتهم. قالت: فقال لي رسول الله ﷺ: «أنتيني ببني جعفر»؛ قالت: فأتيته بهم، فتشمّمهم وذَرَفَت عيناه، فقلت: يا رسول الله، بأبي أنت وأمي، ما

(١) القول في ديوان ابن رواحة ٨٧، وتاريخ الطبري ٤٠/٣، ونهاية الأرب ٢٨١/١٧، وتاريخ الإسلام (المغازي)، ومجمع الزوائد ١٥٩/٦.

(٢) العزق: عَظُم عليه بعض اللحم.

(٣) انتَهَس: أخذ اللحم بمقدّم أسنانه وتَنَشَّه.

(٤) الحَظْمَةُ: كسر الناس لبعضهم.

(٥) والمخاشاة. المحاجزة، وهي مفاعلة من الخشية، لأنه خشي على المسلمين لقلّة عددهم فقد قيل: كان العدو ماتني ألف من الروم، وخمسين ألفاً من العرب، ومعهم من الخيول والسلاح ما ليس مع المسلمين، وفي قول ابن إسحاق: وكان العدو مائة ألف وخمسين ألفاً. وقد قيل: إن المسلمين لم يبلغ عددهم في ذلك اليوم ثلاثة آلاف، ومن رواه: حاشى بالحاء المهملة، فهو من الحشي، وهي الناحية، وفي رواية قاسم بن أصبغ عن ابن قُتيبة في المعارف أنه سئل عن قوله: حاشى بهم، فقال: معناه: انحاز بهم. (الروض الأنف ٨١/٤).

(٦) تاريخ الطبري ٣٩/٣، ٤٠، تاريخ الإسلام (المغازي)، نهاية الأرب ٢٨١/١٧، ٢٨٢، الكامل في التاريخ ٢٣٧/٢، ٢٣٨.

(٧) الازورار: الميل.

(٨) قال الهيثمي في مجمع الزوائد ١٦٠/٦ رواه الطبراني ورجاله ثقات. وانظر الطبقات لابن سعد ١٣٠/٢، ونهاية الأرب ٢٨٢/١٧، وتاريخ الإسلام (المغازي).

يُبيك؟ أبلغك عن جعفر وأصحابه شيء؟ قال: «نعم، أصيبوا هذا اليوم». قالت: فقامت أصبح، واجتمعت إلي النساء، وخرج رسول الله ﷺ إلى أهله، فقال: «لا تُغفلوا آل جعفر من أن تصنعوا لهم طعاماً، فإنهم قد شغلوا بأمر صاحبهم»^(١).

وحدثني عبد الرحمن بن القاسم بن محمد، عن أبيه، عن عائشة زوج النبي ﷺ، قالت: لما أتى نعي جعفر، عرفنا في وجه رسول الله ﷺ الحزن. قالت: فدخل عليه رجل فقال: يا رسول الله، إن النساء عئيبننا وقتننا؛ قال: فارجع إليهن فأسكينتهن. قالت: فذهب ثم رجع، فقال له مثل ذلك - قال: تقول وربما ضرّ التكلف أهله - قالت: قال: «فاذهب فأسكينتهن، فإن أبين فاحث في أفواههن التراب»، قالت: وقلت في نفسي: أبعدك الله! فوالله ما تركت نفسك وما أنت بمطيع رسول الله ﷺ. قالت: وعرفت أنه لا يقدر على أن يخفي في أفواههن التراب^(٢).

قال ابن إسحاق: وقد كان قُطبة بن قتادة العُدري، الذي كان على مئمنة المسلمين، قد حمل على مالك بن زافلة فقتله، فقال قُطبة بن قتادة:

طعننُ ابنَ زافلةَ بنِ الإِرا
ش برُمح مَضَى فيه ثم أنْحَطَم
ضربنُ على جِيدِهِ صَرْبَةً
فمال كما مال غِصنُ السِّلْمِ^(٣)
وسُقنا نساء بني عمّه
غداة رُقوقين^(٤) سَووقِ النُّعَمِ

قال ابن هشام: قوله: «ابن الإراش» عن غير ابن إسحاق.

والبيت الثالث عن خلاد بن قرة؛ ويقال: مالك بن رافلة.

ما قالته كاهنة حدّس: قال ابن إسحاق: وقد كانت كاهنة من حدّس حين سمعت بجيش رسول الله ﷺ مقبلاً، قد قالت لقومها من حدّس، وقومها بطن يقال لهم بنو غنم - أنذرکم قوماً خُزراً^(٥) ينظرون شُزراً^(٦)، ويقودون الخيل تثرى^(٧)، ويهريقون دماً عكراً. فأخذوا بقولها، واعتزلوا من بين

(١) وهذا أصل في طعام التعزية وتسميه العرب: الوضيمة، كما تسمي طعام العرس: الوليمة، وطعام القادم من السفر: النقيعة، وطعام البناء: الوكيرة، وكان الطعام الذي صنّع لآل جعفر فيما ذكر الزبير، في حديث طويل عن عبد الله بن جعفر قال: فعمدت سلمى مولاة النبي ﷺ إلى شعير، فطحنته، ثم آدمته بزيت وجعلت عليه فلفلاً، قال عبد الله، فأكلت منه، وجسني النبي ﷺ مع إخوتي في بيته ثلاثة أيام. (الروض الأنف ٤/ ٨١، ٨٢).

والحديث روى بعضه ابن ماجه، ورواه أحمد. قال الهيثمي في مجمع الزوائد ٦/ ١٦١: وفيه امرأتان لم أجد من وثقهما ولا جرحهما، وبقية رجاله ثقات. انظر: المسند لأحمد ٦/ ٢٧٠، وابن ماجه في الجنائز (١١٦١). ومسند الشافعي ١/ ٢٠٨، والأم له أيضاً ١/ ٢٧٤، وسنن الدارقطني ١٩٠ و١٩٧، والسنن الكبرى للبيهقي ٤/ ٦١، وسنن أبي داود في الجنائز (٣١٣٢)، وسنن الترمذي في الجنائز (٩٩٨) وكلهم من طريق: سفيان بن عيينة، عن جعفر بن خالد، عن أبيه، عن عبد الله بن جعفر. وقد صححه الحاكم في المستدرک ١/ ٣٧٢ ووافقه الذهبي في التلخيص، وهو كما قال. (سير أعلام النبلاء ١/ ٢١١) وأخرجه الطبراني في المعجم الكبير ٢/ ١٠٨ رقم ٢٤٧٢.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الجنائز، باب من جلس عند المصيبة يُعرف فيه الحزن. ومسلم في الجنائز (٩٣٥).

(٣) السلم: شجر العَصاة. نوع من الأشجار تؤخذ منه الصبغة.

(٤) رقوقين: اسم موضع.

(٥) الخُزر: من يضيّقون عيونهم وينظرون.

(٦) الشُزر: نظر العداوة.

(٧) في تاريخ الطبري ٣/ ٤١ «بُترأ».

لخم؛ فلم تنزل بعدُ أثري حدّس. وكان الذين صلّوا الحرب يومئذ بنو ثعلبة، بطن من حدّس، فلم يزالوا قليلاً بعدُ. فلما انصرف خالد بالناس أقبل بهم قافلاً^(١).

الرسول يلتقي الأبطال: قال ابن إسحاق: فحدثني محمد بن جعفر بن الزبير، عن عروة بن الزبير، قال: لما دنوا من حول المدينة تلقّاهم رسول الله ﷺ والمسلمون. قال: ولقيهم الصبيان يشتدون، ورسول الله ﷺ مُقبل مع القوم على دابة، فقال: خذوا الصبيان فاحملوهم، وأعطوني ابن جعفر. فأتي بعبد الله فأخذه فحمله بين يديه. قال: وجعل الناس يحثون على الجيش التراب، ويقولون يا فُزار، فررتم في سبيل الله! قال: فيقول رسول الله ﷺ: «ليسوا بالفُزار، ولكنهم الكُزار إن شاء الله تعالى»^(٢).

قال ابن إسحاق: وحدثني عبد الله بن أبي بكر، عن عامر بن عبد الله بن الزبير، عن بعض آل الحارث بن هشام: وهم أخواله، عن أم سلمة زوج النبي ﷺ، قال: قالت أم سلمة لامرأة سلمة بن هشام بن العاص بن المغيرة: ما لي لا أرى سلمة يحضر الصلاة مع رسول الله ﷺ ومع المسلمين؟ قالت: والله ما يستطيع أن يخرج، كلما خرج صاح به الناس يا فُزار، فُزرتم في سبيل الله، حتى قعد في بيته فما يخرج^(٣).

قال ابن إسحاق: وقد قال فيما كان من أمر الناس وأمر خالد ومُخاشاته بالناس وانصرافه بهم، قيس بن المُسَحر اليعمري، يعتذر مما صنع يومئذ وصنع الناس:

فوالله لا تُنْفَكُ نفسي تُلومني
وَقَفْتُ بها لا مُسْتَجِيرًا^(٥) فنافذاً
على أنني آسَيْتُ نفسي بخالدي
وجاشت إليّ النفس من نحو جعفر
وَضَمُّ إِلَيْنَا حَجَزَتِيهِمْ^(٦) كليهما
على مَوْقفي والخيل قابعة قُبُل^(٤)
ولا مانِعاً مَنْ كان حَمَ له القُتل
ألا خالد في القوم لَيْسَ له مثل
بمؤتة إذ لا يَنْفَعُ النَّابِلُ التُّبُل
مهاجرة لا مُشركون ولا عُزْل

فبين قيس ما اختلف فيه الناس من ذلك في شعره، أن القوم حاجزوا وكرهوا الموت، وحقق انحياز خالد بمن معه.

(١) تاريخ الطبري ٤١/٣، ٤٢.

(٢) ورواية غير ابن إسحاق أنهم قالوا للنبي ﷺ: نحن الفزارون يا رسول الله؟ فقال: «بل أنتم الكزارون»، وقال لهم: «أنا فنتكم»، يريد: أن من فر متحيزاً إلى فئة المسلمين فلا حرج عليه، وإنما جاء الوعيد فيمن فر عن الإمام، ولم يتحيز إليه، أي لم يلجأ إلى حوزته، فيكون معه، فالمتحيز متفعل من الحوز، ولو كان وزنه متفعلاً كما يظن بعض الناس لقال فيه: متحوز؛ وزوي أن عمر رضي الله عنه حين بلغه قتل أبي عبيد بن مسعود وأصحابه في بعض أيام القادسية، قال: هلاًّ تحيزوا إلينا، فإنا فئة لكل مسلم. (الروض الأنف ٨١/٤).

والحديث أخرجه ابن سعد في الطبقات ١٢٩/٢، والطبري في تاريخه ٤٢/٣، وابن الأثير في الكامل ٢٣٨/٢، والنويري في نهاية الأرب ١٧/٢٨٢.

(٣) تاريخ الطبري ٤٢/٣، تاريخ الإسلام (المغازي). (٤) القُبُل: إقبال نظر كل من العينين على الآخر.

(٥) في سيرة ابن كثير ٤٧٤/٣ «مستحيزاً».

(٦) حجزتهم: ناحيتهم.

قال ابن هشام: فأما الزهري فقال فيما بلغنا عنه: أمر المسلمون عليهم خالد بن الوليد، ففتح الله عليهم، وكان عليهم حتى قفل إلى النبي ﷺ.

قال ابن إسحاق: وكان مما بُكِّيَ به أصحاب مؤتة من أصحاب رسول الله ﷺ قول حسان بن ثابت:

وَهَمَّ إِذَا مَا نَوِّمُ النَّاسُ مُسْهَرُ
سَفُوحاً وَأَسْبَابُ الْبِكَاءِ التَّذْكَرُ
وَكَمْ مِنْ كَرِيمٍ يُبْتَلَى ثُمَّ يَضْبِرُ
شُعُوبَ وَخَلْفاً بَعْدَهُمْ يَتَأَخَّرُ
بِمُوتِهِ مِنْهُمْ ذُو الْجَنَاحِينَ جَعْفَرُ
جَمِيعاً وَأَسْبَابُ الْمَنِيِّ تَخْطِرُ
إِلَى الْمَوْتِ مَيْمُونُ النَّقِيبَةِ أَزْهَرُ
أَبِي إِذَا سِيمَ الظُّلَامَةَ مِجْسَرُ^(٣)
لَمُعْتَرِكٍ فِيهِ قَنَا مُتَكَسَّرُ^(٤)
جِنَانٌ وَمَلْتَفَ الْحَدَائِقِ أَخْضَرُ
وَفَاءٌ وَأَمْرًا حَازِمًا حِينَ يَأْمُرُ
دَعَائِمُ عَزْلًا يَزْلُنُ وَمَفْخَرُ
رِضَامٌ إِلَى طَوْدٍ يَرُوقُ وَيَقْهَرُ^(٥)
عَلِيٌّ وَمِنْهُمْ أَحْمَدُ الْمَتَخَيَّرُ
عَقِيلٌ وَمَاءُ الْعُودِ مِنْ حَيْثُ يُغْضَرُ
عَمَاسٍ^(٦) إِذَا مَا ضَاقَ بِالنَّاسِ مَصْدَرُ
عَلَيْهِمْ، وَفِيهِمْ ذَا الْكِتَابِ الْمُطَهَّرُ

سَخَا كَمَا وَكَفَ الطَّبَابُ^(٨) الْمُخْضَلُ
طَوْرًا أَجْنُ وَتَارَةً أَنْمَلَمَلُ

تَأْوِينِي^(١) لَيْلٌ بِيْثِرْبِ أَعْسَرُ
لِذِكْرِي حَبِيبٍ هَيَّجَتْ لِي عَبْرَةَ
بَلَى، إِنْ فَقْدَانُ^(٢) الْحَبِيبِ بَلِيَّةُ
رَأَيْتُ خِيَارَ الْمُؤْمِنِينَ تَوَارِدُوا
فَلَا يُبْعِدُنَّ اللَّهُ قَتْلَى تَتَابَعُوا
وَزَيْدٌ وَعَبْدُ اللَّهِ حِينَ تَتَابَعُوا
غَدَاةً مَضَوْا بِالْمُؤْمِنِينَ يَقُودُهُمْ
أَغْرُ كَضْوَاءِ الْبَدْرِ مِنْ آلِ هَاشِمٍ
فَطَاعَنَ حَتَّى مَالٍ غَيْرِ مُوسَّدِ
فَصَارَ مَعَ الْمُسْتَشْهِدِينَ نَوَابُهُ
وَكُنَّا نَرَى فِي جَعْفَرٍ مِنْ مُحَمَّدٍ
فَمَا زَالَ فِي الْإِسْلَامِ مِنْ آلِ هَاشِمٍ
هُمْ جِبَلُ الْإِسْلَامِ وَالنَّاسُ حَوْلَهُمْ
بِهَالِيلِ^(٦) مِنْهُمْ جَعْفَرُ وَابْنُ أُمِّهِ
وَحِمَزَةُ وَالْعَبَّاسُ مِنْهُمْ وَمِنْهُمْ
بِهِمْ تُفْرَجُ الْأَلْوَاءُ فِي كُلِّ مَازِقٍ
هُمْ أَوْلِيَاءُ اللَّهِ أَنْزَلَ حُكْمَهُ
وَقَالَ كَعْبُ بْنُ مَالِكٍ:

نَامَ الْعُيُونُ وَدَمَعُ عَيْنِكَ يَهْمُلُ
فِي لَيْلَةٍ وَرَدَّتْ عَلَيَّ هُمُومُهَا

(١) تأويني: عاودني ورجع إلي.

(٢) إِنْ فَقْدَانُ: في ديوان حسان «بلاء وفقدان».

(٣) المِجْسَرُ: المقدم الجسور.

(٤) الرِضَامُ: الحجارة المرصومة، وهي المجموعة فوق بعضها. الطود: الجبل.

(٥) البهاليل: السادة.

(٦) العماس: المظلم.

(٧) الطباب: جمع طبابة، وهي سير بين خريزتين في المزادة، فإذا كان غير مُحَكَّم وكف منه الماء. (الروض الأنف ٤/٨٣).

واغتادني حُزْنٌ فَبِتَّ كَأَنِّي
وكأَنَّمَا بَيْنَ الْجَوَانِحِ وَالْحَشَى
وَجَدًّا عَلَى الثُّفْرِ الَّذِينَ تَتَابَعُوا
صَلَّى إِلَاهَ عَلَيْهِمْ مِنْ فِتْيَةٍ
صَبَرُوا بِمُؤْتَةَ لِلإله نُفُوسَهُمْ
فَمَضُوا أَمَامَ الْمُسْلِمِينَ كَأَنَّهُمْ
إِذْ يَهْتَدُونَ بِجَعْفَرٍ وَلِوَائِهِ
حَتَّى تَفَرَّجَتِ الصُّفُوفُ وَجَعْفَرُ
فَتَغَيَّرَ الْقَمَرُ الْمُنِيرُ لِفَقْدِهِ
قَزَمَ^(٤) عَلا بُنْيَانَهُ مِنْ هَاشِمٍ
قَزَمَ بِهِمْ عَصَمَ إِلَاهُ عِبَادَهُ
فَضَلُّوا الْمَعَاشِرَ عِزَّةً وَتَكْرُمًا
لَا يُطَلِّقُونَ إِلَى السَّفَاةِ حُبَاهُمْ
بِيضُ الْوَجُوهِ تُرَى بُطُونُ أَكْفِهِمْ
وَبَهْذِيهِمْ رَضِيَ إِلَاهُ لِحَلْقِهِ
وقال حسان بن ثابت يبكي جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه:

ولقد بكيته وَعَزَّ مُهْلِكُ جَعْفَرِ
ولقد جزعت وقلت حين نُعِيَتْ لِي
بِالْبَيْضِ حِينَ تُسَلَّ مِنْ أَغْمَادِهَا
بعد ابنِ فاطمةَ المُباركِ جَعْفَرِ
رُزْءًا وَأَكْرَمَهَا جَمِيعًا مَخْتَدًا
لِلْحَقِّ حِينَ يَنْوِبُ غَيْرَ تَنْحُلِ

جِبُّ النَّبِيِّ عَلَى الْبَرِيَّةِ كُلِّهَا
مَنْ لِلجِلَادِ لَدَى الْعُقَابِ وَظَلُّهَا^(٥)
ضَرْبًا وَإِنْهَالِ الرَّمَاحِ وَعَلَّهَا^(٦)
خَيْرِ الْبَرِيَّةِ كُلِّهَا وَأَجَلُّهَا
وَأَعَزُّهَا مَتَّظَلُّمًا وَأَذَلُّهَا
كَذِبًا، وَأَنْدَاهَا يَدًا، وَأَقْلُّهَا^(٧)

(١) بنات نعش نوعان: الكبرى وهي سبعة كواكب تشاهد جهة القطب الشمالي. والصغرى: سبعة كواكب قرب بنات نعش الكبرى. والسماك: هما سماكان. نجمان نيران أحدهما في الشمال ويُعرف «بالرامح» والثاني في الجنوب ويعرف «بالأعزل». والمعنى أنه من طول سهره بات يرمى النجوم.

(٢) الفئق: فحول الإبل. المُرْقَل: السايغ. (٣) الوعث: الالتحام.

(٤) قَزَمَ: سيد.

(٦) الإنهال: الشرب الأول. وعلَّها: شربها الثاني.

(٧) في هذا البيت والبيتين اللذين قبله والبيت الذي بعده تضمين، فقوله: وأذلها، ثم قال في أول بيت آخر: للحق، وكذلك قال في البيت الآخر: وأقلها، وقال في الذي بعده فحشاً.

وذكر قدامة في كتاب (نقد الشعر) أنه عيب عند الشعراء، ولعمري إن فيه مقالاً، لأن آخر البيت يوقف عليه، فيوهم =

فُحشاً، وأكثرها إذا ما يُجْتَدَى^(١) بِالْعُرْفِ غَيْرَ مُحَمَّدٍ لَمْ يَمِثْلُهُ
 وَقَالَ حَسَّانُ بْنُ ثَابِتٍ فِي يَوْمِ مُؤْتَةَ يَبْكِي زَيْدَ بْنَ
 عَيْنِ جُودِي بَدَمْعِكَ الْمَنْزُورِ^(٢)

وَأَذْكَرِي مُؤْتَةَ وَمَا كَانَ فِيهَا
 حِينَ رَاحُوا وَغَادَرُوا تَمَّ زَيْدًا
 حَبِّ خَيْرِ الْأَنْامِ طَرًّا جَمِيعًا
 ذَاكُمْ أَحْمَدُ الَّذِي لَا سِوَاهُ
 إِنْ زَيْدًا قَدْ كَانَ مِنْ أَمْرِ
 ثُمَّ جُودِي لِلْحَزْرَجِيِّ بَدَمْعٍ
 قَدْ أَتَانَا مِنْ قَتْلِهِمْ مَا كَفَانَا

وقال شاعر من المسلمين ممن رجع من غزوة مؤتة:

كَفَى حَزْنَا أَنِّي رَجَعْتُ وَجَعْفَرٍ
 قَضُوا نَحْبَهُمْ لَمَّا مَضُوا السَّبِيلَهُمْ
 ثَلَاثَةَ زَهْطٍ قَدَّمُوا فَتَقَدَّمُوا
 تَسْمِيَةَ شُهَدَاءِ مُؤْتَةَ^(٧) وَهَذِهِ تَسْمِيَةٌ مِنْ اسْتِشْهَادِ يَوْمِ مُؤْتَةَ.

وَزَيْدٌ وَعَبْدُ اللَّهِ فِي رَمْسِ أَقْبُرٍ
 وَخَلْفَتْ لِلْبَلَوَى مَعَ الْمُتَغَيَّرِ^(٦)
 إِلَى وَرْدٍ مَكْرُوهٍ مِنَ الْمَوْتِ أَحْمَرِ

= الذم في مثل قوله: وأذلها، وكذلك. وأقلها، وقد غلب الزبرقان على المخبل السعدي بكلمة قالها وإن كان المخبل أشعر منه، ولكنه لما قال يهجو:

وأبوك يدر كان ينتهز الخصي
 وأبي الجواد ربيعة بن قتال
 وصل الكلام بقوله: وأبي، فقال له الزبرقان: فلا بأس إذا، فضحك من المخبل، وغلب عليه الزبرقان: فإذا كان هذا معيياً في وسط البيت، فأحرى أن يُعاب في آخره، إذا كان يوهم الذم ولا يندفع ذلك الوهم إلا بالبيت الثاني، فليس هذا من التحصين على المعاني والتوقي للاعتراض. (الروض الأنف ٤/٨٣، ٨٤).

(١) الاجتداء: طلب المعروف.
 (٢) البيت في الديوان لفظه:

عَلْ خَيْرٍ بَعْدَ مُحَمَّدٍ لَا شَبِيهُهُ
 بَشْرٌ يُعَدُّ مِنَ الْبَرَّةِ جُلَّهَا
 (٣) النزر: القليل، ولا يحسن ههنا ذكر القليل، ولكنه من برزت الرجل إذا ألححت عليه - ونزرت الشيء إذا استفدته ومنه قول عمر - رحمه الله - نزرت رسول الله - ﷺ - والأصح فيه التخفيف.
 قال الشاعر:

فخذ عفو من تهواه لا تنزرنه
 فعند بلوغ الكدرنق المشارب
 (الروض الأنف ٤/٨٤).

(٤) الضريك: الفقير.
 (٥) التزور: قليل العطاء.
 (٦) المتغير: الباقي.

(٧) انظر أسماءهم في المغازي لعروة ٢٠٦، والمغازي للوقادي ٧٦٩/٢، ومجمع الزوائد ٦/١٦١، وتاريخ الإسلام (المغازي)، والبداية والنهاية ٤/٢٥٩، ونهاية الأرب ١٧/٢٨٣، وعيون الأثر ٢/١٥٦.

من قريش، ثم من بني هاشم: جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه، وزيد بن حارثة رضي الله عنه.

ومن بني عددي بن كعب: مسعود بن الأسود^(١) بن حارثة بن نضلة.

ومن بني مالك بن جسل: وهب بن سعد بن أبي سرح.

ومن الأنصار ثم من بني الحارث بن الخزرج: عبد الله بن رواحة، وعبد بن قيس.

ومن بني غنم بن مالك بن النجار: الحارث بن الثعمان بن أساف بن نضلة ابن عبد بن عوف بن

غنم.

ومن بني مازن بن النجار: سراقه بن عمرو بن عطية بن خنساء.

قال ابن هشام: وممن استشهد يوم مؤتة، فيما ذكر ابن شهاب:

من بني مازن بن النجار: أبو كليب وجابر، ابنا عمرو بن زيد بن عوف بن مبدول وهما لأب

وأم.

ومن بني مالك بن أفضى: عمرو وعامر، ابنا سعد بن الحارث بن عبد بن سعد بن عامر ابن

ثعلبة بن مالك بن أفضى.

قال ابن هشام: ويقال أبو كلاب^(٢) وجابر، ابنا عمرو.

ذكر الأسباب الموجبة للسير إلى مكة

وذكر فتح مكة في شهر رمضان سنة ثمان^(٣)

قال ابن إسحاق: ثم أقام رسول الله ﷺ بعد بَعثه إلى مؤتة جمادى الآخرة ورجباً.

ما وقع بين بكر وخزاعة: ثم إن أبا بكر بن عبد مناة بن كنانة عدت على خزاعة، وهم على ماء لهم بأسفل مكة يقال له: الوثير، وكان الذي هاج ما بين بني بكر وخزاعة أن رجلاً من بني الحضرمي، واسمه مالك بن عبد - وحلف الحضرمي يومئذ إلى الأسود بن رزن^(٤) - خرج تاجراً، فلما توسط أرض خزاعة، عدوا عليه فقتلوه، وأخذوا ماله، فعدت بنو بكر على رجل من خزاعة فقتلوه، فعدت

(١) في تاريخ الإسلام (المغازي): «مسعود بن سويد».

(٢) وهو المعروف عندهم، وقيل أبو كليب، قال أبو عمر: لا يعرف في الصحابة أحد يقال له: أبو كليب. (الروض الأنف ٤/ ٨٤) وانظر تاريخ الإسلام (المغازي).

(٣) انظر عن فتح مكة المكرمة في:

المغازي لعروة ٢٠٨ - ١١٢، والمغازي للواقدي ٧٨٠/٢ - ٨٧١، وصحيح البخاري ٨٩/٥ - ٩٨، وتاريخ خليفة ٨٧، والمحبر ١٩٥، والطبقات الكبرى ١٣٤/٢ - ١٤٥، وتاريخ الطبري ٤٢/٣ - ٦٥، وأنساب الأشراف ٣٥٣/١ - ٣٦٤، والمعرفة والتاريخ ٢٥٩/٣ - ٢٦١، والبدء والتاريخ ٢٣٢/٤ - ٢٣٥، والكامل في التاريخ ٢٣٩/٢ - ٢٥٥، والروض الأنف ٩٥/٤ - ١٢١، وتاريخ يعقوبي ٥٨/٢ - ٦١.

(٤) ذكر الشيخ الحافظ أبو بحر أن أبا الوليد أصلحه: رزنا بكسر الراء، قال: والرزن: نقرة في حجر يمسك الماء، وفي كتاب العين: الرزن أكمة تمسك الماء، والمعنى متقارب، وذكر أن بني رزن من بني بكر، وقد قيل فيه: الدئل. (الروض الأنف ٩٥/٤).

خزاعة قبيل الإسلام على بني الأسود بن رزن الديلي - وهم متخربو بني كنانة وأشرفهم - سلمى وكلثوم وذؤيب - فقتلوهم بعرفة عند أنصاب الحرم^(١).

قال ابن إسحاق: وحدثني رجل من بني الديلي، قال: كان بنو الأسود بن رزن يؤذون في الجاهلية ديتين ديتين، وتؤدى دية دية، لفضلهم فينا.

قال ابن إسحاق: فبينما بنو بكر وخزاعة على ذلك حَجَزَ بينهم الإسلام، وتشاغل الناس به. فلما كان صلح الحديبية بين رسول الله ﷺ وبين قريش، كان فيما شرطوا لرسول الله ﷺ وشرط لهم، كما حدثني الزهري، عن عروة بن الزبير، عن المسور بن مخرمة ومروان بن الحكم، وغيرهم من علمائنا: أنه من أحب أن يدخل في عقد رسول الله ﷺ وعهده فليدخل فيه، ومن أحب أن يدخل في عقد قريش وعهدهم فليدخل فيه. فدخلت بنو بكر في عقد قريش وعهدهم، ودخلت خزاعة في عقد رسول الله ﷺ وعهده^(٢).

قال ابن إسحاق: فلما كانت الهدنة اغتتمها بنو الديلي من بني بكر من خزاعة، وأرادوا أن يصيبوا منهم ثأراً بأولئك النفر الذين أصابوا منهم بني الأسود ابن رزن، فخرج نوفل بن معاوية الديلي في بني الديلي، وهو يومئذ قائدهم، وليس كل بني بكر تابعه، حتى بيئت خزاعة وهم على الوتير، ماء لهم، فأصابوا منهم رجلاً، وتجاوزوا واقتتلوا، ورفدت بنو بكر قريش بالسلاح، وقاتل معهم من قريش من قاتل بالليل مستخفياً، حتى حازوا^(٣) خزاعة إلى الحرم، فلما انتهوا إليه، قالت بنو بكر: يا نوفل، إنا قد دخلنا الحرم، إلهك إلهك، فقال: كلمة عظيمة، لا إله له اليوم، يا بني بكر أصيبوا ثأركم، فلعمري إنكم لتسرقون في الحرم، أفلا تصيبون ثأركم فيه، وقد أصابوا منهم ليلة بيئتهم بالوتير رجلاً يقال له منبه وكان منبه رجلاً مفؤوداً^(٤) خرج هو ورجل من قومه يقال له تميم بن أسد، وقال له منبه: يا تميم، انج بنفسك، فأما أنا فوالله إني لميت، قتلوني أو تركوني، لقد انبت^(٥) فؤادي، وانطلق تميم فأفلت، وأدركوا منبه فقتلوه، فلما دخلت خزاعة مكة، لجأوا إلى دار بديل بن ورقاء، ودار مولى لهم يقال له رافع^(٦)؛ فقال: تميم بن أسد يعتذر من فراره عن منبه:

شعر تميم في الاعتذار من فراره عن منبه:

لَمَّا رَأَيْتُ بَنِي نَفَاةٍ أَقْبَلُوا
يَغْشُونَ كُلَّ وَتِيرَةٍ وَجِجَابٍ^(٧)
صَخْرًا وَرَزْنًا لَا عَرِيبَ سِوَاهُمْ
يُزْجُونَ كُلَّ مَقْلَصٍ خَنَابٍ^(٨)

(١) أنصاب الحرم هنا: حجارة توضع بين الحل والحرم للفصل بينهما.

(٢) تاريخ الطبري ٤٣/٣.

(٣) تاريخ الطبري ٤٣/٣.

(٤) حازوا: ساقوا.

(٥) أنبت: انقطع.

(٦) الخبر في تاريخ الطبري ٤٤/٣ وتاريخ الإسلام (المغازي).

(٧) الوتيرة: الأرض الممتدة. الحجاب: ما اطمأن من الأرض.

(٨) لا عريب: لا أحد. المقلص: الفرس طويل القوائم، مُضَمَّ البطن. الخناب: واسع المنخرين.

وذكرت دَخَلًا^(١) عِنْدَنَا مُتَقَادِمًا
وَنَشِيتُ^(٢) رِيحَ الْمَوْتِ مِنْ تِلْقَائِهِمْ
وعرفت أن مَنْ يَثْقِفُوهُ يَتْرُكُوا
قَوْمَهُ رِجَالًا لَا أَخَافُ عِشَارَهَا
وَتَجَوُّثٌ لَا يَنْجُو نَجَائِي أَحَقَبُ
تَلْحَى وَلَوْ شَهِدْتُ لَكَانَ نَكِيرُهَا
الْقَوْمُ أَعْلَمُ مَا تَرَكْتُ مُنْبَهًا
قال ابن هشام: وتروى لحبيب بن عبد الله الأعمى الهذلي، وبيته: «وذكرت دَخَلًا عِنْدَنَا مُتَقَادِمًا»
عن أبي عبيدة، وقوله «حَنَاب» و«عَلَجَ أَقْبُ مَشْمَرُ الْأَقْرَابِ» عنه أيضاً.

قال ابن إسحاق: وقال الأخرز بن لُغَطِ الدِّيَلِيِّ، فيما كان بين كِنَانَةَ وَخُرَازَةَ فِي تِلْكَ الْحَرْبِ:
رَدَدْنَا بَنِي كَعْبٍ بِأَفْوَقِ نَاصِلِ^(٧)
وَعِنْدَ بُدَيْلِ مَحْبِسًا غَيْرِ طَائِلِ
شَقِينَا الثُّفُوسَ مِنْهُمْ بِالْمَنَاصِلِ
نَفَحْنَا لَهُمْ مِنْ كُلِّ شِغْبٍ بِوَابِلِ^(٨)
أَسْوَدُ تَبَارَى فِيهِمْ بِالْقَوَاصِلِ
وَكَاثُوا لَدَى الْأَنْصَابِ أَوَّلَ قَاتِلِ
بِفَاثُورِ حُقَّانِ الثُّعَامِ الْجَوَافِلِ^(٩)

- (١) الدَّخْلُ: طلب الثَّارِ.
(٢) نَشِيتُ: شَمِتُ.
(٣) الْمُجْرِيَّةُ: اللَّبْوَةُ الَّتِي لَهَا جِرَاءُ أَيِ أَبْنَاءِ، الشَّلْوُ: بَقِيَّةُ الْجَسَدِ.
(٤) الْمَتْنُ: ظَهَرَ الْأَرْضِ.
(٥) نَجُوتُ: أَسْرَعْتُ. وَالْأَحْقَبُ: حِمَارُ الْوَحْشِ أبيض العَجْزِ: عَلَجٌ: غَلِيظٌ. أَقْبُ: ضَامِرُ الْبَطْنِ: مَشْمَرُ الْأَقْرَابِ: مُتَقَبِضُ الْخَوَاصِرِ.
(٦) تَلْحَى: تَلُومٌ، الْمَشَافِرُ: الْجَوَانِبُ، الْقَبْقَابُ: الْفَرْجُ.
(٧) الْأَحَابِيشُ: مَنْ تَعَاهَدُوا مَعَ قَرِيشٍ وَليسوا مِنْهُمْ. الْأَفْوَقُ: السَّهْمُ الَّذِي انكسر طرفه الَّذِي يَلِي الْوَتْرَ. وَالنَّاصِلُ: الَّذِي زَالَ نَضْلُهُ.
(٨) نَفَحْنَا: وَسَعْنَا. وَالشِّغْبُ: مَا اسْتَوَى بَيْنَ الْجَبَلَيْنِ: الْوَابِلُ: فِي الْأَصْلِ الْمَطَرُ الشَّدِيدُ وَأَرَادَ بِهِ هُنَا الدَّفْعَةَ مِنَ الْخَيْلِ.
(٩) الْجِرْزُ: مَا انعطف من الوادي. بِفَاثُورِ، يَعْنِي: الْجَبَلِ، وَقَفَا ظَرْفَ الْفِعْلِ الَّذِي قَبْلَهُ، وَقَالَ: بِفَاثُورِ: وَلَمْ يَتَوَّنَ لِأَنَّهُ اسْمُ عِلْمٍ مَعَ ضَرُورَةِ الشَّعْرِ، قِيلَ، وَلَوْ قَالَ: بِفَاثُورِ بِنَصْبِ الرَّاءِ، وَجَعَلَهُ غَيْرَ مَنْصَرَفٍ، لَمْ يَبْعُدْ لِأَنَّ مَا لَا تَنْوِينُ فِيهِ، وَهُوَ غَيْرُ مَعْرُوفٍ بِالْأَيْفِ وَلا مِ، فَلا يَدْخُلُهُ الْخَفْضُ لِثَلَاثِ شَيْبِهِ مَا يَضِيفُهُ الْمَتَكَلِّمُ إِلَى نَفْسِهِ، وَبِفَاثُورِ بِهَذَا اللَّفْظِ تَقْيِيدٌ فِي الْأَصْلِ، وَظَاهِرُ كَلَامِ الْبَرَقِيِّ فِي شَرْحِ هَذَا الْبَيْتِ أَنَّهُ بِفَاثُورِ لِأَنَّهُ قَالَ: الْفَاثُورُ سَيِّكَةُ الْفِضَّةِ، وَكَانَ شَبَّهُ الْمَكَانَ بِالْفِضَّةِ لِنَفَاثَةِ وَاسْتَوَائِهِ، فَإِنَّ كَانَتِ الرِّوَايَةُ كَمَا قَالَ: فَهُوَ اسْمُ مَوْضِعٍ، وَالْفَاثُورُ: جِوَانٌ مِنْ فِضَّةٍ، وَيُقَالُ: يُبْرِيقُ مِنْ فِضَّةٍ. قِيلَ: ذَلِكَ فِي قَوْلِ جَمِيلِ.

فأجابه بُدَيْل بن عبد مَنَاة بن سَلْمَة بن عمرو بن الأَجَب، وكان يقال له: بُدَيْل بن أمِ أصرم، فقال:

تَفَاقَدَ قَوْمٌ يَفْخَرُونَ وَلَمْ نَدَعْ
أَمِنْ خَيْفَةَ الْقَوْمِ الْأَلْيِ تَزْدَرِيهِمْ
وَفِي كُلِّ يَوْمٍ نَحْنُ نَحْبُو^(٣) جِبَاءَنَا
وَنَحْنُ صَبَّخْنَا بِالثَّلَاةِ دَارَكُمْ
وَنَحْنُ مَتَّعْنَا بَيْنَ بَيْضِ وَعَثْوِدِ
وَيَوْمَ الْعَمِيمِ قَدْ تَكَفَّتْ سَاعِيَا
أَنَّ أَجْمَرْتَ فِي بَيْتِهَا أُمَّ بَعْضِكُمْ
كَذِبْتُمْ وَبَيْتِ اللَّهِ مَا إِنْ قَتَلْتُمْ
قال ابن هشام: قوله «غير نافل»، وقوله: «إلى خَيْفِ رَضْوَى» عن غير ابن إسحاق.

قال ابن هشام: وقال حسان بن ثابت في ذلك:

لَحَا اللَّهُ قَوْمًا لَمْ نَدَعْ مِنْ سَرَاتِهِمْ
أُخْضِيَنِي جِمَارِ مَاتَ بِالْأَمْسِ نَوْفَلًا
لَهُمْ أَحَدًا يَنْدُوهُمْ غَيْرَ نَاقِبِ
مَتَى كُنْتَ مِفْلَاحًا عَدُوَّ الْحَقَائِبِ
خُزَاعَةٌ تَسْتَجِدُّ بِالرَّسُولِ: قال ابن إسحاق: فلما تظاهرت بنو بكر وقريش على خُزَاعَةَ، وأصابوا
منهم ما أصابوا، ونقضوا ما كان بينهم وبين رسولِ الله ﷺ من العهد والميثاق بما استحَلُّوا من خُزَاعَةَ،

وصدر كفاثور اللجيين وجميد

وفي قول لييد:

حَقَائِبُهُمْ رَاحَ عَتِيقٌ وَدَرْمَكٌ
وَمَسْنَكٌ وَفَائِثُورِيَّةٌ وَسَلَّاسِلُ
وكما قال البرقي: في نُسْخِ صحِيحة سَوَى نُسخة الشَيْخِ، وَإِنْ صَحَّ مَا فِي نُسخة الشَيْخِ فَهُوَ كَلَامٌ حُذِفَ مِنْهُ وَمَعْنَاهُ: قَفَا
فَائِثُورٌ، وَحُسْنٌ حُذِفَ الْفَاءُ الثَّانِيَّةُ، كَمَا حُسْنٌ حُذِفَ اللَّامُ الثَّانِيَّةُ فِي قَوْلِهِمْ: عِلْمَاءُ بَنِي فُلَانٍ لَا سِيْمَا مَعَ ضَرْوَةِ الشَّعْرِ،
وَتَرَكَ الصَّرْفَ، لِأَنَّهُ جَعَلَهُ اسْمَ بَقْعَةٍ، وَمِنَ الشَّاهِدِ عَلَى أَنَّ فَائِثُورَ اسْمَ بَقْعَةٍ قَوْلُ لِيِيدِ:

وَيَوْمَ طَعَنْتُمْ فَاسْمَعِدْتَ وَفُودَكُمْ
بِأَجْمَادِ فَائِثُورِ كَرِيمِ مِصَارِ
أَي أَنَا كَرِيمِ مِصَابِرِ، وَلِذَلِكَ قَالَ الْبَكْرِيُّ وَلَمْ يَذْكُرْ فِيهِ اخْتِلَافًا. وَقَالَ هُوَ اسْمُ جَبَلٍ يَعْنِي فَائِثُورَ. وَقَالَ ابْنُ مِقْبَلٍ:
حَتَّى مَحَاضِرَهُمْ شَتَّى وَجَمْعُهُمْ
ذَوْمُ الْإِيَادِ، وَفَائِثُورٌ إِذَا انْتَجَعُوا
وقال لييد:

وَلَدَى الثُّعْمَانَ مَنِّي مَوْطِنٌ
وَحُقَّانُ الثَّعْمَانِ. صَغَارَهَا، وَهُوَ مَرْفُوعٌ لِأَنَّهُ خَبِرَ كَانَ. (الروض الأنف ٤/٩٦).

(١) يَنْدُوهُمْ: يَجْمَعُهُمْ فِي النَّادِي.

(٢) الْوَتِيرُ: مَاءٌ لِحُزَاعَةَ.

(٣) نَحْبُو: نَعُطِي.

(٤) بَيْضُ مَنَازِلِ بَنِي كِنَانَةَ: وَالْعَثْوِدُ: مَاءٌ لَهُمْ. الْخَيْفُ: مَا انْحَدَرَ مِنَ الْجَبَلِ. رَضْوَى: جَبَلٌ بِالْمَدِينَةِ.

(٥) الْعَمِيمُ: مَكَانٌ بِبَنِي مَكَّةَ وَالْمَدِينَةَ. تَكَفَّتْ: حَادَ. عُيَيْسُ: اسْمُ رَجُلٍ. الْخُلَاحِلُ: السَّيِّدُ.

(٦) أَجْمَرْتُ: ضَرَبْتُ مِنَ الْحَدِيثِ بِسَمْعٍ وَصَفَّهُ وَيَقْبَحُ. الْجُغْمُوسُ: الْعُدْرَةُ.

(٧) الْبَلَابِلُ: وَسَاوِسُ الْأَفْكَارِ.

وكان في عَقْدِهِ وعَهْدِهِ، خرج عمرو بن سالم الخزاعي، ثم أحد بني كعب، حتى قَدِمَ على رسول الله ﷺ المدينة، وكان ذلك مما هاج فتح مكة، فوقف عليه وهو جالس في المسجد بين ظَهْراني الناس، فقال:

يَا رَبِّ إِنِّي نَاشِدُ مُحَمَّدًا
قَدْ كُنْتُمْ وُلْدًا وَكُنَّا وَالِدًا
فَانصُرْ هَذَاكَ اللَّهُ نَصْرًا أَعْتَدَا
فِيهِمْ رَسُولُ اللَّهِ قَدْ تَجَرَّدَا
فِي قَيْلِقُ كَالْبَحْرِ يَجْرِي مُزِيدًا
وَتَقَضُّوا مِيثَاقَكَ الْمُؤَكَّدَا
وَزَعَمُوا أَنْ لَسْتُ أَدْعُو أَحَدًا
هُم بَيِّتُونَا بِالْوَتِيرِ هُجْدًا
يقول: قتلنا وقد أسلمنا.

قال ابن هشام: ويروى أيضاً:

فانصر هداك الله نصرأ أبدا

قال ابن هشام: ويروى أيضاً:

نحن ولدناك فكننت ولدا

قال ابن إسحاق: فقال رسول الله ﷺ: نُصِرْت يا عمرو بن سالم. ثم عرض لرسول الله ﷺ عَنان^(٤) من السماء، فقال: «إن هذه السحابة لتستهل بنصر بني كعب»^(٥).

ثم خرج بُدَيْل بن ورقاء في نفر من خُزاعة حتى قَدِمُوا على رسول الله ﷺ المدينة، فأخبروه بما أُصِيب منهم، وبمُظَاهرة قُرَيْشِ بني بكر عليهم، ثم انصرفوا راجعين إلى مكة، وقد قال رسول الله ﷺ للناس: «كأنكم بأبي سفيان قد جاءكم ليشدَّ العَقْدَ، وَيَزِيدَ في المُدَّة»^(٦). ومضى بُدَيْل بن ورقاء

(١) الأثلد: القديم.

(٢) يريد أن بني مناف أهمهم من خُزاعة، وكذلك: قُصِي أمه: فاطمة بنت سعد الخُزاعية، والولد بمعنى الوُلْد: وقوله: تُمَّتْ أسلمنا هو من السلم لأنهم لم يكونوا آمنوا بعد، غير أنه قال: رُكْعًا وَسُجْدًا، فدلَّ على أنه كانَ فيهم من صلى الله، فقتل، والله أعلم. (الروض الأنف ٩٧/٤).

(٣) الأبيات بالفاظ مختلفة في تاريخ الطبري ٤٥/٣، ومجمع الزوائد ١٦٣/٦، وتاريخ الإسلام (المغازي)، ونهاية الأرب ٢٨٧/١، ٢٨٨، والمغازي للواقدي ٧٨٩/٢، وسيرة ابن كثير ٥٢٧/٣، والبدء والتاريخ ٢٣٣/٤ (ثلاثة أبيات)، وأنساب الأشراف ٢٥٣/١، ٣٥٤ (أربعة أبيات)، والكمال في التاريخ ٢٤٠/٢، وعيون الأثر ١٦٤/٢، ١٦٥، وعيون التواريخ ٢٨٨/١، ٢٨٩.

(٤) عَنان: سحاب.

(٥) تاريخ الطبري ٤٥/٣، تاريخ الإسلام (المغازي)، الطبقات الكبرى ١٣٤/٢، وأخرجه الهيثمي في مجمع الزائد ١٦٤/٩ بلفظ: إن هذا السحاب لينصب بنصر بني كعب.

(٦) تاريخ الطبري ٤٥/٣، المغازي للواقدي ٧٩٢/٢.

وأصحابه حتى لَقُوا أبا سُفيان ابن حرب بعُسفان، قد بعثته قُرَيْش إلى رسول الله ﷺ، ليشُدَّ العقد، ويَزِيد في المُدَّة، وقد رَهَبوا الذي صنعوا. فلما لقي أبو سُفيان بُدَيْل بن ورقاء، قال: من أين أقبلت يا بُدَيْل؟ وظنَّ أنه قد أتى رسولَ الله ﷺ؛ قال: تسيرت في خِزاعة في هذا الساحل، وفي بطن هذا الوادي؛ قال: أو ما جئت محمداً؟ قال: لا؛ فلما راح بُدَيْل إلى مكة، قال أبو سُفيان: لئن جاء بُدَيْل المدينة لقد عَلف بها الثوى، فأتى مَبْرَك راحلته، فأخذ من بَعَرها فَفَتَّه، فرأى فيه الثوى، فقال: أحلف بالله لقد جاء بُدَيْل محمداً^(١).

أبو سُفيان يطلب الصلح: ثم خرج أبو سُفيان حتى قَدِم على رسولِ الله ﷺ المدينة، فدخل على ابنته أم حبيبة بنت أبي سُفيان؛ فلما ذهب ليَجلس على فراش رسولِ الله ﷺ طَوَّته عنه؛ فقال: يا بُنَيَّة، ما أدري أرغبت بي عن هذا الفِراش أم رغبت به عني؟ قالت: بل هو فراش رسولِ الله ﷺ وأنت رجل مُشرك نجس، ولم أحب أن تجلس على فراش رسولِ الله ﷺ؛ قال: والله لقد أصابك يا بُنَيَّة بعدي شرٌّ. ثم خرج حتى أتى رسولَ الله ﷺ فكلَّمه، فلم يرِدْ عليه شيئاً، ثم ذهب إلى أبي بكر، فكلَّمه أن يُكلّم له رسولَ الله ﷺ؛ فقال: ما أنا بفاعل، ثم أتى عمر بن الخطَّاب فكلَّمه؛ فقال: أنا أشفع لكم إلى رسولِ الله ﷺ؟ فوالله لو لم أجد إلا الذَّرَّ لجاهدتكم به. ثم خرج فدخل على عليِّ بن أبي طالب رضوانَ الله عليه، وعنده فاطمة بنتُ رسولِ الله ﷺ ورضي عنها، وعندها حسنُ بن عليِّ، غلام يَدِب بين يديها، فقال: يا علي، إنك أمس القوم بي رحماً، وإني قد جئت في حاجة، فلا أرجعن كما جئت خائباً، فاشفع لي إلى رسولِ الله؛ فقال: ويحك يا أبا سُفيان! والله لقد عزم رسولُ الله ﷺ على أمر ما نستطيع أن نكلّمه فيه. فالتفت إلى فاطمة فقال: يا ابنة محمد، هل لك أن تأمري بُنَيَّك هذا فيُجِير بين الناس، فيكون سيِّد العرب إلى آخر الدهر؟ قالت: والله ما بلغ بنيَّ ذاك أن يُجِير بين الناس، وما يُجِير أحدٌ على رسولِ الله ﷺ^(٢)؛ قال: يا أبا الحسن، إنني أرى الأمور قد اشتدَّت عليّ، فانصحنى؛ قال: والله ما أعلم لك شيئاً يغني عنك شيئاً، ولكنك سيِّد بني كِنانة، فقم فأجز بين الناس، ثم الحق بأرضك؛ قال: أوترى ذلك مُغنياً عني شيئاً؟ قال: لا والله، ما أظنه، ولكنني لا أجد لك غير ذلك. فقام أبو سُفيان في المسجد، فقال: أيها الناس، إنني قد أجزت بين الناس. ثم ركب بعيْرَه فانطلق، فلما قدم على قُرَيْش، قالوا: ما وراءك؟ قال: جِئتُ محمداً فكلَّمته، فوالله ما ردَّ عليَّ شيئاً، ثم جئت

(١) تاريخ الطبري ٤٦/٣.

(٢) وقد ذكر أبو عبيدة هذا محتجاً به على من أجاز أمان الصبيِّ وجواره، ومن أجاز جواز الصبيِّ إنما أجازَه إذا عقل الصبيِّ، وكان كالمراهق.

وقولها: ولا يجير أحد على رسولِ الله، وقد قال عليه السلام: يجير على المسلمين أديانهم، فمعنى هذا - والله أعلم - كالعبد ونحوه يجوز جواره، فيما قيل، مثل أن يجير واحداً من العدو أو نفرأ يسيراً، وأما أن يجير على الإمام قوماً يريد الإمام غزوهم وحربهم، فلا يجوز ذلك عليهم، ولا على الإمام، وهذا هو الذي أرادت فاطمة - رضي الله عنها - والله أعلم، وأما جوار المرأة وتأمينها، فجازت عند جماعة الفقهاء إلا سحنون وابن الماجشون، فإنهما قالا: هو موقوف على إجازة الإمام، وقد قال عليه السلام لأم هانئ: قد أجزنا من أجزت يا أم هانئ، وروى معنى قولهما عن عمرو بن العاص وخالد بن الوليد، وأما جوار العبد، فجازت إلا عند أبي حنيفة، وقول النبي ﷺ: «يجير على المسلمين أديانهم» يدخل فيه العبد والمرأة. (الروض الأنف ٩٧/٤).

ابن أبي قُحافة، فلم أجد فيه خيراً، ثم جئت ابن الخطّاب، فوجدته أدنى العدو^(١).
قال ابن هشام: أعدى العدو.

قال ابن إسحاق: ثم جئت عليّاً فوجدته أليّن القوم، وقد أشار عليّ بشيء صنعته، فوالله ما أدري هل يعني ذلك شيئاً أم لا؟ قالوا: وبم أمرك؟ قال: أمرني أن أجير بين الناس، ففعلت؛ قالوا: فهل أجاز ذلك محمد؟ قال: لا؛ قالوا: ويلك! والله إن زاد الرجل على أن لعب بك، فما يُعني عنك ما قلت. قال: لا والله، ما وجدت غير ذلك.

الاستعداد لفتح مكة: وأمر رسول الله ﷺ بالجهاز، وأمر أهله أن يجهّزوه، فدخل أبو بكر على ابنته عائشة رضي الله عنها، وهي تحرّك بعض جهاز رسول الله ﷺ، فقال: أي بُنيّة؟ أمركم رسول الله ﷺ أن تجهّزوه؟ قالت: نعم، فتجهّز؛ قال: فأين ترينه يُريد؟ قالت: لا والله ما أدري. ثم إن رسول الله ﷺ أعلم الناس أنه سائر إلى مكة، وأمرهم بالجِدِّ والتّهَيُّؤ، وقال: «اللهم خذ العيون والأخبار عن قُريش حتى نبعثها في بلادها»^(٢). فتجهّز الناس.

فقال حسان بن ثابت يحرض الناس، ويذكر مُصاب رجال خُزاعة:

عناني ولم أشهد^(٣) ببطحاء مكّة
بأيدي رجالٍ لم يسألوا سيوفهم
ألا ليت شغري هل تنالنّ نُصرتي
وصفوان عوذة حنّ من شفرِ أسته^(٤)
فلا تَأْمَنَنَّ يا بن أمّ مجالد
ولا تجزَعوا منّا^(٥) فإن سيوفنا
رجال بني كعبٍ تحزّز رقابها
وقتلّى كثيرٌ لم تجنّ ثيابها^(٦)
سهيل بن عمرو وخزها وعقابها^(٧)
فهذا أو أن الحزب شدّ عصابها
إذا احتلبت صزفاً وأغصل نابها^(٨)
لها وقعةً بالموت يُفتَح بابها^(٩)

قال ابن هشام: قول حسان: «بأيدي رجالٍ لم يسألوا سيوفهم» يعني قريشاً؛ «وابن أم مجالد» يعني عكرمة بن أبي جهل.

حاطب يحذر أهل مكة: قال ابن إسحاق: وحدثني محمد بن جعفر بن الزبير، عن عروة بن الزبير وغيره من علمائنا، قالوا: لما أجمع رسول الله ﷺ المسير إلى مكة، كتب حاطب ابن أبي بلتعة كتاباً إلى قُريش يُخبرهم بالذي أجمع عليه رسول الله ﷺ من الأمر في السير إليهم، ثم أعطاه امرأة، زعم محمد بن جعفر أنها من مُزينة، وزعم لي غيره أنها سارة، مولاة لبعض بني عبد المطلب، وجعل

(١) تاريخ الطبري ٤٦/٣، ٤٧، تاريخ الإسلام (المغازي)، المغازي للواقدي ٧٩٣/٢، ٧٩٤.

(٢) تاريخ الطبري ٤٧/٣، المغازي للواقدي ٧٩٦/٢، نهاية الأرب ٢٩١/١٧، تاريخ الإسلام (المغازي).

(٣) في الديوان: «ورغبنا فلم نشهد»، وفي تاريخ الطبري «أتاني ولم أشهد».

(٤) تجنّ: تستر، يريد أنهم قتلوا ولم يستروا بالدفن.

(٥) في تاريخ الطبري «خزها وعقابها».

(٦) في تاريخ الطبري «وصفوان عوذة حنّ من شفرِ أسته».

(٧) أعصل: اغوّج. (٨) في تاريخ الطبري «منها».

(٩) ديوان حسان ٤١، ٤٢، تاريخ الطبري ٤٨/٣.

لها جعلاً على أن تبلغه قريشاً، فجعلته في رأسها، ثم قتلت عليه قرونها، ثم خرجت به؛ وأتى رسول الله ﷺ الخبز من السماء بما صنع حاطب، فبعث علي بن أبي طالب والزبير بن العوام رضي الله عنهما، فقال: «أدركا امرأة قد كتبت معها حاطب بن أبي بلتعة بكتاب إلى قريش، يحذّرهم ما قد أجمعنا له في أمرهم».

فخرجوا حتى أدركاها بالخليفة، خليقة^(١) بني أبي أحمد. فاستنزلاها، فالتمسا في رخلها، فلم يجدا شيئاً، فقال لها علي بن أبي طالب: «إني أحلف بالله ما كذب رسول الله ﷺ ولا كذبنا، ولتخرجنا لنا هذا الكتاب أو لتكشفنك، فلما رأت الجذ منه، قالت: أعرض؛ فأعرض. فحلّت قرون رأسها، فاستخرجت الكتاب منها، فدفعته إليه، فأتى به رسول الله ﷺ. فدعا رسول الله ﷺ حاطباً، فقال: «يا حاطب، ما حملك على هذا؟ فقال: يا رسول الله، أما والله إني لمؤمن بالله ورسوله، ما غيرت ولا بدلت، ولكنني كنت امرأة ليس لي في القوم من أصل ولا عشيرة، وكان لي بين أظهرهم ولد وأهل، فصانعتهم عليهم. فقال عمر بن الخطاب: يا رسول الله، دغني فلاضرب عنقه، فإن الرجل قد نافق؛ فقال رسول الله ﷺ: «وما يُدريك يا عمر، لعل الله قد أطلع إلى أصحاب بدر يوم بدر؛ فقال: اعملوا ما شئتم، فقد غفرت لكم». فأنزل الله تعالى في حاطب: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَجِدُوا عَدُوِي وَعَدُوَكُمْ أَوْلِيَاءَ تَلْفُوتَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ﴾ [الممتحنة: ١]... إلى قوله: ﴿فَدَ كَانَتْ لَكُمْ أَسْوَأَ حَسَنَةٍ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءُؤُا مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ كُفْرًا بِكُرْ وِبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحَدُّهُ﴾ [الممتحنة: ٢٤]... إلى آخر القصة.

خروج الرسول إلى مكة: قال ابن إسحاق: وحدثني محمد بن مسلم بن شهاب الزهري، عن عبيد الله ابن عبد الله ابن عتبة بن مسعود، عن عبد الله بن عباس، قال: ثم مضى رسول الله ﷺ لسفّره، واستخلف على المدينة أبا رهم، كلثوم بن حصين بن عتبة بن خلف الغفاري^(٢)، وخرج لعشر مَضِين من رمضان، فصام رسول الله ﷺ، وصام الناس معه، حتى إذا كان بالكديد، بين عُسْفَانَ وَأَمَجَ أَفْطَرَ.

قال ابن إسحاق: ثم مضى حتى نزل مرّ الظهران في عشرة آلاف من المسلمين، فسبعت^(٣) سليم، وبعضهم يقول ألفت سليم، وألفت مزينه^(٤). وفي كلّ القبائل عدد وإسلام، وأوعب مع رسول الله ﷺ المهاجرون والأنصار، فلم يتخلف عنه منهم أحد، فلما نزل رسول الله ﷺ مرّ الظهران، وقد

(١) في تاريخ الطبري «خليفة» بالحاء المهملة. والمثبت بالخاء المعجمة، يتفق مع المغازي للواقدي. وهما موضعان قرب المدينة ذكرهما ياقوت في المعجم.

(٢) انظر: الخبر في تاريخ الطبري ٤٨/٣، ٤٩، وتفسيره ٣٩/٢٨، والمغازي للواقدي ٧٩٧/٢، ٧٩٨، ونهاية الأرب ١٧/٢٩١، ٢٩٢ تاريخ الإسلام (المغازي).

أما حديث «لعلّ الله أطلع إلى أهل بدر» فقد أخرجه في كتاب الجهاد والسير (٧٢/٤، ٧٣) باب الجاسوس، ومسلم في فضائل الصحابة (١٦٧/٧) باب من فضائل أهل بدر.

(٣) في الطبقات لابن سعد ١٣٥/٢ استخلف: عبد الله بن أمّ مكرم. وفي المغازي للواقدي ٧٩٩/٢ أن الرسول ﷺ أرسل أبا رهم كلثوم بن الحصين إلى بني الحصين إلى بني غفار وضمرة. ولم يذكر الواقدي الخليفة على المدينة، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ١٦٤/٦ وهو أبو رهم.

(٤) سبعت: أي صارت سبعمائة. (٥) ألفت: صارت ألفاً.

عُمِّيَت الأخبار عن قُرَيْش، فلم يأتهم خبرٌ عن رسول الله ﷺ، ولا يَدْرُونَ ما هو فاعل، وخرج في تلك الليالي أبو سُفْيَان بن حَرْب، وحكيم بن حِرَام، وبُدَيْل بن ورقاء، يتحسسون الأخبار، وينظرون هل يجدون خبراً أو يسمعون به، وقد كان العباس بن عبد المطلب لقي رسول الله ﷺ ببعض الطريق^(١).

قال ابن هشام: لقيه بالجحفة مهاجراً بعياله، وقد كان قبل ذلك مُقيماً بمكة على سبقيته، ورسول الله ﷺ عنه راضٍ، فيما ذكر ابنُ شهاب الزُّهري.

إسلام أبي سُفْيَان بن الحارث وعبد الله بن أمية: قال ابن إسحاق: وقد كان أبو سُفْيَان بن الحارث بن عبد المطلب وعبد الله بن أبي أمية بن المُغْبِرَة قد لقيَا رسولَ الله ﷺ أيضاً بِنَيْقِ العُقَاب^(٢)، فيما بين مكة والمدينة، فالتمسا الدخول عليه، فكلمته أم سلمة فيهما، فقالت: يا رسول الله، ابن عمك وابن عمتك وصِهْرُكَ؛ قال: «لا حاجة لي بهما، أما ابن عمي فهتكَ عِرْضِي، وأما ابن عمتي وصِهْرِي فهو الذي قال لي بمكة ما قال»: قال: فلما خرج الخبر إليهما بذلك، ومع أبي سُفْيَان بُنَيُّ^(٣) له. فقال: والله ليأذنن لي أو لأخذن بيدي بني هذا، ثم لنذهبن في الأرض حتى نموت عطشاً وجوعاً؛ فلما بلغ ذلك رسولَ الله ﷺ رَقَّ لهُمَا، ثم أذن لهُمَا، فدخلَا عليه، فأسلما^(٤).

وأشد أبو سُفْيَان بن الحارث قوله في إسلامه، واعتذر إليه مما كان مَضَى منه، فقال:

لَعَمْرُكَ^(٥) إني يوم أحمل رايةً
لكالمُدْجِ^(٦) الحيرانِ أظلم ليلُهُ
هداني هادٍ^(٧) غيرُ نفسي ونالني
أصد وأنأي جاهداً عن محمد
هُم ما هُم مَنْ لم يُقْلَ بهواهُم
أريد لأرضيهِم ولستُ بلائِطٍ^(٨)
فَقُلْ لثَقِيفٍ لا أريد قتالها
فما كنت في الجَيْشِ الذي نال عامراً
قَبائلِ جاءت من بلادِ بَعِيدَة

لَتَغْلِبَ خَيْلَ اللاتِ خَيْلَ مُحَمَّدٍ
فهذا أواني حين أهدى وأهتدي
مع الله من طردت كل مُطْرَدٍ
وأدعى وإن لم أنتسب من محمد
وإن كان ذا رأي يُلَمُّ ويُفْتَدُ^(٩)
مع القوم ما لم أهد في كل مَقْعَدٍ
وقل لثَقِيفٍ تلك: غَيْرِي أو عِدِي
وما كان عن جِراً^(١٠) لساني ولا يدي
نزائِعَ جاءت من سِهَامٍ وسُرْدَدٍ^(١١)

(١) تاريخ الطبري ٣/٥٠، مجمع الزوائد ٦/١٦٤، ١٦٥.

(٢) انظر: معجم ما استعجم ٥٩٥.

(٣) لعلهُ: يكون جعفرأ، فقد كان آنذاك غلاماً مدركاً وشهد مع أبيه حينئذٍ ومات في خلافة معاوية. (الروض الأنف ٤/٩٨).

(٤) أخرجه الهيثمي في مجمع الزوائد ٦/١٦٥، تاريخ الطبري ٣/٥٠، نهاية الأرب ١٧/٢٩٧، ٢٩٨، وانظر المغازي للواقدي ٢/٨١٠، ٨١١، ورواه الحاكم في المستدرک ٣/٤٣، ٤٤ وقال: هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه، وتابعه الذهبي في التلخيص.

(٥) في تاريخ الطبري «لعمري».

(٦) المُدْجِ: السائر ليلاً.

(٧) في تاريخ الطبري «وهاج هداني».

(٨) اللائط: الملتصق.

(٩) يَفْتَدُ: يكذب.

(١٠) جِراً: من جِراء.

(١١) سِهَامٍ: كسحاب. وسُرْدَدٍ: بضم أوله وسكون ثانيه ودال مهملة مضمومة، ويُروى بضم أوله وفتح الدال الأولى، =

قال ابن هشام: ويروى «وذلني على الحق من طردت كل مطرد».

قال ابن إسحاق: فزعموا أنه حين أنشد رسول الله ﷺ قوله: «ونالني مع الله من طردت كل مطرد» ضرب رسول الله ﷺ في صدره، وقال: «أنت طردتني»^(١) كل مطرد.

فلما نزل رسول الله ﷺ مَرَّ الظُّهْرَانِ، قال العباس بن عبد المطلب: فقلت: وا صباح قُرَيْشٍ، والله لئن دخل رسول الله ﷺ مكة عَنُوةً قبل أن يأتوه فيستأمنوه، إنه لهلاك قُرَيْشٍ إلى آخر الدهر. قال: فجلست على بغلة رسول الله ﷺ البيضاء، فخرجتُ عليها. قال: حتى جئت الأراك، فقلت: لعلي أجد بعض الحطابة أو صاحب لبين أو ذا حاجة يأتي مكة، فيخبرهم بمكان رسول الله ﷺ، ليُخرجوا إليه فيستأمنوه قبل أن يدخلها عليهم عَنُوة. قال: فوالله إني لأسير عليها، وألتمس ما خرجت له، إذ سمعت كلام أبي سُفيان وبُديل بن ورقاء، وهما يتراجعان، وأبو سُفيان يقول: ما رأيت كالليلة نيراناً قط ولا عسكرياً، قال: يقول بُديل: هذه والله خُزاعة حَمَشْتَهَا^(٢) الحرب. قال: يقول أبو سُفيان: خُزاعة أذل وأقل من أن تكون هذه نيرانها وعسكرها؛ قال: فعرفت صوته؛ فقلت: يا أبا حنظلة، فعرف صوتي، فقال: أبو الفضل؟ قال: قلت: نعم؛ قال: ما لك؟ فذاك أبي وأمي؛ قال: قلت: ويحك يا أبا سُفيان، هذا رسول الله ﷺ في الناس، وصباح قُرَيْشٍ والله. قال: فما الحيلة؟ فذاك أبي وأمي؛ قال: قلت: والله لئن ظفرت بك ليضربن عنقك، فاركب في عجز هذه البغلة حتى آتي بك رسول الله ﷺ فاستأمنه لك؛ قال: فركب خلفي ورجع صاحبه؛ قال: فجئت به، كلما مررت بنار من نيران المسلمين قالوا: من هذا؟ فإذا رأوا بغلة رسول الله ﷺ وأنا عليها، قالوا: عم رسول الله ﷺ على بغلته، حتى مررت بنار عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فقال: من هذا؟ وقام إليّ؛ فلما رأى أبا سُفيان على عجز الدابة، قال: أبو سُفيان عدو الله! الحمد لله الذي أمكن منك بغير عَقْد ولا عهد، ثم خرج يشتد نحو رسول الله ﷺ، وركضت البغلة، فسبقت بما تسبق الدابة البطيئة الرجل البطيء. قال: فاقترحت عن البغلة، فدخلت على رسول الله ﷺ، ودخل عليه عمر، فقال: يا رسول الله، هذا أبو سُفيان قد أمكن الله منه بغير عَقْد ولا عهد، فدعني فلاضرب عنقه؛ قال: قلت: يا رسول الله، إني قد أجرته، ثم جلست إلى رسول الله ﷺ، فأخذت برأسه، فقلت: والله لا يُنَاجيه الليلة دوني رجل؛ فلما أكثر عمر في شأنه، قال: قلت: مهلاً يا عمر، فوالله أن لو كان من بني عدي بن كعب ما قلت هذا، ولكنك قد عرفت أنه من رجال بني عبد مناف؛ فقال: مهلاً يا عباس، فوالله لإسلامك يوم أسلمت كان أحب إليّ من إسلام الخطاب لو أسلم، وما بي إلا أنني قد عرفت أن إسلامك كان أحب إليّ

= وهما موضعان من أرض عك.

والآيات في:

تاريخ الطبري ٥١/٣، والمستدرك للحاكم ٤٤/٣، وتلخيص المستدرك للذهبي ٤٤/٣، ونهاية الأرب للنويري ١٧/٢٩٨، وسيرة ابن كثير ٥٤٤/٣، ومنها الآيات الثلاثة الأولى في: الكامل في التاريخ ٢/٢٤٣، وعيون الأثر ١٦٨/٢، وعيون التواريخ ١/٢٩٢، وفي تاريخ الإسلام (المغازي) أربعة آيات.

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك ٤٤/٣، وتابعه الذهبي في التلخيص ٤٥/٣، تاريخ الطبري ٥١/٣، الكامل في التاريخ ٢/٢٤٣، ٢٤٤.

(٢) حمشتها: هيئتها، وأحرقتها.

رسول الله ﷺ من إسلام الخطاب لو أسلم، فقال رسول الله ﷺ: اذهب به يا عباس إلى رَحْلِكَ، فإذا أصبحت فائتني به؛ قال: فذهبت به إلى رحلي، فبات عندي، فلما أصبح عَدَوْتُ به إلى رسول الله ﷺ؛ فلما رآه رسولُ الله ﷺ، قال: ويحك يا أبا سفيان، ألم يَأْنِ لكَ أن تعلم أنه لا إله إلا الله؟ قال: بأبي أنت وأمي، ما أحلمك وأكرمك وأوصلك، والله لقد ظننت أن لو كان مع الله إله غيره لقد أغنى عني شيئاً بعد، قال: ويحك يا أبا سفيان! ألم يَأْنِ لكَ أن تعلم أني رسول الله؟ قال: بأبي أنت وأمي، ما أحلمك وأكرمك وأوصلك! أما هذه والله فإن في النفس منها حتى الآن شيئاً. فقال له العباس: ويحك! أسلم واشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله قبل أن تُضرب عنقك. قال: فشهد شهادة الحق، فأسلم؛ قال العباس: قلت: يا رسول الله، إن أبا سفيان رجل يحب هذا الفخر، فاجعل له شيئاً، قال: نعم، من دخل دار أبي سفيان فهو آمن، ومن أغلق بابه فهو آمن، ومن دخل المسجد فهو آمن، فلما ذهب لينصرف قال رسول الله ﷺ: يا عباس، احبسه بمَضِيقِ الوادي عند حَظْمِ الجبل^(١)، حتى تمرّ به جنود الله فيراها. قال: فخرجت حتى حبسته بمضيق الوادي، حيث أمرني رسول الله ﷺ أن أحبسه^(٢).

عرض الجيش على أبي سفيان: قال: ومرت القبائل على راياتها، كلما مرت قبيلة قال: يا عباس، من هذه؟ فأقول: سليم، فيقول: ما لي ولسليم، ثم تمرّ القبيلة فيقول: يا عباس، من هؤلاء؟ فأقول: مُزينة، فيقول: ما لي ولمزينة، حتى نفذت القبائل، ما تمرّ به قبيلة إلا يسألني عنها، فإذا أخبرته بهم، قال: ما لي ولبني فلان، حتى مرّ رسول الله ﷺ في كتيبه الخضراء.

قال ابن هشام: وإنما قيل لها الخضراء لكثرة الحديد وظهوره فيها.

قال الحارث بن حلزة الشكري:

ثم حُجراً أعني ابنَ أمِّ قَطَامٍ ولَهُ فَارِسِيَّةٌ خَضْرَاءُ

يعني الكتيبة، وهذا البيت في قصيدة له، وقال حسان بن ثابت الأنصاري:

لَمَّا رَأَى بَدْرًا تَسِيلُ جِلاهُهُ بكتيبة خضراء من بلخزرج

وهذا البيت في أبيات له قد كتبناها في أشعار يوم بدر.

قال ابن إسحاق: فيها المهاجرون والأنصار، رضي الله عنهم، لا يرى منهم إلا الحدق من الحديد، فقال: سبحان الله: يا عباس، من هؤلاء؟ قال: قلت: هذا رسول الله ﷺ في المهاجرين والأنصار؛ قال: ما لأحد بهؤلاء قبيل ولا طاقة؛ والله يا أبا الفضل، لقد أصبح مُلك ابن أخيك الغداة عظيماً، قال: قلت: يا أبا سفيان، إنها النبوة. قال: فنعم إذن.

قال: قلت: النجاء إلى قومك، حتى إذا جاءهم صرخ بأعلى صوته: يا معشر قريش، هذا محمد قد جاءكم فيما لا قبيل لكم به، فمن دخل دار أبي سفيان فهو آمن، فقامت إليه هند بنت عتبة،

(١) الخطم: الأنف، شيء يخرج من الجبل يضيق به الطريق، فتزاحم فيه الخيل حتى يحطم بعضها بعضاً.

(٢) تاريخ الطبري ٣/٥٢ - ٥٤، مجمع الزوائد ٦/١٦٥ - ١٦٧، نهاية الأرب ١٧/٢٩٩ - ٣٠١، الكامل في التاريخ ٢/٢٤٤ -

١٤٦، عيون الأثر ٢/١٦٨ - ١٧٠.

فأخذت بشاريه، فقالت: اقتلوا الحميّات الدّيسم الأخمس^(١)، فُبح من طليعة قوم! قال: ويلكم لا تغزّنكم هذه من أنفسكم فإنه قد جاءكم ما لا قَبيل لكم به، فمن دخل دار أبي سفيان فهو آمن؛ قالوا: قاتلك الله! وما تُعني عتًا دارك؟ قال: ومن أغلقت عليه بابه فهو آمن، ومن دخل المسجد فهو آمن، ففتفرّق الناس إلى دورهم وإلى المسجد^(٢).

قال ابن إسحاق: فحدثني عبد الله بن أبي بكر: أن رسول الله ﷺ لما انتهى إلى ذي طوى وقف على راحلته مُعْتَجِرًا بِشَقَّةِ بُرْدِ حَبْرَةَ^(٣) حمراء، وإن رسول الله ﷺ ليضع رأسه تواضعاً لله حين رأى ما أكرمه الله به من الفتح، حتى إن عُثوناه ليكاد يمسّ واسطة الرّخل^(٤).

إسلام أبي قحافة: قال ابن إسحاق: وحدثني يحيى بن عبّاد بن عبد الله بن الزبير، عن أبيه، عن جدّته أسماء بنت أبي بكر، قالت: لمّا وقف رسول الله ﷺ بذي طوى قال أبو قحافة لابنة^(٥) من أصغر ولده: أي بنية، أظهرني بي على أبي قبيس^(٦)؛ قالت: وقد كُفّ بصره؛ قالت: فأشرفت به عليه، فقال: أي بنية، ماذا ترين؟ قالت: أرى سواداً مجتمعاً، قال: تلك الخيل؛ قالت: وأرى رجلاً يسمي بين يدي ذلك مقبلاً ومدبراً، قال: أي بنية، ذلك الوازع، يعني الذي يأمر الخيل ويتقدّم إليها؛ ثم قالت: قد والله انتشر السواد؛ قالت: فقال: قد والله إذن دُفعت الخيل، فأسرعي بي إلى بيتي، فانحطت به، وتلقاه الخيل قبل أن يصل إلى بيته، قالت: وفي عنق الجارية طوق من ورق^(٧)، فتلقاها رجل فيقتطعه من عنقها؛ قالت: فلما دخل رسول الله ﷺ مكة، ودخل المسجد، أتى أبو بكر بأبيه يقوده، فلما رآه رسول الله ﷺ قال: «هلا تركت الشيخ في بيته حتى أكون أنا آتية فيه؟» قال أبو بكر: يا رسول الله، هو أحقّ أن يمشي إليك من أن تمشي إليه أنت؛ قال: قالت: فأجلسه بين يديه، ثم

(١) الحميّات: الزق، نسبة إلى الصّخم والسّمْن، والأحمس، الذي لا خير عنده، من قولهم: عامّ أحمس إذا لم يكن فيه مطر، وزاد عبد بن حُميد في حديثه أنها قالت: يا آل غالب اقتلوا الأحمق، فقال لها أبو سفيان: والله لتُسلمن أو لأضربن عنقك، وفي إسلام أبي سفيان قبل هند وإسلامها قبل انقضاء عدّتها، ثم استقرّا على نكاحهما، وكذلك حكيم بن حزام مع امرأته حنّة للشافعي، فإنّه لم يفرق بين أن تسلّم قبله أو يسلم قبلها، ما دامت في العدة. وفرق مالك بين المسألتين على ما في الموطأ وغيره. (الروض الأنف ٩٩/٤).

(٢) أخرج الحديث بطوله: الهيثمي في مجمع الزوائد ١٦٥/٣ - ١٦٧ وقال: رواه الطبراني، ورجاله رجال الصحيح. وانظر تاريخ الطبري ٥٢/٣ - ٥٤، والكامل في التاريخ ٢٤٤/٢ - ٢٤٦، ونهاية الأرب ١٧/٢٩٩ - ٣٠٢، وعيون الأثر ١٦٨/٢ - ١٧٠، وعيون التواريخ ١/٢٩٣ - ٢٩٦، وسيرة ابن كثير ٣/٥٤٦ - ٥٥١، وبعضه في الطبقات الكبرى ٢/١٣٥، وشرح السنة للبغوي ١١/١٤٨، ١٤٩ وأخرج البخاري بعضاً منه في المغازي (٩١/٥) باب أين ركز النبي ﷺ الراية يوم الفتح، عن عبيد بن إسماعيل، عن أبي أسامة، عن هشام، عن أبيه.

(٣) برد حبرة: بكسر الحاء وفتح الباء كعنية، وهي مفردة والجمع حبر وحبرات كعنية وعنب وعنبات، وقال: برد حبرة على الوصف وبرد حبرة على الإضافة، وهو أكثر في استعمالهم، ويقال برد حبير على الوصف وهو ثوب يمان ويكون من قطن أو كتان مخطط محبّر أي مزين، والتحبير والتزيين والتحسين. (تهذيب الأسماء واللغات للنووي ج ١ ق ٢ (٦١)).

(٤) أخرج الحاكم نحوه في المستدرک ٣/٤٧ وقال: هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه.

(٥) واسمها: أم فروة زوجة تميم الداري ومن بعده الأشعث بن قيس، أو هي قرية تزوجها قيس بن سعد بن عبادة.

(٦) أبو قبيس: جبل بمكة.

(٧) الطوق: القلادة تطوق العنق. الورق: الفضة.

مَسَحَ صدره، ثم قال له: «أسلم»، فأسلم^(١)؛ قالت: فدخل به أبو بكر وكان رأسه تُغامة^(٢)، فقال رسول الله ﷺ: «غيروا هذا من شعره»^(٣)، ثم قام أبو بكر فأخذ بيد أخته، وقال: أنشد الله والإسلام طوق أختي، فلم يُجبه أحد؛ قالت: فقال: أي أختي، احتسبي طوقك، فوالله إن الأمانة في الناس اليوم لقليل^(٤).

دخول مكة: قال ابن إسحاق: وحدثني عبد الله بن أبي نجيح أن رسول الله ﷺ حين فرّق جيشه من ذي طوى، أمر الزبير بن العوام أن يدخل في بعض الناس من كُدى، وكان الزبير على المُجَنَّبَةِ اليسرى، وأمر سعد بن عبادة أن يدخل في بعض الناس من كداء^(٥).

قال ابن إسحاق: فزعم بعض أهل العلم أن سعداً حين وُجه داخلاً، قال: اليوم يوم المَلَحمة، اليوم تُسْتَحَلُّ الحُرمة؛ فسمعها رجلٌ من المهاجرين - قال ابن هشام: هو عمر بن الخطاب - فقال: يا

(١) رواه الحاكم في المستدرک ٤٦/٣ وقال: هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه وتابعه الذهبي في التلخيص، ورواه الهيثمي في مجمع الزوائد ١٧٣/٦، ١٧٤، والذهبي في تاريخ الإسلام (المغازي).

(٢) الثغامة: واحدة الثغام، نبات أبيض الشجر والزهر، يشدد بياضه إذا يبس.

(٣) هو على التندب، لا على الوجوب لما دل على ذلك من الأحاديث عنه عليه السلام أنه لم يغير شيبه، وقد روى من طريق أبي هريرة أنه خضب. وقال من جمع بين الحديثين: إنما كانت شيبات يسيرة يغيرها بالطيب. وقال أنس: لم يبلغ النبي ﷺ حد الخضاب. وفي البخاري عن عثمان بن موهب: قال: أرثني أم سلمة شعراً من شعر رسول الله ﷺ. وفيه أيضاً عن ابن موهب قال: بعثني أهلي بقدر إلى أم سلمة، وذكر الحديث، وفيه اطلعت في الجلجل فرأيت شعرات حمراً، وهذا كلام مشكل وشرحه في مسند وكيع بن الجراح قال: كان جلجلًا من فضة صنع صيوناً لشعرات كانت عندهم من شعر رسول الله ﷺ.

فإن قيل فهذا يدل على أنه كان مخضوب الشيب، وقد صح من حديث أنس وغيره أنه عليه السلام لم يكن بلغ أن يخضب إنما كانت شعيرات تعد.

فالجواب: أنه لما توفي خضب من عنده شيء من شعره: تلك الشعرات ليكون أبقى لها كذلك قال الدارقطني في أسماء رجال الموطأ له، وكان أبو بكر يخضب بالحناء والكتم، وكان عمر يخضب الصفرة، وكذلك عثمان وعبد الله بن عمر. وبعض أهل الحديث يزيد على رواية ابن إسحاق في شيب أبي قحافة: وجنبوه السواد. وأكثر العلماء على كراهة الخضاب بالسواد من أجل هذا الحديث، ومن أجل حديث آخر جاء فيه الوعيد والنهي لمن خضب بالسواد، وقيل: أول من خضب بالسواد فرعون وقيل: أول من خضب به من العرب عبد المطلب، وترخص قوم في الخضاب بالسواد منهم محمد بن علي، وروي عن عمر أنه قال: أخضبوا بالسواد، فإنه أنكى للعدو، وأحب للنساء. وقال ابن بطال في الشرح: إذا كان الرجل كهلاً لم يبلغ الهرم جاز له الخضاب بالسواد، لأن في ذلك ما قال عمر رضي الله عنه من الإرهاب على العدو والتحبب إلى النساء، وأما إذا قوس واحدودب فحينئذ يكره له السواد، كما قال رسول الله ﷺ - في أبي قحافة: غيِّبوا شيبه، وجنبوه السواد. (الروض الأنف ٤/١٠٠)، وحديث غيروا هذا الشيب أخرجه أحمد في المسند ٣/٣٣٨.

(٤) المستدرک على الصحيحين ٤٦/٣، ٤٧، مجمع الزوائد ١٧٣/٦، ١٧٤، وقال: رواه أحمد والطبراني، ورجلها ثقات.

(٥) كداء بفتح الكاف والمد، وهو بأعلى مكة. وكدى وهو من ناحية عرفة، وبمكة موضع ثالث يقال: كذا بضم الكاف والقصر، وأنشدوا في كداء وكدي:

أفترت بعد عبد شمس كداء فكدى فالركن والبطحاء

وبكداء وقف إبراهيم عليه السلام حين دعا لذريته بالحرم. كذلك روى سعيد بن جبير، عن ابن عباس، قال: «فاجعل أفتدة من الناس تهوي إليهم» فاستجيب دعوته، وقيل له: أذن في الناس بالحج يأتوك رجالاً. ألا تراه يقول يأتوك ولم يقل يأتوني، لأنها استجابة لدعوته فمن ثم - والله أعلم - استحب النبي ﷺ إذا أتى لمكة أن يدخلها من كداء لأنه الموضع الذي دعا فيه إبراهيم بأن يجعل أفتدة من الناس تهوي إليهم. (الروض الأنف ٤/١٠٠، ١٠١).

رسول الله: اسمع ما قال سعد بن عبادة، ما نأمن أن يكون له في قرئش صولة، فقام رسول الله ﷺ لعلي بن أبي طالب: «أدركه، فخذ الراية منه فكن أنت الذي تدخل بها»^(١).

قال ابن إسحاق: وقد حدثني عبد الله بن أبي نجيح في حديثه: أن رسول الله ﷺ أمر خالد بن الوليد، فدخل من الليط، أسفل مكة، في بعض الناس، وكان خالد على المُجَبَّة اليمنى، وفيها أسلم وسليم وغفار ومزينة وجُهينة وقبائل من قبائل العرب. وأقبل أبو عبيدة بن الجراح بالصف من المسلمين ينصب لمكة بين يدي رسول الله ﷺ، ودخل رسول الله ﷺ من أذاخر، حتى نزل بأعلى مكة، وضربت له هنالك قُبَّة^(٢).

قال ابن إسحاق: وحدثني عبد الله بن أبي نجيح وعبد الله بن أبي بكر: أن صفوان بن أمية وعكرمة بن أبي جهل وسهيل بن عمرو كانوا قد جمعوا ناساً بالخدمة ليقاتلوا، وقد كان حماس بن قيس بن خالد، أخو بني بكر، يُعدّ سلاحاً قبل دخول رسول الله ﷺ، ويصلح منه؛ فقالت له امرأته: لماذا تُعدّ ما أرى؟ قال: لمحمد وأصحابه؛ قالت: والله ما أراه يقوم لمحمد وأصحابه شيء؛ قال: والله إنني لأرجو أن أُخِدمَك بعضهم، ثم قال:

إِنْ يُقْبِلُوا الْيَوْمَ فَمَالِي عَلَيْهِ هَذَا سِلَاحٌ كَامِلٌ وَأَلِيهِ^(٣)
وذو غرارين^(٤) سريع السُّلَّة

ثم شهد الخدمة مع صفوان وسهيل وعكرمة؛ فلما لقيهم المسلمون من أصحاب خالد بن الوليد، ناوشوهم شيئاً من قتال، فقتل كُرز بن جابر، أحد بني محارب بن فهر، وخنيس بن خالد بن ربيعة بن أصرم، حليف بني مُنقذ، وكانا في خيل خالد بن الوليد، فشدّأ عنه فسلكا طريقاً غير طريقه فقتلا جميعاً، قُتل حنيس بن خالد قبل كُرز بن جابر، فجعله كُرز بن جابر بين رجليه، ثم قاتل عنه حتى قُتل، وهو يرتجز ويقول:

قَدْ عَلِمْتُ صَفْرَاءَ مِنْ بَنِي فِهْرٍ نَقِيَّةَ الْوَجْهِ نَقِيَّةَ الصِّدْرِ^(٥)
لأضربنَّ اليومَ عن أبي صخر

قال ابن هشام: وكان خنيس يُكنى أبا صخر، قال ابن هشام: خنيس بن خالد، من خزاعة.

قال ابن إسحاق: حدثني عبد الله بن أبي نجيح وعبد الله بن بكر، قالوا: وأصيب من جُهينة سلمة بن الميلاء، من خيل خالد بن الوليد؛ وأصيب من المشركين ناس قريب من اثني عشر رجلاً، أو ثلاثة عشر رجلاً، ثم انهزموا، فخرج حماسٌ منهزماً حتى دخل بيته، ثم قال لامرأته: أغلقت علي بابي؛ قالت: فأين ما كنت تقول؟ فقال:

إِنَّكَ لَوْ شِهدتِ يَوْمَ الْخَنْدَمَةِ إِذْ فَرَ صَفْوَانَ وَفَرَ عَكْرِمَةَ

(٢) تاريخ الطبري ٥٧/٣.

(١) تاريخ الطبري ٥٦/٣.

(٤) غرارين: حدين.

(٣) الأله: الحربة ذات السنان الطويلة.

(٥) قوله: من بني فهر بكسر الهاء وأبو صخر: هذا على مذهب العرب في الوقف على ما أوسطه ساكن، فإن منهم من ينقل حركة لام الفعل إلى عين الفعل في الوقف، وذلك إذا كان الاسم مرفوعاً أو مخفضاً، ولا يفعلون ذلك في النصب وعلله مستقصاة في النحو. (الروض الأنف ١٠١/٤، ١٠٢).

وأبو يزيد قائم كالموتمة واستقبلتهم بالسيف المسلمه^(١)
 يقطعن كل ساعد وجمجمة
 لهم نهيت خلقنا وهنهمه^(٢)
 لم تنطقي في اللوم أدنى كلمة^(٣)

قال ابن هشام: أنشدني بعض أهل العلم بالشعر قوله «كالموتمة»، وتروى للرعاش الهذلي.
 شعار المسلمين يوم فتح مكة: وكان شعار أصحاب رسول الله ﷺ يوم فتح مكة وخنين
 والطائف، شعار المهاجرين: يا بني عبد الرحمن، وشعار الخزرج: يا بني عبد الله، وشعار الأوس: يا
 بني عبيد الله.

من أمر النبي بقتلهم: قال ابن إسحاق: وكان رسول الله ﷺ قد عهد إلى أمرائه من المسلمين،
 حين أمرهم أن يدخلوا مكة، أن لا يقاتلوا إلا من قاتلهم، إلا أنه قد عهد في نفر ستمهم أمر بقتلهم
 وإن وجدوا تحت أستار الكعبة، منهم عبد الله بن سعد، أخو بني عامر بن لؤي.

وإنما أمر رسول الله ﷺ بقتله لأنه قد كان أسلم، وكان يكتب لرسول الله ﷺ الوحي، فارتد
 مشركاً راجعاً إلى قريش، ففر إلى عثمان بن عفان، وكان أخاه للرضاعة، فغيبه حتى أتى به رسول
 الله ﷺ بعد أن اطمأن الناس وأهل مكة، فاستأمن له؛ فزعموا أن رسول الله ﷺ صمت طويلاً، ثم
 قال: نعم؛ فلما انصرف عنه عثمان، قال رسول الله ﷺ لمن حوله من أصحابه: لقد صمت ليقوم إليه
 بعضكم فيضرب عنقه. فقال رجل من الأنصار: فهلا أومأت إلي يا رسول الله؟ قال: «إن النبي لا يقتل
 بالإشارة»^(٤).

قال ابن هشام: ثم أسلم بعد. فولاه عمر بن الخطاب بعض أعماله، ثم ولاه عثمان بن عفان
 بعد عمر.

قال ابن إسحاق: وعبد الله بن خطل، رجل من بني تميم بن غالب: إنما أمر بقتله أنه كان
 مسلماً، فبعثه رسول الله ﷺ مصدقاً، وبعث معه رجلاً من الأنصار، وكان معه مولى له يخدمه، وكان
 مسلماً، فنزل منزلاً، وأمر المولى أن يذبح له تيساً، فيصنع له طعاماً، فنام، فاستيقظ ولم يصنع له
 شيئاً، فعدا عليه فقتله، ثم ارتد مشركاً.

(١) تاريخ الطبري ٥٧/٣، ٥٨.

(٢) وقوله: وأبو يزيد بقلب الهمزة من أبو ألفاً ساكنة، فيه حجة لعثمان بن سعيد بن عبد الله المصري المشهور بورش حيث
 أبدل الهمزة ألفاً ساكنة، وهي متحركة، وإنما قياسها عند النحويين أن تكون بين بين ومثل قوله: وأبو يزيد، قول الفرزدق:

فارعي فزار لا هنالك المرتع

وإنما هو هناك بالهمزة وتسهيلها بين بين فقلبها ألفاً على غير القياس المعروف في النحو، وكذلك قولهم المنساء وهي
 العصا، وأصلها الهمزة، لأنها مفعلة من نسات، وهي في التنزيل كما ترى في قوله تعالى: ﴿ما دلهم على موته إلا دابة
 الأرض تأكل منسأته﴾. (الروض الأنف ٤/١٠٢).

(٣) النهيت والهمهمة: أصوات.

(٤) الخبر والرجز في تاريخ الطبري ٥٨/٣.

(٥) المغازي للواقدي ٨٥٩/٢، تاريخ الطبري ٥٨/٣، ٥٩، تاريخ الإسلام (المغازي)، سيرة ابن كثير ٥٦٤/٣، عيون الأثر
 ١٧٥/٢، شفاء الغرام ٢٢٥/٢ (بتحقيقنا).

وكانت له قَيْنَتان: فَرَزَتْنِي وصاحبتهما، وكانتا تغنيان بهجاء رسول الله ﷺ، فأمر رسول الله ﷺ بقتلهما معه^(١).

والخُوَيْرِث بن نُقَيْذ بن وهب بن عبد بن قُصَيِّ، وكان ممن يؤذيه بمكة^(٢).

قال ابن هشام: وكان العباس بن عبد المطلب حمل فاطمة وأم كلثوم، ابنتي رسول الله ﷺ من مكة يريد بهما المدينة، فنَحَسَ بهما الخُوَيْرِث بن نُقَيْذ، فرمى بهما إلى الأرض.

قال ابن إسحاق: ومِقيس بن حُبابة^(٣): وإنما أمر رسول الله ﷺ بقتله، لقتل الأنصاري الذي كان قتل أخاه خطأ، ورجوعه إلى قُرَيْش مُشركاً.

وسارة^(٤)، مولاة لبعض بني عبد المطلب. وعِكْرمة بن أبي جهل. وكانت سارة ممن يؤذيه بمكة؛ فأما عِكْرمة فهرب إلى اليمن، وأسلمت امرأته أم حكيم بنت الحارث بن هشام، فاستأمنت له من رسول الله ﷺ، فأمنه، فخرجت في طلبه إلى اليمن، حتى أتت به رسول الله ﷺ، فأسلم^(٥). وأما عبد الله بن حَظَل، فقتله سعيد بن حُرَيْث المخزومي وأبو بَرْزة الأسلمي، اشتركا في دمه^(٦)؛ وأما مِقيس بن حُبابة فقتله نُمَيْلة بن عبد الله، رجل من قومه، فقالت أخت مِقيس في قتله:

لَعَمْرِي لَقَدْ أَخْرَزَى نُمَيْلَةُ رَهْطَهُ وَفَجَّعَ أَضْيَافَ الشِّتَاءِ بِمِقيسِ
فَلَلَّهُ عَيْنًا مَنْ رَأَى مِثْلَ مِقيسِ إِذَا التُّفْسَاءُ أَصْبَحَتْ لَمْ تُحْرَسْ^(٧)

وأما قَيْنَتا ابن حَظَل فقتلت إحداهما، وهربت الأخرى، حتى استؤمن لها رسول الله ﷺ بعد، فأمنها. وأما سارة فاستؤمن لها فأمنها، ثم بقيت حتى أوطأها رجلٌ من الناس فرساً في زمن عمر بن الخطاب بالأبطح فقتلها. وأما الخُوَيْرِث بن نُقَيْذ فقتله علي بن أبي طالب^(٨).

قال ابن إسحاق: وحدثني سعيد بن أبي هند، عن أبي مُرَّة، مولى عَقِيل بن أبي طالب، أن أم هانئ ابنة أبي طالب قالت: لما نزل رسول الله ﷺ بأعلى مكة، فرَأَيْتُ رجلاً من أ-سماني، من بني مخزوم، وكانت عند هُبَيْرة بن أبي وَهَب المخزومي، قالت: فدخل عليّ بن أبي طالب أخي، فقال: والله لأقتلنهما، فأغلقت عليهما باب بيتي، ثم جئت رسول الله ﷺ وهو بأعلى مكة، فوجدته يغتسل من جَفْنَةٍ إنَّ فيها لأثر العجين، وفاطمة ابنته تستره بثوبه، فلما اغتسل أخذ ثوبه فتوشح به، ثم صلى ثماني ركعات من الضحى ثم انصرف إليّ، فقال: «مرحباً وأهلاً يا أم هانئ، ما جاء بك؟»

(١) المغازي للواقدي ٨٥٩/٢، ٨٦٠، تاريخ الطبري ٥٩/٣، تاريخ الإسلام (المغازي)، سيرة ابن كثير ٥٦٤/٣، عيون الأثر ١٧٦/٢، شفاء الغرام ٢٢٦/٢، ٢٢٧.

(٢) تاريخ الطبري ٦٠/٣، أنساب الأشراف ١/٣٥٧ رقم ٧٤٣، الطبقات الكبرى ٩٨/٢، المغازي للواقدي ٨٢٥/٢.

(٣) في تاريخ الطبري ٦٠/٣، وتاريخ الإسلام (المغازي) ٥٥٢ (بتحقيقنا)، ومعجم الشعراء للمرزباني ٤٦٧، والمختبر ٢٤٠ «صباية» وفي حماسة البحري ص ١٧٦ «صباية» بالضاد المعجمة.

(٤) تاريخ الطبري ٥٩/٣. (٥) تاريخ الطبري ٥٩/٣، المغازي للذهبي ٥٥٢.

(٦) الطبري ٦٠/٣.

(٧) التخريس: نوع من الطعام يصنع للمرأة بعد ولادتها. واسمه خرس وخرسة: بضم الخاء، وإنما أرادت به زمن الشدة. انظر

القول في الطبري ٦٠/٣.

(٨) تاريخ الطبري ٦٠/٣.

فأخبرته خبرَ الرجلين وخبر علي؛ فقال: «قد أجرنا من أجرته، وأمنا من أمنت، فلا يقتلها»^(١).

قال ابن هشام: هما الحارث بن هشام، وزهير بن أبي أمية بن المغيرة.

الرسول يدخل الحرم قال ابن إسحاق: وحدثني محمد بن جعفر بن الزبير، عن عبيد الله بن عبد الله بن أبي ثور، عن صفية بنت شيبة، أن رسول الله ﷺ لما نزل مكة، واطمأن الناس، خرج حتى جاء البيت، فطاف به سبعا على راحلته، يستلم الركن بمخجن^(٢) في يده؛ فلما قضى طوافه، دعا عثمان بن طلحة، فأخذ منه مفتاح الكعبة، ففتحت له، فدخلها، فوجد فيها حمامة من عيدان، فكسرها بيده ثم طرحها، ثم وقف على باب الكعبة وقد استكف له الناس^(٣) في المسجد^(٤).

قال ابن إسحاق: فحدثني بعض أهل العلم أن رسول الله ﷺ قام على باب الكعبة، فقال: «لا إله إلا الله وحده لا شريك له، صدق وعده، ونصر وعده، وهزم الأحزاب وحده، ألا كل مأثرة^(٥) أو دم أو مال يُدعى فهو تحت قدمي هاتين إلا سدانة^(٦) البيت وسقاية الحاج، ألا وقتيل الخطأ شبه العمد بالسوط والعصا، ففيه الدية مغلظة، مائة من الإبل، أربعون منها في بطونها أولادها. يا معشر قريش، إن الله قد أذهب عنكم نخوة الجاهلية، وتعظمها بالآباء، الناس من آدم، وآدم من تراب، ثم تلا هذه الآية: ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاهُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتَقْوَمُ﴾ [المُحَجَّرَات: ١٣]... الآية كلها. ثم قال: يا معشر قريش، ما تزون أني فاعل فيكم؟ قالوا: خيرا، أخ كريم، وابن أخ كريم، قال: اذهبوا فأنتم الطلقاء^(٧)».

ثم جلس رسول الله ﷺ في المسجد، فقام إليه علي بن أبي طالب ومفتاح الكعبة في يده، فقال: يا رسول الله، اجمع لنا الحجابة مع السقاية صلى الله عليك^(٨)؛ فقال رسول الله ﷺ: «أين عثمان بن طلحة؟ فدعي له، فقال: «هاك مفتاحك يا عثمان، اليوم يوم برّ ووفاء».

قال ابن هشام: وذكر سفيان بن عيينة أن رسول الله ﷺ قال لعلي: «إنما أعطيتكم ما تزرؤون لا ما تزرؤون»^(٩).

(١) أخرجه مسلم في كتاب الحيض (١/١٨٢، ١٨٣) باب تستر المغتسل بثوب ونحوه، وكتاب صلاة المسافرين وقصرها (٢/١٥٧، ١٥٨) باب استحباب صلاة الضحى وأن أقلها ركعتان وأكملها ثمان ركعات، وابن سعد في الطبقات ٢/١٤٤، ١٤٥.

(٢) المحجن: عصا معقوفة الرأس.

(٣) استكف: اجتمع.

(٤) انظر الطبقات الكبرى ٢/١٣٦ و١٣٧، والمغازي للواقدي ٢/٨٣٣، وأنساب الأشراف ١/٣٦١، والمغازي للذهبي ٥٥٢.

(٥) المأثرة: الخصلة التي تتوارث ويتحدث بها الناس من المكارم.

(٦) السدانة: خدمة البيت الحرام.

(٧) الخبر في تاريخ الطبري ٣/٦٠، ٦١ والحديث أخرجه أحمد في المسند ٢/١١ من طريق سفيان، عن ابن جدعان، عن القاسم بن ربيعة، عن ابن عمر. و٣/٤١٠ من طريق هشام، عن خالد، عن القاسم بن ربيعة بن جوشن، عن عقبه بن أوس، عن رجل من أصحاب النبي ﷺ، والذهبي في تاريخ الإسلام (المغازي) ٥٥٦، ٥٥٧ من طريق ابن عيينة، عن علي بن زيد، عن حدثه عن ابن عمر. والإسناد ضعيف.

(٨) في المغازي للواقدي ٢/٨٣٣ أن الذي قال هو العباس بن عبد المطلب.

(٩) قال أبو علي: إنما معناه إنما أعطيتكم ما تمنون كالسقاية التي تحتاج إلى مؤن، فأما السدانة فيرزا لها الناس بالبعث إليها، يعني كسوة البيت. (شرح أبي ذر ٣٧١).

قال ابن هشام: وحدثني بعض أهل العلم، أن رسول الله ﷺ دخل البيت يوم الفتح، فرأى فيه صور الملائكة وغيرهم، فرأى إبراهيم ﷺ مصوراً في يده الأزلام^(١) يستقسم بها، فقال: قاتلهم الله، جعلوا شيخنا يستقسم بالأزلام، ما شأن إبراهيم والأزلام! ﴿مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [آل عمران: ٦٧]. ثم أمر بتلك الصور كلها فطمست.

قال ابن هشام: وحدثني أن رسول الله ﷺ دخل الكعبة ومعه بلال، ثم خرج رسول الله ﷺ وتخلّف بلال، فدخل عبد الله بن عمر على بلال، فسأله: أين صلى رسول الله ﷺ؟ ولم يسأله كم صلى؛ فكان ابن عمر إذا دخل البيت مشى قبيل وجهه، وجعل الباب قبيل ظهره، حتى يكون بينه وبين الجدار قدر ثلاث أذرع، ثم يصلي، يتوخى بذلك الموضع الذي قال له بلال^(٢).

قال ابن هشام: وحدثني: أن رسول الله ﷺ، دخل الكعبة عام الفتح ومعه بلال، فأمره أن يؤذن، وأبو سفيان بن حرب وعتاب بن أسيد والحارث بن هشام جلوس بفناء الكعبة، فقال عتاب بن أسيد لقد أكرم الله أسيداً ألا يكون سمع هذا، فيسمع منه ما يغيظه. فقال الحارث بن هشام: أما والله لو أعلم أنه مُحِقٌّ لأتبعته، فقال أبو سفيان: لا أقول شيئاً، لو تكلمت لأخبرت عني هذه الحصى، فخرج عليهم النبي ﷺ، فقال: قد علمت الذي قُلتم، ثم ذكر ذلك لهم؛ فقال الحارث وعتاب: نشهد أنك رسول الله، والله ما أطلع على هذا أحدٍ كان معنا، فنقول أخبرك.

قال ابن إسحاق: حدثني سعيد بن أبي سندر الأسلمي، عن رجل من قومه، قال: كان معنا رجل يقال له أحمر بأساً، وكان رجلاً شجاعاً، وكان إذا نام غَطَّ غطيطاً مُنكراً لا يخفى مكانه، فكان إذا بات في حيه بات مُعْتَزِراً^(٣)، فإذا بُيَّت الحَيَّ^(٤) صرخوا يا أحمر، فيثور مثل الأسد، لا يقوم لسبيله شيء. فأقبل عَزِيٌّ من هُدَيْل^(٥) يريدون حاضره^(٦)، حتى إذا دنوا من الحاضر، قال ابن الأثوع^(٧) الهُدَيْلي: لا تعجلوا عليّ حتى أنظر، فإن كان في الحاضر أحمر فلا سبيل إليهم، فإن له غطيطاً لا يخفى، قال: فاستمع، فلما سمع غطيطه مشى إليه حتى وضع السيف في صدره، ثم تحامل عليه حتى قتله، ثم أغاروا على الحاضر، فصرخوا يا أحمر ولا أحمر لهم؛ فلما كان عام الفتح، وكان الغد من يوم الفتح، أتى ابن الأثوع^(٨) الهُدَيْلي حتى دخل مكة ينظر ويسأل عن أمر الناس، وهو على شِرْكَه، فرأته خُزاعة، فعرفوه، فأحاطوا به وهو إلى جنب جدار من جُدُر مكة، يقولون: أنت قاتل أحمر؟ قال: نعم، أنا قاتل أحمر فمه؟ قال: إذ أقبل خراش بن أمية مُشتملاً على السيف، فقال: هكذا عن الرجل^(٩)، ووالله ما نظرت إلا أنه يريد أن يُفرج الناس عنه. فلما انفرجنا عنه حمل عليه، فطعنه بالسيف في بطنه، فوالله لكأنني أنظر إليه وحشوته^(١٠) تسيل من بطنه، وإن عينيه لَتَرْتَقَانِ^(١١) في رأسه، وهو

(١) الأزلام: السهام التي كانوا يستقسمون بها في الجاهلية.

(٢) أخبار مكة للأزرقي ١/١٦٥، شفاء الغرام ١/٢٥٣ و٢٥٤.

(٣) شفاء الغرام ١/٢٢٦. (٤) معتزراً: منفرداً.

(٥) بيت: غزى ليلاً. (٦) فيهم جنيد بن الأذلع. (المغازي للواقدي ٢/٨٤٣).

(٧) الحاضر: الناظرون على الماء. (٨) في المغازي «جنيد بن الأذلع».

(٩) أي تنجوا عنه. (١٠) حشوته: ما اشتعل عليه جوفه من الأحشاء.

(١١) ترتقان: قربتا على الانغلاق.

يقول: أقد فعلتموها يا معشر خُزاعة؟ حتى أنجَعَفَ^(١) فوقع. فقال رسول الله ﷺ: «يا معشر خُزاعة، ارفعوا أيديكم عن القتل، فقد كثر القتل إن نفع، لقد قتلتم قتيلاً»^(٢) لأديته.

قال ابن إسحاق: وحدثني عبد الرحمن بن حَزْمَةَ الأَسْلَمِي، عن سعيد بن المسيَّب، قال: لما بلغ رسول الله ﷺ ما صنع خِراش بن أمية، قال: «إن خِراشاً لَقَتال؛ يعيبه بذلك.

قال ابن إسحاق: وحدثني سعيد بن أبي سعيد المقبري، عن أبي شُرَيْح الخُزاعي، قال لما قديم عمرو بن الزبير^(٣)، مكة لقتال أخيه عبد الله بن الزبير، جثته، فقلت له: يا هذا، إنا كنا مع رسول الله ﷺ، حين افتتح مكة، فلما كان الغد من يوم الفتح عدت خُزاعة على رجل من هُدَيْل فقتلوه وهو مُشرك، فقام رسول الله ﷺ فينا خطيباً، فقال: يا أيها الناس، إن الله حرم مكة يوم خلق السموات والأرض، فهي حرام من حرام إلى يوم القيامة، فلا يجزئ لامرئ يؤمن بالله واليوم الآخر، أن يسفك فيها دمًا، ولا يعصده^(٤) فيها شجرًا، لم تخلل لأحد كان قبلي، ولا تجل لأحد يكون بعدي، ولم تخلل لي إلا هذه الساعة، غضباً على أهلها. ألا، ثم قد رجعت كحرمتها بالأمس، فليبلغ الشاهد منكم الغائب، فمن قال لكم: إن رسول الله قد قاتل فيها، فقولوا: إن الله قد أحلها لرسوله، ولم يخللها لكم، يا معشر خُزاعة ارفعوا أيديكم عن القتل، فلقد كثر القتل إن نفع، لقد قتلتم قتيلاً لأديته، فمن قُتل بعد مقامي هذا فأهله بخير النظرين: إن شاؤوا فدم قاتله؛ وإن شاؤوا فعهقه. ثم ودَى رسول الله ﷺ ذلك الرجل الذي قتله خُزاعة؛ فقال عمرو لأبي شُرَيْح: انصرف أيها الشيخ، فنحن أعلم بخزمتها منك، إنها لا تمنع سافك دم، ولا خالغ طاعة، ولا مانع جزية؛ فقال أبو شُرَيْح: إني كنت شاهداً وكنت غائباً، ولقد أمرنا رسول الله ﷺ أن يبلغ شاهدنا غائبنا، وقد أبلغتكم، فأنت وشأنك»^(٥).

قال ابن هشام: وبلغني أن أول قتيل وداه رسول الله ﷺ يوم الفتح جُنَيْد بن الأكوع، قتله بنو كعب، فوداه بمائة ناقة.

تخوف الأنصار من بقاء الرسول بمكة: قال ابن هشام: وبلغني عن يحيى بن سعيد: أن النبي ﷺ حين افتتح مكة ودخلها، قام على الصفا يدعو الله، وقد أحذقت به الأنصار، فقالوا فيما بينهم: أترون رسول الله ﷺ، إذ فتح الله عليه أرضه وبلده يقيم بها؟ فلما فرغ من دعائه قال: ماذا قتلتم؟ قالوا: لا شيء يا رسول الله؛ فلم يزل بهم حتى أخبروه، فقال النبي ﷺ: «معاذ الله! المَحْيَا محياكم، والمَمَات ممانكم»^(٦).

(١) انجعف: سقط بكل ثقله. (٢) الخبر في المغازي ٢/٨٤٣، ٨٤٤ بنحوه.

(٣) هذا وهم من ابن هشام: وصوابه: عمرو بن سعيد بن العاص بن أمية، وهو الأشدق... وإنما دخل الوهم على ابن هشام أو على البكائي في روايته، من أجل أن عمرو بن الزبير كان معادياً لأخيه عبد الله ومعيناً لبني أمية. (الروض الأنف ٤/١١٥). وقد صحح الذهبي الوهم في تاريخ الإسلام (المغازي) ٥٥٦.

(٤) يعصده: يقطع.

(٥) الحديث متفق عليه، أخرجه البخاري في كتاب العلم (١٧٦/٦ و ١٧٧) باب: ليليل الشاهد الغائب. وفي الحج، باب لا يعصده شجر الحرم، وفي المغازي (٩٨/٥) باب منزل النبي ﷺ يوم الفتح، ومسلم في الحج (١٣٥٤) باب تحريم مكة وصيدها وخلالها وشجرها... وانظر تاريخ الإسلام (المغازي) ٥٥٦ (بتحقيقنا) وشفاء الغرام (بتحقيقنا) ١/١٠٧.

(٦) أخرج نحوه مسلم في كتاب الجهاد والسير (١٧٨٠) باب فتح مكة، وأبو داود في الخراج والإمارة (٣٠٢٤) باب ما جاء في خبر مكة. وتاريخ الإسلام (المغازي) ٥٤٥، ٥٤٦.

كسر الأصنام: قال ابن هشام: وحدثني من أئق به من أهل الزواية في إسناد له، عن ابن شهاب الزهري، عن عبيد الله بن عبد الله، عن ابن عباس، قال: دخل رسول الله ﷺ مكة يوم الفتح على راحلته، فطاف عليها وحول البيت أصنام مشدودة بالرصاص، فجعل النبي ﷺ يشير بقضيب في يده إلى الأصنام ويقول: «جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقاً» فما أشار إلى صنم منها في وجهه إلا وقع لقفاه، ولا أشار إلى قفاه إلا وقع لوجهه، حتى ما بقي منها صنم إلا وقع^(١)؛ فقال تميم بن أسد الخزاعي في ذلك:

وفي الأصنام مُغْتَبَرٌ وَعِلْمٌ لَمَنْ يَزْجُو الثُّوَابَ أَوْ الْعِقَابَ

إسلام فضالة: قال ابن هشام: وحدثني: أن فضالة بن عمير بن الملوحة الليثي أراد قتل النبي ﷺ وهو يطوف بالبيت عام الفتح؛ فلما دنا منه، قال رسول الله ﷺ: أفضالة؟ قال: نعم فضالة يا رسول الله؛ قال: ماذا كنت تحدث به نفسك؟ قال: لا شيء، كنت أذكر الله؛ قال: فضحك النبي ﷺ، ثم قال: استغفر الله، ثم وضع يده على صدره، فسكن قلبه؛ فكان فضالة يقول: والله ما رفع يده عن صدري حتى ما من خلق الله شيء أحب إليّ منه. قال فضالة: فرجعت إلى أهلي، فمررت بامرأة كنت أتحدث إليها، فقالت: هلّم إلى الحديث، فقلت: لا، وانبعث فضالة يقول:

قالت هلّم إلى الحديث فقلت لا يَأبَى عَلَيْكَ اللَّهُ وَالْإِسْلَامُ

لَوْ مَا رَأَيْتَ مُحَمَّدًا وَقَبِيلَهُ بِالْفَتْحِ يَوْمَ تَكَسَّرَ الْأَصْنَامُ

لرأيت دين الله أضحى بيننا والشرك يغشى وجهه الإظلام^(٢)

الأمان لصفوان بن أمية: قال ابن إسحاق: فحدثني محمد بن جعفر، عن عروة بن الزبير، قال: خرج صفوان بن أمية يريد جدة ليركب منها إلى اليمن، فقال عمير بن وهب: يا نبي الله إن صفوان بن أمية سيد قومه، وقد خرج هارباً منك، ليقذف نفسه في البحر، فأمنته، صلى الله عليك؛ قال: هو آمن؛ قال: يا رسول الله، فأعطني آية يعرف بها أمانك؛ فأعطاه رسول الله ﷺ عمامته التي دخل فيها مكة، فخرج بها عمير حتى أدركه، وهو يريد أن يركب في البحر، فقال: يا صفوان، فذاك أبي وأمي، الله الله في نفسك أن تهلكها، فهذا أمان من رسول الله ﷺ قد جنتك به؛ قال: ويحك! أغرب عني فلا تكلمني؛ قال: أي صفوان، فذاك أبي وأمي، أفضل الناس، وأبر الناس، وأخلم الناس، وخير الناس، ابن عمك، عزه عزك، وشرفه شرفك، وملكه ملكك؛ قال: إني أخافه على نفسي؛ قال: هو أحلم من ذاك وأكرم. فرجع معه، حتى وقف به على رسول الله ﷺ، فقال صفوان: إن هذا يزعم أنك

(١) أخرج البخاري بنحوه في كتاب المظالم والغصب، باب هل تكسر الدنان التي فيها الخمر...؟ (١٠٨/٣) وفي كتاب

المغازي، باب أين ركز النبي ﷺ الراية يوم الفتح، وفي تفسير سورة بني إسرائيل، باب: وقد جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقاً. ومسلم في كتاب الجهاد والسير (١٧٨١) باب إزالة الأصنام من حول الكعبة، والترمذي في التفسير (٣١٣٧) باب ومن سورة بني إسرائيل، وابن سعد في الطبقات ١٣٦/٢، وتاريخ الإسلام (المغازي) ٥٤٩ و ٥٥٠.

(٢) الدرر في المغازي والسير لابن عبد البر، أسد الغابة ٤/١٨٢، ١٨٣، الإصابة ٣/٢٠٧ رقم ٦٩٩٤، التاريخ الكبير ٧/

قد أُمَّتَنِي قَالَ: صدق؛ قال: فاجعلني فيه بالخيار شهرين؛ قال: أنت بالخيار فيه أربعة أشهر^(١).

قال ابن هشام: وحدثني رجل من قريش من أهل العلم أن صفوان قال لعُمير: وَيَحْكُ! اغْرُبْ عني، فلا تكلمني، فإنك كذاب، لِمَا كَانَ صَنَعَ بِهِ، وقد ذكرناه في آخر حديث يوم بدر.

إسلام رؤوس أهل مكة: قال ابن إسحاق: وحدثني الزهري: أن أم حكيم بنت الحارث بن هشام، وفاخنة بنت الوليد - وكانت فاخنة عند صفوان بن أمية، وأم حكيم عند عكرمة بن أبي جهل - أسلمتا؛ فأما أم حكيم فاستأمنت رسول الله ﷺ لعكرمة، فأمنته، فلحقته به باليمن، فجاءت به؛ فلما أسلم عكرمة وصفوان أقرهما رسول الله ﷺ عندهما على النكاح الأول^(٢).

قال ابن إسحاق: وحدثني سعيد بن عبد الرحمن بن حسان بن ثابت، قال: رَمَى حَسَّانُ ابْنَ الزُّبَيْرِ وهو بنجران بيت واحد ما زاده عليه:

لَا تَعْدَمَنْ رَجُلًا أَحَلَّكَ بُغْضَهُ نَجْرَانَ فِي عَيْشٍ أَحَدًا لَنِيمِ^(٣)

فلما بلغ ذلك ابن الزُّبَيْرِ خرج إلى رسول الله ﷺ فأسلم، فقال حين أسلم:

يَا رَسُولَ الْمَلِكِ إِنَّ لِسَانِي رَاتِقٌ مَا فَتَقْتُ إِذْ أَنَا بُورُ^(٤)

وَمَنْ مَالَ مَيْلُهُ مَثْبُورُ^(٥)

ثُمَّ قَلْبِي^(٦) الشَّهِيدُ أَنْتَ التَّنْذِيرُ

مِنْ لُؤْيِي وَكُلُّهُمْ مَغْرُورُ

قال ابن إسحاق: وقال عبد الله بن الزُّبَيْرِ أيضاً حين أسلم:

مَنْعَ الرَّقَادِ بِلَابِلٍ وَهُمُومُ وَاللَّيْلُ مُغْتَلِجُ الرِّوَاقِ بِهَيْمِ^(٨)

فِيهِ فَبْتُ كَأَنِّي مَخْمُومُ

عَيْرَانَةُ سُرْحُ الْيَدَيْنِ غَشُومُ^(٩)

أَسْدَيْتُ إِذْ أَنَا فِي الضَّلَالِ أَهِيْمُ

سَهْمُ وَتَأْمُرُنِي بِهَا مَخْرُومُ

أَمْرُ الْعُرْوَةِ وَأَمْرُهُمْ مَشْؤومُ

قَلْبِي وَمُخْطِئِي هَذِهِ مَخْرُومُ

وَدَعْتُ أَوَاصِرُ بَيْنَنَا وَحُلُومُ

زَلَلِي، فَإِنَّكَ رَاجِمٌ مَرْحُومُ

(١) تاريخ الطبري ٦٣/٣، تاريخ الإسلام (المغازي) ٥٣٤.

(٢) تاريخ الطبري ٦٣/٣. (٣) الأخذ: القليل.

(٤) الراتق: الساد. بور: هالك. (٥) أباري: أجاري: مشبور: هالك.

(٦) في تاريخ الطبري ٦٤/٣ «نفسى». (٧) في تاريخ الطبري ٦٤/٣ «ثم حي».

(٨) البلابل: وسوس الأحران. متعلج: مضطرب. والبهيم: شديد الإظلام.

(٩) العيرانة: الناقة الشديدة تشبه العير. سرح اليدين: شديدتهما، غشوم: لا ترد عن وجهها.

وعليك من علم المليك علامة
أعطاك بغد محبة بزهبه
ولقد شهدت بأن دينك صادق
والله يشهد أن أحمد مضطفي
قزم علا بنيانه من هاشم
قال ابن هشام: وبعض أهل العلم بالشعر يُنكرها له.

هبيرة يبقى على كفره: قال ابن إسحاق: وأما هبيرة بن أبي وهب المخزومي فأقام بها حتى مات
كافراً^(٢)، وكانت عنده أم هانيء ابنة أبي طالب، واسمها هند، وقد قال حين بلغه إسلام أم هانيء:
أشقتك هند أم أتاك^(٣) سؤألها
وقد أزلت في رأس جضن ممنع
وعاذلة هبت بليل تلومني
وتزعم أني إن أطغت عشيرتي
فإني لمن قوم إذا جد جدتهم
وإني لحام من وراء عشيرتي
وصارت بأيديها السيوف كأنها
وإني لأقلي الحاسدين وفعلهم
وإن كلام المرء في غير كنهه
فإن كنت قد تابعت دين محمد
فكوني على أغلى سحيق بهضبة
قال ابن إسحاق: ويروى: «وقطعت الأرحام منك جبالها».

عدة من فتح مكة: قال ابن إسحاق: وكان جميع من شهد فتح مكة من المسلمين عشرة آلاف.
من بني سليم سبع مائة. ويقول بعضهم: ألف؛ ومن بني غفار أربع مائة، ومن أسلم أربع مائة؛ ومن
مؤينة ألف وثلاثة نفر، وسائرهم من قريش والأنصار وحلفائهم، وطوائف العرب من تميم وقيس
وأسد^(١٠).

(١) قرم: سيد، والأروم: الأصول.

(٢) تاريخ الطبري ٣/٦٤، أنساب الأشراف ١/٣٦٢ رقم ٧٥٦.

(٣) في تاريخ الطبري ٣/٦٤ «أم ناك».

(٤) انفتالها: تقلبها.

(٥) أردى: أهلك. زيالها: ذهابها.

(٦) العوالي: المراح.

(٧) المخاريق: ما يلعب به الأطفال من الخرق المفتولة.

(٨) ململمة: مستديرة.

(٩) في المغازي للواقدي ٢/٨٤٩ «ينس بلالها».

(١٠) تاريخ الطبري ٣/٦٤، ٦٥.

ما قيل من الشعر في فتح مكة: وكان مما قيل من الشعر في يوم الفتح قول حسان بن ثابت الأنصاري:

عَفَتْ ذَاتُ الْأَصَابِعِ فَالْجِوَاءِ إِلَى عَذْرَاءَ مَنزِلُهَا خَلَاءِ^(١)
 دِيَارٍ مِنْ بَنِي الْحَسْحَاسِ قَفْرٌ تُعْفِيهَا الرُّوَامِسُ وَالسَّمَاءُ^(٢)
 وَكَأَنَّتْ لَا يَزَالُ بِهَا أُنَيْسٌ خِلَالَ مُرُوجِهَا نَعَمٌ وَشَاءُ^(٣)
 فَدَعُ هَذَا، وَلَكِنْ مَنْ لَطِيفٍ يُؤَزِّقُنِي إِذَا ذَهَبَ الْعِشَاءُ^(٤)
 لِشَفْثَاءِ الَّتِي قَد تَيَّمَنَتْهُ فَلَيْسَ لِقَلْبِهِ مِنْهَا شِفَاءُ^(٥)
 كَأَنَّ خَبِيئَةً مِنْ بَيْتِ رَأْسٍ يَكُونُ مِزَاجُهَا عَسَلٌ وَمَاءُ^(٦)
 إِذَا مَا الْأَشْرِبَاتُ ذُكِرْنَ يَوْمًا فَهِنَّ لَطِيبُ الرِّاحِ الْفِدَاءُ^(٧)
 نَوَلِيهَا الْمَلَامَةَ إِنْ أَلْمَنَّا إِذَا مَا كَانَ مَعْتٌ أَوْ لِحَاءُ^(٨)
 وَنَشْرِبَهَا فَتَشْرِكُنَا مُلُوكًا وَأَسْدًا مَا يُتَنَهِنُنَا الْلِقَاءُ^(٩)
 عَدِمْنَا خَيْلَنَا إِنْ لَمْ تَزُوهَا تُشِيرُ النَّقْعَ مَوْعِدُهَا كَدَاءُ^(١٠)
 يُنَازِعُنَ الْأَعِنَّةَ مُصْغِيَاتٍ عَلَى أَكْتِافِهَا الْأَسْلُ الْظَّمَاءُ^(١١)
 تَظَلُّ جِيَادَنَا مَتَمَطَّرَاتٍ يُلَطِّمُهُنَّ بِالْخُمْرِ النَّسَاءُ^(١٢)
 فإِذَا تُغْرِضُوا عَنَّا اغْتَمَرْنَا وَكَانَ الْفَتْحُ وَانْكَشَفَ الْغِطَاءُ
 وَإِلَّا فَاضْبِرُوا الْجِلَادِ يَوْمٍ يُعِينُ اللَّهَ فِيهِ مَنْ يَشَاءُ

- (١) عفت: تغيرت. ذات الأصابع، والجواء: موضعان بالشام. وبالجواء كان منزل الحارث بن أبي شمر الغساني. وكان حسان كثيراً ما يرد على ملوك غسان يمدحهم. وعذراء: قرية على بريد من دمشق قُتل بها حنجر بن عدي وأصحابه. (الروض الأنف ١١٦/٤).
- (٢) بنو الحسحاس: حي من بني أسد. وقوله الروامس والسماء لفظ مشترك يقع على المطر، وعلى السماء المعروفة ولم يعلم ذلك من هذا البيت ونحوه ولا من قوله:
 إذا سقط السماء بأرض قوم رعيناه وإن كانوا غضابا
 لأنه يحتمل أن يريد مطر السماء، فحذف المضاف، ولكن إنما عرفناه من قولهم في جمعه سمى، وهم يقولون في جمع السماء: سموات وأسمية، فعلمنا أنه اسم مشترك بين شيئين (الروض الأنف ١١٦/٤، ١١٧).
- (٣) التَّم: الإبل، فإذا قيل أنعام دخل فيها الغنم والبقر والإبل، والشاء والشوي اسم للجمع كالضأن والضنين والإبل والإيبل، والمعز والمعيز، وأما الشاة، فليست من لفظ الشاء لأن لام الفعل منها هاء وأبو الحسحاس: حي من بني أسد.
- (٤) شعثاء: اسم امرأة وهي زوجته، وبنت كاهن الأسلمية.
- (٥) الخبيثة: الخمر المصنوع بها، وببيت رأس: موضع بالأردن.
- (٦) نوليها الملازمة: نرجع إليها اللوم. المعت: الضرب بالكف. والليحاء: السباب.
- (٧) يتنهنا: يزجرنا.
- (٨) كداء: موضع بمكة.
- (٩) المصغيات: المنحرفة للطنن. الأسل: الراح.
- (١٠) متمطرات: متساقات. يلطمهن: يضربهن. يقول السهيلي في الروض: قال ابن دُرَيْد في الجماهرة، كان الخليل يروي «يلطمهن» وينكر «يلطمهن» ويجعله بمعنى ينفض النساء بخمرهن ما على الخيل من الغبار. (انظر الروض ١١٨/٤).

وَجِبْرِيلُ رَسُولُ اللَّهِ فِيْنَا
 وَقَالَ اللَّهُ قَدْ أَرْسَلْتُ عَبْدًا
 شَهِدْتُ بِهِ فَقَوْمُوا صَدُقُوهُ
 وَقَالَ اللَّهُ قَدْ سَيَّرْتُ جُنْدًا
 لَنَا فِي كُلِّ يَوْمٍ مِنْ مَعَدٍ
 فَتُحَكِّمُ بِالْقَوَافِي مَنْ هَجَانَا
 أَلَا أُبَلِّغُ أَبَا سُفْيَانَ عَنِّي
 بَأَن سَيُوفِنَا تَرْكَكَ عَبْدًا
 هَجَوْتُ مُحَمَّدًا وَأَجَبْتُ عَنْهُ
 أَتَهْجُوهُ وَلَسْتُ لَهُ بِكُفٍّ
 هَجَوْتُ مُبَارَكًا بَرًّا حَنِيفًا
 أَمَّنْ يَهْجُو رَسُولَ اللَّهِ مِنْكُمْ
 فَإِنَّ أَبِي وَوَالِدَهُ وَعِرْضِي
 لِسَانِي صَارَ لَا عَيْبَ فِيهِ

قال ابن هشام: قالها حسان يوم الفتح. ويروى: «لساني صارم لا عتب فيه».

وبلغني عن الزهري أنه قال: لما رأى رسول الله ﷺ النساء يَلْطَمُن الخيل بالخمر تبسم إلى أبي بكر الصديق رضي الله عنه.

قال ابن إسحاق: وقال أنس بن زُينم الذبلي يعتذر إلى رسول الله ﷺ مما كان قال فيهم عمرو ابن سالم الخزاعي:

أَنْتَ الَّذِي تُهْدِي مَعَدَّ بِأَمْرِهِ
 وَمَا حَمَلْتُ مِنْ نَاقَةٍ فَوْقَ رَحْلِهَا
 أَحْتُ عَلَى خَيْرٍ وَأَسْبَعُ نَائِلًا
 بَلِ اللَّهُ يَهْدِيهِمْ وَقَالَ لَكَ أَشْهَدِ
 أَبْرًا وَأَوْفَى ذِمَّةً مِنْ مُحَمَّدٍ
 إِذَا رَاحَ كَالسَّيْفِ الصَّقِيلِ الْمُهْتَدِ

(١) كفاء: مثل.

(٢) البلاء: الاختبار.

(٣) عرضتها: عاداتها.

(٤) نحكم: تمنع.

(٥) المغلغلة: الرسالة المكتوبة.

(٦) فشركما لخيركما الفداء: في ظاهر اللفظ بشاعة. لأن المعروف أن لا يقال هو شرهما إلا وفي كليهما شر، وكذلك: شر منك، ولكن سيبويه قال في كتابه: تقول مررت برجل شر منك: إذا نقص عن أن يكون مثله، وهذا يدفع الشناعة عن الكلام الأول، ونحو منه قوله عليه السلام: شر صفوف الرجال آخرها) يريد: نقصان حظهم عن حظ الأول، كما قال سيبويه، ولا يجوز أن يريد التفضيل في الشر. والله أعلم. (الروض الأنف ٤/١١٨).

(٧) انظر الأبيات باختلاف الألفاظ في ديوان حسان ٤ - ١٠، وتاريخ الإسلام (المغازي) ٥٤٢، ٥٤٣، ٥٤٤، والبداية والنهاية ٤/٣١٠، وعيون التواريخ ١/٣١٠ - ٣١٢، وشفاء الغرام ٢/٢٢١، وعيون الأثر ٢/١٨١، ١٨٢. وانظر صحيح مسلم في كتاب فضائل الصحابة (٢٤٩٠) باب فضائل حسان بن ثابت رضي الله عنه.

وأعطى لرأس السَّابِقِ المتجرّد^(١)
 وَأَنْ وَعِيداً مِنْكَ كَالأَخِذِ بِالْيَدِ^(٢)
 على كل صِرْمٍ مُتْهِمِينَ وَمُنْجِدٍ^(٣)
 هُمُ الكاذِبُونَ المُخْلِفُونَ كلَّ مُوعِدٍ
 فلا حَمَلَتْ سوطي إِلَيَّ إِذْ نَ يَدِي
 أَصِيبُوا بِنَخْسٍ لا يَطْلُقُ وَأَسْعُدُ^(٤)
 كِفَاءً فَعَزَّتْ عَبْرَتِي وَتَبَلَّدِي^(٥)
 بعبد بن عبد الله وابنة مهود
 جميعاً فإلّا تَدَمَعِ العَيْنُ أَكْمَدِ
 وإخوته وهل مُلوكُ كَأَعْبُدُ؟
 هَرَقْتُ تَبِينِ عَالِمِ الحَقِّ وَأَقْصِدِ
 قَالاً عَدِيّاً إِذْ تُطَلُّ وَتُسَبَّعُ^(٦)
 فتُعزِّرُ إِذْ لا يُوقَدُ الحَرْبُ مُوقِدِ
 كِرَامٍ فَسَلِّ، منهم نَفِيلٌ وَمَعْبُدِ
 عليهم وإن لم تَدَمَعِ العَيْنُ فَأَكْمَدُوا

وَأَكْسَى لِبُرْدِ الخَالِ قَبْلَ ابْتِذَالِهِ
 تَعَلَّمْ رَسولَ اللّهِ أَنْتَ مُدْرِكِي
 تَعَلَّمْ رَسولَ اللّهِ أَنْتَ قَادِرُ
 تَعَلَّمْ بِأَنَّ الرُّكْبَ رَكْبُ عَوْنِمِرِ
 وَتَبُّوا رَسولَ اللّهِ أَنِّي هَجَوْتُهُ
 سِوَى أَنِّي قَدِ قَلْتُ وَيَلُ أَمِ فَتِيَّةِ
 أَصَابَهُمْ مَنْ لَمْ يَكُنْ لِدِمَائِهِمْ
 فَإِنَّكَ قَدِ أَخْفَزْتَ إِنْ كُنْتَ سَاعِيّاً
 دُونِيبِ وَكُلْشومِ وَسَلْمَى تَتَابَعُوا
 وَسَلْمَى وَسَلْمَى لَيْسَ حَتَّى كَمِثْلِهِ
 فَإِنِّي لا دِيناً فَتَقْتُ وَلا دَمّاً
 فأجابه بُدَيْلُ بنِ عبدِ منافِ بنِ أُمِّ أضرَمَ، فقال:
 بَكَى أَنَسُ رَزْناً فَأَعْوَلَهُ البُّكَاءُ
 بَكَيْتَ أبا عَبَسٍ لِقَرْبِ دِمَائِهَا
 أَصَابَهُمْ يَوْمَ الخَنَادِمِ^(٧) فَتِيَّةِ
 هِنالِكَ إِنْ تَسْفَخَ دَموعُكَ لا تُلَمَّ
 قال ابن هشام: وهذه الأبيات في قصيدة له.

- (١) الخال: نوع من البرود اليمينية وهو من رفيع الثياب وسمي بالخال الذي بمعنى الخيلاء. (الروض الأنف ٤/ ١١٨)
 والسابق: الفرس السابق. والمتجرّد: بهذا المعنى أيضاً.
 (٢) هذا البيت معناه من أحسن المعاني. وقد أخذه النابغة فقال:

فإنك كالليل الذي هو مدركي
 خطاطيف حجن في جبال متينة
 فالشطر الأول كالبيت الأول من قول النابغة، والشطر الثاني كالبيت الثاني، لكنه أطبع منه، وأوجز. وقول النابغة كالليل؛
 فيه من حسن التشبيه ما ليس في قولي الدليلي، إلا أنه يسمح مثل هذا التشبيه في النبي ﷺ، لأنه نورٌ وهُدَى، فلا يُشبهه
 بالليل، وإنما حسن في قول النابغة أن يقول كالليل، ولم يقل كالصبح، لأن الليل تُرهب غوائله، ويُحذر من إدراكه ما لا
 يُحذر من النهار، وقد أخذ بعض الأندلسيين هذا المعنى، فقال في هربه من ابن عباد:

كأن بلاد الله وهي عريضة
 فأين مَفْرُ السمرِّ عنك بنفسه

(الروض الأنف ٤/ ١١٩).

- (٣) الصرم: البيوت المجتمعة. مُتْهِمِينَ ساكنين تَهامة، مُنْجِدٍ: من سكن في نجد.
 (٤) الطَّلُقُ: الأيام السعيدة.
 (٥) تَبَلَّدِي: تحييري.
 (٦) تُطَلُّ: يبطل دمه ويصير هذراً.
 (٧) الخنادم: أراد يوم الخندمة. والخندمة: جبل بمكة.

قال ابن إسحاق: وقال بجير بن زهير بن أبي سلمى في يوم الفتح:

نَفَى أَهْلَ الْحَبَلِ قُلَّ فَجَحَّ
ضَرَبْنَاهُمْ بِمَكَّةَ يَوْمَ فَتْحِ النَّدِّ
صَبَخْنَاهُمْ بِسَبْعٍ مِنْ سُلَيْمٍ
نَطَا أَكْتَفَاهُمْ ضَرْباً وَطَعْنَا
تَرَى بَيْنَ الصُّفُوفِ لَهَا حَفِيفاً
فَرُخْنَا وَالْجِيَادُ تَجُولُ فِيهِمْ
فَأَبْنَا غَانِمِينَ بِمَا اشْتَهَيْنَا
وَأَعْطَيْنَا رَسُولَ اللَّهِ مَنَّا
وَقَدْ سَمِعُوا مَقَالَاتِنَا فَهَمُّوا

قال ابن هشام: وقال عباس بن مرداس السلمي في فتح مكة:

مِنَّا بِمَكَّةَ يَوْمَ فَتْحِ مُحَمَّدٍ
نَصَرُوا الرَّسُولَ وَشَاهَدُوا أَيَّامَهُ
فِي مَنْزِلٍ ثَبَتَتْ بِهِ أَقْدَامُهُمْ
جَرَّتْ سَنَابِكُهَا بِنَجْدٍ قَبْلَهَا
اللَّهُ مَكَّنَهُ لَهُ وَأَذَلَّهُ
عَوْدَ الرِّيَاسَةِ شَامِخَ عِزْنِيئُهُ

إسلام عباس بن مرداس: قال ابن هشام: وكان إسلام عباس بن مرداس، فيما حدثني بعض أهل العلم بالشعر، وحديثه أنه كان لأبيه مرداس وتُنَّ يعبده، وهو حجر كان يُقال له ضمَّار، فلما حضر مرداس قال لعباس: أي بني، اغبُدْ ضمَّارٍ فإنه ينفَعك ويضرك، فبينما عباس يوماً عند ضمَّار، إذ سمع من جوف ضمَّار منادياً يقول:

(١) الحَبَلُ: أرض يسكنها قبائل من مُزينة، وقيس، والحَبَلُ: الغنم الصغار، ولعله أراد بقوله: أهل الحَبَلِ أصحاب الغنم، وبنو عثمان هم مُزينة وهم بنو عثمان بن لاطم بن آذ بن طابخة، ومُزينة أمهم بنت كلب بن وبرة بن تغلب بن حلوان بن الحاف بن قُضاعة، وأختها: الحَوَابُ التي عُرف بها ماء الحوَاب المذكور في حديث عائشة حين قال رسول الله ﷺ لسانه ما معناه: من منكَرَ تنبُحها كلاب الحَوَاب. فنبحت الكلاب عائشة رضي الله عنها في قِصَّة وقعة الجمل، وأصل الحَوَاب في اللغة القدح الضخم الواسع، وبنو خفاف بطن من سليم. (الروض الأنف ٤/١١٩).

(٢) يسبح: أي بسجدة.

(٣) المرثية: السهام ذات الريش وهي أسرع في الرمي.

(٤) الفُوق: الفوق وهو طرف السهم. والرِّصاف جمع رصفة: ما يُلوى على طرف السهم.

(٥) الضنك: الضيق. الهام: الرؤوس. الحنتم: الخصل.

(٦) يزحم: كثير المزاحمة، يقصد أن حظهم عظيم.

(٧) العود في الأصل المسنن من الإبل، ويريد به هنا أنه قديم في المجد مطلقاً. العزنين: طرف الأنف. الخضرم: الكريم.

قُلْ لِلْقَبَائِلِ مِنْ سُلَيْمٍ كُلِّهَا
 إِنَّ الَّذِي وَرِثَ الثُّبُوءَ وَالْهُدَى
 أَوْدَى ضَمَارٍ وَكَأَنَّ يُغَبِّدُ مَرَّةً
 أودى ضَمَارٍ وَعَاشَرَ أَهْلَ الْمَسْجِدِ
 بَعْدَ ابْنِ مَرِيَمَ مِنْ قُرَيْشٍ مُهْتَدِي
 قَبْلَ الْكِتَابِ إِلَى الثُّبَيْيِ مُحَمَّدٍ
 فَحَرَّقَ عَبَّاسُ ضَمَارًا، وَلِحَقِّ بِالنَّبِيِّ ﷺ فَأَسْلَمَ.

قال ابن هشام: وقال جعدة بن عبد الله الخزاعي يوم فتح مكة:

أَكْفَبَ بَنَ عَمْرُو دَعْوَةَ غَيْرِ بَاطِلٍ
 أُتِيحَتْ لَهُ مِنْ أَرْضِهِ وَسَمَائِهِ
 وَنَحْنُ الْأَلَى سَدَّتْ غَزَالَ خِيُولِنَا
 حَظْرُنَا وَرَاءَ الْمُسْلِمِينَ بِجَحْفَلٍ
 وَهَذِهِ الْأَبْيَاتُ فِي آيَاتٍ لَهُ.

وقال بُجَيْدُ بْنُ عَمْرَانَ الْخَزَاعِيُّ:

وَقَدْ أَتَشَأَ اللَّهُ السَّحَابَ بِنَضْرُنَا
 وَهَجَرْتَنَا فِي أَرْضِنَا عِنْدَنَا بِهَا
 وَمِنْ أَجْلِنَا حَلَّتْ بِمَكَّةَ حُزْمَةٌ
 رُكَّامَ صَحَابِ الْهَيْدَبِ الْمُتْرَاكِبِ (٣)
 كِتَابٌ أَتَى مِنْ خَيْرِ مُمْلٍ وَكَاتِبٍ
 لِنَدْرِكَ ثَارًا بِالسِّيُوفِ الْقَوَاضِبِ (٤)

مسير خالد بن الوليد بعد الفتح إلى بني جذيمة من كنانة (٥) ومسير علي لتلافي خطأ خالد

قال ابن إسحاق: وقد بعث رسول الله ﷺ فيما حول مكة السرايا تدعو إلى الله عز وجل، ولم يأمرهم بقتال، وكان ممن بعث خالد بن الوليد، وأمره أن يسير بأسفل تهامة داعياً، ولم يبعثه مقاتلاً، فوطىء بني جذيمة، فأصاب منهم (٦).

قال ابن هشام: وقال عباس بن مرداس السلمى في ذلك:

فَإِنَّ تَكَّ قَدْ أَمَّرْتَ فِي الْقَوْمِ خَالِدًا
 بِجَنْدِ هِدَاةِ اللَّهِ أَنْتَ أَمِيرُهُ
 وَقَدَّمْتَهُ فَإِنَّهُ قَدْ تَقَدَّمَ
 نُصِيبُ بِهِ فِي الْحَقِّ مَنْ كَانَ أَظْلَمًا

(١) الخيّن: الهلاك. متاح: مقدر.

(٢) غزال: اسم موضع، منعه هنا من التنوين وقد يتون. ولقت: موضع أيضاً، وكذلك فجّ طلاح.

(٣) الهيدب: القريب من الأرض. المتراكب: الذي يركب بعضه بعضاً.

(٤) القواضب: القواطع.

(٥) وتعرف أيضاً بغزوة الغميط وهو ماء لبني جذيمة. كما ذكر السهيلي في الروض الأنف ١٢٠/٤ انظر عنها في: المغازي للواقدي ٨٧٥/٣، وتاريخ الطبري ٦٦/٣، وتاريخ خليفة ٨٧، ٨٨، والطبقات الكبرى لابن سعد ١٤٧/٢، ونهاية الأرب ٣١٦/١٧، وتاريخ الإسلام (المغازي) ٥٦٧، وعيون التواريخ ٣١٣/١، وعيون الأثر ١٨٥/٢، وسيرة ابن كثير ٥٩٣/٣، والمحبر ١٢٤، وتاريخ يعقوبي ٦١/٢.

(٦) تاريخ الطبري ٦٦/٣، تاريخ الإسلام (المغازي) ٥٦٧.

قال ابن هشام: وهذان البيتان في قصيدة له في حديث يوم حنين، سأذكرها إن شاء الله في موضعها.

قال ابن إسحاق: فحدثني حَكِيم بن حَكِيم بن عباد بن حُنَيْف، عن أبي جعفر محمد بن علي، قال: بعث رسول الله ﷺ خالد بن الوليد حين افتتح مكة داعياً، ولم يبعثه مُقاتلاً، ومعه قبائل من العرب: سُلَيْم بن منصور، ومُدَلج بن مُرّة، فوطئوا بني جذيمة بن عامر بن عبد مناة بن كنانة، فلما رآه القوم أخذوا السلاح، فقال خالد: ضعوا السلاح، فإن الناس قد أسلموا^(١).

قال ابن إسحاق: فحدثني بعض أصحابنا من أهل العلم من بني جذيمة، قال: لما أمرنا خالد أن نضع السلاح قال رجل منا يقال له جَحْدَم: ويلكم يا بني جذيمة إنه خالد والله! ما بعد وضع السلاح إلا الإسار، وما بعد الإسار إلا ضرب الأعناق، والله لا أضع سلاحي أبداً. قال: فأخذه رجال من قومه، فقالوا: يا جحدم، أتريد أن تُسْفِكَ دماءنا؟ إن الناس قد أسلموا ووضعوا السلاح، ووضعت الحزب، وأمن الناس. فلم يزالوا به حتى نزعوا سلاحه، ووضع القوم السلاح لقول خالد^(٢).

قال ابن إسحاق: فحدثني حَكِيم بن حَكِيم، عن أبي جعفر محمد بن علي، قال: فلما وضعوا السلاح أمر بهم خالد عند ذلك، فكفّفوا، ثم عرضهم على السيف فقتل من قتل منهم؛ فلما انتهى الخبر إلى رسول الله ﷺ رفع يديه إلى السماء، ثم قال: اللَّهُمَّ إني أبرأ إليك ممّا صنع خالد بن الوليد^(٣).

الرسول تبرأ من فعل خالد: قال ابن هشام: حدثني بعض أهل العلم، أنه حُذث عن إبراهيم بن جعفر المحمودي، قال: قال رسول الله ﷺ: «رأيتُ كائني لقيت لقمةً من حَيْس^(٤) فالتذذتُ طَعْمَهَا، فاعترض في حلقي منها شيء حين ابتلعتهَا، فأدخل عليّ يده فنزعه»؛ فقال أبو بكر الصديق رضي الله عنه: يا رسول الله، هذه سرية من سراياك تبعثها، فيأتيك منها بعض ما تحب. ويكون في بعضها اعتراض، فتبعث عليّاً فيسهله.

قال ابن هشام: وحدثني أنه انفلت رجل من القوم فأتى رسول الله ﷺ، فأخبره الخبر، فقال رسول الله ﷺ: «هل أنكر عليه أحد؟» فقال: نعم، قد أنكر عليه رجل أبيض ربعة^(٥)، فَنَهَمَهُ^(٦) خالد، فسكت عنه، وأنكر عليه رجل آخر طويل مضطرب، فراجعته، فاشتدت مراجعتهما؛ فقال عمر ابن الخطاب: أما الأول يا رسول الله فابني عبد الله، وأما الآخر فسالم، مولى أبي حذيفة.

قال ابن إسحاق: فحدثني حَكِيم بن حَكِيم، عن أبي جعفر محمد بن علي قال: ثم دعا رسول الله ﷺ عليّ بن أبي طالب رضوان الله عليه، فقال: يا عليّ، اخرج إلى هؤلاء القوم، فانظر في

(٢) تاريخ الطبري ٦٧/٣.

(١) تاريخ الطبري ٦٦/٣، ٦٧.

(٣) أخرج نحوه البخاري في كتاب المغازي (١٠٧/٥) باب بعث النبي ﷺ خالد بن الوليد إلى بني جذيمة. وانظر: تاريخ الطبري ٦٧/٣، ومسند أحمد ١٥١/٢، والمغازي للواقدي ٧٨٨١/٣ والطبقات الكبرى لابن سعد ٢٤٨/٢، وتاريخ الإسلام (المغازي) للذهبي ٥٦٧، ٥٦٨.

(٤) الحيس: تمر يُخلط بسمن وديق ويُعجن.

(٥) الربعة من الرجال: الذي بين الطويل والقصير.

(٦) نهمة: زجره.

أمرهم، واجعل أمر الجاهلية تحت قدميك. فخرج عليّ حتى جاءهم ومعه مال قد بعث به رسول الله ﷺ، فَوَدَى لَهُمُ الدِّمَاءَ وما أصيب لهم من الأموال، حتى إنه لَيَدِي لَهُمْ مِئْلَعَةُ الْكَلْبِ^(١)، حتى إذا لم يبق شيء من دم ولا مال إلا وَدَاهُ، بقيت معه بَقِيَّةٌ من المال، فقال لهم عليّ رضوان الله عليه حين فَرَّغَ مِنْهُمْ: هل بقي لكم بَقِيَّةٌ من دم أو مال لم يُودَ لكم؟ قالوا: لا. قال: فإني أُعْطِيكُمْ هذه البَقِيَّةَ من هذا المال، احتياطاً لرسول الله ﷺ، مما يعلم ولا تعلمون، ففعل. ثم رجع إلى رسول الله ﷺ فأخبره الخبر: فقال أصبت وأحسن! قال: ثم قام رسول الله ﷺ فاستقبل القبلة قائماً شاهراً يديه، حتى إنه ليرى مما تحت منكبَيْهِ^(٢)، يقول: اللهم إني أبرأ إليك مما صنع خالد بن الوليد، ثلاث مرّات^(٣).

قال ابن إسحاق: وقد قال بعض من يعذر خالداً إنه قال: ما قاتلت حتى أمرني بذلك عبدُ الله بن حذافة السهمي، وقال: إن رسولَ الله ﷺ قد أمرك أن تقتلهم لامتناعهم من الإسلام^(٤).

قال ابن هشام: قال أبو عمرو المدني: لما أتاهم خالد، قالوا: صَبَانًا صَبَانًا^(٥).

قال ابن إسحاق: وقد كان جَحْدَمٌ قال لهم حين وضعوا السلاح ورأى ما يصنع خالد ببني جذيمة: يا بني جذيمة، ضاع الضرب، قد كنت حذرتكم ما وقعتم فيه. قد كان بين خالد وبين عبد الرحمن بن عوف، فيما بلغني، كلام في ذلك، فقال له عبد الرحمن بن عوف: عملت بأمر الجاهلية في الإسلام. فقال: إنما ثارت بأبيك. فقال عبد الرحمن: كذبت، قد قتلت قاتل أبي، ولكنك ثارت بعلمك الفاكه بن المُغيرة، حتى كان بينهما شَرٌّ. فبلغ ذلك رسول الله ﷺ، فقال: مهلاً يا خالد، دع عنك أصحابي، فوالله لو كان لك أخذُ ذهباً ثم أنفقته في سبيل الله ما أدركت غَدوةَ رجل من أصحابي ولا روحته^(٦).

ما كان بين قريش وبني جذيمة في الجاهلية: وكان الفاكه بن المُغيرة بن عبد الله بن عُمر بن مخزوم، وعوف بن عبد مناف بن عبد الحارث بن زهرة، وعَفَّانُ بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس قد خرجوا تجاراً إلى اليمن، ومع عفان ابنه عثمان، ومع عوف ابنه عبد الرحمن، فلما أقبلوا حملوا مال رجل من بني جذيمة بن عامر، كان هلك باليمن، إلى ورثته، فادّعاه رجل منهم يقال له خالد بن هشام، ولقيهم بأرض بني جذيمة قبل أن يصلوا إلى أهل الميت، فأبوا عليه، فقاتلهم بمن معه من قومه على المال ليأخذوه، وقاتلوه، فقتل عوف بن عبد عوف، والفاكه بن المُغيرة، ونجا عفان بن أبي العاص وابنه عثمان، وأصابوا مال الفاكه بن المُغيرة، ومال عوف بن عبد عوف، فانطلقوا به، وقتل عبد الرحمن بن عوف خالد بن هشام قاتل أبيه، فهتت قُريشُ بغزو بني جذيمة، فقالت بنو جذيمة: ما كان مصاب أصحابكم عن مَلِنا، إنما عدا عليهم قوم بجهالة، فأصابوهم ولم نعلم، فنحن نَعْقِلُ

(١) مِئْلَعَةٌ ومِئْلَعٌ: مسقاة تصنع من خشب ليلغ فيها الكلب، والجمع مِئَالِغٌ ومِئَالِغٌ. (النهاية ٤/ ٢٣٠).

(٢) في تاريخ الطبري ٦٧/٣، ٦٨ «حتى أنه ليرى يباض ما تحت منكبَيْهِ».

(٣) تاريخ الطبري ٦٧/٣، ٦٨ الطبقات لابن سعد ١٤٨/٢، المغازي للواقدي ٨٨٢/٣، نهاية الأرب ٣١٦/١٧، ٣١٩ و٣٢١، ٣٢٢، تاريخ الإسلام (المغازي) ٥٦٨، سيرة ابن كثير ٥٩٢/٣، عيون التواريخ ٣١٥/١، عيون الأثر ١٨٦/٢.

(٤) الطبري ٦٨/٣.

(٥) من معاني صبا: خرج من دين إلى دين ويقصدون أنهم تركوا دينهم ودخلوا في الإسلام.

(٦) تاريخ الطبري ٦٨/٣.

لكم ما كان لكم قَبَلْنَا من دم أو مال، فَقَبِلْتُ قريش ذلك، ووضعوا الحرب.

وقال قائل من بني جذيمة، وبعضهم يقول: امرأة يقال لها سلمى:

ولولا مقال القَوْمِ للقَوْمِ أَسْلِمُوا
لما صَعَهُمْ بُسْرٌ وأصحابُ جَحْدَمِ
فكائن ترى يوم الغميصاء من فتى
أَلْظُتْ بِخُطَابِ الأَيَامِي وطَلَّقْتُ
لأَلَّتْ سُلَيْمِ يَوْمَ ذَلِكَ ناطِحاً
ومُرَّةٌ حتى يتركوا البَرْكِ ضابحاً^(١)
أصيب ولم يجرح وقد كان جارحاً^(٢)
غداتئذٍ منهئن من كان ناكحاً^(٣)

قال ابن هشام: قوله «بُسْر»، «وَأَلْظُتْ بِخُطَابِ» عن غير ابن إسحاق.

قال ابن إسحاق: فأجابه عباس بن مرداس، ويقال بل الجحاف بن حكيم السلمي:

دعي عنك تقوال الضلال كفى بنا
فخالد أولى بالتعذر منكم
مُعَاناً بأمر الله يُزجِي إليكم
نَعَوّاً مالكاً بالسُّهْلِ لِمَا هَبَطْنَهُ
فإن نك أكلناك سلمى فمالكُ
لكبش الوغى في اليوم والأمس ناطحاً
عَدَاةً علانُهْجاً من الأمر واضحاً
سوانح لا تكبُوله وبوارحاً
عَوَابِسَ في كابي العُبارِ كوالحاً^(٤)
تركتُم عليه نائحاتٍ ونائحاً

وقال الجحاف بن حكيم السلمي:

شَهْدُنْ مَعَ النَّبِيِّ مَسْؤَمَاتِ
وَعَزْوَةٌ خالِدٍ شَهَدَتْ وَجَرَّتْ
نَعْرَضُ لِلطَّعَانِ إِذَا التَّقِينَا
وَلَسْتُ بِخَالِعِ عَنِّي ثِيَابِي
ولكنني يَجُولُ المُهُرُ تحتِي
حُنَيْناً وَهِيَ دَامِيَّةُ الكِلَامِ^(٥)
سَنَابِكُهُنَّ بِالْبَلَدِ الحَرَامِ
وَجُوهَاً لَا تُعْرَضُ لِطَامِ
إِذَا هَزَّ الكُماةَ وَلَا أَرَامِي
إلى العَلواتِ بالعَضْبِ الحِسامِ

خبر ابن أبي حدرد الفتى بني جذيمة: قال ابن إسحاق: وحدثني يعقوب بن عتبة بن المغيرة بن الأخنس، عن الزهري، عن ابن أبي حدرد الأسلمي، قال: كنت يومئذ في خيل خالد بن الوليد، فقال لي فتى من بني جذيمة، وهو في سني، وقد جمعت يده إلى عنقه برمة^(٦)، ونسوة مجتمعات غير بعيد منه: يا فتى؛ فقلت: ما تشاء؟ قال: هل أنت آخذ بهذه الرمة، فقائدي إلى هؤلاء النسوة حتى أفضي إليهن حاجة، ثم تردني بعد، فتصنعوا بي ما بدا لكم؟ قال: قلت: والله ليسير ما طلبت. فأخذت برمته فقدمته بها، حتى وقف عليهن، فقال: أسلمي حبيش، على نغد من العيش^(٧).

(١) الممصاعة: مضاربة بالسيوف. البرك هنا: الإبل الباركة.

(٢) الغميصاء: بلد.

(٣) أَلْظُتْ: لزمت.

(٤) الكلاب: الجراح.

(٥) مرتفع. الكوالح: العوابس.

(٦) الرمة: الحبل البالي.

(٧) نغد العيش: فناؤه.

أَرَيْتُكَ إِذْ طَالَبْتُكُمْ فَوَجَدْتُكُمْ
 أَلَمْ يَكْ أَهْلًا أَنْ يُنَوَّلَ عَاشِقُ
 فَلَا ذَنْبَ لِي قَدْ قُلْتَ إِذْ أَهَلْنَا مَعَا
 أَثِيبِي بُوْدُ قَبْلَ أَنْ تَشْحَطَ النَّوَى
 فَلِإِنِّي لَا ضَيِّعْتُ سِرًّا أَمَانَةً
 سَوَى أَنْ مَا نَالَ الْعَشِيرَةَ شَاغِلُ

قال ابن هشام: وأكثر أهل العلم بالشعر ينكر البيتين الآخزين منها له.

قال ابن إسحاق: وحدثني يعقوب بن عتبة بن المغيرة بن الأخنس، عن الزهري عن ابن أبي حذرد الأسلمي، قال قالت: وأنت فحيتت سبعا وعشرا، وترأ وثمانيا تترى. قال: ثم انصرفت به. فضربت عنقه.

قال ابن إسحاق: فحدثني أبو فراس بن أبي سنبلة الأسلمي، عن أشياخ منهم، عن من كان حضرها منهم، قالوا: فقامت إليه حين ضربت عنقه، فأكبت عليه، فما زالت تقبله حتى ماتت عنده^(٥).

قال ابن إسحاق: وقال رجل من بني جذيمة:

جَزَى اللهُ عَنَا مُذْجَا حَيْثُ أَصْبَحْتُ
 أَقَامُوا عَلَي أَقْضَاضَنَا يَفْسِمُونَهَا
 فَوَاللهِ لَوْ لَا دِينَ آلِ مُحَمَّدٍ
 وَمَا ضَرَّهُمْ أَنْ لَا يُعِينُوا كَتَيْبَةَ
 فَلِإِنَّمَا يَنْبُوا أَوْ يَثُوبُوا لِأَمْرِهِمْ
 فَأَجَابَهُ وَهَبُ، رَجُلٌ مِنْ بَنِي لَيْثٍ، فَقَالَ:
 دَعَوْنَا إِلَى الْإِسْلَامِ وَالْحَقِّ عَامِرًا
 وَمَا دَنَبْنَا فِي عَامِرٍ لَا أَبَالَ لَهُمْ
 وَقَالَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي جَذِيمَةَ:

جَزَاءُ بُؤْسَى حَيْثُ سَارَتْ وَحَلَّتِ
 وَقَدْ نَهَلَتْ فِينَا الرِّمَاحَ وَعَلَّتِ
 لَقَدْ هَرَبْتَ مِنْهُمْ خِيُولَ فَشَلَّتِ
 كَرَجُلٍ جَرَادٍ أُرْسَلْتَ فَاشْمَعَلَّتِ^(٦)
 فَلَا نَحْنُ نَجْزِيهِمْ بِمَا قَدْ أَضَلَّتِ
 فَمَا دَنَبْنَا فِي عَامِرٍ إِذْ تَوَلَّتِ
 لِأَنَّ سَفِهَتْ أَحْلَامَهُمْ ثُمَّ ضَلَّتِ

(١) الحلية والخواتق: موضعان.

(٢) الإدلاج: السير ليلاً. الودائق: جمع وديقة: شدة الحر.

(٣) الصفائق: النواب.

(٤) التوامق: شدة الحب. وانظر الأبيات باختلاف الألفاظ في: طبقات ابن سعد ١٤٩/٢، المغازي للواقدي ٨٧٩/٣، وتاريخ الطبري ٦٩/٣، والأغاني ٢٨٩/٧، ٢٩٠، ونهاية الأرب ٣٢٢/١٧، ٣٢٣، وتاريخ الإسلام (المغازي) ٥٦٩، وسيرة ابن كثير ٥٩٥/٣.

(٥) انظر المصادر السابقة.

(٦) رجل الجراد: الجماعة منهم. اشمعلت: تفرقت.

ليهنيء بني كعب مُقَدِّم خالد وأصحابه إذ صَبَّحْتَنَا الكتائبُ
فلا تِرةٌ^(١) يسعى بها ابن خُوَيْلِدٍ وقد كنت مكفياً لو أنك غائب
فلا قومنا يَنْهَوْنَ عَنَّا غَوَاتَهُمْ ولا الداء من يوم الغُميصاءِ ذاهبُ

وقال غلام من بني جذيمة، وهو يسوق بأمه وأختين له وهو هارب بهن من جيش خالد:

رَخِيْنَ أذْيَالَ المُرُوطِ وَاذْبَعْنَ مَشْيِ حَيَّاتٍ كَأَنَّ لَمْ يُفْرَعَنَّ^(٢)
إِنْ تُنْمَعِ اليَوْمَ نِسَاءً تُنْمَعَنَّ

وقال غلّمة من بني جذيمة، يقال لهم بنو مُسَاجِقٍ، يرتجزون حين سمعوا بخالد فقال أحدهم:

قَدْ عَلِمْتُ صَفْرَاءَ بِيضَاءِ الإِطْلُ يَحُوزُهَا ذُو ثَلَاةٍ وَذُو إِبِلٍ^(٣)
لَأُغْنِيَنَّ اليَوْمَ مَا أُغْنَى رَجُلٌ

وقال الآخر:

قَدْ عَلِمْتُ صَفْرَاءَ تُلْهَى العِرْسَا لَا تَمْلَأُ الحَيَزُومَ مِنْهَا نَهْسَا^(٤)
لَأَضْرِبَنَّ اليَوْمَ ضَرْباً وَغَسَا ضَرْبَ المُجْلِيْنَ مَخَاضاً قُعْسَا^(٥)

وقال الآخر:

أَقْسَمْتُ مَا إِنْ خَادِرٌ ذُو لِبْدَةٍ أَقْسَمْتُ مَا إِنْ خَادِرٌ ذُو لِبْدَةٍ
جَهْمُ المُحْيَا ذُو سِبَالٍ وَرِذَّةٌ جَهْمُ المُحْيَا ذُو سِبَالٍ وَرِذَّةٌ
ضَارِبَتَّ أَكَالَ الرِّجَالِ وَخَدَّةٌ ضَارِبَتَّ أَكَالَ الرِّجَالِ وَخَدَّةٌ

خالد يهدم العزى: ثم بعث رسولُ الله ﷺ خالد بن الوليد إلى العزى، وكانت بنتُ خَلَّةٍ، وكانت بيتاً يعظمه هذا الحي من قريش وكنانة ومُضَرُّ كلها، وكانت سَدَنَتْهَا وَحُجَابُهَا بني شيبان من بني سُليْمٍ حلفاء بني هاشم، فلما سمع صاحبها السُّلَمِيَّ بمسير خالد إليها، علق عليها سيفه، وأسند في العجل^(٨) الذي هي فيه وهو يقول:

أَيَا عَزَّ شُدِّي شِدَّةً لَا شَوَى لَهَا عَلَى خَالِدِ أَلْقِي القِنَاعِ وَشُمْرِي^(٩)
يَا عَزَّ إِنْ لَمْ تَقْتُلِي المِرَّةَ خَالِداً فَبُؤْسِي بِإِثْمِ عَاجِلٍ أَوْ تَنْصُرِي^(١٠)

(١) التِرة: طلب الثأر.

(٢) المروط: أثواب من خَز. وأربغن: أقمن.

(٣) الإطل: الخاصة، ثلثة: جماعة الغنم.

(٤) الحيزوم: وسط الصدر. النهس: نهش اللحم بمقدم الأسنان.

(٥) الوعس: السريع. المُجْلِيْنَ: الخارجين من الحرم إلى الجبل. المخاض: الإبل الحوامل القعس: الممتنعة عن السير.

(٦) الخادر: الأسد المختبئ في خدره. شتن: غليظ.

(٧) السبال: شارب الأسد. يُرْزَم: يصيح، الأيكة: الشجرة الكثيفة الأغصان والجحدة: قليلة الأغصان.

(٨) أسند في الجبل: ارتفع فيه.

(٩) لا شوى لها: أي لا تدر شيئاً.

(١٠) في كتاب الأصنام للكليبي ٢٦:

فلما انتهى إليها خالد هدمها، ثم رجع إلى رسول الله ﷺ.

قال ابن إسحاق: وحدثني ابن شهاب الزهري، عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود، قال: أقام رسول الله ﷺ بمكة بعد فتحها خمس عشرة ليلة يقصر الصلاة^(١).

قال ابن إسحاق: وكان فتح مكة لعشر ليالٍ بقين من شهر رمضان سنة ثمان^(٢).

غزوة حنين في سنة ثمان - بعد الفتح^(٣)

قال ابن إسحاق: ولما سمعت هوازن برسول الله ﷺ وما فتح الله عليه من مكة، جمعها مالك ابن عوف النَّضري، فاجتمع إليه مع هوازن ثقيف كلها، واجتمعت نَضْر وِجْشَم كلها، وسعد بن بكر، وناس من بني هلال، وهم قليل، ولم يشهدوا من قيس عيلان إلا هؤلاء، وغاب عنها فلم يحضرها من هوازن كعب ولا كلاب، ولم يشهدوا منهم أحد له اسم، وفي بني جُشَم دُرَيْد بن الصِّمَّة شيخ كبير، ليس فيه شيء إلا التَّيْمَن برأيه ومعرفته بالحرب، وكان شيخاً مُجْرَباً، وفي ثقيف سيدان لهم، وفي الأحلاف قارب بن الأسود بن مسعود بن مُعْتَب، وفي بني مالك ذو الخِمار سُبَيْع بن الحارث بن مالك، وأخوه أحمر بن الحارث، وجماعُ أمر الناس إلى مالك بن عوف النَّضري. فلما أجمع السير إلى رسول الله ﷺ حطَّ مع الناس أموالهم ونساءهم وأبنائهم، فلما نزل بأوطاس اجتمع إليه الناس، وفيهم دريد بن الصِّمَّة في شجار^(٤) له يُقَاد به، فلما نزل قال: بأيِّ وادٍ أنتم؟ قالوا: بأوطاس^(٥)، قال: نِعَمَ مَجَالِ الخيل! لا حَزَنُ ضِرْس، ولا سَهْلُ دِهَس^(٦)، ما لي أسمع رُغَاء البعير، ونُهَاق الحمير، وبُكَاء الصغير، ويُعار الشَّاء؟ قالوا: ساق مالك بن عوف مع الناس أموالهم ونساءهم وأبنائهم. قال: أين مالك؟ قيل: هذا مالك ودُعي له، فقال: يا مالك، إنك قد أصبحتَ رئيس قومك، وإن هذا يوم كائنٌ له ما بعده من الأيام. ما لي أسمع رُغَاء البعير، ونُهَاق الحمير، وبُكَاء الصغير، ويُعار الشَّاء؟ قال: سُقَّت مع الناس أموالهم وأبنائهم ونساءهم، قال: ولمَ ذاك؟ قال: أردت أن أجعل خَلْفَ كُلِّ رجل منهم أهله وماله، ليقاتل عنهم، قال: فَانْقَضَ^(٧) به. ثم قال: راعِي ضَايِنِ والله! وهل يَرُدُّ المنهزم

= أَغْزَاءُ شُدَيْ شُدَّةٍ لا تُكْذِبِي
على خالد ألقى الخِمارَ وشَمْرِي
فإنك إلا تَقْتُلِي اليومَ خالداً
تُبُوئِي بذلٍ عاجلاً وتَنْضُرِي

(١) تاريخ الطبري ٦٩/٣.

(٢) تاريخ الطبري ٦٩/٣.

(٣) انظر عنها في: المغازي لعروة ٢١٤، والمغازي للواقدي ٨٨٥/٣، والطبقات الكبرى ١٤٩/٢، وتاريخ الطبري ٧٠/٣، وتاريخ خليفة ٨٨، والمحبر ١١٥، وصحيح البخاري ٩٨/٥، وأنساب الأشراف ٣٦٤/١، والبدء والتاريخ ٢٣٥/٤، والكمال في التاريخ ١٨٧/٢، وعيون التواريخ ٣٢١/١، والروض الأنف ١٣٨/٤، وسيرة ابن كثير ٦١٠/٣، ومجمع الزوائد ١٧٨/٦، والمعرفة والتاريخ ٢٦١/٣، وتاريخ يعقوبي ٦٢/٢ - ٦٤.

(٤) ويقال لها أيضاً غزوة أوطاس سُمِّيت بالموضع الذي كانت فيه الوقعة وهو من وطست الشيء وطسأ إذا كدَّرت، وأثرت فيه.

والوطيس: نُفْرَةٌ في حجر توقد حوله النار، فيطبخ به اللحم، والوطيس الثنور، وفي غزوة أوطاس قال النبي ﷺ: الآن حمي الوطيس، وذلك حين استعزَّت الحرب، وهي من الكلم التي لم يسبق إليها ﷺ. (الروض الأنف ١٣٨/٤).

(٥) الشجار: مركب أصغر من اليهودج مكشوف أعلاه.

(٧) انقضَّ به: زجره.

(٦) دِهَس: لِين التراب.

شيء؟ إنها إن كانت لك لم ينفعك إلا رجل بسيفه ورُمحه، وإن كانت عليك فُصِّحت في أهلك ومالك، ثم قال: ما فعلت كعب وكِلاب؟ قالوا: لم يشهدا منهم أحد، قال: غاب الحد والجِد، ولو كان يومَ غلاء ورفعة لم تغب عنه كعب ولا كِلاب، ولودِدْتُ أنْكُمْ فعلتم ما فعلت كعب وكِلاب، فمن شهدها منكم؟ قالوا: عمرو بن عامر، وعوف بن عامر، قال: ذاك الجَدعان^(١) من عامر، لا ينفعان ولا يضران؛ يا مالك، إنك لم تصنع بتقديم البيضة بيضة^(٢) هوازن إلى نحور الخيل شيئاً، أرفَعُهُم إلى مُتَمِّع بلادهم وغُلِّيا قومهم، ثم ألق الصِّبَاء^(٣) على مُتُون الخيل، فإن كانت لك لِحَق بك مَنْ وراءك، وإن كانت عليك أَلْفَاك ذلك قد أحرزت أهلك ومالك. قال: والله لا أفعل ذلك، إنك قد كَبِرت وكَبِرَ عَقْلُك. والله لتطعيني يا معشر هوازن أو لأتَكَيَّرَنَّ على هذا السِّيف حتى يخرج من ظهري. وكره أن يكون لُدْرِيْد بن الصِّمَّة فيها ذكر أو رأي؛ فقالوا: أطعناك؛ فقال دُرَيْد بن الصِّمَّة: هذا يوم لم أشهده ولم يفتني:

يَا لَيْتَنِي فِيهَا جَدَعٌ أَخْبَّ فِيهَا وَأَضْعُ^(٤)
أَفُوذُ وَطَفَاءَ الزَّمْعِ كَأَنَّهَا شَاةٌ صَدَعُ^(٥)

قال ابن هشام: أنشدني غير واحد من أهل العلم بالشعر قوله:

«يَا لَيْتَنِي فِيهَا جَدَعٌ»

قال ابن إسحاق: ثم قال مالك للناس: إذا رأيتموهم فاكسروا جُفُون سيوفكم، ثم شدوا شدة رجل واحد^(٦).

قال: وحدثني أمية بن عبد الله بن عمرو بن عثمان أنه حدث: أن مالك بن عوف بعث عيوناً من رجاله، فاتوزه وقد تفرقت أوصالهم، فقال: وبلْكُمْ! ما شَأْنُكُمْ؟ فقالوا: رأينا رجالاً بيضاً على خيل بلق، فوالله ما تماسكنا أن أصابتنا ما ترى، فوالله ما رده ذلك عن وجهه أن مضى على ما يريد^(٧).

قال ابن إسحاق: ولما سمع بهم نبي الله ﷺ بعث إليهم عبد الله بن أبي حذرد الأسلمي، وأمره أن يدخل في الناس، فيقيم فيهم حتى يعلم علمهم، ثم يأتيه بخبرهم. فانطلق ابن أبي حذرد، فدخل فيهم، فأقام فيهم، حتى سمع وعلم ما قد أجمعوا له من حرب رسول الله ﷺ، وسمع من مالك وأمر هوازن ما هم عليه، ثم أقبل حتى أتى رسول الله ﷺ، فأخبره الخبر، فدعا رسول الله ﷺ عمر بن الخطاب، فأخبره الخبر فقال عمر: كذب ابن أبي حذرد. فقال ابن أبي حذرد: إن كذبتني فربما كذبت بالحق يا عمر، فقد كذبت من هو خير مني. فقال عمر: يا رسول الله، ألا تسمع ما يقول ابن أبي

(١) الجَدعان: مثني جدع. الشاب الحدث، ويريد بهما هنا أنهما ضعيفان خاليان عن التجربة.

(٢) البيضة: الجماعة.

(٣) الصبَاء: يقصد بهم المسلمون.

(٤) الجَدَع: الشاب الحدث، ويريد به هنا قوة الشباب.

(٥) الوطفاء: طويلة الشعر. والشاة: الوعل. صدع: متوسط بين العظيم والحقير.

(٦) الخبر في تاريخ الطبري ٧١/٣، ٧٢، الأغاني ١٠/١٠، ٣١، تهذيب تاريخ دمشق ٢٢٩/٥، ٢٣٠، نهاية الأرب ١٧/

٣٢٤، ٣٢٥، معجم البلدان ١/٢٨١، الكامل في التاريخ ٢/٢٦٢، المغازي للواقدي ٣/٨٨٦ - ٨٨٩، البدء

والتاريخ ٤/٢٣٥، ٢٣٦.

(٧) تاريخ الطبري ٣/٧٢، الكامل في التاريخ ٢/٢٦٢، نهاية الأرب ١٧/٣٢٦، تاريخ الإسلام ٥٧٤.

حدر؟ فقال رسول الله ﷺ: «قد كنت ضالاً فهداك الله يا عمر»^(١).

استعارة أذراع صفوان: فلما أجمع رسول الله ﷺ السير إلى هوازن ليلقاهم، ذكر له أن عند صفوان ابن أمية أذراعاً له وسلاحاً، فأرسل إليه وهو يومئذ مشرك. فقال: يا أبا أمية، أعزنا سلاحك هذا نلق في عدونا غداً، فقال صفوان: أغضباً يا محمد؟ قال: بل عارية ومضمونة حتى نؤذيها إليك؛ قال: ليس بهذا بأس، فأعطاه مائة درع بما يكفيها من السلاح، فزعموا أن رسول الله ﷺ سأله أن يكفيهم حملها، ففعل^(٢).

قال: ثم خرج رسول الله ﷺ معه ألفان من أهل مكة مع عشرة آلاف من أصحابه الذين خرجوا معه، ففتح الله بهم مكة، فكانوا اثني عشر ألفاً، واستعمل رسول الله ﷺ عتّاب بن أسيد بن أبي العيص بن أمية بن عبد شمس على مكة، أميراً على من تخلف عنه من الناس، ثم مضى رسول الله ﷺ على وجهه يريد لقاء هوازن^(٣).

قصيدة ابن مرداس: فقال عباس بن مرداس السُلَيمي:

أصابَتِ العامَ رِغلاً غُولٌ قَوْمِهِم	وَسَطَ البيوتِ وَلَوْنَ الغُولِ الوانُ ^(٤)
يا لَهْفَ أمِ كِلابٍ إِذْ تَبَيَّثُهُم	خَيْلُ ابنِ هَوْدَةَ لا تُنْهَى وإِنسانُ ^(٥)
لا تَلْفُظُوها وشُدُّوا عَقْدَ ذِمَّتِكُم	أَنَّ ابنَ عَمُكُم سَعَدٌ وَذُفْمانُ ^(٦)
لن تَرْجِعُوها وَإِنْ كائتُ مُجَلَّلَةٌ	ما دام في التُّعْمِ المأخوذُ ألبانُ
شُعاء جُلُلٌ مِنْ سَواتِها حَضَنُ	وسالَ ذو شَوعَرَ مِنْها وسَلوانُ ^(٧)
ليستَ بأَظْيَبَ مما يَشْتَوِي حَذَفُ	إذْ قالَ: كُلُّ شِواءِ العَيرِ جُوفانُ ^(٨)
وفي هَوازِنَ قَوْمٌ غيرَ أنْ بِهِم	داءُ اليمانيِّ فإنْ لم يَغْدِرُوا خانُوا
فيهِم أَخٌ لو وَقَوا أو بَرَّ عَهْدُهُم	ولو نَهَكناهُم بِالطَّغَنِ قد لاثُوا
أبْلِغْ هَوازِنَ أَغلاها وأَسْقلها	بِئني رِسالَةٌ نُضِجَ فيهِ تَبيانُ
أني أَظُنُّ رسولَ اللّهِ صابِحَكُم	جَيشالُهُ في فِضاءِ الأَرْضِ أركانُ
فيهِم أَخوكُم سَلِيمٌ غيرَ تارِكِكُم	والمِسلِمُونَ عِبادُ اللّهِ عَسانُ

(١) تاريخ الطبري ٧٣/٣، تاريخ الإسلام (المغازي) م ٥٧٢.

(٢) تاريخ الطبري ٧٣/٣، الطبقات الكبرى ١٥٠/٢، المغازي للواقدي ٨٩٠/٣، الكامل في التاريخ ٢٦٢/٢، نهاية الأرب ٣٢٦/١٧، تاريخ الإسلام (المغازي) ٥٧٢.

(٣) تاريخ الطبري ٧٣/٣ وبعض الخبر في الكامل في التاريخ ٢٦٢/٢، تاريخ الإسلام ٥٧٢.

(٤) رعل: قبيلة من سليم. وفي الحديث قنت رسول الله ﷺ يدعو على رعل وذقوان وعصية، وهم الذين غدروا بأصحاب بئر معونة، وقد مضى حديثهم فيما تقدم من السيرة، الغول: الداهية.

(٥) إنسن: قبيلة من قيس ثم من بني نصر. وقيل هم من بني جشم بن بكر.

(٦) سعد ودهمان: ابنا نصر بن معاوية بن بكر.

(٧) حزن: جبل في نجد. ذو شوغر وسلوان: واديان.

(٨) حذف: اسم رجل. العير: حمار الوحش. الجوفان: غرموله.

وفي عَضَادَتِهِ الْيُمْنَى بَنُو أَسَدٍ
تَكَادَ تَزْجُفُ مِنْهُ الْأَرْضُ رَهْبَتَهُ
والأَجْرَبَانُ بَنُو عَبَسٍ وَذُبْيَانُ^(١)
وفي مُقَدَّمِهِ أَوْسٌ وَعُثْمَانُ
قال ابن إسحاق: أوس وعثمان: قَبِيلَا مُرَيْتَةَ.

قال ابن هشام: من قوله: «أبلغ هوازن أعلاها وأسفلها» إلى آخرها، في هذا اليوم، وما قبل ذلك في غير هذا اليوم، وهما مفصولتان، ولكن ابن إسحاق جعلهما واحدة.

ذات أنواط: قال ابن إسحاق: وحدثنى ابن شهاب الزهري، عن سنان بن أبي سنان الدؤلي، عن أبي واقد الليثي، أن الحارث بن مالك، قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ إلى حُنين ونحن حديثو عهد بالجاهلية، قال: فسرنا معه إلى حُنين، قال: وكانت كَفَّار قريش وَمَنْ سواهم من العرب لهم شجرة عظيمة خضراء، يقال لها ذات أنواط، يأتونها كل سنة، فيعلقون أسلحتهم عليها، ويذبحون عندها، ويعكفون عليها يوماً. قال: فرأينا ونحن نسير مع رسول الله ﷺ سِدْرَةَ خضراء عظيمة، قال: فتنادينا من جَبَبَاتِ الطَّرِيقِ: يا رسول الله، اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط. قال رسول الله ﷺ: «الله أكبر، قلتم، والذي نفس محمد بيده، كما قال قوم موسى لموسى: ﴿أَجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ مَجْهُولُونَ﴾ [الأعراف: ١٣٨]. إنها السنن، لتركبن سنن من كان قبلكم».

ثبات الرسول وبعض الصحابة: قال ابن إسحاق: فحدثني عاصم بن عمر بن قتادة، عن عبد الرحمن بن جابر، عن أبيه جابر بن عبد الله، قال: لما استقبلنا وادي حُنين، انحدرنا في وادٍ من أودية تِهَامَةَ أجوف حَطُوط، إنما ننحدر فيه انحداراً، قال: وفي عَمَاةِ الصُّبْحِ^(٢)، وكان القوم قد سبقونا إلى الوادي، فكمئنا لنا في شُعباه وأحنائه ومضايقه، وقد أجمعوا وتهاؤا وأعدوا، فوالله ما راعنا ونحن منحطون إلا الكتابب قد شُدُّوا علينا شُدَّةَ رجل واحد، وأنشمر الناس راجعين، لا يُلَوِّي أحدٌ على أحد.

وانحاز رسول الله ﷺ ذات اليمين، ثم قال: أين أيها الناس؟ هلموا إليّ، أنا رسول الله، أنا محمد بن عبد الله. قال: فلا شيء، حَمَلَتِ الإبل بعضها على بعض، فانطلق الناس، إلا أنه قد بقي مع رسول الله ﷺ نَفَرٌ من المهاجرين والأنصار وأهل بيته.

وفيمن ثبت معه من المهاجرين أبو بكر وعمر، ومن أهل بيته علي بن أبي طالب والعباس بن عبد المطلب، وأبو سفيان بن الحارث، وابنه، والفضل بن العباس، وربيع بن الحارث، وأسامة بن زيد. وأيمن بن عُبيد، قُتِلَ يومئذ^(٣).

(١) سماها بالأجربين تشبيهاً بالأجرب الذي لا يقرب.

(٢) عَمَاةِ الصُّبْحِ: ظلامه قبل أن يتبين.

(٣) إن قيل: كيف فر أصحاب رسول الله ﷺ عنه حتى لم يبق معه منهم إلا ثمانية، والفرار من الزحف من الكباثر، وقد أنزل الله تعالى فيه من الوعيد ما أنزل. قلنا: لم يجمع العلماء على أنه من الكباثر إلا في يوم بدر، كذلك قال الحسن ونافع مولى عبيد الله بن عمر وظاهر القرآن يدل على هذا، فإنه قال: ﴿ومن يولهم يومئذ دبره﴾ فيومئذ إشارة إلى يوم بدر، ثم نزل التحقيق من بعد ذلك في الفارزين يوم أُحُد وهو قوله: ﴿ولقد عفا الله عنهم﴾ وكذلك أنزل يوم حُنين: ﴿ويوم حنين إذ أعجبتكم كثرتكم﴾ إلى قوله ﴿غفور رحيم﴾ وفي قول ابن سلام: كان الفرار من الزحف يوم بدر من الكباثر، وأيضاً فإن المنهزمين عنه عليه السلام رجعوا ليجنهم، وقتلوا معه حتى فتح الله عليهم. (الروض الأنف ٤/١٤١).

قال ابن هشام: اسم ابن أبي سفيان بن الحارث جعفر، واسم أبي سفيان المغيرة؛ وبعض الناس يُعَدُّ فيهم قُثم بن العباس، ولا يعد ابن أبي سفيان.

قال ابن إسحاق: وحدثني عاصم بن عمر بن قتادة، عن عبد الرحمن بن جابر، عن أبيه جابر بن عبد الله، قال: ورجل من هوازن على جمل له أحمر، بيده راية سوداء في رأس رمح له طويل، أمام هوازن، وهوازن خلفه، إذا أذرك طعن برمحه، وإذا فاتته الناس رفع رمحه لمن وراءه فاتَّبَعُوهُ^(١).

قال ابن إسحاق: فلما انهزم الناس، ورأى من كان مع رسول الله ﷺ من جُفَاة أهل مكة الهزيمة، تكلم رجال منهم بما في أنفسهم من الضغن، فقال أبو سفيان بن حرب: لا تنتهي هزيمتهم دون البحر، وإن الأزام لمعاً في كنانته. وصرخ جبلة بن الحنبل - قال ابن هشام: كَلْدَةُ بن الحنبل - وهو مع أخيه صفوان بن أمية مشرك في المدة التي جعل له رسول الله ﷺ: ألا بطل السُّخْرُ اليوم! فقال له صفوان: اسكت فُضَّ اللهُ فاك، فوالله لأن يَرُبُّني رجلٌ من قُرَيْش أحب إليَّ من أن يُرْبني رجل من هوازن^(٢).

حسان يهجو كَلْدَةَ: قال ابن هشام: وقال حسان بن ثابت يهجو كَلْدَةَ:

رَأَيْتُ سَوَاداً مِنْ بَعِيدِ فِرَاعِنِي أَبُو حَنْبَلٍ يَنْزُو عَلَى أُمِّ حَنْبَلٍ

كَأَنَّ الَّذِي يَنْزُو بِهِ فَوْقَ بَطْنِهَا ذِرَاعٌ قَلْوَصٌ مِنْ نِتَاجِ ابْنِ عَزْهَلٍ

أنشدنا أبو زيد هذين البيتين، وذكر لنا أنه هجا بهما صفوان بن أمية، وكان أخا كَلْدَةَ لأمه.

شبية بن طلحة يحاول قتل الرسول: قال ابن إسحاق: وقال شبية بن عثمان بن أبي طلحة، أخو بني عبد الدار: قلت: اليوم أدرك ثأري من محمد، وكان أبوه قُتِلَ يوم أُحُد، اليوم أقتل محمداً. قال: فأدزَّتْ برسول الله لأقتله، فأقبل شيء حتى تَغَشَى فؤادي، فلم أطق ذلك، وعلمت أنه ممنوع مني^(٣).

قال ابن إسحاق: وحدثني بعض أهل مكة، أن رسول الله ﷺ قال حين فصل من مكة إلى حنين، ورأى كثرة من معه من جنود الله: «لن نُغَلَبَ اليوم من قَلَّة».

قال ابن إسحاق: وزعم بعض الناس أن رجلاً من بني بكر قالها^(٤).

النصر: قال ابن إسحاق: وحدثني الزُّهري، عن كثير بن العباس، عن أبيه العباس بن عبد المطلب، قال: إني لمع رسول الله ﷺ آخِذٌ بِحِكْمَةٍ بَغْلَتُهُ الْبَيْضَاءُ قَدْ شَجَرَتْهَا بِهَا، قال: وكنت امرأةً جسيماً شديد الصوت، قال: ورسول الله ﷺ يقول حين رأى ما رأى من الناس: «أين أيها الناس؟» فلم أر الناس يَلُزُونَ على شيء، فقال: «يا عباس، اضْرُخْ، يا معشر الأنصار، يا معشر أصحاب السُّمْرَةَ» قال: فأجابوا: لَبَّيْكَ، لَبَّيْكَ! قال: فيذهب الرجل ليثني بعيظه، فلا يقدر على ذلك، فيأخذ دِرْعَهُ، فيقذفها في عنقه، ويأخذ سيفه وتُرْسَهُ، ويقتمحم عن بعيظه، ويخلِّي سبيله، فيؤمُّ الصوت، حتى

(١) الخبر في تاريخ الطبري ٧٤/٣، المغازي للواقدي ٨٩٨/٣، تاريخ الإسلام (المغازي) ٥٧٦.

(٢) تاريخ الطبري ٧٤/٣، ٧٥، الكامل في التاريخ ٢٦٣/٢.

(٣) تاريخ الطبري ٧٥/٣، الكامل في التاريخ ٢٦٣/٢، تاريخ الإسلام (المغازي) ٥٧٧.

(٤) تاريخ الإسلام (المغازي) ٥٧٥.

ينتهي إلى رسول الله ﷺ. حتى إذا اجتمع إليه منهم مائة، استقبلوا الناس، فاقتتلوا، وكانت الدعوى أول ما كانت: يا للأنصار ثم خلصت أخيراً: يا للخزرج. وكانوا ضُبراً عند الحرب، فأشرف رسول الله ﷺ في ركائبه. فنظر إلى مُجْتَلِدِ القوم وهم يُجْتَلِدُونَ، فقال: «الآن حَمِي الوطيس»^(١).

قال ابن إسحاق: وحدثني عاصم بن عمر بن قتادة، عن عبد الرحمن بن جابر، عن أبيه جابر بن عبد الله، قال: بينا ذلك الرجل من هوازن صاحب الراية على جملة يصنع ما يصنع، إذ هوى له علي بن أبي طالب رضوان الله عليه ورجل من الأنصار يريدانه، قال: فإتيه علي بن أبي طالب من خلفه، فضرب عرقوبي الجممل، فوقع على عجزه، ووثب الأنصاري على الرجل، فضربه ضربة أطن قَدَمَهُ^(٢) بنصف ساقه، فانجعف عن رحله، قال: واجتلد الناس، فوالله ما رجعت راجعة الناس من هزيمتهم حتى وجدوا الأسارى مكثمين عند رسول الله ﷺ.

قال: والتفت رسول الله ﷺ إلى أبي سفيان بن الحارث بن عبد المطلب، وكان ممن صبر يومئذ مع رسول الله ﷺ، وكان حسن الإسلام حين أسلم، وهو أخذ بثغر بغلته^(٣)، فقال: «من هذا؟» قال: أنا ابن أملك يا رسول الله^(٤).

أم سليم في المعركة: قال ابن إسحاق: وحدثني عبد الله بن أبي بكر: أن رسول الله ﷺ التفت فرأى أم سليم ابنة ملحان^(٥)، وكانت مع زوجها أبي طلحة^(٦)، وهي حازمة وسطها يبرد لها، وإنها لحامل بعبد الله بن أبي طلحة، ومعها جمل أبي طلحة، وقد خشيت أن يعزها^(٧) الجممل، فأدنت رأسه منها، فأدخلت يدها في خزامته^(٨) مع الخطام، فقال لها رسول الله ﷺ: «أم سليم؟» قلت: نعم، بأبي أنت وأمي يا رسول الله، اقتل هؤلاء الذين ينهزمون عنك كما تقتل الذين يُقاتلونك، فإنهم لذلك أهل؛ فقال رسول الله ﷺ: «أويكفي الله يا أم سليم؟» قال: ومعها خنجر، فقال لها أبو طلحة: ما هذا الخنجر معك يا أم سليم؟ قالت: خنجر أخذته، إن دنا مني أحد من المشركين بعجته به، قال: يقول أبو طلحة: ألا تسمع يا رسول الله ما تقول أم سليم الرميضاء^(٩).

قال ابن إسحاق: وقد كان رسول الله ﷺ، حين وجّه إلى حنين، قد ضمّ بني سليم الضحاك بن سفيان الكلابي، فكانوا إليه ومعه، ولما انهزم الناس قال مالك ابن عوف يرتجز بفرسه:

أقدمُ مُحاجُّ إنَّهُ يَوْمٌ نُكِرَ مثلي على مثلك يحمي ويكُرُ
إذا أضيع الصَّفُّ يَوْمًا والدُّبُرُ ثم احزألت^(١٠) زُمَرٌ بعد زُمَرُ

(١) تاريخ الطبري ٧٦/٣، الطبقات لابن سعد ١٥١/٢، المغازي للواقدي ٨٩٩/٣، ٩٠٠، الكامل في التاريخ ٢/٢٦٣، ٢٦٤، تاريخ الإسلام (المغازي) ٥٧٧.

(٢) أطن قدمه: أطارها وسمع لضربه طنين.

(٣) الثفر: سير من جلد يوضع في مؤخرة السرج.

(٤) تاريخ الطبري ٧٦/٣.

(٥) واسمها: زُمَرٌ، ويقال: زُميلة، وقيل سهيلة.

(٦) واسمه زيد بن سهل بن الأسود بن حرام.

(٧) الخزامة: حلقة من شعر تُجعل في أنف البعير.

(٨) تاريخ الطبري ٧٦/٣، ٧٧ والحديث أخرجه مسلم في كتاب الجهاد والسير (١٨٠٩/١٣٤) باب غزوة النساء مع الرجال، وأبو داود في الجهاد (٢٧١٨) باب في السلب يُعطي القاتل. وأحمد في المسند ١٠٩/٣ و٩٠/٢٧٩ و٢٨٦.

(٩) أحزألت: ارتفعت.

كَتَائِبٍ يَكُلُّ فِيهِنَّ الْبَصَرَ
 حِينَ يُدْمُ الْمُسْتَكِينُ الْمَنْجَحَزَ
 لَهَا مِنْ الْجَوْفِ رَشَاشٌ مُنْهَمِرٌ
 وَتَعْلَبُ^(٤) الْعَامِلِ فِيهَا مُنْكَسِرٌ
 قَدْ نَفِدَ الضَّرْسُ وَقَدْ طَالَ الْعُمُرُ
 أَنِّي فِي أَمْثَالِهَا غَيْرُ عَمِرٍ
 وَقَالَ مَالِكُ بْنُ عَوْفٍ أَيْضاً:

أَقْدِمُ مُحَاجٍ إِنَّهَا الْأَسَاوِرَةُ
 وَلَا تَغُرُّكَ رِجْلُ نَادِرَةَ^(٥)
 قَالَ ابْنُ هِشَامٍ: وَهَذَانِ الْبَيْتَانِ لِغَيْرِ مَالِكِ بْنِ عَوْفٍ فِي غَيْرِ هَذَا الْيَوْمِ.

من قتل قتيلاً فله سلبه قال ابن إسحاق: وحدثني عبد الله بن أبي بكر، أنه حدث عن أبي قتادة الأنصاري قال: وحدثني من لا أتهم من أصحابنا، عن نافع مولى بني غفار أبي محمد عن أبي قتادة، قال: قال أبو قتادة: رأيت يوم حنين رجلين يقتتلان: مسلماً ومشركاً، قال: وإذا رجل من المشركين يريد أن يعين صاحبه المشرك على المسلم. قال: فأتيته، فضربت يده، ففقطعتها، واعتنقني بيده الأخرى، فوالله ما أرسلني حتى وجدت ریح الدم - ويروي: ریح الموت، فيما قال ابن هشام - وكاد يقتلني، فلولا أن الدم نزفه لقتلني، فسقط، فضربته فقتلته، وأجهضني عنه القتال، ومر به رجل من أهل مكة فسلبه، فلما وضعت الحرب أوزارها وفرغنا من القوم، قال رسول الله ﷺ: «من قتل قتيلاً فله سلبه» فقلت^(٦): يا رسول الله، والله لقد قتلت قتيلاً ذا سلب، فأجهضني عنه القتال، فما أدري من استلبه؟ فقال رجل من أهل مكة: صدق يا رسول الله، وسلب ذلك القتل عندي، فأرضه عني من سلبه، فقال أبو بكر الصديق رضي الله عنه: لا والله، لا يرضيه منه، تعمد إلى أسد من أسد الله، يقاتل عن دين الله، تقاسمه سلبه! اردد عليه سلب قتيله، فقال رسول الله ﷺ: «صدق اردد عليه سلبه». فقال أبو قتادة: فأخذته منه، فبعته، فاشتريت بثمنه مخرفاً^(٧)،

(١) السبر: جمع سبير وهو القتل يسبر به الجرح.

(٢) النجلاء: الطعنة الواسعة. تعوي وتهر: أي يُسمع لخروج الدم منها أصوات كالعواء والهرير.

(٣) تفهق: تفتتح.

(٤) الثعلب: عصا الرمح الداخلة في السنان. العامل: أعلى الرمح.

(٥) الأساورة: قادة الفرس. النادرة: أي التي قد ندرت أي انفصلت وبعدت.

(٦) وفي هذا الحديث من الفقه أن السلب للقاتل حكماً شرعياً جعل ذلك الإمام له، أو لم يجعله، وهو قول الشافعي. وقال مالك: إنما ذلك إلى الإمام له أن يقول بعد معمة الحرب: من قتل قتيلاً فله سلبه، ويكره مالك رحمه الله أن يقول ذلك قبل القتال لئلا يخالط النية غرض آخر غير احتساب نفسه لله تعالى.

(٧) مخرف بفتح الراء وكسرهما نخلة، وأما كسر الميم فإنما هو للمخرف، وهي الآلة التي تُخترَف بها الثمرة أي تُجْتَبى. ويفتح الميم معناه البستان من النخل، هكذا فسروه، وفسره الحريبي، وأجاد في تفسيره، فقال: المخرف: نخلة واحدة أو نخلات يسيرة إلى عشر. فما فوق ذلك، فهو بستان أو حديقة، ويقوي ما قاله الحريبي ما قاله أبو حنيفة الدينوري، قال: المخرف؛ مثل الخروفة: هي النخلة يخترفها الرجل لنفسه ولعياله، وأنشد:

فإنه لأول مال اعتقدته^(١).

قال ابن إسحاق: وحدثني من لا أتهم، عن أبي سلمة، عن إسحاق بن عبد الله بن أبي طلحة، عن أنس بن مالك، قال: لقد استلب أبو طلحة يوم حنين وحده عشرين رجلاً^(٢).

الملائكة تحضر القتال: قال ابن إسحاق: وحدثني أبي إسحاق بن يسار، أنه حدث عن جبير بن مطعم، قال: لقد رأيت قبل هزيمة القوم والناس يقتتلون مثل الجاد الأسود^(٣)، أقبل من السماء حتى سقط بيننا وبين القوم، فنظرت، فإذا نمل أسود مبعوث قد ملأ الوادي، لم أشك أنها الملائكة، ثم لم يكن إلا هزيمة القوم^(٤).

قال ابن إسحاق: ولما هزم الله المشركين من أهل حنين، وأمكن رسوله ﷺ منهم، قالت امرأة من المسلمين:

قد غلبت خيل الله خيل اللاتِ واللَّهُ أَحَقُّ بِالثُّبَاتِ

قال ابن هشام: أنشدني بعض أهل العلم بالرواية للشعر:

غَلَبَتْ خَيْلَ اللَّهِ خَيْلَ اللَّاتِ وَخَيْلُهُ أَحَقُّ بِالثُّبَاتِ

قال ابن إسحاق: فلما انهزمت هوازن استحرَّ القتل من ثقيف في بني مالك، فقتل منهم سبعون رجلاً تحت رايتهم، فيهم عثمان بن عبد الله بن ربيعة بن الحارث بن حبيب، وكانت رايتهم مع ذي الخمار^(٥)، فلما قُتِل أخذها عثمان بن عبد الله، فقاتل بها حتى قُتِل^(٦).

قال ابن إسحاق: وأخبرني عامر بن وهب بن الأسود، قال: لما بلغ رسول الله ﷺ قتله، قال: «أبعده الله! فإنه كان يُبغضُ قريشاً»^(٧).

قال ابن إسحاق: وحدثني يعقوب بن عتبة بن المغيرة بن الأحنس: أنه قُتِل مع عثمان بن عبد الله غلام له نصراني أغرل^(٨)، قال: فبينما رجل من الأنصار يسلب قتلى ثقيف، إذ كشف العبد يسلبه، فوجده أغرل. قال: فصاح بأعلى صوته: يا معشر العرب؛ يعلم الله أن ثقيفاً غرل. قال المغيرة بن شعبة: فأخذت بيده، وخشيت أن تذهب عنا في العرب، فقلت: لا تقل ذلك، فدك أبي وأمي، إنما

مثل المخارف من خيلان أو هجرا

قال: ويقال للخروفة: خريفة أيضاً. (الروض الأنف ٤/١٤٢).

(١) الحديث أخرجه البخاري في كتاب فرض الخمس (٤/١١٢ - ١١٣) باب من لم يخمس الأسلاب ومن قتل قتيلاً فله سلبه، وفي المغازي (٥/١٩٦) باب قول الله تعالى: ويوم حنين إذا أعجبتكم كثرتكم. وأبو داود عن القعني في كتاب الجهاد (٢/٧٠) باب في السلب يُعطي القاتل، رقم (٢٧١٧). ومسلم في كتاب الجهاد والسير، باب استحقات القاتل سلب القتيل (٤١/١٧٥١)، ومالك في الموطأ، كتاب الجهاد، ما جاء في السلب في النقل - ص ٣٠١ رقم ٩٨١، الذهبي في تاريخ الإسلام (المغازي) ٥٨٤، ٥٨٥.

(٢) تاريخ الطبري ٣/٧٧ والحديث صحيح أخرجه أبو داود في الجهاد ٢٧١٨ باب في السلب يعطي القاتل، والدارمي في السير (٤٣)، والذهبي في تاريخ الإسلام (المغازي) ٥٨٥، وابن الأثير في الكامل ٢/٢٦٥.

(٣) الجهاد: الكساء. (٤) الطبري ٣/٧٧.

(٥) هو عوف بن الربيع. (٦) تاريخ الطبري ٣/٧٧.

(٧) تاريخ الطبري ٣/٧٧. (٨) الأغرل: غير المختن.

هو غلام لنا نصراني. قال: ثم جعلت أكشف له عن القتلى، وأقول له: ألا تراهم مختنين كما ترى! (١)

قال ابن إسحاق: وكانت راية الأحلاف مع قارب بن الأسود، فلما انهزم الناس أسند رايته إلى شجرة، وهرب هو وبنو عمه وقومه من الأحلاف، فلم يُقتل من الأحلاف غير رجلين: رجل من غيرة، يقال له وهب، وآخر من بني كبة، يقال له الجلاح؛ فقال رسول الله ﷺ حين بلغه قتل الجلاح: قُتِلَ اليوم سيد شباب ثقيف، إلا ما كان من ابن هنيذة، يعني بابن هنيذة الحارث بن أويس (٢).

فقال عباس بن مرداس السلمى يذكر قارب بن الأسود وفراره من بني أبيه، وذا الخمار وحبسه قومه للموت:

وَسَوْفَ - إِخَالَ - يَأْتِيهِ الْخَبِيرُ (٣)
 وَقَوْلًا غَيْرَ قَوْلِكُمْمَا يَسِيرُ
 لِرَبِّ لَا يَضِلُّ وَلَا يَجُورُ
 فَكَلَّ قَتَى يُخَايِرُهُ مَخِيرُ
 بَوَجَّ (٤) إِذْ تُفْسِمَتِ الْأُمُورُ
 أَمِيرٌ وَالِدَوَائِرُ قَدْ تَدُورُ
 جَنُودُ اللَّهِ ضَاحِيَةٌ (٥) تَسِيرُ
 عَلَى حَتَقٍ نَكَادٌ لَهُ نَطِيرُ
 إِلَيْهِمْ بِالْجُنُودِ وَلَمْ يَغُورُوا (٦)
 أَبْخَنَاهَا وَأَسْلِمَتِ التُّصُورُ (٧)
 فَأَقْلَعَ وَالدَّمَاءُ بِهِ تَمُورُ
 وَلَمْ يَسْمَعْ بِهِ قَوْمٌ دُكُورُ

أَلَا مِنْ مُبَلِّغٍ عَنِي لَانَ عَنِّي
 وَغَزْوَةٌ إِنَّمَا أَهْدِي جَوَابًا
 بَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدٌ رَسُولُ
 وَجَدْنَاهُ نَبِيًّا مِثْلَ مُوسَى
 وَبِئْسَ الْأَمْرُ أَمْرُ بَنِي قَسِي
 أَضَاعُوا أَمْرَهُمْ وَلِكُلِّ قَوْمٍ
 فَجِئْنَا أَسَدَ غَابَاتٍ إِلَيْهِمْ
 يَوْمَ الْجَمْعِ جَمَعَ بَنِي قَسِي
 وَأَقْسِمُ لَوْ هُمْ مَكْثُوا لَسِزْنَا
 فَكُنَّا أَسَدَ لِيَّةٍ تَمَّ حَتَّى
 وَيَوْمَ كَانَ قَبْلَ لَدَى حُنَيْنِ
 مِنَ الْأَيَّامِ لَمْ تَسْمَعْ كَيَوْمِ

(١) تاريخ الطبري ٧٨/٣، الكامل في التاريخ ٢/٢٦٥، المغازي للواقدي ٣/٩١١.

(٢) تاريخ الطبري ٧٨/٣ وفيه «الحارث بن أوس».

(٣) الفعل المستقبل هو: يأتيه، وإن كان حرف (سوف) داخلاً على إدخال في اللفظ فإنما يدل عليه من الاستقبال إنما هو الفعل الثاني كما قال:

ومما أدري وسسوف إخال أدري

وذلك أن إخال في معنى: أظن، وليس يريد أنه يظن فيما يستقبل، وإنما يريد أن يخال الآن أن سيكون ذلك. (الروض الأنف ٤/١٤٢).

(٤) قسي: اسم ثقيف. وَّجَّ: واد بالطائف. (٥) ضاحية: ظاهرة.

(٦) لم يغوروا: لم يذهبوا.

(٧) ليَّة: موضع قريب من الطائف. النصور: قيل إنها جمع ناصر وقيل: هم بنو نصر من هوازن. رهط مالك بن عوف النضري يقال لهم النصور، كما يقال لبني المنذر: المناذرة.

على رياتها والخَيْلُ زُورٌ^(١)
لهم عَقْلٌ يُعاقب أو مَكِيرٌ
وقد بانث لمُبَصِّرِها الأُمُورُ
وقُتِلَ مِنْهُمْ بِشَرِّ كَثِيرٍ^(٢)
ولا الغَلِقُ الصُّرَيْرَةُ الحَصُورُ^(٣)
أُمُورُهُمْ وَأَقَلَّتِ الصُّقُورُ
أُهَيْنَ لَهَا الفُصافِصُ والشُّعَيْرُ^(٤)
تُقَسِّمَتِ المزارعُ والقُصُورُ
على يُمْنِ أشارِ به المُشِيرُ
وأحلام إلى عَزَّ تصِيرُ
أثُوفِ النَّاسِ ما سَمَرَ السَّمِيرُ
بحرب الله ليس لَهُمْ نَصِيرُ
بَرَهْطُ بني عَزِيَّةَ عَنقَفِيرُ^(٥)
إلى الإسلام ضائنة تَخُورُ
وقد برأت مِنَ الإحْنِ الصُّدُورُ
مِنَ البَغْضاءِ بعد السُّلْمِ عُورُ

قَتَلْنَا فِي الغَبَارِ بني حُطَيْطٍ
ولم يك ذو الخِمارِ رَئِيسَ قَوْمٍ
أقام بِهِمْ على سَنَنِ المَنايَا
فأقَلَّتْ مَنْ نَجَا مِنْهُمْ جَرِيضاً
وَلَا يُغْنِي الأُمُورَ أخو التُّوانِي
أحائُهُمْ وِحانٌ وَمَلَكُوهُ
بنو عوف تَمِيحٌ بِهِمْ جِيادٌ
فَلَوْلَا قارِبٌ وبنو أبيهِ
ولكن الرِياسَةَ عُمُومُها
أطاعوا قارِباً ولهم جَدُودُ
فإن يُهْدُوا إلى الإسلامِ يُلْفُوا
وإن لم يُسَلِّمُوا فَهُمُ أَدَانُ
كما حَكَّتْ بني سَعْدِ وَحَرْبُ
كأنَّ بني مُعاويةَ بنِ بَكْرِ
فَقُلْنَا أسَلِّمُوا إِنَّا أَخُوكُمْ
كَأَنَّ القَوْمَ إذْ جاؤُوا إلينا

قال ابن هشام: غيلان: غيلان بن سلمة الثقفي، وعروة: عروة بن مسعود الثقفي.

مقتل دريد: قال ابن إسحاق: ولما انهزم المشركون، أتوا الطائف ومعهم مالك بن عوف، وعسكر بعضهم بأزطاس، وتوجه بعضهم نحو نخلة، ولم يكن فيمن توجه نحو نخلة إلا بنو غيرة من ثقف، وتبعت خيل رسول الله ﷺ من سلك في نخلة من الناس، ولم تتبع من سلك الثنايا.

فأدرك ربيعة بن رُفَيْعِ بن أهبان بن ثعلبة بن ربيعة بن يربوع بن سَمَّالِ بن عوف بن امرئ القيس، وكان يقال له ابن الدُّعَّةِ^(٦) وهي أمه، فغلبت على اسمه، ويقال: ابن لُدَّةِ فيما قال ابن هشام - دُرَيْدِ بن الصِّمَّةِ، فأخذ بخطام جملة وهو يظن أنه امرأة، وذلك أنه في شجار له، فإذا برجل، فأناخ به، فإذا شيخ كبير، وإذا هو دُرَيْدِ بن الصِّمَّةِ ولا يعرفه الغلام، فقال له دُرَيْدِ: ماذا تريد بي؟ قال:

(١) زور: مائلة.

(٢) الجريض: من يغص بريقه. والجمع: جرضى.

(٣) الغلق: ضيق الخلق. الصريرة: مصغر الصرورة وهو الذي لم يتزوج، والحصور: الذي لا يأتي النساء.

(٤) تميح: تمشي مشياً مستوياً. الفصافص: جمع فصفصة: النبات الذي تأكله المواشي رطباً.

(٥) العنقفير: الداهية.

(٦) في تاريخ الطبري ٧٩/٣ «لدعة». انظر: أسد الغابة ٢/٢١١ وتجريد أسماء الصحابة ١/١٧٩، ١/١٧٩، والإصابة ١/

أقتلك. قال: ومن أنت؟ قال: أنا ربيعة بن رُفَيْعِ السُّلَمِيِّ، ثم ضربه بسيفه، فلم يُغْنِ شيئاً، فقال: بش ما سَلَحْتِكَ أمك! خذ سيفي هذا من مؤخَّرِ الرحل، وكان الرحل في الشُّجَار، ثم اضرب به، وارفع عن العظام، واخلض عن الدماغ، فإنني كنت كذلك أضرب الرجال، ثم إذا أتيت أمك فأخبرها أنك قتلت دُرَيْدَ بن الصَّمَّة، فزُبَّ والله يوم قد منعُت فيه نساءك. فزعم بنو سليم أن ربيعة لما ضربه فوق تكشَّف، فإذا عِجَانُهُ^(١) ويطون فِخْذِيهِ مثل القِرْطَاس، من ركوب الخيل أعراء^(٢)؛ فلما رجع ربيعة إلى أمه أخبرها بقتله إياه، فقالت: أما والله لقد أعتق أمهاتٍ لك ثلاثاً^(٣).

فقالت عَمْرَةُ بنت دُرَيْدٍ في قتل ربيعة دُرَيْدًا:

لعمرك ما خَشِيتُ على دُرَيْدٍ
جَزَى عنه الإلهُ بني سُلَيْمٍ
وأسقانا إذا قُدنَا إليهم
فزُبَّ عَظِيمة دافعت عنهم
وزُبَّ كَرِيمة أعتقت منهم
وزُبَّ مُنَوِّه بك من سُلَيْمٍ
فكانَ جَزَاؤُنَا منهم عُقُوقاً
عَفَّتْ آثارَ خَيْلِكَ بعدَ أَيْنِ
وقالت عَمْرَةُ بنت دُرَيْدٍ أيضاً:

قالوا قتلنا دُرَيْدًا قلتُ قد صدقوا
لولا الَّذي فَهَرَ الأَقْوَامَ كُلَّهُم
إذْ نَ لَصَّبَحَهُم غِبًّا وظَاهِرَةً
فَظَلَّ دَمْعِي على السُّرْبَالِ يَنحَدِرُ
رأت سُلَيْمٍ وكَغِبْ كيف تَأْتِمِرُ
حيثُ استقرَّتْ نواهُم جَحْفَلٌ ذَفِرُ^(٤)

قال ابن هشام: ويقال اسم الذي قتل دُرَيْدًا: عبد الله بن قُتَيْبِ بن أَهْبَانَ بن ثَعْلَبَةَ بن ربيعة. قال ابن إسحاق: وبعث رسول الله ﷺ في آثار من توجَّه قِبَلَ أوطاس أبا عامر الأشعري، فأدرك من الناس بعض من انهزم، فناوشوه القتال، فرمى أبو عامر بسهم فقتل؛ فأخذ الراية أبو موسى الأشعري، وهو ابن عمه، فقاتلهم، ففتح الله على يديه وهزمهم. فيزعمون أن سلمة بن دُرَيْدٍ هو الذي رمى أبا عامر الأشعري بسهم^(٥)، فأصاب رُكْبَتَهُ، فقتله، فقال:

(١) العجان: الإنست.

(٢) تاريخ الطبري ٧٨/٣، ٧٩، الأغاني ٣١/١٠، ٣٢، المغازي للواقدي ٩١٤/٣، ٩١٥.

(٣) سُمَيْرَةُ: وإد قرب حُيَيْن. العناق: الأمر الشديد.

(٤) الرماق: بقية الحياة.

(٥) ذو بقر: موضع. فيف: قفر. النهاق: موضع.

(٦) الغب في الأصل: أن ترد الإبل الماء يوماً بعد يوم. وظاهرة: أن ترده كل يوم. ذفر: ذو رائحة كريهة من صدأ الحديد.

والآيات في الأغاني ٣٣/١٠ باختلاف في الألفاظ.

(٧) تاريخ الإسلام (المغازي) ٥٨٩.

إِنْ تَسْأَلُوا عَنِّي فَإِنِّي سَلَمَةٌ
أَضْرَبُ بِالسَّيْفِ رُؤُوسَ الْمَسْلِمَةِ^(١)

مقتل أبي عامر الأشعري:

وسمادير: أمه.

واستحز القتل من بني نصر في بني رثاب، فزعموا أن عبد الله بن قيس - وهو الذي يُقال له ابن العوزاء، وهو أحد بني وهب بن رثاب - قال: يا رسول الله، هلكت بنو رثاب. فزعموا أن رسول الله ﷺ قال: اللهم اجبر مصيبتهم^(٢).

وخرج مالك بن عوف عند الهزيمة، فوقف في فوارس من قومه، على ثنية من الطريق، وقال لأصحابه: قفوا حتى تمضي ضعفاؤكم، وتلحق أخراكم، فوقف هناك حتى مضى من كان لحق بهم من منتهمة الناس^(٣)؛ فقال مالك بن عوف في ذلك:

ولولا كرتانٍ على مُحاجٍ
لضاق على العضاريط الطريق^(٤)
ولولا كثر دُهمانٍ بن نصر
لدى التخلات مُندفع الشديق^(٥)
لآبث جعفرٌ وبنو هلال
خزايًا مُحقبين على شقوق^(٦)

قال ابن هشام: هذه الأبيات لمالك بن عوف في غير هذا اليوم. ومما يدلُّك على ذلك قول دُرَيْد بن الصِّمَّة في صدر هذا الحديث: ما فعلت كعب وكلاب؟ فقالوا له: لم يشهدا منها أحد. وجعفر بن كلاب. وقال مالك بن عوف في هذه الأبيات: «لآبث جعفر وبنو هلال».

قال ابن هشام: وبلغني أن خيلاً طلعت ومالك وأصحابه على الثنية، فقال لأصحابه: ماذا ترون؟ فقالوا: نرى قوماً واضعي رماحهم بين آذان خيلهم، طويلةً بوادهم^(٧)؛ فقال: هؤلاء بنو سليم، ولا بأس عليكم منهم؛ فلما أقبلوا سلكوا بطن الوادي. ثم طلعت خيل أخرى تتبعها؛ فقال لأصحابه: ماذا ترون؟ قالوا: نرى قوماً عارضي رماحهم، أغفلاً^(٨) على خيلهم؛ فقال: هؤلاء الأوس والخزرج، ولا بأس عليكم منهم. فلما انتهوا إلى أصل الثنية سلكوا طريق بني سليم. ثم طلع فارس؛ فقال لأصحابه: ماذا ترون؟ قالوا: نرى فارساً طويل الباد، واضعاً رمحه على عاتقه، عاصباً رأسه بملاءة حمراء فقال: هذا الزبير بن العوام وأحلف باللات ليخالطنكم، فاثبتوا له. فلما انتهى الزبير إلى أصل الثنية أبصر القوم، فصمد لهم، فلم يزل يطاعنهم حتى أراحهم عنها^(٩).

قال ابن إسحاق: وقال سلمة بن دُرَيْد وهو يسوق بامرأته حتى أعجزهم:

نَسَيْتِنِي مَا كُنْتَ غَيْرَ مُصَابَةٍ
ولقد عرفتِ عداةً نَغْف الأظرب^(١٠)

(٢) المغازي للواقدي ٩١٦/٣.

(١) تاريخ الطبري ٨٠/٣.

(٤) محاج: فرس مالك: العضاريط: الأجراء.

(٣) تاريخ الطبري ٨٠/٣.

(٦) محقبين: مردفين. شقوق: أي على مشقة.

(٥) الشديق: واد من وديان الطائف.

(٨) أغفلاً: غير معلمين بعلامة.

(٧) بوادهم: جمع باد وهو باطن الفخذ.

(٩) المغازي للواقدي ٩١٦/٣، ٩١٧.

(١٠) النغف: أسفل الجبل. الأظرب: الجبل الصغير.

أَتَى مَنَعْتُكَ وَالرُّكُوبُ مُحَبَّبٌ وَمَشِيئُ خَلْفِكَ مِثْلُ مَشْيِ الْأَنْكَبِ^(١)
إِذْ فَرَّ كُلُّ مُهَذَّبٍ ذِي لِمَّةٍ عَنِ أُمِّهِ وَخَلِيلِهِ لَمْ يَغْقَبِ

قال ابن هشام: وحدثني من أثنى به من أهل العلم بالشعر، وحديثه: أن أبا عامر الأشعري لقي يوم أوطاس عشرة إخوة من المشركين، فحمل عليه أحدهم، فحمل عليه أبو عامر وهو يدعوه إلى الإسلام ويقول: اللهم اشهد عليه، فقتله أبو عامر؛ ثم حمل عليه آخر، فحمل عليه أبو عامر، وهو يدعوه إلى الإسلام ويقول: اللهم اشهد عليه، فقتله أبو عامر؛ ثم جعلوا يحملون عليه رجلاً رجلاً، ويحمل أبو عامر وهو يقول ذلك، حتى قتل تسعة، وبقي العاشر، فحمل على أبي عامر، وحمل عليه أبو عامر، وهو يدعوه إلى الإسلام ويقول: اللهم اشهد عليه؛ فقال الرجل: اللهم لا تشهد علي، فكف عنه أبو عامر، فأقلت؛ ثم أسلم بعد فحسن إسلامه. فكان رسول الله ﷺ إذا رآه قال: هذا شريد أبي عامر. ورمى أبا عامر أخوان: العلاء وأوفى ابنا الحارث، من بني جشم بن معاوية، فأصاب أحدهما قلبه، والآخر ركبته، فقتلاه. وولي الناس أبو موسى الأشعري فحمل عليهما فقتلتهما^(٢)؛ فقال رجل من بني جشم بن معاوية يرثيها:

إِنَّ الرَّزِيَّةَ قَتَلَ الْعَلَاءِ وَأَوْفَى جَمِيعاً وَلَمْ يُسْتَنْدَا^(٣)
هُمَا الْقَاتِلَانِ أَبَا عَامِرٍ وَقَدْ كَانَ ذَا هَبَّةٍ أَزِيدَا^(٤)
هُمَا تَرَكَاهُ لَدَى مَفْرَكِ كَأَنَّ عَلَى عِظْفِهِ مُجَسَّدَا^(٥)
فَلَمْ تَرَ فِي النَّاسِ مِثْلَيْهِمَا أَقْلٌ عِثَاراً وَأَزْمَى يَدَا

النهي عن قتلهم: قال ابن إسحاق: وحدثني بعض أصحابنا: أن رسول الله ﷺ مر يومئذ بامرأة وقد قتلها خالد بن الوليد، والناس متقصفون^(٦) عليها فقال: «ما هذا؟» فقالوا: امرأة قتلها خالد بن الوليد؛ فقال رسول الله ﷺ لبعض من معه: «أذكر خالدًا، فقل له: إن رسول الله ينهك أن تقتل وليدًا أو امرأة أو عسيفاً»^(٧).

الشيء أخت الرسول: قال ابن إسحاق: وحدثني بعض بني سعد بن بكر: أن رسول الله ﷺ قال يومئذ: إن قدرتم على بجاد، رجل من بني سعد بن بكر، فلا يفلتكنم، وكان قد أحدث حدثًا، فلما ظفر به المسلمون ساقوه وأهله، وساقوا معه الشيماء، بنت الحارث بن عبد العزى أخت رسول الله ﷺ من الرضاعة، فعنفوا عليها في السياق؛ فقالت للمسلمين: تعلموا والله أنني لأخت صاحبكم من الرضاعة؛ فلم يصدقوها حتى أتوا بها إلى رسول الله ﷺ.

قال ابن إسحاق: فحدثني يزيد بن عبيد السعدي، قال: فلما انتهت بها إلى رسول الله ﷺ، قالت: يا رسول الله، إنني أختك من الرضاعة؛ قال: وما علامة ذلك؟ قالت: عضة عضضتنيها في

(٢) انظر الخبر في المغازي للواقدي ٣/٩١٥، ٩١٦.

(٤) ذا هبة: له سيف ذو هبة: والهيئة الاهتزاز.

(٦) متقصفون: مجتمعون في ازدحام.

(١) الأنكب: المائل إلى جهة.

(٣) لم يستندا: لم يبق فيهما رمق.

(٥) المجسد: المصبوغ بالجداد وهو الرغفران.

(٧) العسيف: الأجير.

ظهري وأنا مُتَوَرِّكْتُكَ؛ قال: فعرف رسول الله ﷺ العلامة، فبسط لها رداءه، فأجلسها عليه، وخيَّرها، وقال: إن أحببت فيندي مُحَبَّةً مُكْرَمَةً، وإن أحببت أن أمتعك^(١) وترجعي إلى قومك فعلت؛ فقالت: بل تمتعني وتردني إلى قومي. فمتَّعها رسول الله ﷺ، وردَّها إلى قومها. فزعمت بنو سعد أنه أعطاها غلاماً له يقال له مكحول، وجارية، فزوَّجت أحدهما الأخرى، فلم يزل فيهم من نسلهما بقية^(٢).

ما أنزل الله من حُنين: قال ابن هشام: وأنزل الله عزَّ وجلَّ في يوم حُنين: ﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ﴾ [التوبة: ٢٥]... إلى قوله: ﴿وَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ﴾ [التوبة: ٢٦].

شهداء حُنين: قال ابن إسحاق: وهذه تسمية من استشهد يوم حُنين من المسلمين.

من قريش ثم من بني هاشم: أيمن بن عبيد.

ومن بني أسد بن عبد العزَّى، يزيد بن زَمْعَةَ بن الأسود بن المطَّلِب بن أسد، جَمَحَ به فرس له يقال له الجناح، فقتل.

ومن الأنصار: سُرَاقَةُ بن الحارث^(٣) بن عدي، من بني العجلان.

ومن الأشعرين: أبو عامر الأشعري.

سبايا حُنين وأموالها: ثم جُمِعَتْ إلى رسول الله ﷺ سبايا حُنين وأموالها، وكان على المغانم مسعود بن عمرو الغفاري، وأمر رسول الله ﷺ بالسبايا والأموال إلى الجعفرانة، فحَبِسَتْ بها^(٤).

ما قيل من الشعر يوم حنين: وقال بُجَيْر بن زُهَيْر بن أبي سُلمَى في يوم حُنين:

لَوْلَا إِلَهُ وَعَبْدُهُ وَلَيْثُكُمْ	حين استخفَّ الرَّعْبُ كُلَّ جَبَانِ
بِالْجِزْعِ يَوْمَ حَبَا لَنَا أَقْرَانَا	وَسَوَابِحُ يَكْبُورُونَ لِلأَذْقَانِ ^(٥)
مِنْ بَيْنِ سَاعِ ثَوْبُهُ فِي كَفِّهِ	وَمَقْطَرٍ بِسَنَابِكِ وَلَبَانِ ^(٦)
وَاللَّهُ أَكْرَمَنَا وَأَظْهَرَ دِينَنَا	وَأَعَزَّنَا بِعِبَادَةِ الرَّحْمَنِ
وَاللَّهُ أَهْلَكَهُمْ وَفَرَّقَ جَمْعَهُمْ	وَأَذَلَّهُمْ بِعِبَادَةِ الشَّيْطَانِ

قال ابن هشام: ويروى فيها بعض الرواة:

(١) أي أعطيك ما يمتعك أي ما يكون فيه متعتك وانتفاعك.

(٢) الخبر في تاريخ الطبري ٨١/٣ وانظر عن الشيماء بنت الحارث في: الاستيعاب ٤/٣٤٤، وأسد الغابة ٥/٤٨٩، والإصابة ٤/٣٤٤ رقم ٦٣٣، وتاريخ الإسلام (المغازي) ٦١٠.

(٣) انظر الأسماء في: المغازي لعروة ٢١٩ وفيها نقص، والطبقات الكبرى ١٥٢/٢، وتاريخ خليفة ٨٨، ٨٩، والمغازي للواقدي ٣/٩٢٢، ومجمع الزوائد ٦/١٩٨، ١٩٠، تاريخ الإسلام (المغازي) ٥٨٩، وتاريخ الطبري ٨١/٣، والكامل في التاريخ ٢/٢٦٦ وفيه نقص.

(٤) الطبقات الكبرى ١٥٢/٢ وفي تاريخ الإسلام «سراقة بن حباب».

(٥) تاريخ الطبري ٨١/٣.

(٦) الجزع: ما انطف من الوادي. حبا: اعترض: سوابح: أي خيل سوابح: وهي المسرعة. يكبون: يسقطون.

(٧) مقطر: ملقى على قطره، أي جنبه. ولَبَانُ الفرس: صدره.

إذ قامَ عَمُ نَبِيِّكُمْ وَوَلِيِّهِ
أَيْنَ الَّذِينَ هُمْ أَجَابُوا رَبَّهُمْ
شعر لعباس بن مرداس في يوم حنين:

قال ابن إسحاق: وقال عباس بن مرداس في يوم حنين:

إني والسَّوَابِحُ يَوْمَ جَمْعٍ
لقد أحببتُ ما لَقِيتُ ثَقِيفًا
هُمُ رَأْسُ الْعَدُوِّ مِنْ أَهْلِ نَجْدٍ
هَزَمْنَا الْجَمْعَ جَمَعَ بَنِي قَسِيٍّ
وَصِرْنَا مَنْ هَلَالَ غَادِرَتِهِمْ
ولو لَأَقِينَنَّ جَمْعَ بَنِي كِلَابٍ
رَكَضْنَا الْخَيْلَ فِيهِمْ بَيْنَ بَسٍّ
بِذِي لَجَبٍ رَسُولُ اللَّهِ فِيهِمْ

قال ابن هشام: قوله: «تَعَفَّرَ بالتراب» عن غير ابن إسحاق.

فأجابه عطية بن عُقَيْفِ النَّضْرِيِّ، فيما حدثنا ابن هشام، فقال:

أفأخِزَّةَ رِفَاعَةَ فِي حُنَيْنٍ
فإِنَّكَ وَالْفِخَارَ كَذَاتِ مِرْطٍ
وعَبَّاسُ بْنُ رَاضِعَةَ اللَّجَابِ (٤)
لرَبَّتِيهَا وَتَرْقُلُ فِي الْإِهَابِ

قال ابن إسحاق: قال عطية بن عُقَيْفِ هذين البيتين لما أكثرَ عَبَّاسُ عَلَى هَوَازِنَ فِي يَوْمِ حُنَيْنٍ.
ورفاعة من جُهينة.

قال ابن إسحاق: وقال عَبَّاسُ بْنُ مَرْدَاسٍ أَيْضاً:

يا خاتمَ النَّبَاءِ إِنَّكَ مُرْسَلٌ
إِنَّ الْإِلَهَ بَنَى عَلَيْكَ مَحَبَّةً
ثُمَّ الَّذِينَ وَقَفُوا بِمَا عَاهَدْتَهُمْ
رُجْلًا بِهِ دَرَبٌ (٥) السَّلَاحُ كَأَنَّهُ
يَغْشَى ذَوِي النَّسَبِ الْقَرِيبِ وَإِنَّمَا
أُنْبِيكَ أَنِّي قَدْ رَأَيْتُ مَكْرَهُهُ

(١) البرك: الصدر، ويريد بحكمة بركها: شدة وطأة الحرب.

(٢) الصرم: الجماعة من الناس أو البيوت المنقطعة عن الحي.

(٣) بسّ والأوزال: مكانان. تنحط: تخرج أنفاسها عالية.

(٤) اللجَاب: العترة.

(٥) الدَّرَبُ: العدة.

طَوْرًا يُعَانِقُ بِالْيَدَيْنِ وَتَارَةً
يَغْشَى بِهِ هَامَ الْكِمَاةِ وَلَوْ تَرَى
وَبَنُو سُلَيْمٍ مُغْنِقُونَ أَمَامَهُ
يَمُشُونَ تَحْتَ لِيَوَائِهِ وَكَأَنَّهُمْ
مَازَتْجُونَ مِنَ الْقَرِيبِ قِرَابَةً
هَذِي مَشَاهِدُنَا الَّتِي كَانَتْ لَنَا
وَقَالَ عَبَّاسُ بْنُ مَرْدَاسٍ أَيْضًا:

إِمَّا تَرَنِي يَا أُمَّ فِزْوَةَ خَيْبَلَنَا
أَوْهَى مُقَارَعَةَ الْأَعَادِي دَمَّهَا
فَلَرَبِّ قَائِلَةٍ كَفَاهَا وَقُعْنَا
لَا وَفَدَ كَالْوَفْدِ الْأَلَى عَقَدُوا لَنَا
وَفَدَ أَبُو قَطَنِ حُزَابَةً مِنْهُمْ
وَالْقَائِدَ الْمَائَةَ الَّتِي وَقَى بِهَا
جَمَعَتْ بَنُو عَوْفٍ وَرَهْطَ مُخَاشِنِ
فَهَنَّاكَ إِذْ نُصِرَ النَّبِيُّ بِالْفِينَا
فُزْنَا بِرَايَتِهِ وَأُوزِتْ عَقْدُهُ
وَعِدَاةَ نَحْنُ مَعَ النَّبِيِّ جَنَاحَهُ
كَانَتْ إِجَابَتُنَا لِدَاعِي رَبِّنَا
فِي كُلِّ سَابِغَةٍ تَخَيَّرَ سَرْدَهَا
وَلَنَا عَلَى بَثْرِي حُتَيْنِ مَوْكِبِ
نُصِرَ النَّبِيُّ بِنَا وَكُنَّا مَغْشَرًا
دُذْنَا غِدَاتِنُذِ هَوَازِنَ بِالْقَنَا
إِذْ خَافَ حَدَّهِمُ النَّبِيُّ وَأَسْنَدُوا
تُدْعَى بَنُو جُشْمٍ وَتُدْعَى وَسْطُهُ

يَفْرِرِي الْجَمَاجِمَ صَارِمًا بَثَاكَ^(١)
مِنَهُ الَّذِي عَايَنْتُ كَانَ شِفَاكَ
ضَرْبًا وَطَغْنًا فِي الْعَدْوِ دِرَاكَ^(٢)
أَسْدُ الْعَرَبِينَ أُرْدَنْ نَمَّ عِرَاكَ^(٣)
إِلَّا لَطَاعَةَ رَبِّهِمْ وَهَوَاكَ
مَغْرُوفَةً وَوَلِيئِنَا مَوْلاكَ

مِنْهَا مُعْطَلَةٌ تُقَادُ وَظَلْعُ^(٤)
فِيهَا نَوَافِدُ مِنْ جِرَاحِ تَنْبِغِ
أَزَمَ الْحُرُوبِ فَيَسْرِبُهَا لَا يُفْرَعُ^(٥)
سَبَبًا بِحَبْلِ مُحَمَّدٍ لَا يُقْطَعُ
وَأَبُو الْغَيْوِثِ وَوَايِعُ وَالْمِقْنَعُ
تَسْعَ الْمِثْنِينَ فَتَمَّ أَلْفُ أَقْرَعِ^(٦)
سَتًّا وَأَخْلَبَ مِنْ خُفَافٍ أَرْبَعُ
عَقْدَ النَّبِيِّ لَنَا لَوَاءٌ يَلْمَعُ
مَجْدَ الْحَيَاةِ وَسُودْدًا لَا يُنْزَعُ
بِإِطْحَاحِ مَكَّةَ وَالْقَنَا يَتَهَزُّعُ^(٧)
بِالْحَقِّ مَنَّا حَاسِرٌ وَمُقْنَعُ
دَاوُدُ إِذْ نَسَجَ الْحَدِيدَ وَتُبَّعُ^(٨)
دَمَعُ النَّفَاقِ وَهَضْبَةٌ مَا تُفْلَعُ
فِي كُلِّ نَائِبَةٍ نَضْرُ وَنَنْفَعُ
وَالْخَيْلُ يَغْمُرُهَا عَجَاجٌ يَسْطَعُ
جَمْعًا تَكَادُ الشَّمْسُ مِنْهُ تَخْشَعُ
أَفْنَاءُ نَضْرٍ وَالْأَسِنَّةُ شُرْعُ^(٩)

(١) بَثَاكَ: قاطع.

(٢) مُغْنِقُونَ: مُسْرِعُونَ. دِرَاكٌ: مَتَابِعٌ.

(٤) الظَّلْعُ: العَرَجُ.

(٦) أَلْفُ أَقْرَعٍ: أَي أَلْفٌ بِالتَّمَامِ.

(٧) يَتَهَزُّعُ: يَضْطَرِبُ.

(٨) السَابِغَةُ: الدَّرُوعُ الْكَامِلَةُ. السَّرْدُ: النَّسِجُ. تُبَّعُ: لِقَبِ مَلُوكِ الْعَمِينَ الْقَدَمَاءِ.

(٩) الْأَبْنَاءُ: الْجَمَاعَةُ لَيْسَتْ مِنْ أَسْلِ وَاحِدٍ.

أبني سُلَيْمٍ قَدِ وَقَيْتُمْ فَازَقَعُوا
 بِالْمُؤْمِنِينَ وَأَخْرَجُوا مَا جَمَعُوا^(١)
 فَمِطْلَأَ أَرِيكَ قَدِ خَلَا فَالْمَصَانِعُ^(٢)
 رَخِيٌّ وَصَرْفُ الدَّارِ لِلْحَيِّ جَامِعٌ
 لِبَيِّنٍ فَهَلْ مَاضٍ مِنَ الْعَيْشِ رَاجِعٌ
 فإِنِّي وَزِيرٌ لِلنَّبِيِّ وَتَابِعٌ
 خُزَيْمَةٌ وَالْمَرَارُ مِنْهُمْ وَوَاسِعٌ
 لَبُوسٌ لَهُمْ مِنْ نَسِجِ دَاوُدَ رَائِعٌ
 يَدُ اللَّوِّ بَيْنَ الْأَخْشَبِينَ نُبَايِعُ^(٣)
 بِأَسْيَافِنَا وَالنُّقُوعُ كَابٌ وَسَاطِعُ^(٤)
 حَمِيمٌ وَأَيْنَ مِنْ دَمِ الْجَوْفِ نَاقِعُ^(٥)
 إِلَيْنَا وَضَاقَتْ بِالثُّفُوسِ الْأَضَالِعُ
 قِرَاعُ الْأَعَادِي مِنْهُمْ وَالْوَقَائِعُ
 لَوَاءٌ كَحُذُرُوفِ السَّحَابَةِ لَامِعُ^(٦)
 بِسَيْفِ رَسُولِ اللَّهِ وَالْمَوْتُ كَانِعُ^(٧)
 مَصَالًا لَكُنَّا الْأَقْرَبِينَ نَتَابِعُ^(٨)
 رَضِينَا بِهِ فِيهِ الْهُدَى وَالشَّرَائِعُ
 وَلَيْسَ لِأَمْرِ حَمَّةِ اللَّوِّ دَافِعُ

حتى إذا قال الرسولُ مُحَمَّدٌ
 رُحْنَا وَلَوْلَا نَحْنُ أَجْحَفَ بِأَسْهُمِ
 وقال عباس بن مرداس أيضاً في يوم حُتَيْنِ:
 عَفَا مَجْدَلٌ مِنْ أَهْلِهِ فَمَتَالِغُ
 دِيَارٌ لَنَا يَا جُمْلُ إِذْ جُلُّ عَيْشِنَا
 حُبَيْبَةُ الْوَتِّ بِهَا غَزْبَةُ النَّوَى
 فَإِن تَبَتَّغِي الْكُفَّارَ غَيْرَ مَلُومَةَ
 دَعَانَا إِلَيْهِمْ خَيْرٌ وَقَدْ عَلِمْتُهُمْ
 فَجِئْنَا بِالْفِ مِنْ سُلَيْمٍ عَلَيْهِمْ
 نُبَايَعُهُ بِالْأَخْشَبِينَ وَإِنَّمَا
 فَجُسْنَا مَعَ الْمَهْدِيِّ مَكَّةَ عَثْوَةَ
 عَدْنِيَّةَ وَالْحَيْلُ يَغْشَى مُتُونَهَا
 وَيَوْمَ حُتَيْنِ حِينَ سَارَتْ هَوَازِنُ
 صَبَرْنَا مَعَ الضُّحَاكِ لَا يَسْتَفِرُّنَا
 أَمَامَ رَسُولِ اللَّهِ يَخْفِقُ فَوْقَنَا
 عَشِيَّةَ ضِحَاكُ بْنُ سُفْيَانَ مَغْتَصِبِ
 نَذُودِ أَخَانَا عَنْ أَجِينَا وَلَوْ نَرَى
 وَلَكِنْ دِينَ اللَّهِ دِينَ مُحَمَّدٍ
 أَقَامَ بِهِ بَعْدَ الضَّلَالَةِ أَمْرَنَا
 وقال عباس بن مرداس أيضاً في يوم حُتَيْنِ:

(١) أجحف: نقص.

(٢) مجدل: مكان. متالع: جبل المطلاء. الأرض السهلة. أريك: موضع. المصانع: ما يجتمع فيها ماء المطر كالأحواض.

(٣) الأخشبان: جيلان بمكة.

(٤) جُسْنَا: وَطْنَا. المهدي: نبي الهدى محمد ﷺ. كاب: مرتفع. ساطع: متفرق.

(٥) الحميم هنا: العرق. آن: حاز. نافع: كثير.

(٦) حُذُرُوفِ السَّحَابَةِ: طرفها.

(٧) مُغْتَصِبِ: ضارب. كانع: مقرب.

(٨) يريد أنه من بني سليم، وسليم من قيس، كما أن هوازن من قيس، كلاهما ابن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس، فمعنى البيت: نقاتل إخواننا ونذودهم عن إخواننا من سليم، ولو نرى في حكم الذين مصلأ مفعلاً من الضولة، لكننا مع الأقربين هوازن.

تَقَطَّعَ بَاقِي وَضَلَّ أُمُّ مُؤَمِّلٍ
 وَقَدْ حَلَفْتَ بِاللَّهِ لَا تَقَطُّعَ الْقَوَى^(٢)
 خُفَافِيَّةً بَطْنُ الْعَقِيقِ مَصِيفُهَا
 فَإِنْ تَتَّبَعَ الْكُفَّارَ أُمُّ مُؤَمِّلٍ
 وَسَوْفَ يُنَبِّئُهَا الْخَبِيرُ بِأَنَّا
 وَأَنَا مَعَ الْهَادِي التُّبَيْيِّ مُحَمَّدٍ
 بِفِثْيَانٍ صَدَقَ مِنْ سُلَيْمٍ أَعْرَءَةٌ
 خُفَافٌ وَذُكْرَانٌ وَعَوْفٌ تَخَالَهُمْ
 كَأَنَّ التُّسَيْجَ الشُّهْبَ وَالْبَيْضَ مُلْبَسٌ
 بِنَاعِزٍ دَيْنُ اللَّهِّ غَيْرَ تَنَحُّلٍ
 بِمَكَّةَ إِذْ جِئْنَا كَأَنَّ لِسَاءَنَا
 عَلَى شُخْصِ الْأَبْصَارِ تَحْسِبُ بَيْنَهَا
 غَدَاةً وَطِئْنَا الْمُشْرِكِينَ وَلَمْ نَجِدْ
 بِمَغْتَرِكَ لَا يَسْمَعُ الْقَوْمُ وَسَطَهُ
 بِبَيْضِ نُطَيْرِ الْهَامِ عَنْ مُسْتَقَرِّهَا
 فَكَائِنَ تَرَكْنَا مِنْ قَتِيلٍ مُلْحَبٍ^(٨)
 رَضَا اللَّهُ نَتْوِي لَا رَضَا النَّاسِ نَبْتَغِي
 وَقَالَ عَبَّاسُ بْنُ مَرْدَاسٍ أَيْضاً:

مَا بِالْأَعْيُنِ فِيهَا عَائِرٌ سَهْرٌ
 عَيْنٌ تَأْوِبُهَا مِنْ شَجْوِهَا أَرْقٌ

بِعَاقِبَةٍ وَاسْتَبَدَلْتَ نِيَّةً خُلْفَا^(١)
 فَمَا صَدَقْتَ فِيهِ وَلَا بَرَّتِ الْحُلْفَا
 وَتَحْتَلُّ فِي الْبَادِيْنَ وَجِرَةَ فَالْعُرْفَا^(٣)
 فَقَدْ زَوَّدَتْ قَلْبِي عَلَى نَائِبِهَا شَغْفَا
 أَبِينَا وَلَمْ نَطْلُبْ سِوَى رَبِّنَا جَلْفَا
 وَقِينَا وَلَمْ يَسْتَوْفِهَا مَغْشَرُ أَلْفَا
 أَطَاعُوا فَمَا يَعْصُونَ مِنْ أَمْرِهِ حَزْفَا
 مَصَاعِبَ زَاغَتْ فِي طَرُوقِهَا كُلْفَا^(٤)
 أَسْوَدًا تَلَاغَتْ فِي مَرَاوِدِهَا غُضْفَا^(٥)
 وَزِدْنَا عَلَى الْحَيِّ الَّذِي مَعَهُ ضِغْفَا
 عُقَابٌ أَزَادَتْ بَعْدَ تَخْلِيْقِهَا خَطْفَا
 إِذَا هِيَ جَالَتْ فِي مَرَاوِدِهَا عَزْفَا^(٦)
 لِأَمْرِ رَسُولِ اللَّهِ عَدْلًا وَلَا صَرْفَا
 لَنَا زَجْمَةٌ إِلَّا التُّذَامِرَ وَالتُّنْفَا^(٧)
 وَتَقَطَّفُ أَعْنَاقَ الْكُمَاةِ بِهَا قَطْفَا
 وَأَزْمَلَةٌ تَدْعُو عَلَى بَغْلِهَا لَهْفَا
 وَلِلَّهِ مَا يَبْنُدُو جَمِيعاً وَمَا يَخْفَى
 مِثْلُ الْحَمَاطَةِ أَغْضَى فَوْقَهَا الشُّفْرُ^(٩)
 فَالْمَاءُ يَنْغُمُّهَا طَوْرًا وَيَسْخَرُ

(١) النية: من النوى وهو البعد. وخلفاً يجوز أن يكون مفعولاً من أجله أي: فعلت ذلك من أجل الخلف، ويجوز أن يكون مصدرًا مؤكداً للاستبدال، لأن استبدالها به خلف منها لما وعدته به، ويقوي هذا البيت البيئ الذي بعده. (الروض الأنف ١٤٥/٤).

(٢) القوى: قوى الجبل هنا: وهو العهد، وهذا هو الخلف المتقدم ذكره.

(٣) خُفَافِيَّةٌ: نسبة إلى بني خُفَاف. العقيق: وإد بالحجاز. وجرّة والعُرف: موضعان.

(٤) مَصَاعِبُ: فُحُول. زَاغَتْ: تحركت. الطُروق: التي يطرقها الفحول. كُلف: سود.

(٥) الشُّهْبُ: التي يخالط بياضها حُمرة. غُضْفُ: مسترخية الأذان.

(٦) المراد: جمع مزود وهو الوتد. العزف: الصوت.

(٧) الزجمة: الصوت. التذامر: الحَض. والنقف في الأصل: كسر الحنظلة واستخراج حبوبها، ويريد به هنا كسر رؤوس الأعداء.

(٨) مُلْحَبٌ: مقطع اللحم.

(٩) الحماطة: تبن الذرة خاصة. أغضى فوقها: أغمض عليها جفنيه. الشفر: منبت الشعر في جفن العين.

كَأَنَّهُ نَظْمٌ دُرٌّ عِنْدَ نَاطِمَةٍ
 يَا بُعْدَ مَنْزِلٍ مَنْ تَرَجُّو مَوَدَّتَهُ
 دَغٌ مَا تَقَدَّمَ مِنْ عَهْدِ الشُّبَابِ فَقَدْ
 وَاذْكُرْ بِلَاءَ سُلَيْمٍ فِي مَوَاطِنِهَا
 قَوْمٌ هُمْ نَصَرُوا الرَّحْمَنَ وَأَتَّبَعُوا
 لَا يَغْرِسُونَ فَسِيلَ النَّخْلِ وَسَطَّهَمَ
 إِلَّا سَوَابِحَ كَالْعُقْبَانِ مَقْرَبَةً
 تُذْعَى خُفَافٌ وَعَوْفٌ فِي جَوَانِبِهَا
 الضَّارِبُونَ جُنُودَ الشُّرْكَ ضَاحِيَةً
 حَتَّى دَفَعْنَا وَقْتْلَاهُمْ كَأَنَّهُمْ
 وَنَحْنُ يَوْمَ حُنَيْنٍ كَأَنَّ مَشْهَدَنَا
 إِذْ نَرَكِبُ الْمَوْتَ مَخْضَرًا بِطَائِفِهِ
 تَحْتَ اللَّوَاءِ مَعَ الضُّحَاكِ يَفْقَدُونَا
 فِي مَازِقٍ مِنْ مَجَزِ الْحَرْبِ كُلِّكُلْهَا
 وَقَدْ صَبَبْنَا بِأَوْطَاسٍ أَسْنَيْنَا
 حَتَّى تَأُوبَ، أَقْوَامٌ مَنَازِلَهُمْ
 فَمَا تَرَى مَغْشَرًا قَلُّوا وَلَا كَثُرُوا
 وَقَالَ عَبَّاسُ بْنُ مِرْدَاسٍ أَيْضًا:
 يَأْيُهَا الرَّجُلُ الَّذِي تَهْوِي بِهِ
 إِمَّا أَتَيْتَ عَلَى النَّبِيِّ فَقُلْ لَهُ

تَقَطَّعَ السَّلْكَ مِنْهُ فَهُوَ مُنْتَثِرٌ^(١)
 وَمَنْ أَتَى دُونَهُ الصَّمَانُ فَالْحَفَرُ^(٢)
 وَلَى الشُّبَابِ وَزَارَ الشُّيْبُ وَالرُّعْرُ^(٣)
 وَفِي سُلَيْمٍ لِأَهْلِ الْفَخْرِ مُنْتَخِرِ
 دِينَ الرَّسُولِ وَأَمْرُ النَّاسِ مُشْتَجِرِ
 وَلَا تَخَاوُزُ فِي مَشْتَاهِمِ الْبَقْرِ^(٤)
 فِي دَاوَةَ حَوْلِهَا الْأَخْطَارُ وَالْعَكْرُ^(٥)
 وَحَيْ ذَكَوَانَ لَا يَمِيلُ وَلَا ضَجْرُ^(٦)
 بِبَطْنِ مَكَّةَ وَالْأَرْوَاحُ تَبْتَدِرُ
 نَخْلٌ بِظَاهِرَةِ الْبَطْحَاءِ مُنْقَعِرِ
 لِلدَّيْنِ عِزًّا وَعِنْدَ اللَّهِ مُدْخِرِ
 وَالْخَيْلُ يَنْجَابُ عَنْهَا سَاطِعُ كَدِيرِ^(٧)
 كَمَا مَشَى اللَّيْثُ فِي غَابَاتِهِ الْخَدِيرِ^(٨)
 تَكَادُ تَأْفُلُ مِنْهُ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ^(٩)
 لَلَّهِ نَنْصُرُ مَنْ شِئْنَا وَنَنْتَصِرُ
 لَوْلَا الْمَلِيكُ وَلَوْلَا نَحْنُ مَا صَدَّرُوا
 إِلَّا قَدْ أَضْبَحَ مِنَّا فِيهِمْ أَثَرِ

وَجَنَاءَ مُجَمَّرَةَ الْمَنَاسِمِ عِزْمِسُ^(١٠)
 حَقًّا عَلَيْكَ إِذَا اظْمَأَنَّ الْمَجْلِسُ

- (١) منتشر: متفرق.
 (٢) الصَّمَانُ: متفرق. موضعان.
 (٣) الرُّعْرُ: قلة الشعر أو تفرق الشعر فوق الرأس.
 (٤) الفسيل: صغار النخل. أي هم ليسوا أهل زرع ولا رعاة بقر وإنما جُل عملهم الحرب.
 (٥) السوابح: الخيل السريعة. والعُقبان: جمع عقاب. طائر من الجوارح قوي المخالب أعقف المنقار حاذ البصر. يُطلق على المذكر والمؤنث. مقربة: قريبة من الدور محافظة عليها لكرمها. الدارة: ما أحاط بالشيء. الأخطار: جماعات الإبل. العكر: الإبل الكثيرة.
 (٦) الميئل: الذين لا سلاح معهم.
 (٧) ساطع: أي غبار ساطع وهو المتفرق.
 (٨) الخادر: الداخل في خذره وهو أكمة الأسد.
 (٩) الكلكل: الصدر.
 (١٠) الوجناء: الضخمة. المُجَمَّرَةُ: مجتمعة الجسم. المناسم: مقدم خف البعير. العزمس: الشديدة.

فوق التراب إذا تُعَدُّ الأَنْفُسُ
والخيلُ تُقَدِّعُ بالكُماة وتُضْرَسُ (١)
جمعُ تَظَلَّ به المخارِمُ تَرْجُسُ (٢)
شَهْبَاءٌ يقدُمُها الهُمَامُ الأَشْوَسُ (٣)
بيضاء مُحكَمة الدِّخَالُ وَقَوْنَسُ (٤)
وتخاله أسداً إذا ما يَغْبِسُ
عَضْبٌ يقدُّ به ولذَنٌ مِدْعَسُ (٥)
ألفٌ أمدُّ به الرِّسُولُ عَرَنْدَسُ (٦)
والشَّمْسُ يومئذٍ عليهم أشمس
واللَّهُ ليسَ بضائعٍ من يَحْرُسُ
رَضِيَ الإلهُ بِهِ فَنِعَمَ المَحْبِسُ
كفَّتِ العدوُّ وقيل منها: يا احبسوا
تذِي تَمُدُّ به هوازُنٌ أَيْبَسُ
عَيْرٌ تَعاقِبُهُ السَّبَاعُ مُفَرَّسُ

قال ابن هشام: أنشدني خلف الأحمر قوله: «وقيل منها يا احبسوا».

يا خَيْرَ من رَكِبَ المِطِيَّ ومن مَشَى
إنَّا وَقَيْنَا بالذي عاهدتْنا
إذا سألَ مِن أَفناء بُهْتةَ كُلِّها
حتى صَبَحْنَا أَهْلَ مَكَّةَ فَيَلْقَا
من كُلِّ أَغْلَبَ من سُلَيْمِ فوقهُ
يُرَوِي القناة إذا تجاسرَ في الوَعَى
يَغشى الكَتِيبَةَ مُغَلِّماً وبِكَفِّه
وعلى حُنَيْنٍ قد وَفَى مِن جَمْعِنَا
كأنوا أَمامَ المُؤمِنينَ دَرِيئةً
نَمْضِي وَيَحْرُسُنَا الإلهُ بِحِفْظِهِ
ولقد حُبِسْنَا بالمَناقِبِ مَحْبِساً
وَعَدَاةَ أَوْطاسٍ شَدَدْنَا شَدَّةً
تَدْعُو هوازُنٌ بالإخاوةِ بَيْنِنَا
حتى تَرَكَنا جَمْعَهُم وكأَنه

قال ابن إسحاق: وقال عباس بن مرداس أيضاً:

بألفِ كَمِيٍّ لا تُعَدُّ حَوايِسِرُهُ (٧)
يذودُ بها في حَومةِ الموتِ ناصِرُهُ
غداةَ حنينٍ يومَ صفوانَ شاجِرُهُ (٨)
وكانَ لَنَا عَقْدُ اللُؤاءِ وشاهِرُهُ
يُشاوِرُنَا في أمرِهِ ونُشاوِرُهُ
وكُنَّا لَهُ عَوناً على مَنْ يُناكِرُهُ (٩)
وأيدُهُ بالئَضْر والئُهُ ناصِرُهُ

نَصَرْنَا رسولَ الله من عَضْبٍ له
حَمَلْنَا له في عايلِ الرِّمَحِ رايةً
ونحنَ حَضَبُنَها دَماً فهو لَوُئُها
وكُنَّا على الإسلامِ مَيَمَنَةٌ له
وكُنَّا لَهُ دُونَ الجُنودِ بِطائَةٍ
دعانا فسمَّانا الشُّعارَ مُقَدِّماً
جَزَى اللهُ خَيْراً من نبيِّ محمداً

(١) تُقَدِّعُ: تُكفِّفُ. تَضْرَسُ: تَجرح.

(٢) بُهْتةٌ: حَيٌّ من سُلَيْمِ. المخارِمُ: الطرق الجبلية. تَرْجُسُ: تتحرك.

(٣) الأشْوَسُ: الذي يَظنُّ نَظراً المتكَبِّراً. (٤) القَوْنَسُ: أعلى بِيضَةِ الحديدِ.

(٥) العَضْبُ: السيفُ القاطعُ. لَذَنٌ: لِينٌ. مِدْعَسٌ: طعانٌ.

(٦) عَرَنْدَسٌ: شديدةٌ. (٧) الحواسرُ: الذين لا دروعَ عليهم.

(٨) شاجِرُهُ: خالطَهُ بالرِمحِ.

(٩) أصلُ الشُّعارِ: الثيابُ التي تلي الجسدِ. كنايةٌ عن القربِ.

قال ابن هشام: أنشدني من قوله: «وكثنا على الإسلام» إلى آخرها، بعض أهل العلم بالشعر، ولم يعرف البيت الذي أوله: «حملنا له في عامِلِ الرمح راية»، وأنشدني بعد قوله: «وكان لنا عَقْد اللّواء وشاهره»، «ونحن خَضْبناه دماً فهو لونه».

قال ابن إسحاق: وقال عباس بن مرداس أيضاً:

مَنْ مُبْلِغِ الْأَقْوَامِ أَنْ مُحَمَّدًا رَسُولَ الْإِلَهِ رَاشِدَ حَيْثُ يَمُّمَا
دَعَا رَبُّهُ وَاسْتَنْصَرَ اللَّهَ وَخَدَّهُ فَأَصْبَحَ قَدْ وَقَى إِلَيْهِ وَأَنْعَمَا
سَرَيْنَا وَوَاعَدْنَا قُدَيْدًا مُحَمَّدًا يَزُومُ بِنَا أَمْرًا مِنَ اللَّهِ مُخَكَّمَا
تَمَارَوْا بِنَا فِي الْفَجْرِ حَتَّى تَبَيَّنُوا مَعَ الْفَجْرِ فِتْيَانًا وَغَابًا مُقُومًا^(١)
عَلَى الْخَيْلِ مَشْدُودًا عَلَيْنَا دُرُوعُنَا وَرَجَلًا كَدْفَاعِ الْإِتْيِ عَرَمَرَمَا^(٢)
فِي أَنْ سَرَاةِ الْحَيِّ إِنْ كُنْتَ سَائِلًا سُلَيْمٌ وَفِيهِمْ مِنْهُمْ مَنْ تَسَلَّمَا^(٣)
وَجُنْدٌ مِنَ الْأَنْصَارِ لَا يَخْذُلُونَهُ أَطَاعُوا فَمَا يَغْصُونَهُ مَا تَكَلَّمَا
فِي أَنْ تَكُ قَدْ أَمْرَتْ فِي الْقَوْمِ خَالِدًا وَقَدُمْتَهُ فَلِئْهُ قَدْ تَقَدَّمَا
بِجُنْدِ هَدَاهُ اللَّهُ أَنْتَ أَمِيرُهُ تُصِيبُ بِهِ فِي الْحَقِّ مَنْ كَانَ أَظْلَمَا
حَلَفْتُ يَمِينًا بَرَّةً لِمُحَمَّدٍ فَأَكْمَلْتُهَا أَلْفًا مِنَ الْخَيْلِ مُلْجَمَا
وَقَالَ نَبِيُّ الْمُؤْمِنِينَ تَقَدَّمُوا وَحُبِّ إِلَيْنَا أَنْ نَكُونَ الْمُقَدَّمَا
وَبِثْنَا بِنَهْيِ الْمُسْتَدِيرِ وَلَمْ يَكُنْ بِنَا الْخَوْفُ إِلَّا رَغْبَةً وَتَحَزُّمًا
أَطْعَمْنَاكَ حَتَّى أَسْلَمَ النَّاسُ كُلُّهُمْ وَحَتَّى صَبَخْنَا الْجَمْعَ أَهْلَ يَلْمَلَمَا^(٤)
يَضِلُّ الْحِصَانُ الْأَبْلَقُ الْوَزْدُ وَسَطَهُ وَلَا يَطْمَئِنُّ الشَّيْخُ حَتَّى يُسُومَا^(٥)
سَمَوْنَا لَهُمْ وَزِدَ الْقَطَا زَقَهُ ضَحَى وَكُلَّ تَرَاهُ عَنْ أَخِيهِ قَدْ أَحْجَمَا^(٦)
لَدُنْ غُدُوَّةٍ حَتَّى تَرَكْنَا عَشِيَّةً حُنَيْنًا وَقَدْ سَأَلْتَ دَوَافِعُهُ دَمًا^(٧)
إِذَا شِئْتَ مِنْ كُلِّ رَأْيَتِ طَيْرَةٍ وَفَارَسَهَا يَهْوِي وَرُمَحًا مُحَطَّمَا^(٨)
وَقَدْ أَحْرَزْتَ مَنَا هَوَازُنُ سَرْبَهَا وَحُبِّ إِلَيْهَا أَنْ نَخِيبَ وَنُخْرَمَا^(٩)

(١) تماروا: شكوا. الغاب: الرماح.

(٢) يريد بمن تسلما: أن في سليم من اعتزى إليهم من حلفائهم، فتسلم بذلك، كما تقول تقيس الرجل، إذا اعتزى إلى قيس. أنشد سيبويه:

وقيس عيلان ومن تقيسا

(الروض الأنف ٤/١٤٧).

(٤) يللم: ميقات حجاج اليمن ومن أتوا عن طريقها.

(٥) الأبلق: الذي يختلط لونه بالسواد والبياض. والوزد: المشرب بالحمرة. يسوم: يعلم.

(٦) القطا: طائر. زقه: أسرع به.

(٧) دوافع: مجاري السيل.

(٨) الطيرة: الفرس السريعة.

(٩) السرب: المال الراعي.

قال ابن إسحاق: وقال ضَمْضَم بن الحارث بن جُشَم بن عَبْدِ بن حَبِيب بن مالك بن عَوْف بن يَظْظَة بن عَصِيَّة السُّلَمِيّ في يوم حُنَيْن، وكانت ثَقِيف أصابت كنانة بن الحَكَم بن خالد بن الشَّرِيد، فقتل به مِخْجَنًا وابن عم له، وهما من ثَقِيف:

إلى جَرَشٍ من أهل زِيَّان والْقَم
طَوَاغِي كَانَتْ قَبْلَنَا لَمْ تُهَدَّم
تَرَكْتُ بَوَجْ مَاتِمًا بَعْدَ مَاتِم
جَوَازِكُمْ وَكَانَ غَيْرَ مُدْمَم
وَأَسْيَافُنَا يَكْلِمُنَّهُمْ كُلَّ مَكَلَم

نَحْنُ جَلَبْنَا الْخَيْلَ مِنْ غَيْرِ مَجَلَبٍ
تُقْتَلُ أَشْبَالَ الْأَسُودِ وَنَبْتِغِي
فَإِنْ تَفَخَّرُوا بِابْنِ الشَّرِيدِ فَإِنِّي
أَبَاتُهُمَا بِابْنِ الشَّرِيدِ وَغَرَّهُ
تُصِيبُ رَجَالًا مِنْ ثَقِيفٍ رِمَاحُنَا
وقال ضَمْضَم بن الحارث أيضاً:

لَا تَأْمَنَّ الدُّهْرَ ذَاتَ خِمَارٍ
قَدْ كُنْتُ لَو لَبِثَ الْعَزِيَّ بِدَارٍ
وَعَرُّ الْمَصِيفَةِ وَالْعِظَامِ عَوَارِي (١)
مُتَسَرِّبًا فِي دَزَعِهِ لِنَوَارٍ (٢)
جَزْدَاءُ تُلَجِّحُ بِالنُّجَادِ إِزَارِي (٣)
كُتِبَتْ مُجَاهِدَةً مَعَ الْأَنْصَارِ
مَهَلًا تَمَهَّلُهُ وَكُلَّ خَبَارٍ (٤)
وَتَوَدُّ أَنِّي لَا أُؤُوبُ فَجَجَارٍ (٥)

أَبْلِغُ لَدَيْكَ ذَوِي الْحَلَاتِلِ آيَةً
بَغْدِ الثِّيِّ قَالَتْ لِحِجَارَةِ بَيْتِهَا
لَمَّا رَأَتْ رَجُلًا تَسْفَعُ لَوْنَهُ
مُشْطُ الْعِظَامِ تَرَاهُ آخِرَ لَيْلِهِ
إِذَا لَا أَزَالَ عَلَى رِحَالِهِ نَهْدَةَ
يَوْمًا عَلَى أَثَرِ النَّهَابِ وَتَارَةً
وَزُهَاءَ كُلِّ خَيْلَةٍ أَزْهَقَتْهَا
كَيْمَا أُغَيِّرُ مَا بَهَا مِنْ حَاجَةٍ

قال ابن هشام: حدثني أبو عبيدة، قال: أسير زهير بن العجوة الهذلي يوم حنين، فكتيف، فراه جميل بن مَعَمَر الجُمَحِيُّ، فقال له: أنت الماشي لنا بالمغايظ؟ فضرب عنقه؛ فقال أبو خراش الهذلي يَرْتِيهِ، وكان ابن عمه (٦):

بِذِي فَجَرٍ تَأْوِي إِلَيْهِ الْأَرَامِلُ
إِذَا اهْتَزَّ وَاسْتَرْخَتْ عَلَيْهِ الْحَمَائِلُ (٧)
مِنْ الْجُودِ لَمَّا أذْلَقْتَهُ الشَّمَائِلُ (٨)

عَجَّفَ أَضْيَافِي جَمِيلُ بْنُ مَعَمَرٍ
طَوِيلِ نِجَادِ السَّيْفِ لَيْسَ بِجَعِيدِ
تَكَادُ يَدَاهُ تُسَلِّمَانِ إِزَارَةً

(١) تسفع: تغتبر إلى السفعة. وهي سواد مشبع بحُمْرة. الوغر: شدة الحر. المصيفة: الأرض شديدة الحرارة.

(٢) مشط العظام: قليل اللحم الذي على عظمه. لغوار: للإغارة.

(٣) الرحالة: السزج. نهدة: غليظة. النجاد: حمائل السيف.

(٤) الخيملة: الموضع الكثير الشجر. الخبر: ما لان واسترخى من الأرض.

(٥) فجار: تستعمل في النداء عادة فيقال يا فجار للمرأة الفاجرة.

(٦) واسمه خويلد بن مَرَّة. شاعر إسلامي مات في خلافة عمر.

(٧) الجعير: القصير.

(٨) يريد أنه من كثرة سخائه يوشك أن يتجرد من إزاره يعطيه سائله والشمال: الرياح الباردة التي تأتي من ناحية الشمال.

أذلقته: أجهده.

وَمُسْتَنْبِحٌ بِالدَّرِيسَيْنِ عَائِلٌ^(١)
 لَهَا حَدَبٌ تَحْتَهُ فَيُؤَاتِلُ^(٢)
 وَقَدْ بَانَ مِنْهَا اللُّؤْذَعِيُّ الحُلَاحِلُ^(٣)
 لَأَبِكَ بِالنُّعْفِ الضَّبَاعِ الجِيَائِلُ^(٤)
 فَنَازَلْتَهُ أَوْ كُنْتَ مَمَّنْ يُنَازِلُ
 وَلَكِنْ قِزْنَ الظُّهْرِ لِلْمَرْءِ شَاغِلُ
 وَلَكِنْ أَحَاطَتْ بِالرَّقَابِ السَّلَاسِلُ
 سِوَى الحَقِّ شَيْئاً وَاسْتِرَاحَ العِوَازِلُ
 أَهَالٌ عَلَيْهِمْ جَانِبَ الثُّزْبِ هَائِلُ
 بِمَكَّةَ إِذْ لَمْ نَعُدْ عَمَّا نَحَاوِلُ
 وَإِذْ نَحْنُ لَا تُثْنِي عَلَيْنَا المَدَاخِلُ^(٥)

قال ابن إسحاق: وقال مالك بن عوف وهو يعتذر يومئذ من فراره:

نَعَمْ بِأَجْزَاعِ الطَّرِيقِ مُخْضَرَمٌ^(٦)
 وَأَعْيُنُ غَارِمَهَا إِذَا مَا يَغْرَمُ
 فِتْنَتَيْنِ مِنْهَا حَاسِرٌ وَمُلَامٌ
 قُدِّمَتْهُ وَشُهُودٌ قَوْمِي أَعْلَمُ^(٧)
 يَرِدُونَ عَمْرَتَهُ وَعَمْرَتَهُ الدَّمُ
 مَجْدَ الحَيَاةِ وَمَجْدَ غَنَمٍ يُقْسَمُ
 وَاللَّهْ أَعْلَمُ مَنْ أَعَقُّ وَأَظْلَمُ
 وَخَذَلْتُمُونِي إِذْ تُقَاتِلُ خُثَعَمُ
 لَا يَسْتَوِي بَانَ وَأَخْرَى يَهْدِمُ

إلى بيته يأوي الضربك إذا شتا
 تروح مقروراً وهبت عشيّة
 فما بال أهل الدار لم يتصدعوا
 فأقسم لولا قيته غير مؤثق
 وإنك لو واجهته إذ لقيته
 لظلّ جميل أفحش القوم صرعة
 فليس كعهد الدار يا أم ثابت
 وعاد الفتى كالشئخ ليس بفاعل
 وأصبح إخوان الصفاء كأنما
 فلا تخسبي آتي نسيث ليالياً
 إذ الناس ناس والبلاد بغيرة

مَنَعَ الرَّقَادَ فَمَا أغمَضُ سَاعَةً
 سَائِلٌ هِوَايَ هَلْ أَضْرُ عَدْوَهَا
 وَكَتِيبَةَ لَبَسْتُهَا بِكَتِيبَةِ
 وَمُقَدِّمٌ تَغْيَا الثُّفُوسُ لِضَيْقِهِ
 فَوَرَدْتَهُ وَتَرَكْتُ إِخْوَاناً لَهُ
 فَإِذَا انْجَلَتْ غَمْرَاتِهِ أَوْرَثْتَنِي
 كَلْفْتُمُونِي ذَنْبِ آلِ مُحَمَّدٍ
 وَخَذَلْتُمُونِي إِذْ أَقَاتِلُ وَاحِداً
 وَإِذَا بَنَيْتُ المَجْدَ يَهْدِمُ بَعْضُكُمْ

- (١) الضربك: الفقير. المستنبح: من يطرق ديار القوم ليلاً فينبح، فتجاوبه كلاب الحي ليعرف مكان العمران. الدريسان: الثوبان الخلقان. عائل: فقير.
- (٢) المقرور: الذي أصابه القَر وهو البرد. والحدب في الأصل: انحدار الماء بشدة شبه به الريح المضطربة. تحتته: تسوقه سوقاً سريعاً. يوائل: يطلب مؤثلاً، أي يطلب ملجئاً.
- (٣) لم يتصدعوا: لم يتفرقوا. اللوذعي: الفصيح. الحلاحل: السيد.
- (٤) أبك: رجع إليك. النعف: أسفل الجبل. الجيائل: جمع جيئل: الضبع أيضاً.
- (٥) بغلة: بغلة.
- (٦) النعم: الإبل: المخضمة: مقطوعة أطراف الأذان.
- (٧) المقدم: الموضع الذي لا يتقدم فيه إلا الأبطال.

وأقْبَ مِخْمَاصِ الشِّتَاءِ مُسَارِعٍ
أَكْرَهْتُ فِيهِ أَلَّةَ يَزْرِيَّةَ
وتركت حنَّته تردُّ وليِّه
ونصبتُ نفسي للرماح مُدْجِجاً
قال ابن إسحاق: وقال قائل في هوازن أيضاً، يذكر مسيرهم إلى رسول الله ﷺ مع مالك بن عوف بعد إسلامه:

أذْكَرُ مَسِيرَهُمْ لِلنَّاسِ إِذْ جَمَعُوا
ومالكُ مالِكُ ما فوقه أحدٌ
حتى لقوا الباسَ حينَ الباسُ يقدّمهم
فضارَبُوا النَّاسَ حتى لم يروا أحداً
ثُمَّ نَزَلَ جَبْرِيلُ بِنَصْرِهِمْ
منا ولو غيرُ جبريلٍ يُقاتِلنا
وفاتنا عَمَرَ الفاروقِ إِذْ هَزِمُوا
وقالت امرأة من بني جُشم ترثي أخوين لها أصيبا يوم حنين:

أعيني جوداً على مالك
هُما القاتِلانِ أبا عامرٍ
هما تركاهُ لدى مُجسَدٍ
مَعاً والعلاءِ ولا تُجمُداً
وقد كان ذا هبَّةٍ أزيذاً
يئوئُ نزيفاً وما وسُداً^(٧)

وقال أبو ثواب زيد بن ضحار، أحد بني سعد بن بكر:

ألا هل أتاك أن غلبت قريش
وكُنَّا يا قريش إذا غضبنا
وكُنَّا يا قريش إذا غضبنا
فأصبخنا تسوقنا قريش
هوازنَ والخُطوبُ لها شُرُوطُ
يجيء من الغضاب دم عبيط^(٨)
كأن أنوفنا فيها سَعوط
سياق العيرِ يخذوها التبيط^(٩)

(١) الأقب: ضامر الخصر. والمخماص: كذلك.

(٢) ألة: حربة. يزريئة: منسوبة إلى ذي يزن الجُميري وهو أحد ملوك جُمير. سحماء: سوداء. سلجم: طويل.

(٣) حنته: زوجته.

(٤) الدرية: هي الدرية: حلقة تُنصب فيتعلم عليها الطعن.

(٥) المعتنق: الأخير.

(٦) العلق: الدم.

(٧) المجسد: المصبوغ بالجساد وهو الزعفران. والمراد أن ثوبه قد صبغ بالدم.

(٨) العبيط: الطري.

(٩) البيط: في الأصل قوم كانوا يسكنون بين العراق والأردن أقاموا دولة عاصمتها البتراء ثم أطلقت هذه الكلمة على أخلاط الناس وعواتهم.

فلا أنا إن سُئِلْتُ الخَسْفَ أبِ
سُئِنُقَلْ لحمها في كلِّ فَجٍّ

ويُروى «الخطوط»، وهذا البيت في رواية أبي سعد.

قال ابن هشام: ويقال: أبو ثواب زياد بن ثواب. وأنشدني خلف الأحمر قوله: «يجيء من الغضاب دم عبيط»، وآخرها بيتاً عن غير ابن إسحاق.

قال ابن إسحاق: فأجابه عبد الله بن وهب رجل من بني تميم، ثم من بني أسيد، فقال:

بَشْرِطِ اللّٰه نَضْرِبُ مَنْ لَقِينَا
وَكُنَّا يَا هَوَازُنُ حَيْثُ نَلْقَى
بِجَمْعِكُمْ وَجَمْعِ بَنِي قَيْسِي
أَصْبِنَا مِنْ سَرَاتِكُمْ وَمَلْنَا
بِهِ الْمُملَاتُكَ مُفْتَرِشٌ يَدَيْهِ
فَإِنَّ تَكَ قَيْسُ عَيْلَانَ غَضَاباً
وقال حديج بن العوجاء النَّضْرِي:

لَمَّا دَنَوْنَا مِنْ حُنَيْنٍ وَمَائِهِ
بِمَلْمُومَةٍ شَهْبَاءَ لَوْ قَذَفُوا
وَلَوْ أَنَّ قَوْمِي طَاوَعَتْنِي سَرَاتِهِمْ
إِذْ نَ مَالَقِينَا جُنْدَ آلِ مُحَمَّدٍ
رَأَيْنَا سَوَاداً مِنْكَرَ اللُّونِ أَخْصَفَا^(٤)
بِهَا شَمَارِيخَ مِنْ عَزْوَى إِذْ نَ عَادَ صَفْصَفَا^(٥)
إِذْ نَ مَالَقِينَا الْعَارِضَ الْمُتَكَشِّفَا^(٦)
ثَمَانِينَ أَلْفَاً وَاسْتَمَدُّوا بِخَنْدَفَا^(٧)

(١) القطوط: الكتب التي تُجمع فيها الأعمال.

(٢) الكلكل: صدر البعير. الورق الخبيط: الذي ضرب بتالعصا ليسقط. شبه شدة الحرب بما سبق.

(٣) الملتات: اسم رجل. البكر: الفتى من الإبل. والنحيط: من يردد النَّفس في صدره فتسمع له صوتاً.

(٤) سواداً: أشخاصاً. الأخصف: الملون.

(٥) الملمومة: الكتيبة المجتمعة. شهباء: كثيرة السلاح. الشماريخ: أعالي الجبال. صفصفاً: مستوياً بالأرض.

(٦) العارض: السحاب. المتكشّف: الواضح. يشبهه جنود المسلمين.

(٧) خندف: اسم قبيلة.

ذكر غزوة الطائف^(١) بعد حنين في سنة ثمان^(٢)

ولما قَدِمَ قُلٌّ^(٣) ثقيفِ الطائفَ، أغلقوا عليهم أبوابَ مدينتها، وصنَعوا الصنائع للقتال. ولم يشهد حُنيناً ولا حصارَ الطائفِ عروَةَ بن مسعود، ولا غَيدن بن سَلَمَة، كانا بجرَش يتعلَّمان صنعة الدُّبَابات والمجانيق والضُّبور^(٤).

ما قيل من الشعر في غزوة الطائف: ثم سار رسول الله ﷺ إلى الطائف حين فرغ من حنين؛ فقال كعب بن مالك، حين أجمع رسول الله ﷺ السيرَ إلى الطائف:

فَصَيْنَا مِنْ تِهَامَةَ كُلِّ رَبِّ
نُخَيْرُهَا وَلَوْ نَطَقَتْ لِقَالَتْ
فَلَسْتُ لِحَاضِنٍ إِنْ لَمْ تَرَوْهَا
وَتَنَزَّغُ العُرُوشَ بِبَطْنِ وَجْ
وَيَأْتِيكُمْ لَنَا سَرَعَانُ خَيْلٍ
إِذَا نَزَلُوا بِسَاحَتِكُمْ سَمِعْتُمْ
بِأَيْدِيهِمْ قَوَاضِبُ مُزَهَفَاتٍ
كَأَمْثَالِ العَقَائِقِ أَخْلَصَتْهَا
وَخَيْبَرٌ تَمَّ أَجْمَمْنَا السُّيُوفَا^(٥)
قَوَاطِعُهُنَّ: دَوْسًا أَوْ ثَقِيفَا
بَسَاحَةَ دَارِكُمْ مَثَا أَلُوفَا
وَتُضْبِخُ دُورِكُمْ مِنْكُمْ خُلُوفَا
يُغَادِرُ خَلْفَهُ جَمْعًا كَثِيفَا
لَهَا مِمَّا أَنَاخَ بِهَا رَجِيفَا
يُزِرُّنَ الْمُضْطَلِّينَ بِهَا الحُتُوفَا
فَيُؤْنِ الهِنْدِ لَمْ تُضْرَبَ كَتِيفَا^(٦)

(١) وأصل تسميتها كما ذكر بعض أهل التَّسَبُّبِ أنَّ الدَّمونَ بن الصدف، واسم الصدف. ملك بن مالك بن مرتع بن كِنْدَةَ من حَضْرَمَوْتِ أَصَابَ دَمًا من قومه، فلاحق بثقيف، فأقام فيهم، وقال لهم: ألا أبني لكم حائطًا يُطِيفُ ببلدكم، فبناه. فسمي به الطائف، وذكره البكري هكذا قال: وإنما الدَّمونَ بن عبد بن مالك بن دهقل، وهو من الصدف، وله ابنان أدركا النبي ﷺ وبإيعاده، اسم أحدهما: الهَمَيْلُ، والآخر: قبيصة، ولم يذكرها أبو عمر في الصحابة، وذكرهما غيره. (الروض الأنف ٤/ ١٩١).

(٢) انظر عنها في: المغازي لعروة ٢١٦ وتاريخ اليعقوبي ٦٤/٢، والمغازي للواقدي ٩٢٢/٣، وتاريخ خليفة ٨٩، والطبقات الكبرى لابن سعد ١٥٨/٢، وتاريخ الطبري ٨٢/٣، وصحيح البخاري ١٠٢/٥، وصحيح مسلم ١٤٠٢/٣، وجوامع السيرة لابن حزم ٢٤٢، والدرر في المغازي والسير لابن عبد البر ٢٤٣، ونهاية الأرب للنويري ٣٣٥/١٧، وتاريخ الإسلام للذهبي (المغازي) ٥٩١، وأنساب الأشراف ٣٦٦/١، والكمال في التاريخ ٢٦٦/٢، ومجمع الزوائد ١٩٠/٦، والمحبر لابن حبيب ١١٥، ومرآة الجنان ١٥/١، والبلد والتاريخ ٢٣٧/٤، وعيون الأثر ٢٠٠/٢، وعيون التواريخ ٣٣٣/١، وسيرة ابن كثير ٦٥٢/٣، ومعجم البلدان ١١/٤، ١٢.

(٣) القل: الجيش المنهزم.

(٤) الذبابة: آلة من آلات الحرب يدخل فيها الرجال فيدبّون بها إلى الأسوار لينقبوها. والمنجنيق: آلة حربية من آلات الحصار ترمي الحجارة وغيرها من القذائف وجمعها مجانق ومجانيق ومنجنيقات. والضُّبور: مثل رؤوس الأسفاط يُتَّقَى بها في الحرب عند الانصراف، وفي العيين: الضُّبُرُ جلود يُغْشَى بها خشب يُتَّقَى بها في الحرب. (الروض الأنف ٤/ ١٦٢) وانظر الخبر في: تاريخ الطبري ٨٤/٣، وتاريخ الإسلام (المغازي) ٥٩٢.

(٥) أجممنا: أرخنا.

(٦) الكتيّف: الصفائح الحديد.

تخال جديّة الأبطال فيها
 أجدهم أيسس لهم نصيح
 يخبرهم بأنا قد جمعنا
 وأنا قد آتيناهم بزحف
 رئيسهم النبي وكان ضلماً
 رشيد الأمر ذو حكم وعلم
 نطيع نبيّنا ونطيع ربنا
 فإن تلقوا إلينا السلم نقبل
 وإن تابوا نجاهدكم ونصبر
 نجالد ما بقينا أو تنيبوا
 نجاهد لا نبالي من لقينا
 وكم من مغشّر البواعلينا
 آتونا لا يرون لهم كفاء
 بكل مهتد لين صقيل
 لأمر اللّه والإسلام حتى
 وننسى ثلاث والعزى وود
 فأمسوا قد أقروا واطمأنوا

فأجابه كنانة بن عبد ياليل بن عمرو بن عمير، فقال:

من كان يبغينا يزيد قتالنا
 وجدنا بها الآباء من قبل ما ترى
 وقد جرّثنا قبل عمرو بن عامر

فلأنا بدار مغلم لا نريمها
 وكانت لنا أطواؤها وكرومها^(٩)
 فأخبرها ذو رأيها وحليمها^(١٠)

(١) الجديّة: الدماء السائلة. الجادي: الزعفران، مدّوف: مخلوط.

(٢) أجدهم: أجد منهم. عريفاً: عارفاً. (٣) الطروف: نجية الأصل.

(٤) الريف في الأصل: الأرض المخصصة المُنزّعة خارج المدن. وامرأ أن يجعلهم مساعدين لهم مستمدين عيشهم من ريفهم.

(٥) العرش: المتقلب. (٦) مضيف: ملجئ.

(٧) التلاد: المال الموروث: الطريف: المال المستحدث.

(٨) الشنوف والأشناف جمع شنف: حلية تُعلّق في أعلى الأذن.

(٩) الأطواء: جمع طوى وهي البثر، جُمعت على غير قياس توهموا سقوط ياء فعل منها إذ كانت زائدة.

(١٠) إنّما قال هذا جواباً للأنصار، لأنهم بنو حارثة بن ثعلبة بن عمرو بن عامر، وعمرو وهو مُزّشقياء، وعامر هو ماء السماء، ولم يرد أنّ الأنصار جربتهم قبل ذلك، وإنّما أراد أخوتهم، وهم خزاعة لأنهم بنو ربيعة بن حارثة بن عمرو بن عامر في أحد الثولين، وقد كانوا حاربوهم عند نزولهم مكة، وقال البكري في معنى هذا البيت: إنّما أراد بني عمرو بن عامر =

وقد عَلِمْتُ أَنْ قَالَتِ الْحَقُّ أَنَّنَا
نُقَوْمُهَا حَتَّى يَلِينَنَّ شَرِيْسُهَا
عَلَيْنَا دَلَاصٌ مِنْ تُرَاثٍ مُحْرَقٍ
نُرْفِقُهَا عُنَّا بِبَيْضِ صَوَارِمٍ

قال ابن إسحاق: وقال شداد بن عارض الجُشمي في مَسِيرِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِلَى الطائف:
وَكَيْفَ يُنْصَرُّ مَنْ هُوَ لَيْسَ يُنْتَصِرُ
وَلَمْ يُقَاتِلْ لَدَى أَحْجَارِهَا هَدْرٌ
يَظْعَنُ وَلَيْسَ بِهَا مِنْ أَهْلِهَا بَشْرٌ

الطريق إلى الطائف: قال ابن إسحاق: فَسَلَكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى نَخْلَةِ الْيَمَانِيَّةِ، ثُمَّ عَلَى قَرْنِ،
ثُمَّ عَلَى الْمُنِيحِ، ثُمَّ عَلَى بُحْرَةِ الرُّغَاءِ مِنْ لَيْلَةٍ^(٤)، فابتنى بها مسجداً فصلَّى فيه^(٥).

قال ابن إسحاق: فحدثني عمرو بن شعيب: أنه أقاد يومئذ ببُحْرَةِ الرُّغَاءِ، حين نزلها، بدم، وهو
أول دم أُقيد به في الإسلام، رَجُلٌ مِنْ بَنِي لَيْثٍ قَتَلَ رَجُلًا مِنْ هُدَيْلٍ، فقتله به؛ وأمر رسولُ اللَّهِ ﷺ،
وهو بليَّةٌ، بحصن مالك بن عوف فهُدِمَ، ثم سلك في طريق يقال لها الصُّيْقَةُ، فلما توجه فيها رسولُ
اللَّهِ ﷺ سأل عن اسمها، فقال: «ما اسمُ هذه الطريق؟» فقيل له الصُّيْقَةُ، فقال: «بل هي اليُسْرَى»، ثم
خرج منها على نَخْبٍ، حتى نزل تحت سِدْرَةٍ يقال لها الصَّادِرَةُ، قريباً من مال رجل من ثقيف، فأرسل
إليه رسولُ اللَّهِ ﷺ: «إما أن تخرج، وإما أن نُحْرِبَ عَلَيْكَ حَائِطَكَ»؛ فأبى أن يخرج، فأمر رسولُ
اللَّهِ ﷺ بإخراجه^(٦).

ثم مضى رسولُ اللَّهِ ﷺ حتى نزل قريباً من الطائف، فضرب به عسكره، فقتل به ناسٌ من
أصحابه بالنَّبْلِ، وذلك أن العسكر اقترب من حائط الطائف، فكانت النَّبْلُ تَنَالُهُمْ، ولم يقدر المسلمون
على أن يدخلوا حائطهم، أغلقوه دونهم؛ فلما أصيب أولئك النَّفْرُ مِنْ أَصْحَابِهِ بِالنَّبْلِ، وضع عسكره
عند مسجده الذي بالطائف اليوم، فحاصره بضعاً وعشرين ليلة^(٧).

قال ابن هشام: ويقال سَبْعَ عَشْرَةَ لَيْلَةً.

= بن صعصعة، وكانوا مجاورين لثقيف وأمهم عمرة بنت عامر بن الظرب العدواني، وأختها زينب كانت تحت ثقيف، وأكثر
قبائل ثقيف منها، وكانت ثقيف قد أنزلت بني عمرو بن عامر في أرضهم ليعملوا فيها، ويكون لهم النصف في الزرع
والثمر، ثم إن ثقيفاً منعتهم ذلك، وتحصنوا منهم بالحائط الذي بنوه حول حاضرتهم، فحاربتهم بنو عمرو بن عامر، فلم
يظفروا منهم بشيء، وجلوا عن تلك البلاد. (الروض الأنف ٤/١٦٣).

(١) صعر خذَه: أماله إلى جهة تكبيراً.

(٢) دلاص: الدروع اللينة. محرق: عمرو بن عامر، لأنه أول من حرق العرب بالنار.

(٣) لا نشيمها: لا نغدها.

(٤) أسماء أماكن بالطائف.

(٥) المغازي للواقدي ٣/٩٢٤.

(٦) تاريخ الطبري ٣/٨٣، نهاية الأرب ١٧/٢٣٦، المغازي للواقدي ٣/٩٢٤، ٩٢٥.

(٧) تاريخ الطبري ٣/٨٣، المغازي للواقدي ٣/٩٢٧، تاريخ الإسلام (المغازي) ٥٩٢.

قال ابن إسحاق: ومعه امرأتان من نسائه، إحداهما أم سلمة بنت أبي أمية^(١)، فضرب لهما قُبَّتَيْن، ثم صلى بين القُبَّتَيْن. ثم أقام، فلما أسلمت ثقيف بنى على مُصَلَّى رسول الله ﷺ عمرو بن أمية بن وهب بن مُعْتَب بن مالك مسجداً، وكانت في ذلك المسجد سارية، فيما يزعمون، لا تطلع الشمس عليها يوماً من الدهر إلا سُمِع لها نَقِيض^(٢)، فحاصروهم رسول الله ﷺ، وقتلهم قتلاً شديداً، وتراموا بالثبل^(٣).

قال ابن هشام: ورامهم رسول الله ﷺ بالمنجنيق. حدثني من أثق به، أن رسول الله ﷺ أول من رمى في الإسلام بالمنجنيق، رمى أهل الطائف.

قال ابن إسحاق: حتى إذا كان يوم الشُدْحَة عند جدار الطائف، دخل نفر من أصحاب رسول الله ﷺ تحت دَبَابِيَة، ثم زحفوا بها إلى جدار الطائف ليخرقوه، فأزسَلت عليهم ثقيف سِكْكَ الحديد مُخْماً بالنار، فخرجوا من تحتها، فرمتهم ثقيف بالثبل، فقتلوا منهم رجالاً، فأمر رسول الله ﷺ بقطع أعصاب ثقيف، فوقع الناس فيها يقطعون^(٤).

أبو سفيان بن حرب والمغيرة يتفاوضان مع ثقيف: وتقدم أبو سفيان بن حرب والمغيرة بن شعبة إلى الطائف، فنادى: يا ثقيفاً أن أمنونا حتى نكلمكم فأمنوهما، فدعوا نساء من نساء من قريش وبنى كِنانة ليخرجن إليهما، وهما يخافان عليهن السبأ، فأبين، منهن آمنة بنت أبي سفيان، كانت عند عُرْوَة بن مسعود، له منها داود بن عُرْوَة^(٥).

قال ابن هشام: ويقال إن أم داود ميمونة بنت أبي سفيان، وكانت عند أبي مرة بن عُرْوَة بن مسعود، فولدت له داود بن أبي مرة.

قال ابن إسحاق: والفراسية بنت سويد بن عمرو بن ثعلبة، لها عبد الرحمن ابن قارب، والفقيمية أئمة بنت الناسء أمية بن قلع؛ فلما أبين عليهما، قال لهما ابن الأسود بن مسعود: يا أبا سفيان ويا مغيرة، ألا أدلكما على خير مما جئتما له، إن مال بني الأسود بن مسعود حيث قد علمتما، وكان رسول الله ﷺ بينه وبين الطائف، نازلاً بوادٍ يقال له العقيق، إنه ليس بالطائف مال أبعد رشاء، ولا أشد مؤنة، ولا أبعد عمارة من مال بني الأسود، وإن محمداً إن قطعه لم يُعمر أبداً فكلماه فليأخذ لنفسه، أو ليدعه لله والرحم، فإن بيننا وبينه من القرابة ما لا يُجهل؛ فزعموا أن رسول الله ﷺ تركه لهم^(٦).

أبو بكر يفسر رؤيا للرسول ﷺ: وقد بلغني أن رسول الله ﷺ قال لأبي بكر الصديق وهو محاصر ثقيفاً: يا أبا بكر، إنني رأيت آتي أهديت لي قعبة مملوءة زبداً، فنقرها ديك، فهراق ما فيها.

(١) والأخرى زينب بنت جحش. (تاريخ الطبري ٨٣/٣).

(٢) نقيض: صوت المحامل.

(٣) تاريخ الطبري ٨٤/٣، تاريخ الإسلام ٥٩٤.

(٤) تاريخ الطبري ٨٤/٣.

(٥) تاريخ الطبري ٨٤/٣، المغازي للواقدي ٩٢٩/٣.

(٦) المغازي للواقدي ٩٢٩/٣.

فقال أبو بكر: ما أظن أن تُذرك منهم يوماً هذا ما تريد. فقال رسول الله ﷺ: «وأنا لا أرى ذلك»^(١). ارتحال المسلمين عن الطائف: ثم إنَّ حُوَيْلَةَ بنتَ حَكِيم بنِ أُمَيَّة بنِ حَارِثَةَ بنِ الأَوْقَص السُّلَمِيَّة، وهي امرأة عثمان، قالت: يا رسول الله، أعطني إن فتح الله عليك الطائف حُلِيَّ بَادِيَةَ بنتِ غَيْلَانَ بنِ مَظْعُون بنِ سَلْمَةَ، أو حُلِيَّ الفَارَعَةِ بنتِ عَقِيل، وكانتا من أحلى نساء ثَقِيف^(٢).

فذكر لي أن رسول الله ﷺ قال لها: وإن كان لم يؤذن لي في ثَقِيفِ يا حُوَيْلَةَ؟ فخرجت حُوَيْلَةَ، فذكرت ذلك لعمر بن الخطَّاب، فدخل على رسول الله ﷺ، فقال: يا رسول الله ما حديثُ حَدَّثْتَنِيهِ حُوَيْلَةَ، زعمت أنك قلتها؟ قال: قد قلتها؛ قال: أو ما أُذِنَ لك فيهم يا رسول الله؟ قال: «لا». قال: أفلا أُؤذَنُ بالرحيل؟ قال: «بلى». قال: فأذُنُ عُمَرُ بالرحيل^(٣).

فلما استقلَّ الناسُ، نادى سعيد بن عُبَيْد بنِ أُسَيْد بنِ أَبِي عمرو بنِ عِلاج: ألا إنَّ الحَيَّ مقيم. قال: يقول عُبَيْنة بنِ حِصْن: أجل، والله مَجْدَةٌ كِرَامًا؛ فقال له رجل من المسلمين: قاتلك الله يا عُبَيْنة، أتمدح المشركين بالامتناع من رسول الله ﷺ، وقد جئت تنصر رسول الله ﷺ! فقال: إني والله ما جئت لأقاتل ثَقِيفًا معكم، ولكنني أردت أن يفتح محمد الطائف، فأصيب من ثَقِيفِ جارية أَتَطَّئُهَا^(٤)، لعلها تلد لي رجلاً، فإن ثَقِيفًا قوم مناكير^(٥).

عبيد الطائف ينزلون إلى المسلمين: قال ابن إسحاق: وحدثني من لا أتهم، عن عبد الله بن مُكَدَّم، عن رجال من ثَقِيف، قالوا: لَمَّا أسلم أهل الطائف تكلم نفر منهم في أولئك العبيد، فقال رسول الله ﷺ: «لا، أولئك عتقاء الله»؛ وكان ممن تكلم فيهم الحارث بن كَلْدَةَ^(٦).

قال ابن هشام: وقد سمى ابن إسحاق من نزل من أولئك العبيد.

شعر الضحَّاك بن سفيان وسببه: قال ابن إسحاق: وقد كانت ثَقِيفُ أصابت أهلاً لَمَرْوَانَ بنِ قَيْسِ الدَّؤُسِيِّ، وكان قد أسلم، وظاهر رسول الله ﷺ على ثَقِيف، فزعمت ثَقِيف، وهو الذي تزعم به ثَقِيف أنها من قَيْس: أن رسول الله ﷺ قال لَمَرْوَانَ بنِ قَيْس: خذ يا مروان بأهلك أول رجل من قَيْس تلقاه، فلقي أَبِي بن مالك التَّمِيزِي، فأخذه حتى يؤدوا إليه أهله، فقام في ذلك الضحَّاك بن سفيان الكِلَابِي، فكلم ثَقِيفًا حتى أرسلوا أهل مروان، وأطلق لهم أَبِي بن مالك، فقال الضحَّاك بن سفيان في شيء كان بينه وبين أَبِي بن مالك:

أَتَنَسَى بِلَائِي يَا أَبِي بَنَ مَالِكٍ غداة الرسولُ مُعْرِضٌ عنك أشوسُ^(٧)

(١) تاريخ الطبري ٨٤/٣، ٨٥ نهاية الأرب ٣٣٨/١٧.

(٢) أخرجه البخاري (١٠٢/٥) باب غزوة الطائف، ومسلم في كتاب السلام (٢١٨٠/٣٢) باب منع المخنث عن الدخول على النساء الأجانب. ومالك في الموطأ، كتاب الأفضية (رقم ١٤٥٣) باب ما جاء في المؤنث من الرجال ومن أحق بالولد. والذهبي في تاريخ الإسلام (المغازي) ٥٩٧، والنويري في نهاية الأرب ٨٣٣٨/١٧.

(٣) المغازي للواقدي ٩٣٥/٣، ٩٣٦، تاريخ الطبري ٩٥/٣، نهاية الأرب ٨٣٣٨/١٧.

(٤) في تاريخ الطبري «أتطنها».

(٥) تاريخ الطبري ٨٥/٣، المغازي للواقدي ٩٣٧/٣، الكامل في التاريخ ٢٦٧/٢.

(٦) المغازي للواقدي ٩٣٢/٣.

(٧) الأشوس: من يعرض بنظره إلى جهة أخرى.

يقودك مَرْوَانُ بن قَيْسٍ بحبله
فَعَادَتْ عَلَيْكَ مِنْ ثَقِيفٍ عَصَابَةٌ
فَكَأَنَّهُمْ هُمُ الْمَوْلَى فَعَادَتْ حُلُومُهُمْ
قال ابن هشام: «يُقْبِسُوا» عن غير ابن إسحاق.

الشهداء يوم الطائف: قال ابن إسحاق: وهذه تسمية من استشهد من المسلمين مع رسول الله ﷺ يوم الطائف.

من قُرَيْشٍ، ثم من بني أُمَيَّةَ بن عبد شمس: سعيد بن سعيد بن العاص بن أُمَيَّةَ، وعُرْفُطَةَ بن جَنَابٍ، حليف لهم، من الأَسَدِ بن العَوْثِ.
قال ابن هشام: ويقال: ابن حُبابٍ.
قال ابن إسحاق: ومن بني تَيْمٍ بن مُرَّةَ: عبد الله بن أبي بكر الصديق، رُمي بسهم، فمات منه بالمدينة بعد وفاة رسول الله ﷺ.

ومن بني مخزوم: عبد الله بن أبي أُمَيَّةَ بن المغيرة، من رَمِيَةٍ رُمِيَهَا يومئذ.

ومن بني عدي بن كَعْبٍ: عبد الله بن عامر بن ربيعة، حليف لهم.

ومن بني سهم بن عمرو: السائب بن الحارث بن قيس بن عدي، وأخوه عبد الله بن الحارث.

ومن بني سعد بن ليث: جُلَيْحَةَ بن عبد الله.

واستشهد من الأنصار: من بني سَلِمَةَ: ثابت بن الجَدْعِ.

ومن بني مازن بن النجار: الحارث بن سَهْلٍ بن أبي صعصعة.

ومن بني ساعدة: المنذر بن عبد الله.

ومن الأوس: رُقَيْمُ بن ثابت بن ثعلبة بن زيد بن لُوذَانَ بن معاوية.

فجميع من استشهد بالطائف من أصحاب رسول الله ﷺ اثنا عشر رجلاً، سبعة من قريش، وأربعة من الأنصار، ورجل من بني ليث^(٢).

قصيدة بُجَيْرِ بن زهير في حنين والطائف: فلما انصرف رسول الله ﷺ عن الطائف بعد القتال والحصار، قال بُجَيْرِ بن زهير بن أبي سَلْمَى يذكر حُنَيْنًا والطائف:

كَانَتْ عُلَالَةً يَوْمَ بَطْنِ حُنَيْنٍ وَغَدَاةَ أَوْطَاسٍ وَيَوْمَ الْأَبْرَقِ^(٣)

(١) المخيس: المنزل.

(٢) انظر: تاريخ الطبري ٨٥/٣، وتاريخ الإسلام (المغازي) ٥٩٧، ٥٩٨، والمغازي للواقدي ٩٣٨/٣، وعيون الأثر ٢/٢٠٢، ٢٠٣، ومجمع الزوائد ١٩٠/٦.

(٣) تاريخ الطبري ٨٥/٣.

(٤) العُلالة: جري بعد جري، أو قتال بعد قتال، يريد: أن هوازن جمعت جمعها عُلالَة في ذلك اليوم، وحذف التنوين من عُلالَة ضرورة، وأضمر في كانت اسمها، وهو القصة وإن كانت الرواية بخفض يوم. فهو أولى من التزام الضرورة القبيحة بالنصب، ولكن ألفيته في النسخة المقيدة، وإذا كان اليوم مخفوضاً بالإضافة جاز في عُلالَة مع إضافتها إلى يوم، على أن تكون كان تامة مكثفة باسم واحد، ويجوز أن تجعلها اسماً لعلماً للمصدر مثل بزة وفجار، ويُنصب يوم على الظرف كما تقيّد في النسخة. (انظر الروض الأنف ٤/١٦٥).

جَمَعَتْ بِإِغْوَاءِ هَوَازُنْ جَنَعَهَا
 لَمْ يَمْنَعُوا مِثْلًا مَقَامًا وَاجِدًا
 وَلَقَدْ تَعَرَّضْنَا لَكَيْمًا يَخْرُجُوا
 تَرْتَدَّ حَسْرَانًا إِلَى رَجْرَاجَةٍ
 مَلْمُومَةٍ خَضْرَاءَ لَوْ قَذَفُوا بِهَا
 مَشْيَ الصُّرَاءِ عَلَى الْهَرَّاسِ كَأَنَّا
 فِي كُلِّ سَابِغَةٍ إِذَا مَا اسْتَخَصَّنَتْ
 جُدْلٌ تَمَسُّ فُضُولَهُنَّ نِعَالِنَا
 فَتَبَدَّدُوا كَالطَّائِرِ الْمَتَمَزَّقِ
 إِلَّا جِدَارَهُمْ وَيَطْنُ الْخَنْدَقِ
 فَتَحَصَّنُوا مِثْلًا بِبَابٍ مُغْلَقِ
 شَهْبَاءَ تَلْمَعُ بِالْمَنَايَا فَيَلْتَقِ^(١)
 حَضْنَا لَظْلَ كَأَنَّهُ لَمْ يُخْلَقِ^(٢)
 قُدْرٌ تَفَرَّقُ فِي الْقِيَادِ وَتَلْتَقِي^(٣)
 كَالنُّهْيِ هَبَّتْ رِيحُهُ الْمَتَرَفَّرِقِ^(٤)
 مِنْ نَسْجِ دَاوُدَ وَآلِ مُحَرَّقِ^(٥)

أمر أموال هوازن وسباياها، وعطايا المؤلفلة

قلوبهم منها وإنعام رسول الله ﷺ فيها^(١)

ثم خرج رسول الله ﷺ حين انصرف عن الطائف على دحنا^(٧) حتى نزل الجعفرانة فيمن معه من الناس، ومعه من هوازن سني كثير وقد قال له رجل من أصحابه يوم طعن عن ثقيف: يا رسول الله، ادع عليهم؛ فقال رسول الله ﷺ: «اللهم اهد ثقيفاً واثب بهم»^(٨).

ثم أتاه وفد هوازن بالجعفرانة، وكان مع رسول الله ﷺ من سني هوازن ستة آلاف من الذراري والنساء، ومن الإبل والنساء ما لا يُدرى ما عدته.

قال ابن إسحاق: فحدثني عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جده عبد الله بن عمرو: أن وفد هوازن أتوا رسول الله ﷺ وقد أسلموا، فقالوا: يا رسول الله، إنا أضل وعشيرة، وقد أصابنا من البلاء

(١) حسرانا: جمع: حسير وهو الكليل. والرجراجة: الكتبية الضخمة من الرجرجة، وهي شدة الحركة والاضطراب. وفيلق: من الفلق، وهي الداهية.

(٢) ملمومة: مجتمعة. خضراء: تظهر كذلك لكثرة ما عليها من الحديد. حطن: اسم جبل.

(٣) الصراء: الكلاب. والهراس: نوع من الشوك، والكلاب إذا مشت في الهراس ابتغت لأيديها موضعاً ثم تضع أرجلها مضوع أيديها. شبه الخيل بها. والقدر: الوعول المستة.

(٤) النهي: الغدير سمي بذلك لأنه ماء ناه ما ارتفع من الأرض من السيلان فوقف.

(٥) الجدل: المنسوجة نسجاً محكماً. آل محرق: آل عمر بن هند ملك الحيرة.

(٦) انظر: تاريخ الطبري ٨٦/٣، والمغازي للواقدي ٩٤٣/٣ - ٩٤٩، والمغازي لعروة ٢١٨، ومجمع الزوائد ١٨٦/٦، والكمال في التاريخ ٢٦٨/٢، ونهاية الأرب ٣٣٩/١٧، والطبقات الكبرى ١٥٢/٢، ١٥٣، وعيون الأثر ١٩٣/٢.

(٧) دحنا: بفتح أوله وسكون ثانيه. من مخاليف الطائف، (معجم البلدان ٤٤٤/٢).

(٨) أخرج الترمذي نحوه في المناقب (٤٠٣٤) باب في ثقيف وبني حنيفة، عن أبي سلمة يحيى بن خلف، عن عبد الوهاب الثقفي، عن عبد الله بن عثمان بن خثيم، عن أبي الزبير، عن جابر قال: قالوا: يا رسول الله أحرقتنا نبال ثقيف فاذع الله عليهم. فقال: «اللهم اهد ثقيفاً». هذا حديث حسن صحيح غريب، وأخرجه أحمد في المسند ٣/٣٤٣ عن عبد الله، عن أبيه، عن محمد بن الصباح، عن إسماعيل بن زكريا، عن عبد الله بن عثمان بن خثيم، عن عبد الرحمن بن سابط، وأبي الزبير، عن جابر قال: قال رسول الله ﷺ: «اللهم اهد ثقيفاً» قال عبد الله: وسمعتنا أنا من محمد بن الصباح، فذكر مثله.

ما لم يخف عليك، فأمئن علينا، من الله عليك. قال: وقام رجل من هوازن، ثم أحد بني سعد بن بكر، يُقال له زهير، يكنى أبا صرد، فقال: يا رسول الله، إنما في الحظائر عماتك وخالاتك وحواضتك^(١) اللاتي كن يكفئنك، ولو أنا ملأنا^(٢) للحارث بن أبي شيمر، أو للنعمان بن المنذر، ثم نزل منا بمثل الذي نزلت به، رجونا عطفه وعائده علينا، وأنت خير المكفولين^(٣).

قال ابن هشام: ويروى ولو أنا ملأنا الحارث بن أبي شيمر، أو الثعمان بن المنذر.

قال ابن إسحاق: فحدثني عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جدّه عبد الله بن عمرو، قال: فقال رسول الله ﷺ: «أبناؤكم ونساؤكم أحب إليكم أم أموالكم؟» فقالوا: يا رسول الله، خيرتنا بين أموالنا وأحسابنا، بل تردّ إلينا نساءنا وأبنائنا، فهو أحب إلينا؛ فقال لهم: «أما ما كان لي ولبني عبد المطلب فهو لكم، وإذا ما أنا صليت الظهر بالناس، فقوموا فقولوا: إنا نستشفع برسول الله إلى المسلمين، وبالمسلمين إلى رسول الله في أبنائنا ونسائنا، فسأعطيك عند ذلك، وأسأل لكم؛ فلما صلى رسول الله ﷺ بالناس الظهر، قاموا فتكلموا بالذي أمرهم به، فقال رسول الله ﷺ: «وأما ما كان لي ولبني عبد المطلب فهو لكم». فقال المهاجرون: وما كان لنا فهو لرسول الله ﷺ. وقالت الأنصار: وما كان لنا فهو لرسول الله ﷺ. فقال الأقرع بن حابس: أما أنا وبنو تميم فلا. وقال عيينة بن حصن: أما أنا وبنو فزارة فلا. وقال عباس بن مرداس: أما أنا وبنو سليم فلا. فقالت بنو سليم: بلى، ما كان لنا فهو لرسول الله ﷺ.

قال: يقول عباس بن مرداس لبني سليم: وهتتموني.

فقال رسول الله ﷺ: «أما من تمسك منكم بحقه من هذا السبي فله بكل إنسان ست فرائض، من أول سبي أصيبه، فردّوا إلى الناس أبناءهم ونساءهم^(٤).

قال ابن إسحاق: وحدثني أبو وجزة يزيد بن عبيد السعدي: أن رسول الله ﷺ أعطى علي بن أبي طالب رضي الله عنه جارية، يُقال لها ربيعة بنت هلال بن حيان ابن عميرة بن هلال بن ناصرة بن قضيبة بن نصر بن سعد بن بكر، وأعطى عثمان ابن عفان جارية، يُقال لها زينب بنت حيان بن عمرو بن حيان، وأعطى عمر بن الخطاب جارية، فوهبها لعبد الله بن عمر ابن^(٥).

قال ابن إسحاق: فحدثني نافع مولى عبد الله بن عمر، عن عبد الله بن عمر، قال: بعثت بها إلى أخوالي من بني جُمح، ليصلحوا لي منها، ويهيئوها، حتى أطوف بالبيت، ثم آتيهم، وأنا أريد أن أصيبها إذا رجعت إليها. قال: فخرجت من المسجد حين فرغت، فإذا الناس يشتدون؛ فقلت: ما شأنكم؟ قالوا: ردّ علينا رسول الله ﷺ نساءنا وأبنائنا؛ فقلت: تلکم صاحبکم في بني جُمح، فاذهبوا فخذوها، فذهبوا إليها، فأخذوها^(٦).

(١) يقصد: حليلة السعدية فهي من بني سعد بن بكر. (٢) ملأنا: أرضعنا.

(٣) تاريخ الطبري ٨٦/٣، الكامل في التاريخ ٢٦٨/٢.

(٤) تاريخ الطبري ٨٧/٣، الكامل في التاريخ ٢٦٩/٢، نهاية الأرب ٣٤٢/١٧.

(٥) تاريخ الطبري ٨٧/٣، ٨٨.

(٦) تاريخ الطبري ٨٨/٣، تاريخ الإسلام (المغازي) ٦٠٩.

قال ابن إسحاق: وأما عيينة بن حصن، فأخذ عجوزاً من عجائز هوازن، وقال حين أخذها: أرى عجوزاً إني لأحسب لها في الحي نسباً، وعسى أن يعظم فداؤها. فلما رد رسول الله ﷺ السبايا بست فرائض، أبى أن يردها، فقال له زهير أبو صرد: خذها عنك، فوالله ما فوها ببارد، ولا ثديها بناهد، ولا بطنها بوالد، ولا زوجها بواجد^(١)، ولا ذرها بماكد^(٢). فردها بست فرائض حين قال له زهير ما قال؛ فزعموا أن عيينة لقي الأقرع بن حابس، فشكا إليه ذلك، فقال: إنك والله ما أخذتها بيضاء غريرة، ولا نصفاً وثيرة^(٣).

وقال رسول الله ﷺ لوفد هوازن، وسألهم عن مالك بن عوف ما فعل؟ فقالوا: هو بالطائف مع ثقيف؛ فقال رسول الله ﷺ: «أخبروا مالكا أنه إن أتاني مسلماً رددت عليه أهله وماله، وأعطيته مائة من الإبل»؛ فأتى مالك بذلك، فخرج إليه من الطائف. وقد كان مالك خاف ثقيفاً على نفسه أن يعلموا أن رسول الله ﷺ قال له ما قال، فيحبسوه، فأمر براحلته فهيتت له، وأمر بفرس له، فأتى به إلى الطائف، فخرج ليلاً، فجلس على فرسه، فركضه حتى أتى راحلته حيث أمر بها أن تحبس، فركبها، فلحق برسول الله ﷺ، فأدرکه بالجفرانة أو بمكة، فردّ عليه أهله وماله، وأعطاه مائة من الإبل، وأسلم فحسن إسلامه؛ فقال مالك بن عوف حين أسلم:

ما إن رأيتُ ولا سمعتُ بمثله
أوفى وأعطى للجزيلى إذا اجثدي
وإذا الكتيبة عرّدت أنيابها
فكأنه لئيت على أشباله
في الناس كلهم بمثل محمد
ومتى تشأ يخبرك عما في غد
بالسّمهريّ وضرب كل مهثد
وسبط الهبابة خادز في مرصد^(٤)

فاستعمله رسول الله ﷺ على من أسلم من قومه؛ وتلك القبائل: ثماله، وسلّمه^(٥)، وفهم، فكان يقاتل بهم ثقيفاً، لا يخرج لهم سزخ إلا أغار عليه، حتى ضيق عليهم؛ فقال أبو مخجن^(٦) بن حبيب بن عمرو بن عمير الثقفي:

هابت الأغداة جابنا
وأنا مالِكُ بهم
وأؤنأفي منازِلنا
ثم تغزونا بنو سلّمة
ناقضاً للعهد والحُرمة
ولقد كئنا أولي نِقمة^(٧)

قال ابن إسحاق: ولما فرغ رسول الله ﷺ من رد سبايا حنين إلى أهلها، ركب، وأتبعه الناس يقولون: يا رسول الله، اقسِم علينا فيئتنا من الإبل والغنم، حتى ألجأوه إلى شجرة، فاخطفت عنه

(٢) الماكد: الغزير.

(١) الواجد: الحزين.

(٣) الغريرة متوسطة السن، وكذلك النصف أيضاً. والثيرة: السميّة. والخبر في تاريخ الطبري ٣/٧٨٨ والمغازي للواقدي ٣/٩٥٣، ٩٥٤.

(٤) تاريخ الطبري ٣/٨٩، نهاية الأرب ١٧/٣٤٥، والواقدي ٣/٩٥٦.

(٥) قال السهيلي: هكذا تقيّد في النسخة - بكسر اللام -؛ والمعروف في قبائل قيس سلمة - بالفتح - (الروض الأنف ٤/١٩٧).

(٦) اسمه: مالك بن حبيب، وقيل عبد الله بن حبيب بن عمرو بن عمير بن عوف بن عقدة بن غيرة بن عوف بن قيس الثقفي.

(٧) تاريخ الطبري ٣/٨٩، نهاية الأرب ١٧/٣٤٥، المغازي للواقدي ٣/٩٥٥، ٩٥٦.

رداءه؛ فقال: «أدوا عليّ رداي» أيها الناس، فوالله أن لو كان لكم بعدد شجر تهامة نَعْمًا لقسمته عليكم، ثم ما ألفتهموني بخيلاً ولا جباناً ولا كذاباً، ثم قام إلى جنب بعير، فأخذ وَبْرَةً من سنامه، فجعلها بين أَصْبَعَيْهِ، ثم رفعها، ثم قال: «أيها الناس، والله ما لي من فَيْتُكُمْ ولا هذه الوبرة إلا الخُمُسُ، والخُمُسُ مردود عليكم. فأدوا الخِيَاطَ والمِخِيْطَ^(١)، فَإِنَّ العُلُولَ^(٢) يكون على أهله عاراً وناراً وسناراً يوم القيامة»^(٣). قال: فجاء رجل من الأنصار بكَبَّةٍ من خِيوط شعر، فقال: يا رسول الله، أخذت هذه الكَبَّةَ أعملُ بها بَرْدُعةَ بعير لي دَبْرٍ؛ فقال: «أما نصيبي منها فلك!» قال: أما إذ بَلَغَتْ هذا فلا حاجة لي بها، ثم طَرَحَهَا من يده^(٤).

قال ابن هشام: وذكر زيد بن أسلم، عن أبيه: أن عَقِيلَ بن أبي طالب دخل يوم حُنين على امرأته فاطمة بنت شَيْبَةَ بن ربيعة، وسيفه متلَطِّخٌ دمًا، فقالت: إني قد عرفت أنك قد قاتلت، فماذا أصبت من غنائم المشركين؟ فقال: دونك هذه الإبرة تَخِيْطِينَ بها ثيابك، فدفعها إليها، فسمع مُنَادِي رسول الله ﷺ يقول: «من أخذ شيئاً فليردّه، حتى الخِيَاطَ والمِخِيْطَ». فرجع عَقِيلُ، فقال: ما أَرَى إِبْرَتِكَ إلا قد ذهبت، فأخذها، فألقاها في الغنائم.

قال ابن إسحاق: وأعطى رسول الله ﷺ المُوَلَّفَةَ قُلُوبُهُمْ، وكانوا أشرفاً من أشرف الناس، يتألفهم ويتألف بهم قومهم، فأعطى أبا سفيان بن حرب مائة بعير، وأعطى ابنه معاوية مائة بعير، وأعطى حكيم بن حزام مائة بعير، وأعطى الحارث بن الحارث بن كَلْدَةَ، أخا بني عبد الدار مائة بعير.

قال ابن هشام: نصير بن الحارث بن كَلْدَةَ، ويجوز أن يكون اسمه الحارث أيضاً.

قال ابن إسحاق: وأعطى الحارث بن هشام مائة بعير، وأعطى سُهَيْلَ بن عمرو مائة بعير، وأعطى حُوَيْطِبَ بن عبد العزى بن أبي قَيْسٍ مائة بعير، وأعطى العلاء بن جارية الثَّقَفِي، حليف بني زُهْرَةَ مائة بعير، وأعطى عُيَيْنَةَ بن جِصْنِ بن حُدَيْفَةَ بن بَدْرِ مائة بعير، وأعطى الأقرع بن حابس التميمي مائة بعير. وأعطى مالك ابن عوف النَّصْرِي مائة بعير، وأعطى صفوان بن أمية مائة بعير، فهؤلاء أصحاب المئين^(٥).

وأعطى دون المائة رجلاً من قُرَيْشٍ، منهم مَخْرَمَةُ بن نوفل الزُهْرِي، وعَمَيْرُ ابن وهب الجَمَحِي، وهشام بن عَمْرُو أخو بني عامر بن لُؤَيٍّ، لا أحفظ ما أعطاهم، وقد عرفت أنها دون المائة، وأعطى سعيد بن يربوع بن عَنَكَّةَ بن عامر بن مخزوم خمسين من الإبل، وأعطى السَّهْمِي خمسين من الإبل.

قال ابن هشام: واسمه عدي بن قيس.

(١) الخياط: الخيط: والمخيط آلة للخياطة (الإبرة).

(٢) العلول: الخيانة.

(٣) الشنار: الأمر القبيح الشنيع. والحديث أخرجه الحاكم في المستدرک ٤٩/٣.

(٤) تاريخ الطبري ٨٩/٣، ٩٠، وبعض الخبر في الكامل لابن الأثير ٢/٢٧٠، تاريخ الإسلام ٢٠٨.

(٥) تاريخ الطبري ٩٠/٣، الكامل في التاريخ ٣/٢٦٩، ٢٧٠.

قال ابن إسحاق: وأعطى عباس بن مرداس أبا عمر فسخطها، فعاتب فيها رسول الله ﷺ، فقال عباس بن مرداس يُعاتب رسول الله ﷺ:

كَأَنْتَ نَهَابٌ تَلَا فَيْئُتْهَا بَكَرِي عَلَى الْمُهْرِ فِي الْأَجْرِعِ
وإِقْطَاظِي الْقَوْمَ أَنْ يَرْقُدُوا إِذَا هَجَعَ النَّاسُ لَمْ أَهْجِعِ
فَأَصْبَحَ نَهَبِي وَنَهَبُ الْعَبِيدِ بَيْنَ غَيْبِنَةَ وَالْأَقْرَعِ^(١)
وَقَدْ كُنْتُ فِي الْحَزْبِ ذَا تُذْرَأُ فَلَمْ أُعْطَ شَيْئاً وَلَمْ أُمْنَعِ
إِلَّا أَفَائِلَ أُغْطِيئُهَا عَدِيدَ قَوَائِمِهَا الْأَزْبَعِ^(٢)
وَمَا كَانَ حِضْرٌ وَلَا حَابِسٌ يَفُوقَانَ شَيْخِي^(٣) فِي الْمَجْمَعِ
وَمَا كُنْتُ دُونَ أَمْرِي مِنْهُمَا وَمَنْ تَضَعِ الْيَوْمَ لَا يُزْفَعِ

قال ابن هشام: أنشدني يونس النخوي:

فَمَا كَانَ حِضْرٌ وَلَا حَابِسٌ يَفُوقَانَ مِرْدَاسَ فِي الْمَجْمَعِ

قال ابن إسحاق: فقال رسول الله ﷺ: اذهبوا به، فاقطعوا عني لسانه^(٤)، فأعطوه حتى رضي، فكان ذلك قطع لسانه الذي أمر به رسول الله ﷺ^(٥).

قال ابن هشام: وحدثني بعض أهل العلم: أن عباس بن مرداس أتى رسول الله ﷺ، فقال له رسول الله ﷺ: أنت القائل:

«فَأَصْبَحَ نَهَبِي وَنَهَبُ الْعَبِيدِ بَيْنَ الْأَقْرَعِ وَغَيْبِنَةَ»^(٦)

فقال أبو بكر الصديق: بين غيبنة والأقرع؛ فقال رسول الله ﷺ: هما واحد؛ فقال أبو بكر: أشهد أنك كما قال الله: «وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشُّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ».

قال ابن هشام: وحدثني من أثق به من أهل العلم في إسناد له، عن ابن شهاب الزهري، عن عبید الله بن عبد الله بن عتبة، عن ابن عباس، قال: بايع رسول الله ﷺ من قريش وغيرهم، فأعطاهم يوم الجعرانة من غنائم حنين.

من بني أمية بن عبد شمس: أبو سفيان بن حرب بن أمية، وطلحيق بن سفيان ابن أمية، وخالد بن أسيد بن أبي العيص بن أمية.

(١) العبيد: فرس عباس بن مرداس.

(٢) الأفائل: أصغر الإبل.

(٣) شيخي: أبي. وفي تاريخ الطبري «يفوقان مرداس».

(٤) أخرجه مسلم في كتاب الزكاة، باب إعطاء المؤلفلة قلوبهم على الإسلام. (١٣٧/ ١٠٦٠) وانظر الأبيات باختلاف في الألفاظ في: المغازي للواقدي ٣/ ٩٤٦، ٩٤٧، وتاريخ الطبري ٣/ ٩٠، ٩١، ونهاية الأرب ١٧/ ٧٣٣٩، ٣٤٠، وتاريخ الإسلام (المغازي) ٦٠٢، والمغازي لعروة وغيره، ففيها أبيات أكثر، والكامل في التاريخ ٢/ ٢٧٠.

(٥) تاريخ الطبري ٣/ ٩١.

(٦) لم ينطق عليه الصلاة والسلام البيت موزوناً لأنه لا يقول الشعر وإن كان يستمعه ويستجيده. يقول سبحانه وتعالى: ﴿وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشُّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ﴾.

ومن بني عبد الدار بن قُصَيِّ: شَيْبَةُ بن عثمان بن أبي طَلْحَةَ بن عبد العُزَّى ابن عثمان بن عبد الدار، وأبو السَّنَابِل بن بَعْكُك بن الحارث بن عُمَيْلَةَ بن السَّبَّاق ابن عبد الدار، وعِكْرِمَةُ بن عامر بن هاشم بن عبد مَنَاف بن عبد الدار.

ومن بني مخزوم بن يقظة: زُهَيْر بن أبي أمِيَّة بن المُغَيَّرَة، والحارث بن هشام ابن المغيرة، وخالد بن هشام بن المغيرة، وهشام بن الوليد بن المغيرة، وسُفْيَان بن عبد الأسد بن عبد الله بن عمر بن مخزوم، والسَّائِب بن أبي السائب بن عائذ بن عبد الله بن عمر بن مخزوم.

ومن بني عدي بن كَعْب: مطيع بن الأسود بن حارثة بن نَضْلَةَ، وأبو جَهْم ابن خُدَيْفَة بن غانم. ومن بني جَمَح بن عمرو: صفوان بن أمِيَّة بن خلف، وأُحْيِيحَة بن أمِيَّة بن خَلْف، وعمير بن وهب بن خَلْف.

ومن بني سَهْم: عدي بن قيس بن خُذَافَة.

ومن بني عامر بن لؤي: حُوَيْطُب بن عبد العُزَّى بن أبي قَيْس بن عبد وُدّ، وهشام بن عمرو بن ربيعة بن الحارث بن حُبَيْب.

ومن أفناء القبائل: من بني بكر بن عبد مناة بن كنانة: نوفل بن معاوية بن عروة بن صَخْر بن رَزْن بن يَغْمَر بن نُفَائَةَ بن عدي بن الدليل.

ومن بني قَيْس، ثم من بني عامر بن صعصعة، ثم من بني كلاب بن ربيعة ابن عامر بن صعصعة: علقمة بن عُلائَة بن عوف بن الأحوص بن جعفر بن كلاب، ولبيد بن ربيعة بن مالك بن جعفر بن كلاب.

ومن بني عامر بن ربيعة: خالد بن هُوْدَة بن ربيعة بن عمرو بن عامر بن ربيعة بن عامر بن صعصعة، وحرملة بن هُوْدَة بن ربيعة بن عمرو.

ومن بني نصر بن معاوية: مالك بن عوف بن سعيد بن يربوع.

ومن بني سُلَيْم بن منصور: عباس بن مِزْدَاس بن أبي عامر: أخو بني الحارث بن بُهْتَمَة بن سُلَيْم. ومن بني غطفان، ثم من بني فزارة عُيَيْنَة بن حِضْن بن خُدَيْفَة بن بدر.

ومن بني تميم ثم من بني حنظلة: الأقرع بن حابس بن عقال، من بني مُعْجَاش بن دارم.

قال ابن إسحاق: وحدثني محمد بن إبراهيم بن الحارث التيمي: أن قائلاً قال لرسول الله ﷺ من أصحابه: يا رسول الله، أعطيت عُيَيْنَة بن حِضْن والأقرع بن حابس مائة مائة، وتركت جُعَيْل بن سُرَاقَةَ الضُّمَري! فقال رسول الله ﷺ: «أما والذي نفس محمد بيده لَجُعَيْل بن سُرَاقَةَ خَيْرٌ من طِلاَع»^(١) الأرض، كُلُّهم مثل عُيَيْنَة بن حِضْن والأقرع بن حابس، ولكني تألفتهم لِيُسْلِمَا، ووَكَلْتُ جُعَيْل بن سُرَاقَةَ إلى إسلامه»^(٢).

(١) طلاع الأرض: ما يملؤها حتى يطلع عنها ويسيل.

(٢) تاريخ الطبري ٣/٩١، الكامل في التاريخ ٢/٢٧٠، ٢٧١.

قال ابن إسحاق: وحدثني أبو عبيدة بن محمد بن عمّار بن ياسر، عن مِقْسَمِ أَبِي الْقَاسِمِ، مَوْلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ نَوْفَلٍ، قَالَ: خَرَجْتُ أَنَا وَتَلِيدُ بْنُ كِلَابِ اللَّيْثِيِّ، حَتَّى أَتَيْنَا عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَمْرٍو بْنَ الْعَاصِ، وَهُوَ يَطُوفُ بِالْبَيْتِ، مَعْلَقًا نَعْلَهُ بِيَدِهِ، فَقُلْنَا لَهُ: هَلْ حَضَرَتْ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ حِينَ كَلِمَةِ التَّمِيمِيِّ يَوْمَ حُنَيْنٍ؟ قَالَ: نَعَمْ، جَاءَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي تَمِيمٍ، يُقَالُ لَهُ ذُو الْخُوَيْصِرَةِ، فَوَقَفَ عَلَيْهِ وَهُوَ يُعْطِي النَّاسَ، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، قَدْ رَأَيْتُ مَا صَنَعْتَ فِي هَذَا الْيَوْمِ؛ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَجَلٌ، فَكَيْفَ رَأَيْتَ؟» فَقَالَ: لَمْ أَرُكَ عَدَلْتَ؛ قَالَ: فَغَضِبَ النَّبِيُّ ﷺ، ثُمَّ قَالَ: «وَيْحَكَ! إِذَا لَمْ يَكُنِ الْعَدْلُ عِنْدِي، فَعِنْدَ مَنْ يَكُونُ!» فَقَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَلَا أَقْتُلُهُ؟ فَقَالَ: «لَا، دَعُوهُ فَإِنَّهُ سَيَكُونُ لَهُ شِيعَةٌ يَتَعَمَّقُونَ فِي الدِّينِ حَتَّى يَخْرُجُوا مِنْهُ كَمَا يَخْرُجُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ، يُنْظَرُ فِي النَّصْلِ^(١)، فَلَا يُوْجَدُ شَيْءٌ، ثُمَّ فِي الْقِدْحِ^(٢)، فَلَا يُوْجَدُ شَيْءٌ، ثُمَّ فِي الْفُوقِ^(٣)، فَلَا يُوْجَدُ شَيْءٌ، سَبَقَ الْفَرْتُ^(٤) وَالْدَّمُ^(٥)».

قال ابن إسحاق: وحدثني محمد بن علي بن الحسين أبو جعفر بمثل حديث أبي عبيدة، وسماه ذا الخُوَيْصِرَةَ.

قال ابن إسحاق: وحدثني عبد الله بن أبي نجیح، عن أبيه بمثل ذلك.

قال ابن هشام: ولما أعطى رسول الله ﷺ ما أعطى في قريش وقبائل العرب، ولم يعط الأنصار شيئاً، قال حسان بن ثابت يعاتبه في ذلك:

زَادَتْ هُمُومٌ فَمَاءَ الْعَيْنِ مُنْحَدِرٌ
وَجَدَا بِشَّمَاءٍ إِذْ شَمَاءٌ بِهَكَئِةٍ
دَخَّ عَنْكَ شَمَاءٌ إِذْ كَانَتْ مَوَدَّتْهَا
وَائِثِ الرَّسُولِ فَقُلْ يَا خَيْرَ مُؤْتَمِنٍ
عَلَامٌ تُدْعَى سُلَيْمٌ وَهِيَ نَازِحَةٌ
سَمَاهُمْ اللَّهُ أَنْصَاراً بَنَصْرِهِمْ
وَسَارِعُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَاعْتَرَفُوا
وَالنَّاسُ أَلْبٌ عَلَيْنَا فَيَكُ لَيْسَ لَنَا
سَحّاً إِذَا حَفَلَتْهُ عَبْرَةٌ دِرَزُ^(٦)
هَيْفَاءٌ لَا دَنْسٌ فِيهَا وَلَا خَوْرُ^(٧)
نَزْرًا وَشَرٌّ وَصَالِ الْوَاصِلِ النَّزْرِ^(٨)
لِلْمُؤْمِنِينَ إِذَا مَا عُدَّدَ الْبَشْرُ
قُدَّامَ قَوْمٍ هُمْ أَوْوَا وَهُمْ نَصْرُو
دِينَ الْهُدَى وَعَوَانِ الْحَرْبِ تَسْتَعِيرُ
لِلنَّائِبَاتِ وَمَا خَامُوا وَمَا ضَجِرُوا^(٩)
إِلَّا السُّيُوفَ وَأَطْرَافَ الْقَنَا وَرَزُّ^(١٠)

(١) النصل: حديد السهم.

(٢) الفوق: طرف السهم.

(٣) الفوق: طرف السهم.

(٤) الفوق: طرف السهم.

(٥) أخرج نحوه البخاري في كتاب المغازي (١٠٦/٥) باب غزوة الطائف، ومسلم في كتاب الزكاة (١٠٦٢/١٤٠) باب إعطاء المؤلفلة قلوبهم على الإسلام. و(١٠٦٣/١٤٢) باب ذكر الخوارج وصفاتهم، وأخرجه أبو داود، والترمذي وابن ماجه، والنسائي، والدارمي، ومالك، وأحمد في مواضع كثيرة. (انظر المعجم المفهرس لألفاظ الحديث ٦/٢٠٤) وتاريخ الإسلام (المغازي) ٦٠٣، ٦٠٤، وتاريخ الطبري ٩٢/٣، والكامل في التاريخ ٢٧١/٢.

(٦) حفلة: جمعه. درر: سائلة.

(٧) بهكئة: كثيرة اللحم. هيفاء: ضامرة الخضض.

(٨) النز: القليل.

(٩) اعترفوا: صبروا. ما خاموا: ما جئوا.

(١٠) ألب: مجتمعون. الرز: الملجأ.

نَجَالِدُ النَّاسَ لَا تُبْقِي عَلَيَّ أَحَدٍ
وَلَا تَهْرَجُ جُنَاةَ الْحَرْبِ نَادِينَا
كَمَا رَدَدْنَا بَبْدِرَ دُونَ مَا طَلَبُوا
وَنَحْنُ جُنْدُكَ يَوْمَ التُّغْفِ مِنْ أَحَدٍ
فَمَا وَنِينَا وَمَا خَمْنَا^(٢) وَمَا خَبَرُوا
وَلَا نُضَيِّعُ مَا تُوجِي بِهِ السُّورُ
وَنَحْنُ حِينَ تَلْطَى نَارَهَا سُعْرُ^(١)
أَهْلَ التُّفَاقِ وَفِينَا يُنْزَلُ الظَّفَرُ
إِذْ حَزَبْتَ بَطْرًا أَخْزَابَهَا مُضْرُ
مِثًّا عِثَارًا وَكَلَّ النَّاسَ قَدِ عَثَرُوا

قال ابن هشام: حدثني زياد بن عبد الله، قال: حدثنا ابن إسحاق: قال: وحدثني عاصم بن عمر بن قتادة، عن محمود بن لبيد، عن أبي سعيد الخدري، قال: لما أعطى رسول الله ﷺ ما أعطى من تلك العطايا، في قريش وفي قبائل العرب، ولم يكن في الأنصار منها شيء، وجد هذا الحي من الأنصار في أنفسهم، حتى كثرت منهم القالة حتى قال قائلهم: لَقَدْ لَقِيَ وَاللَّهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَوْمَهُ، فدخل عليه سعد بن عبادة، فقال: يا رسول الله، إن هذا الحي من الأنصار قد وجدوا عليك في أنفسهم، لما صنعت في هذا الفياء الذي أصبت، قَسَمْتِ فِي قَوْمِكَ، وَأَعْطَيْتِ عَطَايَا عَظَامًا فِي قِبَائِلِ الْعَرَبِ، وَلَمْ يَكْ فِي هَذَا الْحَيِّ مِنَ الْأَنْصَارِ مِنْهَا شَيْءٌ. قال: فأين أنت من ذلك يا سعد؟ قال: يا رسول الله، ما أنا إلا من قومي. قال: فاجمع لي قومك في هذه الحظيرة. قال: فخرج سعد، فجمع الأنصار في تلك الحظيرة. قال: فجاء رجال من المهاجرين فتركهم، فدخلوا، وجاء آخرون فردهم. فلما اجتمعوا له أتاه سعد، فقال: قد اجتمع لك هذا الحي من الأنصار، فاتاهم رسول الله ﷺ، فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله، ثم قال: «يا معشر الأنصار: ما قالة بلغنني عنكم، وجدة^(٣) وجدتموها علي في أنفسكم؟ ألم آتكم ضللاً فهداكم الله، وعالة فأغناكم الله، وأعداء فألف الله بين قلوبكم!» قالوا: بلى، الله ورسوله أمن وأفضل. ثم قال: «ألا تجيبونني يا معشر الأنصار؟» قالوا: بماذا نجيبك يا رسول الله؟ لله ورسوله المن والفضل. قال ﷺ: «أما والله لو شئتم لقلتم، فلصدقتكم ولصدقتكم: آتيتنا مكذباً فصدقناك، ومخذولاً فنصرناك، وطريداً فأوينناك، وعائلاً فأسينناك. أوجدتم يا معشر الأنصار في أنفسكم في لعاعة^(٤) من الدنيا تألفت بها قوماً ليسلموا، ووكلتكم إلى إسلامكم، ألا ترضون يا معشر الأنصار، أن يذهب الناس بالشاة والبعير، وترجعوا برسول الله إلى رجالكم؟ فوالذي نفس محمد بيده، لولا الهجرة لكنت امرءاً من الأنصار، ولو سلك الناس شغباً وسلكت الأنصار شغباً، لسلكت شغب الأنصار. اللهم ازحم الأنصار، وأبناء الأنصار، وأبناء أبناء الأنصار.»

قال: فبكى القوم حتى أخضلوا لِحَاهُمُ، وقالوا: رضينا برسول الله قسماً وحظاً. ثم انصرف رسول الله ﷺ، وتفترقوا^(٥).

(١) لا تهز: لا تكره. جناة الحرب: الخاضون غمارها. سُر: الذين يوقدون نارها.

(٢) خَمْنَا: جَبْنَا.

(٣) الجدة: مصدر وجد، أي وجدتم في أنفسكم شيئاً. وفي تاريخ الطبري «موجدة».

(٤) اللعاعة: الخضب: أو شجرة خضراء شبه بها نعيم الدنيا.

(٥) تاريخ الطبري ٩٣/٣، ٩٤، المغازي لعروة ٢١٩، المغازي للواقدي ٩٨٧/٣، ٩٥٨، تاريخ الإسلام (المغازي) ٦٠٣، فتح الباري ٥١/٨، الكامل في التاريخ ٢٧١/٢، ٢٧٢، نهاية الأرب ٣٤٦/١٧، ٨٣٤٧

عمرة الرسول من الجعرانة^(١)

واستخلافه عتاب بن أسيد على مكة، وحج عتاب بالمسلمين سنة ثمان

اعتماد الرسول واستخلافه ابن أسيد على مكة:

قال ابن إسحاق: ثم خرج رسول الله ﷺ من الجعرانة معتمراً، وأمر ببقايا الفيء فحسب بمَجَنَّة^(٢)، بناحية مَرَّ الظَّهْرَانِ، فلما فرغ رسول الله ﷺ من عُمرته انصرف راجعاً إلى المدينة، واستخلف عَتَابَ بن أسيد على مكة، وخَلَفَ معه مُعَاذُ بن جَبَلٍ، يفقه الناس في الدين، ويعلمهم القرآن^(٣)، وأُتِيَ رسول الله ﷺ ببقايا الفيء^(٤).

قال ابن هشام: وبلغني عن زيد بن أسلم أنه قال: لما استعمل النبي ﷺ عَتَابَ بن أسيد على مكة، رزقه كل يوم درهماً، فقام فخطب الناس، فقال: أيها الناس، أجاج الله كبد من جاع على درهم، فقد رزقني رسول الله ﷺ درهماً كل يوم، فليست بي حاجة إلى أحد^(٥).

قال ابن إسحاق: وكانت عمرة رسول الله ﷺ في ذي القعدة، فقدم رسول الله ﷺ المدينة في بقية ذي القعدة أو في ذي الحجة^(٦).

قال ابن هشام: وقدم رسول الله ﷺ المدينة لست ليالٍ بقين من ذي القعدة فيما زعم أبو عمرو المدني.

(١) تاريخ الطبري ٩٤/٣، المغازي للواقدي ٩٥٨/٣، وما بعدها، المحبّر ١١٥، البدء والتاريخ ٣٣٨/٤، تاريخ خليفة ٨٩،

الكامل في التاريخ ٢٧٢/٢، نهاية الأرب ٣٤٨/١٧، سيرة ابن كثير ٦٩٢/٣، تاريخ الإسلام (المغازي) ٦١١.

(٢) مَجَنَّة: بالفتح وتشديد النون، بمر الظهران أسفل مكة. (معجم البلدان ٥٨/٥).

(٣) أخرجه الحاكم في المستدرک ٢٧٠/٣.

(٤) تاريخ الطبري ٩٤/٣، المغازي للواقدي ٩٥٨/٣، الكامل في التاريخ ٢٧٢/٢، نهاية الأرب ٣٤٨/١٧، تاريخ الإسلام (المغازي) ٦١١٢.

(٥) انظر عن عتاب بن أسيد: الطبقات الكبرى لابن سعد ٤٤٦/٥، وطبقات خليفة ١١، ٢٧٧ وتاريخ خليفة ٨٧، ٨٨، ٩٢،

٩٧، ١١٧، ١٢٣، ٤٦، ٦٣، ٦٦، وأنساب الأشراف له ٤١٨/١، ٣٠٢، ٣٠٣، ٣٦٤، ٣٦٥، ٣٦٨، ٥٢٩، ونسب

قريش لمصعب ١٨٧، ٣١٢، ٤١٨، وأخبار مكة للأزرقي ٢٨٥/١، ١٥١/٢، ١٥٣، والتاريخ الكبير للبخاري ٥٤/٧

رقم ٢٤٤، والمعارف لابن قتيبة ٧٣، ٩١، ١٦٣، ٢٨٣، والأخبار الموقفيات للزبير بن بكار ٣٣٣، وتاريخ الطبري ٣/

٧٣، ٩٤، ٣١٨، ٣١٩، ٣٢٢، ٣٤٢، ٤١٩، ٤٢٧، ٤٧٩، ٥٩٧، ٦٢٣، ٤٩/٤، ٩٤، ١١٠، والمستدرک للحاكم

٣/٥٩٤، ٥٩٥، وجمهرة أنساب العرب لابن حزم ١١٣، ١٤٥، ١٦٦، والمعجم الكبير للطبراني ١٧/١٦١، ١٦٢،

والعقد الفريد لابن عبد ربه ١٥٨/٦، وريب الأبرار للزمخشري ٧٣٣٨/٤ وعيون الأخبار لابن قتيبة ١/٢٣٠، ٧٥٥/٢

والخراج وصناعة الكتابة لثدامة ٢٦٦، والاستيعاب لابن عبد البر ٣/١٥٣، ١٥٤، وثمار القلوب للثعالبي ١٢، ٥١٩،

والجرح والتعديل ٧/١١ رقم ٤٦، ومشاهير علماء الأمصار ٣٠ رقم ١٥٥.

(٦) أخرج البخاري في كتاب الحج (٣/٣) أبواب العمرة، باب كم اعتمر النبي ﷺ، ومسلم في كتاب الحج، باب بيان عدد

عمر النبي ﷺ وزمانهن (٢١٧/١٢٥٣). وأبو داود في الحج (١٩٩٤) باب العُمَر. والترمذي في الحج (٨١٤) باب ما

جاء: كم اعتمر النبي ﷺ. وابن ماجه ف بالمناسك (٣٠٠٣) باب كم اعتمر النبي ﷺ، وأحمد في المسند ١/٢٤٦،

٣٢١، ١٣٩/٢، ١٤٣/٣، ٢٥٦، ٢٩٧/٤، والطبري في تاريخه ٣/٩٤، ٩٥، والذهبي في تاريخ الإسلام (المغازي)

٦١١، وروى الحاكم في المستدرک بسنده عن ابن عباس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ اعتمر أربع عُمَر: عمرة

الحديبية، وعمرة القضاء من قابل، والثالثة من الجعرانة، والرابعة التي مع حجته. وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم

يخرجاه.

قال ابن إسحاق: وحثَّ الناس تلك السنة على ما كانت العرب تحجَّ عليه، وحثَّ بالمسلمين تلك السنة عتَّاب بن أسيد، وهي سنة ثمان، وأقام أهل الطائف على شِرْكِهِمْ وامتناعهم في طائفهم، ما بين ذي القعدة إذ انصرف رسول الله ﷺ إلى شهر رمضان من سنة تسع^(١).

أمر كعب بن زهير بعد الانصراف عن الطائف^(٢)

ولما قدم رسول الله ﷺ من مُنْصَرَفِهِ عن الطائف، كتب بُجَيْر بن زُهَيْر بن أبي سُلمَى إلى أخيه كَعْب بن زُهَيْر يُخْبِرُهُ أن رسول الله ﷺ قتل رجلاً بمكة، ممن كان يهجو ويؤذيه، وأن من بقي من شعراء قريش، ابن الزُبَيْرِ^(٣) وهُبَيْرَةُ بن أبي وَهَب، قد هربوا في كل وجه، فإن كانت لك في نفسك حاجة، فطرز إلى رسول الله ﷺ، فإنه لا يقتل أحداً جاءه تائباً، وإن أنت لم تفعل فانج إلى نجاتك من الأرض^(٤)؛ وكان كَعْب بن زُهَيْر قد قال:

ألا أَبْلِغَا عَنِّي بُجَيْراً رِسَالَةً فهل لك فيما قلتُ وَنَحَكَ هَلْ لَكَ؟
فَبَيِّنْ لَنَا إِنْ كُنْتَ لَسْتَ بِفَاعِلٍ عَلَى أَيِّ شَيْءٍ غَيْرِ ذَلِكَ دَلَّكَ
عَلَى خُلُقٍ لَمْ أَلْفِ يَوْمَ آبَاءِهِ عَلَيْهِ وَمَا تُلْفِي عَلَيْهِ آبَاءُكَ
فَإِنْ أَنْتَ لَمْ تَفْعَلْ فَلَسْتُ بِأَسْفٍ وَلَا قَائِلٍ إِذَا عَشَرْتُ: لَعَاكَ^(٥)

(١) تاريخ الطبري ٣/٩٥، وانظر المغازي للواقدي ٣/٩٥٩، ٩٦٠، والكامل في التاريخ ٢/٢٧٢، وتاريخ الإسلام (المغازي) ٦١٣.

(٢) انظر عن كعب بن زهير في: الاستيعاب ٣/٢٩٧ - ٣٠٢، وطبقات الشعراء لابن سلام ٨٣، والأغاني ١٧/٨١ - ٩١، ومعجم الشعراء للمرزياني ٣٤٣، والعقد الفريد لابن عبد ربه ٢/٩١، ٢٩١/٥، والمستدرک للحاكم ٣/٥٧٨ - ٥٨٦، والمعجم الكبير للطبراني ١٩/١٧٦ - ١٧٩، وربع الأرار للزمخشري ٤/١٦١، ٢٧٥، وأسد الغابة لابن الأثير ٤/٢٤٠، ٢٤١، وتهذيب الأسماء واللغات للنووي ج ١ ق ١٦٧/٢ رقم ٨٧، وأمالي المرتضى ١/٩٧، ٤١٨، ٤٢٤، ٥٥٨، ٢/١٦٧، والتذكرة السعيدة للعبيدي ٢٤٠، ٧٢٤١ وثمار القلوب للثعالبي ٦١، ٧١٣١ والأمالي للقالبي ١/١٦٠، ٢٠٦، ٢/٢، ٣/٢٣، ٢٤، ٢٠٢، وتاريخ الإسلام (المغازي) للذهبي ١٦٥ - ٦٢١، ولباب الأداب لابن منقذ ٢٢٠، والإصابة ٣/٢٩٥، ٢٩٦ رقم ٧٤١١، ومعجم الشعراء في لسان العرب للدكتور ياسين الأيوبي ٣٤٧ رقم ٨٨٩، وإمتاع الأسماع للمقريزي ٤٩٤، وشرح قصيدة ابن زهير للتبريزي، وأدب الدنيا والدين ٥٢، والحماسة للبحرتي ٢١٧، والطبقات لخليفة ٣٨، وتاريخ الأدب العربية لبروكلمان ١/١٥٦. والروض الأنف ٤/٩٩ - ١٧٣.

(٣) ابن الزُبَيْرِ: هو عبد الله بن الزُبَيْرِ بن قيس بن عدي القرشي السهمي الشاعر، كان من أشعر قريش في الجاهلية، وأسلم بعد الفتح وحسن إسلامه. انظر ترجمته في طبقات فحول الشعراء ١/٢٣٥ - ٢٤٤، وأسد الغابة ٣/٢٣٩، والإصابة ٢/٣٠٨ وغيره.

(٤) الخبر في تاريخ الإسلام (المغازي) ٦١٥، وأخرج الحاكم في المستدرک بعضه من حديث طويل. ٣/٥٧٩، ٥٨٠، والأغاني ١٧/٨٦، ٨٧.

(٥) لَمَّا لَكَ: كلمة تقال للعائر دعاء له بالإقالة. أنشد أبو عبيد.

فلا لعمأ لبني فلان إذا عشروا

سَقَاكَ بِهَا الْمَأْمُونُ كَأَسَا زَوْيَةً

قال ابن هشام: ويروى «المأمور». وقوله: «فبين لنا»، عن غير ابن إسحاق.

وأشدني بعض أهل العلم بالشعر وحديثه:

مَنْ مُبْلِغٌ عَنِّي بُجَيْرًا رِسَالَةً

شَرِبْتَ مَعَ الْمَأْمُونِ كَأَسَا زَوْيَةً

وخالفت أسباب الهدى وأتبعته

على خلقٍ لم تُلفِ أماً ولا أباً

فإن أنت لم تفعل فلست بأسف

قال: وبعث بها إلى بُجَيْرٍ، فلما أنت بُجَيْراً كَرِهَ أن يكتُمها رسولُ الله ﷺ، فأنشده إياها، فقال رسولُ الله ﷺ لما سمع: «سقاك بها المأمون»، صدق وإنه لكذوب، أنا المأمون. ولما سمع: «على خلقٍ لم تُلفِ أماً ولا أباً عليه»، قال: «أجل، لم يُلفِ عليه أباه ولا أمه».

ثم قال بُجَيْرٍ لكعب:

مَنْ مُبْلِغٌ كَغِبًا فَهَلْ لَكَ فِي التِّي

إِلَى اللَّهِ (لَا الْعُزَى وَلَا اللَّاتِ) وَخَدَه

لَدَى يَوْمٍ لَا يَنْجُو وَليْسَ بِمُفْلِتٍ

فدينُ زُهَيْرٍ وهو لا شيءَ دينُهُ

قال ابن إسحاق: وإنما يقول كعب: «المأمون»، ويقال: «المأمور» في قول ابن هشام، لقول قريش الذي كانت تقوله لرسول الله ﷺ.

كعب بن زهير وقصيدته: قال ابن إسحاق: فلما بلغ كعباً الكتاب ضاقت به الأرض، وأشفق على نفسه، وأرجف به مَنْ كان في حاضره من عدوه، فقالوا: هو مقتول. فلما لم يجد من شيء بُدَأَ، قال قصيدته التي يمدح فيها رسولَ الله ﷺ، وذكر فيها خوفه وإرجاف الوشاة به من عدوه، ثم خرج حتى قَدِمَ المدينة، فنزل على رجل كانت بينه وبينه معرفة، من جُهينة، كما ذُكر لي، فغدا به إلى

(١) ويروى: المحمود في غير رواية ابن إسحاق، أراد بالمحمود: محمداً - ﷺ - وكذلك المأمون والأمين كانت قريش تسمي بهما النبي ﷺ قبل النبوة (الروض الأنف ٤/١٩٩). النهل: الشرب الأول. والعلل الشرب الثاني.

وانظر الأبيات باختلاف الألفاظ والترتيب في: ديوان كعب بن زهير - ص ٣ طبعة دار الكتب المصرية ١٩٥٠، والأغاني ٨٦/١٧، والمستدرك للحاكم ٥٨٩/٣، والاستيعاب ٢٩٨/٣، والإصابة ٢٩٥/٣ رقم ٧٤١١، وتاريخ الإسلام (الذهبي) ٦١٥، ٦١٦، ٦١٧، وأسد الغابة ٤/٢٤٠، والكامل في التاريخ ٢/٢٧٤، وعيون الأثر ٢/٢٠٨، وسيرة ابن كثير ٣/٦٩٩.

(٢) الخيف: خيف وني.

(٣) ونيب: هلاك. أي هلكت هلاك غيرك.

(٤) انظر: تاريخ الإسلام (المغازي) ٦١٦، وعيون الأثر ٢/٢٠٨، ٢٠٩، وسيرة ابن كثير ٣/٧٠٠، والمستدرك للحاكم ٣/٥٨٢، ٥٨٣.

رسول الله ﷺ حين صلى الصبح، فصلى مع رسول الله ﷺ، ثم أشار له إلى رسول الله ﷺ، فقال: هذا رسول الله، فقم إليه فاستأمنه. فذكر لي أنه قام إلى رسول الله ﷺ، حتى جلس إليه، فوضع يده في يده، وكان رسول الله ﷺ لا يعرفه، فقال: يا رسول الله، إن كعب بن زهير قد جاء ليستأمن منك تائباً مسلماً، فهل أنت قابل منه إن أنا جئتك به؟ قال رسول الله ﷺ: نعم؛ قال: أنا يا رسول الله كعب ابن زهير^(١).

قال ابن إسحاق: فحدثني عاصم بن عمر بن قتادة: أنه وثب عليه رجل من الأنصار، فقال: يا رسول الله، دعني وعدو الله أضرب عنقه؛ فقال رسول الله ﷺ: دعه عنك، فإنه قد جاء تائباً، نازعاً عما كان عليه. قال: فغضب كعب على هذا الحتي من الأنصار، لِمَا صنع به صاحبهم، وذلك أنه لم يتكلم فيه رجل من المهاجرين إلا بخير، فقال في قصيدته التي قال حين قَدِم على رسول الله ﷺ:

بانت سعاد فقلبي اليوم مُتبولٌ مُتَيِّمٌ إثرها^(٢) لم يُفد^(٣) مَكْبُولٌ^(٤)
وما سعادُ غداةَ البين إذ رحلوا إلا أغنُ غضيضِ الطَّرْفِ مَكْحُولٌ^(٥)
هيفاء مُقبلةٌ عجزاء مُذْبِرَةٌ لا يُشتكى قِصرَ منها ولا طُولٌ^(٦)
تجلو عوارض^(٧) ذي ظلم إذا ابتسمت كأثمه نُهَل بالراح مغلولٌ^(٨)
شجّت^(٩) بندي شَبِم^(١٠) من ماءٍ مخبيبه^(١١) صافٍ^(١٢) بأبطح أضحى^(١٣) وهو مشمولٌ^(١٤)
تنفي الرياح القذى عنه وأفرطه من صوب غادية^(١٥) بيض يعاليل^(١٦)

(١) الخبر باختصار في الأغاني ٨٩/١٧، وقد أخرجه الطبراني في حديث طويل.

(٢) في الأغاني «عدها».

(٣) في الديوان، والأغاني، والشعر والشعراء، وغيره «يُجز»، وفي تاريخ الإسلام (المغازي) «يُلف». والمثبت يتفق مع المستدرک للحاكم.

(٤) بانت: أي فارقت فراقاً بعيداً. والمكبول: الذي أسلمه الحب وأضناه. ويُفد: يخلص من الأشر. والمكبول: الذي لا يجد فكاً من القيد، المكبل.

(٥) غداة البين: صبيحة الفراق. أغن: أي ظمي أغت في صوته حُسن. غضيض الطَّرْف: فاتره: مكحول: أسود الجفون.

(٦) هيفاء: ضامرة البطن والخضر: صخمة العجز. لا يُشتكى: لا يُعاب.

(٧) تجلو: تصقل وتُظهر وتكشف. العوارض: الأسنان التي تظهر عند الضحك. الظلم: ماء الأسنان وبريقها ورقتها وهو أيضاً شُبّهت به الأسنان. المُنهل: المسقى وهو الشرب الأول. الراح: الخمر: معلول: اسم مفعول من علّه، والعلل الشرب الثاني.

(٨) تاريخ الإسلام (المغازي) «صاد». وفي المستدرک للحاكم ٥٨٠/٣ «من ماء أبطح».

(٩) شجّت: مُزجت حتى انكسرت سورتها.

(١٠) ذو شَبِم: ماء شديد البرد.

(١٢) أبطح: مسيل واسع فيه حصى دقيق.

(١٤) مشمول: ضربته ريح الشمال حتى برد.

(١٥) في المستدرک وتاريخ الإسلام «سارية».

(١٦) تنفي: تُبعد. القذى: كل غريب يقع في الماء من تبن ونحوه. أفرطه: سبق إليه وملاه. صوب: مطر سحابة. غادية: مبكرة. بيض يعاليل: حُباب يعلو وجه الماء أو الجبال الشديدة البياض ينحدر عليها ماء المطر (الروض ١٧٠/٤).

فِيالِهَا ^(١)خُلَّةٌ ^(٢)لو أنها صَدَقَتْ
لكنها خُلَّةٌ قَدْ سَيْطَ مِنْ دَمِهَا
فَمَا تَدُومُ عَلَى حَالٍ تَكُونُ بِهَا
وَمَا تَمْسُكُ بِالْعَهْدِ ^(٥)الذي زعمت
فلا يغرثك ما مئتت وما وعدت
كانت مواعيدُ عُزُوقٍ لَهَا مَثَلًا
أزجو وأمِلُ أَنْ تَذُنُو مَوَدُّتِهَا
أَمَسَتْ سَعَادُ بَارِضٍ لَا يُبَلِّغُهَا
وَلَنْ يُبَلِّغُهَا إِلَّا عَذَابُ فِرَّةٍ
من كلِّ نَضَاخَةِ الدُّفْرَى إِذَا عَرِقَتْ
تَزْمِي الغُيُوبَ بَعِيْنِي مُفْرِدٍ لَهْتِي
ضَخْمٌ مُقْلَدُهَا فَعَمَّ مَقِيْدُهَا
عَلْبَاءٌ وَجَنَاءٌ عُلُكُومٌ مُذَكَّرَةٌ

بِوَعْدِهَا أَوْ لَوْ أَنَّ النَّصِيحَ مَقْبُولٌ
فَجَعُ وَوَلَعٌ وَإِخْلَافٌ وَتَبْدِيلٌ ^(٣)
كَمَا تَلُوكُنَّ فِي أَثْوَابِهَا الغُوكُ ^(٤)
إِلَّا كَمَا يُنْسِكُ المَاءُ الغَرَابِيْلُ ^(٦)
إِنَّ الأَمَانِيَّ والأَخْلَامَ تَضْلِيْلُ ^(٧)
وَمَا مواعيدُهَا إِلَّا الأَبَاطِيْلُ ^(٨)
وَمَا إِخَالٌ لَدَيْنَا مِنْكَ تَنْوِيْلُ ^(٩)
إِلَّا العِتَاقُ النَّجِيْبَاتِ المَرَايِلُ ^(١٠)
لَهَا عَلَى الأَيْنِ إِزْقَالٌ وَتَبْغِيْلُ ^(١١)
عُرْضَتُهَا طَامِسُ الأَعْلَامِ مَجْهُوْلُ ^(١٢)
إِذَا تَوَقَّدَتِ الحِزْرَانُ وَالمِيْلُ ^(١٣)
فِي خَلْقِهَا عَنِ بَنَاتِ الفَحْلِ تَفْضِيْلُ ^(١٤)
فِي دَفِّهَا سَعَةٌ قَدَامُهَا مِيْلُ ^(١٥)

(١) في المستدرک «سقیاً لها» وفي تاریخ الإسلام «أکزم بها».

(٢) الخُلَّة: الصديقة والخليفة.

(٣) شيط: خلط. فجع: إصابة. ولع: كذب في إخفاء المحبة. إخلاف: خُلف الوعد. أي أن هذه الصفات قد خلطت بدمها.

(٤) الغول: ساحرة الجنّ تظهر في الفلاة باللوان شتى، تضلل من يتبعها.

(٥) في المستدرک «بالوصل».

(٦) الغرابيل: مفردا غرابل.

(٧) فلا يغرثك: فلا يخذعك. ما مئتت: أي ما متتک به من الوصل، الأمانی: ما يرجوه الإنسان من الآمال. تضليل: سبب في ضلال الإنسان: عن وجه الصواب.

(٨) عُزُوق: رجل اشتهر بخُلف الوعد فُضِرَ به المثل: قال علقمة:

وعدت وكان الخُلفُ منك

والأباطيل: جمع باطل، جمعه على غير القياس.

(٩) تذنو: نُظهِر، إِخَال: بكسر الهمزة لغة تميم بمعنى تميم بمعنى أبان. تنویل: الوصل والعتاء.

(١٠) العتاق: جمع عتق: الكريم. النجيبات: جمع نجبية: الخفيفة السريعة، المراسيل جمع مرسال. السريعة أيضاً.

(١١) العذافرة: الناقة القوية العظيمة، الأين: التعب. أرقال وتبغيل: ضربان من العدو السريع.

(١٢) نضَاخَة: كثرة رشح العرق. الدُفْرَى: نَفْرَة توجد خلف أذن الناقة، عُرْضَتُهَا: همتها. طامس: دارس. الأعلام: العلامات التي تكون ف بالطريق ليُهدى بها.

يصف ناقته بالسرعة والنشاط حتر تعرق وهي متعوذة على الأسفار تعرف الطرق بلا علامات.

(١٣) الغيوب: أثار الطريق التي غابت معالمها عن العيون. مفرد: ثور وحشي تفرد في الصحراء. لهق: أبيض. الحزان: الأمكنة الغليظة الصلبة فيها حصباء كثيرة. الميل: الكتبان الضخمة من الرمال.

(١٤) مقلد: موضع القلادة من العُنُق. فعم: ممتلىء. مقيد: موضع القيد، وبنات الفحل، الإناث من الإل المنسوبة إلى أبيها.

(١٥) غلباء: غليظة العُنُق. وجناء: عظيمة الوجنتين: عُلكوم: شديدة. مُذَكَّرَة: تشبه الذُكْر في عظم الجِلْقَة. الدف: الجنب. قدامها ميل: كناية إما عن سعة الخَطْو أو طول العُنُق.

- وَجَلَدُهَا مِنْ أَطْوَمِ مَا يُؤَيِّسُهُ
حَرْفٌ أَخُوهَا أَبُوهَا^(٢) مِنْ مُهَجَّنَةٍ
يَمْشِي الْقِرَادُ عَلَيْهَا ثُمَّ يُزْلِقُهُ
عَيْرَانَةٌ قُدِفَتْ بِالنَّحْضِ عَنْ عُرْضٍ
كَأَنَّهَا فَاتٌ^(٦) عَيْنِيهَا وَمَذْبَحُهَا
تُمِرُّ مِثْلَ عَسِيبِ النَّخْلِ ذَا خُصَلٍ
قَتَوَاءٌ فِي حُرْتَيْهَا لِلْبَصِيرِ بِهَا
تَخْدِي عَلَى يَسْرَاتٍ وَهِيَ لِاحِقَّةٌ
سُمِرَ الْعُجَايَاتُ يَتَرَكْنَ الْحَصَى زَيْمًا
كَأَنَّ أَوْبَ ذِرَاعِيهَا وَقَدْ عَرِقَتْ
- طَلَحَ بَضَاحِيَةَ الْمُتَثَنِينَ مَهْزُولٌ^(١)
وَعَمَّهَا خَالَهَا قَوْدَاءٌ شِمْلِيلٌ^(٣)
مِنْهَا لِبَانٌ وَأَقْرَابٌ زَهَالِيلٌ^(٤)
مِرْقَئُهَا عَنْ بَنَاتِ الزُّورِ مَفْتُولٌ^(٥)
مِنْ خَطْمِهَا وَمِنْ اللَّخْيَيْنِ بِزَطِيلٍ^(٧)
فِي غَارِزٍ لَمْ تَخُونَهُ الْأَحَالِيلُ^(٨)
عَثَقَ مُبِينٌ وَفِي الْخَدَّيْنِ تَسْهِيلٌ^(٩)
ذَوَابِلٌ مَسْهُنٌ الْأَرْضَ تَحْلِيلٌ^(١٠)
لَمْ يَقْهِنَنَّ رُؤُوسَ الْأَكْمِ تَنْعِيلٌ^(١١)
وَقَدْ تَلْفَعُ بِالْقُورِ الْعَسَاقِيلُ^(١٢)

- (١) الأطوم: السلحفاة البحرية أو الزرافة غليظة الجلد. يؤيسه: يؤثر فيه. طلع: حشرة صغيرة تلتزم بالجلد وهي ما يُعرف بالقراد. الضاحية: النابحة الظاهرة للشمس. المتنين: ما اكتنف صلبها عن يمين وشمال. ومهزول: صفة لطلع. أي قراد مهزول.
- والمعنى إن جلد هذه الناقة غاية في الملاسة فلا يؤثر فيه القراد ولذلك هو مهزول.
- (٢) في المستدرک، وتاريخ الإسلام «حرف، أبوها أخوها».
- (٣) حرف: أي هي حرف، أو كأنها حرف، فعلى الأول يكون الحرف: الضامرة وعلى الثاني يكون شبهها بحرف الجبل وهي القطعة الخارجة منه. أبوها أخوها، وعمها خالها: أي مُدَاخِلَةُ النَّسَبِ كَرِيمَتُهُ لَمْ يَدْخُلْ فِي خِنْسَبِهَا غَرِيبٌ. المهجئة: كريمة الأبوين. قوداء: طويلة الظهر والعنق. شمليل: سريعة في خفة.
- (٤) يُزْلِقُهُ: يُسْقِطُهُ لِبَانٌ. صدر. أثراب: خواصر. زهاليل: جمع زهلول. أملس. والمعنى: أن في الناقة لنعومتها لا يثبت القراد على جسدها.
- (٥) عيرانة: أي هي ناقة تشبه عير الوحش في قوته وسرعته ونشاطه. النحض: اللحم. وفي المستدرک ٣/ ٥٨١ «ضلوع الزور» بدل «بنات الزور».
- والمعنى: أن مرقق تلك الناقة بعيد عما حوالي الصدر من الأضلاع فتكون محفوظة عن الضغط لأن مرققها بعيد عن أضلاعها.
- (٦) في المستدرک «قاب».
- (٧) فات: تقدّم؛ مذبحها: مكان الذبيح من الرقبة. الخطم: الأنف وما حوله. اللحيان: العظامان اللذان تبت عليهما الأسنان السفلى. برطيل: حجر مستطيل. أو ميغول من حديد.
- (٨) عسيب النخل: جريده الذي لم يثبت عليه الخوص. ذا خصل: أي ذبل له لفائف من الشعر. الغارز: الضرع. تَخُونُهُ: تُنْقِصُهُ. الأحاليل: مخارج اللبن مُفْرَدَةٌ: إحليل.
- (٩) القنواء: مخدودية الأنف. الحرتان: الأذنان. عثق: كزم. مبین: واضح. تسهيل: سهولة. أي لا خشونة فيهما.
- (١٠) تُخْدِي: تُسْرِعُ. يسرات: أي قوائم يسرات واليسرات. الخفاف: لاحقة. سابقة. الزوابل: الرماح الصلبة: تحليل: قليل. والمعنى: أن هذه الناقة سريعة لا تمس الأرض إلا مساً سريعاً لشدة عندها.
- (١١) العجايات: الأعصاب المتصلة بالحافر. زيماً: متفرقة. الأكم: الأرض المرتفعة. التنعيل: هو شدّ النعل على ظفر الذبابة ليقها الحجارة.
- (١٢) الأوب: سرعة تقلب ورجوع ذراعها. تلفع: ألتحف. القور: جمع قارة. الجبل الصغير. العساقيل: السراب.

يَوْمًا يَظَلُّ بِهِ الْجَزْبَاءُ مُضْطَجِدًا
 وَقَالَ لِلْقَوْمِ حَادِيهِمْ وَقَدْ جَعَلْتُ
 شَدَّ النَّهَارِ ذِرَاعًا عَيْطِلٍ نَصَفَ
 نَوَاحِي رِخْوَةَ الضُّبُعِينَ لَيْسَ لَهَا
 تَفْرِي اللَّبَانَ بَكْفِيهَا وَمَذْرُعَهَا
 تَسْعَى الْغَوَاةَ جَنَابِيهَا وَقَوْلُهُمْ^(٦)
 وَقَالَ كُلُّ صَدِيقِي كُنْتُ أَمْلُهُ
 فَقُلْتُ خَلُّوا سَبِيلِي لَا أَبَا لَكُمْ^(٩)
 كُلُّ ابْنِ أُتْسَى وَإِنْ طَالَتْ سَلَامَتُهُ
 نُبِئْتُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ أَوْعَدَنِي
 مَهْلًا هَذَا الَّذِي أَغْطَاكَ نَافِلَةَ الْ-
 لَا تَأْخُذْنِي بِأَقْوَالِ الْوُشَاةِ وَلَمْ

كَأَنَّ ضَاحِيَةَ بِالسُّنْمِ مَمْلُولٌ^(١)
 وَزُقُ الْجِنَادِبِ يَرْكُضْنَ الْحَصَا قِيلُوا^(٢)
 قَامَتْ فَجَاوَبَهَا نُكْدٌ مَثَاكِيلُ^(٣)
 لَمَّا نَعَى بِكْرَهَا النَّاعُونَ مَعْقُولٌ^(٤)
 مُشَقَّقٌ عَنِ تَرَاقِيهَا رَعَابِيلُ^(٥)
 إِنَّكَ يَا بَنَ أَبِي سُلْمَى لَمَقْتُولٌ^(٧)
 لَا إِلَهِيَّكَ إِنِّي عَنْكَ مَشْغُولٌ^(٨)
 فَكُلُّ مَا قَدَّرَ الرَّحْمَنُ مَفْعُولٌ^(١٠)
 يَوْمًا عَلَى آلَةِ حَذْبَاءٍ^(١١) مَحْمُولٌ
 وَالْعَفْوُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ مَأْمُولٌ^(١٢)
 قِرْآنٌ فِيهَا مَوَاعِيظٌ وَتَفْصِيلٌ^(١٣)
 أَذْنِبَ وَلَوْ كَثُرَتْ فِي الْأَقْوَابِلِ^(١٤)

- (١) الحرياء: نوع من الذباب الصغيرة. مضطجداً: محترقاً بحرارة الشمس. ضاحيه: ما برز للشمس منه، مملول: محروق.
 (٢) الحادي: سائق الإبل. ورق: جمع أوراق أو ورقاء. وهو الأخضر الذي يضرب إلى السواد. الجنادب جمع جندب: نوع من الجراد. يركضن: يدفغن. قيلوا: خذوا واحتكم وقت القيلولة.
 (٣) شد النهار: وسطه. عيطل: طويلة. نصف: متوسطة السن وهو غاية قوتها. نكد: من لا يعيش لهن ولد. مثاكيل: جمع مثكال. كثيرة فقد الأولاد.
 والمعنى: يشبه سرعة حركة يدي هذه الناقة بيدي امرأة قوية تلطم خديها فيجاوبها نسوة تكالي فيشتد لطمها.
 (٤) نواحي: كثيرة التلوح. صبيغة مبالغة من نائحة. رخوة: مسترخية. الضبوعين: العضدين. بكر: الولد الأول. الناعون: المخبرون بالموت. معقول: عقل.
 والمعنى: شبه هذه الناقة بتلك المرأة في تلك الأحوال فالناقة في هذه الحالة ليس لها عقل تدرك به التعب والإعياء.
 (٥) تفرى: تقطع. اللبان: الصدر. المذرح: القميص. التراقي: جمع ترقوة. عظام الصدر. رعابيل: قطع أي: أن هذه المرأة لذهاب عقلها تقطع قميصها بأناملها. فقميصها مشقوق يظهر عظام الصدر، يشبه بها الناقة في ذهاب عقلها فلا تحسن بمشقة السير. وهكذا استقصى كعب أوصاف الناقة في الآيات السابقة وانتقل بعد ذلك إلى قول المُرْجِفِينَ به.
 (٦) في المستدرک ٥٨١/٣: «يسعى الوشاة جنابها وقيلهم».
 (٧) الغواة: المفسدون. جنابها: حوايلها. مقتول: متوعد بالقتل.
 (٨) أمه: أترجاه وأتمنى إبعائه. لا ألهيئك: أي لا أشغلك عما أنت فيه من الخوف فاعمل لنفسك واتكل عليها.
 (٩) في المستدرک: «خلوا الطريق يديها لا أبالكم».
 (١٠) خلوا سبيلي: اتركوني لأقف بين يدي النبي ﷺ فإني أعلم أنه يقبل التائب ولن يطالبني بما كان قبل إسلامي.
 (١١) آلة حذباء: نعش.
 (١٢) نبئت: أخبرت. أوعدني: تهذني بالقتل. مأمول: مزجؤ.
 (١٣) هداك: هداك ربك للصفح عني والعفو، أو زادك هدى. فإنه لا يدعو له بالهدى لأنه هو الهادي المهدي. نافلة: زيادة لأن القرآن هدية زائدة عن النبوة ومنحه الرسالة.
 (١٤) لم أذنب: لم أخطيء في حقك.

أَرَى وَأَسْمَعُ مَا لَوْ يَسْمَعُ الْفَيْلُ
 مِنْ الرَّسُولِ بِإِذْنِ اللَّهِ تَنْوِيلٌ^(٢)
 فِي كَفِّ ذِي نَقِمَاتٍ قِيلَهُ الْقَيْلُ^(٣)
 وَقِيلَ إِنَّكَ مَنْسُوبٌ وَمَسْئُولٌ^(٤)
 فِي بَطْنِ عَثْرٍ غَيْلٌ دُونَهُ غَيْلٌ^(٥)
 لَحْمٍ مِنَ النَّاسِ مَغْفُورٌ خَرَادِيلٌ^(٦)
 أَنْ يَتْرُكَ الْقِرْنَ إِلَّا وَهُوَ مَفْلُولٌ^(٧)
 وَلَا تَمْشِي بِوَادِيهِ الْأَرَاجِيلُ^(٨)
 مُضْرَجُ الْبِزْرِ وَالذُّرْسَانِ مَأْكُولٌ^(٩)
 مُهْتَدٌ مِنْ سُيُوفِ اللَّهِ مَسْلُولٌ^(١٠)
 بِبَطْنِ مَكَّةَ لَمَّا أَسْلَمُوا زُولُوا^(١١)
 عِنْدَ اللَّقَاءِ وَلَا مَيْلٌ مَعَارِيزِلٌ^(١٢)
 مِنْ نَسْجِ دَاوُدَ فِي الْهَيْجَا سَرَابِيلٌ^(١٣)
 كَأَنَّهَا حَلَقَ الْقَفْعَاءَ مَجْدُولٌ^(١٤)

لَقَدْ أَقَوْمٌ مَقَامًا^(١) لَوْ يَأْتُونَ بِهِ
 لَظَلَّ يَزْعَعُدُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ لَهُ
 حَتَّى وَضَعْتُ يَمِينِي مَا أَنَا زَعُهُ
 فَلَهُوَ أَخَوْفٌ عِنْدِي إِذْ أَكَلْتُمَهُ
 مِنْ ضَمِيغٍ بِضْرَاءِ الْأَرْضِ مُخْدَرَةٌ^(٥)
 يَغْدُو فَيُلْجِمُ ضِرْغَامِينَ عَيْشُهُمَا
 إِذَا يُسَاوِرُ قِرْنًا لَا يَجِلُّ لَهُ
 مِنْهُ تَظَلَّ سِبَاعُ الْجَوْنَ نَافِرَةٌ
 وَلَا يَزَالُ بِوَادِيهِ أَخْوِثَقَةٌ
 إِنَّ الرَّسُولَ لَنُورٌ يُسْتَضَاءُ بِهِ
 فِي عُضْبَةٍ مِنْ قُرَيْشٍ قَالَ قَائِلُهُمْ
 زَالُوا فَمَا زَالَ أَنْكَاسٌ وَلَا كُشْفٌ
 شَمُّ الْعِرَانِينَ أَبْطَالَ لَبُوسَهُمْ
 بِيضٌ سَوَابِغٌ قَدْ شَكَّتْ لَهَا حَلَقٌ

(١) مقام: مجلس النبي ﷺ: يقوم: يحضر.

والمعنى: أن الشاعر حضر مجلسه ﷺ ف شعر بالهيبه ولو حضر هذا المجلس الفيل لاضطرب من شدة الأمر.

(٢) يرعد: تأخذه الرعدة بسبب الخوف. تنوِيل: عطاء.

(٣) لا أنازعه: أي أطيعه. نَقِمَات: جمع نَقْمَة: السُّطُوة. قِيلَهُ الْقَيْلُ: قوله النافذ.

(٤) أَخَوْفٌ: أي هو ﷺ أشد إخافة وإرهاباً. مَنْسُوبٌ وَمَسْئُولٌ: أي منسوب إلى أشياء قلتها ومسؤول عنها.

(٥) فِي الْمَسْتَدْرِكِ: «من خادر شيك الأنياب طاع له». وفي تاريخ الإسلام: «من ضيغم من ليوث الأسد مسكنه».

(٦) الضمغ: الأسد. ضراء الأرض: الأرض التي بها شجر. مخدر: غابة الأسد. عَثْرٌ: مكان تكثر فيه السباع. والغفيل: الأجمة، وهي الشجر الكثير الملتف.

(٧) يغدو: يخرج أول النهار للصيد. يلحم: يطعم لحماً: ضرغامين: مشى ضرغام: شبل الأسد. مغفور: ملقى في التراب.

خراديل: مقطع قطعاً صغيرة. (وفي المستدرک: ضرغامين عندهما لحم من القوم منثور).

(٨) يساور: يواثق ويصارع. القرن: المماثل في الشجاعة. مفلول: المكسور المهزوم.

(٩) الجو: ما بين السماء والأرض: نافرة: بعيدة. الأراجل: جماعات من الرجال. جمع أرجال. التي هي جماعة الرجال.

(١٠) أخو ثقاة: الوثائق بنفسه. مضرج: مخضب بالدماء. البز: السلاح. الذرسان: مفردة دريس: الخلق من الثياب.

(١١) يُسْتَضَاءُ بِهِ: يهتدي به إلى نور الحق. مهتد: سيف طبع في الهند. مسلول: مُخْرَجٌ مِنْ غِغْمِهِ.

(١٢) العُضْبَةُ: الجماعة ما بين العشرة إلى الأربعين. زولوا: فعل أمرٍ من زال التامة أي التي لها فاعل. أي تحولوا وانتقلوا.

(١٣) الأنكاس: المهانون. ولا كُشِفَ: أي لا ينكشفون في الحرب بمعنى لا ينهزمون. الجليل: الذين لا يحسنون الركوب. معازيل: لا سلاح معهم.

(١٤) شَمُّ: جمع أشم. وهو من في قصبة أنفه علو مع استواء أعلاه، علامة العزة والسيادة. اللبوس: ما يلبس من السلاح. من نسج داود: أي منسوجة وهي الدروع. الهيجأ: الحرب. سرابيل: دروع.

(١٥) بيض: مَجْلُوءَةٌ. سوابغ: طويلة ضافية. شكَّت: أدخل بعضها في بعض. القفعاء: نبات يشبه الحسك يتفرع على سطح الأرض له شوك تشبه به حلق الدرع، مجدول: مُحَكَّمٌ صُنْعُهُ.

لَيْسُوا مَفَارِيحَ إِنْ نَالَتْ رِمَاحُهُمْ^(١) قَوْمًا وَلَيْسُوا مَجَازِيعًا إِذَا نِيلُوا^(٢)
يَمْشُونَ مَشْيَ الْجَمَالِ الزُّهْرُ يَعْصِمُهُمْ ضَرْبُ إِذَا عَرَّدَ السُّودُ التَّنَابِيلَ^(٣)
لَا يَقَعُ الطَّنْفُنُ إِلَّا فِي نُحُورِهِمْ وَمَا لَهُمْ عَنِ حِيَاضِ الْمَوْتِ تَهْلِيلُ^(٤)
قال ابن هشام: قال كعب هذه القصيدة بعد قدومه على رسول الله ﷺ المدينة. وبيته: «حَرْفِ
أخوها أبوها» وبيته: «يمشي القراد»، وبيته: «عَيْرَانَةٌ قُذِفَتْ»، وبيته: «تُمْرٌ مِثْلُ عَيْسِبِ النَّخْلِ»، وبيته:
«تَقْرِى اللَّبَانَ»، وبيته: «إِذَا يُسَاوِرُ قِرْنَا»، وبيته: «وَلَا يَزَالُ بُوَادِيهِ»، عن غير ابن إسحاق.
كعب يسترضي الأنصار بمدحهم: قال ابن إسحاق: وقال عاصم بن عمَر بن قَتَادَةَ: فلما قَالَ
كعْبُ: «إِذَا عَرَّدَ السُّودُ التَّنَابِيلَ»، وإنما يريدنا معشر الأنصار، لِمَا كَانَ صَاحِبِنَا صَنَعَ بِهِ مَا صَنَعَ،
وَخَصَّ الْمُهَاجِرِينَ مِنْ قُرَيْشٍ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِمَدْحِهِ، غَضِبَتْ عَلَيْهِ الْأَنْصَارُ؛ فَقَالَ بَعْدَ أَنْ
أَسْلَمَ يَمْدُحُ الْأَنْصَارَ، وَيَذَكُرُ بِلَاءَهُمْ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَمَوْضِعُهُمْ مِنَ الْيَمَنِ:^(٥)
مَنْ سَرَّهُ كَرَمُ الْحَيَاةِ فَلَا يَزَلْ فِي مِقْنَبٍ مِنْ صَالِحِي الْأَنْصَارِ^(٦)
وَرِثُوا الْمَكَارِمَ كَابِرًا عَنِ كَابِرِ إِنَّ الْخِيَارَ هُمْ بَنُو الْأَخْيَارِ
الْمُكْرِهِينَ السُّمَهْرِيَّ بِأَذْرِعِ كَسَوَالِفِ الْهِنْدِيِّ غَيْرِ قِصَارِ^(٧)
وَالنَّاطِرِينَ بِأَعْيُنِ مُخْمَرَةٍ كَالْجَمْرِ غَيْرِ كَلِيلَةِ الْأَبْصَارِ^(٨)
وَالْبَائِعِينَ نَفُوسَهُمْ لِنَبِيِّهِمْ لَلْمَوْتِ يَوْمَ تَعَانَقِ وَكِرَارِ^(٩)
وَالْقَائِدِينَ النَّاسَ عَنْ أَدْيَانِهِمْ بِالْمَشْرِفِيِّ وَبِالْقَنَا الْخَطَّارِ^(١٠)
يَتَطَهَّرُونَ بِرَوْنِهِ نُسْكَأَ لَهُمْ بِدِمَاءٍ مَنْ عَلِقُوا مِنْ الْكُفَّارِ^(١١)

(١) في المستدرک ٥٨٢/٣ «لا يفرحون إذا زالت رماحهم». وفي تاريخ الإسلام ٦٢٠: «لا يفرحون إذا نالت سيوفهم».

(٢) مفارح: كثير الفرح. والمفرد مفراح. نالت: أصابت. مجازيع: كثير الجزع. والمفرد مجزاع. نيلوا: أصيبوا.

(٣) الزهر: البيض. يعصمهم: يمنعهم. عرّد: أعرض عن خصمه. التنابيل: القصار.

(٤) حياض الموت: موارد الهلاك، ويقصد به ساحات القتال: تهليل: تأخر.

وانظر القصيدة في ديوان كعب ٦ - ٢٥، وشرحها للخطيب التبريزي بتحقيق سالم الكرنكوي، وأكثرها في المستدرک
للحاكم ٥٨٠/٣ - ٥٨٢، تاريخ الإسلام (المغازي) ٦١٨ - ٦٢١، ومنها ستة أبيات في التذكرة الفخرية للإربلي ٤٥١،
ومنها ثلاثة أبيات في الاستيعاب ٢٩٩/٣، وبيتان في الإصابة ٢٩٦/٣، وسبعة أبيات في الأغاني ٨١/١٧، ٨٨، ٨٩،
 وخمسة في الكامل في التاريخ ٢/٢٧٥، ومنها اثنا عشر بيتاً في الشعر والشعراء ٨٩/١، ٩٠، وأكثرها في عيون الأثر ٢/
٢٠٩ - ٢١٢، وخمسة عشر بيتاً في المعجم الكبير للطبراني ١٧/١٧٨.

(٥) المستدرک على الصحيحين ٣/٥٨٤، ٥٨٥.

(٦) المِقْنَب: جماعة الخيل. والمراد به هنا الأنصار على ظهور خيلهم.

(٧) السمهري: الرمح. سوالف: حواشي. الهندي: السيف المنسوب إلى الهند.

(٨) بأعين مخمزة: يريد أن الشجاع إذا غضب احمرت عيناه.

(٩) تعانق: يريد به التحام الشجعان في ميدان القتال.

(١٠) المشرفي: السيف. القنا: الرماح. الخطار: المهتر.

(١١) يرونه: يعتقدونه. نسكأ: عباده.

دَرَبُوا كَمَا دَرَيْتَ بَبَطْنِ خَفِيَّةٍ غُلِبُ الرِّقَابِ مِنَ الْأَسْوَدِ ضَوَارِي (١)
 وَإِذَا حَلَلْتَ لِيَمْنَعُوكَ إِلَيْهِمْ أَضْبَحْتَ عِنْدَ مَعَاقِلِ الْأَعْفَارِ (٢)
 ضَرَبُوا عَلَيَّ يَوْمَ بَدْرِ ضَرْبَةً دَائِتْ لَوْقَعَتِهَا جَمِيعُ نِزَارِ (٣)
 لَوْ يَعْلَمُ الْأَقْوَامُ عِلْمِي كُلَّهُ فِيهِمْ لَصَدَّقَنِي الَّذِينَ أَمَارِي (٤)
 قَوْمٌ إِذَا خَوَتِ النُّجُومُ فَإِنَّهُمْ لِلطَّارِقِينَ النَّازِلِينَ مَقَارِي (٥)
 فِي الْغُرَمِينَ غَسَّانٌ مِنْ جُرْثُومَةٍ أَغَيْتَ مَحَافِزَهَا عَلَى الْمِنْقَارِ (٦)

قال ابن هشام: ويقال إن رسول الله ﷺ قال له حين أنشده: «بانثُ سعادُ قلبي اليومَ متبول»: لولا ذكرت الأنصار بخير، فإنهم لذلك أهل، فقال كعب هذه الأبيات وهي في قصيدة له.
 قال ابن هشام: وذكر لي عن علي بن زيد بن جُدعان أن قال: أنشد كعب بن زهير رسول الله ﷺ في المسجد:

«بانثُ سعادُ قلبي اليومَ متبول»

غزوة تبوك (٧)

في رجب سنة تسع

قال: حدثنا أبو محمد عبد الملك بن هشام، قال زياد بن عبد الله البكائي، عن محمد بن إسحاق المطلبي، قال: ثم أقام رسول الله ﷺ بالمدينة ما بين ذي الحجة إلى رجب، ثم أمر الناس بالتهيؤ لغزو الروم. وقد ذكر لنا الزهري ويزيد ابن رومان وعبد الله بن أبي بكر وعاصم بن حمر بن قتادة، وغيرهم من علمائنا، كلُّ حدث في غزوة تبوك ما بلغه عنها، وبعضُ النجوم يحدث ما لا يحدث بعض: أن رسول الله ﷺ أمر أصحابه بالتهيؤ لغزو الروم، وذلك في زمان من عُسرة الناس، وشِدَّة من

(١) دربوا: تعودوا. خفية: مكان تكثر فيه الأسود. غلب: غلب: غلاظ.

(٢) الأعفار: الودع الصغيرة يُضرب بها المثل لامتناعها في قمم الجبال.

(٣) ضربوا علياً: يريد به علياً بن مسعود بن مازن الغساني.

(٤) أماري: أجادل.

(٥) خوت: سقطت ولم تَطْر. مقاري: المقاري: الجفان التي يُصنع فيها الطعام.

(٦) وتروى: النفار. والأبيات في دوان كعب - ص ٢٥، ومنها ستة أبيات في الأغاني ٩٠/١٧، وثلاثة في الشعر والشعراء ١/٩٠، ٩١، والكامل في التاريخ ٢٧٦/٢، وفي عيون الأثر ٢١٢/٢ أربعة عشر بيتاً بزيادة بيت عما هنا. وفي المعجم الكبير للطبراني ستة أبيات ١٧٩/١٩، وفي سيرة ابن كثير ٧٠٧/٣، ٧٠٨ إحدى عشر بيتاً، وفي المستدرک على الصحيحين للحاكم اثنتان وعشرون بيتاً (٣/٥٨٥، ٥٨٦) وفي تلخيص المستدرک للذهبي واحد وعشرون بيتاً (٣/٥٨٥، ٥٨٦).

وحدث كعب بن زهير بطوله في المستدرک ٣/٥٧٨ - ٥٧٦، وتابه الذهبي في تلخيصه.

(٧) انظر عنها في: المغازي لعروة ٢٢٠، والمغازي للواقدي ٣/٩٨٩، وتاريخ خليفة ٩٢، والطبقات الكبرى لابن سعد ٢/١٦٥، وتاريخ الطبري ٣/١٠٠، والدرر في المغازي لابن عبد البر ٢٥٣، وجوامع السيرة لابن حزم ٢٤٩، والبدء والتاريخ - للمقدسي ٤/٢٣٩، وأنساب الأشراف ١/٣٦٨ رقم ٧٦٦، والمحبر لابن حبيب ١١٦، والمستدرک ٣/٥٠، ونهاية الأرب للنويري ١٧/٣٥٢، وعيون الأثر لابن سيد الناس ٢/٢١٥، وعيون التواريخ للكتبي ١/٣٤٤، وسيرة ابن كثير ٤/٢٧٦ - ٢٨٢، ومرآة الجنان لليافعي ١/١٥، ومجمع الزوائد للهيتمي ٦/١٩١ - ١٩٥، وتاريخ يعقوبي ٢/٦٧، ٦٨.

الْحَرَّ، وَجَذِبَ مِنَ الْبِلَادِ: وحين طابت الثمار، والناس يُحِبُّونَ الْمَقَامَ فِي ثَمَارِهِمْ وَظِلَالِهِمْ، وَيَكْرَهُونَ الشُّخُوصَ عَلَى الْحَالِ مِنَ الزَّمَانِ الَّذِي هُمْ عَلَيْهِ؛ وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَلَمًا يَخْرُجُ فِي غَزْوَةٍ إِلَّا كُنِيَ عَنْهَا، وَأَخْبِرَ أَنَّهُ يَرِيدُ غَيْرَ الْوَجْهِ الَّذِي يَضْمِدُ لَهُ^(١)، إِلَّا مَا كَانَ مِنْ غَزْوَةِ تَبُوكَ، فَإِنَّهُ بَيْنَهَا لِلنَّاسِ، لِبُعْدِ الشُّقَّةِ، وَشِدَّةِ الزَّمَانِ، وَكَثْرَةِ الْعَدُوِّ الَّذِي يَضْمِدُ لَهُ، لِيَتَأَهَّبَ النَّاسُ لِلذَّكَاءِ أَهْبَتَهُ، فَأَمَرَ النَّاسَ بِالْجِهَازِ، وَأَخْبَرَهُمْ أَنَّهُ يَرِيدُ الرُّومَ^(٢).

إِذْنًا لِي وَلَا تَفْتِنِي: فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ وَهُوَ فِي جِهَازِهِ ذَلِكَ لِلجَدِّ بْنِ قَيْسٍ أَحَدِ بَنِي سَلَمَةَ: يَا جَدُّ، هَلْ لَكَ الْعَامَ فِي جِلَادِ بَنِي الْأَصْفَرِ^(٣)؟ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَوْتَأَذُنُ لِي وَلَا تَفْتِنِي؟ فَوَاللَّهِ لَقَدْ عَرَفَ قَوْمِي أَنَّهُ مَا مِنْ رَجُلٍ بِأَشَدَّ عَجَبًا بِالنِّسَاءِ مِنِّي، وَإِنِّي أَحْشَى إِنْ رَأَيْتَ نِسَاءَ بَنِي الْأَصْفَرِ أَنْ لَا أَصْبِرَ، فَأَعْرَضَ عَنْهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَقَالَ: قَدْ أَذْنُتُ لَكَ. فَفِي الْجَدِّ بْنِ قَيْسٍ نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ: ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ أَذْنُتُ لِي وَلَا تَفْتِنِي أَلَا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ﴾ [التوبة: ٤٩]. أَيُ إِنْ كَانَ إِذَا خَشِيَ الْفِتْنَةَ مِنْ نِسَاءِ بَنِي الْأَصْفَرِ، وَلَيْسَ ذَلِكَ بِهِ، فَمَا سَقَطَ فِيهِ مِنَ الْفِتْنَةِ أَكْبَرَ، بِتَخَلُّفِهِ عَنِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَالرَّغْبَةِ بِنَفْسِهِ عَنِ نَفْسِهِ، يَقُولُ تَعَالَى: «وَإِنَّ جَهَنَّمَ لِمَنْ وَرَايَهُ»^(٤).

شَأْنُ الْمُنَافِقِينَ: وَقَالَ قَوْمٌ مِنَ الْمُنَافِقِينَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: لَا تَنْفِرُوا فِي الْحَرِّ، زَهَادَةٌ فِي الْجِهَادِ، وَشُكَّاكَ فِي الْحَقِّ، وَإِرْجَافًا بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى فِيهِمْ: ﴿وَقَالُوا لَا تَنْفِرُوا فِي الْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ﴾ [التوبة: ٨١] ^(٥).

قَالَ ابْنُ هِشَامٍ: وَحَدَّثَنِي الثَّقَلَانِ عَمَّنْ حَدَّثَهُ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ طَلْحَةَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ عَنْ إِسْحَاقَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ حَارِثَةَ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ، قَالَ: بَلَغَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، أَنَّ نَاسًا مِنَ الْمُنَافِقِينَ يَجْتَمِعُونَ فِي بَيْتِ سُؤْلِيمَ الْيَهُودِيِّ، وَكَانَ بَيْتُهُ عِنْدَ جَاسُومَ، يُبْطُونَ النَّاسَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ، فَبَعَثَ إِلَيْهِمُ النَّبِيَّ ﷺ طَلْحَةَ بْنَ عُبَيْدِ اللَّهِ فِي نَفَرٍ مِنْ أَصْحَابِهِ، وَأَمَرَهُ أَنْ يُحَرِّقَ عَلَيْهِمْ بَيْتَ سُؤْلِيمَ، فَفَعَلَ طَلْحَةُ. فَاقْتَحَمَ الضُّحَاكُ بْنُ خَلِيفَةَ مِنْ ظَهْرِ الْبَيْتِ، فَانْكَسَرَتْ رِجْلُهُ، وَاقْتَحَمَ أَصْحَابَهُ، فَافْتَلَتُوا. فَقَالَ الضُّحَاكُ فِي ذَلِكَ:

كَأَذَتْ وَيَنِيَّتِ اللَّهُ نَارُ مُحَمَّدٍ
وَوَظَلْتُ وَقَدْ طَبَّقْتُ كَيْسَ^(٦) سُؤْلِيمِ
أَخَافُ وَمَنْ تَشْمَلُ بِهِ النَّارُ يُحْرَقُ
يَشِيْطُ بِهَا الضُّحَاكُ وَابْنُ أَبِي بَرِيْقٍ
أَنْوَاءُ عَلَى رِجْلَيْ كَسِيرٍ وَمِزْقِي

حَضَّ الْأَغْنِيَاءُ عَلَى النَّفْقَةِ: قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: ثُمَّ إِنْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ جَدَّ فِي سَفَرِهِ، وَأَمَرَ النَّاسَ بِالْجِهَازِ وَالْإِنْكِمَاشِ، وَحَضَّ أَهْلَ الْغِنَى عَلَى الثَّقَةِ وَالْحُمْلَانِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، فَحَمَلَ رِجَالٌ مِنْ أَهْلِ

(١) يصمد له: يقصده.

(٢) بنو الأصفر، هم الروم البيزنطيون.

(٣) تاريخ الطبري ٣/١٠٠، ١٠١.

(٤) تاريخ الطبري ٣/١٠١.

(٥) انظر الخبر في تاريخ الطبري ٣/١٠١، ٢٠٢، والكامل في التاريخ ٢/٢٧٧.

(٦) كيس: بيت صغير.

الغنى واحتسبوا^(١)، وأنفق عثمان بن عفان في ذلك نفقة عظيمة، لم ينفق أحد مثلاًها^(٢).
 ما أنفق عثمان: قال ابن هشام: حدثني من أثق به: أن عثمان بن عفان أنفق في جيش العُسرة في غزوة تبوك ألف دينار، فقال رسول الله ﷺ اللهم ارض عن عثمان، فإني عنه راضٍ.
 البكاؤون والمعذرون والمتخلفون: قال ابن إسحاق: ثم إن رجالاً من المسلمين أتوا رسول الله ﷺ وهم البكاؤون، وهم سبعة نفر من الأنصار وغيرهم من بني عمرو بن عوف: سالم بن عمير، وعُلبَة بن زيد، أخو بني حارثة، وأبو ليلَى عبد الرحمن بن كعب، أخو بني مازن بن النجار، وعمرو بن حُمام بن الجموح، أخو بني سلمة، وعبدُ الله بن المغفل المُرَني - وبعض الناس يقول: بل هو عبد الله بن عمرو المُرَني - وهَرَمِي بن عبد الله، أخو بني واقف، وعزباض بن سارية الفزاري. فاستحملوا رسول الله ﷺ وكانوا أهل حاجة، فقال: ﴿لَا أَحَدٌ مَّا أَحْمَلُكُمْ عَلَيْهِ﴾، فتولوا ﴿تَوَلَّوْا وَأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا مَا يُنْفِقُونَ﴾^(٣).

قال ابن إسحاق: فبلغني أن ابن يامين بن عمير بن كعب النَّضري لقيَ أبا ليلَى عبد الرحمن بن كعب وعبد الله بن مُعفل وهما يبكيان، فقال: ما يبكيكما؟ قال: جئنا رسول الله ﷺ ليحملنا، فلم نجد عنده ما يحملنا عليه، وليس عندنا ما نتقوى به على الخروج معه؛ فأعطاهما ناصحاً^(٤) له، فارتحلاه، ورؤدهما شيئاً من تمر، فخرجا مع رسول الله ﷺ^(٥).

قال ابن إسحاق: وجاءه المعذرون من الأعراب، فاعتذروا إليه، فلم يعذرهم الله تعالى. وقد ذكر لي أنهم نفرٌ من بني غفار.

ثم استتبَّ^(٦) رسول الله ﷺ سفره، وأجمع السير، وقد كان نفرٌ من المسلمين أبطأت بهم النية عن رسول الله ﷺ حتى تخلفوا عنه، عن غير شك ولا ارتياب؛ منهم: كعب بن مالك بن أبي كعب، أخو بني سلمة، ومُرارة بن الربيع، أخو بني عمرو بن عوف، وهلال بن أمية، أخو بني واقف، وأبو خيشمة، أخو بني سالم بن عوف. وكانوا نفر صدق، لا يهتمون في إسلامهم^(٧).
 فلما خرج رسول الله ﷺ ضرب عسكره على ثنية الوداع.

قال ابن هشام: واستعمل على المدينة محمد بن مسلمة الأنصاري.

وذكر عبد العزيز بن محمد الدراوذي عن أبيه: أن رسول الله ﷺ استعمل على المدينة، مخرجه إلى تبوك، سباع بن عُرْفطة^(٨).

(١) احتسبوا الأجر عند الله.

(٢) تاريخ الطبري ١٠٢/٣ وفيه «لم ينفق أحد أعظم من نفقته».

(٣) انظر الخبر في تاريخ الطبري ١٠٢/٣، وطبقات ابن سعد ١٦٥/٢.

(٤) الناضح: الجمل الذي تُسقى عليه الماء.

(٥) تاريخ الطبري ١٠٢/٣، تاريخ الإسلام ٦٣٠ وفيه «شيئاً من لبن».

(٦) استتب: انتظم وتتابع.

(٧) المحبر لابن حبيب ٢٨٤، ٢٨٥، تاريخ الطبري ١٠٣/٢، المغازي للواقدي ٩٩٦/٣، ٩٩٧، تاريخ الإسلام (المغازي)

٦٣١، الكامل في التاريخ ٢٧٨/٢.

(٨) تاريخ الطبري ١٠٣/٣.

قال ابن إسحاق: وضرب عبد الله بن أبي معه على جِدَّةِ عسكره أسفل منه، نحو ذباب^(١)، وكان فيما يزعمون ليس بأقل العسكرين. فلما سار رسول الله ﷺ تخلف عنه عبد الله بن أبي، فيمن تخلف من المنافقين وأهل الرئب^(٢).

المنافقون يُزجفون بعلي: وخلف رسول الله ﷺ علي بن أبي طالب، رضوان الله عليه، على أهله، وأمره بالإقامة فيهم، فأرجف به المنافقون، وقالوا: ما خلفه إلا استثقلاً له، وتخففاً منه. فلما قال ذلك المنافقون، أخذ علي بن أبي طالب، رضوان الله عليه سلاحه، ثم خرج حتى أتى رسول الله ﷺ وهو نازل بالجرف^(٣)، فقال: يا نبي الله، زعم المنافقون أنك خلفتني أنك استثقتني وتخففت مني؛ فقال: «كذبوا، ولكنني خلفتك لما تركت ورائي، فارجع فاخلفني في أهلي وأهلك، أفلا ترضى يا علي أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى؟ إلا أنه لا نبي بعدي» فرجع علي إلى المدينة؛ ومضى رسول الله ﷺ على سفره^(٤).

قال ابن إسحاق: وحدثني محمد بن طلحة بن يزيد بن ركانة، عن إبراهيم ابن سعد بن أبي وقاص، عن أبيه سعد: أنه سمع رسول الله ﷺ يقول لعلي هذه المقالة.

أبو خيثمة وعمير بن وهب يلحقان بالرسول: قال ابن إسحاق: ثم رجع علي إلى المدينة، ومضى رسول الله ﷺ على سفره، ثم إن أبا خيثمة رجع بعد أن سار رسول الله ﷺ أياماً إلى أهله في يوم حار، فوجد امرأتين له في عريشين لهما في حائطه^(٥)، قد رشت كل واحدة منهما عريشها، وبردت له فيه ماء، وهيات له فيه طعاماً. فلما دخل، قام على باب العريش، فنظر إلى امرأته وما صنعتا له، فقال: رسول الله ﷺ في الضح^(٦) والريح والحر، وأبو خيثمة في ظل بارد، وطعام مهياً، وامرأة حسناء، في ماله مقيم، ما هذا بالئصف! ثم قال: والله لا أدخل عريش واحدة منكما حتى ألحق برسول الله ﷺ فهيتا لي زادا، ففعلتا. ثم قدم ناضحه فارتحلته، ثم خرج في طلب رسول الله ﷺ حتى أدركه حين نزل تبوك. وقد كان أدرك أبا خيثمة عمير بن وهب الجُمحي في الطريق، يطلب رسول الله ﷺ فترافقا، حتى إذا دنوا من تبوك. قال أبو خيثمة لعمير بن وهب: إن لي ذنباً، فلا عليك أن تخلف عني حتى آتي رسول الله ﷺ ففعل حتى إذا دنا من رسول الله ﷺ وهو نازل بتبوك، قال الناس: هذا راكب على الطريق مُقبل؛ فقال رسول الله ﷺ: «كن أبا خيثمة»؛ فقالوا: يا رسول الله

(١) ذباب: جبل بالمدينة.

(٢) تاريخ الطبري ١٠٣/٣، تاريخ الإسلام (المغازي) ٦٣١.

(٣) الجرف: مكان بينه وبين المدينة ثلاثة أميال.

(٤) الحديث أخرجه البخاري في المغازي (١٢٩/٥) باب غزوة تبوك وهي غزوة العُسرة. ومسلم في فضائل الصحابة (٣٣/٢٤٠٤) باب من فضائل علي بن أبي طالب، والترمذي في المناقب (٣٨٠٨)، وابن سعد في الطبقات الكبرى ٢٤/٣، ٢٥، والكلابي في المسند (وهو ملحق بكتاب مناقب أمير المؤمنين علي) لابن المغازلي - ص ٢٧٦ رقم ٢٩، ٣٠ وابن الأثير في جامع الأصول ٦٤٩/٨، وابن جُمع الصيداوي في معجم الشيوخ ٢٤٠، ٢٤١ رقم ١٩٦، (بتحقيقنا) - الحاشية رقم ٥، والطبري في تاريخه ١٠٣/٣، ١٠٤، والذهبي في تاريخ الإسلام (المغازي) ٦٣١ و٦٣٢.

(٥) الحائط: البستان.

(٦) الضح: الشمس.

هو والله أبو خيثة. فلما أناخ أقبل فسلم على رسول الله ﷺ؛ فقال له رسول الله ﷺ: «أولى لك^(١) يا أبا خيثة». ثم أخبر رسول الله ﷺ الخبير؛ فقال له رسول الله ﷺ خيراً، ودعا له بخير^(٢).
قال ابن هشام: وقال أبو خيثة في ذلك شعراً، واسمه مالك بن قيس:

لَمَّا رَأَيْتُ النَّاسَ فِي الدِّينِ نَافَقُوا أَيْتُ السَّيِّئَةِ كَانَتْ أَعْفَى وَأَكْرَمَا
وَبَايَعْتُ بِالْيُمْنَى يَدِي لِمُحَمَّدٍ فَلَمْ أَكْتَسِبْ إِثْمًا وَلَمْ أَغْشَ مَخْرَمَا
تَرَكْتُ خَضِيبًا فِي الْعَرِيشِ وَصِرْمَةً صَفَايَا كِرَامًا بُسْرَهَا قَدْ تَحَمَّمَا^(٣)
وَكُنْتُ إِذَا شَكَ الْمَنَافِقُ أَسْمَحْتُ إِلَى الدِّينِ نَفْسِي شَطْرَهُ حَيْثُ يَمَّمَا

ما حدث بالحجر: قال ابن إسحاق: وقد كان رسول الله ﷺ حين مرّ بالحجر نزلها، واستقى الناس من بئرها. فلما راحوا قال رسول الله ﷺ: «لا تشربوا من مائها شيئاً، ولا تتوضأوا منه للصلاة، وما كان من عجين عجنتموه فأغلفوه الإبل، ولا تأكلوا منه شيئاً، ولا يخرج أحد منكم الليلة إلا ومعه صاحب له». ففعل الناس ما أمرهم به رسول الله ﷺ، إلا أن رجلين من بني ساعدة خرج أحدهما لحاجته، وخرج الآخر في طلب بعير له، فأما الذي ذهب لحاجته فإنه خنق على مذهبه؛ وأما الذي ذهب في طلب بعيره فاحتملته الريح، حتى طرحته بجبلي طيباً. فأخبر بذلك رسول الله ﷺ، فقال: «ألم أنهكم أن يخرج منكم أحد إلا ومعه صاحبه!» ثم دعا رسول الله ﷺ نلذي أصيب على مذهبه فسفي؛ وأما الآخر الذي وقع بجبلي طيباً، فإن طيباً أهدته لرسول الله ﷺ حين قدم المدينة^(٤).
والحديث عن الرجلين عن عبد الله بن أبي بكر، عن عباس بن سهل بن سعد الساعدي؛ وقد حدثني عبد الله بن أبي بكر أن قد سمى له العباس الرجلين، ولكنه استؤذعه إياهما، فأبى عبد الله أن يسميهما لي.

قال ابن هشام: بلغني عن الزهري أنه قال: لما مرّ رسول الله ﷺ بالحجر سجدى ثوبه على وجهه، واستحّ راحلته، ثم قال: «لا تدخلوا بيوت الذين ظلموا إلا وأنتم باكون، خوفاً أن يُصيبكم مثل ما أصابهم»^(٥).

قال ابن إسحاق: فلما أصبح الناس ولا ماء معهم، شكوا ذلك إلى رسول الله ﷺ، فدعا رسول الله ﷺ، فأرسل الله سبحانه سحابة فأمطرت حتى ازتوى الناس، واحتملوا حاجتهم من الماء^(٦).

قال ابن إسحاق: فحدثني عاصم بن عمر بن قتادة، عن محمود بن لبيد، عن رجال من بني عبد

(١) أولى لك: كلمة تهديد معناها الويل لك.

(٢) الخبر في تاريخ الطبري ٣/١٠٤، والمغازي للواقدي ٣/٩٩٨، والكامل في التاريخ ٨٢، ٢٧، وتاريخ الإسلام (المغازي) ٦٣٣، ونهاية الأدب ١٧/٣٥٤، ٣٥٥، وانظر المغازي لعروة ٢٢٠.

(٣) الصرمة: جماعة النخل. البُسر: التمر: قبل نُضجه. وتحتمماً: قارب أن يطيب.

(٤) تاريخ الطبري ٣/١٠٥، تاريخ الإسلام (المغازي) ٦٣٧، ٦٣٨ وفيه قال: هكذا منكر مرسل.

(٥) هم المعتدون أصحاب الحجر، من ثمود الذين كذبوا النبي صالحاً عليه السلام. وكانت دارهم تسمى «الحجر». بوادي القرى بين المدينة والشام. (معجم البلدان ٢/٢٢١).

(٦) تاريخ الطبري ٣/١٠٥.

الأشهل، قال: قلت لمحمود: هل كان الناس يعرفون التُّفاق فيهم؟ قال: نعم والله، إنَّ كان الرجل ليعرفه من أخيه ومن أبيه ومن عمِّه وفي عشيرته، ثمَّ يلبس بعضهم بعضاً على ذلك. ثم قال محمود: لقد أخبرني رجالٌ من قومي عن رجل من المنافقين معروف نفاقه، كان يسير مع رسول الله ﷺ حيث سار؛ فلما كان من أمر الناس بالحجر ما كان، ودعا رسولُ الله ﷺ حين دعا، فأرسل الله السحابة، فأمرت حتى ازتوى الناس قالوا: أقبلنا عليه نقول: ونحك، هل بعد هذا شيء! قال: سحابة مائة^(١).

تقول ابن اللصيت: قال ابن إسحاق: ثم إن رسول الله ﷺ سار حتى إذا كان ببعض الطريق ضلَّت ناقته، فخرج أصحابه في طلبها، وعند رسول الله ﷺ رجل من أصحابه، يُقال له عُمارة بن حزم، وكان عَقِيْباً بَدْرِيّاً، وهو عم بني عمرو بن حزم، وكان في رَحْله زيدُ بن اللصيت القَيْنَقاعي، وكان منافقاً.

قال ابن هشام: ويقال: ابن لُصيب (بالباء).

قال ابن إسحاق: فحدثني عاصم بن عمر بن قتادة، عن محمود بن لبيد، عن رجال من بني عبد الأشهل، قالوا: فقال زيد بن اللصيت، وهو في رحل عُمارة وعمارة عند رسول الله ﷺ: أليس محمد يزعم أنه نبي، ويخبركم عن خبر السماء، وهو لا يدري أين ناقته؟ فقال رسول الله ﷺ وعمارة عنده، إن رجلاً قال: هذا محمَّدٌ يخبركم أنه نبي، ويزعم أنه يخبركم بأمر السماء وهو لا يدري أين ناقته، وإني والله ما أعلم إلا ما علَّمني الله وقد دلَّني الله عليها، وهي في هذا الوادي، في شِعب كذا وكذا، قد حبسها شجرة بزمامها، فانطلقوا حتى أتوني بها، فذهبوا، فجاؤوا بها. فرجع عُمارة بن حزم إلى رحله، فقال: والله لعَجَبٌ من شيء حَدَّثناه رسولُ الله ﷺ آنفاً، عن مقالة قائل أخبره الله عنه بكذا وكذا، للذي قال زيدُ بن لُصيت؛ فقال رجل ممن كان في رحل عُمارة ولم يحضر رسول الله ﷺ: زيدُ والله قال هذه المقالة قبل أن تأتي. فأقبل عُمارة على زيدٍ يَجاً^(٢) في عُنقه ويقول: إليَّ عباد الله، إنَّ في رحلي لدهايةً وما أشعر، اخرجُ أي عدوَّ الله من رحلي، فلا تُضحني.

خبر أبي ذر: قال ابن إسحاق: فزعم بعضُ الناس أن زيداً تاب بعد ذلك؛ وقال بعضُ الناس لم يزل مُتَّهماً بِشَرِّ حتى هَلَكَ^(٣).

ثم مضى رسولُ الله ﷺ سائراً، فجعل يتخلفُ عنه الرجلُ، فيقولون: يا رسول الله، تخلف فلان، فيقول: «دعوه، فإن يك فيه خير فسيلحقه الله تعالى بكم، وإن يك غير ذلك فقد أراحكم الله منه» حتى قيل: يا رسول الله، قد تخلف أبو ذر^(٤)، وأبطأ به بعيه؛ فقال: «دعوه، فإن يك فيه خير فسيلحقه الله بكم، وإن يك غير ذلك فقد أراحكم الله منه» وتلوم^(٥) أبو ذر على بعيه، فلما أبطأ عليه، أخذ متاعه فحمَّله على ظهره، ثم خرج يتبع أثر رسول الله ﷺ ماشياً. ونزل رسول الله في بعض

(١) تاريخ الطبري ٣/١٠٥، ١٠٦، تاريخ الإسلام (المغازي) ٦٤١.

(٢) يَجاً: يطعن.

(٣) تاريخ الطبري ٣/١٠٦، تاريخ الإسلام (المغازي) ٦٤١، ٦٤٢، الواقي ٣/١٠١٠.

(٤) أبو ذر: اسمه جندب بن جُنادة. وقيل بُرير بن عسرة. وقيل جُنْدَب بن عبد الله. وقيل جُنْدَب بن السكَّن.

(٥) تلوم: تمهل.

منازله، فنظر ناظرٌ من المسلمين فقال: يا رسول الله، إن هذا الرجل يمشي على الطريق وحده؛ فقال رسول الله ﷺ: «كُنْ أبا ذرٍّ»^(١). فلما تأمله القومُ قالوا: يا رسول الله، هو والله أبو ذرٍّ؛ فقال رسول الله ﷺ: «رحم الله أبا ذرٍّ، يمشي وحده، ويموت وحده، ويُبعث وحده»^(٢).

وقال ابن إسحاق: فحدثني بُرَيْدَةُ بن سفيانَ الأَسْلَمِيّ عن محمد بن كَعْب القُرْظِيّ، عن عبد الله بن مسعود، قال: لما نفى عثمانُ أبا ذرٍّ إلى الرِّبْدَةِ^(٣)، وأصابه بها قدره، لم يكن معه أحدٌ إلا امرأته وغلّامه، فأوصاهما أن اغسِلاني وكفّناني، ثم ضَعاني على قارعة الطَّرِيقِ، فأولَ رَكْبٍ يمرُّ بكم فقولوا: هذا أبو ذرٍّ صاحبُ رسولِ الله ﷺ، فأعينونا على دفنِه. فلما مات فعلا ذلك به. ثم وضعاه على قارعة الطَّرِيقِ؛ وأقبل عبدُ الله بن مسعود في رَهْطٍ من أهلِ العراقِ عُمَارَ، فلم يرُغهم إلا بالجنّازة على ظهر الطَّرِيقِ، قد كادت الإبلُ تَطُوها، وقام إليهم الغلام. فقال: هذا أبو ذرٍّ صاحبُ رسولِ الله ﷺ، فأعينونا على دفنِه. قال: فاستهلَّ عبدُ الله بن مسعود يبكي ويقول: صدق رسولُ الله ﷺ، تمشي وحدك، وتموت وحدك، وتُبعث وحدك. ثم نزل هو وأصحابه فوارَوْهُ، ثم حدثهم عبدُ الله بن مسعود حديثه، وما قال له رسولُ الله ﷺ في مسيره إلى تبوك^(٤).

تخويف المنافقين للمسلمين: قال ابن إسحاق: وقد كان رَهْطٌ من المنافقين، منهم ودِيعَةُ بن ثابت، أخو بني عمرو بن عوف، ومنهم رجل من أشجع، حليف لبني سلمة، يقال له: مُحَشَّن ابن حُمَيْرٍ - قال ابن هشام: ويقال مُحَشِيّ - يُشيرون إلى رسولِ الله ﷺ وهو منطلق إلى تبوك، فقال بعضهم لبعض: أتحيسون جلاّد بني الأصفر كقتال العرب بعضهم بعضاً! والله لكأنّا بكم غداً مُقَرَّنِينَ في الجبال، إرجافاً وترهيباً للمؤمنين، فقال مُحَشَّن بن حُمَيْرٍ: والله لوددت أنّي أقاضى على أن يُضرب كل رجل منّا مائة جلدة، وإنا نَنفَلِتُ أن ينزل فينا قرآن لمقاتلكم هذه^(٥).

وقال رسولُ الله ﷺ - فيما بلغني - لعَمَار بن ياسر: «أدرك القوم، فإنهم قد اخترقوا، فسَلِّمهم عما قالوا، فإن أنكروا فقل: بلى، قلتُم كذا وكذا». فانطلق إليهم عَمَار، فقال ذلك لهم؛ فأتوا رسولَ الله ﷺ يعتذرون إليه، فقال ودِيعَةُ بن ثابت، ورسولُ الله ﷺ واقف على ناقته، فجعل يقول وهو آخذ بحَقَبِهَا^(٦): يا رسولَ الله، إنما كُنّا نخوض ونلعب؛ فأنزل اللهُ عزَّ وجلَّ: ﴿وَلَيْن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ﴾ [التوبة: ٦٥]. وقال مُحَشَّن بن حُمَيْرٍ: يا رسولَ الله، قعد بي اسمي واسم أبي؛ وكان الذي غَفِي عنه في هذه الآية مُحَشَّن بن حُمَيْرٍ، فتسمى عبد الرحمن، وسأل اللهُ تعالى أن يقتله شهيداً لا يُعْلَم بمكانه، فقتل يوم اليمامة، فلم يوجد له أثر^(٧).

الصلح مع صاحب أيلة: ولما انتهى رسولُ الله ﷺ إلى تبوك، أتاه يُحَنَّة بن رُوَيْبَةَ، صاحب أيلة،

(١) كن أبا ذرٍّ: لفظة الأمر، ومعناه الدعاء؛ كما تقول: أسلم سلمك الله.

(٢) تاريخ الطبري ١٠٧/٣، تاريخ الإسلام (المغازي) ٦٣٢.

(٣) الرِّبْدَةُ: بالتحريك، قرية من قرى المدينة على ثلاثة أيام. (معجم البلدان ٢٤/٣).

(٤) تاريخ الطبري ١٠٧/٣، تاريخ الإسلام (المغازي) ٦٣٢، ٦٣٣، الكامل في التاريخ ٢٨٠/٢، المغازي للواقدي ٣/١٠٠١، ١٠٠٠.

(٥) تاريخ الطبري ١٠٨/٣ وفيه «أن ينزل اللهُ فينا قرآنًا لمقاتلكم هذه»؛ المغازي للواقدي ١٠٠٣/٣، ١٠٠٤.

(٦) الحَقَب: حزام يُشدُّ به على حَقْو الجمل.

(٧) تاريخ الطبري ١٠٨/٣، تاريخ الإسلام (المغازي) ٦٤٢ نهاية الأدب ١٧٠/٣٦٠.

فصالح رسول الله ﷺ، وأعطاه الجزية، وأتاه أهل جرباء وأذرح^(١)، فأعطوه الجزية، فكتب رسول الله ﷺ لهم كتاباً، فهو عندهم^(٢).

فكتب ليُحْتَنَ بن رُوْبَة:

«بسم الله الرحمن الرحيم: هذه أَمَنَةٌ مِنَ اللَّهِ، ومحمد النبي رسول الله ليُحْتَنَ ابن رُوْبَة وأهل أَيْلَة، سُنْفَنهم وسيارتهم في البرِّ والبحر: لهم ذَمَّةُ الله، وذمَّةُ محمد النبي، ومن كان معهم من أهل الشام، وأهل اليمن، وأهل البحر، فمن أحدث منهم حَدَثًا، فإنه لا يحول ماله دُونَ نفسه، وإنه طَيِّبٌ لمن أخذه من الناس، وإنه لا يحل أن يُنْتَعوا ماء يَرِدونه، ولا طريقاً يُرِيدونه، من برّ أو بحر»^(٣).

خالد وأكيدر دومة^(٤): ثم إن رسول الله ﷺ دعا خالد بن الوليد، فبعثه إلى أكيدر دومة، وهو أكيدر ابن عبد الملك، رجل من كِنْدَة كان ملكاً عليها، وكان نصرانياً؛ فقال رسول الله ﷺ لخالد: إنك ستجده يصيد البقر، فخرج خالد، حتى إذا كان من حصنة بمنظر العين، وفي ليلة مُقْمِرَة صَائِفَة، وهو على سَطْحٍ له، ومعه امرأته، فباتت البقر تُحْكُ بقرونها باب القصر، فقالت له امرأته: هل رأيت مثل هذا قَطُّ؟ قال: لا والله! قالت: فمن يترك هذه؟ قال لا أحد. فنزل فأمر بفرسه، فأسرج له، وركب معه نفر من أهل بيته، فيهم أخ يقال له حَسَّان. فركب، وخرجوا معه بمطاردتهم. فلما خرجوا تلقتهم خيل رسول الله ﷺ، فأخذته، وقتلوا أخاه؛ وقد كان عليه قَبَاء من دِيْبَاجٍ مُخَوَّصٍ بالذَّهَبِ، فاستلبه خالد، فبعث به إلى رسول الله ﷺ قبل قدومه به عليه^(٥).

قال ابن إسحاق: فحدثني عاصم بن عمر بن قتادة، عن أنس بن مالك، قال: رأيت قَبَاء أكيدر حين قدم به على رسول الله ﷺ، فجعل المسلمون يَلْمِسونه بأيديهم، ويتعجبون منه، فقال رسول الله ﷺ: «أتعجبون من هذا؟ فوالذي نفسي بيده لَمَنَادِيل سعد بن مُعَاذٍ في الجنة أحسن من هذا»^(٦).

قال ابن إسحاق: ثم إن خالداً قدم بأكيدر على رسول الله ﷺ، فحقق له دمه، وصالحه على الجزية، ثم خَلَى سبيله، فرجع إلى قريته^(٧)؛ فقال رجل من طييء: يقال له بُجَيْرُ بن بُجَرَة، يذكر قول

(١) جَرْبَاء: موضع من أعمال عَمَّان بالبلقاء من أرض الشام. وأذرح من أعمال الشراة في أطراف الشام ثم من نواحي البلقاء. وبين أذرح والجرباء ميل واحد وأقل. (معجم البلدان ١١٨/٢).

(٢) تاريخ الطبري ١٠٨/٣، تاريخ الإسلام (المغازي) ٦٤٣.

(٣) المغازي للواقدي ١٠٣١/٣ وزاد فيه: «هذا كتاب جُيِّم بن الصَّلْتِ وشريحيل بن حسنة بإذن رسول الله ﷺ». وانظر إمتاع الأسماع للمقريزي ٤٦٨/١، وتاريخ يعقوبي ٧٠/٢، وكتز العمال ٥/عمود ٥٦٩٧، ومجموعة الوثائق السياسية للدكتور محمد حميد الله - ص ٨٩٥.

(٤) انظر: المغازي للواقدي ١٠٢٦، ١٠٢٥/٣، والطبقات الكبرى ١٦٦/٢، وتاريخ الطبري ١٠٩/٣، وتاريخ خليفة ٩٢، ٩٣ والبدء والتاريخ ٢٤٠/٤، وأنساب الأشراف ١/٣٨٢، ٣٨٤ رقم ٨٢٣، والكامل في التاريخ ٢/٢٨١، والمحرر لابن حبيب ١٢٥، ونهاية الأرب ١٧/٣٥٦، وعيون الأثر، ٢/٢٢٠، وسيرة ابن كثير ٤/٣٠، وتاريخ الإسلام (المغازي) ٦٤٥، وعيون التواريخ ١/٣٥٠، ٣٥١.

(٥) تاريخ الطبري ١٠٨/٣، ١٠٩، تاريخ الإسلام (المغازي) ٦٤٥، المغازي للواقدي ١٠٢٥/٣، ١٠٢٦.

(٦) تاريخ الطبري ١٠٩/٣، أنساب الأشراف ١/٣٨٢، ٣٨٣.

(٧) الطبري ١٠٩/٣.

رسول الله ﷺ لخالد: «إنك ستجده يصيد البقر». وما صنعت البقر تلك الليلة حتى استخرجته، لتصديق قول رسول الله ﷺ:

تَبَارَكَ سَائِقُ الْبَقَرَاتِ إِنِّي رَأَيْتُ اللَّهَ يَهْدِي كُلَّ هَادٍ
فَمَنْ يَكُ حَائِداً عَنِ ذِي تَبُوكِ فَلِنَّا قَدْ أُمِرْنَا بِالْجِهَادِ
فَأَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِتَبُوكَ بضع عشرة ليلة، لم يُجاوزها، ثم انصرف قافلاً إلى المدينة.

وادي المشقق وماؤه: وكان في الطريق ماء يخرج من وَشَلْ (١)، ما يُزوي الراكب والراكبين والثلاثة، بواد يُقال له وادي المُسَّقِّق؛ فقال رسول الله ﷺ: «من سَبَقنا إلى ذلك الوادي فلا يستقين منه شيئاً حتى نأتيه». قال: فسبقه إليه نفر من المنافقين، فاستقوا ما فيه؛ فلما أتاه رسول الله ﷺ وقف عليه، فلم ير فيه شيئاً. فقال: «من سبقنا إلى هذا الماء؟» فقيل له: يا رسول الله، فلان وفلان؛ فقال: «أولم أنهمم أن يستقوا منه شيئاً حتى أتته!» ثم لعنهم رسول الله ﷺ، ودعا عليهم. ثم نزل فوضع يده تحت الوشل، فجعل يصب في يده ما شاء الله أن يصب، ثم نَضَحَ به، ومَسَحَ بيده، ودعا رسول الله ﷺ بما شاء الله أن يدعو به، فانخرق من الماء - عما يقول من سمعه - ما إن له حساً كحس الصواعق، فشرب الناس، واستقوا حاجتهم منه. فقال رسول الله ﷺ: «لئن بقيتم أو من بقي منكم لتسمعن بهذا الوادي، وهو أخصب ما بين يديه وما خلفه» (٢).

ذو البجادين ودفنه وتسميته: قال: وحدثني محمد بن إبراهيم بن الحارث التيمي، أن عبد الله بن مسعود كان يحدث، قال: قُمت من جوف الليل، وأنا مع رسول الله ﷺ في غزوة تبوك، قال: فرأيت شغلة من نار في ناحية العسكر، قال: فأتبعتها أنظر إليها، فإذا رسول الله ﷺ وأبو بكر وعمر، وإذا عبد الله ذو البجادين المزنّي قد مات، وإذا هم قد حفروا له، ورسول الله ﷺ في حفرة، وأبو بكر وعمر يُدليانه إليه، وهو يقول: أذنيا لِي أخاكما، فدلياه إليه، فلما هياه لشيئه قال: «اللهم إني أمسيت راضياً عنه، فارض عنه». قال: يقول وعبد الله بن مسعود: يا ليتني كنت صاحب الحفرة (٣).

قال ابن هشام: وإنما سُمي ذا البجادين، لأنه كان ينازع إلى الإسلام، فيمنعه قومه من ذلك، ويُضيقون عليه، حتى تركوه في بجاد ليس عليه غيره، والبجاد: الكساء الغليظ الجافي، فهرب منهم إلى رسول الله ﷺ، فلما كان قريباً منه، شق بجاده باثنين، فاتزر بواحد، واشتمل بالآخر، ثم أتى رسول الله ﷺ، فقيل له: ذو البجادين لذلك (٤)، والبجاد أيضاً: المسح قال ابن هشام: قال امرؤ القيس:

كَأَنَّ أَبَانَا فِي عَرَانِينَ وَذَقَهُ كَبِيرُ أَنْاسٍ فِي بَجَادٍ مُزْمَلٍ
حديث أبي رُهم في تبوك: قال ابن إسحاق: وذكر ابن شهاب الزهري، عن ابن أكيمة الليثي، عن ابن أخي أبي رُهم الغفاري، أنه سمع أبا رُهم كُثُومَ بن الحُصَيْن، وكان من أصحاب رسول الله ﷺ

(١) الوشل: الماء القليل يسيل من صخر أو جبل.

(٢) تاريخ الطبري ٣/١٠٩، ١١٠.

(٣) الاستيعاب ٢/٢٩٣، الإصابة ٢/٣٣٩.

(٤) الاستيعاب ٢/٢٩٢، وانظر الإصابة ٢/٣٣٩.

الذين بايعوا تحت الشجرة، يقول: عَزَوْتُ مع رسول الله ﷺ غزوة تبوك، فسرت ذات ليلة معه ونحن بالأخضر قريباً من رسول الله ﷺ وألقى الله علينا النفاس، فطَفَفْتُ أستيقظ وقد دنت راحلتي من راحلة رسول الله ﷺ، فَيُفْرِعُنِي دنوها منه، مخافة أن أصيب رجله في العَرَزِ، فطفت أحوزاً راحلتي^(١) عنه، حتى غلبتني عيني في بعض الطريق، ونحن في بعض الليل، فزاحمت راحلتي راحلة رسول الله ﷺ ورجله في العَرَزِ، فما استيقظت إلا بقوله: «حَسَّ»^(٢)، فقلت: يا رسول الله، استغفر لي. فقال: سر، فجعل رسول الله ﷺ يسألني عَمَّنْ تخَلَّفَ عن بني غفار، فأخبره به؛ فقال وهو يسألني: «ما فعل النَّفَرُ الحُمْرُ الطُّوَالِ النَّطَاطِ»^(٣). فحدثته بتخلفهم. قال: فما فعل النَّفَرُ السود الجعاد القصار؟ قال: قلت: والله ما أعرف هؤلاء منا. قال: «بلى، الذين لهم نَعَمٌ بِشَبَكَةِ شَدَخٍ»^(٤)؛ فتذكرتهم في بني غفار، ولم أذكرهم حتى ذكرت أم لهم رهط من أسلم كانوا حلفاء فينا، فقلت: يا رسول الله، أولئك رهط من أسلم، حلفاء فينا؛ فقال رسول الله ﷺ: «ما منع أحد أولئك حين تخلف أن يحمل على بعير من إبله امرأاً نشيطاً في سبيل الله، إن أعز أهلي علي أن يتخلف عني المهاجرون من قريش والأنصار وغفار وأسلم».

أمر مسجد الضرار عند القفول من غزوة تبوك^(٥)

قال ابن إسحاق: ثم أقبل رسول الله ﷺ حتى نزل بذي أوان^(٦) بلد بينه وبين المدينة ساعة من نهار، وكان أصحاب مسجد الضرار قد كانوا أتوه وهو يتجهز إلى تبوك، فقالوا: يا رسول الله، إننا قد بنينا مسجداً لذي العلة والحاجة والليلة المطيرة والليلة الشاتية، وإننا نحب أن تأتينا، فتصلي لنا فيه؛ فقال: «إني على جناح سقر، وحال شغل»، أو كما قال ﷺ، «ولو قد قدمنا إن شاء الله لأتيناكم، فصلينا لكم فيه».

فلما نزل بذي أوان، أتاه خبر المسجد، فدعا رسول الله ﷺ مالك بن الدخشم، أخا بني سالم بن عوف، ومغن بن عدي، أو أخاه عاصم بن عدي، أخا بني العجلان، فقال: «انطلقا إلى هذا المسجد الظالم أهله، فاهدماه وحرّقا». فخرجا سريعين حتى أتيا بني سالم بن عوف، وهو رهط مالك بن الدخشم، فقال مالك لمعن: أنظرنني حتى أخرج إليك بنار من أهلي. فدخل إلى أهله، فأخذ سعفاً من النخل، فأشعل فيه ناراً، ثم خرجا يشتدان حتى دخلاه وفيه أهله، فحرّقا وهدّماه، وتفرّقا عنه، ونزل

(١) أحوز: أبعاد.

(٢) حس: كلمة تقال عند وجود الألم، فهي كلمة تخرج من الصوت كالأين ليست اسماً أو اسم فعل مثل: صه ومه. وانظر الروض الأنف ٤/١٩٧.

(٣) النطاط، مفردة نط: صغير نبات شعر اللحية. قال الشاعر:

كهامة الشيخ اليماني الشط

(الروض الأنف ٤/١٩٨).

(٤) شبكة شدخ: موضع من بلاد غفار.

(٥) انظر: المغازي للواقدي ٣/١٠٤٥، تاريخ الطبري ٣/١١٠، السنن الكبرى للبيهقي ٩/٣٣، تاريخ الإسلام (المغازي) ٦٤٧، سيرة ابن كثير ٤/٣٨، عيون الأثر ٢/٢٢٢.

(٦) ذو أوان: ويقال ذات أوان. موضع بطريق الشام (معجم البلدان ١/٢٧٥، وفاء الوفا للسهمودي ٢/٢٥٠).

فيهم من القرآن ما نزل: ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [التوبة: ١٠٧].. إلى آخر القصة.

وكان الذين بنوه اثني عشر رجلاً: خِذام بن خالد، من بني عبيد بن زيد، أحد بني عمرو بن عوف، ومن داره أخرج مسجد الشُّقاق، وثعلبة بن حاطب من بني أمية بن زيد، ومعتب بن قُشير، من بني ضبيعة بن زيد، وأبو حبيبة بن الأزعر، من بني ضبيعة بن زيد، وعبد بن حنيف، أخو سهل بن حنيف، من بني عمرو بن عوف، وجارية بن عامر، وابناه مُجمَع بن جازية، وزيد بن جارية، ونُبتل ابن الحارث، من بني ضبيعة، وبخُرج، من بني ضبيعة، وبِجاد بن عثمان، من بني ضبيعة، ووديعه بن ثابت، وهو من بني أمية بن زيد رهط أبي لبابة بن عبد المنذر^(١).

مساجد الرسول ﷺ وكانت مساجد رسول الله ﷺ فيما بين المدينة إلى تبوك معلومة مسماة: مسجد تبوك، ومسجد بثنية مدران^(٢)، ومسجد بذات الزراب^(٣)، ومسجد بالأخضر^(٤)، ومسجد بذات الخطمي^(٥)، ومسجد بألاء، ومسجد بطرف البتراء، من ذنب كواكب^(٦)، ومسجد بالشق، شق تارا^(٧)، ومسجد بذى الحيفة^(٨)، ومسجد بصدر حوضي^(٩)، ومسجد بالحجر^(١٠)، ومسجد بالصعيد^(١١)، ومسجد بالوادي، اليوم، وادي القرى، ومسجد بالرُقعة من الشقة، شقة بني عُذرة^(١٢)، ومسجد بذى المزوة، ومسجد بالفيفاء^(١٣)، ومسجد بذى خُشب^(١٤).

أمر الثلاثة الذين خلفوا وأمر المعذرين في غزوة تبوك

وقدم رسول الله ﷺ المدينة، وقد كان تخلف عنه رهط من المنافقين. وتخلف أولئك الرهط

- (١) تاريخ الطبري ١١١/٣، المغازي للواقدي ١٠٤٥/٣ - ١٠٤٧.
- (٢) مدران: موضع في طريق تبوك من المدينة. (معجم البلدان ٧٦/٥).
- (٣) بناء ﷺ في مسيره إلى تبوك من المدينة. (معجم البلدان ١٣٥/٣).
- (٤) الأخضر: منزل قرب تبوك بينه وبين وادي القرى. (معجم البلدان ١٢٣/١).
- (٥) الخطمي: بناء ﷺ في مسيره إلى تبوك من المدينة. (معجم البلدان ٣٧٩/٢).
- (٦) كواكب: بضم الكاف الأولى وكسر الثانية. جبل يعينه معروف تُنحت منه الأرحية. وقد تفتح الكاف. (معجم البلدان ٤/٤٨٦).
- (٧) شق: بكسر أوله، ويُروى بالفتح. اسم موضع. والشق. من حصون خيبر. وشق من قرى فدك تُعمل فيها اللُجُم. (معجم البلدان ٣/٣٥٥) وتاراء: بالراء. موضع بالشام. (معجم البلدان ٦/٢).
- (٨) ذو الحيفة: موضع بين المدينة وتبوك. (معجم البلدان ٢٠١/٢).
- (٩) حوضي: بالفتح ثم السكون، مقصور، بوزن سَكْرَى. اسم ماء لبني طهمان بن عمرو بن سلمة بن سكن... إلى جنب جبل في ناحية الرمل... وقد أكثرت شعراء هُذيل من ذكر هذا في شعرهم فإن لم يكن في بلادهم فهو قريب منها. وفي نوادر أبي زياد: حوضي نجد من منازل بني عُقيل. (معجم البلدان ٢/٣٢١).
- (١٠) الحجر: اسم ديار ثمود بوادي القرى بين المدينة والشام. (معجم البلدان ٢/٢٢١).
- (١١) الصعيد: وادٍ قرب وادي القرى. (معجم البلدان ٤٠٨/٣).
- (١٢) الرُقعة: بالفتح ثم السكون موضع قرب وادي القرى. (معجم البلدان ٥٨/٣).
- (١٣) فَيْفَاء: بالفتح. من الفَيْف: المفازة التي لا ماء فيها من الاستواء والسعة، وقيل: الفيفاء الصحراء الملساء، وقد أضيف إلى عدة مواضع منها: فيفاء الخبار. وهو بالمعيق. (معجم البلدان ٤/٢٨٥).
- (١٤) خُشب: بضم أوله وثانيه. وادٍ على مسيرة ليلة من المدينة. (معجم البلدان ٢/٣٧٢).

الثلاثة من المسلمين من غير شك ولا نفاق: كعب بن مالك، ومُرارة بن الربيع، وهلال بن أمية؛ فقال رسول الله ﷺ لأصحابه: لا تَكَلُمُنَّ أحداً من هؤلاء الثلاثة، وأتاه من تخلف عنه من المنافقين فجعلوا يخلفون له ويعتذرون، فصَفَحَ عنهم رسول الله ﷺ، ولم يَغْذِرْهم الله ولا رسوله، واعتزل المسلمون كلام أولئك النفر الثلاثة^(١).

قال ابن إسحاق: فذكر الزُهريُّ محمد بن مسلم بن شهاب، عن عبد الرحمن ابن عبد الله بن كعب بن مالك: أن أباه عبد الله، وكان قائد أبيه حين أصيب بصره، قال: سمعت أبي كعب بن مالك يحدث حديثه حين تخلف عن رسول الله ﷺ في غزوة تبوك، وحديث صاحبيه، قال: ما تخلفت عن رسول الله ﷺ في غزوة غزاها قط، غير أنني كنت قد تخلفت عنه في غزوة بدر، وكانت غزوة لم يعاتب الله ولا رسوله أحداً تخلف عنها، وذلك أن رسول الله ﷺ إنما خرج يريد عير قريش، حتى جمع الله بينه وبين عدوه على غير ميعاد، ولقد شهدت مع رسول الله ﷺ العقبة، وحين توائمتنا على الإسلام، وما أحب أن لي بها مشهد بدر، وإن كانت غزوة بدر هي أذكر في الناس منها. قال: كان من خبري حين تخلفت عن رسول الله ﷺ في غزوة تبوك أنني لم أكن قط أقوى ولا أيسر مني حين تخلفت عنه في تلك الغزوة، والله ما اجتمعت لي راحلتان قط حتى اجتمعنا في تلك الغزوة، وكان رسول الله ﷺ قلماً يريد غزوة يغزوها إلا ورى بغيرها، حتى كانت تلك الغزوة، فغزاها رسول الله ﷺ في حر شديد، واستقبل سفراً بعيداً، واستقبل غزو عدو كثير، فجلى للناس أمرهم ليتأهبوا لذلك أهبة وأخبرهم خبره بوجهه الذي يريد، والمسلمون من تبع رسول الله ﷺ كثير، لا يجمعهم كتاب حافظ، يعني بذلك الديوان، يقول: لا يجمعهم ديوان مكتوب.

قال كعب: فقل رجل يريد أن يتغيب إلا ظن أنه سيخفى له ذلك، ما لم ينزل فيه وحي من الله، وغزا رسول الله ﷺ تلك الغزوة حين طابت الثمار وأجبت الظلال، فالناس إليها صُغِر^(٢)؛ فتجهز رسول الله ﷺ، وتجهز المسلمون معه، وجعلت أعدو لأتجهز معهم، فأرجع ولم أقض حاجة، فأقول في نفسي: أنا قادر على ذلك إذا أردت، فلم يزل ذلك يتمادي بي حتى شمّر الناس بالجد، فأصبح رسول الله ﷺ غادياً، والمسلمون معه، ولم أقض من جهازي شيئاً، فقلت: أتجهز بعده بيوم أو يومين، ثم ألحق بهم، فغدوت بعد أن فصلوا لأتجهز، فرجعت ولم أقض شيئاً، ثم غدوت فرجعت ولم أقض شيئاً، فلم يزل ذلك يتمادي بي حتى أسرعوا، وتفرط^(٣) الغزو، فهممت أن أرتحل، فأدرتهم، وليتني فعلت، فلم أفعل، وجعلت إذا خرجت في الناس بعد خروج رسول الله ﷺ، فطففت فيهم، يحزنني أنني لا أرى إلا رجلاً مغموصاً^(٤) عليه في النفاق، أو رجلاً ممن عذر الله من الضعفاء، ولم يذكرني رسول الله ﷺ حتى بلغ تبوك، فقال وهو جالس في القوم بتبوك: «ما فعل كعب بن مالك؟» فقال رجل من بني سَلِمة: يا رسول الله، حبسه بُرداه، والنظر في عطفه؛ فقال له معاذ بن جبل: بئس ما قلت! والله يا رسول الله ما علمنا منه إلا خيراً؛ فسكت رسول الله ﷺ.

فلما بلغني أن رسول الله ﷺ قد توجه قافلاً من تبوك، حضرني بئ^(٥)، فجعلت أتذكر الكذب

(٢) صعر: مفردة: أصعر وهو المائل.

(٤) مغموصاً: مطعوناً.

(١) تاريخ الطبري ٣/ ١١١.

(٣) تفرط: فات.

(٥) بئ: حزني.

فدفع إليّ كتاباً من ملك غسان، وكتب كتاباً في سرقة^(١) من حريز، فإذا فيه: «أما بعد، فإنه قد بلغنا أن صاحبك قد جفاك، ولم يجعلك الله بدار هوان ولا مضيعة، فالحق بنا نواسك»^(٢). قال: قلت حين قرأتها: وهذا من البلاء أيضاً، قد بلغ بي ما وقعت فيه أن طمع في رجل من أهل الشرك. قال: فعمدت بها إلى ثنور، فسجرت^(٣) بها. فأقمنا على ذلك حتى إذا مضت أربعون ليلة من الخمسين إذا رسول رسول الله يأتيني، فقال: إن رسول الله ﷺ يأمرك أن تعتزل امرأتك، قال: قلت: أطلقها أم ماذا؟ قال: لا، بل اعتزلها ولا تقربها، وأرسل إليّ صاحبي بمثل ذلك، فقلت لامرأتي: الحقي بأهلك، فكوني عندهم حتى يقضي الله في هذا الأمر ما هو قاض. قال: وجاءت امرأة هلال بن أمية رسول الله ﷺ، فقالت: يا رسول الله، إن هلال بن أمية شيخ كبير ضائع لا خادم له، أفتكره أن أخدمه؟ قال: لا، ولكن لا يقربك؛ قالت: والله يا رسول الله ما به من حركة إليّ، والله ما زال يبكي منذ كان من أمره ما كان إلى يومه هذا، ولقد تخوفت على بصره. قال: فقال لي بعض أهلي: لو استأذنت رسول الله ﷺ لامرأتك، فقد أذن لامرأة هلال بن أمية أن تخدمه؛ قال: فقلت: والله لا أستأذنه فيها، ما أدري ما يقول رسول الله ﷺ لي في ذلك إذا استأذنته فيها، وأنا رجل شاب. قال: فلبثنا بعد ذلك عشر ليالٍ، فكمل لنا خمسون ليلة، من حين نهي رسول الله ﷺ المسلمين عن كلامنا، ثم صليت الصبح، صبح خمسين ليلة، على ظهر بيت من بيوتنا، على الحال التي ذكر الله مئاً، قد ضاقت علينا الأرض بما رحبت، وضاقت عليّ نفسي، وقد كنت ابتنيت خيمة في ظهر سلع، فكنت أكون فيها إذا سمعت صوت صارخ أوفى على ظهر سلع يقول بأعلى صوته: يا كعب بن مالك، أبشر، قال: فخررت ساجداً، وعرفت أن قد جاء الفرج.

قال: وأذن رسول الله ﷺ الناس بتوبة الله علينا حين صلى الفجر، فذهب الناس يبشروننا، وذهب نحو صاحبي مبشرون، وركض رجل إليّ فرساً، وسعى ساع من أسلم، حتى أوفى على الجبل، فكان الصوت أسرع من الفرس؛ فلما جاءني الذي سمعت صوته يبشرنني، نزعت ثوبي، فكسوتهما إياه بشارة، والله ما أملك يومئذ غيرهما، واستعرت ثوبين فلبستهما، ثم انطلقت أتيمم رسول الله ﷺ، وتلقاني الناس يبشرونني بالتوبة، يقولون: ليهنك توبة الله عليك، حتى دخلت المسجد، ورسول الله ﷺ جالس حول الناس، فقام إليّ طلحة بن عبيد الله، فحياني وهنأني، ووالله ما قام إليّ رجل من المهاجرين غيره. قال: فكان كعب بن مالك لا ينساها لطلحة.

قال كعب: فلما سلمت على رسول الله ﷺ قال لي، ووجهه يبرق من السرور: أبشر بخير يوم مرّ عليك منذ ولدتك أمك، قال: قلت: أمن عندك يا رسول أم من عند الله؟ قال: بل من عند الله قال: وكان رسول الله ﷺ إذا استبشر كأن وجهه قطعة قمر. قال: وكنا نعرف ذلك منه. قال: فلما جلست بين يديه قلت: يا رسول الله، إن من توبتي إلى الله عز وجل أن أنخلع من مالي، صدقة إلى الله وإلى رسوله، قال رسول الله ﷺ: أمسك عليك بعض مالك، فهو خير لك. قال: قلت: إني ممسك سهمي الذي بخير؛ وقلت: يا رسول الله، إن الله قد نجاني بالصدق، وإن من توبتي إلى الله

(٢) نواسك: أي يكون فينا المواساة لك.

(١) السرقة: الشقة.

(٣) سجرت: أحرقت بلهب النار.

أن لا أحدث إلا صدقاً ما حييت، والله ما أعلم أحداً من الناس أبلاه الله في صدق الحديث منذ ذكرت لرسول الله ﷺ ذلك أفضل مما أبلاني الله، والله ما تعمّدت من كذبة منذ ذكرت ذلك لرسول الله ﷺ إلى يومي هذا، وإنني لأرجو أن يحفظني الله فيما بقي.

وأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَى: ﴿لَقَدْ تَابَ اللهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْمَسْرَةِ مِنْ بَدَا مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبَ فَرِيقٍ مِمَّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ بِهِمْ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴿١١٧﴾ وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خَلَفُوا﴾ [التوبة: ١١٧، ١١٨]... إلى قوله: ﴿وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ [التوبة: ١١٩].

قال كعب: فوالله ما أنعم الله عليّ نعمة قط بعد أن هداني للإسلام كانت أعظم في نفسي من صدقي رسول الله ﷺ يومئذ، أن لا أكون كذبتة، فأهلك كما هلك الذين كذبوا، فإن الله تبارك وتعالى قال في الذين كذبوه حين أنزل الوحي شراً ما قال لأحد، قال: ﴿سَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ إِذَا انْقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لِنَعْرِضُوا عَنْهُمْ فَأَعْرِضُوا عَنْهُمْ إِنَّهُمْ رَجِسٌ وَمَآؤُهُمْ جَهَنَّمُ جَرَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٥﴾﴾ يَحْلِفُونَ لَكُمْ لِرِضْوَانٍ عَنْهُمْ فَإِنْ تَرَضُوا عَنْهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَرْضَى عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ﴿١٦﴾﴾ [التوبة: ٩٥ - ٩٦].

قال: وكنا خلفنا أيها الثلاثة عن أمر هؤلاء الذين قبل منهم رسول الله ﷺ، حين حلفوا له فعذرهم، واستغفر لهم، وأرجأ رسول الله ﷺ أمرنا، حتى قضى الله فيه ما قضى، فبذلك قال الله تعالى: ﴿وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خَلَفُوا﴾ [التوبة: ١١٨].

وليس الذي ذكر الله من تخليفنا لتخليفنا عن الغزوة ولكن لتخليفه إيانا، وإرجائه أمرنا عن حلف له، واعتذر إليه، فقبل منه^(١).

أمر وفد ثقيف وإسلامها في شهر رمضان سنة تسع

قال ابن إسحاق: وقدم رسول الله ﷺ المدينة من تبوك في رمضان، وقدم عليه في ذلك الشهر وفد ثقيف.

وكان من حديثهم أن رسول الله ﷺ لما انصرف عنهم، اتبع أثره عروة بن مسعود الثقفي، حتى أدركه قبل أن يصل إلى المدينة، فأسلم وسأله أن يرجع إلى قومه بالإسلام، فقال له رسول الله ﷺ، كما يتحدث قومه: إنهم قاتلوك، وعرف رسول الله ﷺ أن فيهم نخوة الامتناع الذي كان منهم، فقال عروة: يا رسول الله أنا أحب إليهم من أبقارهم.

(١) وإنما اشتد غضبه على من تخلف عنه ونزل فيهم من الوعيد ما نزل حتى تاب الله على الثلاث منهم، وإن كان الجهاد من فروض الكفاية، لكنه في حق الأنصار خاصة كان فرض عين، وعليه بايعوا النبي ﷺ، ألا تراهم يقولون يوم الخندق، وهم يرتجزون:

نحن الذين بايعوا محمداً على الجهاد ما بقينا أبداً

ومن تخلف منهم يوم بدر إنما تخلف، لأنهم خرجوا لأخذ غير، ولم يظنوا أن سيكون قتال، فلذلك كان التخلف عن رسول الله ﷺ في هذه الغزاة كبيرة لأنها كالنكت لبيعتهم. (الروض الأنف ١٩٨٤).

والحديث أخرجه البخاري في كتاب المغازي، باب حديث كعب بن مالك، وقول الله عز وجل: ﴿وعلى الثلاثة الذي خلفوا﴾ (١٣٠/٥) ومسلم في كتاب التوبة، باب حديث توبة كعب بن مالك وصاحبه (٢٧٦٩/٣) وأحمد في المسند ٢/ ٤٥٤ و٤٥٦ - ٤٦٠ و٣٨٧/٦ - ٣٩٠، والطبراني في المعجم الكبير ٤٢/١٩ وما بعدها رقم ٩٠ و٩١ و٩٥، وعبد الرزاق في المصنف (٩٧٤٤)، والذهبي في تاريخ الإسلام (المغازي) ٦٥٣ - ٦٥٨.

قال ابن هشام: ويقال: من أبصارهم.

قال ابن إسحاق: وكان فيهم كذلك محبباً مطاعاً، فخرج يدعو قومه إلى الإسلام رجاء أن لا يخالفوه، لمنزلته فيهم؛ فلما أشرف لهم على عليّة له، وقد دعاهم إلى الإسلام، وأظهر لهم دينه، رمّوه بالثبل من كل وجه، فأصابه سهم فقتله، فتزعم بنو مالك أنه قتل رجل منهم، يُقال له أوس بن عوف، أخو بني سالم بن مالك، وتزعم الأحلاف أنه قتل رجل منهم، من بني عتاب بن مالك، يقال له وهب بن جابر، فقيل لغروة: ما ترى في دمك؟ قال: كرامة أكرمني الله بها، وشهادة ساقها الله إليّ، فليس فيّ إلا ما في الشهداء الذين قتلوا مع رسول الله ﷺ قبل أن يرتحل عنكم، فادفونني معهم، فذعنوا أن رسول الله ﷺ قال فيه: «إن مثله في قومه لكمثل صاحب ياسين في قومه»^(١).

ثم أقامت ثقيف بعد قتل غروة أشهراً، ثم إنهم ائتمروا بينهم، ورأوا أنه لا طاقة لهم بحرب من حولهم من العرب وقد بايعوا وأسلموا^(٢).

حدثني يعقوب بن عتبة بن المغيرة بن الأخنس: أن عمرو بن أمية، أخا بني علاج، كان مهاجراً لعبد ياليل بن عمرو، الذي بينهما سيء، وكان عمرو ابن أمية من أهوى العرب، فمضى إلى عبد ياليل بن عمرو، حتى دخل داره، ثم أرسل إليه أن عمرو بن أمية يقول لك: أخرج إليّ؛ قال: فقال عبد ياليل للرسول: ويلك! أعمرو أرسلك إليّ؟ قال: نعم، وها هو ذا واقفاً في دارك، فقال: إن هذا الشيء ما كنت أظنه. لعمرو كان أمنع في نفسه من ذلك، فخرج إليه، فلما رآه ركب به، فقال له عمرو: إنه قد نزل بنا أمر ليست معه هجرة إنه قد كان من أمر هذا الرجل ما قد رأيت، قد أسلمت العرب كلها، وليست لكم بحربهم طاقة، فانظروا في أمركم. فعند ذلك ائتمرت ثقيف بينها، وقال بعضهم لبعض: أفلا ترون أنه لا يأمن لكم^(٣) سيزب، ولا يخرج منكم أحد إلا اقتطع، فاتمروا بينهم، وأجمعوا أن يرسلوا إلى رسول الله ﷺ رجلاً، كما أرسلوا غروة، فكلّموا عبد ياليل بن عمرو بن عمير، وكان سن غروة بن مسعود، وعرضوا ذلك عليه، فأبى أن يفعل، وخشي أن يُصنع به إذا رجع كما صنع بغروة. فقال: لست فاعلاً حتى تُرسلوا معي رجلاً، فأجمعوا أن يبعثوا معه رجلين من الأحلاف، وثلاثة من بني مالك، فيكونوا ستة، فبعثوا مع عبد ياليل الحكم بن عمرو بن وهب بن معتب، وشرحبيل بن غيلان بن سلمة بن معتب، ومن بني مالك عثمان بن أبي العاص بن بشر بن عبد دهمان، أخا بني يسار، وأوس بن عوف، أخا بني سالم بن عوف، وتميم بن خرشة بن ربيعة، أخا بني الحارث، فخرج بهم عبد ياليل، وهو ناب القوم^(٤) وصاحب أمرهم، ولم يخرج بهم إلا خشية من

(١) يحتمل قوله ﷺ، كمثل صاحب ياسين أن يريد به المذكور في سورة ياسين، الذي قال لقومه: «اتبوا المرسلين» فقتله قومه، واسمه حبيب بن مري، ويحتمل أن يريد صاحب الياس، وهو اليسع، فإنّ الياس يقال في اسمه: ياسين أيضاً، وقال الطبري: وهو الياس بن ياسين، وفيه قال تبارك وتعالى: «سلام على ال ياسين». (الروض الأنف ٤/١٩٩).

(٢) انظر: الطبقات الكبرى ١/٣١٢، والمحبّر ١٠٥، ١٠٦، وتاريخ الطبري ٣/٩٧، وأنساب الأشراف ١/٤٤١، وتاريخ الإسلام (المغازي) ٦٦٧ - ٦٧٢.

(٣) السرب: القطيع من الحيوان أو الفريق من النساء أو جماعة النخل وهو أيضاً الطريق والقلب والصدر.

(٤) ناب القوم: سيدهم.

مثل ما صنَّع بعُروة بن مسعود، لكي يشغل كلَّ رجل منهم إذا رجعوا إلى الطائف زَهْطه .

فلما دنوا من المدينة، ونزلوا قناة، ألقوا بها المُغيرة بن شعبة، يرعى في تَوْبته رِكاب أصحاب رسول الله ﷺ، وكانت رَغبتها نُوباً على أصحابه ﷺ، فلما رآهم ترك الرِكاب عند الثَّقَفيين، وضبر^(١) يشتد، ليبشر رسول الله ﷺ بقُدومهم عليه، فلقبه أبو بكر الصديق قبل أن يدخل على رسول الله ﷺ، فأخبره عن ركب ثقيف أن قد قدموا يريدون البينة والإسلام، بأن يَشْرط لهم رسول الله ﷺ شُرْطاً، ويكتبوا من رسول الله ﷺ كتاباً في قومهم وبلادهم وأموالهم، فقال أبو بكر للمُغيرة: أَسَمْتَ عَلِيَّكَ بِاللَّهِ لَا تَسْبِقْنِي إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، حَتَّى أَكُونَ أَنَا أَحَدُهُ؛ فَفَعَلَ الْمُغِيرَةُ. فَدَخَلَ أَبُو بَكْرٍ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ. فَأَخْبَرَهُ بِقُدُومِهِمْ عَلَيْهِ، ثُمَّ خَرَجَ الْمُغِيرَةُ إِلَى أَصْحَابِهِ، فَزَوَّجَ الظُّهْرَ مَعَهُمْ، وَعَلَّمَهُمْ كَيْفَ يَحْيُونَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، فَلَمْ يَفْعَلُوا إِلَّا بِتَحِيَّةِ الْجَاهِلِيَّةِ، وَلَمَّا قَدِمُوا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ضَرَبَ عَلَيْهِمْ قُبَّةً فِي نَاحِيَةِ مَسْجِدِهِ، كَمَا يَزْعُمُونَ، فَكَانَ خَالِدُ بْنُ سَعِيدِ بْنِ الْعَاصِ، هُوَ الَّذِي يَمْشِي بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، حَتَّى أَكْتَبُوا كِتَابَهُمْ، وَكَانَ خَالِدٌ هُوَ الَّذِي كَتَبَ كِتَابَهُمْ بِيَدِهِ، وَكَانُوا لَا يَطْعَمُونَ طَعَاماً يَأْتِيهِمْ مِنْ عِنْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ حَتَّى يَأْكُلَ مِنْهُ خَالِدٌ، حَتَّى أَسْلَمُوا وَفَرَّغُوا مِنْ كِتَابِهِمْ، وَقَدْ كَانَ فِيمَا سَأَلُوا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَنْ يَدَعَ لَهُمُ الطَّاعِيَةَ، وَهِيَ اللَّاتُ، لَا يَهْدِمُهَا ثَلَاثَ سِنِينَ، فَأَبَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ذَلِكَ عَلَيْهِمْ فَمَا بَرَحُوا يَسْأَلُونَهُ سَنَةً سَنَةً، وَيَأْبَى عَلَيْهِمْ، حَتَّى سَأَلُوا شَهْراً وَاحِداً بَعْدَ مَقْدَمِهِمْ، فَأَبَى عَلَيْهِمْ أَنْ يَدْعَهَا شَيْئاً مَسْمُوماً، وَإِنَّمَا يَرِيدُونَ بِذَلِكَ فِيمَا يُظْهِرُونَ أَنْ يَتَسَلَّمُوا بِتَرْكِهَا مِنْ سَفَهَاتِهِمْ وَنَسَائِهِمْ وَذَرَارِيِّهِمْ وَيَكْرَهُونَ أَنْ يَرُوعُوا قَوْمَهُمْ بِهَدْمِهَا حَتَّى يَدْخُلَهُمُ الْإِسْلَامُ؛ فَأَبَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَّا أَنْ يَبِيعَ أَبَا سَفْيَانَ بْنِ حَرْبٍ وَالْمُغِيرَةَ بِنِ شَعْبَةَ فَيَهْدِمَاهَا، وَقَدْ كَانُوا سَأَلُوهُ مَعَ تَرْكِ الطَّاعِيَةَ أَنْ يُعْفِيَهُمْ مِنَ الصَّلَاةِ، وَأَنْ لَا يَكْسِرُوا أَوْثَانَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَمَا كَسَرُوا أَوْثَانَكُمْ بِأَيْدِيكُمْ فَسُتَعْفِيَكُمْ مِنْهُ، وَأَمَا الصَّلَاةَ، فَإِنَّهُ لَا خَيْرَ فِي دِينٍ لَا صَلَاةَ فِيهِ»^(٢) فَقَالُوا: يَا مُحَمَّدُ، فَسَنُؤْتِيكَهَا، وَإِنْ كَانَتْ ذِنَاءَةً.

فلما أسلموا وكتب لهم رسول الله ﷺ كتابهم، أمر عليهم عثمان بن أبي العاص، وكان من أحدثهم سناً، وذلك أنه كان أحرصهم على التفقه في الإسلام، وتعلم القرآن. فقال أبو بكر لرسول الله ﷺ: يا رسول الله، إني قد رأيتُ هذا الغلام منهم من أحرصهم على التفقه في الإسلام وتعلم القرآن^(٣).

قال ابن إسحاق: وحدثني عيسى بن عبد الله بن عطية بن سفيان بن ربيعة الثقفي، عن بعض وفدهم. قال: كان بلال يأتينا حين أسلمنا وضمنا مع رسول الله ﷺ ما بقي من رمضان، بفطرتنا وسحورنا من عند رسول الله ﷺ، فيأتينا بالسحور، وإنا لنقول: إنا لنرى الفجر قد طلع، فيقول: قد

(١) ضبر: وثب.

(٢) أخرج الطبراني في المعجم الكبير ٤٥/٩ رقم ٨٣٧٢ من طريق حماد بن سلمة، عن حميد، عن الحسن، عن عثمان بن أبي العاص أن وفد ثقيف لما قدموا على النبي ﷺ انزلهم المسجد ليكون أرق لقلوبهم، فاشترطوا على النبي ﷺ أن لا يحشروا ولا يعشروا ولا يجبروا ولا يستعمل عليهم من غيرهم فقال النبي ﷺ: «لا خير في دين ليس فيه ركوع».

(٣) تاريخ الطبري ٩٧/٣ - ٩٩.

تركت رسول الله ﷺ يتسحر، لتأخير السحور، ويأتينا بفطرتنا، وإنا لنقول: ما نرى الشمس كلها ذهبت بعد. فيقول: ما جتكم حتى أكل رسول الله ﷺ، ثم يضع يده في الجفنة، فيلتقم منها.
قال ابن هشام: بَطُّورنا وسحورنا.

قال ابن إسحاق: وحدثني سعيد بن أبي هند، عن مُطَرَف بن عبد الله بن الشُّخَيْر، عن عثمان بن أبي العاص، قال: كان من آخر ما عهد إلي رسول الله ﷺ حين بعثني على ثقيف أن قال: يا «عثمان، تجاوز في الصلاة، واقدِرْ الناس بأضعفهم، فإن فيهم الكبير، والصغير، والضعيف، وذا الحاجة»^(١).

هدم اللات: قال ابن إسحاق: فلما فرغوا من أمرهم، وتوجهوا إلى بلادهم راجعين، بعث رسول الله ﷺ معها أبو سفيان بن حرب والمغيرة بن شعبة، في هدم الطاغية. فخرجا مع القوم، حتى إذا قدموا الطائف، أراد المغيرة بن شعبة أن يُقدِّمَ أبو سفيان، فأبى ذلك أبو سفيان عليه، وقال: ادخل أنت على قومك؛ وأقام أبو سفيان بماله بذئ الهذم؛ فلما دخل المغيرة بن شعبة علاها يضربها بالمِعول، وقام قومه دونه، بنو مَعْتَب، خشية أن يُرمى أو يُصاب كما أُصيب عروة، وخرج نساء ثقيف حُسراً يَبْكِينَ عليها ويقلن:

لَتُبْكِينَ دُفْعاً أَسْلَمَهَا الرُّضَاعُ^(٢)
لَم يُخْسِنُوا المِصَاعُ^(٣)

قال ابن هشام: «لَتُبْكِينَ» عن غير ابن إسحاق.

قال ابن إسحاق: ويقول أبو سفيان والمغيرة يضربها بالفأس: واهأ لك! آهأ لك! فلما هدمها المغيرة وأخذ مالها وحليها أرسل إلى أبي سفيان وحليها مجموع، وما لها من الذهب والجزع.

وقد كان أبو مُلَيْح بن عروة وقارب بن الأسود قديماً على رسول الله ﷺ قبل وفد ثقيف، حين قُتل عروة، يريدان فراق ثقيف، وأن لا يجامعاهم على شيء أبداً، فأسلما؛ فقال لهما رسول الله ﷺ: تولياً مَنْ شتتما؛ فقالا: نتولى الله ورسوله؛ فقال رسول الله ﷺ: وخالكما أبو سفيان بن حرب؛ فقالا: وخالنا أبو سفيان بن حرب.

فلما أسلم أهل الطائف ووجه رسول الله ﷺ أبو سفيان والمغيرة إلى هدم الطاغية، سأل رسول الله ﷺ أبو مُلَيْح بن عروة أن يقضي عن أبيه عروة ديناً كان عليه من مال الطاغية، فقال له رسول الله ﷺ: «نعم». فقال له قارب بن الأسود: وعن الأسود يا رسول الله فاقضه، وعروة والأسود أخوان لأب وأم؛ فقال رسول الله ﷺ: «إن الأسود مات مشركاً». فقال قارب لرسول الله ﷺ: يا رسول الله، لكن تصل مسلماً ذا قرابة، يعني نفسه، إنما الدين عليّ، وإنما أنا الذي أُطلبُ به، فأمر رسول الله ﷺ

(١) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير ٤١/٩ رقم ٨٣٥٨ بالسند المذكور، واللفظ: «أم قومك وأقدرهم بأضعفهم فإن فيهم الكبير والضعيف وذا الحاجة».

(٢) الرُّضَاع: اللثام. كالرُّضْع جمع راضع، وهو اللثيم الذي رضع اللؤم من ثدي أمه، يريد أنه وُلد في اللؤم.

(٣) المِصَاع: القتال بالسيوف.

(٤) تاريخ الطبري ٣/١٠٠، تاريخ الإسلام (المغازي) ٦٧٢.

أبا سفيانٍ أن يَقْضِي دِينَ عُرْوَةَ وَالْأَسْوَدَ مِنْ مَالِ الطَّاعِيَةِ؛ فَلَمَّا جَمَعَ الْمُغِيرَةَ مَالَهَا قَالَ لِأَبِي سَفْيَانَ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَدْ أَمَرَكَ أَنْ تَقْضِيَ عَنْ عُرْوَةَ وَالْأَسْوَدَ دَيْنَهُمَا، فَقَضَى عَنْهُمَا^(١).

كتاب ﷺ لثَقِيف:

وكان كتاب رسول الله ﷺ الذي كتب لهم:

«بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ: مِنْ مُحَمَّدٍ النَّبِيِّ، رَسُولِ اللَّهِ، إِلَى الْمُؤْمِنِينَ: إِنَّ عِضَاهُ^(٢) وَحَ وَصِيدَهُ لَا يُعْضَدُ^(٣)، مَنْ وَجَدَ يَفْعَلُ شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ، فَإِنَّهُ يُجْلَدُ وَتُنَزَعُ ثِيَابُهُ، فَإِنْ تَعَدَّى ذَلِكَ فَإِنَّهُ يُؤْخَذُ فَيُبَلِّغُ بِهِ إِلَى النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ، وَإِنْ هَذَا أَمْرُ النَّبِيِّ مُحَمَّدِ رَسُولِ اللَّهِ».

وكتب خالد بن سعيد: «بِأَمْرِ الرَّسُولِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، فَلَا يَمُدُّهُ أَحَدٌ، فَيُظْلَمُ نَفْسَهُ فِيمَا أَمَرَ بِهِ مُحَمَّدُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ»^(٤).

حج أبي بكر بالناس سنة تسع

اختصاص النبي ﷺ علي بن أبي طالب رضوان الله عليه

بتأدية أول براءة عنه، وذكر براءة والقصاص في تفسيرها

قال ابن إسحاق: ثم أقام رسول الله ﷺ بقیة شهر رمضان وشوالاً وذا القعدة، ثم بعث أبا بكر أميراً على الحج من سنة تسع، ليقيم للمسلمين حجهم، والناس من أهل الشرك على منازلهم من حجهم. فخرج أبو بكر رضي الله عنه ومن معه من المسلمين.

ونزلت براءة في نقض ما بين رسول الله ﷺ وبين المشركين من العهد، الذي كانوا عليه فيما بينه وبينهم: أن لا يصد عن البيت أحد جاءه، ولا يخاف أحد في الشهر الحرام. وكان ذلك عهداً عاماً بينه وبين الناس من أهل الشرك، وكانت بين ذلك عهدود بين رسول الله ﷺ وبين قبائل من العرب خصائص، إلى آجال مسماة، فنزلت فيه وفيمن تخلف من المنافقين عنه في تبوك، وفي قول من قال منهم، فكشف الله تعالى فيها سرائر أقوام كانوا يستخفون بغير ما يظهرون، منهم من سمي لنا، ومنهم من لم يسم لنا، فقال عز وجل: ﴿بِرَاءَةٌ مِنْ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [التوبة: ١]، أي لأهل العهد العام من أهل الشرك ﴿فَيَسِيحُوا فِي الْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ عَيْرٌ مُعْجِزِي اللَّهِ وَأَنَّ اللَّهَ مُخْزِي الْكَافِرِينَ﴾ [٢] وَأَذَانٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ ﴿[التوبة: ٢، ٣]، أي بعد هذه الحججة ﴿فَإِنْ بُشْتُمْ فَهُوَ حَيْرٌ لَكُمْ وَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَأَعْلَمُوا أَنَّكُمْ عَيْرٌ مُعْجِزِي اللَّهِ وَنَبِّئِ الَّذِينَ كَفَرُوا بِعَدَابِ اللَّهِ﴾ [٣] إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿[التوبة: ٤، ٣]، أي العهد الخاص إلى الأجل المسمى ﴿ثُمَّ لَمْ يَفْضُوكُمْ شَيْئًا وَلَمْ يُظْهِرُوا عَلَيْكُمْ أَحَدًا فَأَتَوْا إِلَيْهِمْ عَاهِدُهُمْ إِلَى مَدِينِهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾ [٤] فَإِذَا أَسْلَخَ الْأَشْهُرَ الْحُرُمَ ﴿[التوبة: ٤، ٥]، يعني الأربعة التي ضرب لهم أجلاً ﴿فَأَقْتُلُوا

(١) تاريخ الطبري ٣/١٠٠٠ وفيه «فقد قضي منه دينهما».

(٢) العضاة: شجر له شوك.

(٣) لا يعضد: لا يقطع أي أنه حرام على غير أهله كتحريم مكة والمدينة، وقيل وج: هي الطائف وقيل إنها وإد بها.

(٤) إمتاع الأسماع للمقرئزي ١/٤٩٣، ٤٩٤، مجموعة الوثائق السياسية للدكتور محمد حميد الله ٢٤٠، رقم ١٨٢.

الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخَذُوهُمْ وَأَخْضَرُوهُمْ وَأَقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوْا
الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٥﴾ وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿التوبة: ٦٠، ٥﴾، أي من هؤلاء
الذين أمرتك بقتلهم ﴿أَسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلِمَ اللَّهِ ثُمَّ اتْلُغْهُ مَأْمَنَهُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْلَمُونَ﴾
[التوبة: ٦].

ثم قال: ﴿كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ﴾ [التوبة: ٧] الذين كانوا هم وأنتم على العهد العام أن لا
يُخيفوكم ولا يخيفوهم في الحرمة، ولا في الشهر الحرام ﴿عَهْدٌ عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ رَسُولِهِ إِلَّا الَّذِينَ
عَاهَدْتُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ [التوبة: ٧]، وهي قبائل من بني بكر الذين كانوا دخلوا في عقد قريش
وعهدهم إلى الحديبية، إلى المدة التي كانت بين رسول الله ﷺ وبين قريش، فلم يكن نقضها إلا هذا
الحج من قريش، وهي الذيل من بني بكر بن وائل، الذين كانوا دخلوا في عقد قريش وعهدهم. فأمر
باتمام العهد لمن لم يكن نقض من بني بكر إلى مدته ﴿فَمَا اسْتَقَمُوا لَكُمْ فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ
الْمُنْتَقِ﴾ [التوبة: ٧].

ثم قال تعالى: ﴿كَيْفَ وَإِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ﴾ [التوبة: ٨]، أي المشركون الذين لا عهد لهم
إلى مدة من أهل الشرك العام ﴿لَا يَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلَّا وَلَا ذِمَّةً﴾ [التوبة: ٨].

قال ابن هشام: الإل: الحلف. قال أوس بن حجر، أحد بني أسيد بن عمرو ابن تميم:

لولا بنو مالك والإل مَرْقَبَةٌ ومالك فيهمم الآلاء والشرف
وهذا البيت في قصيدة له. وجمعه: آلال، قال الشاعر:

فلا إل من الآلال بينني وبينكم فلا تألن جُهدا
والذمة: العهد. قال الأجدع بن مالك الهمداني، وهو أبو مسروق بن الأجدع الفقيه:

وكان علينا ذمة أن تُجاوزوا من الأرض مغروفاً إلينا ومُنكرا
وهذا البيت في ثلاثة أبيات له، وجمعها: ذمم.

﴿يُرْضُونَكَ بِأَنفُسِهِمْ وَتَأْتِي قُلُوبُهُمْ وَأَكْفَرُكُمْ فَسِقْرَتُ ﴿٨﴾ أَشْرَوْا بِعَائِدِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَصَدَّوْا عَنْ
سَبِيلِهِ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٩﴾ لَا يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلَّا وَلَا ذِمَّةً وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُعْتَدُونَ ﴿١٠﴾﴾
[التوبة: ٨-١٠] أي قد اعتدوا عليكم ﴿فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوْا الزَّكَاةَ فَخَوَّانَكُمْ فِي الْإِيْنِ وَفُضِّلَ
الْأَيْبَتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿١١﴾﴾ [التوبة: ١١].

اختصاص علي بتأدية براءة: قال ابن إسحاق: وحدثني حكيم بن حكيم بن عبّاد بن حنيف، عن
أبي جعفر محمد بن علي رضوان الله عليه، أنه قال: لما نزلت براءة علي رسول الله ﷺ، وقد كان
بعث أبا بكر الصديق ليقيم للناس الحج، قيل له: يا رسول الله لو بعثت بها إلى أبي بكر، فقال: «لا
يؤذي عني إلا رجل من أهل بيتي»^(١). ثم دعا علي بن أبي طالب رضوان الله عليه، فقال له: اخرج

(١) أخرج نحوه الترمذي في المناقب (٣٨٠٣) باب مناقب علي بن أبي طالب رضي الله عنه، عن إسماعيل بن موسى، أخبرنا
شريك، عن أبي إسحاق، عن حبشي بن جنادة قال: قال رسول الله ﷺ: «علي مني وأنا من علي ولا يؤذي عني إلا أنا أو
علي». وقال: هذا حديث حسن غريب صحيح. وابن ماجه في المقدمة (٤٤/١) رقم (١١٩) باب فضل علي بن أبي
طالب رضي الله عنه. وأحمد في المسند ٤/١٦٤ و١٦٥.

بهذه القصة من صدر براءة، وأذن في الناس يوم النحر إذا اجتمعوا بمنى، أنه لا يدخل الجنة كافر، ولا يحج بعد العام مشرك، ولا يطوف بالبيت عريان، ومن كان له عند رسول الله ﷺ عهد فهو له إلى مدته، فخرج علي بن أبي طالب رضوان الله عليه على ناقة رسول الله ﷺ العضباء، حتى أدرك أبا بكر بالطريق؛ فلما رآه أبو بكر بالطريق قال: أمير أم مأمور؟ فقال: بل مأمور، ثم مضيا. فأقام أبو بكر للناس الحج، والعرب إذ ذاك في تلك السنة على منازلهم من الحج، التي كانوا عليها في الجاهلية، حتى إذا كان يوم النحر، قام علي بن أبي طالب رضي الله عنه، فأذن في الناس بالذي أمره به رسول الله ﷺ، فقال: أيها الناس، إنه لا يدخل الجنة كافر، ولا يحج بعد العام مشرك، ولا يطوف بالبيت عريان، ومن كان له عند رسول الله ﷺ عهد فهو له إلى مدته؛ وأجل الناس أربعة أشهر من يوم أذن فيهم، ليرجع كل قوم إلى مآمنهم أو بلادهم، ثم لا عهد لمشرك ولا ذمة إلا أحد كان له عند رسول الله ﷺ عهد إلى مدة، فهو له إلى مدته. فلم يحج بعد ذلك العام مشرك، ولم يطف بالبيت عريان^(١). ثم قَدِمَا على رسول الله ﷺ.

قال ابن إسحاق: فكان هذا من براءة فيمن كان من أهل الشرك من أهل العهد العام، وأهل المدة إلى الأجل المسمى.

الأمر بجهاد المشركين: قال ابن إسحاق: ثم أمر الله رسوله ﷺ بجهاد أهل الشرك، ممن نقض من أهل العهد الخاص، ومن كان من أهل العهد العام، بعد الأربعة الأشهر التي ضرب لهم أجلاً إلا أن يعدوا فيها عاد منهم، فيقتل بعدائه، فقال: ﴿أَلَا تَقِيلُونَ قَوْمًا نَكَرُوا أَيْمَانَهُمْ وَهَكُّوا بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ وَهُمْ بَدَءُوكُمْ أُولَئِكَ مَرَّةٌ كَثُرَتْ فَانْتَحِزُّوهُمْ فَأَلَّفَهُمُ الْحَقُّ أَنْ تَخْشَوْهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٦﴾ قَتَلُوهُمْ بِعَدْبِهِمْ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِيهِمْ وَيَصْرِكُمْ عَلَيْهِمْ وَشَفِ صُدُورٌ قَوِيْرٌ مُؤْمِنِينَ ﴿١٧﴾ وَيَذْهَبَ غَيْظٌ قُلُوبِهِمْ وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٨﴾ أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُتْرَكُوا وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا بِكُمْ وَرَأَى بَيْتَكُمْ إِذْ أَخْرَجْتُمُوهُمْ أَنْ يُتْرَكُوا وَمَنْ يَتْرَكْهُمُ فَأُولَئِكَ يُلَاقُوا اللَّهَ لَعْنَةً وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٩﴾﴾ [التوبة: ١٣-١٥]، أي من بعد ذلك ﴿عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٥﴾ أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُتْرَكُوا وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا بِكُمْ وَرَأَى بَيْتَكُمْ إِذْ أَخْرَجْتُمُوهُمْ أَنْ يُتْرَكُوا وَمَنْ يَتْرَكْهُمُ فَأُولَئِكَ يُلَاقُوا اللَّهَ لَعْنَةً وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٩﴾﴾ [التوبة: ١٥، ١٦].

قال ابن هشام: وليجة: دخيل، وجمعها: ولائج؛ وهو من ولج يلج، أي دخل يدخل، وفي كتاب الله عز وجل: ﴿حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ﴾ [الاعراف: ٤٠]، أي يدخل، يقول: لم يتخذوا دخيلاً من دونه يسرون إليه غير ما يظهرون، نحو ما يصنع المنافقون، يُظهرون الإيمان للذين آمنوا ﴿وَإِذَا خَلَا إِلَى شَاطِئِنِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ﴾ [البقرة: ١٤] قال الشاعر:

واعلم بأنك قد جعلت وليجةً
ساقوا إليك الحنث غير مشوب

القرآن يرد على قريش ادعائهم عمارة البيت: قال ابن إسحاق: ثم ذكر قول قريش: إنا أهل الحرم، وسقاة الحاج، وعمار هذا البيت، فلا أحد أفضل منا؛ فقال: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسْجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ [التوبة: ١٨]، أي إن عمارتكم ليست على ذلك، وإنما يعمر مساجد الله أي من عمرها بحقها ﴿مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَحْشَ إِلَّا لِلَّهِ﴾ [التوبة: ١٨].

[١٨]، أي فأولئك عمارها ﴿فَسَىٰ أَوْلِيٰكَ أَن يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ﴾ [التوبة: ١٨] وعسى من الله: حق.

ثم قال تعالى: ﴿أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ أَمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَوُونَ عِنْدَ اللَّهِ﴾ [التوبة: ١٩].

ثم القصة من عدوهم، حتى انتهى إلى ذكر حنين، وما كان فيه، وتوليهم عن عدوهم، وما أنزل الله تعالى من نضره بعد تخاذلهم، ثم قال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً﴾ [التوبة: ٢٨] وذلك أن الناس قالوا: لتنقطعن عنا الأسواق، فلتهلكن التجارة، وليذهبن ما كنا نصيب فيها من المرافق، فقال الله عز وجل: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾ [التوبة: ٢٨]، أي من وجه غير ذلك ﴿إِنْ شَاءَ إِيَّاكَ اللَّهُ عَلَيْهِ حَكِيمٌ﴾ [٢٨] فَبَلَّوْا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ ﴿٢٩﴾ [التوبة: ٢٨، ٢٩]، أي ففي هذا عوض مما تخوفتم من قطع الأسواق، فعوضهم الله بما قطع عنهم بأمر الشرك، ما أعطاهم من أعناق أهل الكتاب، من الجزية.

ما نزل في أهل الكتابين: ثم ذكر أهل الكتابين بما فيهم من الشر والغربة عليه، حتى انتهى إلى قوله تعالى: ﴿إِنَّ كَثِيرًا مِنَ الْآخِرِينَ وَالرُّهْبَانِ لِيَآكُلُوا أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَأَصْدُوتَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ يَكْتُمُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُفْقِدُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [التوبة: ٣٤].

ما نزل في النسيء: ثم ذكر النسيء، وما كانت العرب أحدثت فيه. والنسيء ما كان يُحل مما حرم الله تعالى من الشهور، ويُحرم مما أحل الله منها، فقال: ﴿إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرْمٌ ذَلِكَ الَّذِينَ أَلْفَنُمْ فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ﴾ [التوبة: ٣٦]، أي لا تجعلوا حرامها حلالاً، ولا حلالها حراماً، أي كما فعل أهل الشرك ﴿إِنَّمَا النَّسِيءُ﴾ [التوبة: ٣٧] الذي كانوا يصنعون ﴿رِيَادَةً فِي الْكُفْرِ يُصَلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُحِلُّونَهُ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُ عَامًا لِيُؤْاطُوا عِدَّةَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ فَيَحِلُّوا مَا حَرَّمَ اللَّهُ زُرْنَا لَهُمْ سُوءَ أَعْمَالِهِمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾ [التوبة: ٣٧].

ما نزل في تبوك: ثم ذكر تبوك وما كان فيها من تناقل المسلمين عنها، وما أعظموا من غزو الروم، حين دعاهم رسول الله ﷺ إلى جهادهم، وبنفاق من نفاق من المنافقين، حين دعوا إلى ما دعوا إليه من الجهاد، ثم ما نعى عليهم من إحدائهم في الإسلام، فقال تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ أَنْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَتَأْتَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ﴾ [التوبة: ٣٨]، ثم القصة إلى قوله تعالى: ﴿بِعَذَابِكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَنَسْتَبْدِلُ قَوْمًا غَيْرَكُمْ﴾ [التوبة: ٣٩] إلى قوله تعالى: ﴿وَلَا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْكَافِرِ﴾ [التوبة: ٤٠].

ما نزل في أهل النفاق: ثم قال تعالى لنبيه ﷺ، يذكر أهل النفاق: ﴿لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا لَاتَّبَعُوكَ وَلَكِنْ بَدَدَتْ عَلَيْهِمُ الشَّقَّةُ وَسَيَّخَلِفُونَ بِاللَّهِ لَوْ اسْتَطَعْنَا لُحْرَجًا مَعَكُمْ يَبْهَلُونَ أَنفُسَهُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ [التوبة: ٤٢]، أي إنهم يستطيعون ﴿عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لِمَ أَذْنَتْ لَهُمْ حَتَّى يَبَيِّنَ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَتَعْلَمَ الْكَافِرِينَ﴾ [التوبة: ٤٣]؟ إلى قوله: ﴿لَوْ خَرَجُوا فِيكُمْ مَا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا

وَلَا تَرْضَعُوا مِلْكَكُمْ بِيَعُونَكُمْ أَلْفَنَّةً وَفِيكُمْ سَعْنُونَ لَهُمْ ﴿٤٧﴾ [التوبة: ٤٧].

قال ابن هشام: أوضعوا خلالكم: ساروا بين أضعافكم، فالإيضاع: ضرب من السير أسرع من المشي؛ قال الأجدع بن مالك الهمداني:

يَضْطَادُكَ الْوَحْدَ الْمُدِلَّ بِشَاوِهِ بِشْرِيحٍ بَيْنَ الشَّدِّ وَالْإِيضَاعِ^(١)

وهذا البيت في قصيدة له.

قال ابن إسحاق: وكان الذين استأذنوه من ذوي الشرف، فيما بلغني، منهم: عبد الله بن أبي بن سلول، والجد بن قيس؛ وكانوا أشرافاً في قومهم، فبطهم الله لعلمه بهم أن يخرجوا معه، فيفسدوا عليه جنده، وكان في جنده قوم أهل محبة لهم، وطاعة فيما يدعونهم إليه، لشرفهم فيهم. فقال تعالى: ﴿وَفِيكُمْ سَعْنُونَ لَهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾ (٤٧) لَقَدْ آتَعُوا أَلْفَنَةً مِنْ قَبْلِ ﴿٤٧﴾ [التوبة: ٤٧، ٤٨]، أي من قبل أن يستأذنوك، ﴿وَقَبَلُوا لَكَ الْأُمُورَ﴾ [التوبة: ٤٨]، أي ليُخَذَلُوا عنك أصحابك ويردوا عليك أمرك ﴿حَتَّىٰ جَاءَ الْحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ كَارِهُونَ﴾ (٤٨) وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ أَتَذَّنَ لِي وَلَا تَقْتِئِي آلَا فِي أَلْفَنَةٍ سَقَطُوا ﴿٤٨﴾ [التوبة: ٤٩، ٤٨]، وكان الذي قال ذلك، فيما سُمي لنا، الجد بن قيس، أخو بني سلمة، حين دعاه رسول الله ﷺ إلى جهاد الروم. ثم كانت القصة إلى قوله تعالى: ﴿لَوْ يَجِدُونَ مَلْجَأًا أَوْ مَعْرَبًا أَوْ مَدْخَلًا لَوَلَّوْا إِلَيْهِ وَهُمْ يَجْمَحُونَ﴾ (٥٧) وَمِنْهُمْ مَنْ يَلِرُكَ فِي الصَّدَقَاتِ فَإِنْ أُعْطُوا مِنْهَا رَضُوا وَإِنْ لَمْ يُعْطُوا مِنْهَا إِذَا هُمْ يَسْتَخِفُّونَ ﴿٥٨﴾ [التوبة: ٥٨، ٥٧]، أي إنما نيتهم ورضاهم وسخطهم لديناهم.

ما نزل في ذكر أصحاب الصدقات: ثم بين الصدقات لمن هي، وسمى أهلها، فقال: ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ وَالْمَحَلِّينَ عَلَيْهَا وَالْمَوْلَاةِ فُلُوْهُنَّ فِي الرِّقَابِ وَالْقَدِيرِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأَبْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ (٦٠) [التوبة: ٦٠].

ما نزل فيمن آذوا الرسول: ثم ذكر غشهم وأذاهم النبي ﷺ، فقال: ﴿وَمِنْهُمْ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أذُنٌ قُلٌ أذُنٌ خَيْرٌ لَكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِلَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (٦١) [التوبة: ٦١]. وكان الذي يقول تلك المقالة، فيما بلغني، نبتل بن الحارث أخو بني عمرو بن عوف، وفيه نزلت هذه الآية، وذلك أنه كان يقول: إنما محمد أذن، من حدته شيئاً صدقه. يقول الله تعالى: ﴿قُلْ أذُنٌ خَيْرٌ لَكُمْ﴾ [التوبة: ٦١]، أي يسمع الخير ويصدق به.

ثم قال تعالى: ﴿يَخْفُونَ بِاللهِ لَكُمْ لِرُضُوكُمْ وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضَوْهُ إِنْ كَانُوا مُؤْمِنِينَ﴾ (٦٢) [التوبة: ٦٢]، ثم قال: ﴿وَلَكِنْ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ﴾ (٦٣) [التوبة: ٦٥]... إلى قوله تعالى: ﴿إِنْ نَعَفَ عَنْ طَائِفَةٍ مِنْكُمْ نُعَذِّبْ طَائِفَةً﴾ [التوبة: ٦٦]، وكان الذي قال هذه المقالة ودبعة بن ثابت، أخو بني أمية بن زيد، من بني عمرو بن عوف، وكان الذي عُفِيَ عنه، فيما بلغني: مُحَسِّنُ بن حُمَيْرِ الأشجعي، حليف بني سلمة، وذلك أنه أنكر منهم بعض ما سمع.

ثم القصة من صفتهم حتى انتهى إلى قوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ

(١) يريد بالوحد: الفرس الواحد. شأوه: سبقه. الشريح: النوع. الشد والإيضاع نوعان من الجري.

عَلَيْهِمْ وَمَأْوِلَهُمْ جَهَنَّمُ وَيَسَّ الْمَصِيرُ ﴿٧٣﴾ يَخْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ وَهَمُّوا بِمَا لَوْ يَتَأَلَوْنَ وَمَا نَقَمُوا إِلَّا أَنْ أَغْنَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ مِنْ فَضْلِهِ ﴿[التوبة: ٧٣، ٧٤]... إلى قوله: ﴿مِنْ وَلِيِّيَ وَلَا تَنْصِرُ﴾ [التوبة: ٧٤]. وكان الذي قال تلك المقالة الجلاس بن سويد بن صامت، فرفعها عليه رجل كان في حجره، يقال له عمير بن سعد، فأنكرها وحلف بالله ما قالها، فلما نزل فيها القرآن تاب ونزع، وحسنت حاله وتوبته، فيما بلغني.

ثم قال تعالى: ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ عَاهَدَ اللَّهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ [التوبة: ٧٥]، وكان الذي عاهد الله منهم ثعلبة بن حاطب، ومعتب بن قيس، وهما من بني عمر بن عوف.

ثم قال: ﴿الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٩﴾﴾ [التوبة: ٧٩] وكان المطَّوعون من المؤمنين في الصدقات عبد الرحمن بن عوف، وعاصم بن عدي أخا بني العجلان، وذلك أن رسول الله ﷺ رغب في الصدقة، وحض عليها، فقام عبد الرحمن بن عوف، فتصدَّق بأربعة آلاف درهم، وقام عاصم بن عدي، فتصدَّق بمائة وسق من تمر، فلمزوهما وقالوا: ما هذا إلا رياء، وكان الذي تصدَّق بجهدده أبو عقيل أخو بني أئيف، أتى بصاع من تمر، فأفرغها في الصدقة، فتضاحكوا به، وقالوا: إن الله لغني عن صاع أبي عقيل.

ثم ذكر قول بعضهم لبعض، حين أمر رسول الله ﷺ بالجهاد، وأمر بالسَّير إلى تبوك، على شدة الحرِّ وجدب البلاد، فقال تعالى: ﴿وَقَالُوا لَا تَنْفِرُوا فِي الْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ ﴿٨١﴾﴾ [التوبة: ٨١، ٨٢]... إلى قوله: ﴿وَلَا تَعْجَبْ أَمْوَالُهُمْ وَأَوْلَادُهُمْ﴾ [التوبة: ٨٥].

ما نزل بسبب الصلاة على ابن أبي: قال ابن إسحاق: وحدثني الزهري عن عبيد الله بن عبد الله ابن عتبة، عن ابن عباس، قال: سمعتُ عمر بن الخطَّاب يقول: لما توفي عبد الله بن أبي، دُعِيَ رسول الله ﷺ للصلاة عليه، فقام إليه؛ فلما وقف عليه يُريد الصلاة، تحولت حتى قمت في صدره، فقلت: يا رسول الله، أتصلي على عدوِّ الله عبد الله بن أبي بن سلول؟ القائل كذا يوم كذا، والقائل كذا يوم كذا؟ أعدد أيامه، ورسول الله ﷺ يتبسَّم حتى إذا أكثرت قال: يا عمر، أخر عني، إني قد خُبرت فاخترت، قد قيل لي: ﴿اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ﴾ [التوبة: ٨٠]، فلو أعلم أنني إن زدت على السبعين غُفر له، لزدت. قال: ثم صلى عليه رسول الله ﷺ، ومشى معه حتى قام على قبره، حتى فُرع منه. قال: فعَجِبْتُ لي ولجرائتي على رسول الله ﷺ ورسوله أعلم. فوالله ما كان إلا يسيراً حتى نزلت هاتان الآيتان: ﴿وَلَا تَصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَمَاتُوا وَهُمْ فَسِقُونَ ﴿٨٤﴾﴾ [التوبة: ٨٤] فما صلى رسول الله ﷺ بعده على منافق حتى قبضه الله تعالى.

ما نزل في المستأذنين والمعذرين والبكائين ومنافقي الأعراب: قال ابن إسحاق: ثم قال تعالى: ﴿وَإِذَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ أَنْ آمَنُوا بِاللَّهِ وَجَاهِدُوا مَعَ رَسُولِهِ اسْتَأْذِنَكَ أُولُو الطَّلُوفِ مِنْهُمْ﴾ [التوبة: ٨٦]، وكان ابن أبي من أولئك، فتعَى الله ذلك عليه، وذكره منه، ثم قال تعالى: ﴿لَكِنَّ الرُّسُولَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ جَاهِدُوا

يَأْمُرُهُمْ وَأَنْفُسِهِمْ وَأَوْلِيَّتِكَ لَهُمُ الْخَيْرَاتُ وَأَوْلِيَّتِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٨٨﴾ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ جَنَّتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٨٩﴾ وَجَاءَ الْمَعَذْرُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ لِيُؤْذَنَ لَهُمْ وَقَعَدَ الَّذِينَ كَذَبُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ ﴿التوبة: ٨٨-٩٠﴾. . . إلى آخر القصة. وكان المعذرون، فيما بلغني نفراً من بني غفار، منهم خُفَّافُ بن أيماء بن رَحْضَةَ، ثم كانت القصة لأهل العُذْر، حتى انتهى إلى قوله: ﴿وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَا أَحِجُّدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوْا وَأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَرْحَرًا أَلَّا يَحِجِدُوا مَا يُنْفِقُونَ ﴿٩١﴾﴾ [التوبة: ٩٢] وهم البكاؤون.

ثم قال تعالى: ﴿إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُوكَ وَهُمْ أَغْنِيَاءُ رِضْوَانًا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ وَطَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٩٣﴾﴾ [التوبة: ٩٣] والخوالف: النساء. ثم ذكر حليفهم للمسلمين واعتذارهم، فقال: ﴿فَاعْرِضُوا عَنْهُمْ﴾ [التوبة: ٩٥]، إلى قوله تعالى: ﴿فَإِنْ تَرَضُوا عَنْهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَرْضَى عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾ [التوبة: ٩٦].

ثم ذكر الأعراب ومن نافق منهم وتربصهم برسول الله ﷺ وبالمؤمنين، فقال: ﴿وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَنْ يَتَّخِذُ مَا يُنْفِقُ﴾ [التوبة: ٩٨]، أي من صدقة أو نفقة في سبيل الله ﴿مَغْرَمًا وَيَتَرَبَّصُ بِكُذِّبِ الدَّوَابِّ عَلَيْهِمْ ذَائِرَةُ السَّوْءِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [التوبة: ٩٨].

ما نزل في المخلصين من الأعراب: ثم ذكر الأعراب أهل الإخلاص والإيمان منهم، فقال: ﴿وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَتَّخِذُ مَا يُنْفِقُ قُرْبًا عِنْدَ اللَّهِ وَصَلَوَاتِ الرَّسُولِ أَلَّا يَأْتِيَ قُرْبَهُ لَهُمْ﴾ [التوبة: ٩٩].

ما نزل في السابقين من المهاجرين والأنصار: ثم ذكر السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار، وفضلهم، وما وعدهم الله من حسن ثوابه إليهم، ثم ألحق بهم التابعين لهم بإحسان، فقال: ﴿رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾ [التوبة: ١٠٠]، ثم قال تعالى: ﴿وَمِمَّنْ حَوْلَكَ مِنَ الْأَعْرَابِ مُنْفِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَى الْإِنْفَاقِ﴾ [التوبة: ١٠١]، أي لجؤا فيه، وأبوا غيره ﴿سَعَدْتُهُمْ مَرَّتَيْنِ﴾ [التوبة: ١٠١]، والعذاب الذي أوعدهم الله تعالى مرتين، فيما بلغني بما هم فيه من أمر الإسلام، وما يدخل عليهم من غيظ ذلك على غير حِسْبَةٍ، ثم عذابهم في القبور إذا صاروا إليها، ثم العذاب العظيم الذي يُرَدُّونَ إليه، عذاب النار والخلد فيه. ثم قال تعالى: ﴿وَمَا آخِرُونَ أَعْرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَمَا آخَرَ سَيِّئًا عَسَى اللَّهُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنْ اللَّهُ عَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٠٢﴾﴾ [التوبة: ١٠٢].

ثم قال تعالى: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا﴾ [التوبة: ١٠٣] إلى آخر القصة. ثم قال تعالى: ﴿وَمَا آخِرُونَ مَرْجُونَ لِأَنَّ اللَّهَ إِنَّمَا يَعْزُبُ عَنْهُمْ وَإِنَّمَا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ﴾ [التوبة: ١٠٦]، وهم الثلاثة الذين خَلَفُوا، وأرجأ رسول الله ﷺ أمرهم حتى أتت من الله توبتهم. ثم قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا﴾ [التوبة: ١٠٧]. . . الخ القصة، ثم قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةُ﴾ [التوبة: ١١١]. ثم كان قصة الخبر عن تبوك، وما كان فيها إلى آخر السورة.

وكانت براءة تسمى في زمان النبي ﷺ وبعده المبعثرة، لما كَشَفَتْ من سرائر الناس. وكانت تبوك آخر غزوة غزاها رسول الله ﷺ.

حسان يُعَدُّ مغازية ﷺ شعراً

وقال حسان بن ثابت يُعَدُّ أيام الأنصار مع النبي ﷺ، ويذكر مواطنهم معه في أيام غزوه:

قال ابن هشام: وتروى لابنه عبد الرحمن بن حسان:

أَلَسْتُ خَيْرَ مَعَدٍّ كُلِّهَا نَفْرًا وَمَعَشْرًا إِنْ هُمْ عُمُوا وَإِنْ حُصِلُوا^(١)
قَوْمٌ هُمْ شَهِدُوا بَدْرًا بِأَجْمَعِهِمْ مَعَ الرَّسُولِ فَمَا آلَوْا وَمَا خَذَلُوا^(٢)
وَبَايَعُوهُ فَلَمْ يَنْكُثْ بِهِ أَحَدٌ مِنْهُمْ وَلَمْ يَكُ فِي إِيْمَانِهِمْ دَخَلٌ^(٣)
وَيَوْمَ صَبَّحَهُمْ فِي الشُّعْبِ مِنْ أَحَدٍ ضَرْبٌ رَصِينٌ كَحَرِّ النَّارِ مُشْتَعِلٌ^(٤)
وَيَوْمَ ذِي قَرْدٍ يَوْمَ اسْتَثَارَ بِهِمْ عَلَى الْجِيَادِ فَمَا خَامُوا وَمَا نَكَلُوا^(٥)
وَذَا الْعُشْبِيرَةِ جَاسُوهَا بِخَيْلِهِمْ مَعَ الرَّسُولِ عَلَيْهَا الْبَيْضُ وَالْأَسَلُ^(٦)
وَيَوْمَ وَذَانَ أَجَلُوا أَهْلَهُ رَقَصًا بِالْخَيْلِ حَتَّى نَهَانَا الْحَزْنَ وَالْجَبَلَ^(٧)
وَلَيْلَةَ طَلَبُوا فِيهَا عَدُوَّهُمْ لِلَّهِ وَاللَّهُ يَجْزِيهِمْ بِمَا عَمِلُوا
وَعَزْوَةَ يَوْمَ تَجَدَّيْتُمْ كَأَنَّ لَهُمْ مَعَ الرَّسُولِ بِهَا الْأَسْلَابُ وَالنَّقْلُ
وَلَيْلَةَ بَحْنَيْنِ جَالِدُوا مَعَهُ فِيهَا يَعْلَمُهُم بِالْحَرْبِ إِذْ نَهَلُوا^(٨)
وَعَزْوَةَ الْقَاعِ فَرَّقْنَا الْعَدُوَّ بِهِ كَمَا تَفَرَّقَ دُونَ الْمَشْرَبِ الرَّسَلُ^(٩)
وَيَوْمَ بُوَيْعَ كَانُوا أَهْلَ بَيْعَتِهِ عَلَى الْجِلَادِ فَآسَوْهُ وَمَا عَدَلُوا
وَعَزْوَةَ الْفَتْحِ كَانُوا فِي سَرِيَّتِهِ مُرَابِطِينَ فَمَا طَاشُوا وَمَا عَجَلُوا
وَيَوْمَ خَيْبَرَ كَانُوا فِي كَتِيبَتِهِ يَمْشُونَ كُلُّهُمْ مُسْتَنْبِئِينَ بِطَلِّ
بِالْبَيْضِ تَرَعَشَ فِي الْإِيْمَانِ عَارِيَةً تَغْوَجُ فِي الضَّرْبِ أحيانًا وَتَعْتَدِلُ
وَيَوْمَ سَارَ رَسُولُ اللَّهِ مُحْتَسِبًا إِلَى تَبُوكَ وَهُمْ رايَاتُهُ الْأَوَّلُ
وَسَاسَةَ الْحَرْبِ إِنْ حَزَبٌ بَدَتْ لَهُمْ حَتَّى بَدَا لَهُمُ الْإِقْبَالُ وَالْقَقْلُ^(١٠)
أَوْلَيْتُكَ الْقَوْمَ أَنْصَارَ النَّبِيِّ وَهُمْ قَوْمِي أَصِيرُ إِلَيْهِمْ حِينَ اتَّصَلُ
مَاتُوا كِرَامًا وَلَمْ تُنْكَثْ عَهْدُهُمْ وَقَتْلُهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ إِذْ قُتِلُوا

قال ابن هشام: عجز آخرها بيتاً عن غير ابن إسحاق.

(١) حصلوا: أصلها بتشديد الصاد وخففها لضرورة الشعر. ومعنى حصلوا: جمعوا.

(٢) آلوا: قصروا. (٣) دخل: فساد.

(٤) رصين: ثابت. (٥) خام: جبن وتراجع.

(٦) جاسوها: وطئوها. البيض: السيوف. الأسل: الرماح.

(٧) الرقص: نوع من المشي. الحزن: الأرض الغليظة المرتفعة.

(٨) يعلمهم: يكثر عليهم، من العلل وهو الشرب الثاني. نهلوا: شربوا الشرب الأول.

(٩) الرسل: الإبل. (١٠) الققل: الرجوع.

قال ابن إسحاق: وقال حسان بن ثابت أيضاً:

كُنَّا مُلُوكَ النَّاسِ قَبْلَ مُحَمَّدٍ
وَأَكْرَمَنَا اللَّهُ الَّذِي لَيْسَ غَيْرُهُ
بِنَضْرِ الْإِلَهِ وَالرُّسُولِ وَدِينِهِ
أَوْلَانِكَ قَوْمِي خَيْرٌ قَوْمٍ بِأَسْرِهِمْ
يَرْبُتُونَ بِالْمَعْرُوفِ مَعْرُوفٍ مِنْ مَضَى
إِذَا اخْتَبَطُوا لَمْ يُفْجِحُوا فِي نَدْيِهِمْ
وَإِنْ حَارَبُوا أَوْ سَالَمُوا لَمْ يُشَبِّهُوا
وَجَارِهِمْ مُوفٍ بَعْلِيَاءَ بَيْتِهِ
وَحَامِلُهُمْ مُوفٍ بِكُلِّ حَمَالَةٍ
وَقَائِلُهُمْ بِالْحَقِّ إِنْ قَالَ قَائِلٌ
وَمِنَّا أَمِيرُ الْمُسْلِمِينَ حَيَاتِهِ

قال ابن هشام: وقوله: «والبسناه اسماً» عن غير ابن إسحاق.

قال ابن إسحاق: وقال حسان بن ثابت أيضاً:

قَوْمِي أَوْلَانِكَ إِنْ تَسَالَى
عِظَامُ الْقُدُورِ لِأَيْسَارِهِمْ
يُؤَاسُونَ جَارَهُمْ فِي الْغِنَى
فَكَانُوا مُلُوكاً بِأَرْضِيهِمْ
مُلُوكاً عَلَى النَّاسِ، لَمْ يُنْكَوْا
فَاتَّبَعُوا بَعَادٍ وَأَشْيَاعَهُمْ
بِيَثْرِبَ قَدْ شَيَّدُوا فِي التُّخَيْلِ
تَوَاضَحَ قَدْ عَلَّمَتَهَا الْيَهُو
وَفِيمَا اشْتَهَوْا مِنْ عَصِيرِ الْقِطَا

(١) يربون: يصلحون.

(٢) عود: متكرر.

(٣) أمير المسلمين: هو سعد بن معاذ فإن الأنصار تزعم أن الرسول قال للمسلمين جميعاً مهاجرين وأنصار قوموا إلى سيدكم. أما من غسلته الملائكة. هو حنظلة المدعو غسل الملائكة وهو أنصاري.

(٤) الأيسار: من يدخلون في الميسر. السنم: عظيم السنم.

(٥) حل القسم: يراد بها المدة القصيرة. (٦) أنبوا: أنبوا.

(٧) دجن: اتخذت في البيوت.

(٨) النواضح: الإبل التي يسقى عليها الماء. عل: كلمة تزجر بها الإبل.

(٩) اختبطوا: قلدوا.

فَلَمَّا أَتَى الْإِسْلَامَ كَانَ لَنَا الْفَضْلُ
إِلَهَ بَأْيَامٍ مَضَّتْ مَالَهَا شَكْلُ
وَالْبَسَنَاهُ اسْمًا مَضَى مَالَهُ مِثْلُ
فَمَا عَدَّ مِنْ خَيْرِ قَوْمِي لَهُ أَهْلُ
وَلَيْسَ عَلَيْهِمْ دُونَ مَعْرُوفِهِمْ قَوْلٌ^(١)
وَلَيْسَ عَلَى سُؤَالِهِمْ عِنْدَهُمْ بُخْلٌ^(٢)
فَحَزْبِهِمْ حَتْفٌ وَسِلْمُهُمْ سَهْلٌ
لَهُ مَا تَوَى فِيْنَا الْكِرَامَةَ وَالْبَذْلُ
تَحْمَلُ لَا تُعْزَمُ عَلَيْهَا وَلَا خَذْلُ
وَجِلْمُهُمْ عَوْدٌ وَحُكْمُهُمْ عَذْلُ^(٣)
وَمَنْ عَسَلْتَهُ مِنْ جَنَابَتِهِ الرُّسْلُ^(٤)

كَرَامٌ إِذَا الضَّنِيفُ يَوْمًا أَلَمَ
يَكْبُوتُ فِيهَا الْمِسِنَّ السَّنِمُ^(٥)
وَيَخْمُونَ مَوْلَاهُمْ إِنْ ظَلِمَ
يُنَادُونَ عَضْبًا بِأَمْرِ عُشْمِ^(٦)
مَنْ الدَّهْرِ يَوْمًا كَجِلِّ الْقَسَمِ
تُمُودٌ وَيَغْضِ بِقَايَا إِزْمِ^(٧)
حُصُونًا وَدُجْنَ فِيهَا النَّعَمِ^(٨)
ذُ (عَل) إِلَيْكَ وَقَوْلًا هَلْمِ^(٩)
فِ وَالْعَيْشِ رَخْوًا عَلَى غَيْرِهِمْ

على كُلِّ فَخْلٍ هِجَانٍ قَطْمٍ^(١)
 لِي قَدْ جَلَّلُوهَا جِلَالِ الأَدَمِ^(٢)
 وَشَدُّوا السُّرُوجَ بِلَيِّ الحُزْمِ^(٣)
 لِي وَالزُّخْفُ مِنْ خَلْفِهِمْ قَدْ دَهَمَ
 وَجِئْنَا إِلَيْهِمْ كَأَسَدِ الأُجْمِ
 نَ لَا يَشْتَكِينُ نَحْوَلِ السَّامِ^(٤)
 أَمِينِ الفُصُوصِ كَمِثْلِ الزَّلْمِ^(٥)
 قِرَاعِ الكُفَاةِ وَضَرْبِ البُهْمِ^(٦)
 دَلَايِنِ كُكُلُونَ وَلَكِنْ قُدْمِ^(٧)
 وَأَوْلَادِهِمْ فِيهِمْ تُفْتَسَمُ
 وَكُنَّا مُلُوكاً بِهَالِكِ نَيْرِمِ
 دِ بِالْحَقِّ وَالثُّورِ بَعْدَ الظُّلْمِ
 هَلُمَّ إِلَيْنَا وَفِينَا أِقْمِ
 هِ أُرْسِلَتْ نُوراً بِدَيْنِ قَيْمِ
 نَقِيكَ وَفِي مَالِنَا فَاحْتَكِمِ
 فَنَادِ نِدَاءً وَلَا تَخْتَشِمِ
 نِدَاءَ جِهَاراً وَلَا تَكْتَرِمِ
 إِلَيْهِ يَظُنُّونَ أَنْ يُخْتَرِمِ^(٨)
 نَجَالِدُ عَنْهُ بُغَاةَ الأَمَمِ
 رَقِيقِ الذَّبَابِ عَضُوضِ خَدَمِ^(٩)
 مَ لَمْ يَنْبُ عَنْهَا وَلَمْ يَنْشَلِمِ
 مُ مَجْداً تَلِيداً وَعِزّاً أَشَمِ^(١٠)

فَمَسَرْنَا إِلَيْهِمْ بِأَثْقَالِنَا
 جَنَّبْنَا بِهِنَّ جِيَادَ الخِيُو
 فَلَمَّا أَنَاخُوا بِجَنَّبِي صِرَارِ
 فَمَا رَاعَهُمْ غَيْرُ مَعْجِ الخِيُو
 فَطَارُوا سِرَاعاً وَقَدْ أَفْرَعُوا
 عَلَى كُلِّ سَلْهَبَةٍ فِي الصِّيَا
 وَكُلُّ كُمَيْتٍ مُطَارِ الفُؤَادِ
 عَلَيْهَا قَوَارِسُ قَدْ عَوَّدُوا
 مُلُوكِ إِذَا عَشَّمُوا فِي السِّيَا
 فَأَبْنَانَا بِسَادَاتِهِمْ وَالنِّسَاءِ
 وَرَثْنَا مَسَاكِينَهُمْ بَعْدَهُمْ
 فَلَمَّا أَتَانَا الرَّسُولَ الرَّشِيدِ
 قُلْنَا صَدَقْتَ رَسُولَ المَلِكِ
 فَتَشْهَدُ أَنَّكَ عَبْدُ الإِلَهِ
 فإِنَّا وَأَوْلَادُنَا جُئْتُهُ
 فَنَحْنُ أَوْلَئِكَ إِنْ كَذَّبُوكِ
 وَنَادِ بِمَا كُنْتَ أَخْفَيْتَهُ
 فَسَارِ العُفُوءَةَ بِأَسْيَافِهِمْ
 فَكُنَّا إِلَيْهِمْ بِأَسْيَافِنَا
 بِكُلِّ صَقِيلٍ لَهُ مَنِيعةُ
 إِذَا لَمْ يَصَادِفِ صَمَّ العِظَا
 فَذَلِكَ مَا وَرَثْنَا القُرُوءِ

(١) الهجان: الأبيض. قطم: المشتبه بالضراب.

(٢) جئنا: قدنا إلى جنبنا. جلدوها: غطوها. الأدم: الجلد.

(٣) معج: سرعة. (٤) السلهبة: الفرس السريعة.

(٥) مطار: ذكي. أمين الفصوص: ما قوي من العظام. الزلم: القدح.

(٦) البهم: الأبطال الشجعان.

(٧) عشموا: اشتد ظلمهم.

(٨) يخترم: يهلك.

(٩) له منعة أي مصقول يشبه المائعات في بريقه وصفائه. الذباب حدّ السيف خذم: قاطع.

(١٠) القروم: السادة. التلبد: القديم. الأشم: العالي.

إذا مَرَّ نَسَلٌ كَفَى نَسْلُهُ
غَادَرَ نَسْلًا إِذَا مَا انْقَصَمَ^(١)
فَمَا إِنْ مِنَ النَّاسِ إِلَّا لَنَا
عَلَيْهِ وَإِنْ خَاسَ فَضْلُ النُّعْمِ^(٢)
قَالَ ابْنُ هِشَامٍ: أَنَشَدَنِي أَبُو زَيْدِ الْأَنْصَارِيِّ بَيْتَهُ:
فَكَأَثُوا مُلُوكًا بِأَرْضِيهِمْ
يُنَادُونَ غَضْبًا بِأَمْرِ عُثْمِ
وَأَنَشَدَنِي:
بِثَرِبٍ قَدْ شِيدُوا فِي النَّخِيلِ
حُصُونًا وَدُجْنَ فِيهَا النُّعْمِ
وَبَيْتُهُ: «وَكَلَّ كُمَيْتٌ مَطَارَ الْفُؤَادِ»، عَنْهُ.

ذِكْرُ سَنَةِ تِسْعٍ وَتَسْمِيَتِهَا سَنَةَ الْوَفُودِ وَنَزُولِ سُورَةِ الْفَتْحِ

قال ابن إسحاق: لما افتتح رسول الله ﷺ مكة، وفرغ من تبوك، وأسلمت ثقيف وبايعت، ضربت إليه وفود العرب من كل وجه.

قال ابن هشام: حدثني أبو عبيدة: أن ذلك في سنة تسع، وأنها كانت تسمى سنة الوفود. انقياد العرب وإسلامهم:

قال ابن إسحاق: وإنما كانت العرب تَرَبَّصُ بِالْإِسْلَامِ أَمَرَ هَذَا الْحَيِّ مِنْ قُرَيْشٍ وَأَمَرَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، وَذَلِكَ أَنْ قُرَيْشًا كَانُوا إِمَامَ النَّاسِ وَهَادِيهِمْ، وَأَهْلَ الْبَيْتِ الْحَرَامِ، وَصَرِيحَ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَقَادَةَ الْعَرَبِ لَا يُنْكِرُونَ ذَلِكَ، وَكَانَتْ قُرَيْشٌ هِيَ الَّتِي نَصَبَتْ لِحَرْبِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَخِلَافِهِ، فَلَمَّا افْتَتَحَتْ مَكَةَ، وَدَانَتْ لَهُ قُرَيْشٌ، وَدَوَّخَهَا الْإِسْلَامَ، وَعَرَفَتْ الْعَرَبُ أَنَّهُ لَا طَاقَةَ لَهُمْ بِحَرْبِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَلَا عِدَاوَتِهِ، فَدَخَلُوا فِي دِينِ اللَّهِ، كَمَا قَالَ عَزَّ وَجَلَّ، أَفَوَاجًا، يَضْرِبُونَ إِلَيْهِ مِنْ كُلِّ وَجْهِ، يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى لِنَبِيِّهِ ﷺ: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ﴿١﴾ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا ﴿٢﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْ لَهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا ﴿٣﴾﴾ [التصر: ٣-١]، أَي فَاحْمَدِ اللَّهَ عَلَى مَا أَظْهَرَ مِنْ دِينِكَ، وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا.

قدوم وفد بني تميم ونزول الحُجرات^(٣)

رجال الوفد: قدمت على رسول الله ﷺ وفود العرب، فقدم عليه عطارذ بن حاجب بن زُرارة بن عُدس التميمي، في أشرف بني تميم، منهم الأقرع بن حابس التميمي، والزبيرقان بن بدر التميمي، أحد بني سعد، وعمرو بن الأهم، والحُجباب بن يزيد^(٤).

(١) الفصم: القرض.

(٢) خاس: غدر.

(٣) تاريخ الطبري ٣/١١٥، الطبقات الكبرى ١/١٩٣، تاريخ الإسلام (المغازي) ٦٧٥، تاريخ خليفة ٩٣، والكامل في التاريخ ٢/٢٨٧، ونهاية الأرب ١٨/٣٢، وعيون الأثر ٢/٢٠٣، وسيرة ابن كثير ٤/٧٩، وعيون التواريخ ١/٣٦٥.

(٤) انظر عنه في الاستيعاب ١/٣٩٦، الإصابة ١/٣١١ رقم ١٦١٢، أسد الغابة ١/٣٧٩ وهو بضم الحاء المهملة، وفتح التاء المخففة.

قال ابن هشام: الحُتات هو الذي آخى رسول الله ﷺ بينه وبين معاوية بن أبي سفيان، وكان رسول الله ﷺ قد آخى بين نفر من أصحابه من المهاجرين؛ بين أبي بكر وعمر، وبين عثمان بن عفان وعبد الرحمن بن عوف، وبين طلحة بن عبيد الله والزبير بن العوام، وبين أبي ذر الغفاري والمقداد بن عمرو البهْراني، وبين معاوية ابن أبي سفيان والحُتات بن يزيد المجاشعي، فمات الحُتات عند معاوية في خلافته، فأخذ معاوية ما ترك وراثته بهذه الأُخوة. فقال الفرزدق لمعاوية:

أبوكَ وعمِّي يا معاوي أوزنا ثرائاً فيخْتَاز الثُّراث أقرابُهُ
فما بال ميراثِ الحُتات أكلتَهُ وميراثِ حربٍ جامدٌ لك ذائِبَةٌ^(١)

وهذان البيتان في أبيات له.

سائر رجال الوفد: قال ابن إسحاق: وفي وفد بني تميم نُعيم بن يزيد، وقيس بن الحارث، وقيس بن عاصم، أخو بني سعد، في وفد عظيم من بني تميم.

قال ابن هشام: وعطارد بن حاجب، أحد بني دارم بن مالك بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم، والأقرع بن حابس، أحد بني دارم بن مالك، والحُتات ابن يزيد، أحد بني دارم بن مالك، والزبرقان بن بدر، أحد بني بهدلة بن عوف بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم، وعمرو بن الأهتم، أحد بني منقر بن عبيد بن الحارث بن عمرو بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم، وقيس بن عاصم، أحد بني منقر بن عبيد بن الحارث.

قال ابن إسحاق: ومعهم عُيينة بن حصن بن حذيفة بن بدر الفزاري، وقد كان الأقرع بن حابس، وعُيينة بن حصن شهدا مع رسول الله ﷺ ففتح مكة وخيئاً والطائف.

أصحاب الحُجرات: فلما قدم وفد بني تميم كانا معهم، فلما دخل وفد بني تميم المسجد نادوا رسول الله ﷺ من وراء حُجراته: أن أخرج إلينا يا محمد، فأذى ذلك رسول الله ﷺ من صياحهم، فخرج إليهم، فقالوا: يا محمد، جئناك نُفاخرُك، فائذن لشاعرنا وخَطينا؛ قال: قد أذنت لخطيبكم فليقل.

كلمة عطارد: فقام عطارد بن حاجب، فقال:

الحمد لله الذي له علينا الفضل والمنّ، وهو أهله، الذي جعلنا ملوكاً، ووهب لنا أموالاً عظيماً، نفعل فيها المعروف، وجعلنا أعزَّ أهل المشرق وأكثره عدداً، وأيسره عدّة، فمَن مثلنا في الناس؟ ألسنا برؤوس الناس وأولي فضلهم؟ فمَن فاخرنا فليعدّد مثل ما عدّدنا، وإنا لو نشاء لأكثرنا الكلام، ولكننا نحيا من الإكثار فيما أعطانا، وإنا نُعرف بذلك.

أقول هذا لأن تأتوا بمثل قولنا، وأمر أفضل من أمرنا. ثم جلس^(٢).

(١) الاستيعاب ٣٩٦/١، أسد الغابة ٣٧٩/١، الإصابة ٣١١/١.

(٢) تاريخ الطبري ١١٦/٣، الطبقات الكبرى ٢٩٤/١.

ثابت بن قيس يرّد على عطارده:

فقال رسول الله ﷺ لثابت بن قيس بن الشّمس، أخي بني الحارث بن الخزرج: «قم، فأجب الرجل في خطبته». فقام ثابت، فقال:

الحمد لله الذي السموات والأرض خلقه، قضى فيهنّ أمره، ووسع كرسيه علمه، ولم يك شيء قط إلا من فضله، ثم كان من قدرته أن جعلنا ملوكاً، واصطفى من خير خلقه رسولاً، أكرمه نسباً، وأصدقه حديثاً، وأفضله حسباً، فأنزل عليه كتابه واثمته على خلقه، فكان خيرة الله من العالمين، ثم دعا الناس إلى الإيمان به، فأمن برسول الله المهاجرون من قومه وذوي رحمه، أكرم الناس حسباً، وأحسن الناس وجوهاً، وخير الناس فعلاً. ثم كان أول الخلق إجابة، واستجاب الله حين دعاه رسول الله ﷺ نحن، فنحن أنصار الله ووزراء رسوله، نقاتل الناس حتى يؤمنوا بالله، فمن آمن بالله ورسوله منع مئاً ماله ودمه، ومن كفر جاهدناه في الله أبداً، وكان قتله علينا يسيراً. أقول قولي هذا وأستغفر الله لي وللمؤمنين والمؤمنات، والسلام عليكم^(١).

الزبرقان يفتخر بقومه: فقام الزبرقان بن بدر، فقال:

نَحْنُ الْكِرَامُ فَلَا حَيَّ يُعَادِلُنَا
وَكَمْ قَسَزْنَا مِنَ الْأَحْيَاءِ كُلِّهِمْ
وَنَحْنُ يُطْعِمُهُمْ عِنْدَ الْقَحْطِ مُطْعِمِنَا
بِمَا تَرَى النَّاسَ تَأْتِينَا سُرَاتِهِمْ
فَتَنْحَرِ الْكُومَ عُبْطاً فِي أَرْوَمَتِنَا^(٥)
فَلَا تَرَانَا إِلَى حَيٍّ نُفَاخِرُهُمْ
فَمَنْ يُفَاخِرُنَا^(٦) فِي ذَاكَ نَعْرِفْهُ
إِنَّا أَبِينَا وَلَا يَأْبَى لَنَا أَحَدٌ
قال ابن هشام: ويروى:

مِنَّا الْمُلُوكُ وَفِينَا تُنْصَبُ الْبَيْعُ^(٢)

ويروى:

مِن كُلِّ أَرْضٍ هَوَانًا ثُمَّ تُتْبَعُ^(٣)

(١) تاريخ الطبري ١١٦/٣، الطبقات الكبرى ١/٢٩٤.

(٢) البيع: أماكن العبادة. (٣) القزع: السحاب ليس فيه مطر.

(٤) هويأ: سراعاً.

(٥) الكوم: النوق عظام الأسمنة. عبطاً: بلا سبب. الأرومة: الكرم.

(٦) في تاريخ الطبري «يقادرنّا». (٧) في تاريخ الطبري «القول».

(٨) الربع والمرباع: ربع الغنيمة الذي كان يأخذه الرئيس في الجاهلية.

(٩) الأبيات كلها ما عدا الأخير، في تاريخ الطبري ١١٦/٣، ١١٧، ومنها أربعة أبيات في تاريخ الإسلام (المغازي) ٦٧٦.

رواه لي بعض بني تميم، وأكثر أهل العلم بالشعر يُنكرها للزبيرقان.

حسان يردّ على الزبيرقان:

قال ابن إسحاق: وكان حسان غائباً، فبعث إليه رسول الله ﷺ. قال حسان: جاءني رسوله، فأخبرني أنه إنما دعاني لأجيب شاعر بني تميم، فخرجت إلى رسول الله ﷺ وأنا أقول^(١):

مَتَّعْنَا رَسُولَ اللَّهِ إِذْ حَلَّ وَسَطْنَا عَلَى آتِفٍ رَاضٍ مِنْ مَعَدٍّ وَرَاغِمٍ^(٢)
مَتَّعْنَاهُ لَمَّا حَلَّ بَيْنَ بُيُوتِنَا بِأَسْيَافِنَا مِنْ كُلِّ بَاغٍ^(٣) وَظَالِمٍ
بَبْنِيَّتِ حَرِيدِ عِزِّهِ وَتِرَاوِهِ بِجَابِيَةِ الْجَوْلَانِ وَسَطِّ الْأَعَاجِمِ^(٤)
هَلْ الْمَجْدُ إِلَّا السُّوَدُذُ الْعَوْدُ وَالنَّدَى^(٥) وَجَاءَ الْمُلُوكِ وَاحْتِمَالِ الْعِظَائِمِ^(٦)

قال: فلما انتهيت إلى رسول الله ﷺ، وقام شاعر القوم، فقال ما قال، عرضت في قوله، وقلت على نحو ما قال. قال: فلما فرغ الزبيرقان، قال رسول الله ﷺ لحسان بن ثابت: «قم يا حسان، فأجب الرجل فيما قال». فقام حسان، فقال:

إِنَّ الذَّوَائِبَ^(٧) مِنْ فِيهِرٍ وَإِخْوَتِهِمْ قَدَ بَيَّئُوا سُنَّةَ لِلنَّاسِ تُتَّبَعُ
يَرْضَى بِهِمْ كُلُّ مَنْ كَانَتْ سَرِيرَتُهُ تَقْوَى الْإِلَهِ وَكُلِّ الْخَيْرِ يَضْطَنِعُ
قَوْمٌ إِذَا حَارَبُوا ضَرُّوا عَدُوَّهُمْ أَوْ حَاوَلُوا التَّنْفِعَ فِي أَشْيَاعِهِمْ نَفَعُوا
سَجِيَّةً^(٨) تَلِكُ مِنْهُمْ غَيْرُ مُخَدَّئَةٍ إِنَّ الْخِلَاطِقَ فَاعَلِمَ شَرُّهَا الْبِدْعُ
إِنْ كَانَ فِي النَّاسِ سَبَاقُونَ بَعْدَهُمْ فَكُلَّ سَبَقٍ لِأَدْنَى سَبَقِهِمْ تَبَعُ
لَا يَزْقَعُ النَّاسَ مَا أَوْهَتْ^(٩) أَكْفُهُمْ عِنْدَ الدَّفْعِ وَلَا يُوهُونَ مَا رَقَعُوا
إِنْ سَابَقُوا النَّاسَ يَوْمًا فَازَ سَبَقُهُمْ أَوْ وَازَنُوا أَهْلَ مَجْدٍ بِالنَّدَى مَتَّعُوا^(١٠)
أَعْفَةٌ ذُكِرَتْ فِي الْوَحْيِ عَفَّتِهِمْ لَا يَطْبَعُونَ وَلَا يُزْدِيهِمْ طَمَعُ^(١١)
لَا يَبْخَلُونَ عَلَى جَارٍ بِفَضْلِهِمْ وَلَا يَمَسُّهُمْ مِنْ مَطْمَعٍ طَبَعُ^(١٢)
إِذَا نَصَبْنَا لِحْيٍ لَمْ نَدِبْ لَهُمْ كَمَا يَدْبُ إِلَى الْوَحْشِيَّةِ الذَّرْعُ^(١٣)

(١) الأبيات في الديوان - ص ٢٤٦.

(٢) في تاريخ الطبري «على كل باغ من معدّ وراغم».

(٣) في تاريخ الطبري «عاد».

(٤) الحرديد: الفريد في العز. الجولان: بلد بسوريا والمراد أنّ عزهم قديم متصل بحضارة الفساسنة في الشام.

(٥) السوود: المجد. والعود: المتكزّر.

(٦) الديوان، تاريخ الطبري ١١٧/٣.

(٧) الذوائب: السادة الأشراف.

(٨) السجّية: الطبيعة.

(٩) أوهت: هدمت.

(١٠) متعوا: زادوا وارتفعوا.

(١١) لا يطبعون: لا يتدنسون.

(١٢) طبع: دنس.

(١٣) نصبنا: أظهرنا العداوة. الذرع: ولد بقرة الوحش.

إذا الزعائفُ مِن أظفارها خَشَعُوا^(١)
 وإن أُصِيبُوا فلا^(٢) خُورَ ولا هُلُغُ
 أَسَدٌ بِحَلِيَّةٍ فِي أَرْسَاغِهَا فَدَعُ^(٣)
 ولا يَكُنْ هَمُّكَ الأَمْرَ الَّذِي مَنَعُوا
 شَرًّا يُخَاضُ عَلَيْهِ السَّمُّ وَالسَّلْعُ^(٤)
 إذا تَفَاوَتَتْ^(٥) الأَهْوَاءُ وَالشُّيْعُ
 فِيمَا أَحَبَّ لِسَانٌ حَائِكٌ صَنَعُ
 إن جَدَّ بِالنَّاسِ جِدُّ القَوْلِ أَوْ سَمَعُوا^(٦)

تَقْوَى الإلَهِ وَبِالأَمْرِ الَّذِي شَرَعُوا

نَسْمُوا إِذَا الحَرْبُ نَالَتْنا مَخَالِبُها
 لا يَفْخَرُونَ إِذَا نالُوا عَدُوَّهُمْ^(١)
 كَأَنَّهُمْ فِي الوَعَى وَالْمَوْتُ مُكْتَنِعٌ
 حُذِّ مِنْهُمُ ما آتَى عَفْوا إِذا غَضِبُوا
 فَإِنَّ فِي حَزْبِهِمُ فَاتْرُكُ عَدَاوَتِهِمْ
 أَكْرِمَ بِقَوْمِ رَسولِ اللَّهِ شَيْعَتُهُمْ
 أهدى لَهُم مِذْحَتِي قَلْبٌ يُوازِرُهُ
 فَإِنَّهُمُ أَفْضَلُ الأَحْيَاءِ كُلِّهِمْ
 قال ابن هشام: أنشدني أبو زيد:

يَرْضَى بِها كُلَّ مَنْ كانَتْ سَرِيرَتُهُ

شعر آخر للزبرقان بن بدر:

وقال ابن هشام: حدثني بعض أهل العلم بالشعر من بني تميم: أن الزبرقان ابن بدر لما قدم على رسول الله ﷺ في وفد بني تميم قام فقال:

إذا احتفلوا عند احتضارِ المَوايِمِ
 وأن ليس في أرضِ الحِجْازِ كِدارِمِ
 ونضرب رأس الأَصِيدِ المُتفاقِمِ^(١)
 نُغَيِّرُ بَنَجِدٍ أَوْ بِأَرْضِ الأَعاجِمِ

شعر آخر لحسان في الرد على الزبرقان: فقام حسان بن ثابت فأجابه، فقال:

وجاء المُلُوكُ واحتمالِ العَظائِمِ
 على أنفِ راضٍ من مَعَدِّ وِراغِمِ
 بجابيةِ الجَوْلانِ وَسَطِ الأَعاجِمِ

أَتِيناكَ كِما يَعلَمُ النَّاسُ فَضَلنا
 بَأنا فُرُوعُ النَّاسِ فِي كُلِّ موْطِنِ
 وَأنا نُدُودُ المُعَلِّمِينَ إِذا انْتَحَوا
 وَأنا لَنا المِزْباعُ فِي كُلِّ غارَةٍ

هل المجد إلا السُّودُ العَوْدُ والنُّدى
 نَصَرنا وَأَوَّنا النَّبِيَّ مُحَمَّدًا
 بِحَيِّ حَرِيدِ أَضْلُهُ وَنِراوُهُ

(١) نسمو: نهض. الزعائف: يريد بها: أطراف الناس. خشعوا: تذللوا.

(٢) في تاريخ الطبري «لا فخر إن هم أصابوا من عدوهم».

(٣) الخور: الضعفاء.

(٤) مكتنع: قريب. حلية: مكان باليمن كانت تكثر فيه الأسود. الأرساغ جمع رسغ: مفصل ما بين الساق والقدم. فدع: اعوجاج.

(٥) السلع: نبات سام.

(٦) في تاريخ الطبري «تفرقت».

(٧) شمعوا: هزلوا: والأبيات في الديوان، وتاريخ الطبري (٣/١١٨، ١١٩) ومنها أربعة أبيات في تاريخ الإسلام (المغازي) .٦٧٧

(٨) المعلمون: الشجعان الذين يضعون عليهم علامة يُعرفون بها. الأصيد: المتكبر. المتفاقم: المتعاضم.

نَصَرْنَاهُ لِمَا حَلَّ وَسَطَ دِيَارِنَا
جَعَلْنَا بَنِينَ دُونَهُ وَبَنَاتِنَا
وَنَحْنُ ضَرَبْنَا النَّاسَ حَتَّى تَتَابَعُوا
وَنَحْنُ وَلَدْنَا مِنْ قُرَيْشٍ عَظِيمَهَا
بَنِي دَارِمٍ لَا تَفْخَرُوا إِنَّا فَخَرَكُم
هَبِلْتُمْ عَلَيْنَا تَفْخَرُونَ وَأَنْتُمْ
فَإِنْ كُنْتُمْ جِئْتُمْ لِحَقِّينَ دِمَائِكُمْ
فَلَا تَجْعَلُوا إِلَيْهِ نَدَاءً وَأَسْلِمُوا
بَأْسِيَا فَنَامَ مِنْ كُلِّ بَاغٍ وَظَالِمٍ^(١)
وَطَبْنَا لَهُ نَفْسًا بِقِيَاءِ الْمَغَانِمِ
عَلَى دِينِهِ بِالْمُزَهَفَاتِ الصُّوَارِمِ
وَلَدْنَا نَبِيَّ الْخَيْرِ مِنْ آلِ هَاشِمٍ^(٢)
يَعُودُ وَبِالْأَعْنَادِ ذِكْرَ الْمَكَارِمِ
لَنَا حَوْلَ مَا بَيْنَ ظَنَرٍ وَخَادِمٍ؟^(٣)
وَأَمْوَالِكُمْ أَنْ تُفَسِّمُوا فِي الْمَقَاسِمِ
وَلَا تَلْبَسُوا زِيَا كَزِيِّ الْأَعَاجِمِ

إسلام الوفد: قال ابن إسحاق: فلما فرغ حسان بن ثابت من قوله، قال الأقرع بن حابس: وأبي، إن هذا الرجل لمؤتى^(٤) له، لخطيبه أخطب من خطيبنا، ولشاعره أشعر من شاعرنا، ولأصواتهم أحلى من أصواتنا. فلما فرغ القوم أسلموا، وجوزهم رسول الله ﷺ، فأحسن جوائزهم^(٥).

شعر ابن الأهتم في هجاء قيس: وكان عمرو بن الأهتم قد خلفه القوم في ظهرهم^(٦)، وكان أصغرهم سناً، فقال قيس بن عاصم، وكان يُبغض عمرو بن الأهتم: يا رسول الله، إنه قد كان رجل منا في رحالنا، وهو غلام حَدَث، وأزرى به، فأعطاه رسول الله ﷺ مثل ما أعطى القوم، فقال عمرو بن الأهتم حين بلغه أن قيساً قال ذلك يهجو:

ظَلِمْتُ مَفْتَرِشَ الْهَلْبَاءِ^(٧) تَشْتُمُنِي
عِنْدَ الرَّسُولِ فَلَمْ تَضُدِّقْ وَلَمْ تُصِبِ
سُدْنَاكُمْ سُودَدًا رَهْوًا وَسُودَدُكُمْ
بَادٍ نَوَاجِذُهُ مُقْعٌ عَلَى الذَّنْبِ^(٨)
قال ابن هشام: بقي بيت واحد تركناه، لأنه أقدع فيه^(٩).

قال ابن إسحاق: وفيهم نزل من القرآن: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَادُونَكَ مِنَ زَوَاجِرِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ [الحجرات: ٤].

- (١) انظر شرح الأبيات السابقة.
 - (٢) ذلك أن أم عبد المطلب . من أهل يثرب.
 - (٣) هبلم: نكلم. الخول: العبيد والخدم. الظنر: المُرْضعة غير ولدها.
 - (٤) مؤتى له: أي موقن.
 - (٥) تاريخ الطبري ١١٩/٣.
 - (٦) ظهرهم: إبلهم.
 - (٧) الهلباء في الأصل: شعر الذنب ويريد به هنا مؤخرته.
 - (٨) رهوا: متسعاً. النواجذ: الأسنان. مقع: جالس على الذنب: يريد به هنا مؤخرته.
 - (٩) في تاريخ الطبري ١١٩/٣ بيت ثالث:
- إن تُبَغِّضُونَا فَإِنَّ الرُّومَ أَصْلَكُم
والروم لا تملك البغضاء للعرب

قصة عامر بن الطفيل وأربد بن قيس في الوفاة عن بني عامر

رؤساء الوفد: وقَدِمَ على رسول الله ﷺ وفدُ بني عامر، فيهم عامر بن الطفيل وأربد بن قيس بن جَزء بن خالد بن جعفر، وجَبَّار بن سَلَمَى بن مالك بن جعفر، وكان هؤلاء الثلاثة رؤساء القوم وشياطينهم.

عامر يدبر الغدر بالرسول: فقَدِمَ عامرُ بن الطفيل عدوُ الله، على رسول الله ﷺ، وهو يريد الغدرَ به، وقد قال له قومه: يا عامر، إن الناس قد أسلموا فأسلم. قال: والله لقد كنتُ أليثُ أن لا أنتهي حتى تتبع العربُ عَقِبي، أفأنا أتبعُ عَقِبَ هذا الفتى من قُرَيْشٍ! ثم قال لأربد: إذا قَدِمنا على الرجل، فإنني سأشغلُ عنك وجهه، فإذا فعلتُ ذلك فاعله بالسيف؛ فلما قَدِموا على رسول الله ﷺ، قال عامر ابن الطفيل: يا محمد، خالني، قال: لا والله حتى تؤمن بالله وحده. قال: يا محمد خالني^(١). وجعل يكلمه وينتظر من أريد ما كان أمره به، فجعل أربد لا يُحيرُ شيئاً؛ قال: فلما رأى عامر ما يصنع أربد، قال: يا محمد خالني قال: لا، حتى تؤمن بالله وحده لا شريك له. فلما أبى عليه رسول الله ﷺ قال: أما والله لأملأُها عليك خَيْلاً ورجالاً؛ فلما ولى قال رسول الله ﷺ: اللهم اكفني عامرَ بن الطفيل. فلما خرجوا من عند رسول الله ﷺ، قال عامر لأربد: ويلك يا أربد أين ما كنت أمرتك به؟ والله ما كان على ظهر الأرض رجل هو أخوف عندي على نفسي منك. وأيمُ الله لا أخافك بعد اليوم أبداً. قال: لا أبأ لك! لا تَعَجَلْ عليّ، والله ما هَمَمْتُ بالذي أمرتني به من أمره إلا دَخَلتُ بيني وبين الرجل، حتى ما أرى غيرك، أفأضربك بالسيف؟

موت عامر بدعاء الرسول عليه: وخرجوا راجعين إلى بلادهم، حتى إذا كانوا ببعض الطريق، بعث الله على عامر بن الطفيل الطاعون في عُنُقِهِ، فقتله الله في بيت امرأة من بني سَلُول، فجعل يقول: يا بني عامر، أَعْدَةُ كَعْدَةُ البكر^(٢) في بيت امرأة من بني سَلُول^(٣)!

قال ابن هشام: ويقال أَعْدَةُ كَعْدَةُ الإبل، وموتاً في بيت سَلُولية.

موت أربد بصاعقة: قال ابن إسحاق: ثم خرج أصحابه حين وآزوه، حين قَدِموا أرض بني عامر شاتين؛ فلما قَدِموا أتاهم قومهم فقالوا: ما وراءك يا أربد؟ قال: لا شيء والله، لقد دعانا إلى عبادة شيء لَوَدِدْتُ أنه عندي الآن، فأرَمِيهِ بالنبل حتى أَقْتَلُهُ، فخرج بعد مقالته بيوم أو يومين معه جمل له يتبعه، فأرسل الله تعالى عليه وعلى جملة صاعقة، فأخرقهما. وكان أربدُ بن قيس أخا لبيد بن ربيعة لأُمِّهِ.

ما نزل في عامر وأربد: قال ابن هشام: وذكر زيد بن أسلم، عن عطاء بن يسار، عن ابن عباس، قال: وأنزل الله عز وجل في عامر وأربد: ﴿اللَّهُ يَلْمُكُمَا تَحْمِيلُ كُلُّكُمَا أَنْتُمْ وَمَا تَعْبِضُ الْأَرْحَامُ وَمَا

(١) خالني: أي اتخلفني خليلاً.

(٢) الغدة: مرض يصيب الإبل تموت منه. البكر: الفتى من الإبل.

(٣) أخرجه البخاري في كتاب المغازي (٤٠/٥) باب غزوة الرجيع ورعل وذكوان وبئر معونة وحديث عضل والقارة... إلخ.

تَزَادُ ﴿ [الرَّعْد: ٨] . . . إلى قوله: ﴿ وَمَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَالٍ ﴾ [الرَّعْد: ١١].

قال: الْمُعَقَّبَاتُ: هي من أمر الله يحفظون محمداً. ثم ذكر أريد وما قتله الله به، فقال: ﴿ وَرَسُولٌ
الْصَّوْعِقُ فَيُصِيبُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ ﴾ [الرَّعْد: ١٣] إلى قوله: ﴿ شَدِيدُ الْمِحَالِ ﴾ [الرَّعْد: ١٣].

شعر لبيد في بكاء أريد قال ابن إسحاق: فقال لبيد يبكي أريد:

مَا إِنْ تَعَدِّيَ الْمَمُوتُونَ مِنْ أَحَدٍ
أَخْشَى عَلَى أَزِيدِ الْخُتُوفِ وَلَا
فَعَيْنٍ هَلَا بِكَيْتِ أَزِيدٍ إِذْ
إِنْ يَشْفَعُوا لَا يُبَالِ شَغَبَهُمْ
حُلُوَ أَرِيْبٍ وَفِي خِلَاوَتِهِ
وَعَيْنٍ هَلَا بِكَيْتِ أَزِيدٍ إِذْ
وَأَضْبَحَتْ لِأِقْحَامِ مَصْرَمَةً
أَشْجَعُ مِنْ لَيْثِ غَابَةِ لَحْمٍ
لَا تَبْلُغُ الْعَيْنُ كُلَّ نَهْمَتِهَا
الْبَاعِثُ التُّوْحَ فِي مَاتِمِهِ
فَجَعَنِي الْبَزْقُ وَالصُّوَاعِقُ بَالِ
وَالْحَارِبِ الْجَابِرِ الْحَرِيبِ إِذَا
يَعْفُو عَلَى الْجَهْدِ وَالسُّؤَالِ كَمَا
كُلُّ بَنِي حُرَّةٍ مَصِيرُهُمْ
إِنْ يُغَبَطُوا يُهَبَطُوا وَإِنْ أُمِرُوا

لَا وَاللَّيْلِ مُشْفِقِي وَلَا وَاللَّيْلِ
أَزْهَبُ نَوْءَ السَّمَاكِ وَالْأَسَدِ
فَمَنَا وَقَامَ النِّسَاءُ فِي كَبَدٍ ^(١)
أَوْ يَتَّقِدُوا فِي الْحُكُومِ يَفْتَقِدُ
مُرَّ لَطِيفِ الْأَخْشَاءِ وَالْكَبِيدِ
أَلْوَتْ رِيَاخِ الشِّتَاءِ بِالْعَضْدِ
حَتَّى تَجَلَّتْ غَوَابِرُ الْمُدَدِ ^(٢)
ذُو نَهْمَةٍ فِي الْعُلَا وَمُنْتَقِدِ ^(٣)
لَيْلَةَ تُنْسِي الْجِيَاذَ كَالْقَدَدِ ^(٤)
مِثْلَ الظُّبَاءِ الْأَبْكَارِ بِالْجَرَدِ ^(٥)
فَارِسِ يَوْمِ الْكَرْبِيهَةِ النَّجْدِ
جَاءَ نَكِيباً وَإِنْ يَعُدُّ يَعُدُّ ^(٦)
يُنْبِثُ غَيْثَ الرَّبِيعِ ذُو الرُّصْدِ ^(٧)
قُلُّ وَإِنْ أَكْثَرْتَ مِنَ الْعَدْدِ
يَوْمَ أَفْهَمَ لِهَالِكِ وَالنُّفْدِ

قال ابن هشام: بيته: «والحارب الجابر الحريب» عن أبي عُبَيْدَةَ، وبيته: «يعفو على الجهد»،

عن غير ابن إسحاق.

قال ابن إسحاق: وقال لبيد أيضاً يبكي أزيد:

أَلَا ذَهَبَ الْمُحَافِظُ وَالْمَحَامِي
وَأَيَقَنْتُ التَّفَرُّقَ يَوْمَ قَالُوا
تُطِيرُ عَدَائِدَ الْأَشْرَاكِ شَفْعَاً

وَمَانِعُ ضَيْمِهَا يَوْمَ الْخِصَامِ
تُقَسِّمُ مَالُ أَزِيدَ بِالسُّهَامِ
وَوَثْرَاً وَالزُّعَامَةَ لِلنُّلَامِ ^(٨)

(١) الكَبْدُ: المشقة. (٢) مصرمة: لا لبين فيها. الغوابر: البقايا.

(٣) لحم: كثير أكل اللحم. منتقد: يصير بالأمور. (٤) القَدَدُ: السيور تصنع من الجلد.

(٥) التُّوْحُ: جماعة النساء النائحة. الجرد: الأراضي القاحلة.

(٦) الحارب: السالب. والنكيب: المصاب. (٧) يعفو: يعطي. الرصد: الكلال القليل.

(٨) العدايد: الأنبياء. الأشراك: الشركاء.

وَقَلَّ وَدَاعٌ أَزِيدَ بِالسَّلَامِ
 وَكَانَ الْجَزْعُ يُحْفَظُ بِالنُّظَامِ^(١)
 تَقَعَّرَتِ الْمَشَاجِرُ بِالْفِتَامِ^(٢)
 حَوَاسِرًا لَا يُجِثْنَ عَلَى الْخِدَامِ^(٣)
 كَمَا وَالَ الْمُجَلُّ إِلَى الْحَرَامِ^(٤)
 إِذَا مَا دُمَّ أَزْيَابُ اللَّحَامِ
 لَهَا نَفْلٌ وَحَظٌّ مِنْ سَنَامِ
 وَإِنْ تَظَعَّنَ فَمُخْسِنَةُ الْكَلَامِ
 عَلَى الْأَيَّامِ إِلَّا ابْنَتِي شَمَامِ^(٥)
 خَوَالِدٌ مَا تُحَدِّثُ بِأَنْهَادِ^(٦)

فَوَدَّعَ بِالسَّلَامِ أَبَا حُرَيْزٍ
 وَكُنْتَ إِمَامَنَا وَلَنَا نِظَامًا
 وَأَزِيدُ فَارِسُ الْهَيْجَا إِذَا مَا
 إِذَا بَكَرَ النُّسَاءُ مُرَدَّفَاتٍ
 فَوَاءً لَ يَوْمَ ذَلِكَ مَنْ أَتَاهُ
 وَيَخْمَدُ قَدْرَ أَزِيدَ مَنْ عَرَاهَا
 وَجَارْتُهُ إِذَا حَلَّتْ لَدَيْهِ
 فَإِنْ تَقَعَّدَ فَمُكْرَمَةٌ حَصَانُ
 وَهَلْ حُدَّتَتْ عَنْ أَحْوَيْنِ دَامَا
 وَإِلَّا الْفَرْقَدَيْنِ وَالْ نَعِشِ
 قَالَ ابْنُ هِشَامٍ: وَهِيَ فِي قَصِيدَةِ لَهُ.

قال ابن إسحاق: وقال لييد أيضاً بيكي أربد:

أَنْعَ الرَّئِيسَ وَاللَّطِيفَ كَيْدَا
 أَذْمَأُ يُشَبِّهَنَّ صُورًا أُبْدَا^(٧)
 وَيَمْلَأُ الْجَفْنَةَ مَلْنًا مَدْدَا^(٨)
 مِثْلُ الَّذِي فِي الْغَيْلِ يَقْرُو جُمْدَا^(٩)
 أَوْزُنْتَنَا تُرَاثَ غَيْرِ أَنْكَدَا
 شَرْخًا صُقُورًا يَافِعًا وَأَمْرَدَا^(١٠)

إِنْعَ الْكَرِيمَ لِلْكَرِيمِ أَزِيدَا
 يُخَذِّي وَيُعْطِي مَالَهُ لِيُخْمَدَا
 السَّابِلَ الْفَضْلَ إِذَا مَا عُدْدَا
 رَفْهًا إِذَا يَأْتِي ضَرِيكَ وَرَدَا
 يَزْدَادُ قُرْبًا مِنْهُمْ أَنْ يُوعَدَا
 غَيْبًا وَمَالًا طَارِفًا وَوَلَدَا
 وَقَالَ لِيِيدُ أَيْضًا:

بِدَ فَنَائِكِيَا حَتَّى يَغُودَا
 مَيَّ حِينَ يَكْسُونَ الْحَدِيدَا

لَنْ تُفْنِيَا خَيْرَاتِ أَرْ
 قَوْلَا هُوَ الْبَطْلُ الْمُحَا

(١) الجزع: الخرز اليماني.

(٢) المشاجر: نوع من اليهودج. الفتام: ما يفرش في اليهودج.

(٣) يجثن: يعطين. الخدام مفردا خدمة، الساق.

(٤) وآل: ألجأ.

(٥) ابنا شمام: جبلان.

(٦) الفرقدان: نجمان نيران. وآل نعش يقصد بنات نعش الكبرى والصغرى: مجموعات من النجوم.

(٧) يحذى: يعطى. الأدم: الإبل البيض. الصور: القطيع من بقر الوحش. أبداً: نافرة.

(٨) الجفنة: وعاء يصنع من خشب الأبنوس.

(٩) رفها: متكرراً. الضريك: الغليل. أكمة الأسد. يقرو: يتبع. جمدا: اسم جبل.

(١٠) شرخاً: شباباً. يافع: الغلام قارب البلوغ. والأمرد: الذي لما تثبت لحيته.

وَيَصُذُّ عَنَّا الظَّالِمِينَ
فَاغْتَاقَهُ رَبَّ الْبَرِيَّةِ
فَثَوَى وَلَمْ يُوجَّعْ وَلَمْ
وقال لييد أيضاً:

يُذَكِّرُنِي بِأَزِيدِ كُلِّ خَضَمٍ
إِذَا اقْتَصَدُوا فَمُقْتَصِدٌ كَرِيمٌ
وَيَهْدِي الْقَوْمَ مُطْلِعاً إِذَا مَا
قال ابن هشام: آخَرُهَا بَيْتاً عَنْ غَيْرِ ابْنِ إِسْحَاقَ.
قال ابن إسحاق: وقال لييد أيضاً:

أَصْبَحْتُ أَمْشِي بَعْدَ سَلْمَى بْنِ مَالِكٍ
إِذَا مَا رَأَى ظِلَّ الْغُرَابِ أَضَجُّهُ
قال ابن هشام: وهذان البيتان في أبيات له.

قدوم ضمام بن ثعلبة وافداً عن بني سعد بن بكر

قال ابن إسحاق: وبعث بنو سعد بن بكر إلى رسول الله ﷺ رجلاً منهم، يُقال له ضمام بن ثعلبة.

إسلامه: قال ابن إسحاق: فحدثني محمد بن الوليد بن ثُوَيْفِعِ عَنْ كُرَيْبِ، مَوْلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: بَعَثَ بَنُو سَعْدِ بْنِ بَكْرِ ضُمَامَ بْنَ ثَعْلَبَةَ وَافِداً إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقَدِمَ عَلَيْهِ. وَأَنَاخَ بَعِيرَهُ عَلَى بَابِ الْمَسْجِدِ ثُمَّ عَقَلَهُ، ثُمَّ دَخَلَ الْمَسْجِدَ وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ جَالِسٌ فِي أَصْحَابِهِ؛ وَكَانَ ضُمَامُ رَجُلًا جَلْدًا أَشْعَرَ ذَا غَدِيرَتَيْنِ^(٦)، فَأَقْبَلَ حَتَّى وَقَفَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي أَصْحَابِهِ، فَقَالَ: يَا بَنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ؟ قَالَ: فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: أَنَا ابْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ. قَالَ: أَمْحَمَدُ؟ قَالَ: نَعَمْ؛ قَالَ: يَا بَنَ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، إِنِّي سَأَلْتُكَ وَمُعَلِّظْتُكَ فِي الْمَسْأَلَةِ، فَلَا تَجِدَنَّ فِي نَفْسِكَ، قَالَ: لَا أَجِدُ فِي نَفْسِي، فَسَلْ عَمَّا بَدَا لَكَ. قَالَ: أَنْشُدُكَ اللَّهَ إِلَهَكَ وَإِلَهَ مَنْ كَانَ قَبْلَكَ، وَإِلَهَ مَنْ هُوَ كَائِنٌ بَعْدَكَ، اللَّهُ بَعَثَكَ إِلَيْنَا رَسُولًا؟ قَالَ: اللَّهُمَّ نَعَمْ؛ قَالَ: فَأَنْشُدُكَ اللَّهَ إِلَهَكَ وَإِلَهَ مَنْ كَانَ قَبْلَكَ، وَإِلَهَ مَنْ هُوَ كَائِنٌ بَعْدَكَ، اللَّهُ أَمَرَكَ أَنْ تَأْمُرَنَا أَنْ نَعْبُدَهُ وَحْدَهُ لَا نُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا، وَأَنْ نَخْلَعَ هَذِهِ الْأَنْدَادَ الَّتِي كَانَ آبَاؤُنَا يَعْبُدُونَ مَعَهُ؟ قَالَ: اللَّهُمَّ نَعَمْ، قَالَ: فَأَنْشُدُكَ اللَّهَ إِلَهَكَ وَإِلَهَ مَنْ كَانَ قَبْلَكَ، وَإِلَهَ مَنْ هُوَ كَائِنٌ بَعْدَكَ، اللَّهُ أَمَرَكَ أَنْ نَصَلِّيَ هَذِهِ الصَّلَوَاتِ الْخَمْسَ؟ قَالَ: اللَّهُمَّ نَعَمْ؛ قَالَ: ثُمَّ جَعَلَ يَذْكَرُ فَرَائِضَ الْإِسْلَامِ فَرِيضَةَ فَرِيضَةً؛ الزَّكَاةَ وَالصِّيَامَ وَالْحَجَّ وَشَرَاةَ الْإِسْلَامِ كُلِّهَا، يَنْشُدُهُ عِنْدَ كُلِّ فَرِيضَةٍ مِنْهَا كَمَا

(١) الصيد: المتكبرون.

(٢) اعتاقه: أعاقه عن أن يبلغ غايته.

(٣) ألد: قوى الخصومة.

(٤) الموماة: الصحراء.

(٥) الأجب: صاح عليه. السناسن: فقار الظهر.

(٦) غديرتين: دؤابتين من شفر.

ينشده في التي قبلها، حتى إذا فرغ قال: فإني أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً رسول الله؛ وسأؤذي هذه الفرائض، وأجتنب ما نهيتني عنه، ثم لا أزيد ولا أنقص. ثم انصرف إلى بعيه راجعاً. قال: فقال رسول الله ﷺ: «إن صدق ذو العقيصتين دخل الجنة».

دعوته قومه للإسلام: قال: فأتى بعيه فأطلق عقله، ثم خرج حتى قَدِم على قومه، فاجتمعوا إليه، فكان أول ما تكلم به أن قال: بثست اللات والعزى! قالوا: مه يا ضمام! اتق البرص، اتق الجذام، اتق الجنون! قال: ويلكم! إنهما والله لا يضران ولا ينفعان، إن الله قد بعث رسولاً، وأنزل عليه كتاباً استنقذكم به مما كنتم فيه، وإني أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، وقد جئتكم من عنده بما أمركم به، وما نهاكم عنه، قال: فوالله ما أمسى من ذلك اليوم في حاضره رجل ولا امرأة إلا مسلماً.

قال: يقول عبد الله بن عباس: فما سمعنا بوفد قوم كان أفضل من ضمام ابن ثعلبة^(١).

قدوم الجارود^(٢) في وفد عبد القيس

قال ابن إسحاق: وقَدِم على رسول الله ﷺ الجارود بن عمرو بن حنش أخو عبد القيس.

قال ابن هشام: الجارود بن بشر بن المعلّى في وفد عبد القيس وكان نصرانياً.

إسلامه: قال ابن إسحاق: حدثني من لا أتهم، عن الحسن، قال: لما انتهى إلى رسول الله ﷺ كلمه، فعرض عليه رسول الله ﷺ الإسلام، ودعاه إليه، ورغبه فيه، فقال: يا محمد، إني قد كنت على دين، وإني تارك ديني لدينك، أفتضمن لي ديني؟ قال: فقال رسول الله ﷺ: نعم، أنا ضامن أن قد هداك الله إلى ما هو خير منه. قال: فأسلم وأسلم أصحابه، ثم سأل رسول الله ﷺ الحُمَْلان، فقال: والله ما عندي ما أحملكم عليه. قال: يا رسول الله، فإن بيننا وبين بلادنا ضوَالٌ من ضوَالِ الناس: أفتبَلِّغ عليها إلى بلادنا؟ قال: «لا، إياك وإياها، فإنما تلك حَرَق النار».

موقفه من ردة:

فخرج من عنده الجارود راجعاً إلى قومه، وكان حسن الإسلام، ضُلباً على دينه، حتى هلك وقد أدرك الردة، فلما رجع من قومه من كان أسلم منهم إلى دينهم الأول مع العرور بن المنذر بن الثعمان بن المنذر^(٣)، قام الجارود فتكلم، فتشهد شهادة الحق، ودعا إلى الإسلام فقال: أيها الناس، إني أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً عبده ورسوله، وأكفر^(٤) من لم يشهد^(٥).

قال ابن هشام: ويروى: وأكفي من لم يشهد.

(١) قصة ضمام في الصحيحين من حديث أنس. أخرجه البخاري في كتاب العلم (٢٣/١) باب القراءة والعرض على المحدث. ومسلم في كتاب الإيمان (١٧/٢٣) باب الأمر بالإيمان بالله تعالى ورسوله وشرايع الدين... وانظر طبقات ابن سعد ٢٩٩/١، وتاريخ الإسلام (المغازي) ٦٨٠.

(٢) انظر عنه في أسد الغابة ٢٦٠/١، ٢٦١، والاستيعاب ٢٤٧/١-٢٤٩، والإصابة ٢١٦/١، ٢١٧، رقم ١٤٠٢.

(٣) اسمه المنذر: وسُمي العرور لأنه غر قومه يوم حرب الردة (الروض الأنف).

(٤) في تاريخ الطبري ١٣٧/٣: «وأنهى».

(٥) تاريخ الطبري ١٣٦/٣، ١٣٧، تاريخ الإسلام (المغازي) ٦٨٢، وانظر طبقات ابن سعد ٣١٤/١، ٣١٥.

إسلام المنذر بن ساوى: قال ابن إسحاق: وقد كان رسول الله ﷺ بعث العلاء بن الحضرمي قبل فتح مكة إلى المنذر بن ساوى العبدي، فأسلم فحُسن إسلامه، ثم هلك بعد رسول الله ﷺ قبل ردة أهل البحرين، والعلاء عنده أميراً لرسول الله ﷺ على البحرين^(١).

قدوم وفد بني حنيفة ومعهم مُسَيْلِمة الكذاب

وقدّم على رسول الله ﷺ وفد بني حنيفة، فيهم مُسَيْلِمة بن حبيب الحنفي الكذاب. قال ابن هشام: مُسَيْلِمة بن ثمامة، ويكنى أبا ثمامة.

قال ابن إسحاق: فكان منزلهم في دار بنت الحارث امرأة من الأنصار، ثم من بني النجّار، فحدثني بعضُ علمائنا من أهل المدينة: أن بني حنيفة أتت به رسول الله ﷺ تستره بالثياب، ورسول الله ﷺ جالس في أصحابه، معه عسيب من سَعَف النخل، في رأسه حُوصات؛ فلما انتهى إلى رسول الله ﷺ، وهم يسترونه بالثياب، كلّمه وسأله، فقال له رسول الله ﷺ: لو سألتني هذا العسيب ما أعطيتكه^(٢).

قال ابن إسحاق: وقد حدثني شيخٌ من بني حنيفة من أهل اليمامة أن حديثه كان على غير هذا. زعم أن وفد بني حنيفة أتوا رسول الله ﷺ، وخلفوا مُسَيْلِمة في رحالهم، فلما أسلموا ذكروا مكانه، فقالوا: يا رسول الله، إنا قد خلفنا صاحباً لنا في رحالنا وفي ركابنا يحفظها لنا، قال: فأمر له رسول الله ﷺ بمثل ما أمر به للقوم؛ وقال: «أما إنه ليس بشركم مكاناً»^(٣)؛ أي لحفظه ضيعة أصحابه، وذلك الذي يريد رسول الله ﷺ.

تنبؤ مُسَيْلِمة: قال: ثم انصرفوا عن رسول الله ﷺ: وجاءوه بما أعطاه، فلما انتهوا إلى اليمامة ارتدّ عدو الله وتنبأ وتكذّب لهم، وقال: إني قد أشركت في الأمر معه. وقال لوفده الذين كانوا معه: ألم يقل لكم حين ذكرتُموني له: أما إنه ليس بشركم مكاناً؛ ما ذاك إلا لما كان يعلم أنني قد أشركت في الأمر معه؛ ثم جعل يَسْجَع لهم الأساجيع، ويقول لهم فيما يقول مضاهاة^(٤) للقرآن: «لقد أنعم الله على الحبلى، أخرج منها نسمة تسعي، من بين صِفاق^(٥) وحشى». وأحلّ لهم الخمر والزنا، ووضع عنهم الصلاة، وهو مع ذلك يشهد لرسول الله ﷺ بأنه نبي، فأصْفَقَتْ^(٦) معه حنيفة على ذلك، فإله أعلم أي ذلك كان^(٧).

قدوم زيد الخيل في وفد طيء

قال ابن إسحاق: وقدّم على رسول الله ﷺ وفد طيء، فيهم زيد الخيل، وهو سيدهم؛ فلما انتهوا إليه كلّموه، وعرض عليهم رسول الله ﷺ الإسلام، فأسلموا، فحُسن إسلامهم؛ وقال رسول

(١) تاريخ الطبري ١٣٧/٣.

(٢) تاريخ الطبري ١٣٧/٣ وفيه «لو سألتني هذا العسيب الذي في يدي ما أعطيتك».

(٣) أخرجه ابن سعد في الطبقات الكبرى ٣١٧/١.

(٤) مضاهاة: مشابهة.

(٥) الصفاق ما رقى من البطن.

(٦) أصفقت: اجتمعت.

(٧) تاريخ الطبري ١٣٧/٣، ١٣٨، تاريخ الإسلام (المغازي) ٦٨٢، ٦٨٣، وانظر طبقات ابن سعد ٣١٦/١، ٣١٧.

الله ﷺ، كما حدثني من لا أتهم من رجال طيء؛ ما ذُكِرَ لي رجلٌ من العرب بفضل، ثم جاءني، إلا رأيته دون ما يُقال فيه، إلا زيد الخيل: فإنه لم يبلغ كل ما كان فيه، ثم سمّاه رسول الله ﷺ زيد الخير، وقطع له قِيداً وأَرْضَيْنَ معه؛ وكتب له بذلك. فخرج من عند رسول الله ﷺ راجعاً إلى قومه؛ فقال رسول الله ﷺ: إن ينبُحُ زيد من حُمَى المدينة فإنه قال: قد سمّاه رسول الله ﷺ باسم غير الحمى، وغير أم مَلْدَم^(١) فلم يشبته - فلما انتهى من بلد نجد إلى ماء من مياهه، يقال له فَرْدَة، أصابته الحُمَى بها فمات، ولما أحسَّ زيد بالموت قال:

أمرت حلّ قومي المشارق غُدوةً وأتركُ في بيتِ بفرْدَة منجدِ
الأرب يومٍ لو مَرِضتُ لِعادِنِي عوائدُ من لم يُبْرَ منهمَنْ يَجْهَدِ
فلما مات عمدت امرأته إلى ما كان معه من كتبه، التي قطع له رسول الله ﷺ، فحرّقتها بالنار^(٢).

قدوم عدي بن حاتم

وأما عدي بن حاتم فكان يقول، فيما بلغني: ما من رجل من العرب كان أشدَّ كراهية لرسول الله ﷺ حين سمع به مني، أما أنا فكننت امرءاً شريفاً، وكننت نَضْرانياً، وكننت أسيرُ في قومي بالمزباج^(٣)، فكننت في نفسي على دين، وكننت ملكاً في قومي، لما كان يُصنع بي. فلما سمعت برسول الله ﷺ كرهته، فقلت لغلام كان لي عربي، وكان راعياً لإبلي: لا أبا لك، أعدد لي من إبلي أجماً ذُللاً^(٤) سماناً، فاحتبسها قريباً مني، فإذا سمعت بجيش لمحمد قد وطىء هذه البلاد فأذني؛ ففعل؛ ثم إنه أتاني ذات غداة، فقال: يا عدي، ما كنت صانعاً إذا غشيتك خيل محمد، فاصنعه الآن، فإني قد رأيت رايات، فسألت عنها، فقالوا: هذه جيوش محمد. قال: فقلت: فقرب إليّ أجمالي، فقربها، فاحتملت بأهلي وولدي، ثم قلت: ألحق بأهل ديني من النصارى بالشام فسلكت الحَوْشِيَّة، ويقال: الحَوْشِيَّة فيما قال ابن هشام - وخلفت بنتاً^(٥) لحاتم في الحاضر؛ فلما قدّمت الشام أقمْتُ بها. أسر الرسول ابنة حاتم: وتخالفتني خيلُ لرسول الله ﷺ، فنصيب ابنة حاتم، فيمن أصابت، فقُدِم بها على رسول الله ﷺ في سبايا من طيء، وقد بلغ رسول الله ﷺ هربي إلى الشام، قال: فجُعِلَتْ بنت حاتم في حظيرة بباب المسجد، كانت السبايا يُخبَسن فيها، فمرّ بها رسول الله ﷺ، فقامت إليه،

(١) والاسم الذي ذهب عن الراوي من أسماء الحُمَى، وهو أم كَلْبَة، قاله أبو عبيدة في مقاتل الفرسان، ولم أره، ولكن رأيت البكري ذكره في باب أفرد من أسماء البلاد، ولها أيضاً اسم سوى هذه الأسماء ذكره ابن زُرَيْد في الجمهرة، قال: سَبَاط، من أسماء الحُمَى على وزن رَقَاش، وأما أم مَلْدَم، فيقال بالدال، وبالذال ويكسر الميم وفتحها، وهو من اللذم وهو شدة الضرب، ويحتمل أن يكون أم كلبه هذا الاسم مغتيراً من كلبه بضم الكاف، والكلبة شدة الرغدة، وقلب البرد شدائده، (انظر الروض ٢٢٧/٤٥).

(٢) تاريخ الطبري ٣/١٤٥، ١٤٦، تاريخ الإسلام (المغازي) ٦٨٦، ٦٨٧، وانظر الطبقات لابن سعد ١/٣٢١.

(٣) أي أخذ ربح الغنيمة وكذلك كان يفعل الرؤساء في الجاهلية.

(٤) الذلل: السهلة. وهي الجمال السهلة التي قد رُوِّضت.

(٥) يقول السهلي: اسمها سفانة، لأنني وجدت في خبر عن امرأة حاتم تذكر فيه سخائه قالت: فأخذ حاتم عدياً يعلله من الجوع، وأخذت أنا سفانة، ولا يُعرف لعدي ولد، انقرض عقبه، ولحاتم عقب من قبيل عبد الله بن حاتم، ذكره القُشَيْبِي، ولا يُعرف له بنت إلا سفانة، فهي إذاً هذه المذكورة في السيرة. والله أعلم. (الروض الأنف ٤/٢٢٨).

وكانت امرأة جَزَلَة، فقالت: يا رسول الله، هَلِك الوالد، وغاب الوافد فأمُنْتُ عليَّ مَنْ اللهُ عليك. قال: «مَنْ وافدك؟» قالت: عدي بن حاتم. قال: «الفاز من الله ورسوله؟» قالت: ثم مضى رسول الله ﷺ وتركني، حتى إذا كان من الغد مرَّ بي، فقلت له مثل ذلك، وقال لي مثل ما قال بالأمس. قالت: حتى إذا كان بعد الغد مرَّ بي وقد يئست منه، فأشار إليَّ رجل من خلفه أن قومي فكلميه؛ قالت: فقمتم إليه، فقلت: يا رسول الله هَلِك الوالد، وغاب الوافد، فأمُنْتُ عليَّ مَنْ اللهُ عليك؛ فقال ﷺ: لقد فعلتُ، فلا تعجّلي بخروج حتى تجدي من قومك من يكون له ثقة، حتى يبلغك إلى بلادك، ثم آذنيني». فسألت عن الرجل الذي أشار إليَّ أن أكلمه، فقيل: علي بن أبي طالب رضوان الله عليه، وأقمت حتى قدم ركب من بلبي أو قضاة، قالت: وإنما أريد أن آتي أخي بالشام. قالت: فجئت رسول الله ﷺ فقلت: يا رسول الله، قد قَدِمَ زَهْط من قومي، لي فيهم ثقة وبلاغ. قالت: فكساني رسول الله ﷺ، وحَمَلني، وأعطاني نفقة، فخرجت معهم حتى قَدِمَت الشام.

قال عدي: فوالله إني لقاعد في أهلي، إذ نظرت إلى طَعيْنة^(١) تُصوب إليَّ تؤمنا، قال: فقلت: ابنة حاتم، قال: فإذا هي هي، فلما وقفت علي انسلحت^(٢) تقول: القاطع الظالم، احتملت بأهلك وولدك، وتركت بقيّة والدك عورتك، قال: قلت: أي أختي، لا تقولي إلا خيراً، فوالله ما لي من عُذر، لقد صنعتُ ما ذكرت. قال: ثم نزلت فأقامت عندي، فقلت لها: وكانت امرأة حازمة، ماذا تَرين في أمر هذا الرجل؟ قالت: أرى والله أن تَلحق به سريعاً، فإن يكن الرجل نبياً فللسابق إليه فضله، وإن يكن ملكاً فلن تَدُل في عزّ اليمين، وأنت أنت. قال: قلت: والله إن هذا الرأي^(٣).

قال: فخرجت حتى أقدم على رسول الله ﷺ المدينة، فدخلت عليه، وهو في مسجده، فسلمت عليه، فقال: «مَنْ الرجل؟» فقلت: عدي بن حاتم؛ فقام رسول الله ﷺ، فانطلق بي إلى بيته، فوالله إنه لعامدٌ بي إليه، إذ لقيته امرأة ضعيفة كبيرة، فاستوقفته، فوقف لها طويلاً تُكلمه في حاجتها؛ قال: قلت في نفسي: والله ما هذا بملك؛ قال: ثم مضى بي رسول الله ﷺ حتى إذا دخل بي بيته، تناول وسادة من أدم مَحشوة ليفاً، فقدفها إليّ؛ فقال: «اجلس على هذه». قال: قلت: بل أنت فاجلس عليها، فقال: «بل أنت». فجلست عليها، وجلس رسول الله ﷺ بالأرض؛ قال: قلت في نفسي: والله ما هذا بأمر ملك، ثم قال: «إيه يا عدي بن حاتم! ألم تك زكوسياً؟» قال: قلت: بلى. قال: «أولم تكن تسيّر في قومك بالمرئاع؟» قال: قلت: بلى، قال: «فإن ذلك لم يكن يجِل لك في دينك؛ قال: قلت: أجل والله، وقال: وعرفت أنه نبي مُرسل، يعلم ما يُجهل؛ ثم قال: «لعلك يا عدي إنما يَمنعك من دخول في هذا الدين ما تَرى من حاجتهم، فوالله ليوشكَنَّ المالُ أن يفيض فيهم حتى لا يُوجد من يأخذه؛ ولعلك إنما يَمنعك من دخول فيه ما تَرى من كثرة عدوهم وقلة عددهم، فوالله ليوشكَنَّ أن تسمع بالمرأة تخرج من القادسية على بعيرها حتى تزور هذا البيت، لا تخاف؛ ولعلك إنما يَمنعك من دخول فيه أنك تَرى أن المُلْك والسلطان في غيرهم، وأيمُ الله ليوشكَنَّ أن تسمع بالقصور البيض من أرض بابل قد فُتحت عليهم؛ قال: فأسلمت.

(٢) انسلحت: أخذت تلوم.

(١) الطعيّنة: المرأة في اليهود.

(٣) في تاريخ الطبري ١١٤/٣ «إن هذا للرأي».

وكان عدِّي يقول: قد مضت اثنتان وبقيت الثالثة، والله لتكونن، قد رأيت القصور البيض من أرض بابل قد فُتحت، وقد رأيت المرأة تخرج من القادسيّة على بعيرها لا تخاف حتى تحجّ هذا البيت، وأيم الله لتكونن الثالثة، لَيَفِيضَنَّ المَالُ حتى لا يوجد من يأخذه^(١).

قدوم فروة بن مسيك المرادي

قال ابن إسحاق: وقدم فروة بن مُسَيك المرادي على رسول الله ﷺ مفارقاً لملوك كِنْدَةَ، ومباعداً لهم، إلى رسول الله ﷺ.

وقد كان قبيل الإسلام بين مُراد وهَمْدان وقعة، أصابت فيها هَمْدان من مراد ما أرادوا، حتى أثنخوهم في يوم كان يقال له: يوم الرِّذْم^(٢)، فكان الذي قاد هَمْدان إلى مراد الأجدع بن مالك في ذلك اليوم.

قال ابن هشام: الذي قاد هَمْدان في ذلك اليوم مالك بن حريم الهَمْداني.

قال ابن إسحاق: وفي ذلك اليوم يقول فروة بن مُسَيك:

مَرَزْنَا عَلَى لُفَاءٍ وَهَنَّ خَوْص ^(٣)	ينازعن الأعنة ينتحينا ^(٤)
فَإِنْ نُغْلِبْ فَعَلَّابُونَ قَدَمًا	وإن نُغْلِبْ فغَيْرُ مُغْلَبِينَا ^(٥)
وَمَا إِنْ طَبُنَا جُبْنَ وَلَكِنْ ^(٦)	مَنَايَانَا وَطُغْمَةٌ آخِرِينَا
كَذَلِكَ الدُّهْرُ دَوْلَتُهُ سِجَالٌ	تَكُرُّ صُرُوفُهُ جِينًا فَجِينَا
فَبِينَا مَا نُسَرِّبُهُ وَنَرُضِي ^(٧)	وَلَوْ لِبَسْتِ عَضَارَتِهِ ^(٨) سِينِينَا

(١) تاريخ الطبري ١١٢/٣ - ١١٥، تاريخ الإسلام (المغازي) ٢٨٧، ٢٨٨.

والحديث أخرجه ابن حجر في الإصابة ٤٦٨/٢ رقم ٥٤٧٥، وأخرج البخاري نحوه في كتاب المناقب (١٧٥/٤، ١٧٦) باب علامات النبوة في الإسلام، من طريق النضر، عن أسرائيل، عن سعد الطائي، عن مُجَلِّ بن خليفة، عن عدِّي بن حاتم.

(٢) في تاريخ الطبري ١٣٤/٣ و١٣٥ «الزَّم».

(٣) لُفَاءٌ: بالضم في أوله كما أثبتته ياقوت في معجم البلدان ١٩/٥، وأثبتته البكري بكسر أوله في معجم ما استعجم ١١٥٩/٤.

(٤) خَوْصٌ: غائرات العيون.

(٥) ينتحين: يعترضن ويتعمذن.

وهذا البيت لم يرد في المطبوع من تاريخ الطبري، فرئنا سقط سهواً.

المعنى: أن نغلب الناس فهذا من طبيعتنا وما تعودنا عليه منذ القدم، أما وقد انهزمنا مرة فلن نتكرز. وذلك أن همدان ظهرت عليهم في يوم الردم. وفي تاريخ الطبري ١٣٥/٣:

وإن تُهَرِّمَ فغَيْرُ مُهَرِّمِينَا

(٦) في تاريخ الطبري:

وإن نُقَتِّلَ فَلَاجِبُنْ وَلَكِنْ

وطبنا: شأننا وعادتنا.

(٧) في تاريخ الطبري:

فَبِينَا يُسَرِّبُهُ وَيَرْضِي

(٨) الغضارة: الطراوة.

إِذْ أَنْقَلَبْتُ بِهِ كَرَاتٍ دَهْرٍ فَالْفَيْتِ الْأَلَى غُبَطُوا^(١) طَحِينَا
فَمَنْ يُغَبِّطُ بَرْنِبَ الدَّهْرِ مِنْهُمْ يَجِدُ رَنْبَ الزَّمَانِ لَهُ خَثُونَا
فَلَوْ خَلَدَ الْمُلُوكُ إِذْ خَلَدْنَا وَلَوْ بَقِيَ الْكِرَامُ إِذْ بَقِينَا
فَأَفْنَى ذَلِكُمْ سَرَوَاتٍ^(٢) قَوْمِي كَمَا أَفْنَى الْقُرُونَ الْأَوَّلِينََا

قال ابن هشام: أول بيت منها، وقوله: «فإن تغلب» عن غير ابن إسحاق.

قال ابن إسحاق: ولما توجه فروة بن مسيك إلى رسول الله ﷺ مفارقاً لملوك كندة، قال:

لَمَّا رَأَيْتُ مَلُوكَ كِنْدَةَ أَعْرَضْتُ كَالرَّجُلِ خَانَ الرَّجْلَ عَرَقَ نَسَائِهَا^(٣)
قَرْنَتْ^(٤) رَاحِلَتِي أَوْ مَحَمَّداً أَزْجُو فَوَاضِلَهَا وَحُسْنَ ثَرَائِهَا

قال ابن هشام: أنشدني أبو عبيدة: «أرجو فواضله وحسن ثنائها.

قال ابن إسحاق: فلما انتهى إلى رسول الله ﷺ، قال له رسول الله ﷺ، فيما بلغني: «يا فروة، هل ساءك ما أصاب قومك يوم الرّذم؟ قال: يا رسول الله، من ذا يصيب قومك مثل ما أصاب قومي يوم الرّدم لا يسوؤه ذلك! فقال رسول الله ﷺ له: «أما إن ذلك لم يزد قومك في الإسلام إلا خيراً». واستعمله النبي ﷺ على مراد وزبيد ومدحج كلها، وبعث معه خالد بن سعيد ابن العاص على الصدقة، فكان معه في بلاده حتى توفي رسول الله ﷺ^(٥).

قدم عمرو بن معد يكرب في أناس من بني زبيد

وقدّم على رسول الله ﷺ عمرو بن معد يكرب في أناس من بني زبيد، فأسلم؛ وكان عمرو قد قال لقيس بن مكشوح المرادي، حين انتهى إليهم أمر رسول الله ﷺ: يا قيس، إنك سيد قومك، وقد ذكر لنا أن رجلاً من قريش يقال له محمد قد خرج بالحجاز، يقول إنه نبي، فانطلق بنا إليه حتى نعلم علمه، فإن كان نبياً كما يقول، فإنه لن يخفى عليك، وإذا لقيناه اتبعناه، وإن كان غير ذلك علمنا علمه، فأبى عليه قيس ذلك، وسقّه رأيه، فركب عمرو بن معد يكرب حتى قدّم على رسول الله ﷺ، فأسلم، وصدّقه، وآمن به.

فلما بلغ ذلك قيس بن مكشوح أوعد عمراً، وتحطّم عليه^(٦)، وقال: خالفني وترك رأبي؛ فقال

عمرو بن معد يكرب في ذلك:

أَمَرْتُكَ يَوْمَ ذِي صَنَعَا ءَأَمَرَأَ بِأَيْدِيَا رَشْدُهُ
أَمَرْتُكَ بِاتِّقَاءِ اللِّ هِ وَالْمَغْرُوفِ تَتَّعِدُهُ^(٧)

(١) غبطوا: حسنت حالتهم.

(٢) عرق النسا: عرق مستيطان في الفخذ، وهو مقصور، مده لضرورة الشعر.

(٣) في تاريخ الطبري: «يُمنّت».

(٤) تاريخ الطبري ٣/ ١٣٤ - ١٣٦، تاريخ الإسلام (المغازي) ٦٨٩.

(٥) تحطّم عليه: اشتد عليه.

(٦) تحطّم عليه: اشتد عليه.

(٧) في تاريخ الطبري: «ما تعده».

حُمَيْرٌ غَرَهُ وَتَدُهُ^(١)
 عَلَيْنِهِ جَالِساً أَسْدُهُ
 فِي أَخْلَصِ مَاءِهِ جَدُهُ^(٢)
 نِجَانِ عَوَائِرٍ أَوْ قِصْدُهُ^(٣)
 ت^(٤) لَيْثاً فَوْقَهُ لِبَدُهُ^(٥)
 بَرَاثِنِ نَاشِزاً كَتَدُهُ^(٦)
 تَيْمَمِهِ فَيَغْتَضُّهُ^(٧)
 فَيَخْفِضُهُ فَيَقْتَصِدُهُ^(٨)
 فَيَخْضِمُهُ فَيَزْدُرِدُهُ^(٩)
 رَزَتْ أَنْيَابُهُ وَيَدُهُ^(١٠)

ءَ أَمْرًا بَيِّنًا رَشْدُهُ
 إِتَاتِيهِ وَتَتَوَعَّدُهُ
 زَهُ مَمَّا بِهِ وَتَدُهُ

خَرَجْتُ مِنَ الْمُنَى مِثْلَ الْـ
 تَمُنَّانِي عَلَى فَرَسٍ
 عَلَيَّ مُفَاضَةٌ كَالنُّهْـ
 تَرْدِ الرُّمَحِ مُنْثَنِي السُّـ
 فَلَوْ لَاقَيْتَنِي لِلْقِيـ
 تُلَاقِي شَنْبَثًا شَثْنِ الْـ
 يُسَامِي الْقِرْنَ إِنْ قِرْنُ
 فَيَأْخُذُهُ فَيَزْفَعُهُ
 فَيَذْمَعُهُ فَيَخْطِمُهُ
 ظَلَمَ الشُّرْكَ فِيمَا أَخـ
 قَالَ ابْنُ هِشَامٍ: أَنْشَدَنِي أَبُو عُبَيْدَةَ:

أَمْرُتُكَ يَوْمَ ذِي صَنْعَا
 أَمْرُتُكَ بِاتِّقَاءِ اللَّـ
 فَكُنْتَ كَذِي الْحُمَيْرِ غَز
 وَلَمْ يَعْرِفْ سَائِرَهَا.

ارتداد عمرو بعد موت الرسول قال ابن إسحاق: فأقام عمرو بن معد يكرب في قومه من بني زبيد وعليهم فروة بن مسيك. فلما توفي: رسول الله ﷺ ارتد عمرو بن معد يكرب، وقال حين ارتد: وَجَدْنَا مُلْكَ فَرَوَةَ شَرًّا مُلْكَ وَكُنْتَ إِذَا رَأَيْتَ أَبَا عَمِيرٍ قَالَ ابْنُ هِشَامٍ: قَوْلُهُ «بَقْفَر» عَنْ أَبِي عُبَيْدَةَ.

(١) في تاريخ الطبري:

حَمَامٍ أَعَارَهُ وَتَدُهُ

خَرَجْتُ مِنَ الْمُنَى مِثْلَ الْـ

(٢) مُفَاضَةٌ: أَي دَرَجٌ مُفَاضَةٌ، وَهِيَ الْوَاسِعَةُ، النَّهْيُ. غَدِيرُ الْمَاءِ. الْجَدُّ: الْأَرْضُ الصَّلْبَةُ.

(٣) عَوَائِرُ: مَتَطَايِرَةٌ. الْقَيْدُ: الْقَطْعُ الْمَتَطَايِرَةُ مِنَ الرَّمَحِ.

(٤) فِي تَارِيخِ الطَّبْرِيِّ: «فَلَوْ لَاقَيْتَنِي لِأَقَيْتَ».

(٥) الْبَيْدُ: الشَّعْرُ الَّذِي عَلَى أَكْتافِ وَرُؤُوسِ الْأَسْوَدِ. الْمَفْرَدُ: لَيْدَةٌ.

(٦) الشَّنْبَثُ: الَّذِي لَا يَزَالُ خَضَمَهُ. الشَّثْنُ: غَلِيظُ الْأَصَابِعِ. الْبَرَاثِنُ: مَخَالِبُ الْأَسَدِ. نَاشِزٌ: مَرْتَفِعٌ. الْكَتْدُ: مَا بَيْنَ الْكَتْفَيْنِ.

(٧) يَعْتَضُهُ: يَضَعُهُ تَحْتَ عَضْدِهِ فَيَصْرَعُهُ. (٨) يَقْتَصِدُهُ: يَصْرَعُهُ.

(٩) يَذْمَعُهُ: يَشِخُّ رَأْسَهُ حَتَّى يَصِلَ إِلَى أُمِّ دِمَاغِهِ. يَخْطِمُهُ: يَكْسِرُهُ. يَخْضِمُهُ: يَأْكُلُهُ. يَزْدُرِدُهُ: يَبْتَلَعُهُ.

(١٠) زَادَ فِي تَارِيخِ الطَّبْرِيِّ خَمْسَةَ آيَاتٍ ١٣٤/٣ عَمَّا عَنَا. وَفِي تَارِيخِ الطَّبْرِيِّ ١٣٤/٣ «مُنْخَرُهُ بِقَدْرٍ».

(١١) سَافٌ: شَمٌّ. الثَّفَرُ: الْبَهَائِمُ كَالرَّجَمِ لِلنِّسَاءِ.

(١٢) الْحَوْلَاءُ: مَا يَخْرُجُ مِنَ الْأَخْلَاطِ مَعَ الْوَلَدِ سَاعَةَ الْوِلَادَةِ، يَشْبَهُ مِنْ يَهْجُرُهُ أَنَّهُ فِي الْخَبْثِ وَالْقِدَارَةِ مِثْلَ الْحَوْلَاءِ.

قدوم الأشعث بن قيس في وفد كندة

قال ابن إسحاق: وقدم على رسول الله ﷺ الأشعث بن قيس، في وفد كندة، فحدثني الزهري بن شهاب أنه قدم على رسول الله ﷺ في ثمانين راكباً من كندة، فدخلوا على رسول الله ﷺ مسجده، وقد رجّلوا^(١) جُمَّهُمْ^(٢) وتكحلّوا، وعليهم جُبُبُ الحِبرَة، وقد كَفَّفوها^(٣) بالحرير، فلما دخلوا على رسول الله ﷺ قال: «ألم تُسَلِّموا؟» قالوا: بلى؛ قال: «فما بال هذا الحرير في أعناقكم؟» قال: فسقوه منها، فألقوه.

ثم قال له الأشعث بن قيس: يا رسول الله نحن بنو آكل المُرار، وأنت ابن آكل المُرار؛ قال: فتبسّم رسول الله ﷺ، وقال: «ناسبوا بهذا النسب العباس بن عبد المطلب، وربيعة بن الحارث». وكان العباس وربيعة رجلين تاجرين وكانا إذا شاعا في بعض العرب، فسُئلا ممن هما؟ قالوا: نحن بنو آكل المُرار، يتعزّزان بذلك، وذلك أن كندة كانوا ملوكاً. ثم قال لهم: لا، بل نحن بنو النُّضْر بن كنانة، لا نَقْفُو^(٤) أمتنا، ولا نتنفي من أبنينا، فقال الأشعث بن قيس: هل فرغتم يا معشر كندة؟ والله لا أسمع رجلاً يقولها إلا ضربته ثمانين^(٥).

قال ابن هشام: الأشعث بن قيس من ولد آكل المُرار من قبَل النساء، وآكل المُرار: الحارث بن عمرو بن حُجْر بن عمرو بن معاوية بن الحارث بن معاوية بن ثور بن مُرْتَع بن معاوية بن كندي؛ ويقال كندة، وإنما سمي آكل المُرار، لأن عمرو ابن الهَبولة الغساني أغار عليهم، وكان الحارث غائباً، فغنم وسيبي، وكان فيمن سبي أم أناس بنت عوف بن محلّم الشيباني، امرأة الحارث بن عمرو، فقالت لعمرو في مسيره: لكأني برجل أدلّم^(٦) أسود، كأن مشافره مشافر بعير آكل مُرار^(٧) قد أخذ برقبتك، تعني الحارث، فسمي آكل المُرار، والمُرار: شجر. ثم تبعه الحارث في بني بكر بن وائل، فلحقه، فقتله، واستنقذ امرأته، وما كان أصاب. فقال الحارث بن جِلْزَة اليشكري لعمرو بن المُنذر، وهو عمرو بن هند اللخمي:

وأقذناك رَبَّ غَسَّانَ بِالْمُنْ ذِرْكَزَهَا إِذْ لَا تُكَالِ الدَّمَاءُ

لأن الحارث الأعرج الغساني قتل المنذر أباه، وهذا البيت في قصيدة له. وهذا الحديث أطول مما ذكرت، وإنما منعني من استقصائه ما ذكرت من القطع^(٨). ويقال بل آكل المُرار: حُجْر بن

(١) رَجَّلُوا: مَشَطُوا.

(٢) الْجُمَّمُ جمع: جُمَّة. مجتمع شعر مُقَدَّم الرأس.

(٣) كَفَّفُوا: طَرَزُوا حُرُوفَهَا.

(٤) لَا نَقْفُوا أَمْتَنَا: لَا نَتَّبِعُ نَسَبَ أَمْتَنَا. وقد أصاب الأشعث في بعض قوله فقد كان من جذات الرسول ﷺ من هي من ذلك القبيل، منهنّ دعد بنت سريز بن ثعلبة بن الحارث الكندي، وهي أم كلاب بن مرة، وقيل: بل هي جدّة كلاب، أم أمه هند. (الروض الأنف ٤/٢٢٨).

(٥) تاريخ الطبري ٣/١٣٨، ١٣٩.

(٦) الأدلم: مسترخي الشفتين.

(٧) المُرار: نبات شديد المرورة إذا أكله البعير تقبضت شفتاه من المرارة.

(٨) أي قطع سيرة رسول الله ﷺ.

عمرو بن معاوية، وهو صاحب هذا الحديث؛ وإنما سميَ آكل المُرَار، لأنه أكل هو وأصحابه في تلك الغزوة شجراً يقال له المُرَار^(١).

قدم صُرْد بن عبد الله الأزدي

قال ابن إسحاق: وقَدِم على رسول الله ﷺ صُرْد بن عبد الله الأزدي، فأسلم، وحسن إسلامه، في وفد من الأزدي، فأمره رسول الله ﷺ على من أسلم من قومه. وأمره أن يجاهد بمن أسلم من كان يليه من أهل الشرك، من قِبَل اليمن.

قتاله أهل جرش: فخرج صُرْد بن عبد الله يسير بأمر رسول الله ﷺ، حتى نزل بجُرَش، وهي يومئذ مدينة معلقة، وبها قبائل من قبائل اليمن، وقد ضوت^(٢) إليهم خُتَم، فدخلوها معهم حين سمِعوا بسير المسلمين إليهم، فحاصروهم فيها قريباً من شهر، وامتنعوا فيها منه، ثم إنه رجع عنهم قافلاً، حتى إذا كان إلى جبل لهم يقال له شُكْر، ظن أهل جُرَش أنه إنما ولى عنهم منهزماً، فخرجوا في طلبه، حتى إذا أدركوه عَطَف عليهم، فقتلهم قتلاً شديداً.

إخبار الرسول بما حدث: وقد كان أهل جُرَش بعثوا رجلين منهم إلى رسول الله ﷺ بالمدينة يرتادان وينظران؛ فبينما هما عند رسول الله ﷺ عشية بعد صلاة العصر، إذ قال رسول الله ﷺ: بأي بلاد الله شُكْر؟ فقام إليه الجُرَشيان فقالا: يا رسول الله، ببلادنا جبل يقال له كُشْر؛ وكذلك يسميه أهل جُرَش، فقال: إنه ليس بكُشْر، ولكنه شُكْر؛ قالوا: فما شأنه يا رسول الله؟ قال: إن بُدِنَ الله لتُشحر عنده الآن، قال: فجلس الرجلان إلى أبي بكر أو إلى عثمان، فقال لهما: ويحكما! إن رسول الله ﷺ ليُنْعَى لكما قومكما، فقوما إلى رسول الله ﷺ، فأسألاه أن يدعو الله أن يرفع عن قومكما؛ فقاما إليه، فأسألاه ذلك، فقال: اللهم ارفع عنهم، فخرجوا من عند رسول الله ﷺ راجعين إلى قومهما، فوجدا قومهما قد أصيبوا يوم أصابهم صُرْد بن عبد الله، في اليوم الذي قال فيه رسول الله ﷺ ما قال، وفي الساعة التي ذكر فيها ما ذكر.

إسلام أهل جرش: وخرج وفد جُرَش حتى قَدِموا على رسول الله ﷺ فأسلموا وحمى لهم حمى حول قريتهم، على أعلام معلومة، للفرس والراحلة وللمثيرة، بقرة الحَزْت، فمن رعاها من الناس فما لهم سُحْت. فقال في تلك الغزوة رجل من الأزدي: وكانت خُتَم تُصِيب من الأزدي في الجاهلية، وكانوا يَغْدُون^(٣) في الشهر الحرام:

يا عَزْوَةَ ما عَزَوْنَا غَيْرَ خَائِبَةٍ فِيهَا الْبِغَالُ وَفِيهَا الْخَيْلُ وَالْحُمُرُ
حَتَّى آتَيْنَا حُمَيْرًا فِي مَصَانِعِهَا^(٤) وَجَمْعُ خُتَمٍ قَدْ شَاعَتْ^(٥) لَهَا التُّذُرُ
إِذَا وَضَعْتُ غَلِيلًا^(٦) كُنْتُ أَحْمِلُهُ فَمَا أَبَالِي أَدَانُوا بَعْدَ أَمِّ كَفَرُوا^(٧)

(١) انظر أيضاً عن وفد كندة: الطبقات لابن سعد ١/٣٢٧.

(٢) ضَوْن: لجأت.

(٣) في تاريخ الطبري: «يغزون».

(٤) المصانع: القرى.

(٥) في تاريخ الطبري: «ساعت».

(٦) الغليل: حرارة الجوف.

(٧) تاريخ الطبري ٣/١٣٠، ١٣١.

قدوم رسول ملوك حمير بكتابهم

قدوم رسول ملوك حمير :

وقَدِمَ على رسول الله ﷺ كتابُ ملوكِ حِمَيْرٍ، مَفْدَمَه من تَبُوكَ، ورسولهم إليه بإسلامهم، الحارث بن عبد كُلال، ونَعِيم بن عبد كُلال والثُّعْمَانُ قَيْلٌ^(١) ذِي رُعَيْنٍ وَمَعَاظِرَ وَهَمْدَانَ؛ وبعث إليه زُرْعَةُ ذُو يَزْنَ مَالِكُ بن مَرَّة الرُّهَاطِي بِإِسْلَامِهِمْ، وَمُفَارَقَتِهِم الشَّرْكَ وَأَهْلَهُ.

كتاب الرسول إليهم: فكتب إليهم رسول الله ﷺ:

«بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ: من محمد رسول الله النبي، إلى الحارث بن عبد كُلال، وإلى نعيم بن عبد كُلال، وإلى الثُّعْمَانِ، قَيْلِ ذِي رُعَيْنٍ وَمَعَاظِرَ وَهَمْدَانَ. أما بعد ذلكم، فإني أحمد إليكم الله الذي لا إله إلا هو، أما بعد، فإنه قد وقع بنا رسولكم مُنْقَلَبِنَا^(٢) من أرض الروم، فلقينا بالمدينة، فبلغ ما أرسلتم به، وخبر ما قبلكم؛ وأنبأنا بإسلامكم وقتلكم المشركين، وأن الله قد هداكم بهداه^(٣)، إن أصلحتم وأطعتم الله ورسوله، وأقمتم الصلاة، وآتيتم الزكاة، وأعطيتم من المغانم خُمس الله، وسهم الرسول ووصفيه^(٤)، وما كُتِبَ على المؤمنين من الصدقة من العَقَارِ^(٥)، عُشر ما سَقَت العَيْن وسقت السماء، وعلى ما سقى العَرَبُ^(٦) نصف العشر؛ وأن في الإبل الأربعين ابنة لبون، وفي ثلاثين من الإبل ابن لبون ذكر، وفي كل خمس من الإبل شاة، وفي كل عشر من الإبل شاتان^(٧)، وفي كل أربعين من البقر بقرة؛ وفي كل ثلاثين من البقر تبيع، جَدَعٌ أو جَذَعَةٌ، وفي كل أربعين من الغنم سائمة وحدها، شاة، وأنها فريضة الله التي فرض على المؤمنين في الصدقة؛ فمن زاد خيراً فهو خير له، ومن أدى ذلك وأشهد على إسلامه، وظاهر المؤمنين على المشركين، فإنه من المؤمنين، له ما لهم، وعليه ما عليهم، وله ذمّة الله وذمّة رسوله، وإنه من أسلم من يهودي أو نصراني، فإنه من المؤمنين، له ما لهم، وعليه ما عليهم؛ ومن كان على يهوديته أو نصرانيته فإنه لا يُرَدُّ^(٨) عنها، وعليه الجزية، على كل حال ذكر أو أنثى، حرّ أو عبد، ديناراً وافٍ، من قيمة المعافر^(٩) أو عَوْضُهُ^(١٠) ثياباً، فمن أدى ذلك إلى رسول الله ﷺ فإن له ذمّة الله وذمّة رسوله، ومن منعه فإنه عدو لله ولرسوله.

أما بعد، فإن رسول الله محمداً النبي أرسل إلى زُرْعَةَ ذِي يَزْنَ أن إذا أتاكم^(١١) رُسُلِي فأوصيكم بهم خيراً: مُعَاذُ بن جَبَل، وعبدُ الله بن زيد، ومالكُ بن عُبَادَةَ، وعُقبَةُ بن نمر، ومالكُ بن مَرَّة،

(١) القَيْل: ملك إقليم.

(٢) في تاريخ الطبري ١٢١/٣ «بهداة».

(٣) أصل الضفي: ما يصطفيه القائد من الغنيمة قبل القسمة.

(٤) العقار: الأرض.

(٥) ما بين القوسين ساقط من طبعة دار الجيل ١٧٥/٤.

(٦) في تاريخ الطبري «لا يُقْتَن».

(٧) المعافر: نوع من ثياب اليمن. وعبرة الطبري «أو قيمته من المعافر».

(٨) في تاريخ الطبري «عرضه».

(٩) في تاريخ الطبري «أنتكم».

وأصحابهم، وأن أجمعوا ما عندكم من الصدقة والجزية من مخاليفكم، وأبلغوها^(١) رُسلي، وأن أميرهم مُعاذ بن جبل، فلا يَنْقَلِبَنَّ إِلَّا راضياً.

أما بعد. فإن محمداً يشهد أن لا إله إلا الله وأنه عبده ورسوله، ثم إن مالك بن مَرَّة الرَّهَوي قد حَدَّثني أنك أسلمت من أول حمير، وقتلت المشركين، فأبشر بخير وأمرك بحمير خيراً، ولا تخونوا ولا تتخاذلوا^(٢)، فإن رسول الله هو ولي^(٣) غنيكم وفقيركم، وأن الصدقة لا تحل لمحمد ولا لأهل بيته، إنما هي زكاة يُزَكَّى بها^(٤) على فقراء المسلمين وابن السبيل، وأن مالكا قد بلغ الخبير، وحفظ الغيب، وأمركم به خيراً، وإني قد أرسلت^(٥) إليكم من صالح أهل وأولي دينهم^(٦) وأولي علمهم، وأمركم بهم خيراً، فإنهم منظور إليهم، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته^(٧).

وصية الرسول مُعَاذاً حين بعثه إلى اليمن: قال ابن إسحاق: وحدثني عبد الله بن أبي بكر أنه حَدَّث: أن رسول الله ﷺ حين بَعَث مُعَاذاً، أوصاه وعهد إليه، ثم قال له: «يَسِّرْ وَلَا تَعَسِّرْ، وَبَشِّرْ وَلَا تَنْفِرْ»، وإنك ستقدم على قوم من أهل الكتاب، يسألونك ما مفتاح الجنة؛ فقل: شهادة أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له^(٨)؛ قال: فخرج معاذ، حتى إذا قدم اليمن قام بما أمره به رسول الله ﷺ، فأنته امرأة من أهل اليمن، فقالت: يا صاحب رسول الله، ما حقُّ زوج المرأة عليها؟ قال: وَنِحْكَ! إن المرأة لا تقدر على أن تؤدِّي حقَّ زوجها، فأجهدي نفسك في أداء حقه ما استطعت. قالت: والله لئن كنت صاحب رسول الله ﷺ إنك لتعلم ما حقُّ الزوج على المرأة. قال: ويحك! لو رجعت إليه فوجدته تشعب^(٩) مَنخِراهَ قِيحاً ودماً، فَمَصِضْتِ ذلك حتى تُذَهِّبِهِ ما أدبت حقه^(١٠).

إسلام فروة بن عمرو الجذامي

قال ابن إسحاق: وبعث فروة بن عمرو النافرة الجذامي، ثم الثفائي، إلى رسول الله ﷺ رسولاً بإسلامه، وأهدى له بغلة بيضاء، وكان فروة عاملاً للرُّوم على مَنْ يليهم من العرب، وكان منزله مُعَان وما حولها من أرض الشام.

(١) في تاريخ الطبري «وبلغوها».

(٢) في تاريخ الطبري «مولي».

(٤) في تاريخ الطبري «لا تحل لمحمد ولا لأهله، إنما هي زكاة يتزكى بها».

(٥) في تاريخ الطبري «بعثت».

(٦) في تاريخ الطبري «ديني».

(٧) نص الكتاب في تاريخ الطبري ١٢٠/٣ - ١٢٢، وتاريخ يعقوب ٨٧/٢ - ٨٩، وكنز العمال، ٢ عمود ٦١٦٠، ومجموعة الوثائق السياسية للدكتور محمد حميد الله - ص ١٨٠ - ١٨٢ رقم ١٠٩ باختلاف في الألفاظ وبعض العبارات.

(٨) أخرج مسلم في كتاب الجهاد والسير باب في الأمر بالتيسير وترك التنفير، من طريق أبي أسامة، عن بُريدة بن عبد الله، عن أبي بُردة، عن أبي موسى قال: كان رسول الله ﷺ إذا بعث أحداً من أصحابه في بعض أموره قال: «بشروا ولا تنفروا ويسروا ولا تعسروا». وفي حديث عن أنس (١٧٣٤/٨) قال رسول الله ﷺ: «يسروا ولا تعسروا وسكنوا ولا تنفروا». والبخاري في كتاب العلم ٢٥/١ باب ما كان النبي ﷺ يتخولهم بالموعظة والعلم كيلا ينفروا. وأبو داود في كتاب الأدب (٤٨٣٥) باب في كراهية المرأة.

(٩) تشعب: تسيل.

(١٠) انظر حلية الأولياء ٢٤٠/١، ٢٤١ في وصية الرسول ﷺ لمعاذ حين بعثه إلى اليمن.

حبس الروم له وشعره ومقتله: فلما بلغ الروم ذلك من إسلامه، طَلَبوه حتى أخذوه، فحَبَسوه عندهم، فقال في مَخْبِسه ذلك:

طَرَقْتُ سُلَيْمَى مَوْهِنًا أَصْحَابِي
صَدَّ الْخِيَالَ وَسَاءَهُ مَا قَدَرَأَى
لَا تَكْخَلِنِ الْعَيْنَ بَعْدِي إِثْمِدًا
وَلَقَدْ عَلِمْتَ أبا كُبَيْشَةَ أَنَّنِي
فَلَنْ هَلَكْتُ لَتَفْقِدُنَّ أَحَاكِمَ
وَلَقَدْ جَمَعْتُ أَجَلَ مَا جَمَعَ الْفَتَى
فَلَمَّا أَجْمَعَتِ الرُّومُ لصلبه على ماءٍ لهم، يقال له عَفْرَاءُ بِفِلَسْطِينَ، قال:

أَلَا هَلْ أَتَى سَلْمَى بِأَنْ حَلِيلَهَا
عَلَى نَاقَةٍ لَمْ يَضْرِبِ الْفَخْلُ أُمَهَا
فَزَعَمَ الزَّهْرِيُّ بِنِ شَهَابٍ، أَنَّهُمْ لَمَّا قَدَّمُوهُ لِيَقْتُلُوهُ. قال:

بَلَّغَ سَرَاةَ الْمُسْلِمِينَ بِأَنِّي
ثُمَّ ضَرَبُوا عُنُقَهُ، وَصَلَبُوهُ عَلَى ذَلِكَ الْمَاءِ، يَرْحَمُهُ اللَّهُ تَعَالَى.

إسلام بني الحارث بن كعب على يدي خالد بن الوليد لما سار إليهم

قال ابن إسحاق: ثم بعث رسول الله ﷺ خالد بن الوليد، في شهر ربيع الآخر أو جمادى الأولى، سنة عشر، إلى بني الحارث بن كعب بنجران وأمره أن يدعوهم إلى الإسلام قبل أن يقاتلهم ثلاثاً، فإن استجابوا فاقبل منهم، وإن لم يفعلوا فقاتلهم. فخرج خالد حتى قدم عليهم، فبعث الرُّكبان يَضْرِبُونَ فِي كُلِّ وَجْهٍ، وَيَدْعُونَ إِلَى الْإِسْلَامِ، وَيَقُولُونَ: أَيُّهَا النَّاسُ، أَسْلَمُوا تَسْلَمُوا. فَأَسْلَمَ النَّاسُ، وَدَخَلُوا فِيْمَا دُعُوا إِلَيْهِ، فَأَقَامَ فِيهِمْ خَالِدٌ يَعْلَمُهُمُ الْإِسْلَامَ وَكُتَابَ اللَّهِ وَسُنَّةَ نَبِيِّهِ ﷺ، وَبِذَلِكَ كَانَ أَمْرُهُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ إِنْ هُمْ أَسْلَمُوا وَلَمْ يَقَاتِلُوا.

ثم كتب خالد بن الوليد إلى رسول الله ﷺ: «بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ لِمُحَمَّدِ النَّبِيِّ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ» من خالد بن الوليد، السلام عليك يا رسول الله ورحمة الله وبركاته، فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو، أما بعد، يا رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْكَ، فَإِنَّكَ بَعَثْتَنِي إِلَى بَنِي الْحَارِثِ بْنِ كَعْبٍ، وَأَمَرْتَنِي إِذَا أَتَيْتَهُمْ أَلَا أَقَاتِلَهُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ، وَأَنْ أَدْعُوهُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ، فَإِنْ أَسْلَمُوا أَقَمْتُ فِيهِمْ، وَقَبِلْتُ مِنْهُمْ، وَعَلَّمْتَهُمْ مَعَالِمَ الْإِسْلَامِ وَكُتَابَ اللَّهِ وَسُنَّةَ نَبِيِّهِ، وَإِنْ لَمْ يَسْلَمُوا قَاتَلْتَهُمْ. وَإِنِّي قَدِمْتُ عَلَيْهِمْ فَدَعَوْتُهُمْ

(١) الموهن: نحو نصف الليل أو بعد ساعة منه. قروان: مثل صفوان: حوض من خشب تسقى فيه الدواب وتلغ فيه الكلاب وفي المثل ما فيها لاعي قزو: أي لاعي قزو.

(٢) لَا يُحْصَى: لَا يُقْطَعُ.

(٣) الْمُشْدَبَةُ: الَّتِي أُزِيلَتْ أَغْصَانُهَا.

إلى الإسلام ثلاثة أيام، كما أمرني رسول الله ﷺ، وبعثت فيهم رُكباً، قالوا: يا بني الحارث، أسلموا، فأسلموا ولم يقاتلوا، وأنا مُقيم بين أظهرهم، أمرهم بما أمرهم الله به وأنهاهم عما نهاهم الله عنه، وأعلمهم معالم الإسلام وسنة النبي ﷺ حتى يكتب إلي رسول الله ﷺ، والسلام عليك يا رسول الله ورحمة الله وبركاته^(١).

فكتب إليه رسول الله ﷺ:

«بسم الله الرحمن الرحيم: من محمد النبي رسول الله إلى خالد بن الوليد، سلام عليك، فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو، أما بعد، فإن كتابك جاءني مع رسولك تُخبر أن بني الحارث بن كعب قد أسلموا قبل أن تقاتلهم، وأجابوا إلى ما دعوتهم إليه من الإسلام، وشهدوا أن لا إله إلا الله، وأن محمداً عبد الله ورسوله، وأن قد هداهم الله بهداه، فبشّره وأذره، وأقبل وليقبل معك وفدّهم، والسلام عليك ورحمة الله وبركاته»^(٢).

قدوم خالد مع وفدهم على الرسول: فأقبل خالد إلى رسول الله ﷺ، وأقبل معه وفد بني الحارث بن كعب، منهم قيس بن الحُصين ذي العُصّة^(٣)، ويزيد بن عبد المَدان، ويزيد بن المحجّل، وعبد الله بن فُرَاد^(٤) الزَيادي؛ وشَداد بن عبد الله الفَناني، وعمرو بن عبد الله الضَّبائي^(٥).

فلما قَدِموا على رسول الله ﷺ فرأهم، قال: «من هؤلاء القوم الذين كأنهم رجال الهند». قيل: يا رسول الله، هؤلاء رجال بني الحارث بن كعب؛ فلما وقفوا على رسول الله ﷺ سلّموا عليه، وقالوا: نشهد أنك رسول الله، وأنه لا إله إلا الله؛ قال رسول الله ﷺ: «وأنا أشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله». ثم قال رسول الله ﷺ: «أنتم الذين إذا رُجروا استقدموا». فسكتوا، فلم يراجعه منهم أحد، ثم أعادها الثانية، فلم يراجعه منهم أحد، ثم أعادها الثالثة، فلم يراجعه منهم أحد، ثم أعادها الرابعة، فقال يزيد بن عبد المَدان: نعم، يا رسول الله، نحن الذين إذا رُجروا استقدموا، قالها أربع مرار؛ فقال رسول الله ﷺ: «لو أن خالداً لم يكتب إليّ أنكم أسلمتم ولم تقاتلوا، لألقيت رؤوسكم تحت أقدامكم»؛ فقال يزيد بن عبد المَدان: أما والله ما حَمَدناك ولا حمدنا خالداً، قال: «فمن حَمَدتم». قالوا: حمدنا الله عزّ وجلّ الذي هدانا بك يا رسول الله؛ قال: «صدقتم». ثم قال رسول الله ﷺ: «بم كنتم تغلبون من قاتلكم في الجاهلية؟» قالوا: لم نكن نغلب أحداً؛ قال: «بلى، قد كنتم تغلبون من قاتلكم»؛ قالوا: كنا نغلب من قاتلنا يا رسول الله إنا كنا نَجتمع ولا نَفترق، ولا

(١) النص في إمتاع الأسماع للمقرئزي ٥٠١/١، ومجموعة الوثائق السياسية للدكتور محمد حميد الله ١٣١ رقم ٧٩.

(٢) النص في صبح الأعشى للقلقشندي ٣٦٧/٦، ومجموعة الوثائق ١٣٢ رقم ٨٠، وانظر طبقات ابن سعد ١/٣٣٩.

(٣) ذو العُصّة: سَتي لُصّة في حلقه لا يكاد يبين منها، واسمه الحُصين بن زيد بن شداد الحارثي. ذكره عمر بن الخطاب يوماً فقال: لا تزد امرأة في صداقها عن كذا وكذا ولو كانت بنت ذي العُصّة. (الروض الأنف ٤/٢٢٨).

(٤) في تاريخ الطبري ٣/١٢٧ «قُرَيْظ».

(٥) الضَّبائي من ضباب بكسر الضاد في بني الحارث بن كعب بن مذحج، وضباب أيضاً في قريش وهو ابن حُجير بن عبد بن مُعيص بن عامر أخو حُجر بن عبد. والضباب في بني عامر بن صعصعة، وهم ضباب ومُضعب وجنل وحُسبل بنو معاوية بن كلاب، وأما الضباب بالفتح ففي نسب النابغة الذبياني ضباب بن يربوع بن غيظ؛ وأما الضباب بالضم فزيد ومُتَجابنا ضباب من بني بكر، ذكره الدارقطني. (الروض الأنف ٤/٢٢٨، ٢٢٩).

نبدأ أحداً بظلم؛ قال: «صدقتم». وأمر رسول الله ﷺ على بني الحارث بن كعب قيس بن الحُصَيْن .
 فرجع وفد بني الحارث إلى قومهم في بقيّة من سؤال، أو في صدر ذي القعدة، فلم يمكثوا بعد
 أن رجعوا إلى قومهم إلا أربعة أشهر، حتى تُوفّي رسول الله ﷺ، ورحم وبارك، ورضي وأنعم^(١).
 الرسول يبعث عمرو بن حزم بعهدته إليهم: وقد كان رسول الله ﷺ بعث إليهم بعد أن ولى
 وفدّهم عمرو بن حزم، ليفقّهم في الدين، ويعلمهم السنة ومعالم الإسلام، ويأخذ منهم صدقاتهم،
 وكتب له كتاباً عهد إليه فيه عهده، وأمره فيه بأمره: «بسم الله الرحمن الرحيم: هذا بيان من الله
 ورسوله»، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَوْفُوا بِالْمُقَوَّدِ﴾ عهد من محمد النبي رسول الله لعمر بن حزم، حين
 بعثه إلى اليمن، أمره بتقوى الله في أمره كلّه، فإن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون، وأمره أن
 يأخذ بالحق كما أمره الله، وأن يبشّر الناس بالخير، ويأمرهم به، ويُعلّم الناس القرآن، ويفقّهم فيه،
 وينهى الناس، فلا يمسّ القرآن إنسان إلا وهو طاهر، ويخبر الناس بالذي لهم، والذي عليهم، ويلين
 للناس في الحق، ويشتدّ عليهم في الظلم، فإن الله كره الظلم، ونهى عنه، فقال: ﴿أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى
 الظَّالِمِينَ﴾ [هود: ١٨]، ويبشّر الناس بالجنة ويعملها، ويُنذّر الناس النار وعملها، ويستألف الناس حتى
 يفقّهم في الدين، ويعلم الناس معالم الحجّ وسنته وفريضته، وما أمر الله به، والحجّ الأكبر: الحجّ
 الأكبر، والحجّ الأصغر: هو العمرة؛ وينهى الناس أن يصلّي أحد في ثوب واحد صغير، إلا أن يكون
 ثوباً يشني طرفيه على عاتقيه، وينهى الناس أن يحتبّي أحد في ثوب واحد يُفضي بفرجه إلى السماء،
 وينهى أن يعقص أحد شعر رأسه في قفاه، وينهى إذا كان بين الناس هنج عن الدعاء إلى القبائل
 والعشائر، وليكن دعواهم إلى الله عزّ وجلّ وحده لا شريك له، فمن لم يدع إلى الله، ودعا إلى
 القبائل والعشائر فلْيُقْطَعُوا بالسيف، حتى تكون دعواهم إلى الله وحده لا شريك له، ويأمر الناس
 بإسباغ الوضوء وجوههم وأيديهم إلى المرافق وأرجلهم إلى الكعبين ويمسحون برؤوسهم كما أمرهم
 الله، وأمر بالصلاة لوقتها، وإتمام الركوع والسجود والخشوع، ويُغسّل بالصبح، ويهجر بالهجرة حين
 تميل الشمس، وصلاة العصر والشمس في الأرض مذبرة، والمغرب حين يقبل الليل، لا يؤخر حتى
 تبدو النجوم في السماء، والعشاء أول الليل؛ وأمر بالسعي إلى الجمعة إذا نودي لها، والغسل عند
 الزواح إليها؛ وأمره أن يأخذ من المغانم خمس الله؛ وما كُتب على المؤمنين في الصدقة من العقار
 عشر ما سقت العين وسقت السماء، وعلى ما سقى العُزْبُ نصف العُشر؛ وفي كلّ عشر من الإبل
 شاتان، وفي كلّ عشرين أربع شياه، وفي كلّ أربعين من البقر بقرة، وفي كلّ ثلاثين من البقر تبيع،
 جدع أو جدعة، وفي كلّ أربعين من الغنم سائمة وحدها، شاة، فإنها فريضة الله التي افترض على
 المؤمنين في الصدقة، فمن زاد خيراً فهو له؛ وأنه من أسلم من يهودي أو نصراني إسلاماً خالصاً من
 نفسه، ودان بدين الإسلام، فإنه من المؤمنين، له مثل ما لهم، وعليه مثل ما عليهم، ومن كان على
 نصرانيته أو يهوديته، فإنه لا يزد عنها، وعلى كلّ حالم: ذكر أو أنثى، حرّ أو عبد، دينارٍ وافٍ أو
 عوضه ثياباً.

(١) الخبر في تاريخ الطبري ١٢٦/٣ - ١٢٨، وطبقات ابن سعد ١/٣٣٩، ٣٤٠.

(٢) أول سورة المائدة.

فمن أدّى ذلك، فإن له ذمّة الله وذمّة رسوله، ومن منع ذلك، فإنه عدوّ الله ولرسوله وللمؤمنين جميعاً، صلوات الله على محمد، السلام عليه ورحمة الله وبركاته^(١).

قدوم رفاعة بن زيد الجُدّامي

وقدّم على رسول الله ﷺ في هُدنة الحُدَيْبِيَّة، قبل خيبر، رفاعة بن زيد الجُدّامي ثم الضَّبْيَبِيُّ، فأهدى لرسول الله ﷺ غلاماً، وأسلم، فحسن إسلامه، وكتب له رسول الله ﷺ كتاباً إلى قومه. وفي كتابه: «بسم الله الرحمن الرحيم؛ هذا كتاب من محمد رسول الله، لرفاعة بن زيد. إني بعثته إلى قومه عامّة، ومن دخل فيهم، يدعوهم إلى الله وإلى رسوله، فمن أقبل منهم ففي حزب الله وحزب رسوله، ومن أدبر فله أمان شهرين»^(٢).

فلما قدم رفاعة على قومه أجابوا وأسلموا، ثم ساروا إلى الحَرّة: حَرّة الرّجلاء، ونزلوها.

قدوم وفد همدان

قال ابن هشام: وقدّم وفد همدان على رسول الله ﷺ، فيما حدثني من أثق به، عن عمرو بن عبد الله بن أذينة العبدي، عن أبي إسحاق السَّبَّعي، قال: قدّم وفد همدان على رسول الله ﷺ، منهم مالك بن نَمَط، وأبو ثور، هو ذو المِشعار، ومالك بن أَيْفَع وِضَام بن مالك السَّلْماني وِعَميرة بن مالك الخارفي، فلحقوا رسول الله ﷺ مَرْجَعَهُ من تبوك وعليهم مُقَطَّعات الحِبرَات^(٣)، والعمائم العدنوية، برحال المَيْس^(٤) على المَهْرِيَّة^(٥) والأزْحَبِيَّة^(٦)، ومالك بن نَمَط ورجل آخر يرتجزان بالقوم، يقول أحدهما:

همدان خَيْرُ سُوقَةٍ وَأَقْيَالٍ لَيْسَ لَهَا فِي الْعَالَمِينَ أَمْثَالٌ^(٧)
مَحَلُّهَا هَضْبٌ وَمِنْهَا الْأَبْطَالُ لَهَا إِطَابَاتٌ بِهَا وَأَكَالٌ^(٨)
ويقول الآخر:

إِلَيْكَ جَاوَزْنَ سَوَادَ الرِّيفِ فِي هَبَاتِ الصَّيْفِ وَالخَرِيفِ^(٩)
مُخَطَّمَاتٍ بِجِبَالِ اللُّيْفِ

(١) تاريخ الطبري ١٢٨/٣ - ١٢٩، وفتح البلدان ٨٣/١، ٨٤، وإمتاع الأسماع ٥٠١/١، ٥٠٢، ومجموعة الوثائق ١٧٣ - ١٧٥ رقم ١٠٥.

(٢) تاريخ الطبري ١٤٠/٣، صبح الأعيى ٣٨٢/٦، والمغازي للواقدي ٥٥٧/٢، والمعجم الكبير للطبراني ٤٦/٥ رقم ٤٥٦٢، ومجموعة الوثائق ٢٣٣، ٢٣٤ رقم ١٧٥.

(٣) المقطّعات: المخيطة. الحبرات: بُرود يمنية.

(٤) الميس: خشب متين تُصنع منه الرحال.

(٥) المهريّة: إبل نجية تُنسب إلى مهرة قبيلة باليمن.

(٦) الأرحبية: تُنسب إلى أرحب: مكان.

(٧) السوقة: الشعب. والأقيال: رؤساء الأقاليم.

(٨) الإطابات: ما طاب من الأموال، والآكال: ما يأخذه الملك من الشعب كالضرائب.

(٩) السواد: القرى. الهوات: الغبار.

فقام مالك بن نمط بين يديه، فقال: يا رسول الله، نصية^(١) من همدان، من كل حاضر وباد، أتوك على قُلُص نَوَاج^(٢)، متصلة بحبائل الإسلام، لا تأخذهم في الله لومة لائم، من مخلاف خارف ويام وشاكر^(٣) أهل السود والقرود، أجابوا دعوة الرسول، وفارقوا الإلهات الأنصاب، عهدهم لا يُنْقَض ما أقامت لَعْلَع، وما جرى اليعفور بصلع^(٤).

فكتب لهم رسول الله ﷺ كتاباً فيه:

«بسم الله الرحمن الرحيم: هذا كتاب من رسول الله محمد، لمخلاف خارف وأهل جناب الهضب وحقاف الرمل، مع وافدها ذي المشعار مالك بن نمط، ومن أسلم من قومه، على أن لهم فراعها ووهاطها^(٥)، ما أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة، يأكلون علافها ويَزْعون عافيتها^(٦)، لهم بذلك عهد الله وذمام رسوله، وشاهدتهم المهاجرون والأنصار^(٧). فقال في ذلك مالك بن نمط:

وَنَحْنُ بِأَعْلَى رَحْرَحَانَ وَصَلْدَدِ ^(٨)	ذَكَرْتُ رَسُولَ اللَّهِ فِي فَخْمَةِ الدُّجَى
بِرُكْبَانِهَا فِي لَاجِبِ مُتَمَدِّ ^(٩)	وَهُنَّ بِنَا خَوْصٌ طَلَائِحُ تَغْتَلِي
تَمْرٍ بِنَا مَرَّ الْهَجْفِ الْخَفِينِدِّ ^(١٠)	عَلَى كُلِّ فَتْلَاءِ الدَّرَاعِينَ جَسْرَةَ
صَوَادِرَ بِالرُّكْبَانِ مِنْ هَضْبِ قَزْدَدِ ^(١١)	حَلَفْتُ بِرَبِّ الرَّاقِصَاتِ إِلَى مِئْتِي
رَسُولٌ أَتَى مِنْ عِنْدِ ذِي الْعَرْشِ مَهْتَدِي	بِأَنَّ رَسُولَ اللَّهِ فِيْنَا مُصَدِّقٌ
أَشَدُّ عَلَى أَعْدَائِهِ مِنْ مُحَمَّدِ	فَمَا حَمَلْتُ مِنْ نَاقَةٍ فَوْقَ رَحْلِهَا
وَأَمْضَى بِحَدِّ الْمَشْرِفِيِّ الْمَهْتَدِ	وَأَعْطَى إِذَا مَا طَالِبُ الْعُرْفِ جَاءَهُ

(١) النصية: خيار القوم.

(٢) القُلُص: الإبل الشابة. نواج: مسرعة.

(٣) المخلاف المدينة، وما بعدها أسماء قبائل. وأضاف ابن سعد في الطبقات ١/ ٣٤١ «أهل الهضب» و«حقاف الرمل».

(٤) لعلع: مجموعة من الجبال. اليعفور: ولد الظبية. صلغ: مكان.

(٥) فراعها: أعاليها. وهاطها: أسافلها.

(٦) العلاف: ثمر الطح. عافها: ما كثر من نباتها.

(٧) والنص في مجموعة الوثائق يختلف عما هنا:

«لکم فراعها ووهاطها وعزازها، تأکلون علافها وترعون عفاءها. لنا من دفتهم وصرامهم ما سلموا بالميثاق والأمانة. ولهم من الصدقة الثلب والناب والفصيل والفاضل والداجن والكبش الحوري، وما عليهم فيها الصالغ والقارح».

انظر النص في صبح الأعيى ٤/ ٣٧٤، والعقد الفريد ١/ ١٣٤، شرح المواهب ٤/ ١٧٠، ١٧١، وأسد الغابة ٤/ ٢٩٤، ٢٩٥، وتاريخ اليعقوبي ٢/ ٨٩، ولسان العرب (مادة - حور)، ومجموعة الوثائق ١٩١، ١٩٢ رقم ١١٣.

(٨) رَحْرَحَانَ: وصلدد: موضعان.

(٩) الخُوص: غائرات العيون. طلائع: متعبة. تغتلي: تنشط في سيرها. اللاحب: الطريق الواضح.

(١٠) الجَسْرَة: الناقة القوية على السير. الهجف: ذكر النعام القوي وكذلك الخفندد.

(١١) الراقصات: الإبل الراقصات، والرقص: ضرب من السير. الصواد: الرواجع. والقزدد: الأرض المرتفعة.

ذكر الكذابين مُسَيَّلِمَة الحنفي والأسود العنسي

قال ابن إسحاق: وقد كان تكلم في عهد رسول الله ﷺ الكذابان مُسَيَّلِمَة بن حبيب باليمامة في بني حنيفة، والأسود بن كعب العنسي بصنعاء^(١).

قال ابن إسحاق: حدثني يزيد بن عبد الله بن قُسيط، عن عطاء بن يسار أو أخيه سلمان بن يسار، عن أبي سعيد الخُدري، قال: سمعت رسول الله ﷺ وهو يخطب بالناس على منبره، وهو يقول: أيها الناس، إنني قد رأيت ليلة القدر، ثم أنسيتها، ورأيت في ذراعتي سوارين من ذهب، ففكرتهما، ففختهما فطارا، فأولتهما هذين الكذابين: صاحب اليمن، وصاحب اليمامة^(٢).

الرسول يتحدّث عن الدجالين: قال ابن إسحاق: وحدثني من لا أتهم عن أبي هريرة أنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لا تقوم الساعة حتى يخرج ثلاثون دجالاً، كلهم يدعي النبوة»^(٣).

خروج الأمراء والعمال على الصّدقات

قال ابن إسحاق: وكان رسول الله ﷺ قد بعث أمراءه وعماله على الصّدقات، إلى كلّ ما أوطأ الإسلام من البُلدان؛ فبعث المهاجر بن أبي أمية بن المغيرة إلى صنعاء، فخرج عليه العنسي وهو بها، وبعث زياد بن ليبيد، أخا بني بياضة الأنصاري، إلى حضرموت وعلى صدقاتها؛ وبعث عدي بن حاتم على طيء وصدقاتها، وعلى بني أسد؛ وبعث مالك بن نويرة - قال ابن هشام: اليربوعي - على صدقات بني حنظلة، وفرّق صدقة بني سعد على رجلين منهم، فبعث الزُّبرقان بن بدر على ناحية منها، وقيس بن عاصم على ناحية، وكان قد بعث العلاء بن الحضرمي على البحرين، وبعث علي بن أبي طالب رضوان الله عليه إلى أهل نَجْران، ليجمع صدقتهم ويقدم عليه بِجَزَائِهِمْ^(٤).

كتاب مُسَيَّلِمَة إلى رسول الله والجواب عنه

وقد كان مُسَيَّلِمَة بن حبيب، قد كتب إلى رسول الله ﷺ: من مُسَيَّلِمَة رسول الله، إلى محمد رسول الله: سلام عليك؛ أما بعد، فإني قد أشركت في الأمر معك، وإن لنا نصفَ الأرض، ولقريش نصف الأرض، ولكن قريشاً قوم يفتنون^(٥).

فقدّم عليه رسولان له بهذا الكتاب.

(١) انظر عن ردة الأسود في المعرفة والتاريخ ٢٦٢/٣.

(٢) أخرجه ابن ماجه في تعبير الرويا (٣٩٢٢) باب تعبير الرويا، عن أبي بكر بن أبي شيبة، حدثنا محمد بن بشر، حدثنا محمد بن عمرو، عن أبي سلمة، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «رأيت في يدي سوارين من ذهب، ففختهما فأولتهما هذين الكذابين - مسيّلمة والعنسي» وأحمد في المسند ٣٣٨/٢ و٣٤٤، ورواه البخاري في المغازي ١٢٠/٥ قصة الأسود العنسي.

(٣) أخرج أحمد في المسند ١٠٤/٢ من طريق إياذ يعني ابن لقيط، عن عبد الرحمن بن نعيم الأعرجي، في حديث عمر رضي الله عنه عن المتعة، وفيه: «والله لقد سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ليكوننّ قبل المسيح الدجال كذابين ثلاثون أو أكثر...».

(٤) تاريخ الطبري ١٤٧/٣.

(٥) تاريخ الطبري ١٤٦/٣، وامتاع الأسماع ٥٠٨/١، صبح الأعشى ٤٦٨/٧، مجموعة الوثائق ٢٥٦، ٢٥٧ رقم ٢٠٥.

قال ابن إسحاق: فحدثني شيخ من أشجع، عن سلمة بن نعيم بن مسعود الأشجعي، عن أبيه نعيم، قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول لهما حين قرأ كتابه: «فما تقولان أنتما؟» قالوا: نقول كما قال، فقال: «أما والله لولا أن الرُّسُل لا تقتل لضربت أعناقكما»^(١).

ثم كتب إلى مسيلمة: «بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد رسول الله، إلى مسيلمة الكذاب: السلام على من اتبع الهدى، أما بعد، فإن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده، والعاقبة للمتقين»^(٢). وذلك في آخر سنة عشر.

حجة الوداع^(٣)

تجهز الرسول: قال ابن إسحاق: فلما دخل على رسول الله ﷺ ذو العقدة، تجهز للحج وأمر الناس بالجهاز له.

قال ابن إسحاق: فحدثني عبد الرحمن بن القاسم، عن أبيه القاسم بن محمد، عن عائشة زوج النبي ﷺ، قالت: خرج رسول الله ﷺ إلى الحج لخمس ليالٍ بقين من ذي القعدة.

استعماله على المدينة أبا دُجانة: قال ابن هشام: فاستعمل على المدينة أبا دجانة الساعدي، ويقال: سباع بن عُزُفَةَ الغفاري.

حكم الحائض في الحج: قال ابن إسحاق: فحدثني عبد الرحمن بن القاسم، عن أبيه القاسم بن محمد، عن عائشة، قالت: لا يذكر ولا يذكر الناس إلا الحج، حتى إذا كان بسرف وقد ساق رسول الله ﷺ معه الهدي وأشراف من أشراف الناس، أمر الناس أن يجلسوا بعمرة، إلا من ساق الهدي؛ قالت: وحضت ذلك اليوم، فدخل علي وأنا أبكي؛ فقال: «ما لك يا عائشة؟ لعلك نُفِست؟» قالت: قلت: نعم، والله لوددت أنني لم أخرج معكم عامي في هذا السفر؛ فقال: «لا تقولن ذلك، فإنك تُقْضين كل ما يقضي الحاج إلا أنك لا تطوفين بالبيت». قالت: ودخل رسول الله ﷺ مكة، فحل كل من كان لا هدي معه، وحل نساؤه بعمرة، فلما كان يوم النحر أتيت بلحم بقر كثير، فطرح في بيتي، فقلت: ما هذا؟ قالوا: ذبح رسول الله ﷺ عن نساؤه البقر، حتى إذا كانت ليلة الحَضْبَة، بعث بي رسول الله ﷺ مع أخي عبد الرحمن بن أبي بكر فأعمرني من التَّعْمِيم، مكان عُمرتي التي فاتتني^(٤).

(١) تاريخ الطبري ١٤٦/٣، مجموعة الوثائق ٢٥٧ رقم ٢٠٥.

(٢) انظر عنها في: تاريخ الطبري ١٤٨/٣ - ١٥٢، والمغازي لعمرو ٢٢٢، وصحيح البخاري ١٢٣/٥ - ١٢٨، والمغازي للواقدي ١٠٨٨/٣ - ١٨، ٢: ١٨، وتاريخ خليفة ٩٤، والطبقات الكبرى لابن سعد ١٧٢/٢ - ١٧٩، وأنساب الأشراف ١/٣٦٨ - ٣٧١، والبدء والتاريخ ٢٤٢/٤، والكامل في التاريخ ٣٠٢/٢، ٣٠٣، وعيون التواريخ ١/٣٩٤، وعيون الأثر ٢/٢٧٢ - ٢٧٥، وسيرة ابن كثير ٢١١/٤ - ٤٢٦، ونهاية الأرب ٣٧١/١٧ - ٣٧٨، وتاريخ الإسلام (المغازي) ٧٠١ - ٧١١.

(٣) تاريخ الطبري ١٤٨/٣، تاريخ الإسلام ٧٠١.

(٤) انظر عنه في طبقات ابن سعد ١٣/٢ رقم ٣٠٨٠.

(٥) الحديث في صحيح البخاري في كتاب المغازي (١٢٤، ١٢٣/٥) باب حجة الوداع، عن إسماعيل بن عبد الله، حدثنا مالك، عن ابن شهاب، عن عروة بن الزبير، عن عائشة رضي الله عنها قالت: خرجنا مع رسول الله ﷺ في حجة الوداع، فأهملنا بعمرة، ثم قال لنا رسول الله ﷺ: «من كان عنده هدي فليهل بالحج مع العمرة ثم لا يحل حتى يحل =

قال ابن إسحاق: وحدثني نافع، مولى عبد الله بن عمر، عن عبد الله بن عمر، عن حفصة بنت عمر، قالت: لما أمر رسول الله ﷺ نساءه أن يُحِلَّينَ بِعُمْرَةِ، قُلْنَ: فما يمنعك يا رسول الله أن تُحِلَّ معنا؟ فقال: فقال: «إني أهديت ولَبَّدت^(١)، فلا أحلّ حتى أنحر هديي»^(٢).

موافاة علي في قفوله من اليمن رسول الله في الحج: قال ابن إسحاق: وحدثني عبد الله بن أبي نجيج: أن رسول الله ﷺ كان بعث علياً رضي الله عنه إلى نجران، فلقيه بمكة وقد أحرم، فدخل على فاطمة بنت رسول الله ﷺ ورضي عنها، فوجدها قد حَلَّتْ وَتَهَيَّأت، فقال: ما لك يا بنت رسول الله؟ قالت: أمرنا رسول الله ﷺ أن نَحِلَّ بِعُمْرَةِ فَحَلَلْنَا. ثم أتى رسول الله ﷺ، فلما فرغ من الخَبَرِ عن سفره، قال له رسول الله ﷺ: انطلق فطَفُّ بالبيت، وِحَلِّ كما حَلَّ بأصحابك؟ قال: يا رسول الله إني أهللتُ كما أهللتُ؛ فقال: ارجع فاحلِّلْ كما حلَّ أصحابك؛ قال: يا رسول الله، إني قلت حين أحرمتُ: اللهم إني أهلُّ بما أهلَّ به نبيُّك وعبدك ورسولك محمد ﷺ؛ قال: فهل معك من هدي؟ قال: لا. فأشركه رسول الله ﷺ في هديه، وثبت على إحرامه مع رسول الله ﷺ، حتى فرغاً من الحج، ونحر رسول الله ﷺ الهدى عنهما^(٣).

قال ابن إسحاق: وحدثني يحيى بن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي عمرة، عن يزيد بن طلحة بن يزيد بن زكاته، قال: لما أبلَّ علي رضي الله عنه من اليمن ليلقى رسول الله ﷺ بمكة، تعجَّلَ إلى رسول الله ﷺ واستخلف على جُنْدِهِ الَّذِينَ مَعَهُ رَجُلًا مِنْ أَصْحَابِهِ، فَعَمَدَ ذَلِكَ الرَّجُلُ فَكَسَا كُلَّ رَجُلٍ مِنَ الْقَوْمِ حُلَّةً مِنَ الْبَزِّ الَّذِي كَانَ مَعَ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. فلما دنا جيشه خرج ليلقاهم، فإذا عليهم الحُلُّ؛ قال: ويلك! ما هذا؟ قال: كسوت القوم ليتجملوا به إذا قدموا في الناس؛ قال: ويلك! انزع قبل أن تنتهي به إلى رسول الله ﷺ. قال: فانتزع الحُلُّ من الناس، فردَّها في البزِّ، قال: وأظهر الجيش شكواه لما صُنِعَ بِهِمْ^(٤).

قال ابن إسحاق: فحدثني عبد الله بن عبد الرحمن بن معمر بن حزم، عن سليمان بن محمد بن كعب بن عُجْرَةَ عَنْ عَمَتِهِ زَيْنَبَ بِنْتِ كَعْبٍ، وَكَانَتْ عِنْدَ أَبِي سَعِيدِ الْخُدْرِيِّ، عَنْ أَبِي سَعِيدِ الْخُدْرِيِّ، قَالَ: اشتكى الناس علياً رضوان الله عليه، فقام رسول الله ﷺ فينا خطيباً، فسمعته يقول: «أيها الناس، لا تشكوا علياً، فوالله إنه لأخشن في ذات الله، أو في سبيل الله، من أن يشكى»^(٥).

= منهما جميعاً فقدمت معه مكة وأنا حائض ولم أطف بالبيت ولا بين الصفا والمرة، فشكوت إلى رسول الله ﷺ فقال: «انقضي رأسك وامتشطي وأهلي بالحج ودعي العمرة»، ففعلت، فلما قضينا الحج أرسلني رسول الله ﷺ مع عبد الرحمن ابن أبي بكر الصديق رضي الله عنهما إلى التنعيم فاعتمرت، فقال: هذه مكان عُمرتك. قالت: فطاف الذين أهلوا بالعمرة بالبيت وبين الصفا والمروة ثم حلوا ثم طافوا طوافاً آخر بعد أن رجعوا من منى وأما الذين جمعوا الحج والعمرة فإنما طافوا طوافاً واحداً. والخبر في تاريخ الطبري ١٤٨/٣

(١) لَبَّد: جعل في رأسه صمغاً لئلا يتشعث.

(٢) أخرجه أحمد في المسند ٢٥٨/٦ بسنده ونصه، وانظر له ١٢٤/٢.

(٣) تاريخ الطبري ١٤٨/٣، ١٤٩.

(٤) تاريخ الطبري ١٤٩/٣.

(٥) أخرجه أحمد في المسند ٨٦/٣ بالسند نفسه، والنص، دون «من أن يشكى». وتاريخ الطبري ٢١٤٩/٣.

خطبة الوداع: قال ابن إسحاق: ثم مضى رسول الله ﷺ على حجّه، فأرى الناس مناسيكمهم، وأعلمهم سنن حجّهم، وخطب الناس خطبته التي بين فيها ما بين، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: «أيها الناس، اسمعوا قولي، فإني لا أدري لعلي لا ألقاكم بعد عامي هذا بهذا الموقف أبداً؛ أيها الناس، إن دماءكم وأموالكم عليكم حرام إلى أن تلقوا ربكم، كحرمة يومكم هذا، وكحرمة شهركم هذا، وإنكم ستلقون ربكم، فيسألكم عن أعمالكم، وقد بلغت، فمن كانت عنده أمانة فليؤدها إلى من ائتمنه عليها، وإن كل ربا موضوع، ولكن لكم رؤوس أموالكم، لا تظلمون ولا تظلمون. قضى الله أنه لا ربا، وإن ربا عبّاس بن عبد المطلب موضوع كله، وإن كل دم كان في الجاهلية موضوع، وإن أول دمائكم أضع دم ابن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب، وكان مسترضعاً في بني ليث، فقتلته هذيل فهو أول ما أبداً به من دماء الجاهلية. أما بعد أيها الناس، فإن الشيطان قد يئس من أن يُعبد بأرضكم هذه أبداً، ولكنه إن يُطع فيما سوى ذلك فقد رضي به مما تخفرون من أعمالكم، فاحذروه على دينكم، أيها الناس: ﴿إِنَّمَا السَّبِيُّ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ يُضَلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُلُونَهُ عَامًا وَيُكْرِمُونَهُ عَامًا لِيُوَاطِفُوا عِدَّةَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ فَيُحِلُّوا مَا حَرَّمَ اللَّهُ﴾، وإن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض، في كتاب الله يوم خلق السموات والأرض، منها أربعة حرم، ﴿إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا﴾ ﴿فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرْمٌ﴾ ثلاثة متواليه، ورجب مضر^(١)، الذي بين جمادى وشعبان. أما بعد أيها الناس، فإن لكم على نساتكم حقاً، ولهن عليكم حقاً، لكم عليهن أن لا يوطئن فرشكم أحداً تكرهونه، وعليهن أن لا يأتين بفاحشة مبينة، فإن فعلن فإن الله قد أذن لكم أن تهجروهن في المضاجع وتضربوهن ضرباً غير مبرح^(٢)، فإن انتهين فلهن رزقهن وكسوتهن بالمعروف، واستوصوا بالنساء خيراً، فإنهن عندكم عوان^(٣) لا يملكن لأنفسهن شيئاً، وإنكم إنما أخذتموهن بأمانة الله، واستحللتم فروجهن بكلمات الله، فاعقلوا أيها الناس قولي، فإني قد بلغت، وقد تركت فيكم ما إن اعتصمتم به فلن تضلوا أبداً، أمراً بيناً، كتاب الله وسنة نبيه. أيها الناس، اسمعوا قولي واعقلوه، تعلمن أن كل مسلم أخ للمسلم، وأن المسلمين إخوة، فلا يحل لأمرئ من أخيه إلا ما أعطاه عن طيب نفس منه، فلا تظلمن أنفسكم؛ اللهم هل بلغت؟

فذكر لي أن الناس قالوا: اللهم نعم؛ فقال رسول الله ﷺ: «اللهم اشهد»^(٤).

قال ابن إسحاق: وحدثني يحيى بن عبّاد بن عبد الله بن الزبير، عن أبيه عبّاد قال: كان الرجل الذي يصرخ في الناس يقول رسول الله ﷺ وهو معرفة، ربيعة بن أمية بن خلف. قال: يقول له رسول الله ﷺ: «قل يا أيها الناس، إن رسول الله ﷺ يقول: هلا تدرون أي شهر هذا؟ فيقول لهم، فيقولون:

(١) رجب مضر، إنما قال ذلك لأن ربيعة كانت نحزم شهر رمضان، وتسميته: رجباً من رجبت الرجل ورجبته إذا عظمته، ورجبت النخلة إذا دعمتها، فبين عليه السلام أنه رجب مضر لا رجب ربيعة، وأنه الذي بين جمادى وشعبان. (الروض الأنف ٤/٢٤٨).

(٢) غير مبرح: غير شديد.

(٣) عوان: أسيرات، مفردها: عانيه.

(٤) أخرجه مسلم في كتاب الحج (١٤٧/٢١٨) مم حديث طويل في باب حجة النبي ﷺ، وأبو داود في المناسك (١٩٠٥) باب صفة حجة النبي ﷺ، والطبري في التاريخ ٣/١٥٠، ١٥١، وابن سعد ٢/١٨١.

الشهر الحرام؛ فيقول: «قل لهم: إن الله قد حرّم عليكم دماءكم وأموالكم إلى أن تلقوا ربكم كحرمة شهركم هذا»؛ ثم يقول: «قل: يَا أَيُّهَا النَّاسُ، إن رسول الله ﷺ يقول: هل تدرّون أيّ بلد هذا؟ قال: فيصرخ به؛ قال: فيقولون البلد الحرام، قال: فيقول: «قل لهم: إن الله قد حرّم عليكم دماءكم وأموالكم إلى أن تلقوا ربكم كحرمة بلدكم هذا»؛ قال: ثم يقول: «قل يَا أَيُّهَا النَّاسُ، إن رسول الله ﷺ يقول: هل تدرّون أيّ يوم هذا؟ قال: فيقول له: فيقولون: يوم الحجّ الأكبر؛ قال: «فيقول: قل لهم: إن الله قد حرّم عليكم دماءكم وأموالكم إلى أن تلقوا ربكم كحرمة يومكم هذا»^(١).

قال ابن إسحاق: حدثني ليث بن أبي سليم عن شهر بن حوشب الأشعري، عن عمرو بن خارجة قال: بعثني عتّاب بن أسيد إلى رسول الله ﷺ في حاجة، ورسول الله ﷺ واقف بعرفة، فبلغته، ثم وقفت تحت ناقة رسول الله ﷺ، وإن لغامها^(٢) ليقع على رأسي، فسمعتة وهو يقول: «أيها الناس، إن الله قد آدى إلى كلّ ذي حقّ حقه، وإنه لا تجوز وصيّة لوارث، والولد للفراش، وللعاهر الحجر^(٣)، ومن ادّعى إلى غير أبيه، أو تولى غير مواليه، فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، لا يقبل الله منه صرفاً ولا عدلاً».

تعالم الرسول ﷺ للحاج: قال ابن إسحاق: وحدثني عبد الله بن أبي نجيح: أن رسول الله ﷺ حين وقف بعرفة، قال: «هذا الموقف، للجبل الذي هو عليه، وكلّ عرفة موقف». وقال حين وقف على قُزَح^(٤) صبيحة المزدلفة: «هذا الموقف، وكلّ المزدلفة موقف». ثم لما نحر بالمنحر بينى قال: «هذا المنحر، وكلّ بينى منحر»^(٥). ففضى رسول الله ﷺ الحجّ وقد أراهم مناسكهم، وأعلمهم ما

(١) تاريخ الطبري ١٥١/٣، ١٥٢، وأخرج البخاري في كتاب الحدود (١٥/٨) باب ظهر المؤمن جُمئٍ إلا في حدّ أو حدّ. حدثني محمد بن عبد الله، حدثنا عاصم بن عليّ، حدثنا عاصم بن محمد، عم واقد بن محمد سمعت أبي، قال عبد الله: قال رسول الله ﷺ في حجة الوداع: ألا أيّ شهر تعلمونه أعظم حرمة. قالوا: ألا شهرنا هذا. قال: ألا أيّ بلد تعلمونه أعظم حرمة. قالوا: ألا بلدنا هذا. قال: ألا أيّ يوم تعلمونه أعظم حرمة. قالوا: ألا يومنا هذا. قال: فإنّ الله تبارك وتعالى قد حرّم دماءكم وأموالكم وأعراضكم إلا بحقّها كحرمة يومكم هذا وفي بلدكم هذا في شهركم هذا ألا هل بلغت، ثلاثاً، كلّ ذلك يجيبونه ألا نعم قال: ويحکم أو ويلکم لا ترجعنّ بعدي كفّاراً يضرب بعضكم رقاب بعض.

(٢) اللغام: الرغوة التي تخرج من قم الناقة.

(٣) حديث الولد للفراش، عند البخاري في البيوع من حديث عائشة رضي الله عنها، في باب شراء المملوك من الحربي وهبته وعنته. (٤٩/٣) وأخرجها في كتاب الوصايا (١٨٧/٣) باب قول الموصي لوصيّه تعاهد ولدي وما يجوز للوصي من الدعوى. وفي المغازي ٩٦/٥ باب... مقام النبي ﷺ بمكة ومن الفتح. وفي الفرائض ٩/٧ باب الولد للفراش حرّة كانت أو أمة. و(١٢/٧) باب من ادّعى أخاً أو ابن أخ. والأحكام (١١٦/٨) باب من قضى له بحق أخيه فلا يأخذه... وهو في صحيح مسلم، وسنن أبي داود، والجامع الصحيح للترمذي، وسنن النسائي، وسنن ابن ماجه، وسنن الدارمي، وموطأ الإمام مالك، ومسند الإمام أحمد. (انظر معجم ألفاظ الحديث ١٠٩/٥ مادة فرش).

(٤) قزح: جبل بالمزدلفة.

(٥) أخرجه مسلم في كتاب الحج (١٤٩) باب ما جاء أن عرفة كلها موقف: عن عمر بن حفص بن غياث، عن أبيه، عن جابر، في حديثه أن رسول الله ﷺ قال: «نحرت هاهنا، ومنى كلها منحر، فانحروا في رحالكم. ووقفت ها هنا وعرفة كلها موقف. ووقفت ها هنا، وجنح كلها موقف». وأبو داود في كتاب مناسك الحج (١٩٠٧) باب صفة حجة النبي ﷺ. و(١٩٣٥) باب الصلاة بجمع. والنسائي في المناسك ٢٥٦/٥ باب رفع اليدين في الدعاء بعرفة. ٢٦٥/٥ باب فيمن لم يدرك صلاة الصبح مع الإمام بالمزدلفة. والترمذي في كتاب الحج (٨٨٦) باب ما جاء أن عرفة كلها موقف. وابن ماجه =

فَرَضَ اللهُ عَلَيْهِمْ مِنْ حُجَّتِهِمْ: مِنَ الْمَوْقِفِ، وَرَمَى الْجِمَارَ، وَطَوَّافَ بِالْبَيْتِ، وَمَا أُحْلَ لَهُمْ مِنْ حُجَّتِهِمْ، وَمَا حُرِّمَ عَلَيْهِمْ، فَكَانَتْ حِجَّةَ الْبَلَاغِ، وَحِجَّةَ الْوَدَاعِ، وَذَلِكَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ لَمْ يَحِجَّ بَعْدَهَا^(١).

بعث أسامة بن زيد إلى أرض فلسطين

قال ابن إسحاق: ثم قفل رسول الله ﷺ، فأقام بالمدينة بقيّة ذي الحجّة والمحرم وصفر، وضرب على الناس بعثاً إلى الشام، وأمر عليهم أسامة بن زيد بن حارثة موله، وأمره أن يوطىء الخيل تخوم البلقاء والداروم من أرض فلسطين، فتجهّز الناس، وأوعب^(٢) مع أسامة بن زيد المهاجرون الأولون^(٣).

بعث رسول الله ﷺ إلى الملوك

قال ابن هشام: وقد كان رسول الله ﷺ بعث إلى الملوك رسلاً من أصحابه، وكتب معهم إليهم يدعوهم إلى الإسلام.

قال ابن هشام: حدثني من أثنى به عن أبي بكر الهذلي قال: بلغني أن رسول الله ﷺ خرج على أصحابه ذات يوم بعد عمرته التي صد عنها يوم الحديبية، فقال: «أيها الناس، إن الله قد بعثني رحمة وكافة، فلا تختلفوا عليّ كما اختلف الحواريون على عيسى بن مريم؛ فقال أصحابه: وكيف اختلف الحواريون يا رسول الله؟ قال: «دعاهم إلى الذي دعوتكم إليه، فأما من بعثه مبعثاً قريباً فرضني وسليم، وأما من بعثه مبعثاً بعيداً فكره وجهه وتناقل، فشكا ذلك عيسى إلى الله، فأصبح المتشاقلون وكل واحد منهم يتكلم بلغة الأمة التي بُعث إليها».

أسماء الرسول وأسماء من أرسل^(٤): فبعث رسول الله ﷺ رسلاً من أصحابه، وكتب معهم كتباً إلى الملوك يدعوهم فيها إلى الإسلام، فبعث دحية بن خليفة الكلبي إلى قيصر، ملك الروم؛ وبعث عبد الله بن حذافة السهمي إلى كسرى، ملك فارس؛ وبعث عمرو بن أمية الضمري إلى النجاشي، ملك الحبشة، وبعث حاطب بن أبي بلتعة إلى المُقَوْس، ملك الإسكندرية، وبعث عمرو بن العاص السهمي إلى جيفر وعباد ابن الجُلندي الأزديين، ملكي عُمان؛ وبعث سليل بن عمرو، أحد بني عامر بن لؤي، إلى ثمامة بن أثال وهوذة بن عليّ الحنفيين، ملكي اليمامة؛ وبعث العلاء بن الحضرمي إلى المنذر بن ساوى العبدي، ملك البحرين، وبعث شجاع بن وهب الأسدي إلى الحارث بن أبي شمر الغساني، ملك تخوم الشام.

قال ابن هشام: بعث شجاع بن وهب إلى جبلة بن الأيهم الغساني، وبعث المهاجر بن أبي أمية المخزومي إلى الحارث بن عبد كلال الجميري، ملك اليمن.

= في كتاب المناسك، (٣٠١٠) و(٣٠١٢) باب الموقف بعرفة و(٣٠٤٨) باب الذبح. والدارمي ف بالمناسك، باب (٥٠)، ومالك في الموطأ (٨٧٨) و(٨٧٩) باب الوقوف بعرفة، والمزدلق. وأحمد في المسند ١/٧٢، ٧٥، ٨٦، ٨١، ١٥٧، ٣/٣٢٦، ٣٢٦، ٨٢/٤.

(١) تاريخ الطبري (١٥٢/٣). (٢) أوعب: اجتمع.

(٣) تاريخ الطبري ٣/١٨٤.

(٤) انظر: تاريخ خليفة ٧٩، البدء والتاريخ ٤/٢٢٨، ٢٢٩.

قال ابن هشام: أنا نسيت سَلِيْطاً وَثَمَامَةَ وَهَوْدَةَ والمنذر.

قال ابن إسحاق: حدثني يزيد بن أبي حبيب المصري: أنه وجد كتاباً فيه ذكر من بعث رسول الله ﷺ إلى البلدان وملوك العرب والعجم، وما قال لأصحابه حين بعثهم. قال: فبعثت به إلى محمد بن شهاب الزهري فعرفه؛ وفيه: أن رسول الله ﷺ خرج على أصحابه فقال لهم: إن الله بعثني رحمةً وكافَّةً، فأدوا عني يرحمكم الله، ولا تختلفوا عليّ كما اختلف الحواريون على عيسى ابن مريم؛ قالوا: وكيف يا رسول الله كان اختلافهم؟ قال: «دعاهم لمثل ما دعوتكم له، فأما من قَرَّبَ به فأحبَّ وسلم؛ وأما من بعد به فكره وأبى، فشكا ذلك عيسى منهم إلى الله، فأصبحوا وكلَّ رجل منهم يتكلم بِلغة القوم الذين وُجِّهَ إليه».

أسماء رسل عيسى: قال ابن إسحاق: وكان من بَعَثَ عيسى ابن مريم ﷺ من الحواريين والأتباع، الذين كانوا بعدهم في الأرض: بَطْرُسُ الحَوَارِيِّ، ومعه بُولُسُ، وكان بُولُسُ من الأتباع، ولم يكن من الحواريين إلى رومية؛ وأندَرَايُسُ ومثنا إلى الأرض التي يأكل أهلها الناس؛ وتوماس إلى أرض بابل من أرض المشرق؛ وفيلبُّس إلى أرض قَزَطَاخَنَةَ، وهي إفريقية، ويوحَنَسُ، إلى أفسوس، قرية الفُثَيَّة، أصحاب الكهف؛ ويعقُوبُ إلى أوراشليم، هي إيلياء، قرية بيت المقدس، وابن تَلْمَاءَ إلى الأعرابية، وهي أرض الحِجَاز؛ وسيَمُنُ إلى أرض البَرْبَر؛ ويهوذا، ولم يكن من الحواريين، جعل مكان يُوْدِسَ.

ذكر جملة الغزوات

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قال: حدثنا أبو محمد عبد الملك بن هشام، قال: حدثنا زياد بن عبد الله البكائي عن محمد بن إسحاق المُطَّلبي: وكان جميع ما غزا رسول الله ﷺ بنفسه سبعاً وعشرين غزوة، منها غزوة ودَّان، وهي غزوة الأبواء، ثم غزوة بواط، من ناحية رَضَوَى، ثم غزوة العُشَيْرَةِ، من بطن يَنْبُع، ثم غزوة بدر الأولى، يطلب كُزَيز بن جابر، ثم غزوة بدر الكبرى، التي قتل الله فيها صناديد قُرَيْش، ثم غزوة بني سُلَيْم، حتى بلغ الكُدْر، ثم غزوة السُّويق، يطلب أبا سفيان بن حرب، ثم غزوة غَطَفَانَ، وهي غزوة ذي أمير، ثم غزوة بَحْرَانَ، معدين بالحجاز، ثم غزوة أُحُدٍ، ثم غزوة حَمْرَاءِ الأَسَدِ، ثم غزوة بني النَّضِيرِ، ثم غزوة ذات الرِّقَاعِ من نخل، ثم غزوة بدر الآخِرَةِ، ثم غزوة دُومَةَ الجندل، ثم غزوة الخندق، ثم غزوة بني قُرَيْظَةَ، ثم غزوة بني لِيحْيَانَ، من هُدَيْل، ثم غزوة ذي قَرَدٍ، ثم غزوة بني المِضَطَّلِقِ من حُرَاعَةَ، ثم غزوة الحُدَيْبِيَّةِ، لا يريد قتالاً، فصدّه المشركون، ثم غزوة خَيْبَرَ، ثم غزوة القِضَاءِ، ثم غزوة الفَتْحِ، ثم غزوة حُنَيْنِ، ثم غزوة الطائف، ثم غزوة تَبُوكَ. قاتل منها في تسع غَزَوَاتٍ: بدر، وأحد، والخندق، وقُرَيْظَةَ، والمِضَطَّلِقِ، وخَيْبَرَ، والفتح، وحُنَيْنِ، والطائف^(١).

(١) تاريخ الطبري ١٥٣/٣، وانظر المعرفة والتاريخ ٢٦١/٣، ٢٦٢، وتاريخ يعقوبي ٦٩/٢ وغيره.

ذكر جملة السرايا والبعوث

وكانت بعوثه ﷺ وسراياه ثمانياً وثلاثين، من بين بغيثٍ وسريّة: غزوة عُبَيْدَةَ بن الحارث أسفل من ثنية ذي المروة، ثم غزوة حمزة بن عبد المطلب ساحل البحر، من ناحية العيص؛ وبعض الناس يقدم غزوة حمزة قبل غزوة عُبَيْدَةَ؛ وغزوة سعد بن أبي وقاص الحَرَاز، وغزوة عبد الله بن جحش نخلة، وغزوة زيد بن حارثة القردة، وغزوة محمد بن مسلمة كَعْب بن الأشرف، وغزوة مَرْثَد بن أبي مَرْثَد العنوي الرّجيع، وغزوة المنذر بن عمرو بئر معونة، وغزوة أبي عُبَيْدَةَ بن الجراح ذا القصة، من طريق العراق، وغزوة عمر بن الخطاب تُزَيْة من أرض بني عامر، وغزوة علي بن أبي طالب اليمن، وغزوة غالب بن عبد الله الكلبي، كلب ليث، الكديد، فأصاب بني الملوّح^(١).

غزوة غالب بن عبد الله الليثي بني الملوّح: وكان من حديثها أن يعقوب بن عُتْبة بن المغيرة بن الأحنس، حدثني عن مسلم بن عبد الله بن حُبَيْب الجُهَنِيّ، عن المنذر^(٢)، عن جُنْدَب بن مَكِيث الجُهَنِيّ، قال: بعث رسول الله ﷺ غالب بن عبد الله الكلبي، كلب بن عوف بن ليث، في سرية كنت فيها، وأمره أن يشن الغارة على بني الملوّح، وهم بالكديد، فخرجنا، حتى إذا كنا بقُدَيْد لقينا الحارث بن مالك، وهو ابن البرصاء الليثي، فأخذناه، فقال: إني جئت أريد الإسلام، ما خرجت إلا إلى رسول الله ﷺ؛ فقلنا له: إن تك مسلماً فلن يضيرك رباط ليلة، وإن تك على غير ذلك كنا قد استوثقنا منك، فشددناه رباطاً، ثم خَلَفْنَا عليه رجلاً^(٣) من أصحابنا أسود، وقلنا له: إن عازك^(٤) فاحترز رأسه.

قال: ثم سرنا حتى أتينا الكديد عند غروب الشمس، فكثأ^(٥) في ناحية الوادي، وبعثني أصحابي ربيثة^(٦) لهم، فخرجت حتى آتيت تلاً مشرفاً على الحاضر^(٧)، فأسندت فيه، فعلوث على رأسه، فنظرت إلى الحاضر، فوالله إني لمنبطح على التل، إذ خرج رجل منهم من خيائه، فقال لامرأته: إني لأرى على التل سواداً ما رأيت في أول يومي، فانظري إلى أوعيتك هل تفتقدين منها شيئاً، لا تكون الكلاب جرّت بعضها؛ قال: فنظرت، فقالت: لا، والله ما أفقد شيئاً؛ قال: فناوليني قوسي وسهمين، فناولته، قال: فأرسل سهماً، فوالله ما أخطأ جنبي، فأنزعه، فأضعه، وثبت مكاني، قال: ثم أرسل الآخر، فوضعه في منكبتي، فأنزعه فأضعه، وثبت مكاني، فقال لامرأته: لو كان ربيثة لقوم لقد تحرك، لقد خالطه سهمي لا أباك، إذا أصبحت فابتغيهما، فخذيهما، لا يمتضعهما عليّ الكلاب. قال: ثم دخل.

(١) تاريخ الطبري ١٥٤/٣ وفيه «وأصاب بملوّح».

(٢) المنذر، ليس في السند عند ابن سعد ١٤٢/٢.

(٣) عند ابن سعد، «رويجلاً».

(٤) عازك: غالبك. وفي طبقات ابن سعد: «نازك».

(٥) عند ابن سعد «فكمتنا».

(٦) الربيثة: الطليعة الذي يتجسس الأخبار.

(٧) الحاضر: من ينزلون على الماء.

قال: وأمهلتناهم، حتى إذا اطمأنوا وناموا، وكان في وجه السحر، شَنَنَّا عليهم الغارة، قال: فقتلنا، واستقنا النَّعَمَ، وخرج صَرِيخُ القومِ، فجاءنا دَهْمٌ^(١) لا قِبَلَ لنا به، ومضينا بالنَّعَمِ، ومَرَزْنَا بابن البَرِصَاءِ وصاحبه، فاحتملناهما معنا؛ قال: وأدرَكنا القومَ حتى قربوا منا، قال: فما بيننا وبينهم إلا وادي قَدِيدٌ، فأرسل الله الواديَّ بالسَّيلِ من حيث شاء تبارك وتعالى، من غير سحابة نراها، ولا مطر، فجاء بشيء ليس لأحد به قوَّة، ولا يقدر على أن يُجاوزه، فوقفوا ينظرون إلينا، وأنا لنسوقُ نَعَمَهُمْ، ما يستطيع منهم رجل أن يُجيز إلينا، ونحن نَحْدوها سِراعاً، حتى قُتْنَاهم، فلم يقدِرُوا على طلبنا.

قال: فقدمنا بها على رسول الله ﷺ.

قال ابن إسحاق: وحدثني رجل من أسلم، عن رجل منهم: أن شِعَارَ أصحاب رسول الله ﷺ كان تلك اللَّيْلَةَ: أَمِتْ أَمِتْ. فقال راجزٌ من المسلمين وهو يَحْدُوها.

أبى أبو القاسمِ أن تَعَزِّيَ في خَضِيلِ نَبَائِهِ مُغْلَوْلِبٍ^(٢)
صُفْرَ أَعَالِيهِ كَلَوْنَ المُذْهَبِ^(٣)

قال ابن هشام: ويروى: «كلون الذهب».

تم خبر الغزاة، وُعِدت إلى ذكر تفصيل السرايا والبُعوث.

تعريف ببعض الغزوات: قال ابن إسحاق: وغزوة علي بن أبي طالب رضي الله عنه بني عبد الله بن سعد من أهل قَدَك، وغزوة أبي العَوجاء السُّلَمِيِّ أرض بني سُلَيْم، أصيب بها هو وأصحابه جميعاً؛ وغزوة عُكاشة بن مِخْصَن العُمرة؛ وغزوة أبي سَلَمَةَ بن عبد الأسد قَطْنَا، ماء من مياه بني أسد، من ناحية نَجْد، قُتِلَ بها مسعود بن عُرْوَة؛ وغزوة محمد بن مَسْلَمَةَ، أخي بني حارثة القُرْطَاءِ من هَوَازِن؛ وغزوة بَشِيرِ بن سَعْدِ بنِي مُرَّة بِفَدَك؛ وغزوة بشير بن سعد ناحية خَيْبَر^(٤)، وغزوة زيد بن حارثة الجموم من أرض بني سُلَيْم، وغزوة زيد بن حارثة جُدَام، من أرض خُثَيْن.

قال ابن هشام: عن نفسه، والشافعي عن عمرو بن حبيب عن ابن إسحاق: من أرض جِسْمَى^(٥).

غزوة زيد بن حارثة إلى جُدَام^(٦): قال ابن إسحاق: وكان من حديثها كما حدثني من لا أتهم، عن رجال من جُدَام كانوا علماء بها، أن رفاعة بن زيد الجُدَامِيِّ، لما قَدِمَ على قومه من عند رسول الله ﷺ بكتابه يدعوهم إلى الإسلام، فاستجابوا له، لم يلبث أن قَدِمَ دِخْيَةَ بن خَلِيفَةَ الكَلْبِيِّ من عند

(١) الدهم: الجماعة الكثيرة.

(٢) تعزِّي: تعيبي في المرعى. الخَضِيلُ: الأخضر المُبْتَل. المُغْلَوْلِبُ: الكثير.

(٣) الخبر والرجز في طبقات ابن سعد ٢/١٤٢، ١٢٥، وانظر: البدء والتاريخ ٤/٢٣٠، والمحبر ١١٩، وتاريخ خليفة ٧٨، وأنساب الأشراف ١/٣٧٩، رقم ٨٠٤.

(٤) في تاريخ الطبري ٣/١٥٥ «وغزوة بشير بن سعد أيضاً إلى يَمَن وجناب بلد من أرض خيبر، وقيسل يَمَن وجَبَّار، أرض من أرض خيبر».

(٥) وهي كذلك في تاريخ الطبري ٣/١٥٥.

(٦) المحبر ١٢١، تاريخ اليعقوبي ٢/٧١، أنساب الأشراف ١/٣٧٧، رقم ٧٩٠.

فَيَصْرُ صاحب الروم، حين بعثه رسول الله ﷺ ومعه تجارة له، حتى إذا كانوا بوادٍ من أوديتهم يقال له سَنَار، أغار على دِخْيَةَ بن خَلِيفَةَ الهِنْدُ بن عُوْص، وابنه عُوْص بن الهِنْدِ الضُّلَعِيَّان. والضُّلَعِيُّ: بطن من جُذَام، فأصابا كلَّ شيء كان معه، فبلغ ذلك قوماً من الضُّبَيْب، رهط رفاعَةَ بن زيد، ممن كان أسلم وأجاب، فنفروا إلى الهِنْدِ وابنه، فيهم من بني الضُّبَيْب الثُّعْمَان بن أَبِي جِعَال، حتى لقوهم، فاقتتلوا، وانتمى يومئذ قُرَّة بن أَشَقْر الضُّفَاوِي ثم الضُّلَعِي، فقال: أنا ابن لُبَيْتِي، ورمى الثُّعْمَان بن أَبِي جِعَالٍ بسهم، فأصاب رُكْبَتَهُ؛ فقال حين أصابه: خُذْهَا وَأَنَا ابن لُبَيْتِي، وكانت له أُم تُدْعَى لُبَيْتِي، وقد كان حَسَّان بن مَلَّة الضُّبَيْبِي قد صحب دِخْيَةَ بن خَلِيفَةَ قبل ذلك، فعَلَّمَهُ أُمُّ الْكِتَاب.

قال ابن هشام: ويقال: قُرَّة بن أَشَقْر الضُّفَارِي، وَحَيَّان بن مَلَّة.

قال ابن إسحاق: حدثني من لا أتهم، عن رجال من جُذَام، قال: فاستنقذوا ما كان في يد الهِنْدِ وابنه، فردَّوه على دِخْيَةَ، فخرج دحية، حتى قَدِمَ على رسول الله ﷺ، فأخبره خبره، واستسقاها دم الهِنْدِ وابنه، فبعث رسول الله ﷺ إليهم زيد بن حارثة، وذلك الذي هاج غزوة زيد جُذَام، وبعث معه جيشاً، وقد وَجَّهَتْ عَطْفَاكُ من جُذَام ووائل ومن كان من سَلَامَانَ وسعد بن هُذَيْم، حين جاءهم رفاعَةَ بن زيد، بكتاب رسول الله ﷺ، حتى نزلوا الحَرَّة؛ الرَّجْلَاء^(١)، ورفاعة بن زيد بكراع رِبَّة^(٢)، لم يعلم، ومعه ناس من بني الضُّبَيْب، وسائر بني الضُّبَيْب بوادي مَدَانَ^(٣)، من ناحية الحَرَّة، مما يسيل مُسْرَقاً، وأقبل جيش زيد بن حارثة من ناحية الأولاج^(٤)، فأغار بالماقص من قِبَلِ الحَرَّة، فجمعوا ما وَجَدُوا من مال أو ناس، وقتلوا الهِنْدِ وابنه ورجلين من بني الأجنف.

قال ابن هشام: من بني الأحنف.

قال ابن إسحاق في حديثه: ورجلاً من بني الخَصِيب. فلما سَمَعَتْ بذلك بنو الضُّبَيْب والجيش بِفَيْفَاء^(٥) مَدَانَ، ركب نفرٌ منهم، وكان فيمن ركب معهم حَسَّان بن مَلَّة، على فرس لسويد بن زيد، يُقَالُ لها العَجَاجَة، وَأَنْيَف بن مَلَّة على فَرَسٍ لَمَلَّة يُقَالُ لها: رِغَال، وأبو زيد بن عمرو على فرس له يُقَالُ لها شَجِر، فانطلقوا حتى إذا دنوا من الجيش، قال أبو زيد وحَسَّان لأنيَف بن مَلَّة: كُفَّ عَنَّا وانصرف، فَإِنَّا نَحْشَى لسانك، فوقف عنهما، فلم يَبْعُدَا منه حتى جعلت فَرَسُهُ تَبْحَثُ بيديها وتَوَثَّب، فقال: لَأَنَا أَضَنُّ بِالرَّجَلِينَ مِنْكَ بِالْفَرَسِينَ، فَأَزْحَى لها، حتى أدركهما، فقالا له: أما إذا فَعَلْتِ ما فَعَلْتِ فَكُفَّ عَنَّا لسانك، ولا تشأمننا اليوم، فتواصوا أن لا يتكلَّم منهم إلا حَسَّان بن مَلَّة، وكانت بينهم كَلِمَةٌ

(١) حَرَّة الرَّجْلَاء: الصلبة الشديدة، وقيل هي التي أعلاها أسود وأسفلها أبيض. ويقال الطريق الخشن. رجيل: وهو علم لحرة في ديار بني القَيْن بن جس بين المدينة والشام. (معجم البلدان ٢/٢٤٦).

(٢) كُرَاع رِبَّة: بالضم في أوله. وكراع كل شيء. طرفه: وما سال من أنف الجبل أو الحرة. وربَّة: بلفظ رِبَّة البيت أو رِبَّة المال أي صاحبه. في ديار جُذَام. كذا ضبطه ابن الفرات بخطه. (معجم البلدان ٤/٤٤٣).

(٣) المَدَانَ: بفتح أول. وإد في بلاد قضاة بناحية حَرَّة الرجلاء، وقيل الرَجْلَى، يسير مشرقاً من الحَرَّة. (معجم البلدان ٥/٧٤).

(٤) الأولاج: بالفتح. انظر معجم البلدان ١/٢٨٢.

(٥) فَيْفَاء: بالفتح، وتكرير الفاء. المفازة التي لا ماء فيها، وجمعها الفَيافي. (معجم البلدان ٤/٢٨٥).

في الجاهلية قد عرفها بعضهم من بعض، إذا أراد أحدهم أن يضرب بسيفه قال: بُوري أو ثوري؛ فلما برزوا على الجيش، أقبل القوم بيندرونهم، فقال لهم حسان: إنا قومٌ مُسلمون، وكان أول من لقيهم رجل على فرس أدهم، فأقبل يسوقهم، فقال أنيف: بُوري، فقال حسان: مهلاً؛ فلما وقفوا على زيد بن حارثة قال حسان: إنا قوم مسلمون، فقال له زيد: فاقروا أم الكتاب، فقرأها حسان، فقال زيد بن حارثة: نادوا في الجيش أن الله قد حرّم علينا ثُغرة^(١) القوم التي جاؤوا منها إلا من ختر^(٢).

قال ابن إسحاق: وإذا أخت حسان بن ملّة، وهي امرأة أبي وبر بن عدي بن أمية بن الضبيّب في الأسارى، فقال له زيد: خذها، وأخذت بحقويه^(٣)، فقالت أم الفزr الضلعية: أتتطلقون ببناتكم وتذرون أمهاتكم؟ فقال أحد بني الحصب: إنها بنو الضبيّب وسيخر أنستهم سائر اليوم، فسمِعها بعض الجيش، فأخبر بها زيد بن حارثة، فأمر بأخت حسان، ففكّت يداها من حقويه، وقال لها: اجلسي مع بنات عمك حتى يحكم الله فيكنّ حُكمه، فرجعوا، ونهى الجيش أن يهبطوا إلى واديهم الذي جاؤوا منه، فأمسوا في أهلبيهم، واستعموا^(٤) ذوداً لسويد بن زيد، فلما شربوا عمتهم^(٥)، ركبوا إلى رفاعة بن زيد، وكان ممن ركب إلى رفاعة بن زيد تلك الليلة، أبو زيد بن عمرو، وأبو شماس بن عمرو، وسويد بن زيد، وبعجة بن زيد، ويزدع بن زيد، وثعلبة بن زيد، ومخرّبة بن عدي، وأنيف بن ملّة، وحسان بن ملّة، حتى صبّحوا رفاعة بن زيد بكرّاع ربة، بظهر الحرة، على بئر هنالك من حرة ليلى؛ فقال له حسان بن ملّة: إنك لجالس تحلب المغزى ونساء جذام أسارى قد غرّها كتابك الذي جئت به، فدعا رفاعة بن زيد بجمل له، فجعل يشد عليه رحله وهو يقول:

هَلْ أَنْتَ حَيٌّ أَوْ تُنَادِي حَيًّا

ثم غدا وهم معه بأمية بن صفارة أخي الحصبية المقتول، مبكرين من ظهر الحرة، فساروا إلى جوف المدينة ثلاث ليالٍ؛ فلما دخلوا المدينة، وانتهوا إلى المسجد، نظر إليهم رجل من الناس، فقال: لا تنيخوا إبلكم، فتقطع أيديهن، فنزلوا عنهنّ وهن قيام؛ فلما دخلوا على رسول الله ﷺ ورآهم الأبح^(٦) إليهم بيده: «أن تعالوا من وراء الناس»؛ فلما استفتح رفاعة بن زيد المنطق، قام رجل من الناس فقال: يا رسول الله، إن هؤلاء قوم سخرة، فردّدها مرتين، فقال رفاعة بن زيد: رحم الله من لم يخذنا^(٧) في يومه هذا إلا خيراً. ثم دفع رفاعة بن زيد كتابه إلى رسول الله ﷺ الذي كان كتبه له. فقال: دونك يا رسول الله قديماً كتابه، حديثاً غدره. فقال رسول الله ﷺ: «اقرأ يا غلام، وأعلن»؛ فلما قرأ كتابه استخبره، فأخبروه الخبر، فقال رسول الله ﷺ: «كيف أصنع بالقتلى»؟ (ثلاث مرّات). فقال رفاعة: أنت يا رسول الله أعلم، لا نحرم عليك حلالاً، ولا نُحلّل لك حراماً، فقال أبو زيد بن عمرو: أطلق لنا يا رسول الله من كان حياً، ومن قُتل فهو تحت قدمي هذه. فقال له رسول الله ﷺ:

(١) الثغرة: ما يحمونه من جانبهم.

(٢) حقويه: خصره.

(٣) استعموا: انتظروا إلى العتمة. الذود. جماعة الإبل ما بين الثلاثة إلى العشرة.

(٤) عمتهم: لبنهم الذي يشرونه في العتمة.

(٥) الأبح: أشار.

(٦) لم يخذنا: لم يعطنا.

«صدق أبو زيد، اركب معهم يا عليّ». فقال له عليّ رضي الله عنه: إن زيداً لن يُطيعني يا رسول الله، قال: «فخذ سيفي هذا»، فأعطاه سيفه، فقال عليّ: ليس لي يا رسول الله راحلة أركبها، فحملوه على بعير لشعلبة بن عمرو، يقال له مكحاح، فخرجوا، فإذا رسول لزيد بن حارثة على ناقه من إبل أبي وبرة، يقال لها: الشيمر. فأنزلوه عنها، فقال: يا عليّ، ما شأنني؟ فقال: ما لهم، عرفوه فأخذوه، ثم ساروا فلقوا الجيش بقيفاء الفحلين، فأخذوا ما في أيديهم^(١)، حتى كانوا ينزعون لبيد المرأة من تحت الرجل، فقال أبو جعال حين فرغوا من شأنهم:

وَعَاذِلَةٌ وَلَمْ تَعْدُلْ بِطَبِّ^(٢) ولولا نحنُ حُشٌّ بها السَّعِيرُ
تُدَافِعُ فِي الْأَسَارَى بَابِنْتَيْهَا ولا يُزجى لها عِثْقَ يَسِيرِ
وَلَوْ وَكَلْتَ إِلَى غَوْصٍ وَأَوْسٍ لَحَارَ بِهَا^(٣) عَنِ الْعِثْقِ الْأُمُورُ
وَلَوْ شَهِدْتَ زَكَئِبَنَا بِمِضْرٍ تُحَاذِرُ أَنْ يُعَلَّ^(٤) بِهَا الْمَسِيرُ
وَرَدْنَا مَاءَ يَثْرِبَ عَنْ جِفاظٍ لَرَنَعَ إِنَّهُ قَرَبَ ضَرِيرٍ^(٥)
بِكُلِّ مُجَرَّبٍ كَالسَّيْدِ نَهْدٍ عَلَى أَقْتَادِ نَاجِيَةٍ صَبُورٍ^(٦)
فِدَيْ لَأَبِي سُلَيْمَى كُلِّ جَيْشٍ بِيَثْرِبَ إِذْ تَنَاطَحَتِ التُّحُورُ
غَدَاةَ تَرَى الْمُجَرَّبَ مُسْتَكِيناً خِلافَ الْقَوْمِ هَامَتْهُ تَدُورُ

قال ابن هشام: قوله: «ولا يُزجى لها عِثْقَ يَسِيرٍ» وقوله: «عن العِثْقِ الْأُمُورُ» عن غير ابن إسحاق.

تمت الغزاة، وعُدنا إلى تفصيل ذكر السرايا والبعوث.

غزوة زيد الطراف: قال ابن إسحاق: وغزوة زيد بن حارثة أيضاً الطراف من ناحية نخل. من طريق العراق^(٧).

غزوة زيد بن حارثة بني فزارة: وغزوة زيد بن حارثة أيضاً وادي القرى، لقي به بني فزارة، فأصيب بها ناس من أصحابه، وارتث^(٨) زيد من بين القتلى، وفيها أصيب ورد بن عمرو بن مداش، وكان أحد بني سعد بن هذيل، أصابه أحد بني بدر^(٩).

(١) الخبر في طبقات ابن سعد ٨٨/٢ بعنوان سرية زيد بن حارثة إلى جنسى.

(٢) بطب: برفق.

(٣) حار: رجع.

(٤) يُعَلّ: يكرر.

(٥) الريع: ورود الإبل إلى الماء لأربعة أيام. القرب السير في طلب الماء. ضرير: مضر.

(٦) السيد: الذئب. النهدي: الغليظ. أقتاد: أدوات الرحل. الناجية: أي ناقه صبور.

(٧) كانت في جمادى الآخرة سنة ست من مهاجر الرسول ﷺ. انظر عنها في الطبقات لابن سعد ٨٧/٢، والمحبر ١٢٢،

وتاريخ اليعقوبي ٧٢/٢، وأنساب الأرف ٢٧٧/١ رقم ٧٨٩.

(٨) ارتث: حُمِلَ جريحاً من المعركة وبه رمق.

(٩) كانت الغزوة في شهر رجب سنة ست من مهاجر الرسول ﷺ. طبقات ابن سعد ٨٩(٢) والمحبر ١١٩، وتاريخ خليفة ٧٧،

وتاريخ اليعقوبي ٧١/٢، وأنساب الأشراف ٣٧٧/١، ٣/٨ رقم ٧٩١ و٧٩٤. والبدء والتاريخ ٢٢٢/٤.

قال ابن هشام: سعد بن هُذَيْم

قال ابن إسحاق: فلما قَدِمَ زيد بن حارثة، آل أن لا يمس رأسه غسل من جنابة حتى يغزو بني فزارة؛ فلما استبَلَّ من جراحته بعثه رسول الله ﷺ إلى بني فزارة في جيش، فقتلهم بوادي القُرى، وأصاب فيهم، وقتل قَيْسُ بن المُسَحَّرِ اليَغمُرى مَسْعَدَةَ بن حَكَمَةَ بن مالك بن حُذَيْفَةَ بن بدر، وأسيرت أم قِرْفَةَ فاطمة بنت ربيعة بن بدر، كانت عمجوزاً كبيرة عند مالك بن حُذَيْفَةَ بن بدر، وبنيت لها، وعبد الله بن مسعدة، فأمر زيد بن حارثة قَيْسَ بن المُسَحَّرِ أن يَقْتُلَ أم قِرْفَةَ، فقتلها قتلاً عنيفاً؛ ثم قَدِمُوا على رسول الله ﷺ بابنة أم قِرْفَةَ، وبابن مسعدة.

شأن أم قرفة:

وكانت بنت أم قِرْفَةَ لسَلَمَةَ بن عمرو بن الأكوخ، كان هو الذي أصابها، وكانت في بيت شرف من قومها؛ كانت العرب تقول: (لو كنت أعز من أم قرفة ما زدت). فسألها رسول الله ﷺ سَلَمَةَ، فوهبها له، فأهداها لخاله حزن بن أبي وهب، فولدت له عبد الرحمن بن حزن.

شعر ابن المسحر في قتل مسعدة:

فقال قيس بن المسحر في قتل مسعدة:

سَعَيْتُ بَوَزِدٍ مِثْلَ سَفِيٍّ ابْنِ أُمِّهِ
كَرَزْتُ عَلَيْهِ الْمُهْرَ لَمَّا رَأَيْتُهُ
وَأَنِّي بَوَزِدٍ فِي الْحَيَاةِ لَشَائِرٍ^(١)
عَلَى بَطْلٍ مِنْ آلِ بَدْرِ مُغَاوِرٍ
شَهَابٍ بِمَغْرَاةٍ يُذَكِّي لِنَاظِرٍ^(٢)
فَرَكْبْتُ فِيهِ قَفْضِيًّا كَأَنَّهُ

غزوة عبد الله بن رواحة لقتل اليسير بن رزام: وغزوة عبد الله بن رواحة خير مرتين: إحداهما التي أصاب فيها اليسير بن رزام^(٣).

قال ابن هشام: ويقال ابن رازم.

وكان من حديث اليسير بن رزام^(٤) أنه كان بخيبر يجمع غطفان لغزو رسول الله ﷺ، فبعث إليه رسول الله ﷺ عبد الله بن رواحة في نفر من أصحابه، منهم عبد الله بن أنيس، حليف بني سلمة، فلما قَدِمُوا عليه كلموه، وقَرَّبُوا له، وقالوا له: إنك إن قَدِمْتَ على رسول الله ﷺ استعملك وأكرمك، فلم يزالوا به، حتى خرج معهم في نفر من يهود، فحمله عبد الله بن أنيس على بعيره، حتى إذا كان بالقَرْقَرَةَ من خيبر، على ستة أميال، ندم اليسير بن رزام على مسيره إلى رسول الله ﷺ، ففطن له عبد الله بن أنيس، وهو يريد السيف، فاقترحم به، ثم ضربه بالسيف، فقطع رجله، وضربه اليسير بمِخْرَشٍ^(٥) في يده من شوَحَطٍ^(٦)، فأمه^(٧)، ومال كل رجل من أصحاب رسول الله ﷺ على صاحبه

(١) الثائر: الآخذ بشأه

(٢) قَفْضِيًّا: سيناً منسوب إلى قَفْضِ، رجل كان يصنعها. مغرأة: مكان لا يستبره شيء. يُذَكِّي: يُشْعَل.

(٣) وفي طبقات ابن سعد ٩٢/٢ «زارم» بتقديم الزاي.

(٤) في طبقات ابن سعد «أسيير بن رازم».

(٥) المِخْرَش: عصا معقوفة.

(٦) السوَحَط: نوع من الشجر.

(٧) أمه: أصاب أم رأسه.

من يهود فقتله، إلا رجلاً واحداً أفلت على رجليه؛ فلما قَدِمَ عبد الله بن أنيس على رسول الله ﷺ تغل على شَجَّتِه، فلم تَقِح ولم تُؤْذِه^(١).

غزوة ابن عَتِيكَ خيبر: وغزوة عبد الله بن عتيك خيبر، فأصاب بها أبا رافع بن أبي الحُقَيْق.

غزوة عبد الله بن أنيس لقتل خالد بن سفيان بن نُبَيْح الهُدَلِي: وغزوة عبد الله بن أنيس خالد بن سفيان بن نُبَيْح، بعثه رسول الله ﷺ إليه وهو بنخله أو بعُرْنة، يجمع لرسول الله ﷺ الناس ليغزوه، فقتله^(٢).

قال ابن إسحاق: حدثني محمد بن جعفر بن الزبير، قال: قال عبد الله بن أنيس: دعاني رسول الله ﷺ، فقال: «إنه قد بلغني أنّ ابن سفيان بن نُبَيْح الهُدَلِي يجمع لي الناس ليغزوني، وهو بنخله أو بعُرْنة، فائته فاقته». قلت: يا رسول الله، انْعَثَه لي حتى أعرفه. قال: «إنك إذا رأيتَه أذكركَ الشَّيْطَان، وآية ما بينك وبينه أنك إذا رأيتَه وجدت له قُشْعْرِيْرَة». قال: فخرجت مُتَوَشِّحاً سِنْفِي، حتى دُفِعْتُ إليه وهو في طُعْن^(٣) يرتاد لهنَ منزلاً، وحيث كان وقت العصر؛ فلما رأيتَه وجدت ما قال لي رسول الله ﷺ من القُشْعْرِيْرَة، فأقبلت نحوه، وخشيت أن تكونَ بيني وبينه مجاورة تشغلني عن الصلاة، فصلَّيت وأنا أمشي نحوه، أومئ برأسي، فلما انتهيت إليه، قال: مَنْ الرَّجُلُ؟ قلت: رجل من العرب سمع بك وبجمعك لهذا الرجل، فجاءك لذلك. قال: أجل، إني لفي ذلك. قال: فَمَشَيْتَ معه شيئاً، حتى إذا أمكنتني حملت عليه بالسيف، فقتلته، ثم خرجت، وتركت ظعائنه مُنْكَبَاتٍ عليه؛ فلما قدمت على رسول الله ﷺ فرآني، قال: «أفلح الوجه»؛ قلت: قد قتلتَه يا رسول الله. قال: «صدقت»^(٤).

ثم قام بي، فأدخلني بيته، فأعطاني عَصاً، فقال: «أُمْسِكْ هذه العصا عندك يا عبد الله بن أنيس». قال: فخرجت بها على الناس، فقالوا: ما هذه العصا؟ قلت: أعطانيها رسول الله ﷺ، وأمرني أن أمسكها عندي. قالوا: أفلا ترجع إلى رسول الله ﷺ فتنسأله لِمَ ذلك؟ قال: فرجعت إلى رسول الله ﷺ، فقلت: يا رسول الله، لم أعطيتني هذه العَصَا؟ قال: «آية بيني وبينك يوم القيامة. إن أقل الناس المُتَخَصَّرُونَ^(٥) يومئذ». قال: فقَرَنها عبد الله بن أنيس بسيفه، فلم تزل معه حتى مات، ثم أمر بها فضُمَّت في كفته، ثم دُفِنَا جميعاً^(٦).

قال ابن هشام: وقال عبد الله بن أنيس في ذلك:

(١) انظر الغزوة في طبقات ابن سعد ٩٢/٢ بعنوان «سرية عبد الله بن رواحة إلى أسير بن زارم». وهي في تاريخ الطبري ٣/١٥٥، والمحبّر ١١٩، ١٢١، وتاريخ خليفة ٧٧، وتاريخ يعقوبي ٧٤/٢.

(٢) انظر الغزوة في طبقات ابن سعد ٩١/٢ وبسميها سرية عبد الله بن عتيك إلى أبي رافع. وتاريخ الطبري ٣/١٥٥، أنساب الأشراف ٣٧٦/١ رقم ٧٧٩ و٣٧٨/١ رقم ٧٩٥.

(٣) تاريخ الطبري ٣/١٥٦، المحبّر ١١٩، تاريخ خليفة ٧٧، تاريخ يعقوبي ٧٤/٢، أنساب الأشراف ٣٧٦/١ رقم ٧٨٠، البدء والتاريخ ٤/٢٢٢.

(٤) الظعن: النساء في الهوداج.

(٥) المتخصرون: المتكئون على المخاصر. مفردها مخصرة العصا.

(٦) الخبر في تاريخ الطبري ٣/١٥٦، ١٥٧.

تَرَكَتُ ابْنَ ثَوْرٍ كَالْحُورِ وَحَوْلَهُ
تَنَاوَلْتُهُ وَالظُّعْنُ خَلْفِي وَخَلْفَهُ
عَجُومٌ لِهَامِ الدَّارِ عَيْنَ كَأَنَّهُ
أَقُولُ لَهُ وَالسَّيْفُ يَنْعُجُ رَأْسُهُ
أَنَا ابْنُ الَّذِي لَمْ يُنْزَلِ الدُّهْرَ قِذْرَهُ
وَقُلْتُ لَهُ خُذْهَا بِضَرْبَةِ مَا جِدِ
وَكُنْتُ إِذَا هَمَّ التُّبَيْيُّ بِكَافِرٍ
تَمَّتِ الْعَزَاةُ، وَغَدْنَا إِلَى خَيْرِ الْبَعُوثِ.

بعض غزوات أخر: قال ابن إسحاق: وغزوة زيد بن حارثة وجعفر بن أبي طالب وعبد الله بن رواحة مؤتة من أرض الشام، فأصيبوا بها جميعاً^(١).

وغزوة كعب بن عمير الغفاري ذات أطلاق، من أرض الشام، أصيب بها هو وأصحابه جميعاً^(٧).

وغزوة عيينة بن حصن بن حذيفة بن بدر بن العنبر من بني تميم^(٨).

غزوة عيينة بن حصن بن تميم: وكان من حديثهم أن رسول الله ﷺ بعثه إليهم، فأغار عليهم، فأصاب منهم أناساً، وسبى منهم أناساً^(٩).

فحدثني عاصم بن عمر بن قتادة: أن عائشة قالت لرسول الله ﷺ: يا رسول الله، إن علي رغبة من ولد إسماعيل. قال: «هذا سبني بني العنبر يقدم الآن، فنعطيك منهم إنساناً فتعتقينه».

قال ابن إسحاق: فلما قدم بسبيهم على رسول الله ﷺ، ركب فيهم وفد من بني تميم، حتى قدموا على رسول الله ﷺ، منهم ربيعة بن ربيع، وسبرة بن عمرو، والقعقاع بن معبد، ووزدان بن مخرز، وقيس بن عاصم، ومالك بن عمرو، والأقرع بن حابس، وفراس بن حابس؛ فكلّموا رسول الله ﷺ فيهم، فأعتق بعضاً، وأفدى بعضاً، وكان ممن قُتل يومئذ من بني العنبر: عبد الله وأخوان له، بنو وهب، وشداد بن فراس، وحنظلة بن دارم، وكان ممن سبى من نسائهم يومئذ: أسماء بنت مالك، وكاس بنت أري، ونجوة بنت نهد، وجميلة بنت قيس، وعمرة بنت مَطَر^(١٠). فقالت في ذلك اليوم سلمى بنت عتاب:

(١) الحوار: ولد الناقة. تفري: تقطع.

(٢) الظعن: الهودج، فيها النساء.

(٣) عجوم: عضوض. الغضى: شجر سريع الالتهاب.

(٤) غير قعد: غير لثيم.

(٥) المزند: البخيل.

(٦) طبقات ابن سعد ١٢٨/٢ - ١٣٠، تاريخ يعقوبي ٧٢/٢، أنساب الأشراف ١/٣٨٠ رقم ٨٠٨.

(٧) المحبّر ١٢٠، طبقات ابن سعد ١٢٧/٢، تاريخ يعقوبي ٧٥/٢، أنساب الأشراف ١/٣٨٠ رقم ٨٠٧، البدء والتاريخ ٤/٢٣٠.

(٨) تاريخ الطبري ١٥٧/٣، المحبّر ١٢٥، تاريخ يعقوبي ٧٤/٢.

(٩) تاريخ الطبري ١٥٧/٣ وفيه وسبى منهم سبياً. (١٠) تاريخ الطبري ١٥٧/٣، المحبّر ١٢٥.

لَعَمْرِي لَقَدْ لَاقَتْ عَدِيُّ بِنُ جَنْدَبٍ
تَكْتَفِيهَا الْأَعْدَاءُ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ
قال ابن هشام: وقال الفرزدق في ذلك:
وعند رسول الله قام ابن حابسٍ
له أطلق الأشرى التي في جباله
كفى أمهات الخالفين عليهم

من الشرمهواة شديداً كؤودها^(١)
وغيب عنها عزها وجدودها^(٢)
بخطة سوار إلى المجد حازم^(٣)
مئللة أعناقها في الشكائم
غلاء المفادي أو سهام المقاسم^(٤)

وهذه الأبيات في قصيدة له . وعدي بن جندب من بني العنبر، والعنبر بن عمرو بن تميم .

غزوة غالب بن عبد الله أرض بني مرة: قال ابن إسحاق: وغزوة غالب بن عبد الله الكلبي - كلب
ليث - أرض بني مرة، فأصاب بها مرداس بن نهيك، حليفاً لهم من الحرة، من جهينة، قتله أسامة بن
زيد، ورجل من الأنصار^(٥).

قال ابن هشام: الحرة، فيما حدثني أبو عبيدة .

قال ابن إسحاق: وكان من حديثه عن أسامة بن زيد، قال: أدركته أنا ورجل من الأنصار، فلما
شهرنا عليه السلاح، قال: أشهد أن لا إله إلا الله . قال: فلم ننزع عنه حتى قتلناه؛ فلما قدمنا على
رسول الله ﷺ أخبرناه خبره؛ فقال: «يا أسامة، من لك بلا إله إلا الله؟» قال: قلت: يا رسول الله، إنه
إنما قالها تعوذاً بها من القتل . قال: «فمن لك بها يا أسامة؟» قال: فوالذي بعثه بالحق ما زال يرددها
علي حتى لوددت أن ما مضى من إسلامي لم يكن، وأني كنت أسلمت يومئذ، وأني لم أقتله؛ قال:
قلت: أنظرني يا رسول الله، إني أعاهد الله أن لا أقتل رجلاً يقول لا إله إلا الله أبداً، قال: «تقول
بعدي يا أسامة؟» قال: قلت بعدك^(٦).

غزوة عمرو بن العاص ذات السلاسل^(٧): وغزوة عمرو بن العاص ذات السلاسل من أرض بني
عذرة . وكان من حديثه أن رسول الله ﷺ بعثه يستنفر العرب إلى الشام . وذلك أن أم العاص بن وائل
كانت امرأة من بلي، فبعثه رسول الله ﷺ إليهم يستألفهم لذلك، حتى إذا كان على ماء بأرض جذام،
يقال له السلسل، وبذلك سميت تلك الغزوة، غزوة ذات السلاسل؛ فلما كان عليه، خاف فبعث إلى
رسول الله ﷺ يستمده، فبعث إليه رسول الله ﷺ أبا عبيدة بن الجراح في المهاجرين الأولين، فيهم أبو

(١) المهواة: المكان المنخفض بين جبلين . الكتود: الصعبة .

(٢) الجدود: الخطوط .

(٣) الخطة: الخصلة . السوار: الثوب .

(٤) تاريخ الطبري ٣/١٥٧ .

(٥) الخالفين: المتخلفين .

(٦) طبقات ابن سعد ٢/١١٩ بعنوان: «سرية غالب بن عبد الله الليثي إل بالميفعة»، وتاريخ الطبري ٣/١٥٧، والبدء والتاريخ
٤/٢٢٨، وأنساب الأشراف ١/٣٧٩ رقم ٨٠١ .

(٧) انظر عنها في: المغازي لعروة ٢٠٧، والمغازي للواقدي ٢/٧٦٩ . وجوامع السيرة ٢٠، وتاريخ الطبري ٣/١٥٨، وطبقات
ابن سعد ٢/١٣١، وعيون الأثر ٢/١٥٧، والبدية والنهاية لابن كثير ٤/٢٧٣، والمحبر لابن حبيب ١٢١، ١٢٢،
والكامل في التاريخ ٢/٢٣٢، ونهاية الأرب ١٧/٢٨٣، ٢٨٤، والبدء والتاريخ ٤/٢٣٢، وأنساب الأشراف ١/٣٨٠،
٣٨١ رقم ٨١٠، وعيون التواريخ ١/٢٨٥، ٢٨٦، وتاريخ الإسلام (المغازي) ٥١٣ - ٥١٧، وتاريخ يعقوب ٢/٧٥ .

بكر وعمر؛ وقال لأبي عُبَيْدَةَ حين وجهه: لا تختلفا؛ فخرج أبو عُبَيْدَةَ حتى إذا قَدِمَ عليه، قال له عمرو: إنما جئتَ مددًا لي؛ قال أبو عُبَيْدَةَ: لا، ولكنني على ما أنا عليه، وأنت على ما أنت عليه، وكان أبو عُبَيْدَةَ رجلاً ليناً سهلاً، هيناً عليه أمر الدنيا، فقال له عمرو: بل أنت مددٌ لي؛ فقال أبو عُبَيْدَةَ: يا عمرو، وإن رسول الله ﷺ قال لي: لا تختلفا، وإنك إن عصيتني أطعتك^(١)؛ قال: فإني الأمير عليك، وأنت مددٌ لي، قال: فدونك. فصلّى عمرو بالناس.

قال: وكان من الحديث في هذه الغزاة، أن رافع بن أبي رافع الطائي، وهو رافع بن عميرة، كان يحدث فيما بلغني عن نفسه، قال: كنت امرأة نصرانياً، وسميت سَرْجِسَ، فكنت أدلّ الناس وأهداهم بهذا الرمل، كنت أدفن الماء في بيض النعام بناوحي الرمل في الجاهلية، ثم أُغِيرَ على إبل الناس، فإذا أدخلتها الرمل غلبت عليها، فلم يستطع أحد أن يطلبني فيه، حتى أمرَ بذلك الماء الذي خبأت في بيض النعام فأستخرجه، فأشرب منه؛ فلما أسلمت خرجت في تلك الغزوة التي بعث فيها رسول الله ﷺ عمرو بن العاص إلى ذات السلاسل؛ قال: فقلت: والله لأختارن لنفسي صاحباً؛ قال: فصحبت أبا بكر، قال: فكنت معه في رَحْله، قال: وكانت عليه عباة له فدكية، فكان إذا نزلنا بسطها وإذا ركبنا لبسها ثم شكها عليه بخلال له، قال: وذلك الذي له يقول أهل نجد حين ارتدوا كُفَّاراً: نحن نبايع ذا العباة! قال: فلما دنونا من المدينة قافلين، قال: قلت: يا أبا بكر، إنما صحبتك لينفني الله بك، فانصحي وعلمي، قال: لو لم تسألني ذلك لفعلت، قال: أمرك أن توحد الله ولا تُشرك به شيئاً، وأن تقيم الصلاة، وأن تؤتي الزكاة، وتصوم رمضان، وتحج هذا البيت، وتغتسل من الجنابة، ولا تتأمر على رجل من المسلمين أبداً. قال: قلت: يا أبا بكر، أما أنا والله فإني أرجو أن لا أشرك بالله أحداً أبداً؛ وأما الصلاة فلن أتركها أبداً إن شاء الله؛ وأما الزكاة فإن يك لي مال أودها إن شاء الله؛ وأما رمضان فلن أتركه أبداً إن شاء الله؛ وأما الحج فإن أستطع أحج إن شاء الله تعالى؛ وأما الجنابة فسأغتسل منها إن شاء الله؛ وأما الإمارة فإني رأيت الناس يا أبا بكر لا يشرفون عند رسول الله ﷺ وعند الناس إلا بها، فلم تنهاني عنها؟ قال: إنك إنما استجهدتني لأجهد لك، وسأخبرك عن ذلك: إن الله عز وجل بعث محمداً ﷺ بهذا الدين، فجاهد عليه حتى دخل الناس فيه طوعاً وكرهاً، فلما دخلوا فيه كانوا عوآذ الله وجيرانه، وفي ذمته، فإياك لا تُخْفِر^(٢) الله في جيرانه، فَيُثْبِعُك الله خُفْرته، فإن أحدكم يُخْفِر في جاره؛ فيظَل نائتاً عضله، غَضِباً لجاره أن أصيب له شاة أو بعير، فالله أشد غضباً لجاره. قال: ففارقته على ذلك.

قال: فلما قبض رسول الله ﷺ، وأمر أبو بكر على الناس، قال: قَدِمْتُ عليه، فقلت له: يا أبا بكر، ألم تك نهيتني عن أن أتأمر على رجلين من المسلمين؟ قال: بلى، وأنا الآن أنهاك عن ذلك؛ قال: فقلت له: فما حملك على أن تلي أمر الناس؟ قال: لا أجد من ذلك بُدّاً، خشيت على أمة محمد ﷺ الفرقة.

قال ابن إسحاق: أخبرني يزيد بن أبي حبيب أنه حَدَّث عن عوف بن مالك الأشجعي، قال:

(١) المغازي لعروة ٢٠٧، تاريخ الإسلام (المغازي) ٥١٣، ٥١٤.

(٢) لا تخفر الله: لا تنقض عهده.

كنت في الغزاة التي بعث فيها رسول الله ﷺ عمرو بن العاص إلى ذات السلاسل، قال: فصحبت أبا بكر وعمر، فمررت بقوم على جزور لهم قد نحروها، وهم لا يقدرون على أن يعضوها^(١)، قال: وكنت امرأةً لبقاً جازراً، قال: فقلت: أتعطوني منها عشيراً^(٢) على أن أقسمها بينكم؟ قالوا: نعم، قال: فأخذت الشفرتين، فجزأتها مكاني، وأخذت منها جزءاً، فحملته إلى أصحابي، فأطبخناه فأكلناه. فقال لي أبو بكر وعمر رضي الله عنهما: أتى لك هذا اللحم يا عوف؟ قال: فأخبرتهما خبره؛ فقالا: والله ما أحسنت حين أطعمتنا هذا، ثم قاما يتقيان ما في بطونهما من ذلك؛ قال: فلما قفل الناس من ذلك السفر، كنت أول قادم على رسول الله ﷺ، قال: فجئته وهو يصلي في بيته؛ قال: فقلت: السلام عليك يا رسول الله ورحمة الله وبركاته؛ قال: «أعوف بن مالك»؟ قال: قلت: نعم، بأبي أنت وأمي؛ قال: «أصاحب الجزور»؟ ولم يزدني رسول الله ﷺ على ذلك شيئاً.

غزوة ابن أبي حدرد بطن إضم^(٣)، وقتل عامر بن الأضبط الأشجعي: قال ابن إسحاق: حدثني يزيد بن عبد الله بن قسيط، عن القعقاع بن عبد الله بن أبي حدرد، عن أبيه عبد الله بن أبي حدرد، قال: بعثنا رسول الله ﷺ إلى إضم في نفر من المسلمين، فيهم أبو قتادة الحارث بن ربعي، ومحلم بن جثامة بن قيس، فخرجنا حتى إذا كنا ببطن إضم، مر بنا عامر بن الأضبط الأشجعي، على قعود له، ومعه مئيع^(٤) له، ووطب من لبن^(٥). قال: فلما مر بنا سلم علينا بتحية الإسلام، فأمسكنا عنه، وحمل عليه محلم بن جثامة، فقتله لشيء كان بينه وبينه، وأخذ بعيره، وأخذ مئيعه. قال: فلما قدمنا على رسول الله ﷺ وأخبرناه الخبر، نزل فينا: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَيَبُّوا وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ آَلَفْنَا إِلَيْكُمْ أَلْسَلَمَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبَتَّوْكَ عَرَضَ الْحَيَوةِ الدُّنْيَا﴾ [النساء: ٩٤]... إلى آخر الآية.

قال ابن هشام: قرأ أبو عمرو بن العلاء: ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ آَلَفْنَا إِلَيْكُمْ أَلْسَلَمَ لَسْتَ مُؤْمِنًا﴾ [النساء: ٩٤] لهذا الحديث.

قال ابن إسحاق: حدثني محمد بن جعفر بن الزبير، قال: سمعت زياد بن ضميرة بن سعد السلميّ يحدث عن عروة بن الزبير، عن أبيه، عن جدّه، وكانا شهدا حيناً مع رسول الله ﷺ، قال: صلى بنا رسول الله ﷺ الظهر، ثم عمد إلى ظل شجرة، فجلس تحتها، وهو بخنين، فقام إليه الأقرع بن حابس، وعيينة بن حصن بن حذيفة بن بدر، يختصمان في عامر بن الأضبط الأشجعي: عُيينة يطلب

(١) يعضوها: يقضمها أجزاء.

(٢) العشير: جزء من عشرة أجزاء.

(٣) انظر عنها في تاريخ الطبري ١٥٨/٣، وطبقات ابن سعد ١٣٣/٢ وهي باسم «سرية أبي قتادة بن ربعي الأنصاري إلى بطن إضم»، والبدء والتاريخ ٢٢٨/٤٤، والمحرر ١٢٢، وأنساب الأشراف ١/٣٨١ رقم ٨١٣، وتاريخ اليعقوبي ٧٥/٢، ونهاية الأرب ١٧/٢٨٥، ٢٨٦، وإمتاع الأسماع للمقرئزي ١/٣٥٦، وعيون الأثر ٢/١٦١، ١٦٢ وتاريخ الإسلام (المغازي) ٥٢٠.

وإضم: بالكسر ثم الفتح، ماء يطؤه الطريق بين مكة واليمامة عند السُمينة. ويقال: هو واد. بجبا تهامة، وهو الوادي الذي فيه المدينة، ويسمى من عند المدينة. القناة، ومن أعلى منها عند السدّ يسمى الشظاة، ومن الشظاة إلى أسفل يسمى إضماً إلى البحر، (كمعجم البلدان ١/٢١٤، ٢١٥).

(٥) الوطب: وعاء اللين.

(٤) المئيع: تصغير متاع.

بدم عامر، وهو يومئذ رئيس غطفان، والأقرع بن حابس يدفع عن محلم بن جثامة، لمكانه من خندق، فتداولوا الخصومة عند رسول الله ﷺ، ونحن نسمع، فسمعنا عيينة بن حصن وهو يقول: والله يا رسول الله لا أدعه حتى أذيق نساءه من الحُرقة مثل ما أذاق نسائي، ورسول الله ﷺ يقول: «بل تأخذون الدية خمسين في سفرنا هذا، وخمسين إذا رجعنا». وهو أبى عليه، إذ قام رجلٌ من بني ليث، يقال له: مُكَيْثِر، قصير مَجْموع - قال ابن هشام: مُكَيْتِل - فقال: والله يا رسول الله ما وجدت لهذا القتل شيئاً في غرة الإسلام^(١) إلا كَعْنَم وردت فُرُمَيْت أولاها، فنَفَرَت أخرها، اسْتَنَ اليوم، وَعَبَّرَ غداً. قال: فرفع رسول الله ﷺ يده. فقال: «بل تأخذون الدية خمسين في سفرنا هذا، وخمسين إذا رجعنا». قال: فقبلوا الدية. قال: ثم قالوا: أين صاحبكم هذا، يستغفر له رسول الله ﷺ قال: فقام رجل آدم^(٢) صَرْب^(٣) طويل، عليه حُلَّة له، قد كان تهيأ للقتل فيها، حتى جلس بين يدي رسول الله ﷺ، فقال له: «ما اسمك؟» قال: أنا محلم بن جثامة، قال: فرفع رسول الله ﷺ يده، ثم قال: «اللهم لا تغفر لمحلم بن جثامة» ثلاثاً. قال: فقام وهو يتلقى دمه بفضل رداءه. قال: فأما نحن فنقول فيما بيننا: إنا نلرجو أن يكون رسول الله ﷺ قد استغفر له، وأما ما ظهر من رسول الله ﷺ فهذا^(٤).

قال ابن إسحاق: وحدثني من لا أنهم عن الحسن البصري، قال: قال رسول الله ﷺ حين جلس بين يديه: «أمنتَ بالله ثم قتلته!» ثم قال له المقالة التي قال؛ قال: فوالله ما مكث محلم بن جثامة إلا سبعاً حتى مات، فلفظته، والذي نفس الحسن بيده، الأرض، ثم عادوا له، فلفظته الأرض، ثم عادوا فلفظته؛ فلما غلب قومه عمدوا إلى صُديين^(٥)، فسَطَحوه بينهما، ثم رَضَمُوا عليه الحجارة حتى وازوه. قال: فبلغ رسول الله ﷺ شأنه، فقال: «والله إن الأرض لتطابق على من هو شر منه، ولكن الله أراد أن يعظكم في حُزْم ما بينكم بما أراكم منه».

قال ابن إسحاق: وأخبرنا سالم أبو النضر أنه حَدَّث: أن عيينة بن حصن وقيساً حين قال الأقرع بن حابس وخلا بهم، يا معشر قيس، مَنَعْتُمْ رسول الله ﷺ قتيلاً يستصلح به الناس، أفأنتم أن يلعنكم رسول الله ﷺ، فيلعنكم الله بلعنته، أو أن يغضب عليكم فيغضب الله عليكم بغضبه؟ والله الذي نفس الأقرع بيده لتُسَلِّمُنَّهُ إلى رسول الله ﷺ فليصنَعَنَّ فيه ما أراد، أو لآتينَ بخمسين رجلاً من بني تميم يشهدون بالله كلهم: لَقُتِلَ صاحبكم كافراً، ما صَلَّى قط، فلاطُنُّ^(٦) دمه؛ فلما سمعوا ذلك، قبلوا الدية.

قال ابن هشام: محلم في هذا الحديث كله عن غير ابن إسحاق، وهو محلم بن جثامة بن قيس الليثي.

(١) غرة الإسلام: أوله.

(٢) صَرْب: خفيف اللحم.

(٣) أنساب الأشراف ١/ ٣٨٥، ٣٨٦، تاريخ الإسلام (المغازي) ٤٥٤، ٤٥٥، والبداية والنهاية ٤/ ٢٢٤، ٢٢٥، وسنن أبي

داود ٤/ ١٧١، ١٧٢ في كتاب الآيات، باب الإمام يأمر بالعمو في الدم، وتاريخ خليفة ٨٥.

(٤) صُديين: جبلين.

(٥) أطلُنُّ دمه: أجعل دمه باطلاً فلا يؤخذ بثأره.

قال ابن إسحاق: ملجّم، فيما حدثناه زياد عنه.

غزوة ابن أبي حذرد لقتل^(١) رفاعة بن قيس الجشمي: قال ابن إسحاق: وغزوة بن أبي حدرد الأسلمي الغابة^(٢).

وكان من حديثها فيما بلغني، عمن لا أتهم، عن ابن أبي حدرد، قال: تزوّجت امرأة من قومي، وأصدقتها مائتي درهم، قال: فجنّ رسول الله ﷺ أستعينه على نكاحي؛ فقال: وكم أصدقت؟ فقلت: مائتي درهم يا رسول الله، قال: سبحان الله، لو كنتم تأخذون الدراهم من بطن واد ما زدتم، والله ما عندي ما أعينك به. قال: فلبثت أياماً، وأقبل رجل من بني جشم بن معاوية، يقال له: رفاعة بن قيس، أو قيس بن رفاعة، في بطن عظيم من بني جشم، حتى نزل بقومه ومن معه بالغابة، يريد أن يجمع قيساً على حرب رسول الله ﷺ، وكان ذا اسم في جشم وشرف. قال: فدعاني رسول الله ﷺ ورجلين معي من المسلمين، فقال: «أخرجوا إلى هذا الرجل حتى تأتوا منه بخبر وعلم». قال: وقدم لنا شارفاً^(٣) عجفاء، فحمل عليها أحدنا، فوالله ما قامت به ضعفاً حتى دَعَمَهَا الرجال من خلفها بأيديهم، حتى استقلت وما كادت ثم قال: تَبَلَّغُوا عَلَيْهَا وَاعْتَقِبُوهَا.

قال: فخرجنا ومعنا سلاحنا من الثبل والسيوف، حتى إذا جئنا قريباً من الحاضر عُشَيْشِيَّةَ^(٤) مع غروب الشمس. قال: كَمَنْتُ فِي نَاحِيَةٍ، وَأَمَرْتُ صَاحِبِي، فَكَمْنَا فِي نَاحِيَةٍ أُخْرَى مِنْ حَاضِرِ الْقَوْمِ؛ وَقَلْتُ لِهَمَّا: إِذَا سَمِعْتُمَانِي قَدْ كَبُرَتْ وَشَدِدَتْ فِي نَاحِيَةِ الْعَسْكَرِ فَكَبِّرَا وَشُدَّا مَعِي. قال: فوالله إنا كذلك ننتظر غزوة^(٥) القوم، أو أن نُصِيبَ مِنْهُمْ شَيْئاً. قال: وقد غشينا الليل حتى ذهبت فحمة العشاء، وقد كان لهم راع قد سرح في ذلك البلد، فأبطأ عليهم حتى تخوفوا عليه. قال: فقام صاحبهم ذلك رفاعة بن قيس، فأخذ سيفه، فجعله في عنقه، ثم قال: والله لأتبعن أثر راعينا هذا، ولقد أصابه شر؛ فقال له نفر ممن معه: والله لا تذهب، نحن نكفيك؛ قال: والله لا يذهب إلا أنا؛ قالوا: فنحن معك؛ قال: والله لا يتبعني أحد منكم. قال: وخرج حتى يمر بي. قال: فلما أمكنتني ففحته بسهمي، فوضعت في فؤاده. قال: فوالله ما تكلم، ووثبت إليه، فاحتزرت رأسه. قال: وشددت في ناحية العسكر، وكبرت، وشد صاحباي وكبرا. قال: فوالله ما كان إلا النجاء ممن فيه، عندك، عندك، بكل ما قدروا عليه من نسائهم وأبنائهم، وما خف معهم من أموالهم. قال: واستقنا إبلاً عظيمة، وغنماً كثيرة، فجئنا بها إلى رسول الله ﷺ. قال: وجئت برأسه أحمله معي. قال: فأعاني رسول الله ﷺ من تلك الإبل بثلاثة عشر بعيراً في صداقي، فجمعته إلي أهلي^(٦).

غزوة عبد الرحمن بن عوف إلى دومة الجندل: قال ابن إسحاق: وحدثني من لا أتهم عن

(١) انظر عنها في تاريخ الطبري ٣/٣٤، ٣٥، وتاريخ خليفة ٨٥، والمجبر ١٢٣، وتاريخ الإسلام (المغازي) ٤٥٢، ٤٥٣.

(٢) الغابة: موضع قرب المدينة من ناحية الشام، وفيه أموال لأهل المدينة. (معجم البلدان ٤/١٨٢).

(٣) الشارف: الناقة المُسَيَّة.

(٤) عشيشية: تصغير عشية على غير القياس.

(٥) الغزوة: الغفلة.

(٦) تاريخ الطبري ٣/٣٤، ٣٥ (حوادث سنة ٨ هـ). تاريخ الإسلام (المغازي) ٤٥٢، ٤٥٣، البداية والنهاية ٤/٢٢٣، ٢٢٤،

عيون الأثر ٢/١٦٢، ١٦٣.

عطاء بن أبي رباح، قال: سمعت رجلاً من أهل البصرة يسأل عبد الله بن عمر بن الخطاب، عن إرسال الإمامة من خلف الرجل إذا ائتمت، قال: فقال عبد الله: سأخبرك إن شاء الله عن ذلك بعلم: كنت عاشرَ عشرة رهط من أصحاب رسول الله ﷺ في مسجده: أبو بكر، وعمر، وعثمان، وعلي، وعبد الرحمن بن عوف، وابن مسعود، ومعاذ بن جبل، وحذيفة بن اليمان، وأبو سعيد الخدري، وأنا مع رسول الله ﷺ، إذ أقبل فتى من الأنصار، فسلم على رسول الله ﷺ، ثم جلس، فقال: يا رسول الله، صلى الله عليك، أي المؤمنين أفضل؟ فقال: أحسنهم خلقاً؛ قال: فأبي المؤمنين أكيس؟ قال: «أكثرهم ذكراً للموت، وأحسنهم استعداداً له قبل أن ينزل به، أولئك الأكياس». ثم سكت الفتى، وأقبل علينا رسول الله ﷺ فقال: «يا معشر المهاجرين، خمسُ خصال إذا نزلن بكم وأعوذ بالله أن تُدركوهن: إنه لم تظهر الفاحشة في قوم قط حتى يُغلبوا بها إلا ظهر فيهم الطاعون والأوجاع، التي لم تكن في أسلافهم الذين مضوا؛ ولم يثُقبوا المكيال والميزان إلا أخذوا بالسنين^(١) وشدة المؤنة وجور السلطان؛ ولم يمنعوا الزكاة من أموالهم إلا مُنعوا القطر من السماء، فلولا البهائم ما مطروا؛ وما نقضوا عهد الله وعهد رسوله إلا سُلط عليهم عدو من غيرهم، فأخذ بعض ما كان في أيديهم؛ وما لم يَحْكَمْ أئمتهم بكتاب الله وتجبروا فيما أنزل الله إلا جعل الله بأسهم بينهم»^(٢).

ثم أمرَ عبد الرحمن بن عوف أن يتجهز لسرية بعثه عليها، فأصبح وقد اعتم بعمامة من كرابيس^(٣) سوداء، فأذناه رسول الله ﷺ منه، ثم نقضها، ثم عممه بها، وأرسل من خلفه أربع أصابع أو نحواً من ذلك، ثم قال: هكذا يا بن عوف فاعتم، فإنه أحسن وأعرف، ثم أمر بلالاً أن يدفع إليه اللواء. فدفعه إليه، فحمد الله تعالى، وصلى على نفسه، ثم قال: خذ يا بن عوف، اغزوا جميعاً في سبيل الله، فقاتلوا من كفر بالله، لا تغلوا^(٤)، ولا تغدروا، ولا تثلثوا، ولا تقتلوا وليداً، فهذا عهد الله وسيرة نبيه فيكم. فأخذ عبد الرحمن بن عوف اللواء^(٥).

قال ابن هشام: فخرج إلى دومة الجندل.

غزوة أبي عبيدة بن الجراح إلى سيف البحر^(٦): قال ابن إسحاق: وحدثني عبادة بن الوليد بن عبادة بن الصامت، عن أبيه، عن جده عبادة بن الصامت، قال: بعث رسول الله ﷺ سرية إلى سيف البحر، عليهم أبو عبيدة بن الجراح، وزودهم جراباً من تمر، فجعل يقوتهم إياه، حتى صار إلى أن

(١) السنن: الجذب.

(٢) أخرجه ابن ماجه في كتاب الفتن (٤٠٢١٩) باب العقوبات، عن محمود بن خالد الدمشقي، عن سليمان بن عبد الرحمن أبي أيوب. عن ابن أبي مالك، عن أبيه، عن عطاء بن أبي رباح، عن عبد الله بن عمر، بنحوه.

(٣) الكرييس: الأقطان. واحده كربوس.

(٤) لا تغلوا: لا تخونوا في المغنم.

(٥) طبقات ابن سعد ٨٩/٢.

(٦) سيف البحر بكسر أوله. ساحلة أو جانبه. وتُعرف الغزوة أيضاً سرية الخيظ. انظر عنها في: المغازي للواقدي ٧٧٤/٢، وطبقات ابن سعد ١٣٢/٢، وتاريخ الطبري ٣٣/٣، وأنساب الأشراف ١/٣٨١ رقم ٨١١، والبدء والتاريخ ٤/٢٣٢، والمجتبى ١١٨، ونهاية الأرب ١٧/٢٨٤، وشرح المواهب ٢/٢٤٠، وعيون الأثر ٢/١٦٠، والبدية والنهاية ٤/٢٧٦، وعيون التواريخ ١/٢٨٦، ٢٨٧، والسيرة الحلبية ٢/٣١٥، وذكرها الطبري، ثانية باختصار ٣/١٥٨.

يعدّه عليهم عدداً. قال: ثم نَفِدَ التمر، حتى كان يعطي كل رجل منهم كل يوم تمره. قال: فقسّمها يوماً بيننا. قال: فنقصت تمرّة عن رجل، فوجدنا فقدّها ذلك اليوم. قال: فلما جَهَدْنَا الجُوع أخرج الله لنا دابة من البحر، فأصَبْنَا من لحمها وودّكها^(١)، وأقمنا عليها عشرين ليلة، حتى سمنا وابتللنا^(٢)، وأخذ أميرنا ضِلْعاً من أضلاعها، فوضعها على طريقه، ثم أمر بأجسم بعير معنا، فحمل عليه أجسم رجل منا. قال: فجلس عليه، قال: فخرج من تحتها وما مسّت رأسه. قال: فلما قَدَمْنَا على رسول الله ﷺ أخبرناه خبرها، وسألناه عما صَنَعْنَا في ذلك من أكلنا إياه، فقال: «رَزَقَ رِزْقَكموه الله»^(٣).

بعث عمرو بن أمية الضمري لقتال أبي سفيان بن حرب وما صنع في طريقه: قال ابن هشام: ومما لم يذكره ابن إسحاق^(٤) من بعوث رسول الله ﷺ وسراياه بعث عمرو بن أمية الضمري، بعثه رسول الله ﷺ، فيما حدّثني من أثق به من أهل العلم، بعد مقتل خبيب بن عدي وأصحابه إلى مكة، وأمره أن يقتل أبا سفيان بن حرب، وبعث معه جبّار بن صخر الأنصاري، فخرجنا حتى قَدِمَا مكة، وحيسا جميلهما بشعب^(٥) من شعاب يأجج^(٦)، ثم دخلا مكة ليلاً؛ فقال جبّار لعمرو: لو آتانا طُفْنَا بالبيت وصلينا ركعتين؟ فقال عمرو: إن القوم إذا تعشوا جلسوا بأفئنتهم؛ فقال: كلا، إن شاء الله؛ فقال عمرو: فطُفْنَا بالبيت، وصلينا، ثم خرجنا نريد أبا سفيان، فوالله إنا لنمشي بمكة إذ نظر إليّ رجل من أهل مكة فعرفني، فقال عمرو بن أمية: والله إن قديمها إلا لشر؛ فقلت لصاحبي: النجاء، فخرجنا نشتد، حتى أصعدنا في جبل، وخرجوا في طلبنا، حتى إذا علونا الجبل يبسوا منا، فرجعنا، فدخلنا كهفاً في الجبل، فبتنا فيه، وقد أخذنا حجارة فرَضَمْنَاها دوننا؛ فلما أصبحنا غداً رجل من قريش يقود فرساً له، ويخلي عليها^(٧)، فعشينا ونحن في الغار، فقلت: إن رأنا صاح بنا، فأخذنا فقتلنا.

قال: ومعني خنجر قد أعدته لأبي سفيان، فأخرج إليه، فأضربه على ثديه ضربة، وصاح صيحةً أسمع أهل مكة، وأرجع فأدخل مكاني، وجاءه الناس يشتدون وهو بأخر رمق، فقالوا: من ضربك؟ فقال: عمرو بن أمية، وغلبه الموت، فمات مكانه، ولم يدل على مكاننا، فاحتملوه. فقلت لصاحبي، لما أمسينا: النجاء؛ فخرجنا ليلاً من مكة نريد المدينة، فمررنا بالحرس وهم يحرسون جيفة خبيب بن عدي؛ فقال أحدهم: والله ما رأيت كالليلة أشبه بمشية عمرو بن أمية، قال: فلما حاذى

(١) الوذك: الشحم، والدسم.

(٢) ابتلنا: أخذنا الراحة.

(٣) أخرجه مسلم في كتاب الصيد والذبائح (١٩٣/٥) باب إباحة ميتة البحر.

(٤) يقول السهيلي في الروض الأنف (٢٥٣/٤) وذكر الشيخ الحافظ أبو بحر سفيان بن العاص رحمه الله في هذا الموضع قال:

نقلت من حاشية نسخة من كتاب السير منسوبة بسماع أبي سعيد عبد الرحيم بن عبد الله بن عبد الرحيم وأخوته محمد وأحمد ابني عبد الله بن عبد الرحيم ما هذا نصه: وجدت بخط أخي قول ابن هشام: هذا مما لم يذكره ابن إسحاق (هو غلط منه) قد ذكره ابن إسحاق عن جعفر بن عمر بن أمية فيما حدّث أسد عن يحيى بن زكريا عن ابن إسحاق، والقائل في الحاشية: وجدت بخط أخي هو: أبو بكر بن عبد الله بن عبد الرحيم. وفي الكتاب المذكور قول أبي بكر المذكور في غزوة الطائف بعد قوله: فولدت له داود بن أبي مرة. إلى ها هنا، انتهى سماعي من أخي، وما بقي من هذا الكتاب سمعته من ابن هشام نفسه.

(٥) الشيب: الطريق بين جبلين.

(٦) يأجج: جبل بمكة.

(٧) يخلي: يجمع الخلي. وهو ما ينبت الربيع.

الخَشْبَةَ شَدَّ عَلَيْهَا، فَأَخَذَهَا فَاحْتَمَلَهَا، وَخَرَجَا شَدًّا، وَخَرَجُوا وِرَاءَهُ، حَتَّى أَتَى جُرْفًا بِمَهْبِطِ مَسِيلٍ يَأْجُجُ، فَرَمَى بِالْخَشْبَةِ فِي الْجُرْفِ، فَتَيَّبَهُ اللَّهُ عَنْهُمْ، فَلَمْ يَقْدِرُوا عَلَيْهِ، قَالَ: وَقَلْتُ لِصَاحِبِي: النَّجَاءُ النِّجَاءُ، حَتَّى تَأْتِيَ بِعَيْرِكَ فَتَقْعُدَ عَلَيْهِ، فَإِنِّي سَأُشْغَلُ عَنْكَ الْقَوْمَ، وَكَانَ الْأَنْصَارِيُّ لَا رُجْلَةَ لَهُ^(١).

قال: ومضيتُ حتى أخرج على ضَجْنَانَ، ثم أويتُ إلى جَبَلٍ، فأدخل كهفًا، فبينما أنا فيه، إذ دخل عليّ شيخ من بني الدَّيْلِ أعور، في عُتَيْمَةٍ لَهُ؛ فقال: مَنِ الرَّجُلُ؟ فقلت: من بني بَكْرٍ، فمن أنت؟ قال: من بني بَكْرٍ، فقلت: مَرْحَبًا، فاضطجع، ثم رفع عقيرته، فقال:

وَلَسْتُ بِمُسْلِمٍ مَا دُمْتُ حَيًّا وَلَا دَانَ لِإِذِينَ الْمُسْلِمِينَ

فقلت في نفسي: ستعلم، فأمهلتها، حتى إذا نام أخذت قوسي، فجعلت سيّتها^(٢) في عينه الصَّحِيحَةَ، ثم تحاملت عليه حتى بلغت العظم، ثم خرجت النَّجَاءَ، حتى جئت العَرَجَ^(٣)، ثم سلكت رَكُوبَةَ^(٤)، حتى إذا هبطت النَّقِيعَ^(٥) إذا رجلان من قُرَيْشٍ من المشركين، كانت قريش بعثتهما عَيْنًا إلى المدينة ينظران ويتحسَّسان، فقلت: اسْتَأْسِرَا، فأبيا، فأرمني أحدهما بسهم فأقتله، وأستأسر الآخر، فأوثقه رباطًا، وقدمت به المدينة^(٦).

سرية زيد بن حارثة إلى مَدِينِ: قال ابن هشام: وسرية زيد بن حارثة إلى مَدِينِ^(٧). ذكر ذلك عبد الله بن حسن ابن حسن، عن أمه فاطمة بنت الحسين بن عليّ عليهم رضوان الله، أن رسول الله ﷺ بعث زيد بن حارثة نحو مدين، ومعه ضَمِيرُهُ مولى عليّ بن أبي طالب رضوان الله عليه، وأخ له. قالت: فأصاب سَبِيًّا من أهل مِينَاءَ^(٨)، وهي السواحل، وفيها جُمَاعٌ من الناس، فبيعوا، ففُرِّقَ بينهم، فخرج رسول الله ﷺ وهم يبيكون، فقال: «ما لهم؟» فقليل: يا رسول الله، فُرِّقَ بينهم، فقال رسول الله ﷺ: لا تبيعوهم إلا جميعاً^(٩).

قال ابن هشام: أراد الأمهات والأولاد.

سرية سالم بن عُمَيْرٍ لقتل أبي عَفْكَ^(١٠): قال ابن إسحاق: وغزوة سالم بن عُمَيْرٍ لقتل أبي

(١) لا رجلة له: ضعيف المشي على رجله.

(٢) سيّتها: طرفها.

(٣) العرج: واد بالحجاز.

(٤) ركوبة: ثنية بين الحرمين.

(٥) النقيع: موضع ببلاد مزينة.

(٦) الخبر في طبقات ابن سعد ٢/٩٣، ٩٤، وأنساب الأشراف ١/٣٧٩، ٣٨٠ رقم ٨٠٥، وتاريخ يعقوبي ٢/٧٣، والمحبر ٨١١٩

(٧) مَدِينِ: بفتح أوله وسكون ثانيه. على بحر القَلْزُومِ محاذية لتبوك على نحو من سب مراحل. (معجم البلدان ٥/٧٧) انظر عن الغزوة في عيون الأثر ٢/١٠٩.

(٨) مِينَاءُ: بالكسر ثم السكون. هي السواحل وهي من أوائل نواحي مصر. (معجم البلدان ٥/٢٤٥، ٢٤٦).

(٩) الحديث له شاهد عند ابن ماجه في كتاب التجارات (٢٢٤٨) باب النهي عن التفريق بين السبي. رواه من طريق جابر، عن القاسم بن عبد الرحمن، عن أبيه، عن عبد الله بن مسعود قال: كان النبي ﷺ إذا أتى بالسبي أعطى أهل البيت جميعاً، كراهية أن يفرق بينهم.

(١٠) المغازي للواقدي ١/١٧٤، ١٧٥، طبقات ابن سعد ٢/٢٨، تاريخ الإسلام (المغازي) ١٣٨، عيون الأثر ١/٢٩٢، نهاية الأرب ١٧/٦٦، أنساب الأشراف ١/٣٧٣ رقم ٧٧٣.

عَفَكُ، أحد بني عمرو بن عوف ثم من بني عُبيدة، وكان قد نجم^(١) نِفَاقَهُ، حين قتل رسول الله ﷺ الحارث بن سُوَيْد بن صامت، فقال:

لَقَدْ عَشْتُ دَهْرًا وَمَا إِن أَرَى
أَبْرُ غُهُودًا وَأَوْفَى لِمَنْ
مِنْ أَوْلَادِ قَيْلَةٍ^(٣) فِي جَمْعِهِمْ
فَصَدَعُهُمْ رَاكِبٌ جَاءَهُمْ
فَلَوْ أَنَّ بِالْعِزِّ صَدَقْتُمْ
مِنَ النَّاسِ دَارًا وَلَا مَجْمَعًا
يُعَاقِدُ فِيهِمْ إِذَا مَا دَعَا^(٢)
يَهْدُ الْجِبَالَ وَلَمْ يَخْضَعَا^(٤)
حَلَالَ حَرَامٍ لَشِئْتَى مَعَا^(٥)
أَوْ الْمُلْكِ تَابِعْتُمْ تَبْعَا^(٦)

فقال رسول الله ﷺ: «من لي بهذا الخبيث». فخرج سالم بن عمير، أخو بني عمرو بن عوف، وهو أحد البكائين، فقتله؟ فقالت أمامة المزيرية^(٧) في ذلك:

تُكَذِّبُ دِينَ اللَّهِ وَالْمَرْءَ أَحْمَدًا
حَبَاكَ حَنِيفٌ آخِرَ اللَّيْلِ طَعْنَةً
غَزْوَةَ عُمَيْرِ بْنِ عَدِيِّ الْخَطْمِيِّ لِقَتْلِ عَصْمَاءِ بِنْتِ مِرْوَانَ^(١١)، وَغَزْوَةَ عُمَيْرِ بْنِ عَدِيِّ الْخَطْمِيِّ^(١٢):
لِعَمْرٍو الَّذِي أَمْنَاكَ أَنْ^(٨) بِئْسَ مَا يُمْنِي^(٩)
أَبَا عَفَكٍ خُذَهَا عَلَى كِبَرِ السَّنِ^(١٠)

عصماء بنت مروان، وهي من بني أمية بن زيد، فلما قُتل أبو عَفَكُ نافقت، فذكر عبد الله بن الحارث بن الفضيل عن أبيه، قال: وكانت تحت رجل من بني خَطْمَةَ، ويقال له يزيد بن زيد فقالت، تعيب الإسلام وأهله:

بِاسْتِ بَنِي مَالِكٍ وَالتَّبِيتِ
وَعَوْفٍ وَبِاسْتِ بَنِي الْخَزْرَجِ

(١) نجم: وضع.

(٢) البيت في مغازي الواقدي:

أَجْمَ عَقُولًا وَأَلْفِي إِلَى
مُنْبِيبٍ سِرَاعًا إِذَا مَا دَعَا

(٣) قَيْلَةٌ: أم الأوس والخزرج.

(٤) هذا البيت ليس عند الواقدي.

(٥) البيت عند الواقدي:

فَسَلَّبَهُمْ أَمْرَهُمْ رَاكِبٌ
حَرَامًا حَلَالًا لَشِئْتَى مَعَا

(٦) البيت عند الواقدي: وَصَدَّهُمْ فَرَقَهُمْ.

فَلَوْ كَانَ بِالْمُلْكِ صَدَقْتُمْ
وَبِالنَّصْرِ تَابِعْتُمْ تَبْعَا

(٧) وفي مغازي الواقدي ١/ ١٧٥ «التَّهْدِيَّة».

(٨) عند الواقدي «إِذ».

(٩) أَمْنَاكَ: أنسك.

(١٠) في مغازي الواقدي زيادة بيت ثالث:

فَلِئْسِي وَإِنْ أَعْلَمْتُ بِقَاتِلِكَ الَّذِي
أَبَاتِكَ جَلَسَ اللَّيْلُ مِنْ إِنْسِ أَوْجُنِي

(١١) المغازي للواقدي ١/ ١٧٢ - ١٧٤، طبقات ابن سعد ٢/ ٢٧، ٢٨، أنساب الأشراف ١/ ٣٧٣ رقم ٧٧٢، تاريخ الإسلام

(المغازي) ١٣٦، عيون الأثر ١/ ٢٩٣.

(١٢) هو عمير بن عددي بن خُرشة بن أمية بن عامر بن خطمة، كان أبوه شاعرًا، وهو أول من أسلم من بني خطمة. ولم يشهد

بدرًا لضرارته. (الإصابة ٣/ ٣٣، ٣٤).

فَلَا مِنْ مُرَادٍ وَلَا مَذْجِجٍ
كَمَا يُرْتَجَى مَرَقَ الْمُنْضَجِ
فَيَقْطَعُ مِنْ أَمَلِ الْمُرْتَجِيِ^(٣)

وَحَظْمَةٌ دُونَ بَنِي الْخَزْرَجِ
بَعُولَتَيْهَا وَالْمَنَايَا تَجِي
كَرِيمُ الْمَدَاخِلِ وَالْمَخْرَجِ
ءِ بَعْدَ الْهُدُوِّ فَلَمْ يَخْرَجِ^(٤)

أَطْغَتُمْ أَتَاوِيَّ^(١) مِنْ غَيْرِكُمْ
ثُرْجُونُهُ بَعْدَ قَتْلِ الزُّوْسِ
أَلَا أَيْفَ يَنْبَتُغِي غِرَّةَ^(٢)
قال: فأجابها حسان بن ثابت، فقال:

بَسُّوْ وَإِلِ وَيَسُّوْ وَإِقْفِ
مَتَى مَا دَعَتْ سَفْهَاءُ وَنَحْهَا
فَهَزَّتْ فَتَى مَا جِدَا عِرْقُهُ
فَضْرَجَهَا مِنْ نَجِيعِ الدَّمَا

فقال رسول الله ﷺ حين بلغه ذلك: «ألا آخذ لي من ابنة مروان؟» فسمع ذلك من قول رسول الله ﷺ عمير بن عددي الحطمي، وهو عنده؛ فلما أمسى من تلك الليلة سرى عليها في بيتها فقتلها، ثم أصبح مع رسول الله ﷺ، فقال: يا رسول الله، إني قد قتلتها. فقال: «نصرت الله ورسوله يا عمير». فقال: هل علي شيء من شأنها يا رسول الله؟ فقال: «لا ينتطح فيها عثران،»^(٥)

فرجع عمير إلى قومه، وبنو حطمة يومئذ كثير مؤجهم^(٦) في شأن بنت مروان، ولها يومئذ بنون خمسة رجال، فلما جاءهم عمير بن عددي من عند رسول الله ﷺ؛ قال: يا بني حطمة، أنا قتلت ابنة مروان، فكيدوني جميعاً ثم لا تنظرون. فذلك اليوم أول ما عز الإسلام في دار بني حطمة، وكان يستخفي بإسلامهم فيهم من أسلم، وكان أول من أسلم من بني حطمة عمير بن عددي، وهو الذي يُدعى القاريء، وعبد الله بن أوس، وحزيمة بن ثابت، وأسلم، يوم قتلت ابنة مروان، رجال من بني حطمة، لما رأوا من عز الإسلام.

أسر ثمامة بن أثال الحنفي وإسلامه:^(٧) بلغني عن أبي سعيد المقبري عن أبي هريرة أنه قال: خرجت خييل لرسول الله ﷺ، فأخذت رجلاً من بني حنيفة، لا يشعرون من هو، حتى أتوا به رسول الله ﷺ؛ فقال: «أندرون من أخذتم؛ هذا ثمامة بن أثال^(٨) الحنفي، أحسنوا إيساره». ورجع رسول الله ﷺ إلى أهله؛ فقال: «اجمعوا ما كان عندكم من طعام، فابعثوا به إليه»، وأمر بلفحته^(٩) أن يُغذى

(١) الأثاوي: الغريب.

(٢) هذا البيت ليس عند الواقدي.

(٣) الهدو: منتصف الليل؛ أو بعد ساعة منه. يخرج: يأتهم.

(٤) لا ينتطح فيها عثران: أي إن الأمر شأنه هين، لا يكون فيه طلب نار ولا اختلاف.

(٥) مؤجهم: اختلاطهم واختلافهم.

(٦) تاريخ الطبري ١٥٦/٣، تاريخ الإسلام (المغازي) ٣٥٠، ٣٥١ باسم: «سرية نجد». قيل إنها كانت في المحرم سنة ست، وذكرها ابن كثير في بداية حوادث سنة ست من الهجرة، وقال هي سرية محمد بن مسلمة قبيل نجد. (البداية والنهاية ١٤٩/٤)، أنساب الأشراف ٣٧٦/١ رقم ٧٨١.

(٨) أثال: بضم الهمة. (الإكمال ١٧/١ بالهامش).

(٩) اللقحة: الناقة التي لها لبن.

عليه بها ويُراح، فجعل لا يقع من ثمامة موقعاً ويأتيه رسولُ الله ﷺ فيقول: «أسلم يا ثمامة»، فيقول: إنيها^(١) يا محمد، إن تقتل تقتل ذا دم وإن تُرد الفداء فسَل ما شئت، فمكث ما شاء الله أن يمكث؛ ثم قال النبي ﷺ يوماً: «أطلقوا ثمامة». فلما أطلقوه خرج حتى أتى البقيع، فتطهر فأحسن طهوره، ثم أقبل فبايع النبي ﷺ على الإسلام؛ فلما أمسى جاؤوه بما كانوا يأتونه من الطعام، فلم ينل منه إلا قليلاً، وباللشحة فلم يُصب من حلابها إلا يسيراً، فعجب المسلمون من ذلك، فقال رسول الله ﷺ حين بلغه ذلك: «مّم تعجبون؟ أمِن رجل أكل أولَ النهار في معي كافرٍ، وأكل آخرَ النهار في معي مسلم! إن الكافر يأكل في سبعة أمعاء، وإن المسلم يأكل في معي واحد».

قال ابن هشام: فبلغني أنه خرج مُعتمراً، حتى إذا كان ببطن مكة لبي، فكان أولَ من دخل مكة يُلبي، فأخذته قريش، فقالوا: لقد اخترت علينا، فلما قَدَموه ليضربوا عنقه؛ قال قائل منهم: دعوه فإنكم تحتاجون إلى اليمامة لَطعامكم، فخلَّوه، فقال الحنفي في ذلك:

وَمِنَّا الَّذِي لَبِيَ بِمَكَّةَ مُغْلِنًا
بِرَغْمِ أَبِي سُفْيَانَ فِي الْأَشْهُرِ الْحُرْمِ
وَحَدَّثْتُ أَنَّهُ قَالَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ، حين أسلم: لقد كان وجهك أبغضَ الوجوه إليّ، ولقد أصبح وهو أحبُّ الوجوه إليّ. وقال في الدين والبلاد مثل ذلك.

ثم خرج معتمراً، فلما قدم مكة قالوا: أصبوت يا ثمامة؟ فقال: لا، ولكنني أتبعت خير الدين، دينَ محمد، ولا والله لا تصل إليكم حبة من اليمامة حتى يأذن فيها رسول الله ﷺ. ثم خرج إلى اليمامة، فَمَنَعَهُمْ أَنْ يَحْمِلُوا إِلَى مَكَّةَ شَيْئًا، فكتبوا إلى رسول الله ﷺ: إنك تأمر بصلة الرحم، وإنك قد قطعت أرحامنا، وقد قتلت الآباء بالسيف، والأبناء بالجوع، فكتب رسول الله ﷺ إليه أن يخلي بينهم وبين الحمل^(٢).

سرية علقمة بن مجزز^(٣): وبعث رسول الله ﷺ علقمة بن مجزز.

(١) إيهاب: حسبك.

(٢) أخرج البخاري في كتاب المغازي ١١٧/٥، ١١٨ باب وفد بني حنيفة وحديث ثمامة بن أثال، قال: حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ يَوْسُفَ، حَدَّثَنَا اللَّيْثُ، قَالَ: حَدَّثَنِي سَعِيدُ بْنُ أَبِي سَعِيدٍ أَنَّهُ سَمِعَ أَبَا هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: بَعَثَ النَّبِيُّ ﷺ خِيَلًا قَبِلَ نَجْدًا، فَجَاءَتْ بِرَجُلٍ مِنْ بَنِي حَنْبَلَةَ يُقَالُ لَهُ ثَمَامَةُ بْنُ أَثَالٍ، فَرَبَطُوهُ بِسَارِيَةٍ مِنْ سُورِيَةِ الْمَسْجِدِ فَخَرَجَ إِلَيْهِ النَّبِيُّ ﷺ فَقَالَ: مَا عِنْدَكَ يَا ثَمَامَةُ؟ فَقَالَ: عِنْدِي خَيْرٌ يَا مُحَمَّدُ، إِنْ تَقْتَلَنِي تَقْتُلْ ذَا دَمٍ، وَإِنْ تُنْعَمُ تُنْعَمُ عَلَيَّ شَاكِرًا، وَإِنْ كُنْتَ تَرِيدُ الْمَالَ فَسَلْ مِنْهُ مَا شِئْتَ. فَفَرَّكَ حَتَّى إِذَا كَانَ الْعَدَدُ، ثُمَّ قَالَ لَهُ: مَا عِنْدَكَ يَا ثَمَامَةُ؟ فَقَالَ: مَا قَلْتُ لَكَ إِنْ تُنْعَمُ تُنْعَمُ عَلَيَّ شَاكِرًا، فَفَرَّكَ حَتَّى كَانَ بَعْدَ الْعَدَدِ، قَالَ: مَا عِنْدَكَ يَا ثَمَامَةُ؟ قَالَ: عِنْدِي مَا قَلْتُ لَكَ. فَقَالَ: أَطْلِقُوا ثَمَامَةَ، فَانْطَلَقَ إِلَى نَجْلِ قَرِيبٍ مِنَ الْمَسْجِدِ فَاسْتَسَلَّ ثُمَّ دَخَلَ الْمَسْجِدَ فَقَالَ: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، يَا مُحَمَّدُ، وَاللَّهِ مَا كَانَ عَلَيَّ الْأَرْضُ وَجْهَ أَبْغَضَ إِلَيَّ مِنْ مَجْهَكُ، فَقَدْ أَصْبَحَ وَجْهَكَ أَحَبَّ الْوُجُوهِ إِلَيَّ. وَاللَّهِ مَا كَانَ مِنْ بَلَدٍ أَبْغَضَ إِلَيَّ مِنْ بَلَدِكَ، فَاصْبِحْ بَلَدُكَ أَحَبَّ الْبُلَادِ إِلَيَّ، وَإِنْ خِيَلُكَ أَخَذْتَنِي وَأَنَا أُرِيدُ الْعُمُرَةَ، فَمَاذَا تَرَى؟ فَبَشَّرَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، وَأَمَرَهُ أَنْ يَعْتَمِرَ. فَلَمَّا قَدِمَ مَكَّةَ قَالَ لَهُ قَائِلٌ: صَبَّوْتَ! قَالَ: لَا وَاللَّهِ، وَلَكِنْ أَسْلَمْتُ مَعَ مُحَمَّدِ بْنِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَلَا وَاللَّهِ لَا يَأْتِيكُمْ مِنَ الْيَمَامَةِ حَبَةٌ حَنْطَةٌ حَتَّى يَأْذَنَ فِيهَا النَّبِيُّ ﷺ.

وأخرجه مسلم في كتاب الجهاد والسير، باب ربط الأسير وحبسه وجواز المن عليه. وانظر: الإصابة ١/٢٠٣ في ترجمة ثمامة.

(٣) المغازي للواقدي ٣/٩٨٣، طبقات ابن سعد ٢/١٦٣، تاريخ الإسلام (المغازي) ٦٢٣-٦٢٤، أنساب الأشراف =

لَمَّا قُتِلَ وَقَاصٌ بِنِ مَجْرَزِ الْمُذَلِّجِي يَوْمَ ذِي قَرْدٍ، سَأَلَ عَلْقَمَةُ بْنُ مَجْرَزِ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَنْ يَبْعَثَهُ فِي آثَارِ الْقَوْمِ، لِيَدْرِكَ ثَارَهُ فِيهِمْ.

فذكر عبد العزيز بن محمد، عن محمد بن عمرو بن علقمة، عن عمرو بن الحكم بن ثوبان، عن أبي سعيد الخدري، قال: بعث رسول الله ﷺ علقمة بن مجرز - قال أبو سعيد الخدري: وأنا فيهم - حتى إذا بلغنا رأس غزاتنا أو كنا ببعض الطريق، إذن لطائفة من الجيش، واستعمل عليهم عبد الله بن حذافة السهمي، وكان من أصحاب رسول الله ﷺ، وكانت فيه دُعاة، فلما كان ببعض الطريق أو قد نارا، ثم قال للقوم: أليس لي عليكم السمع والطاعة؟ قالوا: بلى؛ قال: أفما أنا أمركم بشيء إلا فعلتموه؟ قالوا: نعم، قال: فإني أعزم عليكم بحقي وطاعتي إلا توابتم في هذه النار؛ قال: فقام بعض القوم يحتجج^(١)، حتى ظن أنهم واثبون فيها، فقال لهم: اجلسوا، فإنما كنت أضحك معكم، فذكر ذلك لرسول الله ﷺ بعد أن قدموا عليه، فقال رسول الله ﷺ: «من أمركم بمَعْصِيَةٍ مِنْهُمْ فَلَا تُطِيعُوهُ»^(٢).

وذكر محمد بن طلحة أن علقمة بن مجرز رجع هو وأصحابه ولم يلق كيدا.

سرية كرز بن جابر لقتل البجليين^(٣) الذين قتلوا يسارا: حدثني بعض أهل العلم، عن حدثه، عن محمد بن طلحة، عن عثمان بن عبد الرحمن، قال: أصاب رسول الله ﷺ في غزوة محارب وبنو ثعلبة عبدا يقال له يسار، فجعله رسول الله ﷺ في لفتح له كانت ترعى في ناحية الجماء^(٤)، فقدم على رسول الله ﷺ نفر من قيس كبة من بجيلة، فاستوثوا، وطحلوا^(٥)، فقال لهم رسول الله ﷺ: «لو خرجتم إلى اللقاح فشربتم من ألبانها وأبوالها»، فخرجوا إليها.

فلما صحوا وانطوت بطونهم، عدوا على راعي رسول الله ﷺ يسار، فذبحوه وغرزوا الشوك في عينيه، واستاقوا اللقاح. فبعث رسول الله ﷺ في آثارهم كرز بن جابر، فلحقهم، فأتى بهم رسول الله ﷺ مرجعه من غزوة ذي قرد، فقطع أيديهم وأرجلهم، وسمل أعينهم^(٦).

= ٣٨٢/١ رقم ٨٢١، عيون الأثر ٢/٢٠٧ (وفيه سرية علقمة بن محرز المدلجي إلى الحبيشة)، عيون التواريخ ١/٣٦٠، ٣٦١ (وفيه علقمة بن مجزر)، البدء والتاريخ ٤/٢٣٩، نهاية الأرب ١٧/٣٥١.

(١) يحتجج: يشد ثوبه على خصره.

(٢) المغازي للواقدي ٣/٩٨٤، طبقات ابن سعد ٢/١٦٣، سنن ابن ماجه ٢/٩٥٥، ٩٥٦ في كتاب الجهاد، باب لا طاعة في معصية الله (٢٨٦٣) وهو بالسند المذكور هنا، وبنصه باختلاف في الألفاظ، وآخره «من أمركم منهم بمَعْصِيَةٍ مِنْهُمْ فَلَا تُطِيعُوهُ». وهو في مسند أحمد ٣/٦٧.

(٣) طبقات ابن سعد ٢/٩٣ (وفيه: سرية كرز بن جابر الفهري إلى الغزنيين).

(٤) الجماء: جُبيل من المدينة على ثلاثة أميال من ناحية العقيق إلى الجُزف. (معجم البلدان ٢/١٥٨).

(٥) استوثوا: أصيبوا بالأوبئة. طحلوا: أصيبوا ببدء الطحال.

(٦) طبقات ابن سعد ٢/٩٣، المغازي للواقدي ٢/٥٦٨، تاريخ خليفة ٥٧، أنساب الأشراف ١/٣٧٨، ٣٧٩ رقم ٧٩٦، نهاية

الأرب ١٧ ج ٢١٣، ٢١٤، تاريخ الإسلام (المغازي) ٣٥٦، ٣٥٧، البداية والنهاية ٤/١٧٩، ١٨٠، عيون التواريخ ١/٢٥٣، وقد أخرج البخاري حديث هذه الغزوة في كتاب المغازي، باب قصة عكْل وَعَرْبِيَّة (٧٠، ٧١) ومسلم في كتاب القسامة والمحاربين والقصاص والذيات، (٣/١٢٩٦ - ١٢٩٨) باب حكم المحاربين المرتدّين. (١٦٧١) وانظر كتاب الحدود عند البخاري، وكتاب المحاربين من أهل الكفر والرذّة، باب: لم يُسَقِّ المحاربون والمرتدّون حتى ماتوا. وباب سمل النبي ﷺ أعين المحاربين.

غزوة علي بن أبي طالب إلى اليمن^(١): وغزوة علي بن أبي طالب رضوان الله عليه إلى اليمن، غزاها مرتين.

قال ابن هشام: قال أبو عمرو المدني: بعث رسول الله ﷺ علي بن أبي طالب إلى اليمن، وبعث خالد بن الوليد في جُند آخر، وقال: إن التقيتما فالأمير علي بن أبي طالب.

وقد ذكر ابن إسحاق بعث خالد بن الوليد في حديثه، ولم يذكره في عدة البعث والسرايا، فينبغي أن تكون العدة في قوله تسعة وثلاثين.

بعث أسامة بن زيد إلى أرض فلسطين وهو آخر البعث: قال ابن إسحاق: وبعث رسول الله ﷺ أسامة بن زيد بن حارثة إلى الشام، وأمره أن يوطئ الخيل تخوم البلقاء والداروم، من أرض فلسطين، فتجهز الناس، وأوعب مع أسامة المهاجرون الأولون^(٢).

قال ابن هشام: وهو آخر بعث بعثه رسول الله ﷺ.

ابتداء شكوى رسول الله ﷺ

قال ابن إسحاق: فبينما الناس على ذلك، ابتدئ رسول الله ﷺ بشكوه الذي قبضه الله فيه، إلى ما أراد به من كرامته ورحمته، في ليال بقين من صفر، أو في أول شهر ربيع الأول، فكان أول ما ابتدئ به من ذلك، فيما ذكر لي، أنه خرج إلى بقيع العزقد، من جوف الليل، فاستغفر لهم، ثم رجع إلى أهله، فلما أصبح ابتدئ بوجعه من يومه ذلك.

قال ابن إسحاق: وحدثني عبد الله بن عمر، عن عبيد بن جبير، مولى الحكم بن أبي العاص، عن عبد الله بن عمرو بن العاص، عن أبي مؤهبة، مولى رسول الله ﷺ، قال: بعثني رسول الله ﷺ من جوف الليل، فقال: يا أبا مؤهبة، إني قد أمرت أن أستغفر لأهل هذا البقيع، فانطلق معي، فانطلقت معه، فلما وقف بين أظهرهم، قال: السلام عليكم يا أهل المقابر، ليهنئ لكم ما أصبحتم فيه مما أصبح الناس فيه، أقبلت الفتن كقطع الليل المظلم، يتبع آخرها أولها، الآخرة شر من الأولى، ثم أقبل علي، فقال: يا أبا مؤهبة، إني قد أوتيت مفاتيح خزائن الدنيا والخلد فيها، ثم الجنة، فخيرت بين ذلك وبين لقاء ربي والجنة. قال: فقلت: بأبي أنت وأمي، فخذ مفاتيح خزائن الدنيا والخلد فيها، ثم الجنة؛ قال: لا والله يا أبا مؤهبة، لقد اخترت لقاء ربي والجنة، ثم استغفر لأهل البقيع، ثم انصرف، فبدأ برسول الله ﷺ وجعه الذي قبضه الله فيه^(٣).

تمريضه في بيت عائشة: قال ابن إسحاق: وحدثني يعقوب بن عتبة، عن محمد بن مسلم الزهري، عن عبيد الله بن عتبة بن مسعود، عن عائشة زوج النبي ﷺ قالت: رجع رسول الله ﷺ من البقيع، فوجدني وأنا أجد صداعاً في رأسي، وأنا أقول: وا رأساه، فقال: «بل أنا والله يا عائشة وا

(١) طبقات ابن سعد ٢/١٦٩، ١٧٠، المغازي للواقدي ٣/١٠٧٩ - ١٠٨٣، أنساب الأشراف ١/٣٨٤ رقم ٨٢٦، البدء والتاريخ ٤/٢٤١، المحبر ١٢٥.

(٢) سبق أن ذكر المؤلف هذا الخبر بعد خطبة الوداع. فليراجع.

(٣) طبقات ابن سعد ٢/٢٠٤، تاريخ الطبري ٣/١٨٨، دلائل النبوة للبيهقي ٢/٧١٦، ٧١٧، أنساب الأشراف ١/٥٤٤، نهاية الأرب ١٨/٣٦٢، تاريخ الإسلام (السيرة) ٥٤٥، سيرة ابن كثير ٤/٤٤٣، ٤٤٤.

رأساء». قالت: ثم قال: «وما ضرك لو مُتُّ قبلي، فقمْتُ عليك وكفنتك، وصلَّيت عليك ودفنتك؟» قالت: قلت: والله لكأني بك، لو قد فعلت ذلك، لقد رجعتُ إلى بيتي فأعرست فيه ببعض نساءك، قالت: فتبسّم رسول الله ﷺ، وتنام به وجعه، وهو يدور على نسائه، حتى استعزَّ به^(١)، وهو في بيت ميمونة، فدعا نساءه، فاستأذنهنَّ في أن يُمرَّض في بيتي، فأذُنَّ له^(٢).

ذكر أزواجه ﷺ^(٣): قال ابن هشام: وكنَّ تسعاً: عائشة بنت أبي بكر، وحفصة بنت عمر بن الخطاب، وأم حبيبة بنت أبي سفيان بن حرب، وأم سلمة بنت أبي أمية بن المغيرة، وسودة بنت زمعة بن قيس، وزينب بنت جحش بن رثاب، وميمونة بنت الحارث بن حزن، وجويرية بنت الحارث بن أبي ضرار، وصفية بنت حيي بن أخطب، فيما حدثني غير واحد من أهل العلم.

خديجة: وكان جميع من تزوج رسول الله ﷺ ثلاث عشرة: خديجة بنت خويلد، وهي أول من تزوج، وزوجه إياها أبوها خويلد بن أسد، ويقال أخوها عمرو بن خويلد^(٤)، وأصدقها رسول الله ﷺ عشرين بكرة، فولدت لرسول الله ﷺ ولده كلهم إلا إبراهيم، وكانت قبله عند أبي هالة بن مالك^(٥)، أحد بني أسيد بن عمرو بن تميم، حليف بني عبد الدار، فولدت له هند بن أبي هالة، وزينب بنت أبي هالة، وكانت قبل أبي هالة عند عتيق بن عابد بن عبد الله بن عمر بن مخزوم، فولدت له عبد الله، وجارية.

قال ابن هشام: جارية من الجواري، تزوجها صيفي بن أبي رفاعة.

(١) استعزَّ به: غلبه.

(٢) انظر: طبقات ابن سعد ٢/٢٣٢، والمصنف لعبد الرزاق ٥/٤٢٩، ٤٣٠، ومصنف ابن أبي شيبة ١٤/٥٦٠ رقم ١٨٨٨٥، ودلائل النبوة للبيهقي ٢/٧٢٣، وتاريخ الطبري ٣/١٨٨، ١٨٩ و١٩٥، وأنساب الأشراف ١/٥٤٤، ٥٤٥، والكامل في التاريخ ٢/٣١٨، ونهاية الأرب ١٨/٢٦٣، ٢٦٤، وتاريخ الإسلام (السيرة - بتحقيقنا) ٥٤٧، ٥٤٨، سيرة ابن كثير ٤/٤٤٥ - ٤٤٧، وعيون الأثر ٢/٣٣٦، والمغازي لعروة ٢٢٢، والبدء والتاريخ ٤/٢٤٢.

(٣) انظر عن عدد أزواج النبي ﷺ وأسمائهن:

تسمية أزواج النبي ﷺ، لأبي عبيدة معمر بن المثنى - ص ٤٤ وما بعدها، وطبقات سعد ٨/٥٢ وما بعدها، وتاريخ الطبري ٣/١٦٠ وما بعدها، وتاريخ اليعقوبي ٢/٨٤ - ٨٦، والمحبر لابن حبيب ٧٧ - ٩٩، وأنساب الأشراف ١/٣٩٦ وما بعدها، والاستيعاب لابن عبد البر ١/٤٤ وما بعدها، وذيل المنذيل للطبري ٦٠٠ وما بعدها، وصفة الصفوة لابن الجوزي ١/٧٧، ونهاية الأرب ١٨/١٧٠ وما بعدها، والكامل في التاريخ لابن الأثير ٢/٣٠٧ - ٣١٠، وتهذيب الكمال للمزي ١/٢٠٣، وتهذيب الأسماء واللغات للنووي ق ١ ج ٢/٣٤١، وتاريخ الإسلام للذهبي (السيرة - بتحقيقنا) ٥٩٢ - ٥٩٩، والبداء والنهاية لابن كثير ٢/٢٩٣، وما بعدها، وتهذيب تاريخ دمشق ١/٢٩٣، وتاريخ دمشق (السيرة) ١٣٦ - ١٩٨، والسير والمغازي لابن إسحاق ٢٤٥ - ٢٦٩، والسمط الثمين للمحب الطبري ١٣٩ وما بعدها.

(٤) وقيل بل عمرو بن أمية عمها وكان شيخاً كبيراً وهو الصحيح، على ما في نهاية الأرب ١٦/٩٨ وعند ابن سعد في الطبقات ١/١٣٢ هو عمرو بن أسد بن عبد العزى، وهو يومئذ شيخ كبير لم يبق لأسد لصلبه يومئذ غيره، ولم يلد عمرو بن أسد شيئاً.

وينفي الواقدي الأقوال الأخرى فيقول: «فهذا كله عندنا غلط ووهم. والثبت عندنا المحفوظ عن أهل العام أن أباهما خويلد ابن أسد مات قبل الفجار. وأن عمها عمرو بن أسد زوجها رسول الله ﷺ. (طبقات ابن سعد ١/١٣٣).

(٥) هو أبو هالة بن زُرارة بن نباش بن زُرارة بن حبيب بن سلامة. (تاريخ الطبري ٣/١٦١).

عائشة: وتزوج رسول الله ﷺ عائشة بنت أبي بكر الصديق بمكة، وهي بنت سبع سنين، وبنى بها بالمدينة، وهي بنت تسع سنين أو عشر، ولم يتزوج رسول الله ﷺ بكرةً غيرها، وزوجه إياها أبو بكر، وأصدقها رسول الله ﷺ أربع مائة درهم^(١).

سودة: وتزوج رسول الله ﷺ سودة بنت زمعة بنت قيس بن عبد شمس بن عبد ود بن نصر بن مالك بن حسل بن عامر بن لؤي، وزوجه إياها سليل بن عمرو، ويقال أبو حاطب بن عمرو بن عبد شمس بن عبد ود بن نصر بن مالك بن حسل، وأصدقها رسول الله ﷺ أربع مائة درهم.

قال ابن هشام: ابن إسحاق يخالف هذا الحديث، يذكر أن سليلاً وأبا حاطب كانا غائبين بأرض الحبشة في هذا الوقت^(٢).

وكانت قبله عند السكران بن عمرو بن عبد شمس بن عبد ود بن نصر بن مالك بن حسل.

زينب بنت جحش: وتزوج رسول الله ﷺ زينب بنت جحش بن رثاب الأسدية. وزوجه إياها أخوها أبو أحمد بن جحش، وأصدقها رسول الله ﷺ أربع مائة درهم، وكانت قبله عند زيد بن حارثة، مولى رسول الله ﷺ، ففيها أنزل الله تبارك وتعالى: ﴿فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا﴾ [الاحزاب: ٣٧]^(٣).

أم سلمة: وتزوج رسول الله ﷺ أم سلمة بنت أبي أمية بن المغيرة المخزومية، واسمها هند؛ وزوجه إياها سلمة بن أبي سلمة ابنها، وأصدقها رسول الله ﷺ فراشاً حشوه ليف، وقدحاً، وصحفه، ومجشة^(٤)؛ وكانت قبله عند أبي سلمة بن عبد الأسد، واسمه عبد الله، فولدت له سلمة وعمر وزينب ورقية^(٥).

حفصة: وتزوج رسول الله ﷺ حفصة بنت عمر بن الخطاب، وزوجه إياها أبوها عمر ابن الخطاب، وأصدقها رسول الله ﷺ أربع مائة درهم، وكانت قبله عند خنيس بن حذافة السهمي^(٦).

أم حبيبة: وتزوج رسول الله ﷺ أم حبيبة، واسمها زملة بنت أبي سفيان بن حرب، وزوجه إياها خالد بن سعيد بن العاص، وهما بأرض الحبشة، وأصدقها النجاشي عن رسول الله ﷺ أربع مائة دينار، وهو الذي كان خطبها على رسول الله ﷺ، وكانت قبله عند عبيد الله بن جحش الأسدي^(٧).

(١) انظر: صحيح البخاري في فضائل أصحاب النبي ﷺ، باب تزويج النبي ﷺ عائشة. وفي النكاح، باب إنكاح الرجل ولده الصغار. وباب تزويج الأب ابنته من الإمام، وباب الدعاء للنساء اللاتي يهدين العروس للعروس. وباب من بنى بامرأة وهي بنت تسع سنين. وباب البناء بالنهار بغير مركب ولا نيران. ومسلم (١٤٢٢) في النكاح، باب تزويج الأب البكر الصغيرة، وأبو داود في النكاح (١٢٢١) باب في تزويج الصغار، ورقم (٤٩٣٣، ٤٩٣٤، ٤٩٣٥، ٤٩٣٦، ٤٩٣٧) في الأدب، باب في الأرجوحة. والنسائي (٨٢/٦) في النكاح، باب إنكاح الرجل ابنته الصغيرة. و(جامع الأصول لابن الأثير ٤٠٧/١١).

(٢) انظر السير والمغازي لابن إسحاق ٢٥٤ وفيه أن النبي ﷺ تزوجها بعد خديجة رضي الله عنها، ثم تزوج عائشة بعدها (٢٥٥).

(٣) انظر السير والمغازي لابن إسحاق ٢٦٢. (٤) المجشة: الرحي.

(٥) انظر: السير والمغازي لابن إسحاق ٢٦٠، ٢٦١.

(٦) السير والمغازي ٢٥٧.

(٧) السير والمغازي ٢٥٩، تاريخ الطبري ١٦٥/٣.

جويرية بنت الحارث: وتزوج رسول الله ﷺ جويرية بنت الحارث بن أبي ضرار الخزاعية، كانت في سبايا بني المصطلق من خزاعة، فوقعت في السهم لثابت بن قيس بن الشماس الأنصاري، فكاتبتها على نفسها، فأنت رسول الله ﷺ تستعينه في كتابتها. فقال لها: هل لك في خير من ذلك؟ قالت: وما هو؟ قال: «أقضي عنك كتابتك وأتزوجك»؟ فقالت: نعم، فتزوجها.

قال ابن هشام: حدثنا بهذا الحديث زياد بن عبد الله البكائي، عن محمد بن إسحاق، عن محمد بن جعفر بن الزبير، عن عروة، عن عائشة.

قال ابن هشام: ويقال: لما انصرف رسول الله ﷺ من غزوة بني المصطلق، ومعه جويرية بنت الحارث، فكان بذات الجيش، دفع جويرية إلى رجل من الأنصار وديعة، وأمره بالاحتفاظ بها، وقدم رسول الله ﷺ المدينة، فأقبل أبوها الحارث بن أبي ضرار بفداء ابنته، فلما كان بالعقيق نظر إلى الإبل التي جاء بها للفداء، فرغب في بيعين منها، فغيبهما في شُعب من شعاب العقيق، ثم أتى النبي ﷺ، فقال: يا محمد، أصبتم ابنتي، وهذا فداؤها، فقال رسول الله ﷺ: فأين البعيران اللذان غيبت بالعقيق في شعب كذا وكذا؟ فقال الحارث: أشهد أن لا إله إلا الله، وأنت رسول الله، صلى الله عليك، فوالله ما أطلع على ذلك إلا الله تعالى، فأسلم الحارث، وأسلم معه ابنان له وناس من قومه، وأرسل إلى البعيرين، فجاء بهما، فدفع الإبل إلى النبي ﷺ، ودفعت إليه ابنته جويرية، فأسلمت وحسن إسلامها، وخطبها رسول الله ﷺ إلى أبيها، فزوجه إياها، وأصدقها أربع مائة درهم، وكانت قبل رسول الله ﷺ عند ابن عم لها يقال له عبد الله.

قال ابن هشام: ويقال اشتراها رسول الله ﷺ من ثابت بن قيس، فأعتقها وتزوجها، وأصدقها أربع مئة درهم^(١).

صفية بنت حيي: وتزوج رسول الله ﷺ صفية بنت حيي بن أخطب، سبها من خيبر، فاصطفاها لنفسه، وأولم رسول الله ﷺ وليمة، ما فيها شحم ولا لحم، كان سويقاً وتمراً، وكانت قبله عند كنانة بن الربيع بن أبي الحقيق^(٢).

ميمونة بنت الحارث: وتزوج رسول الله ﷺ ميمونة بنت الحارث بن حزن بن بحير بن هزم بن ربيعة بن عبد الله بن هلال بن عامر بن صعصعة، زوجه إياها العباس بن عبد المطلب، وأصدقها العباس عن رسول الله ﷺ أربع مائة درهم، وكانت قبله عند أبي رهم بن عبد العزى بن أبي قيس بن عبد ود بن نصر بن مالك بن حسل بن عامر بن لؤي؛ ويقال: إنها التي وهبت نفسها للنبي ﷺ، وذلك أن خطبة النبي ﷺ انتهت إليها وهي على بعيرها، فقالت: البعير وما عليه لله ولرسوله؛ فأنزل الله تبارك وتعالى: ﴿وَأَمْرًا مُؤْمِنَةً إِنْ وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ﴾ [الأحزاب: ٥٠].

ويقال: إن التي وهبت نفسها للنبي ﷺ زينب بنت جحش، ويقال أم شريك، غزية بنت جابر بن وهب من بني منقر بن عمرو بن معيص بن عامر بن لؤي، ويقال: بل هي امرأة من بني سامة بن لؤي، فأرجأها رسول الله ﷺ^(٣).

(٢) السير والمغازي ٢٦٤.

(١) انظر السير والمغازي ٢٦٣.

(٣) السير والمغازي ٢٦٦.

زينب بنت خزيمة: وتزوج رسول الله ﷺ زينب بنت خزيمة بن الحارث بن عبد الله بن عمرو بن عبد مناف بن هلال بن عامر بن صعصعة، وكانت تسمى أم المساكين، لرحمتها إياهم، ورقتها عليهم، وزوجه إياها قبيصة بن عمرو الهلالي، وأصدقها رسول الله ﷺ مائة درهم، وكانت قبله عند عبيدة^(١) بن الحارث بن عبد المطلب بن عبد مناف، وكانت قبل عبيدة عند جهم بن عمرو بن الحارث، وهو ابن عمها.

فهؤلاء اللاتي بنى بهن رسول الله ﷺ إحدى عشرة، فمات قبله منهن ثنتان: خديجة بنت خويلد، وزينب بنت خزيمة. وتوفي عن تسع قد ذكرناهن في أول هذا الحديث؛ وثنتان لم يدخل بهما: أسماء بنت النعمان الكندية، تزوجها فوجد بها بياضاً، فمتعها^(٢) وردّها إلى أهلها^(٣)، وعمرة بنت يزيد الكلابية وكانت حديثة عهد بكفر؛ فلما قدمت على رسول الله ﷺ، استعادت من رسول الله ﷺ، فقال رسول الله ﷺ: «منيع عائذ الله»، فردّها إلى أهلها.

ويقال: إن التي استعادت من رسول الله ﷺ كندية بنت عم لأسماء بنت النعمان، ويقال إن رسول الله ﷺ دعاها، فقالت: إنا قوم نُؤتي ولا نأتي؛ فردّها رسول الله ﷺ إلى أهلها^(٤).

القرشيات منهن: القرشيات من أزواج النبي ﷺ ست: خديجة بنت خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي؛ وعائشة بنت أبي بكر بن أبي قحافة بن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب؛ وحفصة بنت عمر بن الخطاب بن نفيل بن عبد العزى بن عبد الله بن قرط ابن رياح بن رزاح بن عدي بن كعب بن لؤي، وأم حبيبة بنت أبي سفيان بن حرب ابن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي، وأم سلمة بنت أبي أمية بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم بن يقظة بن مرة بن كعب بن لؤي، وسودة بنت زمعة بن قيس بن عبد شمس بن عبد ود بن نصر بن مالك بن حسل بن عامر بن لؤي^(٥).

العربيات وغيرهن: والعربيات وغيرهن سبع: زينب بنت جحش بن رثاب بن يعمر بن صبرة بن مرة بن كبير بن عنم بن دؤدان بن أسد بن خزيمة؛ وميمونة بنت الحارث بن حزن ابن بحير بن هزم بن ربيعة بن عبد الله بن هلال بن عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس بن عيلان؛ وزينب بنت خزيمة بن الحارث بن عبد الله بن عمرو بن عبد مناف بن هلال بن عامر بن صعصعة بن معاوية؛ وجويرية بنت الحارث بن أبي ضرار الخزاعية، ثم المصطلقية؛

(١) في السير والمغازي ٢٥٨: وكانت قبله عند الحصين بن الحارث أو عند أخيه الطفيل بن الحارث بن عبد المطلب بن عبد مناف.

(٢) متعها: أعطاهما ما تتمتع به.

(٣) طبقات ابن سعد ١٤٨/٨ المحبر ٩٦، تسمية أزواج النبي ٦٩.

(٤) اختلف أهل العلم في الزوجات اللاتي طلقهن وأسباب ذلك. انظر: تسمية أزواج النبي ٦٩ و٧٠، وطبقات ابن سعد ٨/١٤١، ١٤٤، ١٤٥، ١٤٧، ١٤٨، وذيل المذيل للطبري ٦١٤، والمحبر لابن حبيب ٩٦، وأسد الغابة لابن الأثير ٥/٥٦٤، وتاريخ الإسلام (السيرة) للذهبي ٥٩٤، ٥٩٥، وعيون الأثر ٣١١/٢، والسمط الثمين ١٢٦.

(٥) تاريخ الإسلام (السيرة) ٥٩٣، تسمية أزواج النبي لأبي عبيدة ٧٧.

وأسماء بنت النعمان الكندية؛ وعمرة بنت يزيد الكلابية.

ومن غير العربيات: صفية بنت حُيي بن أخطب، من بني النضير^(١).

تمريض رسول الله في بيت عائشة

قال ابن إسحاق: حدثني يعقوب بن عتبة، عن محمد بن مسلم الزهري، عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة، عن عائشة زوج النبي ﷺ، قالت: فخرج رسول الله ﷺ يمشي بين رجلين من أهله: أحدهما الفضل بن العباس، ورجل آخر، عاصباً رأسه، تحطّ قدماه، حتى دخل بيتي.

قال عبيد: فحدثت هذا الحديث عبد الله بن العباس، فقال: هل تدري من الرجل الآخر؟ قال: قلت: لا؟ قال: علي بن أبي طالب^(٢).

اشتداد المرض: ثم عُمر رسول الله ﷺ، واشتد به وجعه، فقال هريقوا عليّ سبع قِرب من آبار شتى، حتى أخرج إلى الناس فأعهد إليهم. قالت: فأعدناه في منخضب^(٣) لحفصة بنت عمر، ثم صببنا عليه الماء حتى طفق يقول: «حسبكم حسبكم»^(٤).

(١) روي عن قتادة أن رسول الله ﷺ تزوّج خمس عشرة امرأة، ودخل بثلاث عشرة منهن، واجتمع عنده منهن إحدى عشرة وقبض عن تسع. تسمية أزواج النبي ﷺ لأبي عبيدة ٧٧، المحبّر ٩٨، تاريخ الإسلام (السيرة) ٥٩٢.

ويقول خادم العلم الشريف الفقير إلى الله تعالى محقق هذا الكتاب «عمر بن عبد السلام تدمري» إن المؤلف - رحمه الله - لم يذكر في الأزواج: «قتيلة» وهي أخت الأشعث بن قيس، ومات قبل أن يخبرها فبهازها الله منه (طبقات ابن سعد ١٤٧/٨، ١٤٨. تسمية أزواج النبي ﷺ ٧٢، ٧٣، تاريخ الإسلام (السيرة) ٥٩٣٢) و«فاطمة بنت الضحّاك» وقد اختلف في اسمها. تسمية أزواج النبي ٧٠، وذيل المنذيل ٦١١ و٦١٢، وطبقات ابن سعد ١٤١/٨، وتاريخ الإسلام (السيرة) ٥٩٤٢).

و«سنة بنت الصلت السلمية» وماتت قبل أن يصل إليها. (تسمية أزواج النبي ٧٣، ٧٤، المحبّر ٩٣، طبقات ابن سعد ٨/١٤٩، تاريخ الإسلام (السيرة) ٥٩٥، أسد الغابة ٤٨٢/٥) وقيل «سنة بنت سفيان الكلابية» في خبر لا يصح. (طبقات ابن سعد ٨/١٤٩) و«مليكة بنت كعب» وكانت تُذكر بجمالٍ بارع، فقيل إنها استعادت منه ﷺ فطلّقها. (طبقات ابن سعد ٨/١٤٨، ١٤٩، تاريخ الإسلام (المغازي) ٥٩٥، ٥٩٦) و«العالية بنت ظبيان» من بني كلاب، وفارقها. (طبقات ابن سعد ٨/١٤٣، تاريخ الإسلام (السيرة) ٥٩٦) و«خولة بنت هذيل الثعلبية» حُملت إليه من الشام فماتت في الطريق، فنكح خالتها «شراف بنت فضالة» فماتت في الطريق أيضاً. (طبقات ابن سعد ١٦٠/٨، ١٦١، نهاية الأرب ١٨/١٩٨، تاريخ الإسلام (المغازي) ٥٩٦).

قال الحافظ الذهبي بعد ذكره لأسماء زوجات النبي ﷺ: «هذا ونحوه إنّما أوردته للتعجب لا للتقدير». (تاريخ الإسلام - السيرة - ٥٩٧).

وقال ابن عبد البر في الاستيعاب ٣٤/١: «وأما اللواتي اختلف فيهنّ منّ ابنتي بها وفارقها، أو عقد عليها ولم يدخل بها، أو خطبها ولم يتمّ له العقد معها، فقد اختلف فيهنّ وفي أسباب فراقهنّ اختلافاً كثيراً، يوجب التوقف عن القطع بالصحة في واحدة منهنّ».

(٢) انظر: طبقات ابن سعد ٢/٢٣٢، والمصنّف لعبد الرزاق ٤٢٩/٥، ٤٣٠، ومصنّف ابن أبي شيبة ١٤/٥٦٠ رقم ١٨٨٨٥، وأنساب الأشراف ١/٥٤٤، ٥٤٥، ودلائل النبوة للبيهقي ٢/٧٢٣، وتاريخ الطبري ٣/١٨٨، ١٨٩، ١٩٥، ٥٤٥، ونهاية الأرب ١٨/٦٢٣، ٢٦٤، وتاريخ الإسلام (السيرة) ٥٤٧، ٥٤٨، وسيرة ابن كثير ٤/٤٤٥ - ٤٤٧، وعيون الأثر ٢/٣٣٦.

(٣) المنخضب: إناء يُغتسل به.

(٤) أخرجه البخاري في الوضوء (٥٧/١) باب الغُسل والوضوء في المنخضب والقدح والخشب والحجارة، وفي الطب (٧/١٨) باب (حدثنا بشر بن محمد..). في المغازي (١٣٩/٥) باب فرض النبي ﷺ ووفاته. وأحمد في المسند ٦/١٥١ و٢٢٨، والطبري في التاريخ ٣/١٨٩، والذهبي في تاريخ الإسلام (السيرة) ٥٤٩.

خطبة للنبي وتفضيله أبا بكر:

قال ابن إسحاق: وقال الزهري: حدثني أيوب بن بشير: أن رسول الله ﷺ خرج عاصباً رأسه حتى جلس على المنبر، ثم كان أول ما تكلم به أنه صلى على أصحاب أحد، واستغفر لهم، فأكثر الصلاة عليهم، ثم قال: إن عبداً من عباد الله خيّر الله بين الدنيا وبين ما عنده، فاختار ما عند الله. قال: ففهمها أبو بكر، وعرف أن نفسه يريد، فبكى وقال: بل نحن نُفْذِك بأنفسنا وأبنائنا، فقال: على رسلك يا أبا بكر، ثم قال: «انظروا هذه الأبواب اللافظة»^(١) في المسجد، فسدوها إلا بيت أبي بكر، فإنني لا أعلم أحداً كان أفضل في الصحبة عندي يداً منه»^(٢).

قال ابن هشام: ويروى: إلا باب أبي بكر.

قال ابن إسحاق: وحدثني عبد الرحمن بن عبد الله، عن بعض آل أبي سعيد ابن المعلّى: أن رسول الله ﷺ، قال يومئذ في كلامه هذا: «فإنني لو كنت متخذاً من العباد خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلاً، ولكن صحبة وإخاء وإيمان حتى يجمع الله بيننا عنده»^(٣).

أمر بإنفاذ بعث أسامة: وقال ابن إسحاق: وحدثني محمد بن جعفر بن الزبير، عن عروة بن الزبير وغيره من العلماء، أن رسول الله ﷺ استبطأ الناس في بعث أسامة بن زيد، وهو في وجعه، فخرج عاصباً رأسه حتى جلس على المنبر، وقد كان الناس قالوا في إمرة أسامة: أمر غلاماً حدثاً على جلة المهاجرين والأنصار.

فحمّد الله وأثنى عليه بما هو له أهل، ثم قال: «أيها الناس، أنفذوا بعث أسامة، فلعمري لئن قلت في إمارته لقد قلت في إمارة أبيه من قبله، وإنه لخليق للإمارة، وإن كان أبوه لخليقاً لها»^(٤).

قال: ثم نزل رسول الله ﷺ، وانكمش^(٥) الناس في جهازهم، واستعز برسول الله ﷺ وجعه، فخرج أسامة، وخرج جيشه معه حتى نزلوا الجُرف، من المدينة على فرسخ، فضرب به عسكره، وتأم إليه الناس، وثقل رسول الله ﷺ، فأقام أسامة والناس، لينظروا ما الله قاضٍ في رسول الله ﷺ.

(١) اللافظة: النافذة.

(٢) أخرجه البخاري في الصلاة (١/١١٩، ١٢٠) باب الخوخة والممرّ في المسجد، وفي فضائل أصحاب النبي ﷺ (٤/١٩٠، ١٩١) باب قول النبي ﷺ: سدّوا الأبواب إلا باب أبي بكر. والترمذي في المناقب (٣٧٣٥) مناقب أبي بكر الصديق رضي الله عنه، و(٣٧٤٠)، وأحمد في المسند ٢/٢٦٦ و٣/١٨، وعبد الرزاق في المصنّف ٥/٣٤١، والبلاذري في أنساب الأشراف ١/٥٤٧، والذهبي في تاريخ الإسلام (السيرة) ٥٤٩.

(٣) رواه الترمذي في المناقب (٣٧٣٩) باب رقم (٥١).

(٤) أخرجه البخاري في فضائل أصحاب النبي ﷺ (٤/٢١٣) باب ذكر أسامة بن زيد، وفي المغازي (٥/٨٤) باب غزوة زيد بن حارثة. و(٥/١٤٥) باب بعث النبي ﷺ أسامة بن زيد رضي الله عنهما في مرضه الذي توفي فيه. وفي كتاب الإيمان (٧/٢١٧) باب قول النبي ﷺ: وإيم الله. وفي الأحكام (٨/١١٧) باب من لم يكثر بطعن من يعلم في الأمراء حديثاً، ومسلم في فضائل الصحابة (٦٣ و٦٤/٢٤٢٦) باب فضائل زيد بن حارثة وأسامة بن زيد رضي الله عنهما. والترمذي في المناقب (٣٩٠٤) باب مناقب زيد بن حارثة رضي الله عنه. وأحمد في المسند ٢/٢٠، ٨٩، ١٠٦، ١١٠ وابن سعد في الطبقات ٢/١٩٠، والذهبي في تاريخ الإسلام (المغازي) ٧١٤.

(٥) انكمش الناس في جهازهم: أسرعوا فيه.

وصايته بالأنصار: قال ابن إسحاق: قال الزهري: وحدثني عبد الله بن كعب بن مالك: أن رسول الله ﷺ قال يوم صلى واستغفر لأصحاب أحد، وذكر من أمرهم ما ذكر مع مقالته يومئذ: «يا معشر المهاجرين، استوصوا بالأنصار خيراً، فإن الناس يزيدون، وإن الأنصار على هيئتها لا تزيد، وإنهم كانوا عييتي^(١) التي أويت إليها، فأحسنوا إلى مُحْسِنِهِمْ، وتجاوزوا عن مُسِيئِهِمْ»^(٢).

قال عبد الله: ثم نزل رسول الله ﷺ، فدخل بيته، وتأم به وجعه، حتى غمِر.

اللدود^(٣): قال عبد الله: فاجتمع إليه نساء من نسائه: أم سلمة، وميمونة، ونساء من نساء المسلمين، منهن أسماء بنت عميس، وعنده العباس عمه، فأجمعوا أن يلدوه، وقال العباس: لألدنه. قال: فلدوه، فلما أفاق رسول الله ﷺ، قال: مَنْ صَنَعَ هَذَا بِي؟ قالوا: يا رسول الله، عمك، قال: هذا دواء أتى به نساء جنن من نحو هذه الأرض، وأشار نحو أرض الحبشة؛ قال: ولم فعلتم ذلك؟ فقال عمه العباس: خشينا يا رسول الله أن يكون بك ذات الجنب، فقال: إن ذلك لداء ما كان الله عز وجل ليقدفني به، لا يَبْقُ في البيت أحدٌ إلا لُدَّ إلا عمي، فلقد لُدَّت ميمونة وإنها لصائمة، لقسم رسول الله ﷺ، عقوبة لهم بما صنعوا به^(٤).

دعاؤه لأسامة بالإشارة: قال ابن إسحاق: وحدثني سعيد بن عبيد بن السَّبَّاق، عن محمد بن أسامة، عن أبيه أسامة بن زيد، قال: لما ثقل رسول الله ﷺ، هبطت وهبط الناس معي إلى المدينة، فدخلت على رسول الله ﷺ، وقد أضمت فلا يتكلم، فجعل يرفع يده إلى السماء ثم يضعها عليّ، فأعرف أنه يدعو لي^(٥).

قال ابن إسحاق: وقال ابن شهاب الزهري: حدثني عبيد بن عبد الله بن عتبة، عن عائشة، قالت: كان رسول الله ﷺ كثيراً ما أسمعه يقول: إن الله لم يقبض نبياً حتى يُخَيَّرَهُ. قالت: فلما حضر رسول الله ﷺ كان آخر كلمة سمعتها وهو يقول: «بل الرفيق الأعلى^(٦) من الجنة». قالت: فقلت: إذا

(١) عييتي: مكنن سري.

(٢) أخرجه أحمد في المسند ٣/٢٤١ من حديث أنس بن مالك قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «استوصوا بالأنصار خيراً أو قال معروفًا. أقبلوا من محسنهم وتجاوزوا عن مسيئهم». وابن سعد ٢/٢٥١.

(٣) اللدود: مجموعة من سبعة أدوية مخلوطة يُجعل في جانب الفم في داخله ويحك بالأصبع قليلاً.

(٤) انظر طبقات ابن سعد ٢/٢٣٢، والمصنف لعبد الرزاق ٥/٤٢٩، ٤٣٠، ومصنف ابن أبي شيبة ١٤/٥٦٠ رقم ١٨٨٨٥، وأنساب الأشراف ١/٥٤٤، ٥٤٥، ودلائل النبوة لليهيقي ٢/٧٢٣. وتاريخ الطبري ٣/١٨٨، ١٨٩، ١٩٥، ونهاية الأرب ١٨/٢٦٣، ٢٦٤، وتاريخ الإسلام (السيرة) ٥٤٨، وسيرة ابن كثير ٤/٤٤٥ - ٤٤٧، وعيون الأثر ٢/٣٣٦.

(٥) أخرجه أحمد في المسند ٣/٢٤٣ بنحوه.

(٦) اللهم الرفيق الأعلى: وهذا منتزع من قوله تبارك وتعالى: «فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين» إلى قوله سبحانه: «وحسن أولئك رفيقاً» فهذا هو الرفيق الأعلى، ولم يقل الرفقاء لأن هل الجنة يدخلونها على قلب رجل واحد، وهي تتضمن معنى التوحيد الذي يجب أن يكون آخر كلام المؤمن، فإنه قال: «مع اللذين أنعم الله عليهم» وهم أصحاب الصراط المستقيم، وهم أهل لا إله إلا الله، قال الله تعالى: «إهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم» ثم بين في الآية المتقدمة من الذين أنعم الله عليهم فذكرهم، وهم الرفيق الأعلى الذين ذكرهم - رسول الله ﷺ - حين خيّر فاختار، وبعض الرواة يقول عن عائشة في هذا الحديث. فأشار بإصبعه، وقال: في الرفيق، وفي رواية أخرى أنه قال: اللهم الرفيق، وأشار بالسبابة، يريد التوحيد، فقد دخل بهذه الإشارة في عموم قوله عليه السلام من كان آخر كلامه =

والله لا يختارنا، وعرفت أنه الذي كان يقول لنا: «إن نبياً لم يقبض حتى يُخَيَّر»^(١).

أبو بكر يصلي بالناس: قال الزُّهري: وحدثني حمزة بن عبد الله بن عمر، أن عائشة قالت: لما استتمَّ برسول الله ﷺ قال: مُرُوا أبا بكر فليصل بالناس. قالت: قلت: يا نبي الله، إن أبا بكر رجل رقيق، ضعيف الصوت، كثير البكاء إذا قرأ القرآن. قال: مروه فليصل بالناس. قالت: فعدت بمثل قولي، فقال: إنكن صواحب يوسف، فمروه فليصل بالناس، قالت: فوالله ما أقول ذلك إلا أني كنت أحب أن يُصْرَفَ ذلك عن أبي بكر، وعرفت أن الناس لا يُحِبُّون رجلاً قام بمقامه أبداً، وأن الناس سيئتشاءمون به في كلِّ حدث كان، فكننت أحب أن يُصْرَفَ ذلك عن أبي بكر^(٢).

قال ابن إسحاق: وقال ابنُ شهاب: حدثني عبد الملك بن أبي بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام، عن أبيه، عن عبد الله بن زَمعة بن الأسود بن المُطَلَب بن أسد قال: لما استعزَّ برسول الله ﷺ وأنا عنده في نفر من المسلمين، قال: دعاه بلال إلى الصلاة، فقال: مروا مَنْ يصلي بالناس. قال: فخرجت فإذا عمر في الناس. وكان أبو بكر غائِباً؛ فقلت: قم يا عمر فصل بالناس قال: فقام، فلما كَبُرَ، سمع رسول الله ﷺ صوته، وكان عمر رجلاً مَجْهَرًا، قال: فقال رسول الله ﷺ: فأين أبو بكر؟ يأبى الله ذلك والمسلمون، يأبى الله ذلك والمسلمون. قال: فُبِعْتُ إلى أبي بكر، فجاء بعد أن صلى عمر تلك الصلاة، فصلى بالناس. قال: قال عبد الله بن زَمعة: قال لي عمر: ويحك، ماذا صنعت بي يا بن زَمعة، والله ما ظننت حين أمرتني إلا أن رسول الله ﷺ أمرك بذلك، ولولا ذلك ما صليت بالناس. قال: قلتُ والله ما أمرني رسول الله ﷺ بذلك، ولكني حين لم أر أبا بكر رأيتك أحق من حضر بالصلاة بالناس^(٣).

= لا إله إلا الله دخل الجنة، ولا شك أنه عليه السلام في أعلى درجات الجنة ولو لم يُبَشِّر، ولكن ذكرنا هذا لئلا يقول القائل: لم لم يكن آخر كلامه: لا إله إلا الله. وأول كلمة تكلم بها رسول الله ﷺ وهو مسترجع عند حليلة أن قال: الله أكبر. قاله الواقدي.

وأما آخر ما أوصى به عليه السلام بأن قال: «الصلاة وما ملكت أيمانكم»، حرك بها لسانه وما يكاد يبين، وفي قوله: ملكت أيمانكم قولان: قيل: أراد الرفق بالمملوك، وقيل: أراد الزكاة، أنها في القرآن مقرونة بالصلاة، وهي من ملك اليمين، قاله الخطابي.

(١) أخرجه البخاري في المغازي (١٣٨/٥، ١٣٩) باب مرض النبي ﷺ ووفاته، وفي الرقائق (١٩٢/٧) باب سكرات الموت، وفي الدعوات (١٥٥/٧) باب دعاء النبي ﷺ: اللهم الرفيق الأعلى. ومسلم في السلام (٢١٩١) باب استحباب رقية المريض. وفي فضائل الصحابة (٢٤٤٤) باب في فضل عائشة رضي الله تعالى عنها. وابن ماجه في الجنائز (١٦١٩) باب ما جاء في ذكر مرض رسول الله ﷺ. ومالك في الموطأ ١٥٩ رقم (٥٦٥) جامع الجنائز. وأحمد في المسند ٤٥/٦، ٤٨، ٧٤، ٨٩، ١٠٨، ١٢٠، ١٢٦، ٢٠٠، ٢٣١، ٢٧٤، وابن سعد في الطبقات ٢/٢١٠ والبلاذري في أنساب الأشراف ١/٥٤٨، وتاريخ الإسلام (السيرة) ٥٥٨.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الأذان (١٧٤/١، ١٧٥) باب من أسمع الناس تكبير الإمام، وباب الرجل يأتي بالإمام ويأتم الناس بالمأموم. وباب إذا بكى الإمام في الصلاة. وأخرجه ابن ماجه في إقامة الصلاة (١٢٣٢) باب ما جاء في صلاة رسول الله ﷺ في مرضه. وأحمد في المسند ٦/٢١٠، وابن سعد في الطبقات ٢/٢١٧، ٢١٩، ٢٢٤، ٢٢٥، والطبري في التاريخ ٣/١٩٧، والبلاذري في أنساب ١/٥٥٤، والذهبي في تاريخ الإسلام - السيرة ٥٥٢.

(٣) طبقات ابن سعد ٢/٢٢٠، ٢٢١.

اليوم الذي قبض الله فيه رسوله ﷺ

قال ابن إسحاق: وقال الزهري: حدثني أنس بن مالك: أنه لما كان يوم الاثنين الذي قبض الله فيه رسول الله ﷺ، خرج إلى الناس، وهم يصلون الصبح، ورفع الستر، وفتح الباب، فخرج رسول الله ﷺ، فقام على باب عائشة، فكاد المسلمون يفتنون في صلاتهم برسول الله ﷺ حين رأوه فرحاً به، وتفرجوا^(١)، فأشار إليهم أن اثبتوا على صلاتكم؛ قال: فتبسم رسول الله ﷺ سروراً لما رأى من هينتهم في صلاتهم، وما رأيت رسول الله ﷺ أحسن هيئة منه تلك الساعة، قال: ثم رجع وانصرف الناس وهم يرون أن رسول الله ﷺ قد أفرق من وجعه، فرجع أبو بكر إلى أهله بالسُّنح^(٢).

قال ابن إسحاق: وحدثني محمد بن إبراهيم بن الحارث، عن القاسم بن محمد: أن رسول الله ﷺ قال حين سمع تكبير عمر في الصلاة: أين أبو بكر؟ يابى الله ذلك والمسلمون. فلولا مقالة قالها عمر عند وفاته، لم يشك المسلمون أن رسول الله ﷺ قد استخلف أبا بكر، ولكنه قال عند وفاته: إن استخلف فقد استخلف من هو خير مني، وإن أتركهم فقد تركهم من هو خير مني. فعرف الناس أن رسول الله ﷺ لم يستخلف أحداً، وكان عمر غير مُتهم على أبي بكر^(٣).

قال ابن إسحاق: وحدثني أبو بكر بن عبد الله بن أبي مُليكة، قال: لما كان يوم الاثنين خرج رسول الله ﷺ عاصباً رأسه إلى الصبح، وأبو بكر يصلي بالناس، فلما خرج رسول الله ﷺ تفرج الناس، فعرف أبو بكر أن الناس لم يصنعوا ذلك إلا لرسول الله ﷺ، فنكص عن مُصلاه، فدفع رسول الله ﷺ في ظهره، وقال: صل بالناس، وجلس رسول الله ﷺ إلى جنبه، فصلّى قاعداً عن يمين أبي بكر، فلما فرغ من الصلاة أقبل على الناس، فكلّمهم رافعاً صوته، حتى خرج صوته من باب المسجد، يقول: «أيها الناس، سُعرت النار، وأقبلت الفتن كقطع الليل المظلم، وإني والله ما تمسكون عليّ بشيء، إني لم أحلّ إلا ما أحلّ القرآن، ولم أحرم إلا ما حرم القرآن».

قال: فلما فرغ رسول الله ﷺ من كلامه، قال له أبو بكر: يا نبي الله إني أراك قد أصبحت بنعمة من الله وفضل كما نُحِب، واليوم يوم بنت خارجة، أفأتيها؟ قال: نعم، ثم دخل رسول الله ﷺ، وخرج أبو بكر إلى أهله بالسُّنح^(٤).

شان علي والعباس قبل وفاته

قال ابن إسحاق: قال الزهري: وحدثني عبد الله بن كعب بن مالك، عن عبد الله بن عباس، قال: خرج يومئذ علي بن أبي طالب رضوان الله عليه على الناس من عند رسول الله ﷺ، فقال له الناس: يا أبا حسن، كيف أصبح رسول الله ﷺ؟ قال: أصبح بحمد الله بارئاً، قال فأخذ العباس بيده،

(١) أي أفرجوا له مكاناً. وتوسعوا.

(٢) انظر طبقات ابن سعد ٢/٢١٧، تاريخ الطبري ٣/١٩٨.

(٣) انظر طبقات ابن سعد ٢/٢٧٤، وأخرجه البخاري في الأحكام (١٢٦/٨) باب الاستخلاف. ومسلم في الإمامة (١٨٢٣) باب الاستخلاف وتركه. وأبو داود في الخراج والإمامة (٢٩٣٩) باب في الخليفة يستخلف. والترمذي في الفتن (٢٣٢٧) باب ما جاء في الخلافة. وأحمد في المسند ١/١٣، ٤٣، ٤٦، ٤٧، وتاريخ الإسلام ٥٨٤.

(٤) تاريخ الطبري ٣/١٩٨، ١٩٩.

ثم قال: يا عليّ، أنت والله عبدُ العصا بعد ثلاث، أحلف بالله لقد عرفت الموت في وجه رسول الله ﷺ، كما كنت أعرفه في وجوه بني عبد المطلب، فانطلق بنا إلى رسول الله ﷺ، فإن كان هذا الأمر فينا عرفناه، وإن كان في غيرنا، أمرناه فأوصى بنا الناس. قال: فقال له عليّ: إني والله لا أفعل، والله لئن مُنعناه لا يؤتيناها أحد بعده^(١).

فتوفي رسول الله ﷺ حين اشتد الضحاء من ذلك اليوم.

سواك الرسول قبل وفاته: قال ابن إسحاق: وحدثني يعقوب بن عتبة، عن الزهري، عن عروة، عن عائشة، قال: قالت: رجعت إليّ رسول الله ﷺ في ذلك اليوم حين دخل من المسجد، فاضطجع في حجرتي، فدخل عليّ رجل من آل أبي بكر، وفي يده سيواك أخضر. قالت: فنظر رسول الله ﷺ إليه في يده نظراً عرفت أنه يريد، قالت: فقلت: يا رسول الله، أتحب أن أعطيك هذا السواك؟ قال: «نعم»، قالت: فأخذته فمضغته له حتى ليئنته، ثم أعطيته إياه؛ قالت: فاستنّ به كأشد ما رأيت يستنّ بسواك قطّ، ثم وضعه^(٢)؛ ووجدت رسول الله ﷺ يتقل في حجرتي، فذهبت أنظر في وجهه، فإذا بصره قد شخّص، وهو يقول: «بل الرفيق الأعلى من الجنة»، قالت: فقلت: خيّرت فاخترت والذي بعثك بالحق، قالت: وقُبض رسول الله ﷺ^(٣).

قال ابن إسحاق: وحدثني يحيى بن عبّاد بن عبد الله بن الزبير، عن أبيه عباد، قال: سمعت عائشة تقول: مات رسول الله ﷺ بين سخري ونحري وفي دَوْلتي، لم أظلم فيه أحدًا، فمن سَفهِي وخذائتي سئني أن رسول الله ﷺ قُبض وهو في حجرتي، ثم وضعت رأسه على وسادة، وقمت ألتدم^(٤) مع النساء، وأضرب وجهي^(٥).

مقالة عمر بعد وفاته: قال ابن إسحاق: قال الزهري، وحدثني سعيد بن المسيّب، عن أبي هريرة، قال: لما تُوفي رسول الله ﷺ قام عُمر بن الخطّاب، فقال: إن رجالاً من المنافقين يزعمون أن رسول الله ﷺ قد تُوفي؛ وإن رسول الله ﷺ ما مات، ولكنه ذهب إلى ربه كما ذهب موسى بن عمران، فقد غاب عن قومه أربعين ليلة، ثم رجع إليهم بعد أن قيل قد مات؛ والله ليرجعن رسول الله ﷺ كما رجع موسى، فليقطعن أيدي رجال وأرجلهم زعموا أن رسول الله ﷺ مات^(٦).

شان أبي بكر بعد وفاته: قال: وأقبل أبو بكر حتى نزل على باب المسجد حين بلغه الخبر،

(١) أخرجه ابن سعد في الطبقات ٢/٢٤٥ بلفظ مقارب.

(٢) فيه من الفقه: التنظف والتطهر للموت، ولذلك يُستحب الاستعداد لمن استشعر القتل أو الموت كما فعل خبيب أحد أصحابه ﷺ حينما أراد المشركون قتله وقصته موجودة. فيما سبق من السيرة - لأن المصلّي مُتاج لربه؛ فالنظافة من شأنهما. وكان السواك المذكور في هذا الحديث من عبيد نخل فيما روى بعضهم، والعرب تستاك بالمسيب، وكان أحب السواك إلى رسول الله ﷺ صرح الأراك. (الروض الأنف ٤/٢٧١).

(٣) أخرج البخاري في المغازي (١٤٢/٥) نحوه في باب مرض النبي ﷺ وفاته. والطبري ٣/١٩٩، والبلاذري في أنساب الأشراف ١/٥٤٩، والذهبي في تاريخ الإسلام (السيرة) ٥٦١.

(٤) ألتدم: أضرب صدري.

(٥) رواه أحمد في المسند ٦/٢٧٤، والطبري في تاريخه ٣/١٩٩، والذهبي في تاريخ الإسلام (السيرة) ٥٦٢.

(٦) الطبري في تاريخه ٣/٢٠٠.

وعمر يكلم الناس، فلم يلتفت إلى شيء حتى دخل على رسول الله ﷺ في بيت عائشة، ورسول الله ﷺ مُسَجًى في ناحية البيت، عليه بُزْد جَبْرَة، فأقبل حتى كشف عن وجه رسول الله ﷺ. قال: ثم أقبل عليه فقبله، ثم قال: بأبي أنت وأمي، أما الموتة التي كتب الله عليك فقد ذقتها، ثم لَن تصيبك بعدها موتة أبداً. قال: ثم ردَّ البُزْد على وجه رسول الله ﷺ، ثم خرج وعمر يكلم الناس، فقال: على رسلك يا عمر، أنصت، فأبى إلا أن يتكلم، فلما رآه أبو بكر لا يُنصت أقبل على الناس، فلما سمع الناس كلامه أقبلوا عليه وتركوا عمر؛ فحمد الله وأثنى عليه ثم قال:

«أيها الناس، إنه من كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات، ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت». قال: ثم تلا هذه الآية: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنَّ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئاً وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ ﴿١٤٤﴾﴾ [آل عمران: ١٤٤].

قال: فوالله لكان الناس لم يعلموا أن هذه الآية نزلت حتى تلاها أبو بكر يومئذ؛ قال: وأخذها الناس عن أبي بكر، فإنما هي في أفواههم؛ قال: فقال أبو هريرة: قال عمر: والله ما هو إلا أن سمعت أبا بكر تلاها، فعقرت^(١) حتى وقعت إلى الأرض ما تحمِلني رجلاي، وعرفت أن رسول الله ﷺ قد مات^(٢).

أمر سقيفة بني ساعدة

قال ابن إسحاق: ولما قبض رسول الله ﷺ انحاز هذا الحي من الأنصار إلى سعد بن عبادة في سقيفة بني ساعدة، واعتزل علي بن أبي طالب والزبير بن العوام وطلحة بن عبيد الله في بيت فاطمة، وانحاز بقية المهاجرين إلى أبي بكر، وانحاز معهم أسيد بن حضير، في بني عبد الأشهل، فأتى آت إلى أبي بكر وعمر، فقال: إن هذا الحي من الأنصار مع سعد بن عبادة في سقيفة بني ساعدة، قد انحازوا إليه، فإن كان لكم بأمر الناس حاجة فأدركوا قبل أن يتفاهم أمرهم، ورسول الله ﷺ في بيته لم يُفرغ من أمره قد أغلقت دونه الباب أهله. قال عمر: فقلت لأبي بكر: انطلق بنا إلى إخواننا هؤلاء من الأنصار، حتى ننظر ما هم عليه.

قال ابن إسحاق: وكان من حديث السقيفة حين اجتمعت بها الأنصار، أن عبد الله بن أبي بكر، حدثني عن ابن شهاب الزهري، عن عبيد الله بن عبد الله ابن عتبة بن مسعود، عن عبد الله بن عباس، قال: أخبرني عبد الرحمن بن عوف، قال: وكنت في منزله بمنى أنتظره، وهو عند عمر في آخر حجة حجها عمر، قال؛ فرجع عبد الرحمن بن عوف من عند عمر، فوجدني في منزله بمنى أنتظره، وكنت أقرئه القرآن، قال ابن عباس، فقال لي عبد الرحمن بن عوف: لو رأيت رجلاً أتى أمير المؤمنين، فقال: يا أمير المؤمنين، هل لك في فلان يقول: والله لو قد مات عمر بن الخطاب لقد بايعت فلاناً، والله ما كانت بيعة أبي بكر إلا فلتة فتمت. قال: فغضب عمر، فقال: إني إن شاء الله لقاتم العشيّة في

(١) عقرت: ذهبت فلم أستطع التقدم أو التأخر.

(٢) أخرج نحوه البخاري في الجنائز ٧٠/٢، ٧١ باب الدخول على الميت بعد الموت... وفي المغازي ١٤٢/٥، ١٤٣ باب مرض النبي ﷺ ووفاته. والنسائي في الجنائز ١١/٤ باب تقبيل الميت. وأحمد في المسند ١١٧/٦.

الناس، فمحدّزهم هؤلاء الذين يريدون أن يُغصبوهم أمرهم، قال عبد الرحمن: فقلت: يا أمير المؤمنين لا تفعل، فإن الموسم يجمع رِعاة الناس وغوغاءهم، وإنهم هم الذين يغلبون على قُربك، حين تقوم في الناس، واني أخشى أن تقوم فتقول مقالة يَطِير بها أولئك عنك كل مطير، ولا يعوها ولا يَضعوها على مواضعها، فأمهل حتى تقدم المدينة فإنها دار السنة، وتخلص بأهل الثقة وأشرف الناس فتقول ما قلت بالمدينة متمكناً، فيعي أهل الفقه مقاتلك، ويضعوها على مواضعها، قال: فقال عمر: أما والله إن شاء الله لأقومنّ بذلك أول مقام أقومه بالمدينة.

عمر يذكر البيعة لأبي بكر: قال ابن عباس: فقدمنا المدينة في عقب ذي الحجة، فلما كان يوم الجمعة عجلت الرّواح حين زالت الشمس، فأجد سعيد بن زيد بن عمرو بن نُفيل جالساً إلى رُكن المنبر، فجلست حذوه تمسّ ركبتي ركبته، فلم أنشُب أن خرج عمر بن الخطاب، فلما رأته مُقبلاً، قلت لسعيد بن زيد: ليقولنّ العشيّة على هذا المنبر مقالة لم يقلها منذ استخلف؛ قال: فأنكر عليّ سعيد بن زيد ذلك، وقال: ما عسى أن يقول مما لم يقل قبله، فجلس عمر على المنبر، فلما سكت المؤذنون، قام فأثنى على الله بما هو أهل له، ثم قال: أما بعد، فإنني قائل لكم اليوم مقالة قد قُدر لي أن أقولها، ولا أدري لعلها بين يدي أجلي، فمن عقلها ووعاها فليأخذ بها حيث انتهت به راحلته، ومن خشى أن لا يعيها فلا يحلّ لأحد أن يكذب عليّ؛ إن الله بعث محمداً، وأنزل عليه الكتاب، فكان مما أنزل عليه آية الرجم، فقرأناها وعُلمناها ووعيناها، ورجم رسول الله ﷺ ورجمنا بعده، فأخشى إن طال بالناس زمان أن يقول قائل: والله ما نجد الرجم في كتاب الله، فيضلوا بترك فريضة أنزلها الله، وإن الرجم في كتاب الله حقّ على من زنى إذا أحصن من الرجال والنساء، وإذا قامت البينة، أو كان الحبل أو الاعتراف؛ ثم إنا قد كنا نقرأ فيما نقرأ من كتاب الله: «لا تَزْعُبُوا عَنْ آبَائِكُمْ فَإِنَّهُ كُفْرٌ بِكُمْ أَنْ تَزْعُبُوا عَنْ آبَائِكُمْ» ألا إن رسول الله ﷺ قال: «لا تُطْرُونِي كَمَا أُطْرِي عيسى بن مريم، وقولوا: عبد الله ورسوله»؛ ثم إنه قد بلغني أن فلاناً قال: والله لو قد مات عمر بن الخطاب لقد بايعت فلاناً، فلا يغرّن امرأة أن يقول: إن بيعة أبي بكر كانت فُلْتة فتمّت، وإنها قد كانت كذلك إلا أن الله قد وقى شرّها، وليس فيكم من تنقطع الأعناق إليه مثل أبي بكر، فمن بايع رجلاً عن غير مشورة من المسلمين، فإنه لا بيعة له هو ولا الذي بايعه تَغْرَةً أن يقتلا، إنه كان من خبرنا حين توفى الله نبيه ﷺ أن الأنصار خالفونا، فاجتمعوا بأشرفهم في سقيفة بني ساعدة، وتخلّف عثا عليّ بن أبي طالب والزبير بن العوّام ومن معهما، واجتمع المهاجرون إلى أبي بكر، فقلت لأبي بكر: انطلق بنا إلى إخواننا هؤلاء من الأنصار، فانطلقنا نؤمهم حتى لقينا منهم رجلاً صالحاً، فذكروا لنا ما تمالأ عليه القوم، وقال: أين تريدون يا معشر المهاجرين؟ قلنا؛ نريد إخواننا هؤلاء من الأنصار، قالوا: فلا عليكم أن لا تقربوهم يا معشر المهاجرين، اقضوا أمركم. قلت: والله لنأتينهم. فانطلقنا حتى أتيناهم في سقيفة بني ساعدة، فإذا بين ظهرانيهم رجلٌ مُزْمَلٌ فقلت: من هذا؟ فقالوا: سعد بن عبادة، فقلت: ما له؟ فقالوا: وجع. فلما جلسنا تشهّد خطيبهم، فأثنى على الله بما هو له أهل، ثم قال: أما بعد، فنحن أنصار الله وكتيبة الإسلام، وأنتم يا معشر المهاجرين رهط منا، وقد دُفّت دأفة^(١) من قومكم،

(١) الدأفة: الجماعة من الناس تأتي من بلد إلى بلد.

قال: وإذا هم يريدون أن يحتازونا من أصلنا، ويغصبونا الأمر، فلما سكت أردت أن أتكلم، وقد زوّرت^(١) في نفسي مقالة قد أعجبتني، أريد أن أقدمها بين يدي أبي بكر، وكنت أداري منه بعض الحدّ^(٢)، فقال أبو بكر: على رسلك يا عمر، فكرهت أن أغضبه، فتكلم وهو كان أعلم مني وأوفر، فوالله ما ترك من كلمة أعجبتني من تزويري إلا قالها في بديهته، أو مثلها أو أفضل، حتى سكت؛ قال: أما ما ذكرتم فيكم من خير، فأنتم له أهل، ولن تعرف العرب هذا الأمر إلا لهذا الحي من قريش، هم أوسط العرب نسباً وداراً، وقد رضيت لكم أحد هذين الرجلين؛ فبايعوا أيهما شئتم، وأخذ بيدي وييد أبي عبيدة بن الجراح، وهو جالس بيننا، ولم أكره شيئاً مما قاله غيرها، كان والله أن أقدم فتضرب عنقي، لا يُقرّبني ذلك إلى إثم، أحب إليّ من أن أتأمر على قوم فيهم أبو بكر.

قال قائل من الأنصار: أنا جُذيلها^(٣) المُحَكِّكُ وعُدَيْقُها^(٤) المُرَجَّبُ، منا أمير ومنكم أمير يا معشر قريش. قال: فكثرت اللعظ، وارتفعت الأصوات، حتى تخوّفت الاختلاف، فقلت: ابسط يدك يا أبا بكر، فبسط يده، فبايعته، ثم بايعه المهاجرون، ثم بايعه الأنصار، ونزونا^(٥) على سعد بن عبادة، فقال قائل منهم: قتلتم سعد بن عبادة. قال: فقلت: قتل الله سعد بن عبادة^(٦).

قال ابن إسحاق: قال الزهري: أخبرني عروة بن الزبير أن أحد الرجلين اللذين لقوا من الأنصار حين ذهبوا إلى السقيفة عويم بن ساعدة، والآخري معن بن عدي، أخو بني العجلان. فأما عويم بن ساعدة، فهو الذي بلغنا أنه قيل لرسول الله ﷺ من الذين قال الله عز وجل لهم: ﴿فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَّخِذُوا لِلَّهِ وَاللَّهِ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ﴾ [التوبة: ١٠٨]؟ فقال رسول الله ﷺ: نعم المرء منهم عويم بن ساعدة؛ وأما معن بن عدي، فبلغنا أن الناس بكوا على رسول الله ﷺ حين توفاه الله عز وجل، وقالوا: والله لو دُذنا أننا متنا قبله، إنا نخشى أن نفتتن بعده. قال معن بن عدي: لكني والله ما أحب أني مت قبله حتى أصدقته ميتاً كما صدقته حياً؛ فقتل معن يوم اليمامة شهيداً في خلافة أبي بكر، يوم مُسَيْلِمة الكذاب^(٧).

خطبة عمر بعد البيعة لأبي بكر: قال ابن إسحاق: وحدثني الزهري، قال: حدثني أنس بن مالك، قال: لما بويع أبو بكر في السقيفة وكان الغد، جلس أبو بكر على المنبر، فقام عمر، فتكلم قبل أبي بكر، فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله، ثم قال: أيها الناس، إني كنت قلت لكم بالأمس مقالة ما كانت مما وجدتها في كتاب الله، ولا كانت عهداً إليّ رسول الله ﷺ، ولكني قد كنت أرى أن رسول الله ﷺ سيدبّر أمرنا؛ يقول: يكون آخرنا وإن الله قد أبقى فيكم كتابه الذي به هدى الله

(١) زوّرت: أعددت.

(٢) الحدّ: الحجة التي كان يتصف بها عمر رضي الله عنه.

(٣) الجُدَيْلُ: تصغير جَدَل: عود من الحطب في مبرك الإبل تحتك به فتستريح.

(٤) العُدَيْقُ: تصغير عُدُق النخلة: والمُرَجَّبُ من الترجيب وهو بناء يساعده لكثرة حمله.

(٥) نزونا: وثبنا.

(٦) الخير بطوله في تاريخ الطبري ٣/٢٠٣-٢٠٦.

(٧) تاريخ الطبري ٣/٢٠٦، ٢٠٧.

رسوله ﷺ، فإن اعتصمتم به هداكم الله لما كان هداه له، وإن الله قد جمع أمركم على خيركم، صاحب رسول الله ﷺ، ثاني اثنين إذ هما في الغار، فقوموا فبايعوه، فبايع الناس أبا بكر بيعة العامة، بعد بيعة السقيفة.

خطبة أبي بكر بعد البيعة: فتكلم أبو بكر، فحمد الله، وأثنى عليه بالذي هو أهله، ثم قال: أما بعد أيها الناس، إني قد وليت عليكم ولست بخيركم، فإن أحسنت فأعينوني؛ وإن أسأت فقوموني؛ الصدق أمانة، والكذب خيانة، والضعيف فيكم قوي عندي حتى أريح عليه حقه إن شاء الله، والقوي فيكم ضعيف عندي حتى آخذ الحق منه إن شاء الله، لا يدع قوم الجهاد في سبيل الله إلا ضربهم بالذل، ولا تشيع الفاحشة في قوم قط إلا عمهم الله بالبلاء؛ أطيعوني ما أطعت الله ورسوله، فإذا عصيت الله ورسوله فلا طاعة لي عليكم. قوموا إلى صلاتكم يرحكم الله^(١).

قال ابن إسحاق: وحدثني حسين بن عبد الله، عن عكرمة، عن ابن عباس، قال: والله إني لأمشي مع عمر في خلافته وهو عايد إلى حاجة له، وفي يده الدرّة، وما معه غيري، قال: وهو يحدث نفسه، ويضرب وحشي^(٢) قدمه بدرّته، قال: إذ التفت إليّ، فقال: يا بن عباس، هل تدري ما كان حملني على مقاتلي التي قلت حين توفي رسول الله ﷺ؟ قال: قلت: لا أدري يا أمير المؤمنين، أنت أعلم؛ قال: فإنه والله، إن كان الذي حملني على ذلك إلا أنني كنت أقرأ هذه الآية: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِنَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَكَوْنُوا الرُّسُولَ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ [البقرة: ١٤٣]، فوالله إن كنت لأظن أن رسول الله ﷺ سيبقى في أمته حتى يشهد عليها بأخر أعمالها، فإنه للذي حملني على أن قلت ما قلت^(٣).

جهاز رسول الله ﷺ ودفنه

من تولى غسله: قال ابن إسحاق: فلما بويح أبو بكر رضي الله عنه، أقبل الناس على جهاز رسول الله ﷺ يوم الثلاثاء، فحدثني عبد الله بن أبي بكر وحسين بن عبد الله وغيرهما من أصحابنا: أن علي بن أبي طالب، والعباس بن عبد المطلب، والفضل بن العباس، وقثم بن العباس، وأسامة بن زيد، وشقران مولى رسول الله ﷺ، هم الذين ولّوا غسله، وأن أوس بن حوّلّي، أحد بني عوف بن الخزرج، قال لعلي بن أبي طالب: أنشدك الله يا عليّ وحظنا من رسول الله ﷺ، وكان أوس من أصحاب رسول الله ﷺ وأهل بدر، قال: ادخل، فدخل فجلس، وحضر غسل رسول الله ﷺ، فأسنده علي بن أبي طالب إلى صدره، وكان العباس والفضل وقثم يقبلونه معه، وكان أسامة بن زيد وشقران مولاه، هما اللذان يصبان الماء عليه، وعليّ يغسله، قد أسنده إلى صدره، وعليه قميصه يدلّكه به من ورائه، لا يفضي بيده إلى رسول الله ﷺ، وعليّ يقول: بأبي أنت وأمي، ما أطيبك حيًّا وميتًا! ولم ير من رسول الله ﷺ شيء مما يرى من الميت^(٤).

(٢) وحشي: خارج.

(١) تاريخ الطبري ٣/٢١٠.

(٣) تاريخ الطبري ٣/٢١١.

(٤) تاريخ الطبري ٣/٢١١، ٢٩٢، طبقات ابن سعد ٢/٢٧٧، وله شاهد في سنن ابن ماجه في كتاب الجنائز (١٤٦٧) باب ما جاء في غسل النبي ﷺ.

كيفية غسله: قال ابن إسحاق: وحدثني يحيى بن عبّاد بن عبد الله بن الزبير، عن أبيه عبّاد، عن عائشة، قالت: لما أرادوا غسل رسول الله ﷺ اختلفوا فيه. فقالوا: والله ما ندري، أنجزد رسول الله ﷺ من ثيابه كما نجزد موتانا، أو نغسله وعليه ثيابه؟ قالت: فلما اختلفوا ألقى الله عليهم النوم، حتى ما منهم رجل إلا ذقته في صدره، ثم كلّمهم مكلّم من ناحية البيت لا يدرون من هو: أن اغسلوا النبي وعليه ثيابه؛ قالت: فقاموا إلى رسول الله ﷺ، فغسلوه وعليه قميصه، يصبون الماء فوق القميص، ويدلّكونه والقميص دون أيديهم^(١).

تكفينه: قال ابن إسحاق: فلما فرغ من غسل رسول الله ﷺ، كُفّن في ثلاثة أثواب، ثوبين صحاريين^(٢) ويُزد حبرة، أُدرج فيها إدراجاً، كما حدثني جعفر بن محمد بن عليّ بن الحسين، عن أبيه، عن جدّه عليّ بن الحسين والزهري، عن عليّ بن الحسين^(٣).

القبر: قال ابن إسحاق: وحدثني حسين بن عبد الله، عن عكرمة، عن ابن عباس، قال: لما أرادوا أن يحفروا لرسول الله ﷺ، وكان أبو عبيدة بن الجراح يضرّح^(٤) كحفر أهل مكة، وكان أبو طلحة زيد بن سهل هو الذي يحفر لأهل المدينة، [وكان^(٥) يلحد، فدعا العباس رجلين، فقال لأحدهما: اذهب، إلى أبي عبيدة بن الجراح، وللآخر اذهب إلى أبي طلحة. اللهم خز لرسول الله ﷺ، فوجد صاحب أبي طلحة أبا طلحة، فجاء به، فلحد لرسول الله ﷺ^(٦).

الصلاة عليه ودفنه: فلما فرغ من جهاز رسول الله ﷺ يوم الثلاثاء، وُضع في سريره في بيته، وقد كان المسلمون اختلفوا في دفنه. فقال قائل: ندفنه في مسجده وقال قائل: بل ندفنه مع أصحابه، فقال أبو بكر: إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ما قبض نبي إلا دُفن حيث يُقبض». فرفع فراش رسول الله ﷺ الذي تُوفي عليه، فحفر له تحته، ثم دخل الناس على رسول الله ﷺ يصلّون عليه أرسالاً، دخل الرجال، حتى إذا فرغوا أدخل النساء، حتى إذا فرغ النساء أدخل الصبيان. ولم يَوْم الناس على رسول الله ﷺ أحد^(٧).

ثم دُفن رسول الله ﷺ من وسط الليل ليلة الأربعاء^(٨).

قال ابن إسحاق: وحدثني عبد الله بن أبي بكر، عن امرأته فاطمة بنت عمارة، عن عمرة بنت

(١) الخبر في تاريخ الطبري ٢١٢/٣، وأخرجه أبو داود في الجنائز (٣١٤١) باب في سير الميّت عند غسله، وأحمد في المسند ٢٦٧/٢، والبلاذري في أنساب الأشراف ٥٦٩/١، والذهبي في تاريخ الإسلام (السيرة) ٥٧٤، ٥٧٥.

وأخرجه ابن ماجه في الجنائز (١٤٦٦) باب ما جاء في غسل النبي ﷺ، من طريق يزيد بن عبد الله أبي بردة، عن علقمة بن مرثد، عن سليمان بن يزيد، عن أبيه، وقال الهيثمي: إسناده ضعيف لضعف أبي بردة.

(٢) ثوب صحاري: منسوب إلى صحار، وهي مدينة باليمن.

(٣) تاريخ الطبري ٢١٢/٣، وانظر طبقات ابن سعد ٢٨٤/٢.

(٤) يضرّح: يشقّ الأرض ليجعلها ضريحاً.

(٥) عن تاريخ الطبري ٢١٣/٣. (٦) تاريخ الطبري ٢١٣/٣.

(٧) تاريخ الطبري ٢١٣/٣، وأخرجه ابن ماجه في الجنائز (١٦٢٨) باب ذكر وفاته ودفنه ﷺ. وابن سعد في الطبقات ٢/٢٨٩، وتاريخ الإسلام (السيرة) ٥٧٨، ٥٧٩.

(٨) تاريخ الطبري ٢١٣/٣.

عبد الرحمن بن أسعد بن زرارة، عن عائشة رضي الله عنها، جوف الليل من ليلة الأربعاء. من تولى دفنه: وكان الذين نزلوا في قبر رسول الله ﷺ علي بن أبي طالب، والفضل بن عباس، وقثم بن عباس، وشقران مولى رسول الله ﷺ^(١).

وقد قال أوس بن حوَلِيٍّ لعَلِيٍّ بن أبي طالب: يا عَلِيُّ، أُنشِدُكَ اللهُ، وحَظَّنَا مِنْ رَسولِ اللهُ ﷺ، فقال له: انزل، فنزل مع القوم، وقد كان مولاه شقران حين وضع رسول الله ﷺ في حُفْرته وبنى عليه قد أخذ قطيفة، وقد كان رسول الله ﷺ يلبسها ويفترشها، فدفنها في القبر، وقال: والله لا يلبسها أحد بعدك أبداً.

قال: فدُفِنْتُ مع رسول الله ﷺ^(٢).

أحدث الناس عهداً به: وقد كان المُغيرة بن شُعْبة يدَّعي أنه أحدث الناس عهداً برسول الله ﷺ يقول: أخذت خاتمي، فألقيته في القبر، وقلت: إن خاتمي سقط مني، وإنما طرحته عمداً لأمس رسول الله ﷺ، فأكون أحدث الناس عهداً به ﷺ^(٣).

قال ابن إسحاق: فحدثني أبي إسحاق بن يسار، عن مِقْسم أبي القاسم، مولى عبد الله بن الحارث بن نوفل، عن مولاه عبد الله بن الحارث، قال: اعتمرت مع علي بن أبي طالب رضوان الله عليه في زمان عمر أو زمان عثمان، فنزل على أخته أم هانئ بنت أبي طالب، فلما فرغ من عُمرته رجع فشُكِبَ له غِسل، فاغتسل، فلما فرغ من غسله دخل عليه نفر من أهل العراق، فقالوا: يا أبا حسن، جئنا نسألك عن أمر نحب أن نخبرنا عنه؟ قال: أظن المُغيرة بن شُعْبة يحدثكم أنه كان أحدث الناس عهداً برسول الله ﷺ. قالوا: أجل، عن ذلك جئنا نسألك؟ قال: كذب؛ قال: أحدث الناس عهداً برسول الله ﷺ قثم بن عباس^(٤).

خميصة الرسول السوداء: قال ابن إسحاق: وحدثني صالح بن كيسان، عن الزهري، عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة، أن عائشة حدثته، قالت: كان علي رسول الله ﷺ خميصة^(٥) سوداء حين اشتد به وجعه، قالت: فهو يضعها مرة على وجهه، ومرة يكشفها عنه، ويقول: «قاتل الله قوماً اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد»، يَحْدَرُ من ذلك على أمته^(٦).

قال ابن إسحاق: وحدثني صالح بن كيسان، عن الزهري، عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة، عن عائشة، قالت: كان آخر ما عهد رسول الله ﷺ أن قال: «لا يُترك بجزيرة العرب دينان»^(٧).

(١) تاريخ الطبري ٢١٣/٣، المعارف لابن قتيبة ١٦٦، طبقات ابن سعد ٣٠٠/٢، أنساب الأشراف ٥٧٧/١، تاريخ الإسلام (السيرة) ٥٨١.

(٢) تاريخ الطبري ٢١٤/٣، المعارف ١٦٦، أنساب الأشراف ٥٧٦/١.

(٣) الحديث منقطع. وهو في طبقات ابن سعد ٣٠٢/٢ و٣٠٣، وأنساب الأشراف ٥٧٧/١، وتاريخ الإسلام (السيرة) ٥٨٢.

(٤) تاريخ الطبري ٢١٤/٣.

(٥) خميصة سوداء: ثوب خَزْ أو صوف معلَّم.

(٦) تاريخ الطبري ٢١٤/٣، وأخرج نحوه البخاري في الجنائز (٩١/٢) باب ما يكره من اتخاذ المساجد في القبور.

(٧) تاريخ الطبري ٢١٥/٣.

افتتان المسلمين بعد موته: قال ابن إسحاق: ولما تُوفي رسول الله ﷺ، عَظُمَت به مصيبة المسلمين، فكانت عائشة، فيما بلغني، تقول: لما توفي رسول الله ﷺ ارتدَّت العرب، واشْرأبت اليهودية والنصرانية، وَنَجَم النفاق، وصار المسلمون كالغنم المَطيرة في الليلة الشَّاتية، لفقد نبيهم ﷺ، حتى جمعهم الله على أبي بكر.

قال ابن هشام: حدثني أبو عبيدة وغيره من أهل العلم، أن أكثر أهل مكة لَمَّا تُوفي رسول الله ﷺ همّوا بالرجوع عن الإسلام، وأرادوا ذلك، حتى خافهم عَتَاب بن أسيد، فتواري، فقام سُهيل بن عمرو، فحمد الله، وأثنى عليه، ثم ذكر وفاة رسول الله ﷺ، وقال: إن ذلك لم يَزِد الإسلام إلا قُوَّة، فمن رابنا صَرَبْنَا عُنُقَه، فتراجع الناس وكَفُّوا عَمَّا هُمُّوا به، وظهر عَتَاب بن أسيد^(١).

فهذا المقام الذي أراد رسول الله ﷺ في قوله لعمر بن الخطَّاب: «إنه عسى أن يقوم مقاماً لا تدمُهُ».

حسان بن ثابت يرثي الرسول: وقال حسان بن ثابت يبكي رسول الله ﷺ، فيما حدَّثنا ابن هشام، عن أبي زيد الأنصاري:

بَطْنِيَّة رَسَمٌ لِلرُّسُولِ وَمَغْهَدُ	مُنِيرٌ وَقَدْ تَغْفُو الرُّسُومَ وَتَهْمُدُ ^(٢)
وَلَا تَمْتَحِي الآيَاتِ مِنْ دَارِ حُزْمَةٍ	بِهَا مَثْبِرِ الهَادِي الَّذِي كَانَ يَضَعُدُ
وَوَاضِحِ آثَارِ وَبَاقِي مَعَالِمِ	وَرَبْعٌ لَهُ فِيهِ مُصَلَّى وَمَسْجِدُ
بِهَا حُجْرَاتٌ كَانَ يَنْزِلُ وَسَطَهَا	مَنْ اللهُ نُورٌ يُسْتَضَاءُ وَيُوقَدُ
مَعَارِفٌ لَمْ تُظْمَسْ عَلَى العَهْدِ آيَهَا	أَتَاهَا البِلَى فَالآيِ مِنْهَا تَجَدُّدُ
عَرَفْتُ بِهَا رَسَمَ الرُّسُولِ وَعَهْدَهُ	وَقَبْرًا بِهَا وَارَاهُ فِي التُّرْبِ مُلْجِدُ
ظَلَلْتُ بِهَا أَبْكَى الرُّسُولَ فَاسْعَدْتُ	عُيُونَ وَمَثَلَاهَا مِنَ الجَفْنِ تُسْعَدُ ^(٣)
يُذَكِّرُنْ آلاءَ الرُّسُولِ وَمَا أَرَى	لَهَا مُخْصِيًا نَفْسِي فَنَفْسِي تَبَلَّدُ
مُفَجَّعَةً قَدْ شَفَّهَا فَقَدْ أَحْمَدُ	فَظَلَّتْ لِآلَاءِ الرُّسُولِ تُعَدُّ ^(٤)
وَمَا بَلَغَتْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ عَشِيرَهُ	وَلَكِنْ لِنَفْسِي بَعْدُ مَا قَدْ تَوَجَّدُ ^(٥)
أَطَالَتْ وَقُوفًا تَذْرِفُ العَيْنُ جُهْدَهَا	عَلَى طَلَلِ القَبْرِ الَّذِي فِيهِ أَحْمَدُ
فَبُورِكْتَ يَا قَبْرَ الرُّسُولِ وَيُورِكْتَ	بِلَادَ ثَوَى فِيهَا الرُّشِيدُ المُسَدَّدُ
وَيُورِكْ لَخَدِّ مَنْكَ ضَمْنِ طَيْبًا	عَلَيْهِ بِنَاءٌ مِنْ صَفِيحٍ مُنْضَدُ ^(٦)

(١) كان عتاب والياً على مكة. انظر عنه في عمرة الجعرانة.

(٢) الرسم: ما بقي من آثار الديار. تغفو: تدرس، تمهد: تبلي.

(٣) أسعدت: أعانت.

(٤) شفها: أضعفها.

(٥) عشيره: عشرة. توجد: من الوجد وهو الحزن.

(٦) الصفيح: الحجارة. منضد: بعضه فوق بعض.

تَهِيلُ عَلَيْهِ التُّرَبَ أَيَّدِ وَأَغِيْنُ
لَقَدْ غَيَّبُوا حَلْمًا وَعَلْمًا وَرَحْمَةً
وَرَاخُوا بِحُزْنٍ لَيْسَ فِيهِمْ نَبِيُّهُمْ
يُبْكُونَ مَنْ تَبْكِي السَّمَاوَاتُ يَوْمَهُ
وَهَلْ عَدَلْتَ يَوْمًا رَزِيَّةُ هَالِكِ
تَقَطَّعَ فِيهِ مَنْزِلُ الْوَحْيِ عَنْهُمْ
يَدُلُّ عَلَى الرَّحْمَنِ مَنْ يَفْتَدِي بِهِ
إِمَامٌ لَهُمْ يَهْدِيهِمُ الْحَقُّ جَاهِدًا
عَفْوًا عَنِ الزَّلَّاتِ يَقْبَلُ عُذْرَهُمْ
وَإِنْ نَابَ أَمْرٌ لَمْ يَقَوْمُوا بِحَمَلِهِ
فَبَيْنَا هُمْ فِي نِعْمَةِ اللَّهِ بَيْنَهُمْ
عَزِيزٌ عَلَيْهِ أَنْ يَجُورُوا عَنِ الْهُدَى
عَطُوفٌ عَلَيْهِمْ لَا يُثْنِي جَنَاحَهُ
فَبَيْنَا هُمْ فِي ذَلِكَ الثُّورِ إِذْ غَدَا
فَأَضْبَحَ مُحَمَّدًا إِلَى اللَّهِ رَاجِعًا
وَأَمَسَتْ بِلَادَ الْحُزْمِ وَحَشَا بِقَاعِهَا
قِفَارًا سَوَى مَغْمُورَةِ اللَّحْدِ ضَافِهَا
وَمَسْجِدَهُ فَالْمُوحِشَاتُ لَفَقْدِهِ
وَبِالْجَمْرَةِ الْكُبْرَى لَهُ تَمَّ أَوْحَشَتْ
فَبَكِّي رَسُولَ اللَّهِ يَا عَيْنُ عَبْرَةَ
وَمَا لِكَ لَا تَبْكِينَ ذَا النِّعْمَةِ الَّتِي
فَجُودِي عَلَيْهِ بِالدُّمُوعِ وَأَعُولِي
وَمَا لَقَدْ الْمَاضُونَ مِثْلَ مُحَمَّدٍ
أَعَفَّ وَأَوْفَى ذِمَّةً بَغْدَ ذِمَّةٍ

عَلَيْهِ وَقَدْ غَازَتْ بِذَلِكَ أَسْعُدُ
عَشِيَّةَ عَلْوَةَ النَّرَى لَا يُوسَدُ
وَقَدْ وَهَنْتَ مِنْهُمْ ظُهُورَ وَأَعْضُدُ
وَمَنْ قَدْ بَكَتَهُ الْأَرْضُ فَالنَّاسُ أَكْمَدُ
رَزِيَّةَ يَوْمَ مَاتَ فِيهِ مُحَمَّدٌ؟
وَقَدْ كَانَ ذَا ثُورٍ يَغُورُ وَيُنْجَدُ^(١)
وَيُنْقَدُ مِنْ هَوْلِ الْخَزَايَا وَيُرْشَدُ
مَعْلَمٌ صَدَقَ إِنْ يُطِيعُوهُ يُسْعَدُوا
وَإِنْ يَخْسَنُوا فَاللَّهُ بِالْخَيْرِ أَجْوَدُ
فَمِنْ عِنْدِهِ تَنْبِيهُرٌ مَا يَتَشَدَّدُ
ذَلِيلٌ بِهِ نَهَجَ الطَّرِيقَةَ يُقْصَدُ
حَرِيصٌ عَلَى أَنْ يَسْتَقِيمُوا وَيَهْتَدُوا
إِلَى كَنْفٍ يَخْنُو عَلَيْهِمْ وَيْمَهْدُ^(٢)
إِلَى ثُورِهِمْ سَهْمٌ مِنَ الْمَوْتِ مُقْصَدُ^(٣)
يُبْكِيهِ حَقَّ الْمُرْسَلَاتِ وَيُخْمَدُ^(٤)
لَعْنِبَةٌ مَا كَانَتْ مِنَ الْوَحْيِ تُعْهَدُ
فَقَيْدٌ يَبْكِيهِ بِلَاطٌ وَعَزَقْدُ^(٥)
خَلَاءٌ لَهُ فِيهِ مَقَامٌ وَمَقْعَدُ
دِيَارٌ وَعَرْضَاتٌ وَرَبْعٌ وَمَوْلَدُ
وَلَا أَعْرَفُنكَ الدَّهْرَ دَمْعُكَ يَجْمَدُ
عَلَى النَّاسِ مِنْهَا سَابِغٌ يُتَعَمَّدُ
لَقَدْ الَّذِي لَا مِثْلَهُ الدَّهْرُ يُوجَدُ
وَلَا مِثْلَهُ حَتَّى الْقِيَامَةِ يُفْقَدُ
وَأَقْرَبَ مِنْهُ نَائِلًا لَا يُنْكَدُ^(٦)

(١) يغور: من الغور وهو ما انخفض من الأرض وينجد من النجد وهو ما ارتفع من الأرض.

(٢) الكنف: الجانب.

(٣) مقصد: مصيب: اسم فاعل من أقصد.

(٤) المرسلات: الملائكة.

(٥) ضافها: نزل بها. البلاط: ما استوى من الأرض: الغرقد: شجر.

(٦) لا ينكد: لا يكثر.

وَأُذِلَّ مِنْهُ لِلطَّرِيفِ وَتَالِدِ
وَأَكْرَمَ صَيْتاً فِي الْبُيُوتِ إِذَا انْتَمَى
وَأَمْنَعَ ذُرُواتِ وَأَثَبَتْ فِي الْعُلا
وَأَثَبَتْ فَرْعاً فِي الْفُرُوعِ وَمَنْبَتاً
رَبَاهُ وَلِيداً فَاسْتَتَمَ تَمَامُهُ
تَنَاهَتْ وَصَاةَ الْمُسْلِمِينَ بِكَفِّهِ
أَقُولُ وَلَا يُلْقَى لِقَوْلِي عَائِبٌ
وَلَيْسَ هَوَايَ نَازِعاً عَن تَنَائِهِ
مَعَ الْمُضْطَفَى أَرْجُو بِذَاكَ جَوَارُهُ
وَقَالَ حَسَّانُ بْنُ ثَابِتٍ أَيْضاً، يَبْكِي رَسُولَ اللَّهِ ﷺ:

مَا بَالُ عَيْنِكَ لَا تَنَامُ كَأَنَّمَا
جَزَعاً عَلَى الْمَهْدِيِّ أَضْبَحَ ثَاوِيأً
وَجْهِي بِقَيْكَ التَّرْبَ لَهْفِي لَيْتَنِي
بِأَبِي وَأُمِّي مَن شَهِدْتُ وَفَاتَهُ
فَظَلِلْتُ بَعْدَ وَفَاتِهِ مُتَبَلِّدأً
أَقِيمُ بَعْدَكَ بِالْمَدِينَةِ بَيْنَهُمْ
أَوْ حَلَّ أَمْرُ اللَّهِ فِيْنَا عَاجِلأً
فَتَقُومُ سَاعَتُنَا فَنَلْقَى طَيْبأً
يَا بَكَرَ أَمَنَّةَ الْمُبَارَكِ بِكَرْهَا
نُورأً أَضَاءَ عَلَى الْبَرِيَّةِ كُلِّهَا
يَا رَبِّ فَاجْمَعْنَا مَعاً وَتَبَيَّنَا
فِي جَنَّةِ الْفِرْدَوْسِ فَاكْتُبْهَا لَنَا

كُجِلَّتْ مَا قِيَهَا بِكُخْلِ الْأَزْمِدِ
يَا خَيْرَ مَنْ وَطِئَ الْحَصَى لَا تَبْعِدِ
عُيْنُ قَبْلِكَ فِي بَقِيْعِ الْغَرْقَدِ (٧)
فِي يَوْمِ الْإِثْنَيْنِ النَّبِيُّ الْمُهْتَدِي
مُتَلَدَدأً يَا لَيْتَنِي لِمَ أُولِدِ
يَا لَيْتَنِي صُبُخْتُ سَمَّ الْأَسْوَدِ (٨)
فِي رَوْحَةٍ مِنْ يَوْمِنَا أَوْ مِنْ غَدِ
مَخْضأً ضَرَائِبُهُ كَرِيمِ الْمَخْتَدِ (٩)
وَلَدْتُهُ مُخْصَنَةً بِسَغْدِ الْأَسْمِدِ
مَنْ يُهْدِي لِلنُّورِ الْمُبَارَكِ يَهْتَدِي
فِي جَنَّةِ تَنْثِي عِيُونِ الْحُسَيْدِ (١٠)
يَا ذَا الْجَلَالِ وَذَا الْعُلَا وَالسُّودِ

(١) الطريف: ما استحدثت من المال. التالد: المال الموروث. يتلد: يكتب قديماً.

(٢) الصيت: الذِّكْر الحسن. الأبطحي: المنسوب إلى أبطح مكة.

(٣) الذرورات: الأعالى.

(٤) المزن: السحاب. أعيد: ناعم.

(٥) يفند: يخطأ.

(٧) بقيق الغرقد: مدافن أهل المدينة.

(٨) صبحت سم الأسود: أي سقيت صباحاً سم الأسود، والأسود نوع من الحيات.

(٩) الضرائب: الطبايع. المحتد: الأصل.

(١٠) تنثي: تبعث.

إِلَّا بَكَيْتُ عَلَى النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ ^(١)
 بَعْدَ الْمُغَيَّبِ فِي سَوَاءِ الْمَلْحَدِ
 سُوداً وَجُوهَهُمْ كَلَوْنِ الْإِثْمِدِ
 وَقُضُولِ نِعْمَتِهِ بِنَا لِمِ نَجَحَدِ ^(٢)
 أَنْصَارَهُ فِي كُلِّ سَاعَةٍ مَشْهَدِ
 وَالطَّيِّبُونَ عَلَى الْمُبَارَكِ أَحْمَدِ
 قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: وَقَالَ حَسَّانُ بْنُ ثَابِتٍ يَبْكِي رَسُولَ اللَّهِ ﷺ:

وَاللَّهِ أَسْمَعُ مَا بَقِيَتْ بِهَالِكِ
 يَا وَيْحَ أَنْصَارِ النَّبِيِّ وَرَهْطِهِ
 ضَاقَتْ بِالْأَنْصَارِ الْبِلَادُ فَأَضْبَحُوا
 وَلَقَدْ وَلَدْنَاهُ وَفِينَا قَبْرُهُ
 وَاللَّهُ أَكْرَمَنَا بِهِ وَهَدَى بِهِ
 صَلَّى إِلَهُهُ وَمَنْ يَحُفُّ بِعَرْشِهِ
 قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: وَقَالَ حَسَّانُ بْنُ ثَابِتٍ يَبْكِي رَسُولَ اللَّهِ ﷺ:

مَعَ النَّبِيِّ تَوَلَّى عَنْهُمْ سَحْرًا ^(٣)
 وَرَزَقَ أَهْلِي إِذَا لَمْ يُؤْنِسُوا الْمَطْرَا
 إِذَا اللِّسَانُ عَنَّا فِي الْقَوْلِ أَوْ عَثْرًا ^(٤)
 بَعْدَ الْإِلَهِ وَكَانَ السَّمْعُ وَالْبَصْرَا
 وَعَيْبُوهُ وَالْقَوَا فَوْقَهُ الْمَدْرَا
 وَلَمْ يَعِشْ بَعْدَهُ أَنْشَى وَلَا ذَكَرَا
 وَكَانَ أَمْرًا مِنْ أَمْرِ اللَّهِ قَدْ قَدِرَا
 وَبَدُّوه جِهَارًا بَيْنَهُمْ هَدْرًا
 وَقَالَ حَسَّانُ بْنُ ثَابِتٍ يَبْكِي رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَيْضًا:

نَبَّ الْمَسَاكِينَ أَنَّ الْخَيْرَ فَارَقَهُمْ
 مَنْ ذَا الَّذِي عِنْدَهُ رَحْلِي وَرَاجِلْتِي
 أَمْ مِنْ نُعَاتِبٍ لَا نَخْشَى جِنَادِعَهُ
 كَانَ الضِّيَاءُ وَكَانَ الثُّورَ نَتَبَعُهُ
 فَلَيْتَنَا يَوْمَ وَارَوْهُ بِمُلْحِدِهِ
 لَمْ يَتْرُكِ اللَّهُ مِنَّا بَعْدَهُ أَحَدًا
 ذَلَّتْ رِقَابُ بَنِي النَّجَّارِ كُلِّهِمْ
 وَاقْتَسِمَ الْفَيْءُ دُونَ النَّاسِ كُلِّهِمْ
 وَقَالَ حَسَّانُ بْنُ ثَابِتٍ يَبْكِي رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَيْضًا:

مِئِّي أَلِيَّةَ بَرٍّ غَيْرَ إِفْنَادِ ^(٥)
 مِثْلَ الرَّسُولِ نَبِيِّ الْأُمَّةِ الْهَادِي
 أَوْفَى بِذِمَّةِ جَارٍ أَوْ بِمِيعَادِ
 مُبَارَكِ الْأَمْرِ ذَا عَدْلٍ وَإِزْشَادِ
 يَضْرِبُنْ فَوْقَ قَفَا سِثْرِ بَأُوتَادِ
 أَيْقَنَ بِالْبُؤْسِ بَعْدَ التُّعْمَةِ الْبَادِي ^(٦)
 أَصْبَحْتُ مِنْهُ كَمِثْلِ الْمُفْرَدِ الصَّادِي ^(٧)
 قَالَ ابْنُ هِشَامٍ: عَجَزَ الْبَيْتَ الْأَوَّلَ عَنْ غَيْرِ ابْنِ إِسْحَاقَ.

أَلَيْتُ مَا فِي جَمِيعِ النَّاسِ مُجْتَهِدًا
 تَالَلُهِ مَا حَمَلْتُ أَنْشَى وَلَا وَضَعْتُ
 وَلَا بَرَا اللَّهُ خَلْقًا مِنْ بَرِيَّتِهِ
 مِنْ الَّذِي كَانَ فِينَا يُسْتَضَاءُ بِهِ
 أَمْسَى نَسَاؤُكَ عَطَلْنَ الْبِيوتَ فَمَا
 مِثْلَ الرِّوَاهِبِ يَلْبَسُنَ الْمِبَادِلَ قَدْ
 يَا أَفْضَلَ النَّاسِ إِنِّي كُنْتُ فِي نَهْرٍ
 قَالَ ابْنُ هِشَامٍ: عَجَزَ الْبَيْتَ الْأَوَّلَ عَنْ غَيْرِ ابْنِ إِسْحَاقَ.

(١) والله أسمع: أي والله لا أسمع.

(٢) يريد بولدنا: أن أحوال والد رسول الله ﷺ من بني النجار.

(٣) نب: نبي. سهل فعل الأمر بحذف الهمزة ثم بناه على حذف حرف العلة كما بيني المقتل.

(٤) الجنادع: أوائل الشر.

(٥) الألية: اليمين. الإفناد: الخطأ والعيب.

(٦) المبادل: الأثواب التي تستعمل يومياً أو الأثواب الخليفة.

(٧) الصادي: الشديد العطش.

محتوى الجزء الثاني

- ٥ ذكر أسرى قريش يوم بدر
- ٧ ما قيل من الشعر في يوم بدر
- ١٢ شعر لحسان في بدر أيضاً
- ١٤ شعر الحارث في الرد على حسان
- ١٩ شعر طالب في مدح الرسول وبكاء أصحاب القلب
- ٢٠ شعر الحارث بن هشام في رثاء أبي جهل
- ٢٠ شعر ابن الأسود في بكاء قتلى بدر
- ٢٩ غزوة بني سليم بالكدر
- ٣٠ غزوة السويق
- ٣١ غزوة ذي أمر
- ٣١ غزوة الفرع من بحران
- ٣٢ أمر بني قينقاع
- ٣٣ سرية زيد بن حارثة إلى القردة
- ٣٤ مقتل كعب بن الأشرف
- ٣٨ أمر مُحَيِّصَة وَحَوَيِّصَة
- ٣٩ غزوة أحد
- ٤٩ شعر الأسود وأبي سفيان في قتل حنظلة
- ٥٠ حسان والحارث يروان على أبي سفيان
- ٥١ الزبير يذكر سبب الهزيمة
- ٥١ حسان يذكر شجاعة صواب
- ٥١ شعر حسان في شجاعة عمرة الحارثية
- ٥٥ مقتل أبي بن خلف
- ٥٦ سعد بن أبي وقاص يحرض على قتل عتبة
- ٦٢ الرسول يحزن على حمزة ويتوعد المشركين بالمثلثة
- ٦٤ دفن الشهداء حمزة
- ٦٦ غزوة حمراء الأسد

- ٦٩ ذكر ما أنزل الله في أحد من القرآن
- ٧٣ ذكره أن الموت بإذن الله
- ٧٩ ذكر من استشهد بأحد من المهاجرين
- ٨٢ ذكر من قتل من المشركين يوم أحد
- ٨٣ ذكر ما قيل من الشعر يوم أحد
- ١٠٧ ذكر يوم الرجيع في سنة ثلاث
- ١١٦ حديث بئر معونة في صفر سنة أربع
- ١٢٠ أمر إجلاء بني النضير في سنة أربع
- ١٢٨ غزوة ذات الرقاع في سنة أربع
- ١٣٢ غزوة بدر الآخرة في شعبان سنة أربع
- ١٣٤ غزوة دومة الجندل في شهر ربيع الأول سنة خمس
- ١٣٥ غزوة الخندق في شوال سنة خمس
- ١٤٦ غزوة بني قريظة في سنة خمس
- ١٤٦ جبريل يأتي بحرب بني قريظة
- ١٥٧ الشهداء يوم بني قريظة
- ١٥٨ ما قيل من الشعر في أمر الخندق وبني قريظة
- ١٦٩ مقتل سلام بن أبي الحقيق
- ١٧١ إسلام عمرو بن العاص وخالد بن الوليد
- ١٧٣ غزوة بني لحيان
- ١٧٤ غزوة ذي قرد
- ١٧٩ غزوة بني المصطلق في شعبان سنة ست
- ١٨٤ خبر الإفك في غزوة بني المصطلق
- أمر الحديبية في آخر سنة ست، وذكر بيعة الرضوان والصلح بين رسول الله ﷺ
- ١٩١ وبين سهيل بن عمرو
- ١٩٥ بيعة الرضوان
- ١٩٩ أمر المستضعفين بمكة بعد الصلح
- ٢٠١ أمر المهاجرات بعد الهدنة
- ٢٠٢ ذكر المسير إلى خيبر
- ٢١٤ حديث الحجاج بن علاط السلمي
- ٢١٨ ذكر ما أعطى محمد رسول الله ﷺ نساءه من قمح خيبر

- ٢١٩ تسمية النفر الدارين الذين أوصى لهم رسول الله ﷺ من خير
- ٢٢٢ قدوم جعفر بن أبي طالب من الحبشة المهاجرين معه
- ٢٢٧ عمرة القضاء في ذي القعدة سنة سبع
- ٢٣٠ ذكر غزوة مؤتة في جمادى الأولى سنة ثمان، ومقتل جعفر وزيد وعبد الله بن رواحة
- ٢٣٤ مقتل جعفر
- ٢٤٢ ذكر الأسباب الموجبة للسير إلى مكة وذكر فتح مكة في شهر رمضان سنة ثمان
- ٢٤٣ شعر تميم في الاعتذار من فراره عن منبه
- ٢٦٨ مسير خالد بن الوليد بعد الفتح إلى بني جذيمة من كنانة ومسير علي لتلافي خطأ خالد
- ٢٧٤ غزوة حنين في سنة ثمان - بعد الفتح
- ٢٩٩ ذكر غزوة الطائف بعد حنين في سنة ثمان
- ٣٠٥ أمر أموال هوازن وسبائها، وعطايا المؤلفلة قلوبهم منها وإنعام رسول الله ﷺ فيها
- عمرة الرسول من الجعرانة واستخلافه عتاب بن أسيد على مكة، وحج عتاب بالمسلمين سنة
- ٣١٣ ثماني
- ٣١٤ أمر كعب بن زهير بعد الانصراف عن الطائف
- ٣٢٢ غزوة تبوك في رجب سنة تسع
- ٣٣١ أمر مسجد الضرار عند القفول من غزوة تبوك
- ٣٣٢ أمر الثلاثة الذين خلفوا وأمر المعذرين في غزوة تبوك
- ٣٣٦ أمر وفد ثقيف وإسلامها في شهر رمضان سنة تسع
- ٣٤٠ كتاب ﷺ لثقيف
- حج أبي بكر بالناس سنة تسع اختصاص النبي ﷺ علي بن أبي طالب رضوان الله عليه بتأدية
- ٣٤٠ أول براءة عنه، وذكر براءة والقصص في تفسيرها
- ٣٤٧ حسان يُعدّد مغازية ﷺ شعراً
- ٣٥٠ ذكر سنة تسع وتسميتها سنة الوفود ونزول سورة الفتح
- ٣٥٠ قدوم وفد بني تميم ونزول الحُجرات
- ٣٥٢ ثابت بن قيس يردّ على عطارد
- ٣٥٣ حسان يردّ على الزبرقان
- ٣٥٤ شعر آخر للزبرقان بن بدر
- ٣٥٦ قصة عامر بن الطفيل وأريد بن قيس في الوفادة عن بني عامر
- ٣٥٩ قدوم ضمام بن ثعلبة وافداً عن بني سعد بن بكر
- ٣٦٠ قدوم الجارود في وفد عبد القيس

- ٣٦٠ موقفه من ردة
- ٣٦١ قدوم وفد بني حنيفة ومعهم مُسَيْلِمة الكذاب
- ٣٦١ قدوم زيد الخيل في وفد طيء
- ٣٦٢ قدوم عدي بن حاتم
- ٣٦٤ قدوم فروة بن مسيك المرادي
- ٣٦٥ قدوم عمرو بن معد يكرب في أناس من بني زبيد
- ٣٦٧ قدوم الأشعث بن قيس في وفد كندة
- ٣٦٨ قدوم صُرْد بن عبد الله الأزدي
- ٣٦٩ قدوم رسول ملوك حمير بكتابهم
- ٣٧٠ إسلام فروة بن عمرو الجذامي
- ٣٧١ إسلام بني الحارث بن كعب على يدي خالد بن الوليد لما سار إليهم
- ٣٧٤ قدوم رفاعة بن زيد الجذامي
- ٣٧٤ قدوم وفد هُمدان
- ٣٧٦ ذكر الكذابين مُسَيْلِمة الحنفي والأسود العنسي
- ٣٧٦ خروج الأمراء والعمال على الصدقات
- ٣٧٦ كتاب مُسَيْلِمة إلى رسول الله والجواب عنه
- ٣٧٧ حجة الوداع
- ٣٨١ بعث أسامة بن زيد إلى أرض فلسطين
- ٣٨١ بعث رسول الله ﷺ إلى الملوك
- ٣٨٢ ذكر جملة الغزوات
- ٣٨٣ ذكر جملة السرايا والبعوث
- ٤٠٣ ابتداء شكوى رسول الله ﷺ
- ٤٠٨ تمييز رسول الله في بيت عائشة
- ٤٠٩ خطبة للنبي وتفضيله أبا بكر
- ٤١٢ اليوم الذي قبض الله فيه رسوله ﷺ
- ٤١٢ شأن علي والعباس قبل وفاته
- ٤١٤ أمر سقيفة بني ساعدة
- ٤١٧ جهاز رسول الله ﷺ ودفنه